

رئيس الفريق العلمي

أ. د. حمد بن ناصر بن عبد الرحمن العمار

رعاية ودعم

صاحب السمو الملكي

الأمير بندر بن عبد العزيز آل سعود

أجزل الله مثوبته

المجلد الخامس عشر



بسم الله الرحمن الرحيم

كنوز رياض الصالحين

١٥

ح دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع، ١٤٣٠هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العمار، حمد ناصر

كنوز رياض الصالحين/ حمد ناصر العمار - الرياض ١٤٣٠هـ، ٢٢ مج.

٦٣٢ ص؛ ١٧ × ٢٤ سم

ردمك: ٢-٩٤-١١-٨٠١١-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)

٠-٠٩-٨٠٥٥-٦٠٣-٩٧٨ (ج١٥)

١- الحديث - جوامع الفنون ٢- الحديث - شرح أ- العنوان

ديوي ٢٣٧,٣ ١٤٣٠/٤٢٨٨

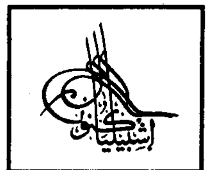
رقم الإيداع: ١٤٣٠/٤٢٨٨

ردمك: ٢-٩٤-١١-٨٠١١-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)

٠-٠٩-٨٠٥٥-٦٠٣-٩٧٨ (ج١٥)

الطَّبْعَةُ الأولى

١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م



دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية ص.ب ٢٧٢٦١ الرياض ١١٤١٧

هاتف: ٤٧٤٢٤٥٨- ٤٧٧٣٩٥٩ - ٤٧٩٤٣٥٤ فاكس: ٤٧٨٧١٤٠

E-mail: eshbelia@hotmail.com

٢١٧- باب وجوب صوم رمضان
وبيان فضل الصيام وَمَا يتعلق بِهِ

قَالَ اللَّه تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُم الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ إِلَى قَوْله تَعَالَى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ القُرْآنُ هُدَىً لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الهُدَى وَالفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُم الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَر﴾[البقرة: ١٨٣-١٨٥].

وَأما الأحاديث فقد تقدمت في الباب الَّذي قبله.

الحديث رقم (١٢١٧)

١٢١٧- وعن أَبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((قَالَ اللهُ عز وجل: كُلُّ عَمَلِ ابنِ آدَمَ لَهُ إلاَّ الصِّيَام، فَإنَّهُ لِي وَأنَا أجْزِي بِهِ، وَالصِّيَامُ جُنَّةٌ، فَإذَا كَانَ يَومُ صَومِ أحَدِكُمْ فَلاَ يَرْفُثْ وَلاَ يَصْخَبْ فإنْ سَابَّهُ أحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ: إنِّي[1] صَائِمٌ. وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أطْيَبُ عِنْدَ اللهِ مِنْ رِيحِ المِسْكِ. لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ يَفْرَحُهُمَا: إِذَا أفْطَرَ فَرِحَ بفطره، وَإذَا لَقِيَ رَبَّهُ فَرِحَ بِصَوْمِهِ)) متفقٌ عَلَيْهِ[2]، وهذا لفظ روايةِ البُخَارِي.

وفي روايةٍ لَهُ[3]: ((يَتْرُكُ طَعَامَهُ، وَشَرَابَهُ، وَشَهْوَتَهُ مِنْ أجْلِي، الصِّيَامُ لي وَأنَا أجْزِي بِهِ، وَالحَسَنَةُ بِعَشْرِ أمْثَالِهَا)).

وفي رواية لمسلم[4]: ((كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ يضاعَفُ، الحسنةُ بِعَشْرِ أمْثَالِهَا إِلَى سَبْعمِئَةِ

---

(١) عندهما زيادة: ((امرؤ)). تبع فيه المؤلف المنذري في ترغيبه، وهي لا توجد عنده.

(٢) أخرجه البخاري (١٩٠٤) واللفظ له، ومسلم (١١٥١/١٦٣). أورده المنذري في ترغيبه (١٤٢٨). وسيكرره المؤلف برقم (١٢٤٨).

(٣) أخرجها البخاري (١٨٩٤). أورده المنذري في ترغيبه (١٤٢٨/١).

(٤) برقم (١١٥١/١٦٤). أورده المنذري في ترغيبه (١٤٢٨/٢).

ضِعْفٍ. قَالَ اللهُ تَعَالَى: إِلاَّ الصَّوْمَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ؛ يَدَعُ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ مِنْ أَجْلِي. لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ: فَرْحَةٌ عِنْدَ فِطْرِهِ، وَفَرْحَةٌ عِنْدَ لِقَاءِ رَبِّهِ. وَلَخُلُوفُ فِيهِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ مِنْ رِيحِ المِسْكِ)).

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

الجُنَّة: الوقاية والستر[١].

يرفث: من الرفث: وهو الكلام الفاحش، يطلق على هذا وعلى الجماع وعلى مقدماته وعلى ذكره مع النساء أو مطلقًا، ويحتمل أن يكون لما هو أعم منها[٢].

يصخب: من الصخب: وهو الخصام والصياح[٣].

سابَّه: شاتمه[٤].

الخُلوف: تغير رائحة فم الصائم بسبب الصيام[٥].

المسك: ضرب من الطيب يتخذ من ضرب من الغزلان[٦].

الشرح الأدبي

الصوم من الأركان التي فرضها الله لتهذيب النفس البشرية، وتحقيق الصفاء الروحي وخلاص الروح من سيطرة الجسد مع إشعار الغني بغيره من الفقراء والمساكين، ولتحقيق هذه الأهداف كان الرسول ﷺ حريصاً على تقويم كل خطأ من شأنه أن ينقصها ويؤثر على الصائم سلباً، وفي هذا الحديث نجد الرسول ﷺ يبين

---

(١) فتح الباري ١٢٥/٤.

(٢) فتح الباري ١٢٦/٤، والمعجم الوجيز مادة (خ ل ف).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ص خ ب).

(٤) المرجع السابق في (س ب ب).

(٥) فتح الباري ١٢٧/٤.

(٦) المعجم الوسيط في (م س ك).

فضل الصيام عند الله وعلى صاحبه وعلى المجتمع ويبين جزاء الصائم في الدنيا ويصف خلجات نفسه ومشاعره عند تمامه، ولتحقيق كل هذه الأغراض استخدم الرسول ﷺ كثيراً من الأساليب البلاغية اتسمت بالدقة والرقة والتناسق منها: بداية الأسلوب بالخبر الخالي من المؤكدات، وهو ما يقابل به خالي الذهن غير المنكر أو المتردد مما يوحي بأن الأمر ليس فيه شك، وأن الأمر واضح لا ينكر، وهو نقل الرسول ﷺ عن ربه، وقول الرسول ﷺ (قال الله) ارتقاء بمستوى الحوار البشري بين الرسول ﷺ والمخاطبين من أمته إلى مستوى الحوار الإلهي للبشر، وذلك أدعى للإصغاء مع توفير مشاعر الهيبة والخشوع لقدسية الحديث الأمر الذي يجعل المخاطبين أسرع فهماً وأكثر استيعاباً، وأسرع إذعاناً لمضمون الخبر.

وبداية القول المحكي عن الله توحي بسيطرة الألوهية في تحديد قيمة العمل، وقبوله من عدمه، ومقدار ثوابه مع ما توحي به من رعاية الربوبية من إكرام للصائم وتلقى عمله بالثواب الجزيل الذي جعل الله جزاءه منه مباشرة مبالغة في تكريمه للصائم، وبداية الخبر الإلهي بلفظ العموم (كل) مع إضافته إلى لفظ (عمل) النكرة أيضاً يفيد استقصاءً لكل الأعمال يقتضى خصوصية للصوم دون جميع الأعمال يكون لله، لعدم وقوع الرياء فيه كما يقع في غيره؛ لأنه لا يظهر من ابن آدم بفعله؛ وإنما هو شيء في القلب لا يطلع عليه إلا الله، وأسلوب المبالغة، في قوله (كل عمل ابن آدم له إلا الصيام..) حيث جعل الصيام يفوق كل الأعمال خصوصية، وفضلاً بأن اختص الله نفسه بجزائه مباشرة دون سائر الأعمال، وهذا التركيب عند ابن السبكي يفيد القصر وعلى قول ابن السبكي يكون في قوله:(كل عمل ابن آدم له إلا الصيام) قصر عدم نسبة عمل ابن آدم له على الصيام قصر صفة على موصوف وهذا القصر في إطار تقويم الخطأ وبيان فضل الصوم يؤكد خصوصية الصوم ومنزلته عند الله ورضاه به أكثر من غيره من الأعمال"، وأساليب التوكيد من الوسائل المستخدمة في تقرير أفضلية الصوم، وتقويم ما يتعلق به من أخطاء حتى يأتي في أتم صورة تحقق أهدافه وقد تعددت أشكال التوكيد وصوره خدمة للغرض ووفاءً بالمعنى منها: أولاً: في قوله ﷺ

(فإنه لى) أكد الجملة بإن مع اسمية الجملة عناية بالخبر واهتماماً بشأنه أو لغرابة الخبر لما هو معلوم أن العبادات كلها له - تعالى - وإنما خص الصوم إشارة لفضله وتنويهاً يعظم جزائه وتنبيهاً للعبد إلى أدائه في أتم صورة لعلمه بتلقي الله للصوم بهذه الحفاوة وإفراده بهذه الخصوصية مما يدفعه إلى المبالغة في كمال أدائه والحرص على حسن تمامه، ثانياً: قوله (وأنا أجزي به) تقديم الضمير (أنا) يحتمل أن يكون للتخصيص فيفيد القصر لجزاء الصوم على الله وحده ونفيه بالمفهوم عمن سواه ويحتمل أن يكون للتأكيد، أو للتقوية والغرض بيان كثرة الثواب إذ عظمة المعطى والمجازى دليل على عظمة المعطى، ثالثاً: قوله (إني امرؤ صائم) تأكيد هذه الجملة لتنزيل المخاطب منزلة المنكر، لأن الشاتم والساب يكون في حالة غضب وانفعال فاحتاج إلى تأكيد على خطورة ما يفعل من سبٍّ صائم ولتأكيد أن الواجب على الصائم أن لا يبادله السب طهارة لنفسه وصوناً لعمله ولعله يستحى ويقصر.

رابعاً: التأكيد بالقسم في قوله:(والذي نفس محمد بيده) وهذا القسم بهذه الكيفية يحقق عدة فوائد: الرهبة والهيبة التي توحي بها ألفاظ القسم التي تصور روحاً هي أطهر روح في قبضة هي أقوى قبضة، روح رسول في قبضة مرسل فلا يتصور أن يكذب الرسول -فيما أخبر به عن المرسل والحالة ثمْ بالإضافة إلى أن الحالف لم تؤخذ- عليه قط كذبة - ثم التشويق الذي ينشأ عن سماع القسم من صادق لا يكذب ولم يُكذَّب ولا يعلم داعيه قبل مما يجعل المخاطب متطلعاً مستشرفاً إلى معرفة المقسم عليه بالإضافة إلى ما يحدثه بألفاظه من مردود نفسي يزكى جذوة الاستشراف والتطلع، والتنبيه على شرف المقسم عليه، وخطره إذ لا يصدر القسم ابتداءً إلا على أمر ذي بال، كما وفّر القسم الإصغاء والترقب وضمن للمقسم عليه الثبات في أذهان المخاطبين من جهة وذيوعه من جهة أخرى إذ لا يخلو المقسم عليه من طرافة أو خطر ثم إن التأكيد باللام في قوله (لخلوف فم الصائم) تصعيد للتأكيد الذي أحدثه القسم، وضمان لاستمرارية الأثر الناتج عنه في وجدان المخاطبين، ثم جاء التشبيه وهو من الوسائل البلاغية التي استخدمها الرسول ﷺ لبيان أثر الصوم، وقيمته وفضله ترغيباً

فيه وتقويماً لخطأ تركه أو الانتقاص من أركانه، وذلك في قوله (الصيام جنة) وهو تشبيه بليغ حيث شبه الصيام في حفظه للإنسان من الأخطار بالجُنة وهي الترس الذي يحتمي به الإنسان والوجه منع وصول الأذى في كل، ومعناه: أن الصيام يقي صاحبه شر الذنوب التي تؤدي به إلى عذاب النار.

والمتأمل لوجازة جملة التشبيه واتساع معانيها يجد أن كل ما يتعلق بلفظ: (جنة) من الحفظ والستر والمنع، وما يتعلق بصاحبها من تجنب للمخاطر وبُعد عن أسبابها وما يرتبط بذلك من نتاج، وغايات وآثار شعورية اجتمعت كلها في إطار واحد لدى هذا اللفظ المقترن بلفظ الصيام، والموضح لطبيعته، وفوائده، وغاياته، وآثاره.[1] كما استخدم أسلوب الشرط، وهو من وسائل التشويق، وبعث النشاط، وإثارة الترقب لارتباط المقدمة فيه بالنتيجة وتبشيرها بها، وقد استخدم الرسول ﷺ أسلوب الشرط في هذا الحديث مرتين لتحقيق ذلك، ولوضع الحلول المناسبة للمواقف المناسبة حتى لا يقع الصائم في خطأ يترتب عليه نقص ثوابه، وقد استخدم ﷺ أداة الشرط (إذا) مرة، و(إن) مرة ولكل موقعها وأسرارها في التعبير من ذلك: قوله ﷺ (وإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب) وشرط الرسول يبين ما يجب أن يكون عليه الصائم من صفاء نفس وصلاح حال، ولا يجب عليه أن ينساق وراء أي قاطع له عن اتصاله بربه ولا يرد السوء بالسوء ولا يخرج عن سكونه، فقد ربط الرسول ﷺ بأسلوب الشرط بين الكون في يوم الصيام، وهو الشرط وبين ترك الرفث والصخب الذي هو الجزاء حتى لا يخرج الصائم عن حاله فيضيع هدف الصوم، وتهذيب النفس واستخدام الرسول ﷺ لأداة الشرط (إذا) التي توحي بتوقع الحدوث إشارة إلى أن المؤمن كثير الصوم كثير التقرب إلى الله، والشرط الثاني الذي وضعه الرسول ﷺ علاجاً لموقف معين ومنعاً من التردي في الخطأ الذي ينقص أجر الصائم قوله ﷺ (فإن سابه أحد أو شاتمه فليقل إني امروء صائم) وجملة الشرط هي (سابه أحد أو شاتمه) وجملة الجواب (فليقل إني امروء صائم) ويتبين من هذا الشرط ما يجب أن يكون عليه الصائم من مقابلة

---

(١) انظر: كتاب من الخصائص البلاغية واللغوية لأسلوب الحديث النبوى ص ٣٥٧.

الإساءة بكظم الغيظ، والرد الحسن، وتذكير نفسه بانقطاعه بالصيام إلى الله وتذكير لشاتمه بأنه في حال وصال مع الله، وفي هذا إظهار لقبح فعله بوضعه إزاء فعل الصائم إذ من المعروف أن الضد يظهر حسنه الضد، وهو درس من دروس الصوم التي يهدف إلى غرسها في المؤمنين في التحكم في الشهوة الغضبية والسيطرة على النفس وكبح جماحها فلا يحملهم جهل جاهل على الخطأ، واستخدام أداة الشرط (إن) دون غيرها توحي باستبعاد حصول فعل الشرط وهو الشتم والسباب، وفيه إشارة إلى وجوب نقاء المجتمعات المسلمة من صور السباب والشتم واستخدام إن ينادى باستبعاد وقوع فعل الشرط بين المؤمنين ولذلك ناسب استخدام (إن) للمقام التي توحي ببعد حصول الشرط.

كما استخدم أسلوب النهي في تقويم أخطاء الصائمين في إطار منع ما يمكن أن يخدش الصيام أو يفسده، وقد ورد النهي فيما يخالف أخلاق الصائم، ويؤثر على تحقيق الهدف من الصوم في قوله (فلا يرفث ولا يصخب) والرفث: الفحش والصخب: الخصام والصياح وهو ينافى السكون والخشوع الذي يجب أن يتحلى به الصائم، ولا يفهم من النهي هنا أن غير الصائم يباح فيه ما ذكر، وإنما المراد أن المنع من ذلك يتأكد بالصوم. ثم تبعه بأسلوب الأمر: وقد ورد أسلوب الأمر في إطار تقويم أخطاء الصائمين في تحديد الرد الصائب الذي يجنبه الخطأ في جواب الشاتم، أو الساب وذلك في جواب الشرط في قوله (فليقل إني صائم) إرشاداً وتنبيهاً وتوجيهاً للصائم إلى ما يجب على الصائم في هذا الموقف[1].

فقه الحديث

١- **قال النووي عن وجوب صوم رمضان:**

(ورد هذا الحكم وهو كون صوم رمضان ركنًا وفرضًا - مجمع عليه، ودلائل الكتاب والسنة والإجماع متظاهرة عليه، وأجمعوا على أنه لا يجب غيره)[2].

---

(١) انظر: بلاغة الرسول ﷺ في تقويم الأخطاء د ناصر راضي الزهري ٢٩٠، ط١ دار البصائر – القاهرة.

(٢) المجموع ١٦٤/٦ .

٢- السواك للصائم بعد الزوال:

ذهب الشافعية إلى كراهة السواك للصائم بعد الزوال، احتجاجًا بهذا الحديث[١].

وفي ذلك يقول أبو إسحاق الشيرازي: (ولا يكره [أي السواك] إلا في حالة واحدة وهو للصائم بعد الزوال، لما روى أبو هريرة أن النبي ﷺ قال: "لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك" والسواك يقطع ذلك، فوجب أن يكره، ولأنه أثر عبادة مشهود له بالطيب، فكره إزالته كدم الشهداء)[٢].

وقال النووي في شرح ذلك: (لا يكره السواك في حالٍ من الأحوال لأحدٍ إلا للصائم بعد الزوال فإنه يكره، نصّ عليه الشافعي في الأم، وفي كتاب الصيام من مختصر المزني وغيرهما، وأطبق عليه أصحابنا. وحكى أبو عيسى الترمذي في جامعه في كتاب الصيام[٣] عن الشافعي أنه لم ير بالسواك للصائم بأسًا أول النهار وآخره، وهذا النقل غريب وإن كان قويًا من حيث الدليل، وبه قال المزني وأكثر العلماء وهو المختار)[٤].

٣- قال النووي: (يستحب صون نفسه في رمضان عن الشهوات فهو سرّ الصوم، ومقصوده الأعظم، وأن يحترز عن الغيبة والكلام القبيح والمشاتمة والمسافهة وكل ما لا خير فيه من الكلام)[٥].

٤- قال النووي: (السنة إذا شتمه غيره أو تسافه عليه في حال صومه أن يقول: إني صائم إني صائم مرتين أو أكثر؛ روينا في صحيحي البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((الصيام جنّة فإذا صام أحدكم فلا يرفث ولا يجهل وإن امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل إني صائم إني صائم مرتين))[٦].

قلت [القائل النووي]: (قيل إنه يقول بلسانه ويسمع الذي شاتمه لعله ينزجر، وقيل:

---

(١) انظر: شرح صحيح مسلم ٢٦/٨/٤ .

(٢) المهذب، المطبوع مع شرحه المجموع ١٥١/٦ .

(٣) سنن الترمذي ص ١٨٤، بعد الحديث ٧٢٥.

(٤) المجموع ١٥١/٦-١٥٢ .

(٥) المجموع ٢٧٤/٦ .

(٦) أخرجه البخاري ١٨٩٤، ومسلم ١١٥١، ١٦٠.

يقوله بقلبه؛ لينكف عن المسافهة ويحافظ على صيانة صومه، والأول أظهر، ومعنى شاتمه: شتمه متعرضًا لمشاتمته، والله أعلم)[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من مصادر الدعوة: الحديث القدسي.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل ومنزلة الصوم بين العبادات.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: آداب الصوم.

رابعًا: من أهداف الدعوة: تهذيب وتربية المدعوين من خلال الصوم.

أولاً - من مصادر الدعوة: الحديث القدسي:

يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ: (قال الله عز وجل...)، والأحاديث القدسية هي التي يحكيها النبي ﷺ عن الله عز وجل بأسلوب غير القرآن الكريم، وتحمل نوعًا من الموعظة التي تدور على تبيان عظمة الخالق، وسعة رحمته بعباده، ودعوتهم إلى أن يكون عملهم على توافق مع العقيدة، وهذه المواعظ وإن كانت على غير ما نعهد من أسلوب القرآن الكريم، ولكن الصحيح منها تبدو عليه سيما الجلال وتلفُه نفحات التقديس والتنزيه مما يشعر المرء بعظمة وجلال المنسوب إليه سبحانه، كما في الحديث القدسي الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((قال اللهُ: أعدَدتُ لِعبادي الصالحينَ ما لا عَينٌ رأتْ، ولا أذنٌ سمعت، ولا خَطرَ على قلبِ بَشَر))[2].

فالحديث القدسي الذي يرويه النبي ﷺ من كلام الله تعالى، ولا يبدو في الأحاديث القدسية لون من ألوان الأحكام التكليفية، أو جواب على سؤال معين، أو معالجة لواقعة معينة، وإنما الملاحظ أنها تؤدي نوعًا من التوجيه الرباني العظيم، مما يتعلق بصحة العقيدة بالله عز وجل وكمال قدرته وعظمته وسعة رحمته، وبسلامة

---

(١) الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيي الدين مستو ٢١٩، وانظر: فتح الباري ٤/١٥٠.

(٢) أخرجه البخاري ٧٤٩٨، ومسلم ٢٨٢٤.

السلوك وصحة العمل الذي ينسجم مع تلك العقيدة"[١].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: فضل ومنزلة الصوم بين العبادات:

يظهر ذلك في قول الله تعالى: (كلُّ عملِ ابنِ آدمَ لهُ، إلاّ الصِّيامَ فإنهُ لي وأنا أجْزي به).

قال المازري: "تخصيصه الصوم هاهنا بقوله: (لي) وإن كانت أعمال البر المخلصة كلها له تعالى، لأجل أن الصوم لا يمكن فيه الرياء، كما يمكن في غيره من الأعمال، لأنه كف وإمساك، وحال الممسك شبعًا أو لفاقةٍ كحال الممسك تقربًا، وإنما القصد ما يبطنه القلب هو المؤثر في ذلك، والصلوات والحج والزكوات أعمال بدنية ظاهرة يمكن فيها الرياء والسمعة، فلذلك خصّ الصوم بما ذكره دونها"[٢].

وقال القاضي: "وقال أبو عبيد معناه: أنا أتولى جزاءه، إذ لا يظهر فتكتبه الحفظة، إذ ليس من أعمال الجوارح الظاهرة، وإنما هو نية وإمساك، فأنا أجازي به من التضعيف على ما أحب. وفي قوله: (الصوم لي)، وتخصيصه بيان عظيم فضله، وكثرة ثوابه، ويدل عليه قوله: (أنا أجزي به)، وقال الخطابي: قوله: (لي) أي ليس للصائم فيه حظ، قال: وقيل: إن الاستغناء عن الطعام من صفات الله تعالى، فكأنه يتقرب إلى الله بما يتعلق بشبه صفة من صفاته، وإن كان تعالى لا شبه له في صفاته"[٣]، وقيل: فيه تخصيص الصوم وتشريفه بإضافته إليه تعالى، فقال كما قال: بيت الله، والكل لله تعالى، وقيل: (لي): أي المنفرد (بعلم) مقدار ثوابه وتضعيف حسناته، كما قال: (وأنا أجزي به)، قال: وغيره من الحسنات اطلعت على مقادير أجورها، كما قال: (كل حسنة بعشر أمثالها) الحديث، والصوم موكّل إلى سعة جوده وغيب علمه، كما قال

---

(١) انظر: لمحات في أصول الحديث، د. محمد اديب صالح، ط٣ المكتب الإسلامي: ١٣٩٩هـ، ص ٤٥-٥١.

(٢) المعلم بفوائد مسلم ٣١٨/١.

(٣) انظر: أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري، باب: هل يقول: إني صائم إذا شتم، حيث قال: أي خالص لي لا يطلع عليه أحد فيكون لنفس صاحبه منه حظ فيه ٩٤٦/٢.

تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[١][٢].

قال النووي: "وقوله تعالى: (وأنا أجزي به)، بيان لعظم فضله وكثرة ثوابه لأن الكريم إذا أخبر بأنه يتولى بنفسه الجزاء اقتضى عظم قدر الجزاء وسعة العطاء"[٣].

وقال ابن عثيمين: "والمعنى: أن الصيام يختصه الله سبحانه وتعالى من بين سائر الأعمال لأنه - أي الصيام - أعظم العبادات إطلاقًا، فإنه سر بين الإنسان وربه؛ لأن الإنسان لا يُعلم إذا كان صائمًا أو مفطرًا، هو مع الناس ولا يعلم به، نيته باطنة، فلذلك كان أعظم إخلاصًا فاختصه الله من بين سائر الأعمال.

ومما يدل على فضل ومنزلة الصوم بين العبادات: أن عمل ابن آدم يزاد من حسنة إلى عشرة أمثالها، إلا الصوم فإنه يُعطى أجره بغير حساب، يعني: أنه يضاعف أضعافًا كثيرة، قال أهل العلم: ولأن الصوم اشتمل على أنواع الصبر الثلاثة، ففيه: صبر على طاعة الله، وصبر عن معصية الله، وصبر على أقدار الله"[٤].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: آداب الصوم:

ويظهر ذلك في قوله تعالى: (... فَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ، فَلاَ يَرْفُثْ وَلاَ يَصْخَبْ. فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ، فَلْيَقُلْ: إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ).

قال القرطبي وقوله: "فإذا كان يوم صوم أحد كم فلا يرفث ولا يصخب" لا يفهم من هذا الشرط أن غير يوم الصوم يباح فيه الرفث والصخب، فإنهما ممنوعان على الإطلاق، وإنما تأكد منعهما بالنسبة إلى الصوم)[٥].

قال ابن عثيمين: "يعني: لا يقول قولاً يأثم به ولا يصخب فيتكلم بكلام صخب، بل يكون وقورًا مطمئنًا متأنيًا فإن سابه أحد أو شاتمه فلا يرفع صوته عليه، بل يقول:

---

(١) سورة الزمر، آية: ١٠.

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ١١١/٤.

(٣) شرح صحيح مسلم ص ٧١٢.

(٤) شرح رياض الصالحين ١٣٩٣/٢.

(٥) المفهم ٦١٤/٣.

إني صائم، يقول ذلك لئلا يتعالى عليه الذي سابّه، كأنه يقول: أنا لست عاجزًا عن أن اقابلك بما سببتني ولكني صائم، يمنعني صومي من الرد عليك، وعلى هذا فيقوله جهرًا"(١).

فآداب الصوم تجعل الصائم حريصًا على التخلق بالأخلاق الحسنة حتى لا يفسد صومه، فيحبس لسانه عن اللغو. والسباب الانطلاق في أعراض الناس، والسعي بينهم بالغيبة والنميمة المفسدة. كما يردعه الصيام عن الغش والخداع والتطفيف والمكر وارتكاب الفواحش، وأخذ الربا أو الرشا، وأكل أموال الناس بالباطل بأي نوع من الاحتيال. ويجعل المسلم يسارع في فعل الخيرات من إقام الصلاة وإيتاء الزكاة على وجهها الصحيح وجهاتها المشروعة، ويجتهد في بذل الصدقات وفعل المشاريع النافعة،ويحرص على تحصيل لقمة العيش من الوجه الحلال، ويحذر من اقتراف الإثم والفواحش فضلاً عن الاسترسال بها. وإذا نسي أو غلبته نفسه على فعل معصية، ذكر الله سريعًا فأناب إليه واستغفر وتاب مما أصاب، لما غرس فيه صوم هذا الشهر المبارك من مراقبة الله وخشيته، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾(٢).

ولذا وجب على الصائم أن يتحفظ أكثر مما ينبغي أن يتحفظ، فقد قال رسول الله ﷺ: ((مَن لم يَدَعْ قولَ الزُّورِ والعملَ بهِ فليسَ للهِ حاجةٌ في أن يَدَعَ طعامَهُ وشَرابَه))(٣)، فالصيام تهذيب لا تعذيب، فإذا لم يؤت ثمرته النافعة فليس النقص منه، وإنما النقص من سوء تصرف الصائم، وعدم صحة قلبه وطهارة ضميره، وعدم حسن تفكيره"(٤).

رابعًا – من أهداف الدعوة: تهذيب وتربية المدعوين من خلال الصوم:

يظهر ذلك في قوله تعالى: (والصيام جُنة)، قال النووي: "ومعناه: سترة ومانع من

---

(١) شرح رياض الصالحين ٢/١٣٩٤.

(٢) سورة الأعراف، آية: ٢٠١.

(٣) أخرجه البخاري ١٩٠٣.

(٤) انظر: الصوم، الشيخ عبدالرحمن الدوسري، ط/١ دار إشبيليا، الرياض: ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ص ١٥- ١٦.

الرفث والآثام ومانع أيضًا من النار ومنه المجن وهو الترس ومنه الجن لاستتارهم"[١].

والصوم من الأشياء التي تهذب نفس المسلم وتعوده على الإخلاص، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾[٢].

قال ابن كثير: "لأن الصوم فيه تزكية للبدن وتضييق لمسالك الشيطان[٣]، ولهذا ثبت في الصحيحين: ((يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ البَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ، فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ))[٤].

والصوم يعود النفس على الصبر والتقوى ويعود على الإخلاص، ويهذب الغرائز والشهوات.

فإن كثيرًا ما تتغلب مادية الإنسان على روحانيته؛ لالتصاقه بالأرض واشتغاله بمطالب بدنه، فكان لا بد من إتاحة فرصة للروح تتلذذ فيها بمشارفة العالم العلوي، وتتخلص من قيود المادة وأدرانها.

ولما كانت أبرز مظاهر البهيمية هي الأكل والشرب والشهوة، شرع الصيام عن هذه الأشياء، فكان موسمًا روحيًا يتشبه فيه الإنسان بعالم الملائكة، ويتجرد لعبادة ربه فيحظى بإقباله وغفرانه، وينعم بثوابه ورضوانه، وصدق الله العظيم: ((يَتْرُكُ طَعَامَهُ وشَرَابَهُ وشَهْوَتَهُ مِن أجْلي، الصِّيامُ لي وأنا أجْزي به، والحسَنَةُ بعَشْرِ أمثالِها))[٥].

والصوم مدرسة للنفس ومستشفى للبدن، يتلقى الصائم فيه دروسًا عملية في تحمّل الصبر وتحمل المشاق، وقوة الإرادة بينما يدع أجهزته الهضمية تستريح من عنائها الطويل.

وإذا كانت حكمة الصوم هي التهذيب والتأديب والتربية فإنه لا صوم لمن يدع

---

(١) شرح صحيح مسلم ص ٧١٢.

(٢) سورة البقرة، آية: ١٨٣.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ١/ ٤٩٧.

(٤) أخرجه البخاري ٥٠٦٦، ومسلم ١٤٠٠.

(٥) أخرجه البخاري ١٨٩٤.

الطعام والشراب ولا يدع قول الزور والفحش والسباب، وصدق رسول الله ﷺ: ((رُبَّ صَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ صِيَامِهِ إِلاَّ الْجُوعُ))[١][٢].

---

(١) أخرجه ابن ماجة ١٦٩٠، وقال الألباني: حسن صحيح، (صحيح سنن ابن ماجة ١٣٧١).

(٢) العبادات في الإسلام، د. محمد عبده ص ٢٥٧ - ٢٥٨.

الحديث رقم (١٢١٨)

١٢١٨- وعنه: أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: ((مَنْ أنْفَقَ زَوْجَيْنِ فِي سَبِيلِ اللهِ نُودِيَ مِنْ أبْوَابِ الجنَّةِ، يَا عَبْدَ اللهِ هَذَا خَيرٌ، فَمَنْ كَانَ مِنْ أهْلِ الصَّلاَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّلاَةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أهْلِ الجِهَادِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الجِهَادِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أهْلِ الصِّيَامِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الرَّيَّانِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أهْلِ الصَّدَقَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ)) قَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه: بِأبي أنْتَ وَأُمِّي يَا رسولَ اللهِ! مَا عَلَى مَنْ دُعِيَ مِنْ تِلْكَ الأَبْوَابِ مِنْ ضَرورةٍ، فهل يُدْعى أحَدٌ مِنْ تِلْكَ الأبوَابِ كُلِّهَا؟ فَقَالَ: ((نَعَمْ، وَأرْجُو أنْ تَكُونَ مِنْهُمْ)) متفقٌ عَلَيْهِ[١].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

أنفق زوجين: أنفق شيئين من أي صنف من أصناف المال من نوع واحد[٢].

الريان: اسم علم على باب من أبواب الجنة يختص بدخول الصائمين منه[٣].

ضرورة: أي نقص ولا خسارة[٤].

الشرح الأدبي

يدل – هذا الحديث – على سعة أبواب الخير، وكثرتها، وتنوعها، ويرغب في الاجتهاد فيها، ولذا بنى على الشرط وجوابه – وأسلوب الشرط من الأساليب الخبرية الشائعة في الحديث النبوي لما لها من خصوصيات تجعله أنسب الأساليب للسياق، وأوفاها للمعنى لأنها تعطي الخبر حكم العموم، وبذلك يكون صالحاً لكل زمان، ومكان، مع ربطه الجزاء بالفعل، وجعل المخاطب طرفاً حرَّ الاختيار بعد توضيح

---

(١) أخرجه البخاري (١٨٩٧)، ومسلم (١٠٢٧/٨٥) ولفظهما سواء.

(٢) فتح الباري ١٣٤/٤.

(٣) المرجع السابق ١٣٤/٤.

(٤) المرجع السابق ١٣٥٢.

العاقبة، وقوله (نُودِيَ مِنْ أَبْوَابِ الجَنَّةِ) بناء الفعل للمفعول يجعل العقل يذهب في تخيله كيف يشاء، وجمع الأبواب للتكثير الذي يصعّد الترغيب في العمل، وإضافتها للجنة تزيد الرغبة فيها، والنداء المحكي في قوله (يَا عَبْدَ اللهِ هَذَا خَيرٌ) يدل على مدى الحفاوة به، وفيه إشادة وتنويه بأصحاب هذه الأعمال كما أنها ترغب السامعين في الاجتهاد – ثم ذكر نماذج السعداء الذين ينادون من هذه الأبواب ليفكر كل سامع، في حاله من أي باب أدعى؟ (فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة – ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة " ونلمح أن الرسول صلى الله علية وسلم بدأ بأهل الصلاة: لأهميتها في حياة الفرد والجماعة بل في حياة الدول لأنها تصلح الصلة بين الإنسان، وخالقه من ناحية، وبينة، وبين المحيطين به من ناحية أخرى، وأتى بعد " أهل الصلاة " بأهل الجهاد " و" الصيام " و" الصدقة "، لأن الصلاة تغرس فيهم حب الجهاد، والتضحية، والزكاة عن أعضاء الجسد بالصيام، والزكاة عن الأموال، والنعم بالصدقة، والاستفهام في قول أبى بكر ﷺ: " فهل يدعى أحد من تلك الأبواب كلها " الاستفهام هنا على حقيقته يدفعه رجاء وثّاب إلى معالي الدرجات في نفس الصديق أكثر الناس خوفا، ورجاء بعد رسول الله، وقد وافقت إجابة الرسول ﷺ، خفي رجائه فبشره الرسول الكريم ﷺ بقوله: " نعم وأرجوا أن تكون منهم " وهذه الإجابة من المصطفى تدل على حسن ظنه في الله تعالى وحسن ظنه بصاحبه، وحسن أدبة مع ربه، لأنه ترجى ربه أن يكون أبو بكر من هؤلاء، وهذا يوحى بأن دخول الناس الجنة يكون برحمة الله قبل كل شيء. والله أعلم.

فقه الحديث

قال النووي: (قوله ﷺ لأبي بكر ﷺ: "إني لأرجو أن تكون منهم" فيه جواز الثناء على الإنسان في وجهه إذا لم يخف عليه فتنة بإعجاب وغيره، والله أعلم)[1].

---

(١) شرح صحيح مسلم ١٠٤/٧/٤ .

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل وثواب الإنفاق في سبيل الله.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل وثواب الصلاة والجهاد والصيام والصدقة.

ثالثًا: من واجبات الداعية: تبشير أهل الطاعة والفضل.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: بيان مكانة وفضل أبي بكر الصديق رضي الله عنه ودعوته يوم القيامة من جميع أبواب الجنة.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: الثناء على أهل الفضل.

سادسًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً - من موضوعات الدعوة: فضل وثواب الإنفاق في سبيل الله:

يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ: (من أنفق زوجين في سبيل الله نودي من أبواب الجنة).

قال القاضي عياض: "وقيل درهم ودينار، ودرهم..، وثوب، والزوج: الفرد، قال الله تعالى: ﴿كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾[1]، ويقع الزوج على الاثنين أيضًا، وقيل: إنما يقال للفرد: زوج، إذا كان معه آخر، والزوج الصنف، وقيل ذلك في قوله تعالى: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَٰثَةً﴾[2]، قيل: وقد يحتمل أن يكون هذا في جميع أعمال البر من صلى صلاتين، أو صام يومين. والمقصود من هذا كله -والله أعلم- تشفيع صدقته بأخرى مثلها، والتنبيه على فضل الصدقة والنفقة في سبيل الله، والاستكثار منها"[3].

وفضل ثواب الإنفاق في سبيل الله عظيم وهذا ما بيّنه المولى عز وجل في كتابه

---

(١) سورة هود، آية: ٤٠.

(٢) سورة الواقعة، آية: ٧.

(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٥٥٥/٣.

الكريم فقال: ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾(١).

قال ابن كثير: "هذا مثل ضربه الله لتضعيف الثواب لمن أنفق في سبيله وابتغاء مرضاته، وأن الحسنة تضاعف بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف"(٢).

وقال ﷺ: ((من أنفق نفقة فاضلة في سبيل الله فبسبع مئة ، ومن أنفق على نفسه أو على أهله أو عاد مريضًا أو ماذ أذى عن طريق فهي حسنة بعشر أمثالها، والصوم جنة ما لم يخرقها، ومن ابتلاه الله ببلاء في جسده فهو له حطّة))(٣).

ففضل الإنفاق في سبيل الله عظيم وثوابه جزيل والله لا يضيع أجر المحسنين.

وإن الإنفاق في سبيل الله ينبغي أن يكون من المال الطيب الذي يحبه الإنسان بالفطرة، ولولا إيمانه ورجاؤه ثواب الله تعالى، فإنه يحرص عليه ولا ينفقه إلا في مصالحه الخاصة، قال تعالى: ﴿ لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴾(٤)، فالله عز وجل طيب لا يقبل إلا طيبًا، وهذه النفقة من المال الطيب هي التي يتقبلها الله تعالى من عباده، ويثيبهم عليها الجنة بمنه وكرمه، وذلك أن المنفق آثر الله تعالى بالمال طلبًا لمرضاته على نفسه وأهله كما فعل الأنصار مع المهاجرين فخلّد القرآن ذكرهم، فقال تعالى: ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾(٥)، وقد ألمحت آيات أخرى إلى أن إنفاق الإنسان ما يحبه أفضل الطاعات.

وقد يتوهم بعض الناس أنهم ينفقون أموالهم في سبيل الله عندما يتخلصون من بقايا

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢٦١.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٦٩١/١، وماذ الأذى أي: نحاه وأبعده.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده ١٩٥/١ - ١٩٦، رقم ١٦٩٠ - ١٧٠٠، وقال محققو المسند: إسناده حسن ٢٢٠١٣، ٢٢٧.

(٤) سورة آل عمران، آية: ٩٢.

(٥) سورة الحشر، الآية: ٩.

الطعام وبالي الثياب وعتيق الأثاث، فيلقونه بكبرياء إلى المستضعفين، فإن هذه ليست النفقة الطيبة، قال تعالى: ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ﴾[1]، بل ليس من الأدب مع الله تعالى أن يقرضه الإنسان أردأ ما عنده، ويبقي لنفسه المال الحسن الطيب فإن الله تعالى يقول: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ﴾[2]، فالله هو الذي يأخذ الصدقات، قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾[3].

والإنفاق في سبيل الله من الأمور المندوبة والواجبة من أموال الأفراد الخاصة أساس في بنية المجتمع الإسلامي، وهو يهدف إلى تحقيق التكافل الاجتماعي، والانتعاش الاقتصادي بدوران المال بين عدد كبير من الناس مما يثمر حركة نشيطة في البيع والشراء نتيجة ارتفاع القدرة الشرائية عند الأفراد، لذلك سعى الإسلام إلى توزيع الثروات وتفتيتها وتأكيد الحقوق العامة فيها، فنهى عن السرف وتبديد المال وحجر على السفهاء، وشرع نظام الميراث الذي يفضي إلى عدم حصر الثروة بابن العائلة الكبير أو بالذكور مستهدفًا أن تعم الفائدة على أكبر عدد من الناس، وكذلك تشريع الزكاة يهدف إلى الارتفاع بمستوى الفئات الفقيرة من أبناء المجتمع، وتحقيق مشاركتهم في التملك والاستثمار والاستهلاك مما يعود بالخير على تماسك المجتمع وتحقيق المودة بين المسلمين إضافة إلى تنشيط الحركة الاقتصادية[4].

والإنفاق له أثر على أخلاق الناس فهو يخلصهم من الشح وهو: عدم الإجمال في الطلب والتكالب على الجمع ومن البخل وهو: التقتير خوفًا من الفقر أو حبًا للمال ورغبة في عدم التفريط فيه، حتى أن البخيل قد يكتفي بالجمع للمال دون أن يظهر أثر

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٦٧.

(٢) سورة الحديد، الآية: ١١.

(٣) سورة التوبة، الآية: ١٠٤.

(٤) التربية الروحية والاجتماعية، د. أكرم ضياء العمري ص ٣٠٧ - ٣١١.

نعمة الله عليه في ملبسه ومأكله ومسكنه. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقْرَضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾[1][2].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: فضل وثواب الصلاة والجهاد والصيام والصدقة:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: (فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة).

قال القرطبي: "وقوله: (فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة)، أي: من المكثرين لصلاة التطوع، وكذلك غيرها من أعمال البر المذكورة في هذا الحديث، لأن الواجبات لا بد منها لجميع المسلمين. ومن ترك شيئًا من الواجبات إنما يخاف عليه أن ينادى من أبواب جهنم فيستوي في القيام بها المسلمون كلهم، وإنما يتفاضلون بكثرة التطوعات التي بها تحصل تلك الأهلية التي بها يُنَادَوْن من تلك الأبواب"[3].

قال النووي: "قوله ﷺ: فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة)، وذكر مثله في الصدقة والجهاد والصيام، قال العلماء: معناه من كان الغالب عليه في عمله وطاعته ذلك"[4].

فمن كان غالب عمله وطاعته في الدنيا عمل من هذه الأربعة نودي من باب الجنة الخاص بها يوم القيامة، ويؤيد ذلك قول رسول الله ﷺ: ((لِكُلِّ أَهْلِ عَمَلٍ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ يُدْعَوْنَ مِنْهُ بِذَلِكَ الْعَمَلِ))[5]. فأبواب الجنة تنادي أهل الأعمال الصالحة بأعمالهم.

---

(١) سورة الحديد، الآية: ١٨.

(٢) التربية الروحية والاجتماعية، د. أكرم ضياء العمري ص ٣١٢.

(٣) المفهم ٣/٧١ - ٧٢.

(٤) شرح صحيح مسلم ص ٦٥١.

(٥) أخرجه أحمد في مسنده ٢/٤٤٨، رقم ٩٨٠٠، وقال محققو المسند: حديث صحيح ١٥/٤٩٦.

فمؤدي الفرائض كاملة محب لله ومؤديها وبعدها النوافل محبوب من الله؛ يدل على ذلك الحديث الذي يرويه رسول الله ﷺ عن رب العزة سبحانه وتعالى وفيه: ((.... وما تقرَّبَ إليَّ عَبدي بشيءٍ أحبَّ إليَّ مِمَّا افترضْتُ عليه، وما يَزالُ عبْدي يتقرَّبُ إليَّ بالنَّوافلِ حتى أُحبَّه، فإذا أحبَبْتُه كنتُ سمعَه الذي يسمَعُ به، وبصرَه الذي يُبصِرُ به، ويدَه التي يَبطشُ بها، ورِجلَه التي يمشي بها، وإنْ سألني لأُعطِيَنَّه، ولَئنِ استَعاذني لأُعيذَنَّه))[١].

فللمتقرب بالنوافل إذن خصوصية وميزة، تجعله أعلى مرتبة من مؤدي الفرائض فقط ذلك؛ لأن الفرائض مطلوبة من العبد أصلاً وهو مكلف بها وآثم بتركها والتفريط فيها. وقد مثّل ابن حجر لذلك بمثل يقرب الفكرة ويجلي الصورة، قال: "جرت العادة أن التقرب يكون غالبا بغير ما وجب على المتقرِّب كالهدية والتحفة بخلاف من يؤدي ما عليه من خراج أو يقضى ما عليه من دين" ثم أضاف بيان فائدة أخرى للنوافل فقال: "وأيضا فإن من جملة ما شرعت له النوافل جبر الفرائض كما صح في الحديث: ((أنظروا هل لِعَبْدِيَ مِنْ تطوعٍ؟ فيُكْمِلُ بها ما انتقصَ من الفريضةِ ...))[٢]، فتبين أن المراد بالتقرب بالنوافل أن تقع ممن أدى الفرائض، لا من أخل بها"[٣].

فهما صنفان من الناجين الفائزين، الصنف الأول المحب لله: مؤد لفرائض الله، وقّاف عند حدوده، والصنف الثاني المحبوب من الله: متقرب بعد الفرائض بالنوافل، وهذا مقصود ابن القيم بقوله: "... فإنها موصلة إلى درجة المحبوبية بعد المحبة، فالمحبون المتقربون بالفرائض والمحبوبون المتقربون بالنوافل بعد الفرائض هم أولياء الله وأصفياؤه، وخيرته من الخلق، وفي هؤلاء وأولئك تنزلت الآيات ووردت الأحاديث"[٤].

---

(١) أخرجه البخاري ٦٥٠٢.

(٢) أخرجه الترمذي ٤١٣، وصححه الألباني، (صحيح سنن الترمذي ٣٣٧).

(٣) فتح الباري ٣٥١/١١.

(٤) الأسباب العشرة الموجبة لمحبة الله كما عدّها الإمام ابن القيم، إعداد: د. عبدالعزيز مصطفى، ص ٣٨ - ٣٩.

ثالثًا - من واجبات الداعية: تبشير أهل الطاعة والفضل:

يظهر ذلك من عموم الحديث حيث بشّر رسول الله ﷺ أهل الأعمال الصالحة في الدنيا من إنفاق في سبيل الله وصلاة وجهاد وصوم وصدقة بمناداة أبواب الجنة لهم، كل باب ينادي صاحب العمل الذي يخصه، وفي ذلك تبشير لأهل الطاعة والفضل بمنزلتهم الرفيعة يوم القيامة ودخولهم الجنة.

فعلى الداعية أن يبشر المؤمنين بما أعده الله للمؤمنين في الحياة الآخرة مما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، ويبين لهم سهولة الدين وأن شرائعه لا تثقل النفس، وأن أبواب الجنة مفتوحة للصالحين المتقين[1].

قال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[2].

قال الشيخ السعدي: "في قوله تعالى: (لتبشر به المتقين)، بالترغيب في المبشر به من الثواب العاجل والآجل، وذكر الأسباب الموجبة للباشرة"[3].

رابعًا - من موضوعات الدعوة: بيان مكانة وفضل أبي بكر الصديق رضي الله عنه ودعوته يوم القيامة من جميع أبواب الجنة:

يظهر ذلك من قول أبي بكر رضي الله عنه: (فهل يُدعى أحد من تلك الأبواب كلها... فقال رسول الله ﷺ: نعم وأرجو أن تكون منهم).

قال ابن حجر: "قال العلماء: الرجاء من الله ومن نبيه ﷺ واقع، وبهذا التقرير يدخل الحديث في فضائل أبي بكر رضي الله عنه"، ووقع في حديث ابن عباس رضي الله عنهما عند ابن حبان في نحو هذا الحديث، التصريح بالوقوع لأبي بكر ولفظه: ((أَجَلْ، وَأَنْتَ هُو يَا أَبَا بَكْرٍ))[4]"[5].

---

(١) انظر: الأدب النبوي، د. محمد عبدالعزيز الخولي، ص ١٠٤.

(٢) سورة مريم، الآية: ٩٧.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٤٥٠.

(٤) أخرجه ابن حبان ٦٨٦٨، وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط: ... وأورده الهيثمي في المجمع ٤٦/٩ وقال رواه الطبراني في الكبير والأوسط، ورجاله رجال الصحيح غير أحمد بن أبي بكر السالمي، وهو ثقة.

(٥) فتح الباري ٣٥/٧.

وفي ذلك بيان مكانة وفضل أبي بكر الصديق رضي الله عنه ودعوته يوم القيامة من جميع أبواب الجنة.

وفضل أبي بكر رضي الله عنه معروف فهو رفيق وصاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم في دعوته من أولها إلى نهايتها وخليفته من بعده وأحد المبشرين بالجنة، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه: ((لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أُمَّتِي خَلِيلاً لاَتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلاً، وَلَكِنْ أَخِي وَصَاحِبِي))[1].

وعن عمرو بن العاص رضي الله عنه: ((أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم بعثَهُ على جيش ذاتِ السلاسلِ، فأتَيتُه فقلتُ: أيُّ الناسِ أحبُّ إليك؟ قال: عائشة. فقلتُ منَ الرجال؟ قال: أبوها. قلتُ ثمَّ مَن؟ قال: ثمَّ عمرُ بن الخطاب، فعَدَّ رجالاً))[2].

وفضائل أبي بكر رضي الله عنه لا تحصى فهو أول من آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم من الرجال، وأول الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، وأول من جمع المصحف الشريف، وأول من أقام للناس حجّهم في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعده، صحب النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة وسبق إلى الإيمان، فكان أول القوم إسلامًا وأكملهم إيمانًا وأعظمهم عناءً وأفضلهم مناقب، وأكثرهم سوابق، وأرفعهم درجة، وأشبههم برسول الله صلى الله عليه وسلم هديًا وخلقًا وسمتًا وفعلاً، وهو أبو عائشة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم، وقد رافق النبي صلى الله عليه وسلم في الهجرة وفي الغار وفي المشاهد كلها.

وكان رجلاً مألوفًا لقومه محببًا سهلاً وكان تاجرًا، ذا خُلق، وكان رجلاً بكاءً لا يملك دمعه حين يقرأ القرآن، أسلم على يديه عثمان بن عفان، والزبير بن العوام، وطلحة بن عبيدالله، وسعد بن أبي وقاص، وعبدالرحمن بن عوف رضي الله عنهم وغيرهم كثير، وأعتق بلالاً ولُقب بالعتيق والصديق لتصديقه النبي صلى الله عليه وسلم في خبر الإسراء.

قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم: ((إنَّ أَمَنَّ الناسِ عليَّ في صُحبَتِهِ ومالِهِ أبو بَكرٍ، ولو كنتُ مُتَّخِذًا خَليلاً مِن أُمَّتي لاتَّخَذتُ أَبا بكر، ولكنْ أُخُوَّةُ الإسلامِ ومَوَدَّتُهُ. لا يَبقينَّ في

---

(١) أخرجه البخاري ٣٦٥٦.

(٢) أخرجه البخاري ٣٦٦٢، ومسلم ٢٣٨٤.

المسجدِ بابٌ إلاّ سُدَّ، إلاّ بابُ أَبي بكرٍ))[١].

وصلى بالمسلمين في حياة النبي ﷺ عندما اشتد المرض برسول الله ﷺ، قال النبي ﷺ: ((مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ))[٢].

وكان ثابت العقل، وشديد البأس، وله رصانة عقل في أشد المواطن وأحكها، فشهد الحروب واحتمل الشدائد وبذل الأموال، وبويع للخلافة يوم وفاة النبي ﷺ، فحارب المرتدين والممتنعين عن الزكاة، وافتتحت في أيامه الشام وقسم كبير من العراق، وقال فيه عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (كان أبو بكر سيدنا وخيرنا وأحبنا إلى رسول الله ﷺ)[٣].

فلم يعين رسول الله ﷺ فردًا، ولا نص بالوصية على أحد، في خلافته ﷺ بعد وفاته ولكن كان من فعله ﷺ مفصحًا أن الحق هو أن يبايع المسلمون رجلاً من قريش إذ قد سبق قوله ﷺ: ((الأئِمَّةُ مِنْ قُرَيْش))[٤]، وإشارته الخفية بتوليته أبا بكر أمر الصلاة بعد قوله ﷺ: ((يَؤُمُّ الْقَوْمَ أَقْرَؤُهُمْ... الحديث))[٥]، شهادة منه أنه اختار الأقرأ والأفقه والأشرف والأقدم هجرة إلا أنه لم ينص عليه نصًا ظاهرًا من أجل أنه كان يتخذ ذلك شرعة لا تسع غيرها.

وانعقد إجماع المسلمين على خلافة أبي بكر وعرف من ذلك الحكمة في إمساك رسول الله ﷺ عن الوصية، وبعد تولي أبي بكر رضي الله عنه الخلافة قام في وقته بغرض كفى فيه وأبلغ، فأبو بكر رضي الله عنه قام في قتال أهل الردة المقام الذي شهد له أنه لم

---

(١) اخرجه البخاري ٤٦٦، ٣٦٥٤.

(٢) اخرجه مسلم ٤١٨.

(٣) انظر: طبقات ابن سعد ٥٤/٣، ١٧٠، ٣٤٣، ١٨٧/٥، سير اعلام النبلاء، الذهبي ٣١٥/١-٣٢٠، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر، ٨٠٤-٨٠٥، وموسوعة عظماء حول الرسول ﷺ ٢٦٥/١-٢٨٩.

(٤) اخرجه احمد في مسنده ١٨٣/٣، رقم ١٢٩٠٠، وقال محققو المسند: حديث صحيح بطرقه وشواهده ٢٤٩/٢٠.

(٥) اخرجه مسلم ٦٧٢.

يكن على الحق فيه غيره"[١].

خامسًا - من موضوعات الدعوة: الثناء على أهل الفضل:

يظهر ذلك في ثناء رسول الله ﷺ على أبي بكر رضي الله عنه، وثناء الداعية على المدعو صاحب الخلق الحسن فيه من إشارات الاستحسان وحث الهمم إلى جلائل الأعمال والإشادة بذكر المجد العامل وحفز العزائم على الدأب والسعي لتحصيل المحامد وإبتناء المكارم، كما أن السكوت عنه غمط من شأن أولي الهمم وتثبيط لهم، وفتٌ في عضدهم، وإماتة لما عساه يكون عندهم من غرائز يدفعها التنشيط، ويعبرها الغمص والزراية كل هذا خير ما دام القصد ما ذكر[٢]. فالداعية إذا علم عدم غرور المدعو بمدحه له فعليه مدحه ولا إثم في ذلك.

سادسًا - من أساليب الدعوة: الترغيب:

يظهر ذلك من عموم الحديث حيث رغّب رسول الله ﷺ فيما يتطوع به من الأعمال المذكورة لا واجباتها لكثرة ما يجتمع له العمل بالواجبات كلها بخلاف التطوعات فَقلّ من يجتمع له العمل بجميع أنواع التطوعات، ثم من يجتمع له ذلك إنما يدعى من جميع الأبواب على سبيل التكريم له، وإلا فدخوله إنما يكون من باب واحد، ولعله باب العمل الذي يكون أغلب عليه"[٣].

وفي ذلك ترغيب في التطوع بفضائل الأعمال، وأسلوب الترغيب من الأساليب التي تجعل المدعو يقبل على الدعوة ويحرص عليها.

---

(١) انظر: الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ١/٢٦٥، ٢٦٦.

(٢) انظر: الأدب النبوي، محمد عبدالعزيز الخولي ص ٢٥٢.

(٣) انظر: فتح الباري ٧/٣٥.

الحديث رقم (١٢١٩)

١٢١٩- وعن سهل بن سعد رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ، قَالَ: ((إنَّ في الجَنَّةِ بَابًا يُقَالُ لَهُ: الرَّيَّانُ، يَدْخُلُ مِنْهُ الصَّائِمُونَ يَومَ القِيَامَةِ، لاَ يَدْخُلُ مِنْهُ احدٌ غَيْرُهُمْ، يقال: أيْنَ الصَّائِمُونَ؟ فَيَقُومُونَ لاَ يَدخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ، فَإذَا دَخَلُوا أُغْلِقَ فَلَمْ يَدْخُلْ مِنْهُ أَحَدٌ)) متفقٌ عَلَيْهِ[١].

ترجمة الراوي:

سهل بن سعد الساعدي: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٧٥).

غريب الألفاظ:

الريان: اسم علم على باب من أبواب الجنة، يختص بدخول الصائمين[٢].

الشرح الأدبي

يقوم الحديث على أسلوب التشويق بالخبر الطريف (إن في الجنة باباً يقال له: "الريان) واسم هذا الباب يناسب أعمال الصائمين الذين يتشوقون إلى الري وإذهاب ظمأ الصوم. وصيغة الجمع في قوله: "يدخل منه الصائمون" يدل على أن هؤلاء الصائمين كثر في هذه الأمة الخيرية فلم يقل: "صائماً واحداً، أو صائمين اثنين" وأكد هذا المضمون بميم الجمع في قوله: "غيرهم" وكرر هذا المعنى للتأكيد على كثرتهم في قوله: "أين الصائمون؟" والاستفهام هنا حقيقي إذا كان من الملائكة، ويكون بقصد الإشادة والتنويه بهم وتنبيه إلى منزلتهم إن كان من الله وقد اسند الفعل "يقومون" إلى واو الجماعة أيضا للإيحاء بكثرتهم واستخدام "إذا" الشرطية والفعل الماضي في قوله: "فإذا دخلوا أغلق.." للتدليل على أن دخولهم من باب الريان متحقق بإذن الله، ومشيئة، وأن الدخول من هذا الباب مقصور عليهم.

---

(١) أخرجه البخاري (١٨٩٦) واللفظ له، ومسلم (١١٥٢/١٦٦). أورده المنذري في ترغيبه (١٤٣٠).

(٢) فتح الباري ١٣٤/٤.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: التوكيد.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: تكريم الله للصائمين.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً - من أساليب الدعوة: التوكيد:

يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ: (إن في الجنة بابًا يقال له الريان..)، حيث أكد على وجود باب الريان في الجنة، خاص بالصائمين، وأسلوب التوكيد من أساليب الدعوة التي يستخدم في التأكيد على الدعوة.

إن التوكيد من أهم أساليب الدعوة في تثبيت المعنى في القلوب وبثه في النفوس، وحملها على التصديق والإيمان به... ولا شك في أن التوكيد له أثر كبير في النفوس، وهذا شيء هديت إليه فطرة الإنسان، فلجأ إلى تأكيد كلامه للسامع، وما يريد نقله إليه، لما رأى أثر ذلك في تثبيت المعاني وتأكيد لديه[1].

"والقرآن الكريم سبق السنة النبوية في استخدام التوكيد وسيلة لتثبيت المعنى في نفوس قارئيه وإقراره في أفئدتهم حتى يصبح عقيدة من عقائدهم، وقد يكرر القرآن الجملة المؤكدة عدة مرات بألفاظها نفسها، علمًا منه بما لذلك من أثر في النفس"[2].

وقد استخدم الرسول ﷺ التوكيد كأسلوب دعوي يجعل الأمر المؤكد عند المرء حقيقة راسخة في أعماق قلبه ونفسه[3].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: تكريم الله للصائمين باب الريان:

يظهر ذلك من قوله ﷺ: (إن في الجنة بابًا يقال له الريان يدخل منه الصائمون يوم القيامة، لا يدخل منه أحد غيرهم.. إلخ الحديث).

---

(١) انظر: أسلوب الدعوة القرآنية بلاغة ومنهاجًا، د. عبدالغني محمد سعيد ص ٣٤، وروح الجماعات، لجوستاف ليبون ص ١١٥.

(٢) انظر: من بلاغة القرآن، د. أحمد بدوي ص ١٤٣ - ١٤٤.

(٣) انظر: أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد محمود العاني ص ٣٠١ - ٣٠٢.

قال القرطبي: "وقوله: (إن في الجنة بابًا يقال له الريان) وزن الرَّيَّان: فَعْلان، وهو الكثير الرَّيّ، الذي هو نقيض العطش. وسمي هذا الباب بهذا الاسم لأنه جزاء الصائمين على عطشهم وجوعهم، واكتفي بذكر الرَّيّ عن الشّبع لأنه يدل عليه من حيث إنه يستلزمه"(١).

قال النووي: "وفي الحديث فضيلة الصيام وكرامة الصائمين"(٢).

وفضائل رمضان على المسلمين كثيرة، قال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾(٣)، في يوم الاثنين الثاني من شعبان من السنة الثانية للهجرة، فرض الله صوم شهر رمضان على المسلمين، وذلك في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾(٤)، وقال رسول الله ﷺ: ((بُنِيَ الأِسْلاَمُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله، وَأَنَّ مُحمَّدًا رَسولُ الله، وَإِقَامِ الصَّلاَةِ، وَإِيْتَاءِ الزَّكَاةِ وَصَوِمِ رمَضَانَ، وَحَجِّ الْبَيْتِ))(٥).

وقد بين النبي ﷺ فضل هذا الشهر وبركته، فقال: ((مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ))(٦)، وقال: ((الصلواتُ الخمسُ، والجمعةُ إلى الجمعةِ، ورمضانُ إلى رمضانَ، مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُمَا، إِذَا اجْتُنِبَ الكبائرُ))(٧)، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال لما حضر شهر رمضان: ((قَدْ جَاءَكُمْ رَمَضَانُ شَهْرٌ مبَارَكٌ، كَتَبَ اللَّهُ تَعَالى عَلَيْكُمْ صِيَامَهُ، تُفْتَحُ فِيهِ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ، وَتُغْلَقُ فِيهِ أَبْوَابُ

(١) المفهم ٣/٢١٦.
(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ص ٧١٣.
(٣) سورة البقرة، آية: ١٨٥.
(٤) سورة البقرة، آية: ١٨٣.
(٥) أخرجه البخاري ٨، ومسلم ١٦، والترمذي ٢٦٠٩، واللفظ له.
(٦) أخرجه البخاري ٢٠١٤، ومسلم ٧٦٠.
(٧) أخرجه مسلم ٢٣٣.

الْجَحِيمِ، وَتُغَلُّ فِيهِ الشَّيَاطِينُ، فِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، مَنْ حُرِمَ خَيْرَهَا فَقَدْ حُرِمَ))(١).

هذه الآيات الكريمة، والأحاديث النبوية الشريفة تدل على مكانة هذا الشهر المبارك عند الله تعالى، حيث أنزل فيه قرآنه على نبيه المصطفى في ليلة القدر العظيمة، فكان نزوله أعظم نِعَم الله تعالى على عباده، ففي القرآن هدايتهم إلى الله، ومعرفتهم به، وتفقههم بأحكامه، وإطلاعهم على مشيئته وإرادته، وبذلك عرف العباد ما يرضي الرب فعملوه، وما يسخطه فاجْتَنَبُوه، فيا لها من نعمة أن لا يضع المرء خطوة إلا عن معرفة ووثوق، وأن لا يرفعها إلا عن أجر ومثوبة، فرمضان شهر الطاعة والإحسان، والدعاء والغفران، هو شهر القرآن ومدارسته، روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ((كان رسولُ الله ﷺ أجْوَدَ الناسِ بالخيرِ، وكانَ أجودَ ما يكونُ في رمضانَ حينَ يلقاهُ جِبْرَيلُ عليه السلام، وكان جِبْرَيلُ يلقاهُ كُلَّ ليلةٍ في رَمَضَانَ حتَّى يَنْسَلِخَ، يعْرِضُ عليهِ النبيُّ ﷺ القرآنَ، فَإذا لقيهُ جِبْرَيلُ كان رسولُ الله ﷺ أجودَ بالخيرِ مِنَ الرِّيحِ المُرْسَلَةِ))(٢)، أي يعم جوده ويسرع خيره مثل الريح المرسلة بالمطر.

وقد استقر نص القرآن الكريم في العرضة الأخيرة على جبريل عليه السلام وكانت في آخر رمضان عاشه النبي ﷺ.

وكان رسول الله ﷺ إذَا دَخَلَ الْعَشْرُ، أَحْيَا اللَّيْلَ وَأَيْقَظَ أَهْلَهُ وَجَدَّ وَشَدَّ الْمِئْزَرَ، فكان يجتهد في العبادة خلالها ما لا يجتهد في غيره(٣)، وكان فيما يبدو يجتهد في طلب ليلة القدر التي نزل فيها القرآن، قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِي لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾(٤)، فأجر العبادة فيها يتضاعف أضعافًا

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده ٢/٢٣٠، رقم ٧١٤٨، وقال محققو المسند: صحيح وهذا إسناد رجاله رجال الشيخين.

(٢) أخرجه البخاري ٦، ٣٥٥٤.

(٣) أخرجه مسلم ١١٧٤، ١١٧٥.

(٤) سورة القدر، الآيات: ١ - ٣.

كثيرة لعظم فضلها وجليل قدرها، فقد روى البخاري ومسلم أن النبي ﷺ قال: ((مَنْ قَامَ لَيْلَةَ القَدْرِ إيمَانًا واحتِسَابًا، غفَرَ اللَّهُ لَهُ ما تَقَدَّمَ مِن ذنبه))[1][2].

وإكرام الله للصائمين ورد فيه الكثير من النصوص ويكفي في ذلك أنه متميز من بين سائر الأركان إذ قال الله تعالى فيما حكاه عنه نبيه ﷺ: ((كُلُّ حَسَنَةٍ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إلَىٰ سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ إلاَّ الصِّيَامَ فَهُوَ لِي وَأَنَا أُجْزِي بِهِ))[3].

قال القرطبي: "معناه: أن الأعمال كشفت مقادير ثوابها للناس وأنها تضاعف الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى ما شاء الله. قال الله: إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به، أي: أجازي عليه جزاء كثيرًا من غير تعيين لمقداره، هذا كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[4]. "والصابرون الصائمون في أكثر الأقوال"[5].

ثالثا - من أساليب الدعوة: الترغيب:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: (إن في الجنة بابًا يقال له الريان يدخل منه الصائمون..).

قال ابن حجر: "قوله: (إن في الجنة بابًا)، قال الزين بن المنير: إنما قال في الجنة ولم يقل للجنة ليشعر بأن في الباب المذكور من النعيم والراحة في الجنة - ما لا يعلمه - فيكون أبلغ في التشوق إليه"[6]، وفي ذلك ترغيب في الصوم وثوابه عند الله تعالى، وأسلوب الترغيب من الأساليب التي يقصد بها تشويق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه[7].

---

(١) أخرجه البخاري ٢٠١٤، ومسلم ٧٥٩.

(٢) التربية الروحية والاجتماعية، د. أكرم ضياء العمري ص ٣١ - ٣٣.

(٣) أخرجه مسلم ١١٥١.

(٤) سورة الزمر، آية: ١٠.

(٥) المفهم ٣/٢١٣.

(٦) فتح الباري، ابن حجر ٤/١٣٤ بتصرف.

(٧) انظر: أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان ص ٤٣٧.

الحديث رقم (١٢٢٠)

١٢٢٠- وعن أَبي سعيد الخدري ﷺ، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((مَا مِنْ عَبْدٍ يَصُومُ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللهِ إلاَّ بَاعَدَ اللهُ بِذَلِكَ اليَوْمِ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أبو سعيد الخدري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢١).

غريب الألفاظ:

خريفًا: عامًا[2].

الشرح الأدبي

يتكون الحديث من جمله خبرية واحدة يطلع النبي الكريم ﷺ – من خلالها – أمته على خير عظيم ينتظر المتطوعين بالصوم منهم، حتى ولو صام " يوماً " واحداً بشرط أن يكون " فى سبيل الله " ولن يفعل ذلك إلا العابد لله وحده، ومن هنا قدم كلمه " عبد " على " الصوم " و " اليوم "، وهى كلمات تشير بأن الله يبارك في العمل بالإخلاص، ويجزي على العمل القليل الأجر العظيم كثرته النية الصالحة القائمة على إخلاص العمل لله وحده، ولذلك أجر هذا العبد بالفعل الماضي الدال على المباعدة بينة، وبين النار – والعياذ بالله تعالى – حيث يقول النبي: " إلا باعد الله بذلك اليوم وجهه عن النار.) و لا ننسى أن فاعل " باعد " هو لفظ الجلالة الذي إذا وعد أوفى، والباء فى قوله: " بذلك اليوم " للسببية وذكر " الوجه " لشرفة على الإنسان، وفى الحديث قصر بلاغي، حيث قصر " العبد " المتطوع بالصيام " على صفة الإبعاد عن نار جهنم نسأل الله أن يحفظ الجميع من شرها اللهم آمين.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٨٤٠)، ومسلم (١١٥٣/١٦٧) واللفظ له. أورده المنذري في ترغيبه (١٤٤٣). وسيكرره المؤلف برقم (١٣٤١).

(٢) فتح الباري ٦/٥٧.

فقه الحديث

الصوم في الجهاد: قال ابن حجر: (قال ابن دقيق العيد: قوله "في سبيل الله" العرف الأكثر فيه: استعماله في الجهاد، فإذا حمل عليه، كانت الفضيلة لاجتماع العبادتين. - أعني عبادة الصوم والجهاد - وقال: ويحتمل أن يراد بسبيل الله: طاعته كيف كانت. والأول أقرب إلى العرف[1] أ. هـ ولا يعارض ذلك أن الفطر في الجهاد أولى لأن الصائم يضعف عن اللقاء، لأن الفضل المذكور محمول على من لم يخش ضعفًا، ولا سيما من اعتاد به، فصار ذلك من الأمور النسبية، فمن لم يضعفه الصوم عن الجهاد فالصوم في حقه أفضل، ليجمع بين الفضيلتين)[2].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل الصيام في سبيل الله.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: أثر العمل الصالح في مباعدة الإنسان عن النار.

ثالثًا: من مهام الداعية: دلالة المدعوين على ما يباعد بينهم وبين النار.

رابعًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً - من موضوعات الدعوة: فضل الصيام في سبيل الله:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: (ما من عبد يصوم يومًا في سبيل الله، إلا باعد الله بذلك اليوم وجهه عن النار سبعين خريفًا)، قال القاضي عياض: "وقوله في فضل الصوم في سبيل الله: (باعد الله وجهه عن النار سبعين خريفًا)، مبالغة في الإخبار عن البعد عنها والمعافاة منها. والخريف يعبر به عن السَنَةِ، والمراد مسيرة سبعين خريفًا، وكثيرًا ما جاءت السبعون عبارة عن التكثير واستعارة للنهاية في العدد، قال الله تعالى: ﴿إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾[3]"[4].

---

(١) إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، ابن دقيق العيد ، ص ٢٢٩ .

(٢) فتح الباري ٤٨/٦ .

(٣) سورة التوبة، آية: ٨٠.

(٤) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ١١٥/٤.

قال ابن حجر: "قال ابن الجوزي: إذا أطلق ذكر سبيل الله فالمراد به الجهاد. وقال القرطبي: سبيل الله طاعة الله، فالمراد من صام قاصدًا وجه الله. قلت: ويحتمل أن يكون ما هو أعم من ذلك"(١).

وقال رسول الله ﷺ: ((مَنْ صَامَ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللهِ جَعَلَ اللهُ بَيْنَهُ وبَيْنَ النَّارِ خَنْدَقًا كما بَيْنَ السماءِ والأرْضِ))(٢)، ففضل الصيام في سبيل الله يكون ثوابه من الله البعد عن النار.

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: أثر العمل الصالح في مباعدة الإنسان عن النار:

يظهر ذلك من عموم الحديث حيث بيّن رسول الله ﷺ فَضْل صوم يوم في سبيل الله بأنه يباعد الله به صاحبه عن النار سبعين خريفًا.

وهذا يدل على أثر العمل الصالح في مباعدة الإنسان عن النار، وإن كان قليلات وهذا من فضل الله على عباده، قال تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾(٣)، قال ابن كثير رحمه الله: "يكتب لكل بر وفاجر بكل سيئة سيئة واحدة، وبكل حسنة عشر حسنات، فإذا كان يوم القيامة ضاعف الله حسنات المؤمنين أيضًا، بكل واحدة عشر، ويمحو عنه بكل حسنة عشر سيئات، فمن زادت حسناته على سيئاته مثقال ذرة دخل الجنة"(٤).

هذا في سائر الأعمال، والصوم جزاؤه عند الله أكثر ثوابًا وحسنات، لأنه تعالى خصّ نفسه بالمجازاة عليه.

فينبغي على المسلم أن يحرص على عمل الصالحات حتى يباعد نفسه عن النار، وقال تعالى: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾(٥).

---

(١) انظر: فتح الباري ٥٦/٦.

(٢) أخرجه الترمذي ١٦٢٤، وقال الألباني: حسن صحيح، (صحيح سنن الترمذي ١٣٢٥).

(٣) سورة الزلزلة، الآيتان: ٧ - ٨.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٤٦٤/٨.

(٥) سورة آل عمران، آية: ١٨٥.

ثالثًا - من مهام الداعية: دلالة المدعوين على ما يباعد بينهم وبين النار:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: (ما من عبد يصوم يومًا في سبيل الله إلا باعد الله بذلك اليوم وجهه عن النار سبعين خريفًا)، حيث دلّ رسول الله ﷺ المسلمين على ما يباعد بينهم وبين النار. وهو الصوم في سبيل الله.

فعلى الداعية أن يدل المدعوين على فضل الصيام والتطوع به لوجه الله تعالى، فإذا عُلِمَ هذا فمن شاء فليكثر ومن شاء فليقلل، ففضل الله عظيم وخيره على العباد كثير وأسباب مغفرته لا تعد، رحمة منه بعباده، وإحسانًا منه إليهم، وبالتالي فإن صوم التطوع من جملة النوافل التي من حافظ عليها ظفر بمحبة الله له ورعايته ومن أحبه الله أحبته ملائكته ووضع له القبول في الأرض"[1].

قال رسول الله ﷺ: ((إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ:.... وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لأُعْطِيَنَّهُ، وَإِنِ اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ قَبْضِ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ))[2].

فحري بالداعية أن يدعو المدعوين إلى ما يقوي صلتهم بالله، وذلك بحفظ فرائضه والحرص على النوافل التي تعتبر من أقوى أسباب محبة الله ونيل رضاه، وأن يدعو إلى ما يبعد عن النار وعذابها، وإن رسول الله ﷺ وهو الأسوة والقدوة الحسنة كان يدعو إلى ما يقرب إلى الجنة ويبعد عن النار، قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[3].

قال القاسمي: "قوله تعالى: (عزيز عليه ما عنتم) أي: شديد عليه شاق، لكونه

---

(١) انظر: المنهج القويم في التأسي بالرسول الكريم ﷺ، زيد بن محمد هادي مدخلي ص ٢١٢.

(٢) أخرجه البخاري ٦٥٠٢.

(٣) سورة التوبة، آية: ١٢٨.

بعضًا منكم، عَنَتُكم ولقاؤُكم المكروه، فهو يخاف عليكم سوء العاقبة، والوقوع في العذاب (حريص عليكم) أي: على هدايتكم، كي لا يخرج أحد عن اتباعه، والتمتع بدين الحق الذي جاء به (بالمؤمنين رؤوف) إذ يدعوهم لما ينجيهم من العقاب بالتحذير عن الذنوب والمعاصي، لفرط رأفته (رحيم) إذ يفيض عليهم العلوم والمعارف والكمالات المقربة بالتعليم والترغيب فيها برحمته"[1].

وروى الطبراني عن أبي ذر رضي الله عنه قال: تَرَكَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَمَا طَائِرٌ يُقَلِّبُ جَنَاحَيْهِ فِي الْهَوَاءِ إِلا وَهُوَ يَذْكُرُ لَنَا مِنْهُ عِلْمًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((مَا بَقِيَ شَيْءٌ يُقَرِّبُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَيُبَاعِدُ مِنَ النَّارِ إِلاَّ وَقَدْ بُيِّنَ لَكُمْ))[2].

وروى الإمام أحمد عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((إِنَّ اللَّهَ لَمْ يُحَرِّمْ حُرْمَةً، إِلاَّ وَقَدْ عَلِمَ أَنَّهُ سَيَطَّلِعُهَا مِنْكُمْ مُطَّلِعٌ، أَلاَ وَإِنِّي آخذ بِحُجَزِكُمْ، أَنْ تَهَافَتُوا فِي النَّارِ، كَتَهَافُتِ الْفَرَاشِ وَالذُّبَابِ))[3].

رابعًا - من أساليب الدعوة: الترغيب:

يستنبط ذلك من عموم الحديث، حيث رغّب رسول الله ﷺ في التطوع بالصوم في سبيل الله، وبيّن أن ذلك يكون سببًا في البعد عن النار سبعين خريفًا. ومن منا لا يرغب أن يباعده الله عن النار؟ فأسلوب الترغيب من أساليب الدعوة الفعالة في تحقيق الهدف منها وقبولها من المدعوين والحرص على إجابتها.

وذلك؛ لأن الترغيب يقصد به كل ما يشوق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه[4].

ويكون الترغيب بما أعده الله تبارك وتعالى لعباده الصالحين، المطيعين لأمره، المجتنبين لنهيه، والممتثلين شرعه في الحياة الدنيا، من النصر والعزة والتمكين، وفي

---

(١) محاسن التأويل ٣٦٥/٨/٥.

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ١٦٤٧، وقال الهيثمي في المجمع ٢٦٤/٨، ورجال الطبراني رجال الصحيح، غير محمد بن عبدالله بن يزيد المقري وهو ثقة.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده ٣٩٠/١٥، رقم ٣٧٠٤، وقال محققو المسند: إسناده حسن.

(٤) اصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان ص ٤٣٧.

الآخرة بالرضا منه سبحانه وتعالى والقرب من حضرته الإلهية ودخول جنته الأبدية التي فيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين[١].

(١) وسائل الدعوة، د. عبدالرحيم المغذوي ص ١٩١.

الحديث رقم (١٢٢١)

١٢٢١- وعن أَبي هريرة رضي الله عنه، عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: ((**مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**)) متفقٌ عَلَيْهِ[١].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

احتسابًا: طلبًا للأجر والثواب من الله تعالى[٢].

الشرح الأدبي

بنى الحديث على جمله شرطية تحمل في طياتها بشريات سارة لكل صائم لله تعالى عن إيمان به، واحتساب للأجر عنده، ويتمثل فعل الشرط في قوله: " من صام رمضان إيمان واحتساباً " وجاء فيه بفعل ماض: " صام ليدل به على أن المؤمن قد صام فعلاً وتحقق صيامه ثم جاء بالتمييز في قوله :" إيمانا واحتساباً " ليوضح أن الذي دفعه إلى هذا الصوم هو إيمانه بالله الذي شرع ذلك، وهو يحتسب الأجر عنده لأن ذلك الاحتساب يتطلب نية متجددة، وجوارح صابرة على مشقة الصوم ثم جاء جواب الشرط في قوله " غفر له ما تقدم من ذنبه " ليزف البشرى، والقبول لذلك المؤمن الصائم، ولذا أتى بالفعل الماضي: " غفر " وهو يدل على تحقق وقوع الغفران واللام في " له " للملكية، وجاء بالفعل الماضي: "تقدم" الذي يتعلق بالذنوب السابقة، وأنها قد محيت، و"من" في قوله: "من ذنبه" للتبعيض، وتدل على أنه سيذنب.

فقه الحديث

قال النووي: (يقال رمضان وشهر رمضان، هذا هو الصحيح الذي ذهب إليه

---

(١) أخرجه البخاري (٣٨)، ومسلم (١٧٥/٧٦٠) ولفظهما سواء. أورده المنذري في ترغيبه (١٤٥١).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ح س ب)

البخاري والمحققون قالوا: ولا كراهة في قول رمضان. وقال أصحاب مالك: يكره أن يقال رمضان، بل لا يقال إلا شهر رمضان سواء إن كان هناك قرينة أم لا ... والصواب أنه لا كراهة في قول رمضان مطلقًا. وقد ثبتت أحاديث كثيرة في الصحيحين في تسميته رمضان من غير شهر في كلام رسول الله ﷺ منها حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: ((إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النار وصفدت الشياطين)) رواه البخاري ومسلم بهذا اللفظ. وفي رواية لهما ((إذا دخل رمضان))[1] وفي رواية لمسلم ((إذا كان رمضان))[2] وأشباه هذا غير منحصرة، والله تعالى أعلم)[3].

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل صيام رمضان.

ثالثًا: من مهام الداعية: إرشاد المدعوين إلى ما ينفعهم.

أولاً - من أساليب الدعوة: الإخبار:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: "من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا، غفر له ما تقدم من ذنبه".

حيث أخبر ﷺ عن ثواب من صام رمضان إيمانًا بالله، و احتسابًا بثواب الله، فإن الله تعالى يغفر له ما تقدم من ذنبه. وأسلوب الإخبار من أساليب الدعوة المفيدة، وذلك لأن الداعية يخبر به المدعوين عن دعوته ثم يتحول المدعو إلى داعية فبعد أن يعرف الحق ويهتدي إليه يخبر به غيره من المدعوين حتى تعم الدعوة الجميع ويعم النفع المسلمين.

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: فضل صيام رمضان:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: "من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا، غفر له ما تقدم من ذنبه".

وقد أفرد البخاري بابًا بعنوان: (باب: من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا ونية)[4].

---

(١) أخرجه البخاري ٣٢٧٧، ومسلم بعد الحديث ١٠٧٩، ١.

(٢) أخرجه مسلم بعد الحديث ١٠٧٩، ١.

(٣) المجموع ٦/١٦١-١٦٢ ، و انظر: شرح صحيح مسلم ٤/٨/١٦٤ ، وفتح الباري ٤/١١٣ .

(٤) صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب رقم ٦.

قال ابن حجر: قوله (باب من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا ونية) قال الزين بن المنير: حذف الجواب إيجازًا واعتمادًا على ما في الحديث، وعطف قوله نية على قوله احتسابًا لأن الصوم إنما يكون لأجل التقرب إلى الله، والنية شرط في وقوعه قربة. قال: والأولى منصوبًا على الحال. وقال غيره: انتصب على أنه مفعول به أو تمييز أو حال بأن يكون المصدر في معنى اسم الفاعل أي: مؤمنًا محتسبًا، والمراد بالإيمان الاعتقاد بحق فرضية صومه، وبالاحتساب طلب الثواب من الله تعالى وقال الخطابي: احتسابًا أي عزيمة، وهو أن يصومه على معنى الرغبة في ثوابه طيبة نفسه بذلك غير مستثقل لصيامه ولا مستطيل لأيامه [١].

وقال النووي: (معنى إيمانًا: تصديقًا بأنه حق مقتصد فضيلته، ومعنى احتسابًا: أن يريد الله تعالى وحده لا يقصد رؤية الناس ولا غير ذلك مما يخالف الإخلاص.

وقوله ﷺ "غفر له ما تقدم من ذنبه" المعروف عند الفقهاء أن هذا مختص بغفران الصغائر دون الكبائر، قال بعضهم: ويجوز أن يخفف من الكبائر ما لم يصادف صغيرة[٢].

وقال الطيبي: (قوله: "إيمانًا واحتسابًا" قال مظهر: يعني بالإيمان الاعتقاد بحقية فرضية صوم هذا الشهر، لا الخوف والاستحياء من الناس من غير اعتقاد بتعظيم هذا الشهر، والاحتساب طلب الثواب من الله الكريم)[٣].

وقال ابن هبيرة: (والمراد من صامه تصديقًا بالأمر به، عالمًا بوجوبه، خائفًا من عقاب تركه، محتسبًا جزيل الأجر في صومه، وهذه صفة المؤمن)[٤].

وقال د. الحسيني هاشم: (فيه فضل صيام رمضان خالصًا لله تعالى، وأنه سبيل لغفران الذنوب الصغائر فضلاً عن تحصيل الثواب العظيم)[٥]. فالصيام ركن عظيم من

---

(١) فتح الباري ١٣٨/٤.

(٢) شرح صحيح مسلم ٥١٧.

(٣) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح ١٣٧/٤.

(٤) الإفصاح ١٨٧/٦.

(٥) شرح رياض الصالحين، ص ٦١٣.

أركان هذا الدين الحنيف فلا يستقيم بناء الإسلام إلا به، ولا يثبت إيمان امرئ حتى يقر بفرضيته. قال النبي ﷺ: ((بُنِيَ الإِسْلاَمُ عَلَى خَمْسٍ. شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلهَ إِلاَّ اللَّه، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ. وَإِقَامِ الصَّلاَةِ. وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ. وَحَجِّ الْبَيْتِ. وَصَوْمِ رَمَضَانَ))[1].

فالصيام في رمضان وقيام ليله - وبخاصة ليلة القدر-إيمانًا واحتسابًا، دال ولا شك على صدق إيمان فاعله، وإخلاصه في عمله لذا فهو مبشر بمغفرة سابق ذنبه.

قال رسول الله ﷺ: ((مَنْ قَامَ رَمَضَانَ، إِيمانًا واحتِسابًا ، غُفِرَ له ما تَقدَّم مِنْ ذَنْبِه))[2].

فالصيام لا يعدل أجرُهُ أجرَ شيء من عمل ابن آدم، ففيه استكن سر الإخلاص، فبزَّ أجره بذلك جميع الأعمال كما سبق في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: ((كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ يُضَاعَفُ . الحَسَنَةُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا إِلَىٰ سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ. قَالَ اللّهُ عَزَّ وَجَلَّ: إِلاَّ الصَّوْمَ. فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ. يَدَعُ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ مِنْ أَجْلِي))[3].[4]

فالصوم فضله عظيم منّ الله به على المسلمين، فجعله سببًا في زيادة الحسنات وغفران السيئات، فينبغي على المسلمين الحرص على إخلاص صيامه لله والتقرب به إلى رب العباد والفوز برضاه، ودخول جناته.

ثالثًا - من مهام الداعية: إرشاد المدعوين إلى ما ينفعهم:

يستنبط هذا من عموم الحديث، حيث أرشد رسول الله ﷺ المسلمين إلى ثواب احتساب الصيام وإخلاصه لله عز وجل، وبيّن أن ذلك يكون سببًا في غفران ما تقدم من الذنوب.

وهذا يدل على حرصه ﷺ على إرشاد المسلمين إلى ما ينفعهم، وهذا ما ينبغي أن يكون عليه جميع الدعاة.

---

(١) أخرجه البخاري ٨، ومسلم ١٦.

(٢) أخرجه البخاري ٣٧، ومسلم ٧٦٠.

(٣) أخرجه البخاري ٧٤٩٢، ٧٥٣٨، ومسلم ١١٥١ واللفظ له.

(٤) الصوم جنة، د. خالد بن عبدالرحمن الجريسي، ص ٢٩-٣١.

إن الداعية المسلم متبع للنبي الكريم ﷺ هو وارثه في مهمته الإرشادية، وعليه أن يتصف بما اتصف به -عليه الصلاة والسلام- كي يتمكن من أداء مهمته على الوجه المطلوب.

ومن صفاته الكريمة أنه كان شديد الحرص على هداية الناس وتعليمهم وتزكيتهم. وقد وردت آيات كريمة تصوّر لنا صفته هذه. ومن تلك الآيات قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ﴾(١).

وقوله عز من قائل: ﴿إِن تَحۡرِصۡ عَلَىٰ هُدَىٰهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَن يُضِلُّۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾(٢).

وليس هذا فحسب بل كان يتضايق من عدم استجابة الناس للحق حتى كاد يهلك نفسه غمًا وأسفًا عليهم. وفي هذا يقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ﴾(٣).

ويقوله سبحانه أيضًا: ﴿فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ﴾(٤).

ويقول عز من قائل أيضًا: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا﴾(٥).

هذا، وقد بيّن رسول الله ﷺ أيضًا حرصه الشديد على إبعاد أمته عن كل ما يضرّهم بأمثلة رائعة جدًا. ومنها ما رواه الإمام مسلم عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَوْقَدَ نَارًا. فَجَعَلَ الْجَنَادِبُ وَالْفَرَاشُ يَقَعْنَ فِيهَا.

---

(١) سورة يوسف، آية: ١٠٣.

(٢) سورة النحل، آية: ٣٧.

(٣) سورة النحل، آية: ١٢٧.

(٤) سورة فاطر، آية: ٨.

(٥) سورة الكهف، آية: ٦.

وَهُوَ يَذُبُّهُنَّ عَنْهَا. وَأَنَا آخِذٌ بِحُجَزِكُمْ عَنِ النَّارِ. وَأَنْتُمْ تَفَلَّتُونَ مِنْ يَدِي))[١].

وحينما ننظر إلى سيرته المطهرة - عليه الصلاة والسلام - نجده يدعو في جميع الأماكن والأزمان والأحوال، ودعا جميع أصناف الناس، كما استخدم جميع الأساليب والوسائل المشروعة المتاحة له.

نجده - عليه الصلاة والسلام - يدعو فوق الجبل، وفي المسجد، والطريق، والسوق، وفي منازل الناس في المواسم، وحتى في المقبرة. كما نراه يقوم بالدعوة في الحضر والسفر، وفي الأمن والقتال، وفي صحته ومرضه، وحينما كان يزور أو يُزار.

وكان يوجّه دعوته إلى من أحبوه، ومن أبغضوه، وآذوه، ومن استمعوا إلى دعوته، ومن أعرضوا.

وبعث - عليه الصلاة والسلام - الرسائل والرسل إلى الملوك والرؤساء ممن لم يتمكّن من الذهاب إليهم بنفسه.

واستمرّ - عليه الصلاة والسلام - في أداء هذه المهمة الجليلة مشمّرًا عن ساعديه، باذلاً كل ما في وسعه مستخدمًا جميع الأساليب والوسائل المشروعة المتاحة له في سبيل ذلك بتوفيق الله تعالى حتى لحق بالرفيق الأعلى، صلوات ربي وسلامه عليه. وما أكثر المواقف في سيرته المطهرة التي يتجلّى فيها حرصه الشديد على إخراج البشرية من الظلمات إلى النور وإبعادهم عن كل ما يعرّضهم لغضب الرب وعذابه[٢].

فينبغي على الداعية أن يحرص على هداية الناس وإرشادهم إلى ما ينفعهم.

---

(١) أخرجه مسلم ٢٢٨٥.

(٢) الحرص على هداية الناس، د. فضل إلهي، ص ١٧-١٩.

الحديث رقم (١٢٢٢)

١٢٢٢-وعنه رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: ((إِذَا جَاءَ رَمَضَانُ، فُتِحَتْ أبْوَابُ الجَنَّةِ، وَغُلِّقَتْ أبْوَابُ النَّارِ، وَصُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

ابو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

وصُفِّدت: شُدَّتْ بالأصفاد، وهي الأغلال، وهو بمعنى سُلْسِلَت[2].

الشرح الأدبي

شهر " رمضان " شهر الخير الذي ينتظره المسلمون كل عام ببالغ الشوق، والله سبحانه وتعالى الذي خلق الشهور وجعلها اثني عشر شهراً، وفضل بعضها على بعض وخص رمضان من بينها بهذه الخصائص فكان أعظمها خيرا، وبركة على المسلمين. . ونسبة المجيء إلى الشهر مجاز عقلي بنسبة الفعل إلى زمانه مبالغة فيه، كأنه من شدة شوق المسلمين إليه وسعيهم فيه كأنه هو يسعى إليهم بالإضافة إلى أن نسبة الأفعال إلى الأماكن، والأزمان تبث الحياة في الموجودات، وتحقق تجاوب الإنسان مع الكون؛ لأنها ستأتي يوم القيامة شاهدة بما جرى فيها، وقد ربط النبي الكريم ﷺ بمجيء ذلك الشهر حدثين عظيمين وهما فتح أبواب الجنة الذي يشير إلى كثرة من الأعمال الصالحة التي استحقوا بها الجنة، وغلقت أبواب النار لكثرة مغفرة الذنوب بـ " إذا " والفعل الماضي في قوله: " إذا جاء رمضان " فيتجلى الله على المؤمنين بأمره أبواب الجنة فتفتح، وأبواب النار فتغلق، والشياطين فتصفد، وصيغة الماضي وتشديد التاء في " فتحت " واللام في " غلقت " تؤكد المضمون وتدفع المؤمنين دفعاً إلى حب الصيام، والعمل بمقتضى أدابة، وأخلاقياته في الشهر الكريم الذي فتح أعظم باب على النعيم

---

(١) اخرجه البخاري (١٨٩٩)، ومسلم (١٠٧٩/١) واللفظ له. أورده المنذري في ترغيبه (١٤٦٤).

(٢) فتح الباري ١٣٧/٤.

المقيم، وأغلق أعظم باب على الشر المستطير. وصيغ الجمع في "أبواب" و"الشياطين" تشير إلى أن الله – تعالى – يريد بعباده الخير كل الخير، وبقي عليهم أن يسارعوا للدخول من هذه الأبواب المفتحة، والإعراض عن الأبواب المغلقة، وبين لفظي: "الجنة" و"النار" طباق يوضح المعنى ويبرزه وبين الأفعال "فتحت – غلقت – صفدت" ما يشبه السجع الجميل غير المكلف.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل رمضان.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: إكرام الله لعباده المؤمنين في رمضان بفتح أبواب الجنة، وإغلاق أبواب النار وتصفيد الشياطين.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً – من موضوعات الدعوة: فضل رمضان:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: (إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة، وغلقت أبواب النار وصفدت الشياطين)، قال القرطبي: "وقوله: (فتحت أبوابُ الجنة، وغلقت أبواب النار، وصُفدت الشياطين)، فُتِّحت: بتخفيف التاء، وتشديدها. ويصحُ حمله على الحقيقة، ويكون معناه: أن الجنة قد فتحت وزخرفت لمن مات في شهر رمضان؛ لفضيلة هذه العبادة الواقعة فيه، وغلقت عنهم أبواب النار؛ فلا يدخلها منهم أحدٌ مات فيه. وصُفدت الشياطين: غُلّت وقُيّدت. والصَفْد: الغَلّ، وذلك لئلا تفسد الشياطين على الصائمين. فإن قيل: فنرى الشرور والمعاصي تقع في رمضان كثيرًا؛ فلو كانت الشياطين مصفدة لما وقع شر. فالجواب من أوجه:

أحدها: إنما تُغَلّ عن الصائمين الصوم الذي حُوفظ على شروطه، ورُوعيت آدابه، أما ما لم يُحافظ عليه فلا يُغل عن فاعله الشيطان.

والثاني: أنا لو سلّمنا أنها صُفدت عن كلّ صائم، لكن لا يلزم من تصفيد جميع الشياطين ألا يقع شرٌّ، لأن لوقوع الشر أسبابًا أخرى غير الشياطين، وهي: النفوس الخبيثة، والعادات الركيكة، والشياطين الإنسية.

والثالث: أن يكون هذا الإخبارُ عن غالب الشياطين والمردة منهم، وأما من ليس من المردة فقد لا يُصفد، والمقصود: تقليلُ الشرور. وهذا موجود في شهر رمضان؛ لأن وقوع الشرور والفواحش فيه قليلٌ بالنسبة إلى غيره من الشهور.

وقيل: إن فتح أبواب الجنة وإغلاق أبواب النار علامة على دخول هذا الشهر العظيم للملائكة وأهل الجنة؛ حتى يستشعروا عظمة هذا الشهر وجلالته. ويحتمل أن يقال: إن هذه الأبواب المفتحة في هذا الشهر هي: ما شرع الله فيه من العبادات، والأذكار، والصلوات، والتلاوة؛ إذ هي كلها تؤدي إلى فتح أبواب الجنة للعاملين فيه، وغلق أبواب النار عنهم. وتصفيد الشياطين: عبارة عن كسر شهوات النفوس التي بسببها تتوصل الشياطين إلى الإغواء والإضلال، ويشهد لها قوله ﷺ: ((الصَّوْمُ جُنَّةٌ))(١)، وقوله ﷺ: ((إنَّ الشَّيْطانَ يَجْرِي مِن ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ، فَضَيِّقُوا مجاريه بالجوع والعطش))(٢)"(٣).

فمن فضائل شهر رمضان التي أنعم الله بها على أمة محمد ﷺ فتح أبواب الجنة، وإغلاق أبواب الجحيم وتصفيد الشياطين، قال رسول الله ﷺ: ((إذا كان أَوَّلُ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ صُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ ومَرَدَةُ الجِنِّ وغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النيران فلم يُفْتَحْ منها بابٌ وفُتِّحَتْ أبوابُ الجَنَّةِ فلم يُغْلَقْ منها بابٌ ويُنَادِي مُنَادٍ يا بَاغِيَ الخَيْرِ أقْبِل وَيا بَاغِيَ الشَّرِّ أَقْصِرْ. ولله عُتَقَاءٌ مِنَ النَّار وذلك كُلَّ لَيْلَةٍ))(٤).

قال ابن رجب: "أبشروا يا معاشر المسلمين، فهذه أبواب الجنة في هذا الشهر لأجلكم فتحت، ونسماتها على قلوب المؤمنين نَفَحت، وأبواب الجحيم كلها لأجلكم

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده ٤٦٢/٢، رقم ٩٩٤٩، وقال محققو المسند: إسناد صحيح على شرط الشيخين ٣٤/١٦، والنسائي ٢٢٢٤، ٢٢٢٥، وصححه الألباني، (صحيح سنن النسائي ٢١٠١، ٢١٠٣).

(٢) أخرجه البخاري ٢٠٣٥، ٢٠٣٨، ٢٠٣٩، ٣١٠١، ٣٢٨١، ٦٢١٩، ٧١٧١، ومسلم ١١٧٤، ١١٧٥ دون قوله: فضيقوا مجاريه بالجوع والعطش.

(٣) المفهم ١٣٦/٣ - ١٣٧.

(٤) أخرجه الترمذي ٦٨٢، وابن ماجة ١٦٤٢، وصححه الألباني، (صحيح سنن الترمذي ٥٩٤).

مغلقة، وأقدام إبليس وذريته من أجلكم موثقة، ففي هذا الشهر يؤخذ من إبليس بالثأر، وتستخلص العصاة من أسره فما يبقى لهم عنده آثار. كانوا أفراخه قد غذاهم بالشهوات في أوكاره، فهجروا اليوم تلك الأوكار. نقضوا معاقل حصونه بمعاول التوبة والاستغفار. خرجوا من سجنه إلى حصن التقوى والإيمان، فأمنوا من عذاب النار، قصموا ظهره بكلمة التوحيد، فهو يشكو ألم الإنكسار في كل موسم من مواسم الفضل يحزن، ففي هذا الشهر يدعو بالويل، لما يرى من تنزل الرحمة ومغفرة الأوزار. غلب الرحمنُ، وهرب حزبُ الشيطان فما بقي له سلطان، إلا على الكفار، عُزِل سلطان الهوى، وصارت الدولةُ لسلطان التقوى: ﴿فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾[1]"[2].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: إكرام الله لعباده المؤمنين بفتح أبواب الجنة، وإغلاق أبواب النار وتصفيد الشياطين:

يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ: (إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة، وغلقت أبواب النار، وصفدت الشياطين)، قال القاضي عياض: "يحتمل أنه على ظاهره وحقيقته، وأن ذلك كله علامة للملائكة لدخول الشهر وتعظيم حرمته، ولمنع الشياطين من أذى المؤمنين، ويحتمل أن يكون إشارة على كثرة الثواب والعفو. وأن الشياطين يقل إغواؤهم فيصيرون كالمصفدين، قال: ويؤيد ذلك رواية يونس عن ابن شهاب عند مسلم: ((فُتِّحَتْ أَبْوابُ الرَّحْمَةِ))[3]، قال: ويحتمل أن يكون فتح أبواب الجنة عبارة عما يفتحه الله لعباده من الطاعات وذلك أسباب لدخول الجنة، وغَلّق أبواب النار عبارة عن صرف الهمم عن المعاصي الآيلة بأصحابها إلى النار، وتصفيد الشياطين عبارة عن تعجيزهم عن الإغواء وتزيين الشهوات"[4].

---

(١) سورة الحشر، آية: ٢.

(٢) لطائف المعارف، فيما لمواسم العام من الوظائف، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: ياسين محمد السواس ص ٣٣٧ - ٣٣٨.

(٣) أخرجه مسلم ١٠٧٩.

(٤) انظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٦/٤.

قال ابن حجر: "قال التوربشتي: فَتْح أبواب السماء كناية عن تنزل الرحمة وإزالة الغلق عن مصاعد أعمال العباد، تارة ببذل التوفيق وأخرى بحسن القبول. وغلق أبواب جهنم كناية عن تنزه أنفس الصوام عن رجس الفواحش، والتخلص من البواعث عن المعاصي بقمع الشهوات"(١).

ثالثًا - من أساليب الدعوة: الترغيب:

يظهر ذلك من عموم الحديث حيث أخبر رسول الله ﷺ: (إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة، وغلقت أبواب النار وصفدت الشياطين).

قال الطيبي: "يمكن أن يكون فائدة الفتح توفيق الملائكة على استحماد فعل الصائمين، وإن ذلك من الله تعالى بمنزلة عظيمة، وأيضًا إذا علم المكلّف المعتقد ذلك بإخبار الصادق يزيد في نشاطه، ويتلقاه بأريحيته"(٢).

وفي ذلك ترغيب في استغلال فرصة شهر رمضان في التقرب إلى الله، فأسلوب الترغيب يقصد به تشويق الناس إلى ثواب الله والجنة(٣)، وحثهم على اغتنام فرصة شهر رمضان.

---

(١) انظر: فتح الباري ٤/١٣٧.

(٢) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح ٤/١٣٧.

(٣) الدعوة إلى الله، د. توفيق الواعي ص ١٩٩.

الحديث رقم (١٢٢٣)

١٢٢٣- وعنه: أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: ((صُومُوا لِرُؤْيَتِهِ، وَأفْطِرُوا لِرُؤْيَتِهِ، فَإنْ غَبِيَ عَلَيْكُمْ، فَأكمِلُوا عِدَّةَ شَعْبَانَ ثَلاثِينَ)) متفقٌ عَلَيْهِ، وهذا لفظ البخاري[١].

وفي رواية لمسلم[٢]: ((فَإنْ غُمَّ عَلَيْكُمْ فَصُومُوا ثَلاثِينَ يَوْمًا)).

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

غَبِي: خفي[٣].

غُمّ: حال بينكم وبينه غيم[٤].

عدة شعبان: عدد أيامه[٥].

الشرح الأدبي

بنى الحديث على الأسلوب الانشائى القائم على أسلوب الأمر، وأسلوب الشرط، وجوابه، ويتمثل الأمر في قوله: " صوموا لرؤيته، وأفطروا لرؤيته.. " والأمران هنا يناسبان المقام لأن هذا تشريع من الرسول الكريم ﷺ، ويحمل في طياته تحديدا دقيقا لفريضة من فرائض الإسلام لا تتم إلا به، والطباق بين صوموا، وأفطروا يشير إلى أن أداء العبادة مقيد بالوقت الذي لا يجوز التقدم عنه، ولا التأخر، ويجب على المتلقي الإصغاء، والتنفيذ، لأن الصيام قبل رؤية هلال رمضان لا يجوز، والإفطار قبل رؤية هلال شوال لا يجوز أيضا، واللام في قوله: " لرؤيته " للسببية، وكررت المادة اللغوية

---

(١) أخرجه البخاري (١٩٠٩) واللفظ له، ومسلم (١٠٨١/١٩).

(٢) برقم (١٠٨١/١٧).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (غ ب ي)، فتح الباري ١٤٨/٤

(٤) المرجع السابق في (غ م م)، فتح الباري ١٤٨/٤.

(٥) انظر: فتح الباري ١٤٥/٤.

الدالة على الرؤية، لأهميتها في القيام بتلك الفريضة المهمة ثم تأتى الجملة الشرطية ليضع النبي ﷺ من خلالها ضابطاً آخر للصيام فيقول: " فإن غم عليكم فصوموا ثلاثين يوماً " أي فإن حال بينكم، وبين رؤية الهلال حائل كالغيم، ونحوه فأتموا عدة شعبان ثلاثين يوماً، وكذلك الأمر في هلال شوال: " فصوموا ثلاثين يوماً ".

فقه الحديث

١- طلب رؤية الهلال:

رؤية الهلال أمر يقتضيه ارتباط توقيت بعض العبادات بها، فينشرح للمسلمين أن يجدُّوا في طلبها ويتأكد ذلك في ليلة الثلاثين من شعبان؛ لمعرفة دخول رمضان، وليلة الثلاثين من رمضان لمعرفة نهايته ودخول شوال، وليلة الثلاثين من ذي القعدة؛ لمعرفة ابتداء ذي الحجة. فهذه الأشهر الثلاثة يتعلق بها ركنان من أركان الإسلام، هما الصيام والحج، ولتحديد عيد الفطر وعيد الأضحى[1].

وقد حثّ النبي ﷺ على طلب الرؤية، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: ((صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته، فإن غبى عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين)) وعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: ((الشهر تسع وعشرون ليلة، فلا تصوموا حتى تروه، فإن غمّ عليكم فأكملوا العدة ثلاثين))[2].

أوجب الحديث الأول صيام شهر رمضان برؤية هلاله، أو إكمال شعبان ثلاثين، وأمر بالإفطار لرؤية هلال شوّال، أو بإتمام رمضان ثلاثين.

ونهى الحديث الثاني عن صوم رمضان قبل رؤية هلاله، أو قبل إتمام شعبان في حالة الصحْو[3].

وقد أوجب الحنفية كفاية التماس رؤية هلال رمضان ليلة الثلاثين من شعبان، فإن رأوه صاموا، وإلا أكملوا العدة ثم صاموا[4]؛ لأن ما لا يحصل الواجب إلا به فهو واجب.

---

(١) الموسوعة الفقهية ٢٣/٢٢.

(٢) أخرجه البخاري ١٩٠٧ واللفظ له، ومسلم ١٠٨٠.

(٣) الموسوعة الفقهية ٢٣/٢٢.

(٤) مراقي الفلاح ص ١٠٧، المطبعة العلمية ١٣١٥، ورسائل ابن عابدين ٢٢٢/١ (عن الموسوعة الفقهية ٢٤/٢٢).

وقال الحنابلة: يستحبّ ترائي الهلال احتياطًا للصوم وحذارًا من الاختلاف[١].

٢-إثبات الأهلة بالحساب الفلكي:

وقع الخوض في هذه المسألة منذ أواخر القرن الهجري الأول، فقد أشار إليها أحد التابعين وبُحِثَت بعد ذلك من لدن فقهائنا السابقين بالقدر الذي تستحقه.

وكان من أسباب بحثها وجود لفظه مشكلة في حديث ثابت عن رسول الله ﷺ، اختلف الشراح في المراد منها، واستدلّ بها القائلون بالحساب على ما ذهبوا إليه، ويتضح ذلك من إيراد الحديث بلفظه، وإتباعه بتفسير الذين استدلوا به على جواز اعتماد الحساب في إثبات الهلال، ثم آراء الذين فهموا منه خلاف فهمهم.

عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ ذكر رمضان فقال: ((لا تصوموا حتى تَرَوْا الهلال، ولا تفطروا حتى تَرَوْه، فإن غمّ عليكم فاقدروا له))[٢].

علّق الحديث بداية صيام رمضان والشروع في الإفطار على رؤية الهلال، وأمر عندتعذرها في حالة الغيم بالتقدير، فقال ﷺ: "فإن غمّ عليكم فاقدروا له"، وقد اختلف في المراد من هذه العبارة[٣].

رأي القائلين بالحساب:

نسب هذا الرأي إلى مطرف بن عبدالله بن الشخر من التابعين وأبي العباس بن سريج من الشافعية وابن قتيبة من المحدثين وغيرهم ويرون تقدير الهلال بالحساب الفلكي[٤].

آراء القائلين بعدم إثبات الأهلة بالحساب وأدلتهم:

يمنع جمهور الفقهاء إثبات الهلال بالحساب الفلكي، ويرون إثباته بالرؤية[٥]. وقد

---

(١) كشاف القناع ٢/ ٢٧٠، مطبعة أنصار السنة المحمدية ١٣٦٦هـ/١٩٤٧م (عن الموسوعة الفقهية ٢٢/ ٢٤).

(٢) أخرجه البخاري ١٩٠٦، ومسلم ١٠٨٠، ٣.

(٣) الموسوعة الفقهية ٢٢/ ٣٢.

(٤) شرح صحيح مسلم ٤/ ٧/ ١٦٦ ، والمجموع شرح المهذب ٦/ ١٧٩ ، وعمدة القاري ١٠/ ٢٧١، وانظر الموسوعة الفقهية ٢٢/ ٣٢-٣٣.

(٥) انظر: المجموع ٦/ ١٧٩ ، وشرح صحيح مسلم ٤/ ٧/ ١٦٦، والموسوعة الفقهية ٢٢/ ٣٣-٣٤.

استدلوا بالحديث نفسه الذي استدلّ به المثبوت، ففسروه بغير المراد منه.

وقد فسّر الأئمة الأجلة قوله ﷺ "فاقدروا له" بتفسيرين ينقضان مفهوم التقدير الذي ذهب إليه القائلون بالحساب، وهذان التفسيران هما:

الأول: حمل التقدير على إتمام الشهر ثلاثين، وإلى هذا المعنى ذهب أبو حنيفة ومالك والشافعي وجمهور السلف والخلف فحملوا عبارة: "فاقدروا له" على تمام العدد ثلاثين يومًا[١].

التفسير الثاني: بمعنى تضييق عدد أيام الشهر، فسّر القائلون به "اقدروا له" بمعنى ضيقوا له العدد من قوله تعالى: ﴿وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ﴾[٢] والتضييق له أن يجعل شعبان تسعة وعشرين يومًا[٣]، وممن قال بهذا الرأي أحمد بن حنبل وغيره ممن يجوّز صوم يوم الشك إن كانت السماء مغيمة[٤].

وفي العصر الحديث قد حدث تطور كبير في علم الفلك وتخلّص مما علق به في الماضي من تنجيم وحدس وتخمين، وأصبح قائمًا على الحسابات الدقيقة مما جعل بعض الفقهاء والمعاصرين يعتمده في إثبات الهلال، وقد انقسموا فريقين: فريق يرى اعتماده مطلقًا وفريق يرى اعتماده في النفي دون الإثبات، بمعنى أن الحسابات الفلكية إذا أفادت أن الهلال لا يمكن ولادته هذه الليلة، فلا يلتفت إلى من يدعي رؤياه بالعين المجردة. وإن كان جمهور العلماء المعاصرين على الأخذ بالرؤية دون الحساب الفلكي.

---

(١) المجموع ١٧٩/٦ ، وشرح صحيح مسلم ١٦٦/٧/٤ .

(٢) سورة الطلاق، آية: ٧.

(٣) المغني ٣٣٢/٤ .

(٤) المجموع ١٧٩/٦ ، وشرح صحيح مسلم ١٦٦/٧/٤ ، وانظر: فتح الباري ١٢٧/٤، والموسوعة الفقهية ٣٥/٢٢.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الأمر.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: بيان النبي ﷺ لبداية صيام رمضان ولبداية الإفطار.

ثالثًا: من مهام الداعية: توضيح الحقائق للمدعوين.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: النهي عن الصيام قبل رمضان.

أولاً - من أساليب الدعوة: الأمر:

يظهر ذلك في الحديثين في قوله ﷺ: (صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته)، و(فأكملوا عدة شعبان ثلاثين)، أو (فأكملوا ثلاثين يومًا)، وأسلوب الأمر من الأساليب الدعوية التي تفيد الداعية في بيان الحقائق للمدعوين مما يجعلهم يستجيبون لما يؤمرون به.

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: بيان النبي ﷺ لبداية صيام رمضان ولبداية الإفطار:

يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ: (صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته)، قوله: (صوموا لرؤيته) الضمير للهلال [1].

وقال الطيبي: "قوله: (صوموا لرؤيته)، اللام فيه للوقت كما في قوله تعالى: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ﴾[2]، أي: وقت دلوكها"[3].

قال النووي: "قوله: (صوموا لرؤيته وأفطروا)، المراد: رؤية بعض المسلمين، ولا يشترط رؤية كل إنسان، بل يكفي جميع الناس رؤية عَدْلَيْن، وكذا عدل على الأصح، هذا في الصوم، أما في الفطر فلا يُجّوز بشهادة عدل واحد على هلال شوال عند جميع العلماء إلا أبا ثور فجوّزه بعدل"[4].

---

(١) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١/٩١١.

(٢) سورة الإسراء، آية: ٧٨.

(٣) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح ٤/١٤٤ - ١٤٥.

(٤) شرح صحيح مسلم ص ٦٨١.

فأخبر ﷺ، ببداية رمضان، وتكون برؤية الهلال "وكان ﷺ إذا حال ليلة الثلاثين دون منظره غيم أو سحاب، أكمل عدة شعبان ثلاثين يومًا ثم صامه، ولم يكن يصوم يوم الإغمام، ولا أمر به، بل أمر بأن تكمل عدة شعبان ثلاثين إذا غُمّ، وكان يفعل كذلك، فهذا فعله، وهذا أمره"[1].

قال ﷺ: ((الشهرُ تِسعٌ وعشرونَ ليلةً، فلا تصومُوا حتّى تَرَوهُ، فإنْ غُمَّ عليكم فأكمِلوا العِدَّةَ))[2].

فبيّن رسول الله ﷺ أن بداية صيام رمضان برؤية الهلال وبداية الإفطار برؤية هلال شوال، فإن غمّ أكمل ثلاثين، فقال ﷺ: ((لا تَصوموا حتّى تَرَوُا الهلالَ، ولا تُفْطِرُوا حتّى تَرَوْه، فإن غُمَّ عليكم فاقدُروا له))[3].

قال القرطبي: "وهذا الحديث حجة على من حمل: (فاقدروا له) على معنى: تقدير المنازل القمرية، واعتبار حسابها، وإليه صار ابن قتيبة من اللغويين، ومطرف بن عبدالله بن الشخير من كبراء التابعين. ومن الحجة أيضًا قوله ﷺ: ((إنّا أُمَّةٌ أُمِّيَّةٌ. لاَ نَكْتُبُ وَلاَ نَحْسُبُ. الشَّهْرُ هٰكَذَا وَهٰكَذَا وَهٰكَذَا)) وعقد الإبهام في الثالثة ((والشهر هكذا وهكذا وهكذا)) يَعْنِي تَمَامَ ثَلاَثِينَ[4]، فألغى الحساب، ولم يجعله طريقًا لذلك، وقوله ﷺ: (إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب)، أي: لم نكلف في تعرف مواقيت صومنا ولا عبادتنا ما نحتاج فيه إلى معرفة حساب ولا كتابة، وإنما ربطت عبادتنا بأعلام واضحة، وأمور ظاهرة، يستوي في معرفة ذلك الحساب وغيره، ثم تمم هذا المعنى وكمله حيث بينه بإشارته بيديه، ولم يتلفظ بعبارة عنه نزولاً إلى ما يفهمه الخرص[5]. والعجم، وحصل من إشارته بيديه ثلاث مرات أن الشهر يكون ثلاثين ومن

---

(١) انظر: جامع الفقه، موسوعة الأعمال الكاملة للإمام ابن القيم، جمع وتوثيق وتخريج: يسري السيد محمد ٣/١٢٩.

(٢) أخرجه البخاري ١٩٠٧.

(٣) أخرجه البخاري ١٩٠٦.

(٤) أخرجه مسلم ١٠٨٠.

(٥) قال محققو المفهم: هكذا في الأصول، ولعله: الخرس، جمع أخرس.

خَنْسِهِ[١] إبهامه في الثالثة: أن الشهر يكون تسعًا وعشرين"[٢].

وقال محققوا المفهم: "هذا الحديث[٣] لا يفيد إلزام المسلمين أن يبقوا أميين، بل يقرر واقعًا وجد آنذاك. والآيات والأحاديث على العلم تدل على طلب التغيير لذلك الواقع، كقوله تعالى: (اقرأ) وقوله ﷺ: ((طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ))"[٤].

لذلك قال د. محمد رواس قلعه جي: "في إثباته: يثبت دخول شهر رمضان وانتهاؤه بما يلي:

أ- إخبار شخص واحد عدل، رجلاً كان أو امرأة برؤية هلاله، لأنه إخبار عن أمر ديني، فيكفي فيه خبر الواحد العدل، ولحديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: ((تراءى النَّاسُ الهِلاَلَ فَأَخْبَرْتُ رَسُولَ اللَّه ﷺ أنّي رَأَيْتُهُ فَصَامَ وَأَمَرَ النَّاسَ بِصِيَامِهِ))[٥].

ب- إتمام الثلاثين: إذا غُم هلال رمضان فيتم شهر شعبان ثلاثين يومًا، وإذا غم هلال شوال فيتم شهر رمضان ثلاثين يومًا، لقوله ﷺ: ((لاَ تُقَدِّمُوا الشَّهْرَ حتى تَرَوْا الهِلاَلَ أَوْ تُكْمِلُوا الْعِدَّةَ ثُمَّ صُومُوا حتى تَرَوْا الهِلاَلَ أَوْ تُكْمِلُوا الْعِدَّةَ))[٦].

ج- الحساب من أهل الاختصاص: لقد كان علم الفلك والحسابات الفلكية متخلفًا في الزمن الغابر، ولذلك لم يجز الشارع الاعتماد عليه أما اليوم وقد بلغ تقدم الحسابات الفلكية إلى درجة الاعتداد بالجزء من الثانية في حركة الأجرام السماوية فإنه يجب الأخذ بالأسباب في تحديد مواقيت الأشهر القمرية، وإلى هذا يشير حديث رسول الله ﷺ: (إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب، الشهر هكذا وهكذا)، يعني: مرة تسعة وعشرين ومرة ثلاثين، فَعِلَّةُ عدم أخذ الرسول ﷺ بالعدد في عصره، هي: أنهم لا يجيدون الحساب، فإذا أتى يوم وأجاد فيه المسلمون الحساب وجب عليهم الأخذ

---

(١) خنسه: أي قبضه.

(٢) المفهم ٣/١٣٨ - ١٣٩.

(٣) يقصد به حديث: (إنا أمة أمية..).

(٤) هامش المفهم ٣/١٣٩.

(٥) أخرجه أبو داود ٢٣٤٢، وصححه الألباني، (صحيح سنن أبي داود ٢٠٥٢).

(٦) أخرجه أبو داود ٢٣٢٦، وصححه الألباني، (صحيح سنن أبي داود ٢٠٤٠).

به. وإن الخطأ اليوم بإثبات الهلال بالحساب أقل من الخطأ بإثباته برؤية العين بألف مرة"[١].

ثالثًا - من مهام الداعية: توضيح الحقائق للمدعوين:

يظهر ذلك من عموم الحديثين حيث وضح رسول الله ﷺ كيفية بداية الصيام برؤية الهلال أو إتمام الشهر إذا خفي الهلال، وكذلك الإفطار، والصوم ركن من أركان الإسلام يهم كل المسلمين، فتوضيح ما يختص به من أحكام من المهام الضرورية، وكان هذا عمله ﷺ الذي أمره الله به في قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[٢].

ومن الأشياء التي وردت عن رسول الله ﷺ في توضيح الحقائق التي تتعلق بالصوم ما ورد عن عدي ابن حاتم رضي الله عنه قال: لما نزلت: ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ﴾[٣]، عمدت إلى عقال أسود وإلى عقال أبيض، فجعلتهما تحت وسادتي، فجعلت أنظر في الليل ليستبين لي، فغدوت على رسول الله ﷺ فذكرت له ذلك فقال: ((إِنَّمَا ذَلِكَ سَوَادُ اللَّيْلِ وَبَيَاضُ النَّهَارِ))[٤].

فبين رسول الله ﷺ حقيقة قوله تعالى المراد من الآية وبيّن أن الإمساك عن الطعام أن يكون بظهور بياض الفجر أو النهار.

رابعًا - من موضوعات الدعوة: النهي عن الصيام قبل رمضان:

يظهر ذلك في حديث ابن عباس رضي الله عنهما حيث قال رسول الله ﷺ: (لا تصوموا قبل رمضان...)، والصوم قبل رمضان ورد فيه الكثير من الأحاديث التي تنهى عنه منها: قوله ﷺ: ((لا يَتقدَّمنَّ أحدُكم رمضانَ بصومِ يومٍ أو يومَينِ إلاّ أن يكونَ رجُلٌ كان

---

(١) الموسوعة الفقهية الميسرة ١/٩٧٩ - ٩٨٠.

(٢) سورة النحل، آية: ٤٤.

(٣) سورة البقرة، آية: ١٨٧.

(٤) أخرجه البخاري ١٩١٦، ومسلم ١٠٩٠.

يصومُ صومَهُ فلْيَصُمْ ذلك اليومَ))[١].

قال ابن حجر: "قال العلماء: معنى الحديث: لا تستقبلوا رمضان بصيام على نية الاحتياط لرمضان"[٢].

وقال الترمذي: "والعمل على هذا عند أهل العلم: كرهوا أن يتعجل الرجل بصيام قبل دخول رمضان لمعنى رمضان"[٣].

قال ابن رجب: "وكراهية التقدم لثلاث معانٍ، أحدها: أنه على وجه الاحتياط لرمضان، فينهى عن التقدم قبله لئلا يزاد في صيام رمضان ما ليس منه لما نهي عن صيام يوم العيد لهذا المعنى.

والمعنى الثاني: الفصل بين صيام الفرض والنفل؛ فإن جنس الفصل بين الفرائض والنوافل مشروع، ولهذا حرم صيام يوم العيد، ونهى النبي ﷺ أن توصل صلاة مفروضة بصلاة حتى يفصل بينهما بسلام أو كلام.

والمعنى الثالث: "أنه أمر بذلك؛ للتَقَوّي على صيام رمضان، فإن مواصلة الصيام قد تضعف عن صيام الفرض، فإذا حصل الفطر قبله بيوم أو يومين كان أقرب إلى التقوي على صيام رمضان، وفي هذا التعليل نظر"[٤].

فالنهي عن الصوم قبل دخول رمضان من الأشياء التي ينبغي أن ينبه إليها الداعية لنهي رسول الله ﷺ عنه، وفيه قال عمار بن ياسر رضي الله عنهما: ((مَنْ صَامَ اليوم الذي شُكَّ فيهِ فَقَدْ عَصَى أبا القَاسِمِ))[٥].

---

(١) أخرجه البخاري ١٩١٤، ومسلم ١٠٨٢.

(٢) انظر: فتح الباري، ابن حجر ١٥٣/٤.

(٣) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٩٠٨/١.

(٤) انظر: لطائف المعارف، فيما لمواسم العام من الوظائف، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: ياسين محمد السواس ص ٢٧٣ - ٢٧٥.

(٥) أخرجه الترمذي رقم ٦٨٦، وصححه الألباني، (صحيح سنن الترمذي ٥٥٣).

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً: التربية على الإخلاص:

هذا مستمد من قول رسول الله ﷺ: قال الله عز وجل: كل عمل ابن آدم له إلا الصيام، فإنه لي وأنا أجزي به..." وفي رواية له "يترك طعامه وشرابه وشهوته من أجلي، الصيام لي وأنا أجزي به، والحسنة بعشر أمثالها" وفي رواية مسلم: "كل عمل ابن آدم يضاعف، الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف قال الله تعالى: إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به، يدع شهوته وطعامه من أجلي" فالملاحظ في هذا الحديث - كما هو ظاهر - أن الله أخبر أن الصوم له، أما بقية الأعمال فهي لعاملها. مع أن الأعمال كلها لله. فما السر في ذلك؟ ذكر ابن حجر في ذلك عشرة أقوال ذكر أولها البعد عن الرياء، فقال: (وقد اختلف العلماء في المراد بقوله تعالى: "الصيام لي وأنا أجزي به" مع أن الأعمال كلها له وهو الذي يجزي بها على أقوال:

أحدها: أن الصوم لا يقع فيه الرياء كما يقع في غيره ... لفظ أبي عبيد في غريبه: قد علمنا أن أعمال البر كلها لله تعالى وهو الذي يجزي بها، فنرى - والله أعلم - إنما خص الصيام لأنه ليس يظهر من ابن آدم بفعله وإنما هو شيء في القلب ... وقال القرطبي: لما كانت الأعمال يدخلها الرياء والصوم لا يطلع عليه بمجرد فعله إلا الله فأضافه الله إلى نفسه، ولهذا قال في الحديث "يدع شهوته من أجلي" وقال ابن الجوزي: جميع العبادات تظهر بفعلها وقل أن يسلم ما يظهر من شوب بخلاف الصوم. وارتضى هذا الجواب المازري وقرره القرطبي بأن أعمال بني آدم لما كانت يمكن دخول الرياء فيها أضيفت إليهم بخلاف الصوم، فإن حال المسك شبعًا مثل حال الممسك تقربًا يعني في الصورة الظاهرة قلت. [القائل ابن حجر]: معنى النفي في قوله "لا رياء في الصوم" أنه لا يدخله الرياء بفعله، وإن كان يدخل الرياء بالقول كمن يصوم ثم يخبر بأنه صائم فقد يدخل الرياء من هذه الحيثية، فدخول الرياء في الصوم إنما يقع من جهة الإخبار، بخلاف بقية الأعمال فإن الرياء قد يدخلها بمجرد فعلها)[1].

---

(١) فتح الباري ١٠٥٣/١ .

أي أن الصوم شرفه الله بالإضافة إلى نفسه لكونه أبعد عن الرياء وأكثر إخلاصًا، بناء على هذا القول، ومن ثمّ يمكن أن نخلص من ذلك إلى أنه كلما كان العمل أكثر إخلاصًا كان أكثر قبولاً عند الله، ومن هذا المنطلق حاول بعض العلماء أن يلحق بالصوم ما يشابهه من هذه الناحية، قال ابن حجر: (وقد حاول بعض الأئمة إلحاق شيء من العبادات البدنية بالصوم، فقال: إن الذكر بـ "لا إله إلا الله" يمكن أن لا يدخله الرياء، لأنه بحركة اللسان خاصة دون غيره من أعضاء الفم، فيمكن للذاكر أن يقولها بحضرة الناس ولا يشعرون منه بذلك)[1].

وعلى ذلك فإن على المربين أن يربوا الناشئة وغيرهم على شدة إخلاص أعمالهم لله تعالى، فبدون ذلك لا تقبل ولا يتحصلون على ثوابها المرجو، وبدون الإخلاص ينزلون إلى الدرك الأسفل، فإنهم يبتغون من هو مثلهم ممن لا يملك نفعًا ولا ضرًا ولا حياة ولا نشورًا، وتركوا المثل الأعلى والرتبة الفضلى في أن يبتغوا بأعمالهم الله وحده الذي خلقهم ورزقهم وأحياهم ويميتهم، وإننا نرى أن تربية الناشئة على إخلاص العمل فيه من الفوائد التربوية ما فيه، من ذلك:

أ - أداء العمل كما يريد الله لا كما يريد الناس، فتؤدى الأعمال على خير ما ينبغي من الإتقان والجودة والتجرد لله رب العالمين.

ب - شعور من أخلص العمل بثمرته وحلاوته التي رتبها الله تعالى على الإخلاص، إن هناك فرقًا هائلاً بين من صلّى ليراه الناس وبين من صلّى مخلصًا لله رب العالمين: لقد فاز الأول بكلام الناس، على حين فاز الآخر بأن كلّم رب العالمين، وناجاه، وأحس بلذة المناجاة والقرب منه سبحانه، لقد فاز الأول برضا الناس عنه، وظلت نفسه خاوية يملأها القلق والاضطراب، على حين فاز الثاني برضا الله تعالى وامتلأت نفسه سكينة وطمأنينة، وهكذا فما أبعد النتيجتين مع أن الفعل واحدٌ في الظاهر وفي الهيئة!

ج - ثبات الناشئة وغيرهم على مبادئهم وقيمهم السامية التي تربوا عليها لأنهم بذلك يكونون مخلصين لله رب العالمين فلا يقبلون التزحزح عنها قيد أنملة.

---

(١) المرجع السابق، الموضع ذاته.

وهكذا فإن لإخلاص العمل لله رب العالمين فوائد تربوية، لذا كان على المربين أن يغرسوا الإخلاص في نفوس من يقومون بتربيتهم"[١].

ثانيًا: التربية على التزام آداب الصوم:

وهذا مستمد من قوله ﷺ: "فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب فإن سابه أحدٌ أو قاتله فليقل إني صائم" "فالصيام ليس مجرد الإمساك عن المفطرات فحسب، وإنما هو أيضًا هجر جميع المعاصي والسيئات، فلا يحلّ للصائم أن يتكلم إلا حسنًا ولا يفعل إلا جميلاً، وإلى ذلك يشير الرسول ﷺ في قوله: "الصيام جنة" أي وقاية من المنكرات والشرور.

وبهذا يكون الصيام درسًا عمليًا في أخذ النفس بالفضائل، وحملها على الاتصاف بكل ما هو حسن في جميع الحالات.

وبذلك تزكو وتطهر ويصبح الإنسان مأمول الخير مأمون الشر، فإذا لم يبلغ الصيام بالإنسان هذه الغاية من التهذيب، فإن صيامه لا وزن له عند الله، وأنه لا حظ له من صيامه إلا الجوع والعطش"[٢].

ولذا فإن الصائم (يجب عليه اجتنابُ كذبٍ وغيبةٍ ونميمةٍ وشتمٍ وفحشٍ ونحوه كل وقت، وفي رمضان وفي مكان فاضل آكد، وأن لا يعمل عملاً يجرح به صومه، فيكفّ لسانه عما يحرم ويكره، وإن شُتِم سن له جهرًا في رمضان أن يقول: إني صائم وفي غير رمضان يقولها سرًا يزجر نفسه بذلك خوف الرياء، ويستحب الإكثار من قراءة القرآن والذكر والصدقة لتضاعف الحسنات به)[٣].

ثالثًا: تقديم مصلحة الدين على مصلحة النفس:

وهذا مستمد من قوله ﷺ "فإن سابه أحد أو قاتله فليقل إني صائم" فإن الصائم

---

(١) وانظر: مقومات الداعية الناجح، ص ٤٩-٥٠.

(٢) إسلامنا، السيد سابق، ص ١٢٤.

(٣) الإقناع وشرحه كشاف القناع ٢/٣/٩٨٩-٩٩٠، وانظر: توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ٣/١٥٥.

إذا أُعتدي عليه بالسبّ أو الشتم، فإنه بين مصلحتين: مصلحة الاقتصاص لنفسه وردّ كرامته ورد العدوان عن نفسه، ومصلحة الحفاظ على صومه الذي هو من دينه، والحفاظ على بهائه وأن يخدش، فلا يحقق الثمرة المطلوبة من الصوم وهي التقوى، فأرشده النبي ﷺ إلى أن يقدم مصلحة الدين على مصلحة النفس، وفي هذا توجيه للمربين إلى أن يربوا الناشئة على ذلك، لأن في ذلك صلاحهم وفلاحهم، فعليهم أن يربوا الناشئة وغيرهم على أنه ما دام قد سلم دينهم فكل شيء بعد ذلك هيّن وسهل، لذا عليهم أن يقدموا مصلحة الحفاظ على دينهم على أي مصالح أخرى، إن الجهاد في سبيل الله شرع للحفاظ على الدين، لذا فالمسلم يضحي بنفسه وماله راضيًا من أجل نصرة دينه.

رابعًا: التربية ببيان آثار العبادة:

هذا مستمد من قوله ﷺ: "والذي نفس محمد بيده لخُلُوف فمّ الصائم أطيب عند الله من ريح المسك" إن الصائم عندما يمتنع عن الطعام يخلو جوفه منه فتتغير رائحة فمه لذلك، وتصبح غير طيبة، وهذا طبيعة جبلية، لكن رسول الله ﷺ وصفه بأنه أطيب عند الله من ريح المسك. قال ابن حجر: (يؤخذ من قوله "أطيب من ريح المسك" أن الخلوف أعظم من دم الشهادة، لأن دم الشهيد شبه ريحه بريح المسك والخُلُوف وصف بأنه أطيب، ولا يلزم من ذلك أن يكون الصيام أفضل من الشهادة لما لا يخفى، ولعل سبب ذلك النظر إلى أصل كل منهما، فإن أصل الخلوف طاهر وأصل الدم بخلافه، فكان ما أصله طاهرًا أطيب ريحًا)[1]، ففي هذا الحديث أن ما يكون ناتجًا عن العبادة فإن على النفس أن تفرح به وتسعد وتسرّ ولو كان صعبًا لا تألفه النفس ولا ترتاح إليه في أحوالها العادية، ولكنه لما كان ناتجًا عن عبادة الله عز وجل، فإنه يصير إلى النفس محببًا، ولا يعني هذا تركه وعدم العمل على تطييب رائحة الفم بالسواك وبغيره، لا نعني هذا، وإنما نعني أن النفس لا يصيبها الضجر ولا

---

(١) فتح الباري ١/١٠٥٣ .

السآمة من آثار العبادة التي يتوجه بها إلى الله، إن المجاهد في سبيل الله إذا أصابه غبار أو عرق ونحو ذلك فإن عليه ألا يتضايق منه، بل يسعد بذلك ويفرح أشد الفرح، إن رسول الله ﷺ يقول: ((ما اغبرَّتا قدَما عبدٍ في سبيلِ اللهِ فتمسَّهُ النار))[1] قال ابن حجر: (قال ابن بطال: المراد في سبيل الله جميع طاعاته أ.هـ وهو كما قال إلا أن المتبادر عند الإطلاق من لفظ سبيل الله الجهاد، وقد أورده المصنف [أي البخاري] في فضل المشي إلى الجمعة[2] استعمالاً للفظ في عمومه، ولفظه هناك "حرمه الله على النار" قال ابن المنير: دل الحديث على أن من اغبرت قدماه في سبيل الله حرّمه الله على النار سواء باشر قتالاً أم لا. انتهى. ومن تمام المناسبة أن الوطء يتضمن المشي المؤثر لتغبير القدم ولا سيما في ذلك الزمان... والمعنى أن المس ينتفي بوجود الغبار المذكور وفي ذلك إشارة إلى عظيم قدر التصرف في سبيل الله، فإذا كان مجرد مس الغبار للقدم يحرم عليها النار فكيف بمن سعى وبذل جهده واستنفد وسعه؟)[3].

نخلص من ذلك كله إلى أنه ينبغي أن تربى الناشئة وغيرهم على أداء العبادة من خلال بيان الآثار المحمودة لها عند الله تعالى، مما يعد دافعًا قويًا على أدائها والصبر عليها، واللذة بها نظرًا للجزاء الطيب والجزيل الذي أعده الله تعالى لعباده الصائمين.

وبناء على هذا فإن على المربين أن يغرسوا في نفوس من يربونهم حب العبادة والفرح بها والسرور من خلال بيان الآثار المحمودة لتلك العبادة عند الله تعالى.

خامسًا: من أساليب التربية: التبشير:

لقد أخبر النبي ﷺ أن للصائم فرحتين يفرحهما: إذا أفطر فرح، وإذا لقي ربه فرح بصومه، وفي رواية: "للصائم فرحتان: فرحة عند فطره، وفرحة عند لقاء ربه".

والصائم يفرح عند إفطاره لكونه أتم يومًا في عبادة الله، أما فرحه عند لقاء ربه فلأنه يجد ثواب صيامه فيفرح فرحًا شديدًا، قال ابن حجر: (قال القرطبي: معناه فرح بزوال جوعه

---

(١) أخرجه البخاري ٢٨١١ من حديث عبدالرحمن بن جبر رضي الله عنه.

(٢) الحديث ٩٠٧.

(٣) فتح الباري ١٣٩٥/١ .

وعطشه حيث أبيح له الفطر، وهذا الفرح طبيعي وهو السابق للفهم، وقيل: إن فرحه بفطره إنما هو من حيث إنه تمام صومه وخاتمة عبادته وتخفيف من ربه ومعونة على مستقبل صومه، قلت [القائل ابن حجر]: ولا مانع من الحمل على ما هو أعمّ مما ذكر، ففرح كل أحد بحسبه لاختلاف مقامات الناس في ذلك، فمنهم من يكون فرحه مباحًا وهو الطبيعي ومنهم من يكون مستحبًا وهو من يكون سببه شيئًا مما ذكره. قوله: "وإذا لقي ربه فرح بصومه" أي بجزائه وثوابه، وقيل الفرح الذي عند لقاء ربه إما لسروره بربه أو بثواب ربه على الاحتمالين. قلت [القائل ابن حجر]: والثاني أظهر إذ لا ينحصر الأول في الصوم بل يفرح حينئذ بقبول صومه وترتب الجزاء الوافر عليه)[1]. أي إن النبي ﷺ أخبر عن فرحتين للصائم، وهذا الإخبار يلزم عنه التبشير، وفي هذا إرشاد للمربين أن يربوا الناشئة وغيرهم على أن يستبشروا بإتمام العبادة ويفرحوا لذلك أشد الفرح. إن من الأخطاء التربوية التي يربى عليها الناشئة أن يغرس في أفهامهم أن هذه التكاليف عناء وتعب ومشقة، وأن عليك أن تبادر إلى فعلها حتى ترتاح منها، وهناك فرق كبير بين هذا وبين التبشير النبوي، فالأول قد جعلها عبئًا ثقيلاً على النفس فلا تنشط لأدائه إلا مكرهة، بخلاف التبشير النبوي الذي يجعل أداء التكاليف ممتعًا للنفس يسبب لها الفرح والسرور مما يدفعها إلى الحرص على أدائها على خير وجه.

يقول ابن القيم عن عواقب امتثال الأمر -وهذا من التبشير- (إنه لا أنفع له من امتثال الأمر وإن شق عليه في الابتداء، لأن عواقبه كلها خيرات ومسرات ولذات وأفراح، وإن كرهته نفسه فهو خير لها وأنفع، وكذلك لا شيء أضرّ عليه من ارتكاب النهي وإن هويته نفسه ومالت إليه، فإن عواقبه كلها آلام وأحزان وشرور ومصائب، وخاصيّة العقل تحمل الألم اليسير لما يعقبه من اللذة العظيمة والخير الكثير، واجتناب اللذة اليسيرة لما يعقبها من الألم العظيم والشر الطويل، فنظر الجاهل لا يجاوز المبادئ إلى غاياتها، والعاقل الكيس دائمًا ينظر إلى الغايات من وراء

---

(١) فتح الباري ١٠٥٨/١ .

ستور مبادئها. فيرى ما وراء تلك الستور من الغايات المحمودة والمذمومة، فيرى المناهي كطعام لذيذ قد خلط فيه سم قاتل: فكلما دعته لذته إلى تناوله نهاه ما فيه من السم، ويرى الأوامر كدواء كريه المذاق مفض إلى العافية والشفاء، وكلما نهاه كراهة مذاقه عن تناوله أمره نفعه بالتناول، ولكن هذا يحتاج إلى فضل علم تدرك به الغايات من مبادئها، وقوة صبر يوطن به نفسه على تحمل مشقة الطريق لما يؤمل عند الغاية، فإذا فقد اليقين والصبر تعذر عليه ذلك، وإذا قوي يقينه وصبره هان عليه كل مشقة يتحملها في طلب الخير الدائم واللذة الدائمة)[١].

سادسًا- التربية بالترغيب:

هذا مستمد من قول النبي ﷺ "إن في الجنة بابًا يقال له الريان، يدخل منه الصائمون يوم القيامة لا يدخل منه أحد غيرهم..." الحديث، وقوله ﷺ: "ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان" إن الصائم قد ترك الطعام والماء، وإذا كان الإنسان يستطيع أن يستغني عن الطعام ساعات طوالاً، فإنه لا يقدر أن يصبر عن الماء ساعات قليلة، ومن ثم كان أشق ما يكون على الصائم تركه شرب الماء، وقد ترك الصائم ذلك كله ابتغاء وجه الله وامتثالاً لأمره، فكان ماذا؟ كان أن كافأه الله يوم القيامة بأنه يدخل من باب الريان باب الشبع والري، قال ابن حجر: (قال القرطبي: اكتفى بذكر الري عن الشبع، لأنه يدل عليه من حيث أنه يستلزمه، قلت: أو لكونه أشق على الصائم من الجوع)[٢].

إن في هذا الحديث ما يرشد المربين إلى أهمية استصحاب الترغيب في عملية التربية من خلال إثارة الرغبة في نيل الثواب العظيم الذي أعده الله لعباده الصائمين، لأن الله تعالى تفضل عليهم بإكرامهم وتخصيص باب من أبواب الجنة لا يدخل منه إلا الصائمون، وهذا مما يبعث على التنافس المحمود والتدافع الإيجابي لتحصيل الثواب.

إن المربي عليه أن يغرس في نفوس الناشئة أن يتركوا كثيرًا من أوقات راحتهم

---

(١) الفوائد ٢٠١.

(٢) فتح الباري ١٠٥٥/١ .

حتى يحصلوا الراحة والنعيم في الآخرة، وهكذا يكون حالهم وعادتهم، ومسلكهم في هذه الحياة.

سابعًا- التربية على تمني الخير:

هذا مستمد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: من أنفق زوجين في سبيل الله نودي من أبواب الجنة، يا عبدالله هذا خير ... قال أبوبكر رضي الله عنه: بأبي أنت وأمي يا رسول الله ما على من دعي من تلك الأبواب من ضرورة فهل يدعى أحد من تلك الأبواب كلها؟ فقال: نعم وأرجو أن تكون منهم.

قال ابن حجر: (وقوله "هذا خير" ليس اسم التفضيل، بل المعنى هذا خير من الخيرات، والتنوين فيه للتعظيم، وبه تظهر الفائدة"[1] وقال ابن حجر كذلك: "وفي الحديث من الفوائد أن من أكثر من شيء عرف به، وأن أعمال البر قلّ أن تجتمع جميعها لشخص واحد على السواء وأن الملائكة يُحَيُّون صالحي بني آدم ويفرحون بهم، فإن الإنفاق كلما كان أكثر كان أفضل، وإن تمني الخير في الدنيا والآخرة مطلوب)[2].

إن أبا بكر رضي الله عنه يسأل عن إمكان أن يدعى أحد من الناس من جميع هذه الأبواب؟ إن هذا السؤال يدل على أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه كانت عنده رغبة في تمني الخير والحصول عليه في الدنيا والآخرة، وهذا من سمات عباد الله الصالحين المخلصين، إنهم يسألون عن كل طريق يوصل إلى الخير وكل سبيل يؤدي بهم إلى فعله، وعن كل وسيلة تأخذ بأيديهم إلى التلبس بالخير وبأهله، إنهم مشغولون ليل نهار آناء الليل وأطراف النهار بالسؤال عن الخير والسبل إليه وفعله والتلبس به، إنهم يتمنون أن يصيبهم الخير العميم في الدنيا والآخرة.

وفي ذلك إرشاد للمربين أن يغرسوا في نفوس الناشئة تمني الخير والعمل على تحصيله بكل طريق ممكن وبكل سبيل مستطاع.

---

(١) فتح الباري ١٠٥٥/١ .

(٢) السابق ١٦٦١/٢.

ثامنًا: التربية على استثمار مواسم الخيرات في فعل الخيرات:

لقد أخبر النبي ﷺ أن شهر رمضان يقع فيه ما يلي:

أ - تفتح أبواب الجنة.

ب - تغلق أبواب النار.

ج - تغل وتصفد الشياطين.

إن السؤال هناك: ما فائدة إخبار النبي ﷺ عما يقع في رمضان؟ أهو الإخبار لمجرد الإخبار أم هناك غرض وهدف لهذا الإخبار؟ إن النبي ﷺ بإخباره هذا يحث المكلفين على استغلال موسم رمضان الذي تكثر فيه الخيرات وتيسر السبل إلى فعلها ويجد الإنسان الكثير مما يعينه على ملازمة الطاعة، إن النبي ﷺ يرغب في انتهاز هذه الفرصة الثمينة - إن صح هذا التعبير - في تحسين الأداء التعبدي وزيادته وتجويده، فماذا ينتظر المكلف بعد ذلك وقد هيئت له الأحوال ويسرت له السبل ليستثمر هذا الشهر الفضيل في رفع الدرجات ومحو السيئات ودخول الجنات؟

والمقصود أن على المربي أن يستفيد من هذا الحديث وغيره في تربية أبنائه على استثمار مواسم الخيرات الاستثمار الأمثل، ولعل في ذلك من الفوائد التربوية ما يلي:

أ - تعويد الشباب وغيرهم على الاستفادة من الأوقات الفاضلة وملئها بما يستحق من الأعمال والأفعال.

ب - بذل الجهد والطاقة فيما يعود بأكبر نفع وأفضل فائدة، فإذا كان الإنسان قد يصيبه الفتور بعض الأحيان، فلا أقل من أن ينشط في الأوقات الفاضلة حتى لا يفوته ثوابها وفضلها.



٢١٨ - باب الجود وفعل المعروف والإكثار من الخير في شهر رمضان والزيادة من ذلك في العشر الأواخر منه

الحديث رقم (١٢٢٤)

١٢٢٤ - وعن ابن عباس رضي الله عنهما، قَالَ: كَانَ رسول الله ﷺ أجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِيْنَ يَلْقَاهُ جبْريلُ، وَكَانَ جبْريلُ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ فَيُدَارِسهُ القُرْآنَ، فَلَرَسُولُ الله ﷺ، حِيْنَ يَلْقَاهُ جبرِيلُ أجْوَدُ بالخَيْرِ مِن الرِّيحِ المُرْسَلَةِ. متفقٌ عَلَيْهِ[١].

ترجمة الراوي:

عبد الله بن عباس: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١١).

غريب الألفاظ:

فيدارسه القرآن: يستعرضه ما أَقْرَأَه إياه[٢].

الريح المرسلة: ريح الرحمة التي يرسلها الله تعالى لإنزال الغيث العام[٣].

الشرح الأدبي

قول ابن عباس (كان رسول الله ﷺ) يشير إلى عادته في البذل، والانفاق في رمضان كل عام، وقد تدرج " ابن عباس " في الحديث عن كرم وجود رسول الله ﷺ فيقول: " كان رسول الله أجود الناس " فيأتي بلفظ يفيد العموم هو " الناس " وبأفعل التفضيل (أجود) التي تقرر أنه سبق الجميع، وهو كذلك، ثم ينتقل إلى الحديث عن جوده في شهر الخير، والكرم فيقول " وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل " وبناء الحديث على الأسلوب الخبري يشير إلى أن الجود متأصل في

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٢٠) واللفظ له، ومسلم (٥٠/٢٣٠٨).

(٢) فتح الباري ٦٦٠/٨، والمعجم الوسيط في (د ر س).

(٣) فتح الباري ١٣٩/٤.

الرسول الكريم وأن الراوي يخبر عن هذه الخصال المركزة في النبي ﷺ بشتى وسائل التعبير لدرجة أنه وصفه بالسرعة الفائقة إلى الكرم فقال في ختام الحديث: " فلرسول الله ﷺ حين يلقاه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة " ووصف الريح بالمرسلة تتميم بلاغي يفيد المبالغة في سرعتها، والتي تشير إلى عظم كرم النبي ﷺ الذي فاقها سرعة عطاء، ونلمح من الفعل المضارع " فيدارسه القرآن " إن مدارسة القرآن، وتأمله، وفهمه وتفسيره يزيد من كرم المؤمن، وجوده وإيثاره؛ لأنه يحث على الكرم والعطاء: " فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى، فسنيسره لليسرى" (الليل ٧).

فقه الحديث

١ - قال النووي: (قال الشافعي والأصحاب: الجود والإفضال يستحبّ في كل وقت، وهو في رمضان آكد، ويسنّ زيادةً الاجتهاد في العبادة في العشر الأواخر من رمضان، ودليل المسألتين حديثا الباب.

قال العلماء: قوله كالريح المرسلة أي في الإسراع والعموم.

قال أصحابنا: والجود والإفضال مستحب في شهر رمضان، وفي العشر الأواخر أفضل، اقتداءً برسول الله ﷺ وبالسلف، ولأنه شهر شريف فالحسنة فيه أفضل من غيره، ولأن الناس يشتغلون فيه بصيامهم وزيادة طاعاتهم عن المكاسب، فيحتاجون إلى المواساة وإعانتهم.

وقال الماوردي: ويستحب للرجل أن يوسع على عياله في شهر رمضان وأن يحسن إلى أرحامه وجيرانه ولا سيما في العشر الأواخر منه)[1].

٢ - قال النووي: (قال أصحابنا: السُنّةُ كثرة تلاوة القرآن في رمضان ومدارسته وهو أن يقرأ على غيره ويقرأ غيره عليه، لحديث ابن عباس رضي الله عنهما)[2].

---

(١) المجموع ٦/٢٧٤ .

(٢) المجموع ٦/٢٧٤ .

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: جود وكرم النبي ﷺ وزيادة جوده في رمضان حين يلقاه جبريل عليه السلام.

ثانيًا: من صفات الداعية: الجود.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: مدارسة القرآن في رمضان.

رابعًا: من مصادر الدعوة: القرآن الكريم.

أولاً - من موضوعات الدعوة: جُوْد وكرم النبي ﷺ وزيادة جُودِه في رمضان حين يلقاه جبريل عليه السلام:

يظهر ذلك في قول ابن عباس رضي الله عنهما: (كان رسول الله ﷺ أجود الناس؛ وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل... إلخ).

قال ابن حجر: "قوله: (أجود الناس) بنصب أجود لأنها خبر كان، وقدم ابن عباس هذه الجملة على ما بعدها - وإن كانت لا تتعلق بالقرآن على سبيل الاحتراس من مفهوم ما بعدها، ومعنى أجود الناس: أكثر الناس جودًا، والجود: الكرم وهو من الصفات المحمودة.

وقوله: (فكان أجودُ ما يكون) هو برفع أجود هكذا في أكثر الروايات وأجود اسم كان وخبره محذوف، وهو نحو أخطب ما يكون الأمير في يوم الجمعة. أو هو مرفوع على أنه مبتدأ مضاف إلى المصدر وهو (ما يكون) وما مصدرية وخبره في رمضان والتقدير أجود أكوان رسول الله ﷺ في رمضان، وإلى هذا جنح البخاري في تبويبه في كتاب: الصيام إذ قال: (باب أجود ما كان النبي ﷺ يكون في رمضان....)"[1].

قال ابن حجر: "قال الزين بن المنير: وجه التشبيه بين أجوديته ﷺ بالخير وبين أجودية الريح المرسلة أن المراد بالريح: ريح الرحمة التي يرسلها الله تعالى لإنزال الغيث العام الذي يكون سببًا لإصابة الأرض الميتة وغير الميتة، أي: فيعم خيره وبره من هو

---

(١) فتح الباري ٤١/١.

بصفة الفقر والحاجة، ومن هو بصفة الغنى والكفاية، أكثر مما يعم الغيث الناشئة عن الريح المرسلة ﷺ"(١).

قال النووي: "وفي الحديث فوائد منها: بيان عظم جوده ﷺ ومنها استحباب إكثار الجود في رمضان، ومنها زيادة الجود والخير عند ملاقاة الصالحين، وعقب فراغهم للتأثر بلقائهم"(٢).

فقد كان يتضاعف جوده وأفضاله ﷺ في رمضان، لقرب عهده بمخالطة جبريل عليه السلام، وكثرة مدارسته له كتاب الله، الذي يحث على المكارم والجود، ولا شك أن المخالطة تورث أخلاقًا من المخالِط.

وفي تضاعف جوده ﷺ في شهر رمضان بخصوصه فوائد كثيرة، منها: شرف الزمان، ومضاعفة أجر العمل فيه.

ومنها: إعانة الصائمين والقائمين والذاكرين على طاعاتهم فيستوجب المعين لهم مثل أجرهم، قال رسول اله ﷺ: ((مَنْ فَطَّرَ صَائِمًا كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِهِمْ. مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا))(٣).

ومنها: أن شهر رمضان شهر يجود الله فيه على عباده بالرحمة والمغفرة والعتق من النار، لا سيما في ليلة القدر، والله تعالى يرحم من عباده الرحماء"(٤).

كما قال رسول الله ﷺ: ((إِنَّمَا يَرْحَمُ اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاءَ))(٥)، وغيرها الكثير من فوائد الجود في رمضان.

ثانيًا - من صفات الداعية: الجود:

يظهر هذا من قول ابن عباس رضي الله عنهما: كان رسول الله ﷺ أجود الناس).

---

(١) المرجع السابق ٤/١٣٩.

(٢) شرح صحيح مسلم ص ١٤٢٦.

(٣) أخرجه ابن ماجة ١٧٤٦، وصححه الألباني، (صحيح سنن ابن ماجة ١٤١٧).

(٤) انظر: لطائف المعارف، فيما لمواسم العام من الوظائف، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: ياسين محمد السواس ص ٣٠٩ - ٣١١.

(٥) أخرجه البخاري ١٢٨٤، ومسلم ٩٢٣.

وأما الجود والكرم والسخاء والسماحة فكان - عليه الصلاة والسلام - لا يُوازَى في هذه الأخلاق الكريمة ولا يُبَارى، وَصَفَهُ بهذا كلُ من عرفه[١].

عن جابر رضي الله عنه قال: ((مَا سُئِلَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ شَيْئًا قَطُّ فَقَالَ: لاَ))[٢]، وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: ((مَا سُئِلَ رَسُولُ اللّهِ عَلَى الإِسْلاَمِ شَيْئًا إِلاَّ أَعْطَاهُ. قَالَ: فَجَاءَهُ رَجُلٌ فَأَعْطَاهُ غَنَمًا بَيْنَ جَبَلَيْنِ. فَرَجَعَ إِلَى قَوْمِهِ، فَقَالَ: يَا قَوْمِ أَسْلِمُوا. فَإِنَّ مُحَمَّدًا يُعْطِي عَطَاءً من لاَ يَخْشَى الْفَاقَةَ))[٣].

وكان جوده ﷺ كله لله عز وجل وفي ابتغاء مرضاته، فإنه كان يبذل المال: إما لفقير، أو محتاج، أو ينفقه في سبيل الله، أو يتألف به على الإسلام من يقوى بإسلامه"[٤].

فينبغي على الداعية أن يتحلى بصفة الجود والسخاء تأسيًا برسول الله ﷺ، قال الشافعي رحمه الله: "أحب للرجل الزيادة بالجود في شهر رمضان اقتداء برسول الله ﷺ، ولحاجة الناس فيه إلى مصالحهم، ولتشاغل كثير منهم بالصوم والصلاة عن مكاسبهم"[٥].

وصاحب الكرم لا بد أن يكون شديد التوكل، عظيم الزهد، قوي اليقين. ولذلك فإن الكرم مرتبط بالإيمان، ظاهره كرم اليد، ودافعه كرم النفس، وقد وصف رسول الله ﷺ المؤمن بقوله: ((المؤمن غِرٌّ كَرِيمٌ، والفَاجِرُ خِبٌّ لَئِيمٌ))[٦].

وفي حديث آخر: ((... وَلاَ يَجْتَمِعُ الشُّحُّ وَالإِيمَانُ فِي قَلْبِ عَبْدٍ أَبَدًا))[٧].

---

(١) نور اليقين في سيرة سيد المرسلين، الشيخ محمد الخضري، ص ١٧٤.

(٢) أخرجه البخاري ٦٠٣٤، ومسلم ٢٣١١.

(٣) أخرجه مسلم ٢٣١٢.

(٤) لطائف المعارف، فيما لمواسم العام من الوظائف، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: ياسين محمد السواس ص ٣٠٨.

(٥) انظر: لطائف المعارف، فيما لمواسم العام من الوظائف، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: ياسين محمد السواس ص ٣١٥.

(٦) أخرجه الترمذي ١٩٦٤، وحسنه الألباني، (صحيح سنن الترمذي ١٥٩٩).

(٧) أخرجه النسائي ٣١١٠، وصححه الألباني، (صحيح سن النسائي ٢٩١٤).

فالداعية ينبغي أن يكون جوادًا كريمًا، لأن الناس بفطرتهم لا يحبون الشحيح البخيل، وإذا لم تتحقق المحبة لم تتفتح القلوب للاستجابة والاستقبال"[١].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: مدارسة القرآن في رمضان:

يظهر ذلك في قول ابن عباس رضي الله عنهما: (... وكان يلقاه جبريل كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن).

"فدلّ الحديث على استحباب دراسة القرآن في رمضان، والاجتماع على ذلك، وعرض القرآن على من هو أحفظ له، وفيه دليل على استحباب الإكثار من تلاوة القرآن في شهر رمضان.

وفي حديث فاطمة[٢] رضي الله عنها عن أبيها ﷺ أنه أخبرها: ((أن جبريل عليه السلام كَانَ يَعْرِضُ عليه الْقُرْآنَ كُلَّ عَامٍ مَرَّةً، فَعَرَضَ عَلَيْهِ مَرَّتَيْنِ فِي الْعَامِ الَّذِى قُبِضَ)).

وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما[٣]، أن المدارسة بينه وبين جبريل عليه السلام كانت ليلاً، فدلّ على استحباب الإكثار من التلاوة في رمضان ليلاً؛ فإن الليل تنقطع فيه الشواغل، وتجتمع فيه الهمم، ويتواطأ فيه القلب واللسان على التدبر، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلاً﴾[٤]، وشهر رمضان له خصوصية بالقرآن كما قال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾[٥]، وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما: إنه أنزل جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في ليلة القدر. ويشهد لذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾[٦]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾[٧].

---

(١) انظر: هذه أخلاقنا، محمود محمد الخزندار ص ٥٠٣ - ٥٠٦.

(٢) جزء من حديث أخرجه البخاري ٣٦٢٤، ومسلم ٢٤٥٠.

(٣) أخرجه البخاري رقم ٦، ومسلم رقم ٢٣٠٨.

(٤) سورة المزمل، آية: ٦.

(٥) سورة البقرة، آية: ١٨٥.

(٦) سورة القدر، آية: ١.

(٧) سورة الدخان، آية: ٣.

والمؤمن يجتمع له في رمضان جهادان لنفسه؛ جهاد بالنهار على الصيام، وجهاد بالليل على القيام. فمن جمع بين هذين الجهادين ووفى بحقوقهما وصبر عليهما، وُفي أجره بغير حساب"(١).

كما قال النبي ﷺ: ((الصِّيامُ وَالْقُرْآنُ يَشْفعانِ لِلْعَبْدِ يقولُ الصِّيامُ: رَبِّ إِنِّي مَنَعْتُهُ الطَّعامَ وَالشَّهواتِ بالنَّهارِ فَشَفِّعْني فيهِ وَيَقولُ الْقُرْآنُ مَنَعْتُهُ النَّوْمَ باللَّيْلِ فَيَشْفَعانِ))(٢).

رابعًا - من مصادر الدعوة: القرآن الكريم:

يظهر ذلك في قول ابن عباس رضي الله عنهما: (وكان يلقاه جبريل عليه السلام في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن).

إن القرآن الكريم هو كتاب الله والمصدر الأول للدعوة الإسلامية، وفيه وحدة الغناء في جهاد الأرواح والعقول، وفيه ما يأخذ على النفوس أقطارها، وعلى المشاعر طرقها، وفيه ما يزلزل القلوب القاسية ويهزها هزًا لا تبقى معه على قرار... لذلك ينبغي أن يكون هذا القرآن هو كتاب هذه الدعوة الذي يعتمد عليه الدعاة إلى الله قبل الاتجاه إلى مصدر آخر سواه. والذي ينبغي لهم بعد ذلك أن يتعلموا منه كيف يدعون الناس، وكيف يوقظون القلوب الغافلة، وكيف يحيون الأرواح الخامدة؟ إن الذي أوحى بهذا القرآن هو الله. خالق هذا الإنسان العليم بطبيعة تكوينه، الخبير بدروب نفسه ومنحنياتها(٣).

فيجب على الدعاة أن يتبعوا منهج الله في كتابه العزيز ويجعلونه أساس دعوتهم.

وفيه خصائص ومزايا ليست في كتاب غيره على وجه الدنيا. كتاب عظيم ما زال سابقًا للزمان والعصر وسيظل متقدمًا على البيئات والمجتمعات، وسيبقى يتحدى كل العقول إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

---

(١) لطائف المعارف، فيما لمواسم العام من الوظائف، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: ياسين محمد السواس ص ٣١٩.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك ١/٥٥٣، رقم ٢٠٨٠، وقال: حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

(٣) انظر: طريق الدعوة في ظلال القرآن، جمع وإعداد: أحمد فائز، ط/٦، ١٩٧٨م، ١/١٢٤.

قال تعالى في وصف كتابه الكريم: ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ۝ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[١]. وقال تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾[٢].

هو الكتاب المجيد، وكلية الشريعة، وعمدة الملة، وينبوع الحكمة، وآية الرسالة، ونور الأبصار والبصائر. لا طريق إلى الله سواه، ولا نجاة بغيره، ولا تمسك بشيء يخالفه. فلا جرم، لزم من رام الاطلاع على كليات الشريعة الغراء، وطمع في إدراك مقاصدها واللحاق بأهلها النجباء، أن يتخذه سميره وأنيسه، ويجعله على المدى، نظرًا وعملاً، جليسه. فيوشك أن يفوز بالبغية، ويظفر بالطلبة، ويجد نفسه من السابقين وفي الرعيل الأول المهتدين، ويشرق في قلبه نور الإيمان، وتطلع في بصيرته شمس العرفان، ويتبوأ في الدنيا والآخرة مكانا عليًا"[٣].

كتاب الله المبين الفارق بين الشك واليقين، الذي أعجزت الفصحاء معارضته، وأعيت الألباء مناقضته، وأخرست البلغاء مشاكلته، فلا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرًا. جعل أمثاله عبرًا لمن تدبرها، وأوامره هدى لمن استبصرها، شرح فيه واجبات الأحكام، وفرق فيه بين الحلال والحرام، كرر فيه المواعظ والقصص للأفهام، ضرب فيه الأمثال، وقصّ فيه غيب الأخبار، فقال تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ...﴾[٤]، خاطب فيه أولياءه ففهموا، وبين لهم فيه مراده فعلموا، فقراء القرآن حملة سر الله المكنون، وحفظة علمه المخزون، وخلفاء أنبيائه وأمناؤه، وهم أهله وخاصته وخيرته وأصفياؤه. قال رسول الله ﷺ: ((إِنَّ لِلَّهِ أَهْلِينَ مَنَ النَّاسِ)) قَالُوا: يَا

---

(١) سورة فصلت الآيتان: ٤١ - ٤٢.

(٢) سورة النساء، آية: ٨٢.

(٣) محاسن التأويل، القاسمي ٤/١ - ٥ (المقدمة).

(٤) سورة الأنعام، آية: ٣٨.

رَسُولَ اللَّهِ مَنْ هُمْ؟ قَالَ: ((هُمْ أَهْلُ الْقُرآنِ، أَهْلُ اللَّهِ وَخَاصَّتُهُ))[1]، فما أحق من علم كتاب الله أن يزدجر بنواهيه، ويتذكر ما شُرح له فيه، ويخشى الله ويتقيه، ويراقبه ويستجيبه. فإنه قد حمل أعباء الرسل، وصار شهيدًا في القيامة على من خالف أهل الملل، قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ...﴾[2].

والقرآن الكريم ينبوع كل خير... ومصدر كل علم... وأصل كل نعمة اختار الله له شهر رمضان ميقاتًا... وكان نزوله فيه فيض رحمة.. وبدء رسالة، وشاهد اصطفاء رسول خاتم الأنبياء والرسل، وبداية أمة هي خير أمة أخرجت للناس، فأنار الله به للذين التزموه الطريق، وتداركهم بلطفه من فناء كاد أن يأخذهم من شتى نواحيهم، ومنحهم به أينما اتجهوا كل صواب وتوفيق، فلا تكاد كل قضية من قضايا الحياة إلا وضح القرآن غياهبها، وكشف أسرارها، وأبرز غامضها، وأجلى جوانبها، وبين أهدافها، وهو صالح لكل زمان ومكان بقدر ما يعطيه المسلمون من عناية واعتبار، بعد أن أسعد الذين ناجوا ربهم بكلامه، وجعلوا قلوبهم أوعية له، ورطبوا ألسنتهم ما استطاعوا تلاوته وأرهفوا أسماعهم لهدايته فلا ينصرفون عنه لسواه ولا يرتضون به بديلاً، ولا يبغون عن أوامره ونواهيه حولا[3].

وقد عالج القرآن المشكلات الإنسانية في شتى مرافق الحياة، النفسية والعقلية والبدنية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية علاجًا حكيمًا، لأنه تنزيل الحكيم الحميد، يضع لكل مشكلة بلمسها الشافي في أسس عامة، تترسم الإنسانية خطاها، وتبني عليها في كل عصر ما يلائمها فاكتسب بذلك صلاحيته لكل زمان ومكان، فهو دين الخلود، نظام شامل، يتناول مظاهر الحياة جميعًا، فهو دولة ووطن، وحكومة وأمة، وهو خُلق وقوة ورحمة وعدالة، وهو ثقافة ونظام، وعلم وقضاء، وهو مادة وثروة،

---

(١) أخرجه ابن ماجة ٢١٥، وصححه الألباني، (صحيح سنن ابن ماجة ١٧٨).

(٢) سورة البقرة، آية: ١٤٣.

(٣) القرآن الكريم معجزة وتشريع، عبدالكريم عبدالله نيازي ص ٢٣.

وكسب وغنى، وهو جهاد ودعوة. كما هو عقيدة صادقة، وعبادة صحيحة[١].

والإنسانية المعذبة اليوم في كثير من أصقاع الدنيا المضطربة في أنظمتها المتداعية في أخلاقها، لا عاصم لها من الهاوية التي تتردى فيها إلا القرآن: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾[٢].

إن المسلمين هم وحدهم الذين يحملون المشعل وسط دياجير النظم والمبادئ الأخرى، فحري بهم أن ينفضوا أيديهم من كل بهرج زائف، وأن يقودوا الإنسانية الحائرة بالقرآن الكريم، حتى يأخذوا بأيديها إلى شاطئ السلام، وَكَمَا كانت لهم الدولة بالقرآن في الماضي، فإنها كذلك لن تكون لهم إلا به في الحاضر[٣].

وإنهم ليعلمون أنه حين نزل به الوحي على رسول الله ﷺ اهتدت به القلوب المريضة، واستقام حال الدنيا المعوج، واطمأنت - حين صلحت - تلك النفوس الضالة المنحرفة عن طريق الحق، ومنار الهدى، هدى في كل معضلة، وحل كل مشكلة، ووجه في كل أمر.

وليعلم الجميع أن القرآن الكريم هو أساس الوحدة، وقوام الملة، ولن يستعيد المسلمون مكانتهم إلا بتمسكهم بهذا الكتاب العظيم والسير على هدي محمد ﷺ ولن تأتي القوة ولن يتحقق التمكين الموعود إلا بالعمل على خدمة كتاب الله العزيز وحفظه ونشره وحسن تدبره وصدق العمل به وحينئذ تُظِل العالَمِين رايةُ الإسلام، ويكون الدين كُله لله[٤].

---

(١) اتخاذ القرآن الكريم أساسًا لشؤون الحياة والحكم في المملكة العربية السعودية، د. صالح عبدالله بن حميد، ندوة عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم وعلومه رجب ١٤٢١هـ - أكتوبر ٢٠٠٠م، ص ٥ - ٨.

(٢) سورة طه، الآيتان: ١٢٣ - ١٢٤.

(٣) مباحث في علوم القرآن ص ١٧ - ١٩.

(٤) اتخاذ القرآن الكريم أساسًا لشؤون الحياة والحكم في المملكة العربية السعودية، د. صالح عبدالله بن حميد ص ٨ - ٩.

الحديث رقم (١٢٢٥)

١٢٢٥- وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: كَانَ رسول الله ﷺ إِذَا دَخَلَ العَشْرُ أحْيَا اللَّيْلَ، وَأيْقَظَ أهْلَهُ[1]، وَشَدَّ المِئْزَرَ. متفقٌ عَلَيْهِ[2].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

غريب الألفاظ:

الشرح الأدبي

تصور أم المؤمنين عائشة "شيئاً من حياة، وتحركات الرسول الكريم ﷺ بهذه الأفعال الماضية الثلاثة "أحيا.. وأيقظ.. وشد" ونبينا الكريم في غنى عن إحياء الليل لأن الله عز وجل – غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر – و لا ذنب له أصلا – ولكنه يفعل ذلك للمزيد من التقرب، والشكر، والعلو، والسمو، والأنس بالله تعالى. وترتيب العبارات في الحديث يدل على دراية بكلام العرب، وخبرة بحياة النبي ﷺ، ولا عجب في ذلك لأن زوجه "عائشة" هي التي روت الحديث، وأعنى الترتيب في هذه الجمل: "أحيا الليل، وأيقظ أهله، وشد المئزر" فبدأ المصطفى بنفسه أولا (أحيا الليل) والفعل "أحيا" استعارة لقيامه لله تعالى، والتعبير بالحياة يشير إلى أن القلوب لن تحيا الحياة الحقيقية الموصولة بالله إلا من خلال طاعتها في جوف الليل بصفة خاصة، وتأتى الجملة الثانية: "وأيقظ أهله" لينالوا من هذا الخير الذي ذاقه واغترف منه، أما قولها: "وشد المئزر" فيعد كناية عن تركه المعاشرة الزوجية في هذه الأيام العشر من رمضان.. وكلمة "المئزر" تطلق على ما يغطى به المرء عورته، وتعد كنايه عن التعفف عن الحلال، والانشغال بطاعة الله تعالى.

المضامين الدعوية[3]

---

(١) عند مسلم زيادة: (وجدَّ).

(٢) أخرجه البخاري (٢٠٢٤)، ومسلم (١١٧٤/٧)، وتقدم برقم (٩٩).

(٣) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٩٩).

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً: التربية على الجود والسخاء:

هذا مستمد من قول ابن عباس رضي الله عنهما: "كان رسول الله ﷺ أجود الناس وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل".

قال النووي: (في هذا الحديث فوائد منها: بيان عظم جوده ﷺ ومنها استحباب إكثار الجود في رمضان)(١) وقال ابن حجر: (وقال النووي في الحديث فوائد: منها الحث على الجود في كل وقت، ومنها الزيادة في رمضان وعند الاجتماع بأهل الصلاح)(٢).

إن التربية على السخاء والجود له فوائد تربوية مهمة "فالسخاء يقوم على الشعور بأن للمال قيمة تستدعي عدم الإسراف في إتقانه، وأن للحياة الفاضلة مطالب يبذل المال في سبيلها غير مأسوف عليه، فهو بذل ما ينبغي في الأوجه المشروعة. فمن أطلق يده في اتباع الشهوات فهو مسرف، ومن قبضها في وجوه الخير فهو بخيل، أما السخاء فكان بين ذلك قواما.

وبما أن السخاء يقوم على الرحمة وقلة الحرص على جمع المال كان متصلاً بفضائل أخرى، فالسخي في أغلب الأحوال يأخذ بالعفو ويتحلى بالحلم ويجري في معاملاته على الإنصاف فيؤدي حقوق الناس من تلقاء نفسه، وإذا قضى كان عادلاً فلا تطمع نفسه إلى رشوة، ولا تحدثه أن يأخذ حق ضعيف إلى قوي.

ولتجدن السخي بحق متواضعًا لا يطيش به كبر ولا تستخفه الخيلاء، ولتجدنه أقرب الناس إلى الشجاعة وعزة النفس، وإنما يخسر الإنسان الشجاعة والقوة، بشدة حرصه على متاع الدنيا، فإذا اتصف المرء بالسخاء زكت نفسه ولانت عريكته وقاده سخاؤه إلى أن يترقى في المكارم وأن يتطهر من المساوئ والمعايب، فالسخي قريب من كل خير وبر.

---

(١) شرح صحيح مسلم ١٤٢٦.

(٢) فتح الباري ٢٦٦/١.

ولقد جرت سنة الله بأن السخي بحق يفوز بالحياة الطيبة ولا تكون عاقبته إلا الرعاية من الله والكرامة، فلما كان السخي رحيمًا بالفقراء والمساكين والمحتاجين، حريصًا على إسعادهم وإدخال السرور والبهجة في نفوسهم كان جزاؤه من جنس عمله.

وللسخاء أثر في سيادة الأمة، فالأمة تبلغ القدر الأسمى من السيادة بحفظ دينها وسعة معارفها وسمو أخلاقها، وصيانة أعراضها، ونباهة ذكرها ومتانة اتحادها وحماية أوطانها.

وكل هذه المقاصد الرفيعة الشأن إنما تتحقق بالمال الذي يبذله الأسخياء من الناس[1].

ثانيًا: التربية على الاعتناء بالقرآن الكريم تلاوة وحفظًا وتدبرًا:

هذا مستمد من قول ابن عباس رضي الله عنهما "وكان يلقاه جبريل في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن" وفي هذا إرشاد للمربين أن يربوا الناشئة على مدارسة القرآن الكريم والاعتناء به تلاوة وحفظًا وتدبرًا (فالقرآن الكريم له أثره العظيم في إصلاح النفوس وتزكيتها، وأهل القرآن هم أهل الله وخاصته، لذا فقد رأينا أثر الاجتماع على تلاوة القرآن الكريم وحفظه وتدارسه لدى شباب الصحوة اليوم، وهذا مصداق ما أخبر به النبي ﷺ.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: ((مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلاَّ نَزَلَتْ عَلَيْهِم السَّكِينَةُ وَغَشِيَتْهُم الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُم الْمَلاَئِكَةُ وَذَكَرَهُمْ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ))[2].

ونحمد الله تبارك وتعالى أن وفق جيل الصحوة اليوم للاعتناء بالقرآن والتربية عليه، حتى صار حفظه وإتقانه هدفًا يتطلع إليه الشاب ويصرف زهرة وقته في تحصيله، وهذا أمارة تأسي بالسلف الذين كانت لهم عناية بالغة بتعلم القرآن وحفظه.

---

(١) الهمة العالية، ص ١٦٦-١٦٧ ومراجعه.

(٢) أخرجه مسلم ٢٦٩٩.

عن جندب بن عبدالله رضي الله عنه قال: كنا مع النبي ﷺ ونحن فتيان حزاورة[1]: فتعلمنا الإيمان قبل أن نتعلم القرآن، ثم تعلمنا القرآن فازددنا به إيمانًا[2].

وقال ابن عبدالبر: (طلب العلم درجات ومناقل ورتب لا ينبغي تعديها، ومن تعداها جملة فقد تعدّى سبيل السلف رحمهم الله، ومن تعدّى سبيلهم عامدًا ضلّ، ومن تعداه مجتهدًا زلّ، فأول العلم حفظ كتاب الله عز وجل وفقهه...)[3].

وقال محمد بن الفضل بن محمد سمعت جدي - يعني ابن خزيمة - يقول: استأذنت أبي في الخروج إلى قتيبة، فقال: اقرأ القرآن أولاً حتى آذن لك، فاستظهرت القرآن، فقال لي: امكث حتى تصلّي بالختمة، ففعلت فلما عيدنا أذن لي.

وقال الإمام النووي: (كان السلف لا يعلّمون الحديث والفقه إلا لمن يحفظ القرآن)[4].

ويحكي ذلك عن ابن خلدون فيقول: (اعلم أن تعليم الولدان للقرآن شعار الدين أخذ به أهل الملة، ودرجوا عليه في جميع أمصارهم، لما يسبق فيه إلى القلوب من رسوخ الإيمان وعقائده، من آيات القرآن وبعض متون الأحاديث، وصار القرآن أصل التعليم الذي يبنى عليه ما يحصل بعد من الملكات)[5].

ومما ينبغي أن يضاف للاعتناء بحفظ القرآن ما يلي:

١ - الاعتناء بتلاوته والتلذذ بسماعه، وما أجمل أن يطلب الشباب من أحدهم حين يجتمعون في مجلس من مجالسهم أن يتلو آيات من كتاب الله عز وجل، وكذا كان يصنع عمر رضي الله عنه فعن أبي سلمة أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا رأى أبا موسى رضي الله عنه قال: ذكرنا ربنا يا أبا موسى فيقرأ عنده[6].

---

(١) حزاورة: هو جمع حزور وحزوّر: وهو الذي قارب البلوغ، النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ص ٢٠٥.

(٢) أخرجه ابن ماجه ٦١.

(٣) جامع بيان العلم وفضله ٢/١٦٦.

(٤) المجموع ١/٣٨.

(٥) مقدمة ابن خلدون ٥٣٧-٥٣٨.

(٦) أخرجه الدارمي ٣٤٩٣.

٢ - الاعتناء بالتدبر وتعويد الشباب عليه، وتدارس معاني القرآن الكريم.

٣ - الاعتناء بدراسة كتب التفسير وعلوم القرآن وأسباب النزول وغير ذلك مما له صلة بكلام الله عز وجل[1].



(١) تربية الشباب، "الأهداف والوسائل"، ٤٠-٤٢ ومراجعه ومصادره.

٢١٩- باب النهي عن تقدم رمضان بصوم بعد نصف شعبان إلاَّ لمن وصله بما قبله أوْ وافق عادة لَهُ بأن كَانَ عادته صوم الاثنين والخميس فوافقه

الحديث رقم (١٢٢٦)

١٢٢٦- عن أَبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم ، قَالَ: ((لاَ يَتَقَدَّمَنَّ أحَدُكُم رَمَضَانَ بِصَوْمِ يَوْمٍ أَوْ يَوْمَيْنِ، إلاَّ أنْ يَكُونَ رَجُلٌ كَانَ يَصُومُ صَومَهُ، فَلْيَصُمْ ذلِكَ اليَوْمَ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

بدأ الحديث الشريف بنهى المؤمن أن يصوم قبل رمضان بيوم، أو يومين، وقد شدد فى هذا النهى من خلال نون التوكيد الثقيلة في قوله: " لا يتقدمن. .. " ثم يستثنى حالة واحدة وهى إذا وافق صيامه ذلك عادة له، أو نذراً، أو ما إلى ذلك، ولذا جاء بلام الأمر فقال: " فليصم ذلك اليوم " والنهى، والأمر في حديث واحد يدلان على مرونة هذا الدين، ومراعاته لأحوال الإنسان ففي حاله النهى عن الصيام قبيل " رمضان " يريد الرسول صلى الله عليه وسلم به أن الفصل بين فرض الله، وبين التطوع حتى لا يختلط على الناس كما أنه بذلك يرفع الحرج عن المسلم حتى يقبل على رمضان بقوة وانشراح صدر، وعزيمة، وفرحة، وفى حاله الأمر بالصيام لمن كانت له عادة أو قضاء يرخص له صيامه حتى يفرح بتمام تطوعه، أو قضاء ما عليه وهو ما أكده الجناس في قوله أو(يصوم صومه) وإضافة الصيام إلى ضمير المرخص له يشير إلى أنها خصوصية لحالته توجد بوجودها، وتنتفي بانتفائها.

---

(١) أخرجه البخاري (١٩١٤) واللفظ له، ومسلم (١٠٨٢/٢١).

فقه الحديث

قال البسام: (يؤخذ من الحديث النهي عن تقدم شهر رمضان بصيام يوم أو يومين، وظاهر النهي التحريم، وحمله كثير من العلماء على الكراهة، فمن حرّمه نظر إلى النهي، ومن كرهه نظر إلى الاستثناء.

قال الترمذي: كرهوا أن يتعجل الرجل بصيام قبل دخول رمضان لمعنى رمضان وإن كان رجل يصوم صومًا فوافق صيامه فلا بأس به عندهم[١] أ هـ. كما يؤخذ من الحديث الرخصة في الصيام لمن صادف قبل رمضان له عادة صيام، كصيام يوم الخميس أو الاثنين، وهذه الرخصة بإجماع العلماء)[٢].

وممن حمل النهي في حديث الباب على الحرمة الشافعية. قال النووي: (فيه التصريح بالنهي عن استقبال رمضان بصوم يوم أو يومين لمن لم يصادف عادة له أو يصله بما قبله، فإن لم يصله ولا صادف عادة فهو حرام، هذاهو الصحيح في مذهبنا)[٣].

المضامين الدعوية[٤]

أولاً: من أساليب الدعوة: النهي.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: نهي النبي ﷺ عن الصوم قبل رمضان بيوم أو يومين.

ثالثًا: من واجبات المدعو: الالتزام بما بينه النبي ﷺ في عبادة الصوم.

أولاً - من أساليب الدعوة: النهي:

يظهر في قول رسول الله ﷺ: (لا يتقدمن أحدكم رمضان بصوم يوم أو يومين)، حيث نهى عن تقدم رمضان بالصوم قبله.

وأسلوب النهي من أساليب الدعوة التي يفيد منها الداعية في دعوته حيث ينهى

---

(١) بعد الحديث ٦٨٤.

(٢) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ١٢٥/٣.

(٣) شرح صحيح مسلم، مج٤/٧/١٦٩-١٧٠ .

(٤) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث - ١٢٢٦ - مع المضامين الدعوية للحديث رقم ١٢٢٧.

المدعوين عما يخالف أحكام الدين وآدابه، وهو يجعل المدعو يستجيب بالبعد عما نُهي عنه.

ثانيًا – من موضوعات الدعوة: نهي النبي ﷺ عن الصوم قبل رمضان بيوم أو يومين:

ويظهر ذلك من عموم الحديث حيث قال ﷺ: (لا يتقدمن أحدكم رمضان بصوم يوم أو يومين إلا أن يكون رجل كان يصوم يومه فليصم ذلك اليوم).

قال النووي: "فيه التصريح بالنهي عن استقبال رمضان بصوم يوم أو يومين لمن لم يصادف عادة له، أو يصله بما قبله، فإن لم يصله ولا صادف عادة فهو حرام، هذا هو الصحيح في مذهبنا، فإن وصله بما قبله أو صادف عادة له فإن كانت عادته صوم يوم الاثنين ونحوه فصادفه فصامه تطوعًا بنية ذلك جاز"[1].

قال العيني: " قوله: (لا يتقدمن أحدكم رمضان)، قوله: (إلاَّ أن يكون رجل)، يكون، هنا تامة معناه: إلاَّ أن يوجد رجل يصوم صومًا. (صومه) أي: صومه المعتاد كصوم الورد أو النذر أو الكفارة.

وقال العلماء: معنى الحديث: لا تستقبلوا رمضان بصيام على نية الاختلاط لرمضان، تحذيرا مما صنعت النصارى في الزيادة على ما افترض عليهم برأيهم الفاسد، فكان ﷺ يأمر بمخالفة أهل الكتاب وكان أولاً يحب موافقة أهل الكتاب فيما لم يؤمر فيه بشيء، ثم أمر بعد ذلك بمخالفتهم. فإن قلت: هذا النهي للتحريم أو للتنزيه؟ قلت: حكى الترمذي عن أهل العلم الكراهة، وكثيرا ما يطلق المتقدمون الكراهة على التحريم، ولا شك أن فيه تفصيلاً واختلافا للعلماء، فذهب داود إلى أنه لا يصح صومه أصلاً، ولو وافق عادة له، وذهبت طائفة إلى أنه لا يجوز أن يصام آخر يوم من شعبان تطوعا إلاَّ أن يوافق صوما كان يصومه، وأخذوا بظاهر هذا الحديث، رُوِّي ذلك عن عمر بن الخطاب وعلي وعمار وحذيفة وابن مسعود رضي الله عنهم، ومن التابعين: سعيد بن

---

(١) شرح صحيح مسلم ص ٦٨٣.

المسيب والشعبي والنخعي والحسن وابن سيرين، وهو قول الشافعي، وكان ابن عباس وأبو هريرة رضي الله عنهما يأمران بفصل يوم أو يومين كما استحبوا أن يفصلوا بين صلاة الفريضة والنافلة بكلام أو قيام أو تقدم أو تأخر، وقال عكرمة: من صام يوم الشك فقد عصى الله ورسوله، وأجازت طائفة صومه تطوعا، روي عن عائشة وأسماء أختها رضي الله عنهما أنهما كانتا تصومان يوم الشك، وقالت عائشة رضي الله عنها: لأن أصوم يوما من شعبان أحب إلي من أن أفطر يوما من رمضان، وهو قول الليث والأوزاعي وأبي حنيفة وأحمد وإسحاق، وذكر ابن المنذر عن عطاء وعمر بن عبد العزيز والحسن أنه: إذا نوى صومه من الليل على أنه من رمضان ثم علم بالهلال أو النهار أو آخره أنه يجزيه، وهو قول الثوري والأوزاعي وأبي حنيفة وأصحابه.

وقيل الحكمة في هذا النهي التَقَوِّي بالفطر لرمضان ليدخل فيه بقوة ونشاط، وقيل: لأن الحكم علق بالرؤية فمن تقدمه بيوم أو بيومين فقد حاول الطعن في ذلك الحكم، وإنما اقتصر على يوم أو يومين لأنه الغالب ممن يقصد ذلك"(١).

وقال ابن حجر: "والحكمة فيه التقوي بالفطر لرمضان ليدخل فيه بقوة ونشاط، وهذا فيه نظر لأن مقتضى الحديث أنه لو تقدمه بصيام ثلاثة أيام أو أربعة جاز.

قيل: الحكمة فيه خشية اختلاط النفل بالفرض، وفيه نظر لأنه يجوز لمن له عادة كما في الحديث، وقيل: لأن الحكم علق بالرؤية فمن تقدمه بيوم أو يومين فقد حاول الطعن في ذلك الحكم وهذا المعتمد، ومعنى الاستثناء أن من كان له ورد فقد أذن له لأنه اعتاده وألفه وتَرْك المألوفِ شديدٌ، وليس ذلك من استقبال رمضان، ويلتحق بذلك القضاء والنذر"(٢).

ثالثًا- من واجبات المدعو: الالتزام بما بينه النبي ﷺ في عبادة الصوم:

لقد نهى رسول الله ﷺ عن التقدم بصيام يوم أو يومين على رمضان إلا إذا كان له صوم يصومه.

---

(١) عمدة القاري ١٠/٢٨٨.

(٢) فتح الباري ٤/١٥٣.

وقد قال رسول الله ﷺ: ((صُوموا لِرُؤْيتهِ وأفطِروا لرُؤيته))[١]، فينبغي على المسلم الالتزام بما أمر به الرسول ﷺ في عدم التقدم بصوم يوم أو يومين قبل صيام رمضان إلا من كان يصوم صومه الذي اعتاده. وذلك لنهي رسول الله ﷺ عنه وأمره بالصوم لرؤية هلال رمضان.

فإن الإيمان بالله تعالى يقتضي طاعة رسول الله ﷺ في جميع ما أمر به، وحضّ عليه والانتهاء عن كل ما نهانا عنه وحذرنا منه، وهذا الأثر من أعظم آثار الإيمان به ﷺ فالسعادة والشقاء تترتب على وجود هذا الأثر أو عدمه.

وهذان الأصلان العظيمان هما المحك الحقيقي للإيمان برسول الله ﷺ ولقد ذكرهما مقترنين حتى تتضح الرؤية وتكمل الفائدة متأدبًا بقول الله جل وعلا الذي اشتمل على هذين الأصلين معًا وهو قوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾[٢].

فطاعة رسول الله ﷺ طاعة لله جل وعلا، ومعصيته ﷺ معصية لله جل وعلا ومحبته هي الطريق الموصل لمحبة الله جل وعلا، بل لا يقبل الله تعالى من أحد صرفًا ولا عدلاً إلا باتباعه ﷺ فببعثته تبين الرشد من الغي، والشرك من التوحيد، والصدق من الكذب، والإخلاص من النفاق، واليقين من الشك، وطريق النجاة من طريق النار.

بل ولم يبق من خير آجل ولا عاجل إلا دلّ الأمة عليه، ولم يبق شر عاجل ولا آجل إلا حذر الأمة منه ونهاهم عنه، وترك أمته على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، والمؤمنون الصادقون في إيمانهم برسول الله ﷺ يطيعون أمره ويجتنبون نهيه[٣].

---

(١) أخرجه البخاري ١٩٠٩، ومسلم ١٠٨٥.

(٢) سورة الحشر، آية: ٧.

(٣) انظر: التوحيد وأثره على العبيد، خميس السعيد محمد ص ٤٣٩ - ٤٤٠.

الحديث رقم (١٢٢٧)

١٢٢٧- وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ : **((لاَ تَصُومُوا قَبْلَ رَمَضَانَ، صُومُوا لِرُؤيَتِهِ، وَافْطِرُوا لِرُؤيَتِهِ، فَإِنْ حَالَتْ دُونَهُ غَيَابَةٌ فَاكْمِلُوا ثَلاثِينَ يَوْمًا))** رواه الترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسنٌ صحيح).

ترجمة الراوي:

عبد الله بن عباس: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١١).

غريب الألفاظ:

غيابة: سحابة[2].

الشرح الأدبي

يبدأ هذا الحديث بالنهى العام أيضاً – عن الصيام قبيل شهر (رمضان) فيقول: " لا تصوموا قبل رمضان " وإسناد الفعل: " لا تصوموا. .. " إلى واو الجماعة يوحى بأن الجميع ملتزم أو يجب أن يلتزم بذلك لتوحيد صفوف الأمة على ما يشعر بوحدتها وعزتها، وقوتها، وتماسكها لاسيما مع توافر الإمكانات العلمية، ووسائل الاتصال التي تجعل الأمة كلها على اتساعها كقرية واحدة، وكذلك الوضع في " صوموا – وافطروا – فأكملوا " فواو الجماعة لا يمكن إهمال دورها في هذه الأفعال، وغيرها، وقوله: " فإن حالت دونه غيابة فأكملوا ثلاثين يوماً " فيه إيجاز بالحذف تقديره: (فإن حالت دون رؤية الهلال غيابة في شعبان فأكملوه ثلاثين يوماً ثم صوموا رمضان فإن حالت سحابة دون رؤية هلال شوال فأكملوا رمضان ثلاثين يوماً ثم أفطروا في أول شوال، و لا شك أن هذه الضوابط تدل على أهمية التزام الأوامر، كما تشير إلى وضع الرسول ﷺ لحلول مبكرة لمشاكل مستقبلية ستصادف الأمة يوما حتى يجدوا في كتاب الله، وسنة رسول كل ما يحتاجون إليه في معاشهم، ومعادهم.

المضامين الدعوية[3]

---

(١) برقم (٦٨٨). وصحّحه ابن حبان (الإحسان ٣٥٩٤).

(٢) رياض الصالحين ٤٤١.

(٣) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١٢٢٨)

١٢٢٨- وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ : ((إِذَا بَقِيَ نِصْفٌ مِنْ شَعْبَانَ فَلاَ تَصُومُوا)) رواه الترمذيُّ[١]، وقال: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

جاء الحديث في جمله شرطية واحده، وقد بدأها الرسول الكريم " بإذا " والفعل الماضي: " إذا بقى نصف من شعبان. .. " للتدليل على أن الشهور تدور دورتها ولا بد أن يأتي (شهر شعبان) ضمن سير الشهور لأن " إذا " تدل على تحقق وقوع ما يأتي بعدها، والنهى في قوله: " فلا تصوموا " يوحى بالرفق، والشفقة، والنصح للأمه كلها لأنه اسند الفعل إلى واو الجماعة حتى يقبلوا على صيام الفرض في شهر " رمضان " بقوة، وانشراح، وعزيمة، وحب، وهذا أكبر دليل على أن الفرض أهم من النافلة، فلا يجب أن يستهلك المسلم جهده قبيل رمضان في التطوع، فإذا أقبل الفرض المأمور به ضعف عنه، أو استقبله بفتور، وعلى المسلم أن يقدم الأهم على المهم، والأفضل على الفاضل، والله أعلم.

فقه الحديث

الصيام بعد النصف من شعبان:

قال الصنعاني: (الحديث دليل على النهي عن الصوم في شعبان بعد انتصافه ولكنه مقيد بحديث "إلا رجل كان يصوم صومًا فليصمه" كما في الحديث ١٢٢٨)[٢].

وذكر النووي أن النهي لا يتعلق كذلك بمن يصله بما قبله صومًا[٣]، وقد اختلف

---

(١) برقم (٧٣٨).

(٢) سبل السلام ٤٣٠.

(٣) شرح صحيح مسلم ١٠/٧/٤ .

الشافعية في هذا النهي، فقد ذكر النووي أن الصحيح من المذهب الحرمة[١]. وقال الصنعاني: (وذهب كثير من الشافعية إلى التحريم)[٢] لكن نقل ابن حجر عن الروياني من الشافعية قوله: (يحرم التقدم بيوم أو يومين لحديث أبي هريرة [١٢٢٦]، ويكره التقدم من نصف شعبان لحديث الباب)[٣].

لكن جمهور العلماء ضعّف حديث الباب وأجازوا الصوم تطوعًا بعد انتصاف شعبان، قال ابن حجر: (قال جمهور العلماء: يجوز الصوم تطوعًا بعد النصف من شعبان، وضعفوا الحديث الوارد فيه، وقال أحمد وابن معين: إنه منكر)[٤].

وقد حاول بعض العلماء الجمع بين الحديثين [١٢٢٦، ١٢٢٨] منهم الطحاوي، فحمل حديث العلاء [١٢٢٨] على من يضعفه الصوم، وحديث الباب [١٢٢٦] مخصوص بمن يحتاط بزعمه لرمضان، قال ابن حجر: (وهو جمع حسن)[٥].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: نهي النبي ﷺ عن صيام النصف الثاني من شعبان.

ثانيًا: من أهداف الدعوة: التيسير على المدعوين.

أولاً - من موضوعات الدعوة: نهي النبي ﷺ عن صيام النصف الثاني من شعبان:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: (إذا بقي نصف من شعبان فلا تصوموا). حيث نهى عن صيام النصف الثاني من شعبان.

قال المباركفوري: "قال القاري في (المرقاة): "والنهي للتنزيه رحمة على الأمة أن يضعفوا عن حق القيام بصيام رمضان على وجه النشاط، وأما من صام شعبان كله

---

(١) المرجع السابق، الموضع نفسه.

(٢) سبل السلام ٤٣٠، وانظر: توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ٢٠٧/٣.

(٣) فتح الباري ١٢٩/٤، وقال الشيخ البسام: "وذهب بعض الشافعية إلى أن النهي للتنزيه [أي الكراهة]" توضح الأحكام ٢٠٧/٣.

(٤) فتح الباري ١٢٩/٤، وانظر: المغني ٤٢٧/٤، وسبل السلام ص ٤٣٠.

(٥) فتح الباري ١٢٩/٤، وانظر المغني ٤٢٧/٤، وسبل السلام ٤٣٠، ونيل الأوطار ٨٣٩-٨٤٠.

فيتعود به صيام رمضان، ويزول عنه الكلفة، ولذا قيده بالانتصاف، أو نهى عنه لأنه نوع من التقدم.

وقال القاضي: المقصود استجمام من لا يقوى على تتابع الصيام، فاستحب الإفطار كما استحب إفطار عرفة ليتقوى على الدعاء، فأما من قدر فلا نهي له، ولذلك جمع النبي ﷺ بين الشهرين في الصوم"(١).

وقال د. محمد رواس قلعه جي: "ويكون الصيام مكروهًا... في أواخر شعبان لقوله ﷺ: ((إذَا انْتَصَفَ شَعْبَانُ فَلاَ تَصُومُوا))(٢).

وينتفي هذه الكراهية أن يصادف ذلك صومًا كان يصومه، أو صومًا واجبًا كصيام نذرٍ أو قضاءٍ ذَكَرَه أو اعتكافٍ في مسجد ونحو ذلك، قال ﷺ: ((لا يَتقدَّمنَّ أحدُكم رمضانَ بصومِ يومٍ أو يومَين إلاّ أن يكونَ رجُلٌ كان يصومُ صومَهُ فلْيَصُمْه))(٣). وما ذلك إلا ليتقوى على صيام رمضان(٤).

ثانيًا - من أهداف الدعوة: التيسير على المدعوين:

إن الإسلام دين اليسر والتخفيف على المدعوين، ويظهر ذلك في نهي رسول الله ﷺ المسلمين عن الصوم في النصف الأخير من شعبان.

فهو ينهى عن تعدي الحدود التي ضربها لصيام شهر رمضان، ويحذر من تجاوزها ويصف من تطاول عليها بالخروج على تعاليم الإسلام، وبالعصيان لرسول الإسلام، وما ذلك إلا من أجل الخوف من أن يندرج بعض المسلمين - عن حسن نية - في الزيادة على الواجب في شهر رمضان، طلبًا لمرضاة الله واستزادة لثوابه، فيقعوا في الحرج والمشقة كما قد يوقعون غيرهم - ممن يأتي بعدهم - في ذلك، فتعود المسألة كراهية للواجب بعد أن كان يحمل من عناصر اليسر ما يضمن له الحب، وعجزًا في القيام به بعد ما

---

(١) انظر: تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١/٩٤٠.

(٢) أخرجه أبو داود ٢٣٣٧، وصححه الألباني، (صحيح سنن أبي داود ٢٠٤٩).

(٣) أخرجه البخاري ١٩١٤، ومسلم ١٠٨٢.

(٤) الموسوعة الفقهية الميسرة ٢/١٢٥٧.

كان يحمل من عناصر التخفيف ما يكفل له دوام العمل به، وضلالاً في الطريق بعد ما كان يحمل من اتساقه مع الفطرة وتناسبه مع القدرة ما يضيء له الدرب ويكشف له عن الهدف المرسوم والغاية المقصودة[١].

ومن ذلك قوله ﷺ: ((لا يَتقدَّمنَّ أحدُكم رمضانَ بصومِ يومٍ أو يومَينِ إلاّ أن يكونَ رجلٌ كان يصومُ صومَهُ فلْيَصُمْ ذلك اليومَ))[٢].

وقول عمار بن ياسر رضي الله عنه: ((مَنْ صَامَ اليوم الذي يُشَكُّ فيهِ فَقَدْ عَصَى أبا القَاسِمِ ﷺ))[٣].

وهذا يدل على التيسير على المدعوين فإن اليسر وانتفاء الحرج صفتان أساسيتان في دين الإسلام وشريعته، والتيسير مقصد أساسي من مقاصد الشريعة الإسلامية، ويدل على هذا الأصل آيات كثيرة في كتاب الله تعالى، وأحاديث نبوية صحيحة، وأجمعت الأمة عليه:

فمن القرآن قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَ﴾[٤]. قال ابن عباس: إنما ذلك سمة الإسلام وما جعل الله فيه من التوبة والكفارات.

ومنه قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ﴾[٥].

وقوله: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمۡۚ وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا﴾[٦].

ومن السنة قوله ﷺ: ((إنِّي أُرْسِلْتُ بحَنِيفيَّةٍ سَمْحَةٍ))[٧]. أي السهلة اللينة،

---

(١) انظر: صور من سماحة الإسلام، د. عبدالعزيز الربيعة ص ٦٤ - ٦٥.

(٢) أخرجه البخاري ١٩١٤، ومسلم ١٠٨٢.

(٣) أخرجه أبو داود ٢٣٣٤، وصححه الألباني، (صحيح سنن ابي داود ٢٠٤٦).

(٤) سورة الحج، آية: ٧٨.

(٥) سورة البقرة آية: ١٨٥.

(٦) سورة النساء، آية: ٢٨.

(٧) أخرجه أحمد في مسنده ١١٦/٦، رقم ٢٤٨٥٥، وقال محققو المسند: حديث قوي ٣٤٩/٤١.

وقوله ﷺ: ((إِنَّ هذَا الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلا غَلَبَهُ))[١].

ويستأنس لذلك بما روي عن الصحابة رضي الله عنهم والتابعين في هذا الباب، قول ابن مسعود رضي الله عنه: (إياكم والتنطع، وإياكم والتعمق وعليكم بالعتيق).

أي: الأمر القديم، أي الذي كان عليه النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم.

وقول إبراهيم النخعي: (إذا تَخَالَجَك أمران فظن أن أحبهما إلى الله أيسرهما)[٢].

---

(١) أخرجه البخاري ٣٩.

(٢) انظر: الموسوعة الفقهية ٢١٣/١٤ - ٢١٤.

الحديث رقم (١٢٢٩)

١٢٢٩- وعن أَبي اليقظان عمارِ بن يَاسِرٍ رضي الله عنهما ، قَالَ: مَنْ صَامَ اليَوْمَ الَّذِي يُشَكُّ فِيهِ، فَقَدْ عَصَى أَبَا القَاسِمِ ﷺ. رواه أَبُو داود والترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

عمار بن ياسر: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧٠٠).

الشرح الأدبي

جاء الحديث في لافتة قصيرة مدوية تبرق بالتهديد ، والوعيد ، وقد جاءت في جمله شرطية توضح أن الأولى بالمؤمن أن يبتعد عما فيه شك إلى اليقين الذي لا مرية فيه وهناك ربط بين فعل الشرط، وجوابه، ويتمثل فعل الشرط في قوله: " من صام اليوم الذي يشك فيه " لأنه بصومه هذا يكون قد خالف الأحاديث السابقة التي قد نهت عن هذا الصوم في الأيام المشكوك فيها ، ولذا جاء جواب الشرط ليحمِّل المخالف نتيجة مخالفته فقال: " فقد عصى أبا القاسم " وأكد المضمون بقد ، والفعل الماضي ومن ذا الذي يجرؤ أن يعصى أبا القاسم – صلى الله علية وسلم ؟ إن المؤمن السوي يقول: سمعت وأطعت، ففي هذا الخير، والرضا ، والهدى، والتوفيق. . والله اعلم

فقه الحديث

الصوم يوم الشك:

ذهب الحنابلة إلى أن يوم الشك من شهر رمضان هو يوم الثلاثين من شعبان، إذا لم يكن على مَطْلَع الهلال غيمٌ أو قَتَر أو دُخَان ونحوها مما يمنع الرؤية ، فهذا هو الشك

---

(١) أخرجه أبو داود (٢٣٣٤)، والترمذي (٦٨٦) واللفظ له. وصحّحه ابن خُزيمة (١٩١٤)، وابن حبان (الإحسان ٣٥٨٥)، وقال الحاكم (٤٢٤/١): هذا حديثٌ صحيحٌ على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

الذي نهى عن صيامه[١]، فيكره صيامه وأما إذا حال دون الهلال تلك الليلة غيم أو غبار أو دخان أو نحو ذلك، فيجب صيامه حكمًا ظنيًا احتياطيًا)[٢].

قال المرداوي في الإنصاف: (وهو المذهب عند الأصحاب ونصروه وصنفوا فيه التصانيف، وردوا حجج المخالف وقالوا: نصوص أحمد تدل عليه وهو من مفردات المذهب)[٣].

وذهب الأئمة وجمهور العلماء إلى أن اليوم الذي ليس في منظر هلاله ما يمنع الرؤية، لا يسمى يوم شك، وإنما يوم الشك هو ليلة الثلاثين من شعبان إذا حال دون رؤية الهلال ما يمنع الرؤية من سحابٍ أو ضباب أو قتام أو دخان أو نحوها. فهذا هو يوم الشك المنهي عن صيامه في حديث عمّار وغيره[٤].

قال الترمذي: (والعمل على هذا عند أكثر أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ ومن بعدهم من التابعين، وبه يقول سفيان الثوري ومالك بن أنس، وعبدالله بن المبارك والشافعي[٥] وأحمد وإسحاق: كرهوا أن يصوم الرجل اليوم الذي لا يشك فيه)[٦].

وقال الصنعاني: (والحديث وما في معناه يدل على تحريم صوم يوم الشك، وإليه ذهب الشافعي واختلف الصحابة في ذلك: منهم من قال بجواز صومه ومنهم من منع منه، وعدّه عِصْيانًا، والأدلة مع المحرمّين)[٧]. وقال الشوكاني: (والحاصل أن الصحابة مختلفون في ذلك وليس قول بعضهم بحجة على أحدٍ، والحجة ما جاءنا عن الشارع)[٨].

---

(١) انظر: المغني ٣٣٣/٤ .

(٢) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ١٢٨/٣.

(٣) الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين المرداوي ٥١٧/١ .

(٤) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ١٢٩/٣، وانظر: حاشية ابن عابدين ٣٨١/٢، والمنتقى ٧٢/٢، والمجموع ٢٩٣/٦، والمغني ٣٣٠/٤.

(٥) انظر: المجموع ٢٩٢/٦-٢٩٤.

(٦) انظر: المغني ٣٣٠/٤، والمجموع ٢٩٤/٦.

(٧) سبل السلام ٤٠٨ .

(٨) نيل الأوطار ٧٩٨، وانظر: توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ١٢٩/٣-١٣٠.

هذا فيما يتعلق بصوم يوم الشكّ بنية رمضان أما لو صامه تطوعًا فقال النووي: (لو صامه تطوعًا بلا عادة ولا وصَلَه [بما قبله] فمذهبنا أنه لا يجوز، وبه قال الجمهور. وحكاه العبدري عن عثمان وعليٍّ وعبدالله بن مسعود وحذيفة وعمّار وابن عباس وأبي هريرة وأنس والأوزاعي ومحمد بن سلمة المالكي وداود. وقال أبو حنيفة: لا يكره صومه تطوعًا ويحرم صومه من رمضان)[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: التحذير من صيام يوم الشك.

ثانيًا: من آداب المدعو: الانتهاء عما نهى عنه رسول الله ﷺ.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترهيب.

أولاً – من موضوعات الدعوة: التحذير من صيام يوم الشك:

يظهر ذلك في قول عمار بن ياسر رضي الله عنهما: من صام اليوم الذي يشك فيه فقد عصى أبا القاسم ﷺ.

قال ابن حجر: "استدل به على تحريم صوم يوم الشك لأن الصحابي لا يقول ذلك من قبل رأيه فيكون من قبيل المرفوع. قال ابن عبدالبر: هو مسند عندهم لا يختلفون في ذلك"[2].

قال الطيبي: "إنما أتى بالموصول ولم يقل: (يوم الشك)، مبالغة وإن صوم يوم يشك فيه أدنى شك، سبب لعصيان من كنيته أبو القاسم الذي يقسم بين عباد الله حكم الله بحسب قدرهم واقتدارهم، فكيف بمن صام يومًا الشك فيه قائم ثابت؟ ونحوه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ﴾[3]، أي: إلى الذين أُونِس منهم

---

(١) المجموع ٣/٢٩٤ ، وانظر حاشية ابن عابدين ٢/٣٨١، وحاشية الدسوقي والشرح الكبير ١/٥١٣، وحاشية الصاوي ١/٦٨٧، ومغني المحتاج ٢/١٦٣، والمغني ٤/٣٣٠-٣٣١.

(٢) فتح الباري، ابن حجر ٤/١٤٤.

(٣) سورة هود، آية: ١١٣.

أدنى الظلم، فكيف بالظالم المستمر عليه؟[١]. فيتضح من ذلك التحذير من صيام يوم الشك.

فيحرم صيام يوم الشك، وهو اليوم الثلاثون من شعبان، إذا حال دون رؤية الهلال غيم أو نحوه، وفي هذه الحالة يحتسب هذا اليوم من شعبان، وليس من رمضان، لأن اليقين لا يزول بالشك، ولقوله ﷺ: ((صُومُوا لِرُؤْيَتِهِ وَأَفْطِرُوا لِرُؤْيَتِهِ فَإِنْ حَالَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ سَحَابَةٌ أو ظلمة؛ فَأَكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلاَ تَسْتَقْبِلُوا الشَّهْرَ اسْتِقْبَالاً، وَلاَ تَصِلُوا رَمَضَانَ بِيَوْمٍ مِنْ شَعْبَانَ))[٢].

وإذا كان هذا اليوم من شعبان لم يجز صومه على أنه من رمضان، وقد نهى رسول الله ﷺ عن صيام هذا اليوم، قال عمار بن ياسر رضي الله عنهما: (من صام هذا اليوم فقد عصا أبا القاسم)[٣].

ثانيًا - من آداب المدعو: الانتهاء عما نهى عنه رسول الله ﷺ:

يظهر ذلك من فعل عمار بن ياسر رضي الله عنهما وقوله، فقد روى أبو إسحاق عن صلة قال: ((كُنَّا عندَ عمارِ بنِ ياسرٍ فأتى بشاةٍ مصليةٍ فقالَ: كُلُوا، فتنحَّى بعضُ القومِ فقالَ: إني صائمٌ، فقالَ عمارُ بنُ ياسرٍ: منْ صامَ اليومَ الذي يُشَكُّ فيهِ فقد عصَى أبا القاسم ﷺ))[٤].

وهذا يدل على حرص الصحابة رضي الله عنهم على الانتهاء عن نهي رسول الله ﷺ، فقد كان الصحابة رضي الله عنهم يسارعون إلى تنفيذ أوامر الله عز وجل وأوامر رسول الله ﷺ عملاً بقوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[٥].

وهذا عقبة بن الحارث رضي الله عنه ورد: أنَّه تَزوَّجَ ابنةً لأبي إهابِ بنِ عَزِيزٍ فأتَتْهُ امرأةٌ

---

(١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح ١٤٨/٤.

(٢) أخرجه النسائي ٢١٨٩، وصححه الألباني، (صحيح سنن النسائي ٢٠٦٩).

(٣) الموسوعة الفقهية الميسرة، د. محمد رواس قلعه جي ١٢٥٨/٢.

(٤) أخرجه الترمذي ٦٨٦، وصححه الألباني، (صحيح سنن الترمذي ٥٥٣).

(٥) سورة آل عمران، آية: ١٣٢.

فقالَتْ: إنِّي قد أرضَعتُ عُقبةَ والتي تَزوَّجَ. فقال لها عُقبةُ: ما أعلمُ أنكِ أرضعتِني، ولا أخبَرتِني. فَركبَ إلى رسولِ اللهِ ﷺ بالمَدينةِ، فسألَهُ، فقال رسولُ اللهِ ﷺ: ((كيف وقد قيلَ؟)) ففارَقَها عُقبةُ، ونَكَحتْ زَوجًا غيرَه[1]. فينبغي على المسلم أن يحرص على البعد عما نهى رسول الله ﷺ عنه، وعليه أن يحرص على اتباعه والتأسي به فيما جاء به من ربه من الأمور المستقرة، والتي لا يسع أحد الجهل بها؛ لأنها من المعلوم من الدين بالضرورة؛ نظرًا لتواتر النصوص الدالة على ذلك واستفاضتها، ومن ذلك:

١- قول الله تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾[2].

قال ابن كثير في تفسيره: "أي مهما أمركم به فافعلوه، وما نهاكم عنه فاجتنبوه، فإنه إنما يأمر بخير، وإنما ينهى عن شر"[3].

وقال الشوكاني بعد إيراده لبعض الأقوال التي قد يفهم منها أن الآية خاصة بالفيء: "والحق أن هذه الآية عامة في كل شيء يأتي به رسول الله ﷺ من أمر أو نهي أو فعل، وإن كان السبب خاصًا فالاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب. وكل شيء أتانا به من الشرع فقد أعطانا إياه وأوصله إلينا وما أنفع هذه الآية وأكثر فائدتها"[4].

٢- قول الله تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾[5].

يقول ابن كثير في تفسيره لهذه الآية: "يقسم تعالى بنفسه الكريمة المقدسة، أنه لا يؤمن أحد حتى يُحَكِّم رسول الله ﷺ في جميع الأمور، فما حكم به فهو الحق الذي

---

(١) أخرجه البخاري ٨٨.

(٢) سورة الحشر، آية: ٧.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٦٧/٨.

(٤) فتح القدير ٢٨٢/٥.

(٥) سورة النساء، آية: ٦٥.

يجب الانقياد له باطنًا وظاهرًا، ولهذا قال: ﴿ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ﴾، أي إذا حكموك يطيعونك في بواطنهم، فلا يجدون في أنفسهم حرجًا مما حَكَمْت به، وينقادون له في الظاهر والباطن، فيسلموا لذلك تسليمًا كليًا، من غير ممانعة ولا مدافعة ولا منازعة"[1].

ويقول السعدي: "ثم أقسم تعالى بنفسه الكريمة أنهم لا يؤمنون حتى يحكموا رسوله (فيما شجر بينهم) أي: في كل شيء يحصل فيه اختلاف"[2].

٣- عن العرباض بن سارية ﵁ أن رسول الله ﷺ وعظ الناس فقالوا: يا رسول الله إن هذه لموعظة مودع، فماذا تعهد إلينا؟ قال: ((قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ. لَيْلُهَا كَنَهَارِها. لاَ يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلاَّ هَالِكٌ))[3].

٤- عن عبدالله بن عمرو ﵄ قال: قال رسول الله ﷺ: ((فمن رغِبَ عن سُنَّتي فليسَ مني))[4]، قال ابن حجر في شرحه له: "المراد بالسنة الطريقة، لا التي تقابل الفرض، والرغبة عن الشيء الإعراض عنه إلى غيره، والمراد: من ترك طريقتي وأخذ بطريقة غيري فليس مني"[5][6].

ثالثًا - من أساليب الدعوة: الترهيب:

يظهر ذلك في قول عمار بن ياسر ﵄: (... فقد عصى أبا القاسم ﷺ).

حيث رهّب من صوم يوم الشك بأن ذلك يوم سبب لمعصية الرسول ﷺ، ومعصية الرسول ﷺ معصية لله وسبب لعقابه، قال تعالى: ﴿ فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٣٤٩/٢.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ١٤٩.

(٣) أخرجه ابن ماجة ٤٣، وصححه الألباني، (صحيح سنن ابن ماجة ٤١).

(٤) أخرجه البخاري ٥٠٦٣.

(٥) فتح الباري ٧/٩.

(٦) اتباع النبي ﷺ في ضوء الوحيين، فيصل علي البعداني، بحث ضمن بحوث كتاب حقوق النبي ﷺ بين الإجلال والإخلال ص ١١٢ - ١١٤.

﴿تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[١].

قال ابن كثير: "وقوله: (فليحذر الذين يخالفون عن أمره) أي: عن أمر رسول الله ﷺ، سبيله هو ومنهاجه وطريقته وسنته وشريعته، فتوزن الأقوال والأعمال بأقواله وأعماله، فما وافق ذلك قُبل، وما خالفه فهو مردود على قائله وفاعله، كائنًا ما كان كما ثبت في الصحيحين وغيرهما عن رسول الله ﷺ: ((مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ))[٢]، أي: فليحذر من خالف شريعة الرسول ﷺ باطنًا أو ظاهرًا، (أن تصيبهم فتنة)، أي: في قلبهم، من كفر أو نفاق أو بدعة، (أو يصيبهم عذاب أليم)، أي: في الدنيا بقتل أو حد أو حبس أو نحو ذلك"[٣].

فأسلوب الترهيب من أساليب الدعوة التي تخيف المدعو من عدم الامتثال للدعوة وتجعله يمتثل لما دعي إليه.

---

(١) سورة النور، آية: ٦٣.

(٢) أخرجه البخاري ٢٦٩٧، ومسلم ١٧١٨.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٦/٩٠.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- الاستعداد لأفضل العبادتين:

إن رغبة المسلم في الصوم قد تدفعه إلى أن يصوم من شعبان قبل أن يصوم رمضان، رغبة في تحصيل الأجر والفضل، لكن هذه الرغبة قد تؤدي إلى التكاسل في أداء صوم الفرض إذ هو ينشط في بداية صومه، ولكنه قد يصيبه الفتور بعد ذلك، وفي هذا خلل وتفريط فيما هو أهم، فإذا كان قد أدى صوم النفل في شعبان بهمة ونشاط، فإن أدى صوم رمضان - وهو صوم الفريضة - بغير هذه الهمة وذلك النشاط فقد قدم ما هو مهم على ما هو أهم، واعتنى بالنفل على حساب الفرض، وانشغل بما هو أقل رتبة عما هو أعلى رتبة. لذا نهى النبي ﷺ عن تقدم رمضان بصيام نفل إلا أن يكون عادة لصاحبه.

أ - فقد نهى عن الصيام بعد النصف من شعبان.

ب - كما نهى عن تقدم صيام رمضان بصوم يوم أو يومين.

لكي يحفظ على المسلم قوته ونشاطه حتى يؤدي فريضة الصوم كما هو مطلوب، يقول الشيخ البسام: (ولعل من الحكمة أيضًا حصول الاستجمام لصوم رمضان فلا يأتي صومه والمسلم في حال ملل وكسل عن الصيام، وإنما يقبل عليه برغبة وشوق إليه، وهذا التعليل لا ينافي حديثي عائشة وأم سلمة في صيام شعبان كله أو أكثره[1]، فالنفوس على الامتثال على العبادة ليست واحدة، والحكم يكون للغالب)[2].

أي إننا أمام موازنة بين صوم النافلة وصوم الفرض، فإذا حدث تعارض بينهما في درجة الأداء وجودته، وجب توفير النشاط والحيوية لأداء الفرض لأنه المطلوب والواجب، وعلى ذلك نستطيع أن نرصد بعض مظاهر الخلل من هذه الناحية:

أ - الحرص على قيام الليل إلى وقت متأخر من الليل مع أن ذلك قد يؤدي إلى تضييع صلاة الفجر، أو إذا قامَ قامَ كسلان لا يكاد يعي ما يقول ويسمع في صلاته،

---

(١) أما حديث عائشة رضي الله عنها فمتفق عليه: أخرجه البخاري ١٩٦٩، ومسلم١١٥٦، وأما حديث أم سلمة رضي الله عنها أخرجه الترمذي ٧٣٦، وقال: حديث حسن، وانظر: فتح الباري ١٠٩٧/١ .

(٢) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ٢٠٦/٣.

مع أنه يمكن أن يجمع بين الاثنين بأن يقتصد في قيام الليل ليقوم نشيطًا وافر النشاط لأداء صلاة الصبح فإن حدث تعارض قدّم الاستعداد للواجب ووفّر النشاط لأداء الفرض.

ب - انشغال الآباء بالعمل ليلَ نهارَ، لتوفير حياة كريمة لأبنائهم، وإعطاء وقت قصير يقضيه معهم يوجههم ويربيهم ويؤدبهم فيه، وهو في هذا الوقت على قصره يغالبه النوم والنعاس ويرغب أشد الرغبة في الراحة، إنه أنفق معظم جهده خارج البيت حتى إذا جاء ليؤدي مهمته الأولى وهي تربيةُ الأولاد وتأديبُهم قصر فيها أو أداها على عجل أو أجلها حتى ينساها مع مرور الأيام والليالي.

نخلص من هذا كله إلى أنه على المربين أن يربوا من يقومون على تأديبهم وتربيتهم على أن يهتموا بالأهم، ويوفروا نشاطهم وطاقتهم لأدائه، ولا يضيعوا جهدهم وحيوتهم فيما هو أقل درجة ورتبة منه، لأن ذلك طريق تحصيل الخير والفلاح لهم في الدنيا والآخرة.

ثانيًا: المداومة على فعل الخير:

لقد نهى النبي ﷺ عن تقدم رمضان بصوم يوم أو يومين واستثنى من ذلك من كان له عادة صيام، مثل من كان يصومُ الخميس أو يصوم الاثنين[1]. والنَّاظر في هذا الاستثناء قد يستنبط منه -والله أعلم- أن فيه حضًا وترغيبًا في المداومة على فعل الخير والعمل الصالح، فإذا كان هناك نهي عن فعل هذا العمل، فلا ينسحب هذا على من كان عادته، بل يشجع ويرغب في هذا، وذلك وفق ضوابط الشرع وأسسه، وبناء على ذلك فإن على المربين أن يغرسوا المداومة على عمل الخير، "فلقد صح عن الرسول ﷺ أنه قال: ((وَإِنَّ أَحَبَّ الأَعْمَالِ إِلَى اللهِ أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ))[2] وهذا المبدأ عظيم في تأثيره وفعاليته الإنتاجية في الحياة، وذلك على مستوى الشعائر التعبدية وكذلك الأعمال المعيشية المختلفة.

لقد أصبحت الحياة أكثر تعقيدًا مما مضى، فترى تزاحم الأعباء وكثرة الواجبات

---

(١) انظر: توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ١٢٥/٣.

(٢) متفق عليه من حديث عائشة رضي الله عنها، أخرجه البخاري ٦٤٦٤، ومسلم ٧٨٢.

التي لا تستطيع إنجازها جميعًا خلال الأوقات المتاحة، لذا ينبغي أن يقسم الوقت بين تلك الأعمال المختلفة حسب أولوية كل عمل وبشكل مستمر، إن المداومة على القليل الدائم له تأثير عجيب على المدى الطويل"[1].

إن المداومة والاستمرار لها فوائد تربوية مهمة، منها:

١ - المداومة هي السبيل إلى تحقيق المقاصد وجني الثمار، لأن العمل المنقطع لا يكمل أثره، ولا ينضج ثمره، إنه - في بعض الأحوال - كمن يحرث في الماء لا يكاد يجني شيئًا، وهذا يقتضي ضياع كثير من الجهود، واستهلاك للطاقات بما لا يكون مكافئًا من النتائج والثمار.

٢ - المداومة والاستمرار منبع الخيرات وكنز التجارب فهو يؤدي إلى الإتقان الذي يتضاعف به النجاح وتعظم به النتائج.

٣ - المداومة والاستمرار باعث على الحيوية ومثير للحماس ومقوّ للعزيمة وشاحذ للهمة، إذ إن استمرار العمل يحصل به التفاعل والقبول فيكون لذلك أثره في نفس العامل والمداوم.

٤ - الاستمرار والمداومة هما الطريق إلى الابتكار والإبداع[2].

ثالثًا: التربية على الوقوف عند حدود الشرع:

وهذا يتضح من أحاديث الباب كلها، وذلك على النحو التالي:

أ - النهي عن تقدم رمضان بصوم يوم أو يومين، أو النهي عن الصوم بعد انتصاف شعبان.

قال البسام: (الحكمة في ذلك -والله أعلم- تمييز فرائض العبادات عن نوافلها والاستعداد لصوم رمضان بنشاط ورغبة، ورجّح ابن حجر أن الحكمة هي أن حكم الصيام معلق برؤية الهلال، فمن تقدمه بيوم أو يومين فقد حاول الطعن في ذلك

---

(١) إدارة الوقت بين التراث والمعاصرة، ص ٤١٢.

(٢) انظر: مقومات الداعية الناجح ١٩٣-١٩٥، وانظر كذلك مقال: أدومه وإن قل، عبدالله المسلم، مجلة البيان، العدد ١٢٤، ص ١٢٤-١٢٥.

الحكم، ولعل من الحكمة كراهة التنطع في الدين وتجاوز الحدود التي فرضها الله تعالى)[١].

ب - علّق النبي ﷺ الصوم والإفطار على رؤية الهلال، فإن كان يوم التاسع والعشرين من شعبان في السماء غيمٌ حال دون رؤية الهلال فعلى المسلمين ألا يصوموا ويكملوا عدة شعبان ثلاثين يومًا، ولهذا قال عمار بن ياسر رضي الله عنه: "من صام اليوم الذي يشك فيه فقد عصى أبا القاسم ﷺ".

قال ابن القيم: (كان من هديه ﷺ أن لا يدخل في صوم رمضان إلا برؤية محققة، أو بشهادة شاهد واحد كما صام بشهادة ابن عمر[٢] ... وكان إذا حال ليلة الثلاثين دون منظره غيم أو سحاب، أكمل عدة شعبان ثلاثين يومًا ثم صامه، ولم يكن يصوم يوم الإغمام ولا أمر به بل أمر بأن تكمّل عدة شعبان ثلاثين إذا غمّ، وكان يفعل كذلك، فهذا فعله، وهذا أمره)[٣].

أي إن على المسلم أن يكون وقافًا عند حدود الله، يعمل بمقتضاها وبموجباتها ولا يتعداها ولا يتجاوزها، فما حدّه الشرع التزم به وعمل، ولم يتخطه ولو أراد بذلك الخير، وبناء على ذلك فإنه في التربية على هذا عدة فوائد تربوية منها:

أ - التربية على التوسط والاعتدال، دون الغلو والمغالاة والشطط وتكليف النفس من أمرها عسرًا، فإن الشرع جاء بالحنيفية السمحة وجاء برفع الحرج ودفع المشقة، فمن التزم به لم ينزلق إلى هوة التزمت والغلو والتكلف، وهو يظن أنه يحسن صنعًا.

ب - الجمع بين العمل للآخرة والعمل للدنيا، فإذا كان العمل للآخرة لأنها دار المعاد والقرار، فإن العمل للدنيا لأنها دار المعاش والاختبار، أما تجاوز حدود الشرع وعدم الوقوف عندها فإنه يزين للنفس أنها تعمل للآخرة وتجتهد في ذلك على حين أنها في الحقيقة وقعت في هاوية مخالفة أوامر رب العالمين، ولا يعني العمل للدنيا مخالفة

---

(١) توضح الأحكام ١٢٦/٣.

(٢) أخرجه أبو داود ٢٣٤٢، وقال محققو زاد المعاد: سنده قوي.

(٣) زاد المعاد ٣٩/٢.

ضوابط الشرع وحدوده، فإن هذا لا يكون، بل يكون في حدود الشرع وضوابطه والانقياد لأوامره واجتناب نواهيه.

ج - الالتزام بما شرع الله ورسوله وترك ما شرعه الغلاة المتشددون الذين حكموا أهواءهم وجعلوها شرعًا من دون الله، وفي ذلك تحرير للناشئة وغيرهم من أن يتعبدهم غير الله، وتحرير لهم أن يقدسوا ما ليس بمقدس ويعظموا ما ليس بمعظم، وفي ذلك إطلاق لأفكارهم وعقولهم نحو الإبداع والابتكار وفيما ينفع الدين والدنيا ولا يضر بأحدهما أو كليهما.

وبناء على ذلك يجب على المربين أن يغرسوا في نفوس من يقومون على تربيتهم الوقوف عند حدود الله وعدم تجاوزها وعدم تخطيها.



٢٢٠- باب مَا يقال عند رؤية الهلال

الحديث رقم (١٢٣٠)

١٢٣٠- عن طلحة بن عبيد اللهِ رضي الله عنه: أنَّ النبيَّ ﷺ كَانَ إِذَا رَأى الهِلاَلَ، قَالَ: ((اللَّهُمَّ أهِلَّهُ عَلَيْنَا بِالأمْنِ[1] وَالإيمانِ، وَالسَّلاَمَةِ وَالإسْلاَمِ، رَبِّي وَرَبُّكَ اللهُ، هِلالُ رُشْدٍ وخَيْرٍ[2])) رواه الترمذيُّ[3]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

طلحة بن عبيدالله التيمي: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢٠٩).

غريب الألفاظ:

أَهِلَّهُ: أظهره وبيِّنه[4].

هِلالُ رشد: هلال هدى[5].

الشرح الأدبي

إن كل حركات النبي ﷺ وسكناته مرصودة، ومرتبطة بذكر من نوع خاص وهذا الذكر يتمثل في الدعاء عند رؤية الهلال في أى شهر من الأشهر العربية واستهلال

---

(١) لفظ الترمذي: (باليمن) بدل: (بالأمن).

(٢) قوله: (هلال رشد وخير) لا يوجد عند الترمذي.

تنبيه: قوله: (هلال رشد وخير) لا يوجد عند الترمذي، وكذا عزاه إليه في الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيي الدين مستو (ص:٢٧٣) وإلى الدارمي (١٧٣٠) ولفظهما سواء. وأما هذه الزيادة، فقد وردت في رواية أبي سعيد الخدري، أخرجها ابن السني (٦٤٣)، وعن قتادة رفعه أخرجها أبو داود (٥٠٩٢) ولفظهما: (هلال خير ورشد ثلاث مرات، آمنت بالذي خلقك، ثلاث مرات، ثمَّ يقول: الحمد لله الذي ذهب بشهر كذا وجاء بشهر كذا).

(٣) برقم (٣٤٥١) وصحّحه ابن حبان (الإحسان ٨٨٨). وقال الحافظ ابن حجر كما في الفتوحات (٣٢٩/٤): هذا حديثٌ حسنٌ.

(٤) اللسان في (هـ ل ل).

(٥) انظر: المعجم الوسيط ٣٤٦، ودليل الفالحين ١٣٥٩.

الدعاء بقوله: "اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان..." يشير إلى خير الدنيا، والآخرة لأن طلب الأمان ضمان لسعادة الدنيا لشموله لكل ما يحتاج الإنسان إليه في الدنيا، وسؤال الإيمان ضمان لسعادة الآخرة يدل على التوحيد الخالص؛ لأنه نادى رب العزة – جل في علاه – ولما كان قريباً منه حذف أداة النداء، وعوض عنها بالميم المشددة في "اللهم" وطلب من الله تعالى "الأمن، والإيمان" لأهميتها في حياة الفرد والجماعة وهما يؤديان إلى ما بعدها حيث "السلامة، والإسلام" فالأمن يجعل الإنسان سالماً من الذعر، والشرور والمخاطر، و"الإيمان" يؤدى إلى الإسلام لأنة لا يستقر إلا في القلب، وقوله: "ربى وربك الله" يفيض بالعبودية لله وحده لا شريك له التي اصطبغت بها ربوع الكون، فهو الذي خلق الهلال والشمس والكواكب وكل الكائنات وقوله "هلال رشد وخير" يوحى بأن الهلال يرشدنا إلى أوائل الشهور الخاصة بالصوم والحج، وهذا خير كثير للناس جميعاً كما أنه يرشدنا إلى مضى من العمر، وينبه إلى اغتنام ما بقي قبل إن ينقضي، ثم يأتي شاهدا على الإنسان يوم القيامة.

فقه الحديث

قال النووي في المجموع: (يستحبّ أن يدعو عند رؤية الهلال بما رواه طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا رأى الهلال قال ... فذكر حديث الباب)[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: رؤية الهلال.

ثالثًا: من آداب المدعو: الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم بالدعاء بما ورد عنه من أدعية عند رؤية الهلال.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: الأمن، والسلامة، والإيمان.

---

(١) المجموع ٢٧٢/٦-٢٧٤ ، وانظر الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيي الدين مستو ٢١٨ ط مكتبة الصفا، وانظر كذلك: المغني ٣٢٨/٤ .

خامسًا: من أهداف الدعوة: إخلاص العبودية لله وحده.

أولاً من أساليب الدعوة: الإخبار:

يظهر ذلك في قول طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا رأى الهلال قال: "اللهم أهله علينا بالأمن ... إلخ الحديث" حيث أخبر عن قول النبي صلى الله عليه وسلم إذا رأى الهلال.

وأسلوب الإخبار من أساليب الدعوة المفيدة في تبليغ الدعوة، حيث إن الداعية يخبر به المدعوين عن دعوته وكذلك المدعو بعد وصول الدعوة إليه واهتداؤه إلى الحق يخبر بالدعوة غيره من المدعوين حتى يعم النفع والخير للجميع وتعلم أمور الدين.

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: رؤية الهلال:

يظهر ذلك في قول طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا رأى الهلال قال: "اللهم أهله علينا... إلخ الحديث".

قال الطيبي: (قوله: "أهله" روي بالفك والإدغام، قال القاضي البيضاوي: الإهلال في الأصل رفع الصوت، نقل منه رؤية الهلال، لأن الناس يرفعون أصواتهم إذا رأوه بالإخبار عنه، ولذلك سمي الهلال هلالاً، ثم نقل منه إلى طلوعه، لأنه سبب لرؤيته، ومنه إلى اطلاعه، وفي الحديث بهذا المعنى، أي: اطلعه علينا، وأرنا إياه مقترنًا بالأمن والإيمان[1]).

ورؤية الهلال من الأشياء التي شغلت الناس وأثارت تساؤلهم وقد حكى ذلك القرآن الكريم في قوله تعالى ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ﴾ [سورة البقرة:١٨٩] قال ابن كثير: (قال العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما: سأل الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الأهلة، فنزلت هذه الآية: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ﴾ يعلمون بها حلَّ دينهم، وعدة نسائهم، ووقت حَجّهم.

وقال أبو جعفر، عن الربيع، عن أبي العالية: بلغنا أنهم قالوا: يا رسول الله، لم خُلِقت الأهلة فأنزل الله ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ﴾ يقول جعلها الله مواقيت لصوم المسلمين وإفطارِهم، وعدّةَ نسائهم، ومحلَّ دينهم.

---

(١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح ١٦٨/٥-١٦٩.

وعن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: ((إنَّ الله جَعَل الأَهِلَّةَ مواقيتَ، فإذا رَأَيْتُمُوهُ فَصُومُوا وإذا رَأَيْتُمُوهُ فأفْطِرُوا، فإنْ غُمَّ عَلَيْكُمْ فاقْدِرُوا لَهُ، أَتِمُّوهُ ثلاثينَ))[١].

وعن قيس بن طلق عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: ((إنَّ الله عزّ وجلَّ جعلَ الأهِلَّةَ مَوَاقِيت للنَّاسِ، صُومُوا لرُؤْيَتِهِ وأَفْطِرُوا لرُؤْيَتِه، فإنْ غُمَّ عَلَيْكُمْ أتِمُّوا العِدَّةَ))[٢].[٣]

ثالثًا - من آداب المدعو: الاقتداء بالنبي ﷺ بالدعاء بما ورد عنه من ادعية عند رؤية الهلال:

يستنبط ذلك من عموم الحديث حيث إن النبي ﷺ كان إذا رأى الهلال دعا بهذا الدعاء.

قال الطيبي: (قال التوربشتي: وفيه تنبيه أن الدعاء مستحب، لا سيما عند ظهور الآيات، وتقلب أحوال النيرات)[٤].

وقال سليم الهلال: (فيه استحباب قول هذا الدعاء عند رؤية الهلال من كل شهر)[٥].

وقد بوّب ابن حبان بابًا بعنوان: ذكر ما يقول المرء إذا رأى الهلال أول ما يراه، جاء فيه عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: ((كانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، إذَا رَأَى الْهِلالَ، قَالَ: اللَّهُمَّ أَهِلَّهُ عَلَيْنَا بالأمْنِ والإيمَان، والسَّلامَةِ والإسْلامِ، والتَّوْفيقُ لِمَا تُحِبُّ وَتَرْضَى، رَبُّنَا وَرَبُّكَ اللَّهُ))[٦].

وقد بوب أبو داود بابًا بعنوان: باب ما يقول الرجل إذا رأى الهلال، ورد فيه عن قتادة رضي الله عنه أنه بلغه أن نبي الله ﷺ كان إذا رأى الهلال قال: ((هِلَالٌ خَيْرٍ وَرُشْدٍ،

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ٤٢٣/١ رقم ١٥٧٩ وقال: حديث صحيح الإسناد على شرطهما.

(٢) أخرجه أحمد في مسند ٢٣/٤ رقم ١٦٢٩٤ وقال محققو المسند: حديث صحيح لغيره ١٨٢/٢٦.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٥٢٢/١.

(٤) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح ١٦٩/٥.

(٥) بهجة الناظرين شرح رياض الصالحين، سليم بن عيد الهلالي ٣٦٨/٢.

(٦) أخرجه ابن حبان في صحيحه رقم ٨٨٨ وقال شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح لغيره.

هِلاَلُ خَيْرٍ وَرُشْدٍ، هِلاَلُ خَيْرٍ وَرُشْدٍ، آمَنْتُ بِالَّذِي خَلَقَكَ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ يَقُولُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي ذَهَبَ بِشَهْرِ كَذَا وَجَاءَ بِشَهْرِ كَذَا))(١).

فيستحب للمدعو الاقتداء برسول الله ﷺ بالدعاء عند رؤية الهلال بما ورد عن رسول الله ﷺ من أدعية عند رؤيته ﷺ للهلال.

وذلك لأن المسلم ينبغي عليه أن يحرص على الاقتداء برسول الله ﷺ في كل شيء، قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾(٢) قال ابن كثير: أي: مهما أمركم به فافعلوه، ومهما نهاكم عنه فاجتنبوه، فإنه إنما يأمر بخير وإنما ينهى عن شر(٣).

وقال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ﴾(٤).

إن رسول الله ﷺ هو القدوة للأمة ومعلمها جميع شؤون دينها من عبادة وأذكار ودعاء وغيره، كما قال تعالى: ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾﴾(٥).

فينبغي الاقتداء به ﷺ في جميع أقواله وأفعاله وشمائله.

رابعًا - من موضوعات الدعوة: الأمن والسلامة والإيمان:

ويظهر ذلك في دعاء النبي ﷺ عند رؤيته الهلال: "اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان والسلامة والإسلام...".

قال الطيبي: لما قدم في الدعاء قوله: "الأمن، والإيمان، والسلامة، والإسلام" طلب

---

(١) أخرجه أبو داود ٥٠٩٢، وضعفه الألباني (ضعيف سنن أبي داود ١٠٨٩).

(٢) سورة الحشر، آية: ٧.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٦٧/٨.

(٤) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

(٥) سورة البقرة، الآيتان: ١٥١، ١٥٢.

في كل من الفقرتين دفع ما يؤذيه من المضار، وجلب ما يرفقه من المنافع، وعبر بـ"الإيمان والإسلام" عنها دلالة على أن نعمة الإيمان شاملة للنعم كلها، ومحتوية للنعم كلها، ومحتوية على المنافع بأسرها؛ فدل هذا على عظم شأن الهلال حيث جعله وسيلة لهذا المطلوب "[١]. فإن الأمن والسلامة من نعم الله التي يجب شكرها ودعاء الله بأن تبقى وتجدد وهذه النعم تتحقق وتستقر بالإيمان بالله عز وجل ورسوله ﷺ.

قال د. يوسف القرضاوي: الإيمان مصدر الأمان: فالناس يخافون من أشياء كثيرة، وأمور شتى، ولكن المؤمن سد أبواب الخوف كلها، لم يعد يخاف إلا الله وحده، يخافه أن يكون فرّط في حقه، أو اعتدى على خلقه، أما الناس فلا يخافهم؛ لأنهم لا يملكون له ضرًا ولا نفعًا ولا موتًا ولا حياة ولا نشورًا.

دعا أبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام إلى توحيد الله، وتحطيم الأصنام، فخوفه قومه من آلهتهم التي دعا إلى نبذها، فقال إبراهيم متعجبًا: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[٢].

وقد عقب الله على ذلك حاكمًا بين الفريقين فقال: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾[٣].

وفسر النبي ﷺ الظلم في هذه الآية بالشرك ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[٤] فبين لنا أن الإيمان والتوحيد هما أعظم أسباب الأمن والطمأنينة، وبالتالي يكون الجحود بالله أو الشك فيه، أو الشرك بالله أعظم أسباب الخوف والاضطراب والرعب. وصدق

---

(١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح ١٦٩/٥.

(٢) سورة الأنعام، آية: ٨١.

(٣) سورة الأنعام، آية: ٨٢.

(٤) سورة لقمان، آية: ١٣.

الله إذ قال: ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَـٰنًا﴾[1][2].

فبنظرة عامة إلى الأمن والسلامة نجد أنهما مرتبطان بالإيمان بالله وأداء حقوقه، وتنفيذ شرعه ونظامه، بما فيه من حفظ حقوق الآخرين وعدم الاعتداء عليهم.

وإذا تحقق الأمن والسلامة بوجود الإيمان كان ذلك من أكبر النعم التي ينبغي أن يشعر بها المسلم وأن يتوجه إلى الله بالدعاء إلى حفظها.

خامسًا - من أهداف الدعوة: إخلاص العبودية لله وحده:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: "ربي وربك الله".

قال ابن علان: (أي: كلانا مربوبان له، نافذ فينا أمره، لدفع توهم أن الهلال بذاته له إحداث نفع أو ضر، بل هو تحت الأقدار كغيره من المكونات)[3].

إن إخلاص العبودية لله وحده حق له تعالى على عباده، وهذا ما بينه رسول الله ﷺ في الحديث الذي رواه معاذ بن جبل رضي الله عنه حيث قال: ((بَينا أنا رَديفُ النبيِّ ﷺ ليس بيني وبينَه إلا آخِرَة الرَّحْل فقال: يا معاذ، قلت: لبَّيكَ رسولَ اللّه وسَعدَيك. ثم سار ساعةً ثم قال: يا معاذُ، قلت: لبَّيكَ رسولَ اللّه وسعدَيك. ثم سار ساعةً ثم قال: يا معاذ، قلت لبَّيك رسولَ اللّه وسعدَيك. قال: هل تَدري ما حقُّ اللّهِ على عبادِهِ؟ قلت: اللّهُ ورسوله أعلم. قال: حق اللّه على عباده أَن يَعبُدوهُ ولا يُشركوا به شيئًا. ثم سار ساعةً ثم قال: يا مُعاذُ بن جَبَل. قلت: لبَّيك رسولَ اللّه وسَعدَيك. فقال: هل تَدري ما حقُّ العبادِ على اللّه إذا فعلوه؟ قلتُ: اللّهُ ورسولهُ أعلم. قال: حقُّ العبادِ على اللّه أن لا يُعذِّبهم))[4].

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٥١.

(٢) الإيمان والحياة، ص ١٥٧-١٥٨.

(٣) دليل الفالحين ١٣٥٩.

(٤) أخرجه البخاري ٥٩٦٧، ومسلم ٣٠.

وقد بيّن له الرسول ﷺ أن حق الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا: كلمة جامعة لم تترك من الدِّين صغيرة ولا كبيرة. فعبادته الخضوع له والتذلل. وذلك بطاعته فيما أمر ونهى فنؤمن برسوله ونصدق بكتابه، ونقيم الصلاة ونؤتي الزكاة، ونهذب نفوسنا ونصح أجسامنًا بالصيام، ونحج البيت الحرام ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً، ونحسن عشرة الناس، ونصدق في معاملتهم، ونخالقهم بخلق حسن، ونقف عند ما شرع الله، لا نتعدّى حدوده. ولا نتجاوز رسومه، ونجانب كل ما نهى عنه من الخبائث مماهو اعتداء على النفس، أو المال أو العرض أو إضرار بالخلق. وأساس ذلك علم بكتاب الله، وبما احتواه، وهذا بتلاوته وتدبره ودراسته وتفهمه. أما توحيده وعدم الإشراك به فأن نعتقد أنه وحده صاحب الخلق والأمر. وأن من دونه لا يملك ضرًا ولا نفعًا إلا ما شاء الله سواء أكان ملكًا مقربًا؛ أو نبيًا مرسلاً، أو وليًا عابدًا؛ ومن توحيده أن تكون الأعمال خالصة لوجهه؛ لا يشوبها خداع ولا رياء ولا تدليس ونفاق، وألا ندعوا معه غيره، أو نقدم إلى غيره القرابين أو نسوق النذور، أو نتخذه وسيلة إليه؛ فإن كل ذلك شرك ينافي مقام التوحيد، ثم سأل رسول الله ﷺ معاذًا عن حق العباد على الله، وما وعدهم به؛ وكتبه لهم على نفسه؛ إذا هم عبدوه حق عبادته وأخلصوا له الدين، وأسلموا الوجوه، وعمروا القلوب بتوحيده، وطهروها من دنس الإشراك. فقال له مثل مقالته الأولى: الله ورسوله أعلم، فقال له الرسول ﷺ: حق العباد على الله ألا يعذبهم. وكيف يعذب من توفر على طاعته، وكان عبده السميع، تقرع أذنه آيُ الوحي فإذا به قد مثلها في عمله، وأظهرها في خلقه، ويسمع هدي الرسول ﷺ فإذا به قد اتخذه إمامًا وقدوة: وهاديًا وأسوة؛ كيف يعذب ذا النفس العالية، الطاهرة النقية، التي لا يرى فيها إلا بياض التوحيد ونوره، ليس بها نكتة من دنس أو شرك، بل كيف لا يسبغ نعمته، ويدخل جنته عباده المقربين، وجنده المخلصين، وهو البر الرحيم؛ وأكرم الأكرمين ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾[1])[2].

---

(١) سورة النازعات، الآيتان: ٤٠، ٤١.

(٢) الأدب النبوي، محمد عبدالعزيز الخولي، ص ١٨٤-١٨٥.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً: التربية بالأحداث:

رأى الصحابي الجليل طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه النبي ﷺ يدعو عند رؤيته هلال شهر جديد، أو أخبر طلحة من رأى النبي ﷺ يفعل ذلك، والهلال حدث يحدث في الشهر مرة واحدة، وفي السنة اثنتي عشرة مرة، فكان هذا -فيما نرى- من قبيل التربية بالحدث، وفي ذلك إرشاد لأهل التربية أن يفيدوا من الأحداث ويستثمروها في التربية، لأن لها ثمارًا طيبة تفوق ثمار التربية بالأقوال في كثير من الأحيان (فمن السهل أن نحدث الناس كثيرًا عن معانٍ عدة، وأن ننظّر لجوانب متعددة، لكن ذلك وإن أثّر فإن أثره يبقى باهتًا محدودًا.

أما النبي ﷺ فمع توجيهه لأصحابه في كل موطن إلا أن تربيته كانت تتم من خلال الأحداث، فكان يضع الناس في الموقع والميدان ويأتي التوجيه حينها فمن ذلك:

أ - يشكو إليه الحال أبوبكر رضي الله عنه وهما في الغار، فيقول ﷺ: ((ما ظنُّكَ باثنينِ اللّهُ ثالثهما))(١).

ب - ويسأله رجل في الميدان والمعركة: أرأيت إن قُتِلْتُ؟ فيجيبه إجابة تصل إلى شغاف قلبه فيتقدم حتى يستشهد، فعن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما، قال: ((قال رجلٌ للنبيِّ ﷺ يومَ أُحد: «أرأيتَ إن قُتِلْتُ فأينَ أنا؟ قال: في الجنة. فألقى تمراتٍ في يدِهِ، ثمَّ قاتلَ حتى قُتِل))(٢).

ج - ويوصي عليًا رضي الله عنه بالدعوة ويذكره بفضلها وذلك حين بعثه داعيًا إلى الله مجاهدًا في سبيله، فعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ يوم خيبر: ((لأُعطِيَنَّ الرايةَ غدًا رجلاً يَفتحُ اللّهُ على يديهِ يُحِبُّ اللّهَ ورسوله ويُحبُّه اللّهُ ورسولهُ. فباتَ الناسُ لَيلَتَهم أيهم يعطى، فغَدَوا كلُّهم يَرجوه، فقال: أين عليٌّ؟ فقيل: يَشتَكي عينيهِ، فبصَقَ

(١) متفق عليه من حديث ابي بكر رضي الله عنه، أخرجه البخاري ٣٦٥٣، ومسلم ٢٣٨١.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري ٤٠٤٦، ومسلم ١٨٩٩.

في عَينيهِ ودَعا لهُ فبَراً كأنْ لم يكن بهِ وجَعٌ، فأعطاهُ، فقال: أُقاتلُهم حتّى يَكونوا مِثلَنا، فقال: انفُذ على رِسْلكَ حتّى تنزِلَ بساحتِهم، ثمَّ ادعُهم إلى الإسلام، وأخبِرْهم بما يَجبُ عليهم، فو اللهِ لأنْ يَهديَ اللهُ بكَ رجُلاً خَيرٌ لكَ من أن يكونَ لكَ حُمْرُ النَّعَم))[1].

أترى أن تلك التوجيهات لو تلقاها أصحابه وهم جالسون قاعدون في بيوتهم ستترك أثرها؟

إن مثل هذه التربية هي التي خرجت الجيل الجاد العملي الذي لم يتربَّ على مجرد التوجيه الجاف البارد، وإنما كان يعيش العلم والعمل معًا)[2].

ثانيًا: سؤال الله خير ما عند المخلوقات والاستعاذة من شرها:

لما رأى النبي ﷺ الهلال دعا الله فقال: "اللهم أهلّه علينا بالأمن والإيمان والسلامة والإسلام".

لقد سأل النبي ﷺ الله أن يكون الشهر الذي أوله الهلال شهرًا يشعرون فيه بالأمن لا يعانون من الخوف والقلق والاضطراب، وأن يأتوا فيه من الأعمال الصالحة ما يُزيد الإيمان ويُغليه، وأن يسلموا من الآفات والأضرار فتسلم لهم أبدانهم وصحتهم وأموالهم وأولادهم وأهلوهم. والمقصود أن النبي ﷺ سأل معظم الخير أو كله كل شهر، وهذا يلزم عنه أنه سأله طوال العام، وهذا بدوره يدل على أنه سأله طول العمر.

إن الهلال علامة للشهر، والشهر وقت للأحداث والأفعال، فإذا سأل النبي ﷺ أن يُهل الهلال بالخير، فمعنى ذلك أنه سأل أن تكون الأعمال والأوقات والأفعال والأزمان طيبة يملؤها الخير والصلاح.

ولنذكر حديثًا وجّه النبي ﷺ إلى مثل هذا التوجه، فقال: ((إِذَا تَزَوَّجَ أَحَدُكُمْ امْرَأَةً أَوْ اشْتَرَى خَادِمًا فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَهَا وَخَيْرَ مَا جَبَلْتَهَا عَلَيْهِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا وَمِنْ شَرِّ مَا جَبَلْتَهَا عَلَيْهِ، وَإِذَا اشْتَرَى بَعِيرًا فَلْيَأْخُذْ بِذِرْوَةِ سَنَامِهِ وَلْيَقُلْ مِثْلَ ذَلِكَ))[3].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري ٣٠٠٩، ومسلم ٢٤٠٦.

(٢) معالم في المنهج التربوي النبوي، محمد عبدالله الدويش، مجلة البيان، العدد ١٢٥، ص ٣٣-٣٤.

(٣) أخرجه أبو داود ٢١٦٠، وابن ماجه ٢٢٥٢ من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، وصححه النووي في الأذكار، ص ٣١٧ الحديث ٧٢١.

وبناء على ذلك فإن على المربين أن ينشئوا الناشئة وغيرهم على هذا الدعاء وذلك السؤال لله رب العالمين، لأن في ذلك عدة فوائد تربوية مهمة، منها:

أ - تعويدهم على الالتجاء إلى الله والوقوف ببابه خاضعين خاشعين سائلين الخير والنفع، فهو على كل شيء قدير بيده الخير، والشر ليس إليه.

ب - إرشادهم إلى أنهم ما داموا يسألون خير ما في المخلوقات والموجودات، إرشادهم أنفسهم إلى أن يكونوا هم مصدر خير ومنبع نفع للناس والخلق والمخلوقات؛ فإن من سأل الخير عليه أن يكون أول الفاعلين له المتلبسين به.

ج - تربيتهم تربية جمالية تجعلهم يرون الجمال الحقيقي في صنع الله الذي أحسن كل شيء صنعًا، ومن ثم يدفعهم هذا إلى أن يحافظوا على هذا الجمال ويعملوا على زيادته ما دام الأمر في حدود الشرع وضوابطه.

وهكذا فإن الإنسان لا يعيش بمفرده في هذا الكون الفسيح، وإنما يعيش معه ما لا يحصى من الكائنات والمخلوقات، وهو يتأثر ببعضها ويؤثر فيها، فعليه إن أراد سكينة وهدوءًا وأمنًا وطمأنينة أن يتوجه إلى الله ويسأله خير ما عند هذه المخلوقات وأن يجنبه شر ما فيها، وهذا يكون للمربي وأتباعه ممن يقوم على تربيتهم على حد سواء.

ثالثًا: التربية على أن كل ما في الكون خاضع لله رب العالمين:

لقد خاطب النبي ﷺ الهلال لما رآه في السماء قائلاً: "ربي وربك الله" فأعلن ﷺ في هذا المقام عبوديته لله رب العالمين، وقدّم ذلك ثم ثنى بأن أثبت عبودية الهلال لله رب العالمين، فهو خلق من خلقه، يسير بأمر الله، والسؤال هنا: لماذا وجّه النبي ﷺ الخطاب للهلال مع إثبات العبودية؟ لعل في الجواب عن ذلك يتضمن بعض الفوائد التربوية:

أ - إعلان الخضوع لله رب العالمين، وأنه النافع الضار، فلا ينفع ولا يضر الهلال إلا بأمر من الله، وفي هذا تجريد للتوحيد وتربية للناشئة على إخلاص التوحيد لله رب العالمين، فلا يتوجهون إلا إليه فلا يتوجهون إلى شجر أو حجر أو نجم أو شمس أو قمر، لأن كل ذلك مخلوقات لله خاضعة لله عابدة له.

ب - الاعتزاز بالعبودية لله رب العالمين والعمل على تحقيقها بكل طريق ممكن في كل وقت وفي كل مكان وفي كل نفس يخرج من الإنسان، فإذا كان الهلال عابدًا

لله جبلة واضطرارًا ، فإن الإنسان عليه أن يحقق العبودية اختيارًا ، حتى يكون متسقًا مع الكون الذي أعلن العبودية لله فلا يخرج عن هذا بل ينتظم في هذا الشرف وهذا العز عز العبودية لله رب العالمين.

وعلى ذلك يجب تربية الناشئة وغيرهم على أن كل ما في الكون خاضع لله رب العالمين، حتى يخضعوا هم أنفسهم ويحققوا العبودية الخالصة.

رابعًا: التربية على التفاؤل:

لقد ختم النبي ﷺ حديثه بقوله: "هلال رشد وخير" فقد ختم النبي ﷺ الحديث بهذه الجملة التي تحمل روح التفاؤل: أن يكون هلال هذا الشهر فيه الرشد والخير، فبعد أن دعا عز وجل وأعلن عبوديته وعبودية الهلال لله تعالى، تفاءل بأن يكون في هذا الشهر الخير والرشد ، وفي هذا إرشاد للمربين أن يكونوا متفائلين وأن يغرسوا في نفوس من يربونهم روح التفاؤل، لما لذلك من آثار إيجابية جدًا في حياتهم، (فإن مما يبعث الهمة ويدعو إلى إطراح الكسل وإلى الإقبال على الجدّ والعمل التفاؤل.

فإذا عمل المرء ما في وسعه، واستنفذ جهده وطاقته، فليثق بأن ربه لن يخذله، ولن يضيع عمله، وليحذر من اليأس والقنوط والتشاؤم، فإنها من أشد المثبطات وأكبر المعوقات وهذا المذهب المهين، وهو اليأس والقنوط والتشاؤم، لا يعرفه الإسلام، ولا يرتضيه لأهله، بل يحذر منه أشد التحذير، ويبيّن أن النجاح مأمول، وأن مع العسر يسرًا ، ثم إن المتفائل واسع النظرة فسيح الصدر عالي الهمة ، موفور النشاط، بخلاف المتشائم فهو فاتر الهمة ، ثقيل الظل متبلد كسول لا تحدوه غاية ولا يدفعه هدف، بل يعيش في عالم الأحلام والأوهام والخيال، ويشعر دائمًا بالخيبة والخذلان، ويسيء ظنه بالآخرين، ولا ينظر إليهم إلا بعين الشك والريبة ، فهو مغلق النفس ضيق الصدر يتقد حسدًا ويحترق غيرة وكمدًا ، لعجزه عن الرقي في المكارم، ولقلة بحثه عن العوامل التي سببت له هذا المزاج الأسود ، ولقلة سعيه في علاج ذلك المرض العضال، الذي قعد به وحط من قدره ، فعاش على هامش الحياة صغير الشأن خامل الذكر)[1].

❁ ❁ ❁

---

(١) الهمة العالية ٢١١ ومصدره.

٢٢١- باب فضل السحور وتأخيره ما لَمْ يخش طلوع الفجر

الحديث رقم (١٢٣١)

١٢٣١ - عن أنس رضي الله عنه ، قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ : ((تَسَحَّرُوا؛ فَإنَّ فِي السُّحُورِ بَرَكَةً)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

الشرح الأدبي

يتكون الحديث من أربع كلمات في غاية البلاغة، وقد بدأه الرسول الكريم بالفعل الطلبى: " تسحروا " وأسنده إلى واو الجماعة لأهميته بالنسبة للجميع، وتشديد الحاء في الفعل نفسه يوحى بأهمية تكرار السحور في كل الليالي التي ينوى فيها المؤمن صيام نهارها. وقوله (فإن في السحور بركة) تعليل للأمر السابق، وترغيب فيه، وقد أكد النبي ﷺ مضمون الجملة بإن واسمية الجملة، وكلمة: " بركة " كلمة موحية، وفيها حث ضمني على التسحر، والإقبال علية؛ لأنه لا يوجد مؤمن إلا ، ويجب أن يكون طعامه مباركاً، وصيامه، وعمله كذلك، والبركة شيء خفي لا يرى ولكنه الذي يرى منها آثارها، ولن يذوق المؤمن طعمها إلا إذا عمل بما دله عليه رسول الله ﷺ ، وأيقن به.

فقه الحديث

قال النووي: (أجمع العلماء على استحباب السحور وأنه ليس بواجب)[2] وقال ابن

---

(١) أخرجه البخاري (١٩٢٣)، ومسلم (١٠٩٥/٤٥) ولفظهما سواء. أورده المنذري في ترغيبه (١٥٧٤).

(٢) شرح صحيح مسلم ١٧٩/٧/٤ .

قدامة: (واستحباب السحور لا نعلم فيه بين العلماء خلافًا)[١].

وقال النووي: (قال ابن المنذر في "الإشراف": أجمعت الأمة على أن السحور مندوب إليه، مستحبٌ لا إثم على من تركه)[٢].

المضامين الدعوية[٣]

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل السحور.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: تأخير السحور.

ثالثًا: من آداب الداعية: استغراق العبادة للأوقات.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: مخالفة المسلمين لأهل الكتاب.

أولاً- من موضوعات الدعوة: فضل السحور:

هذا واضح من الأحاديث وقد جاء في الموسوعة الفقهية: "السحور سنة للصائم وقد نقل ابن المنذر الإجماع على كونه مندوبًا، لما روى أنس ﵁ أن النبي ﷺ قال: ((تَسَحَّرُوا فَإِنَّ فِي السُّحُورِ بَرَكَةً))[٤]. وعن عمرو بن العاص ﵁ عن النبي ﷺ أنه قال: ((فَصْلُ مَا بَيْنَ صِيَامِنَا وَصِيَامِ أَهْلِ الْكِتَابِ، أَكْلَةُ السَّحَرِ))[٥]، ولأنه يستعان به على صيام النهار وإليه أشار النبي ﷺ في الندب إلى السحور فقال: ((اسْتَعِينُوا بِطَعَامِ السَّحَرِ عَلَى صِيَامِ النَّهَارِ. وَبِالْقَيْلُولَةِ عَلَى قِيَامِ اللَّيْلِ))[٦].

وكل ما حصل من أكل أو شرب حصل به فضيلة السحور؛ لحديث عمرو بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ: ((فَصْلُ مَا بَيْنَ صِيَامِنَا وَصِيَامِ أَهْلِ الْكِتَابِ، أَكْلَةُ

---

(١) المغني ٤/٤٣٢ .

(٢) المجموع ٦/٢٦٢ .

(٣) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -١٢٣١- مع المضامين الدعوية للحديث رقم ١٢٣٢، ١٢٣٣، ١٢٣٤.

(٤) أخرجه البخاري ١٩٢٣، ومسلم ١٠٩٥.

(٥) أخرجه مسلم ١٠٩٦.

(٦) أخرجه ابن ماجه ١٦٩٣، وضعّفه الألباني (ضعيف سنن ابن ماجه ٣٧٣).

السَّحَرِ))[١]، وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((السَّحُورُ أَكْلَهُ بَرِكَةٌ فلا تَدَعُوهُ ولَوْ أَنْ يَجْرَعَ أَحَدُكُمْ جُرْعَةً مِنْ مَاءٍ، فإنّ الله - عَزَّ وجلَّ - وملائِكَتَهُ يُصلُّونَ على المُتَسَحِّرِينَ))[٢] وروى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((نِعْمَ سَحُورُ المُؤْمِنِ التَّمْرُ))[٣])[٤] وبيّن ابن حجر أوجه البركة في السحور فقال: (إن البركة تحصل بجهات متعددة، وهي اتباع السنة، ومخالفة أهل الكتاب، والتقوي به على العبادة والزيادة في النشاط ومدافعة سوء الخلق الذي يثيره الجوع والتسبب بالصدقة على من يسأل إذ ذاك أو يجتمع معه على الأكل، والتسبب للذكر والدعاء وقت مظنة الإجابة وتدارك نية الصوم لمن أغفلها قبل أن ينام. قال ابن دقيق العيد[٥]: هذه البركة يجوز أن تعود إلى الأمور الأخروية فإن إقامة السنة يوجب الأجر وزيادته، ويحتمل أن تعود إلى الأمور الدنيوية كقوة البدن على الصوم وتيسيره من غير إضرار بالصائم. قال: ومما يعلل به استحباب السحور، المخالفة لأهل الكتاب لأنه ممتنع عندهم، وهذا أحد الوجوه المقتضية للزيادة في الأجور الأخروية)[٦].

وقال ابن عثيمين: (السحور حث عليه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله وأيده بفعله... وبيّن أن في السحور بركة، فمن بركة السحور: امتثال أمر النبي صلى الله عليه وسلم، وامتثال أمر النبي صلى الله عليه وسلم كله خير، كله أجر وثواب. ومن بركته أنه معونة على العبادة فإنه يعين الإنسان على الصيام، فإذا تسحر كفاه هذا السحور إلى غروب الشمس، مع أنه في أيام الإفطار يأكل في أول النهار وفي وسط النهار وفي آخر النهار. ويشرب كثيرًا، فينزل الله البركة في السحور، يكفيه من قبل طلوع الفجر إلى غروب الشمس، ومن بركته أنه

---

(١) أخرجه مسلم ١٠٩٦.

(٢) أخرجه أحمد ١١٠٨٦/١٧ وقال محققو المسند: حديث صحيح.

(٣) أخرجه أبو داود ٢٣٤٥، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٢٠٥٥).

(٤) الموسوعة الفقهية ٢٧٠/٢٤.

(٥) إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، ابن دقيق العيد ٢١٣.

(٦) فتح الباري ١٤٠/٤، وانظر شرح صحيح مسلم ٢١٩/٧/٤.

يحصل به التفريق بين صيام المسلمين وصيام غير المسلمين؛ لأن أهل الكتاب يصومون من نصف الليل فيأكلون قبل منتصف الليل، لا يأكلون في السحر، أما المسلمون -ولله الحمد- فيأكلون في السحر في آخر الليل. والتمييز بين المسلمين والكفار أمر مطلوب في الشرع)[١].

وقال الشيخ عبدالله البسام: (البركة الحاصلة من السحور ما فيه من امتثال الأمر الشرعي، فطاعة الله تعالى هي امتثال أمره واجتناب نهيه. ومن بركته أن الأكل للتقوّي على الصيام، وطاعة الله تعالى وعبادته، ومن بركته أن السحور يعطي الصائم قوة لا يمل معها الصيام، بخلاف من لا يتسحر، فإنه يجد مشقة تثقل عليه الصيام والعبادة، ومن بركة السحور أنه يكون سببًا للانتباه من النوم في وقت السحر الذي هو وقت الاستغفار والدعاء، وفيه ينزل الرب جل وعلا إلى السماء الدنيا، ينادي عباده ليسألوه مطالبهم ورغباتهم.

ومن بركة السحور صلاة الفجر مع الجماعة وفي وقتها الفاضل، ولذا تجد المصلين في صلاة الفجر في رمضان أكثر منهم في غيره من الشهور، لأنهم قاموا من أجل السحور)[٢].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: تأخير السحور:

هذا واضح من حديث زيد بن ثابت: ((تسحَّرنا مَعَ رسولِ اللّهِ ﷺ قالَ: ثُمَّ قامَ إلى الصلاةِ، قلتُ: كَمْ كانَ بينَ الأذانِ وبينَ السحورِ؟ قالَ: قدرُ قراءةِ خمسينَ آيةً)).

قال النووي: (فيه الحث على تأخير السحور إلى قبيل الفجر)[٣]. وقال ابن دقيق العيد: (وفيه دليل استحباب تأخير السحور وتقريبه من الفجر، والظاهر أن المراد بالأذان هنا: الأذان الثاني، وإنما يستحب تأخيره، لأنه أقرب إلى حصول المقصود من حفظ

---

(١) شرح رياض الصالحين ١٤٠١/٢.

(٢) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ١٤٧/٣، وانظر: المفهم للقرطبي ١٥٥/٣.

(٣) شرح صحيح مسلم ٢٢٠/٧/٤ وانظر فتح الباري ١٣٨/٤، .

القُوَى، ولأرباب الباطن في هذا كلام تشوفوا فيه إلى اعتبار معنى الصوم وحكمته، وهو كسر شهوة البدن والفرج، وقالوا: إن من لم تتغير عليه عادته في مقدار أكله لا يحصل له المقصود من الصوم. وهو كسر الشهوتين، والصواب - إن شاء الله - أن ما زاد في المقدار حتى تعدم هذه الحكمة بالكلية لا يستحب، كعادة المترفين في التأنق في المآكل والمشارب وكثرة الاستعداد فيها، وما لا ينتهي إلى ذلك فهو مستحب على وجه الإطلاق)[1].

وقال ابن حجر: (قال ابن أبي جمرة: كان ﷺ ينظر ما هو الأرفق بأمته فيفعله لأنه لو لم يتسحر لاتبعوه فيشق على بعضهم، ولو تسحر في جوف الليل لشق أيضًا على بعضهم ممن يغلب عليه النوم، فقد يفضي إلى ترك الصبح أو يحتاج إلى المجاهدة بالسهر. وقال: فيه أيضًا تقوية على الصيام لعموم الاحتياج إلى الطعام، ولو ترك لشق على بعضهم ولا سيما من كان صفراويًا، فقد يغشى عليه فيفضي إلى الإفطار في رمضان)[2].

وقال ابن عثيمين: (وينبغي أن يؤخر السحور إلى قبيل طلوع الفجر، ولا يتقدم، لأن النبي ﷺ قال: ((لاَ يَزَالُ النَّاسُ بِخَيْرٍ مَا عَجَّلُوا الْفِطْرَ وأَخَّرُوا السَّحُورَ))[3]. وقد بين زيد بن ثابت رضي الله عنه حينما ذكر أنه تسحر مع النبي ﷺ ثم قاموا إلى الصلاة، ولم يكن بينهما إلا قدر خمسين آية، خمسون آية من عشر دقائق إلى ربع ساعة، إذا قرأ الإنسان قراءة مرتلة - أو دون ذلك - وهذا يدل على أن الرسول ﷺ يؤخر السحور تأخيرًا بالغًا، وعلى أنه يقدم صلاة الفجر ولا يتأخر)[4].

وجاء في الموسوعة الفقهية: (ذهب جمهور الفقهاء إلى أن وقت السحور ما بين نصف الليل الأخير إلى طلوع الفجر. ويسن تأخير السحور عند جمهور الفقهاء ما لم يخش طلوع

---

(١) إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، ابن دقيق العيد ، ص ٢١٣.

(٢) فتح الباري ١٣٨/٤، .

(٣) أخرجه أحمد ١٧٢/٥ ، رقم ٢١٥٠٧/٣٥ من حديث أبي ذر رضي الله عنه وضعفه محققو المسند ٣٩٩/٣٥.

(٤) شرح رياض الصالحين ١٤٠٢/٢.

الفجر الثاني لقوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾[1] والمراد بالفجر في الآية: الفجر الثاني. لقول النبي ﷺ ((لا يَمْنَعْكُمْ من سُحورِكم أَذانُ بلالٍ ولا الفَجْرُ المُستَطِيلُ، ولكِن الفَجْرُ المُستَطِيرُ في الأفق))[2]، ولقوله ﷺ: ((لاَ تَزَالُ أُمَّتِي بِخَيْرٍ مَا أَخَّرُوا السَّحُورَ، وَعَجَّلُوا الْفِطْرَ))[3] ولأن المقصود بالسحور التقوي على الصوم، وما كان أقرب إلى الفجر كان أعون على الصوم)[4].

ثالثًا - من آداب الداعية: استغراق العبادة للأوقات:

هذا يفهم من قول زيد بن ثابت رضي الله عنه جوابًا على سؤال: كم كان بين الأذان والسحور؟ قال: قدر خمسين آية، قال ابن حجر: (قال المهلب وغيره: فيه تقدير الأوقات بأعمال البدن، وكانت العرب تقدر الأوقات بالأعمال كقولهم: قدر حلب شاة، وقدر نحر جزور، فعدل زيد بن ثابت عن ذلك إلى التقدير بالقراءة، إشارة إلى أن ذلك الوقت كان وقت العبادة بالتلاوة. ولو كانوا يقدرون بغير العمل لقال مثلاً: قدر درجة أو ثلث أو خُمْس ساعة. وقال ابن أبي جمرة: فيه إشارة إلى أن أوقاتهم كانت مستغرقة بالعبادة)[5].

ومن ذلك ما رواه ابن عباس رضي الله عنهما عن أم المؤمنين جويرية رضي الله عنها ((أَنَّ النَّبِيَّ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهَا بُكْرَةً حِينَ صَلَّىٰ الصُّبْحَ، وَهِيَ فِي مَسْجِدِهَا. ثُمَّ رَجَعَ بَعْدَ أَنْ أَضْحَىٰ، وَهِيَ جَالِسَةٌ. فَقَالَ: مَا زِلْتِ عَلَىٰ الْحَالِ الَّتِي فَارَقْتُكِ عَلَيْهَا؟ قَالَتْ: نَعَمْ. قَالَ النَّبِيُّ: لَقَدْ قُلْتُ بَعْدَكِ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ، ثَلاَثَ مَرَّاتٍ. لَوْ وُزِنَتْ بِمَا قُلْتِ مُنْذُ الْيَوْمِ لَوَزَنَتْهُنَّ: سُبْحَانَ اللّهِ وَبِحَمْدِهِ، عَدَدَ خَلْقِهِ وَرِضَا نَفْسِهِ وَزِنَةَ عَرْشِهِ وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ))[6].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٨٣.

(٢) أخرجه مسلم ١٠٩٤.

(٣) أخرجه أحمد ١٧٢/٥، رقم ٢١٥٠٧، وضعفه محققو المسند ٣٩٩/٣٥.

(٤) الموسوعة الفقهية ٢٤/٢٧٠-٢٧١.

(٥) فتح الباري ١٣٨/٤.

(٦) أخرجه مسلم ٢٧٨٦.

وقد قال الله تعالى عن أولي الألباب: ﴿ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾[1].

قال الطاهر بن عاشور: ("ويذكرون الله" إما من الذكر اللساني وإما من الذكر القلبي، وهو التفكير، وأراد بقوله "قيامًا وقعودًا وعلى جنوبهم" عموم الأحوال أي الشغل والراحة وقصد النوم، وقيل أراد أحوال المصلين: من قادر وعاجز وشديد العجز، وسياق الآية بعيد عن هذا المعنى. وقوله "يتفكرون في خلق السموات والأرض" عطف مرادف إن كان المراد بالذكر فيما سبق التفكير، وإعادته لأجل اختلاف المتفكر فيه، أو هو عطف مغاير إذا كان المراد من قوله "يذكرون" ذكر اللسان. والتفكير عبادة عظيمة. وروى ابن القاسم عن مالك في "جامع العتيبة" قيل لأم الدرداء: ما كان شأن أبي الدرداء؟ قالت: كان أكثر شأنه التفكير، قيل له: أترى التفكير عملاً من الأعمال؟ قال: نعم هو اليقين... ويجوز عندي أن يكون قوله "ربنا ما خلقت هذا باطلاً" حكاية لتفكرهم في نفوسهم، فهو كلام النفس يشترك فيه جميع المتفكرين لاستوائهم في صحة التفكر، لأنه تنقل من معنى إلى متفرع عنه. وقد استوى أولو الألباب المتحدث عنهم هنا في إدراك هذه المعاني، فأول التفكير انتهج لهم أن المخلوقات لم تخلق باطلاً، ثم تفرع عنه تنزيه الله وسؤاله أن يقيهم عذاب النار، لأنهم رأوا في المخلوقات طائعًا وعاصيًا، فعلموا أن وراء هذا العالم ثوابًا وعقابًا، فاستعاذوا أن يكونوا ممن حقت عليه كلمة العذاب وتوسلوا إلى ذلك بأنهم بذلوا غاية مقدروهم في طلب النجاة إذ استجابوا إلى منادي الإيمان، وهو الرسول عليه الصلاة والسلام، وسألوا غفران الذنوب وتكفير السيئات والموت على البر إلى آخره ... فلا يكاد أحد من أولي الألباب يخلو من هذه التفكرات وربما زاد عليها، ولما نزلت هذه الآية وشاعت بينهم، اهتدى لهذا التفكير من لم يكن انتبه له من قبل، فصار شائعًا بين المسلمين بمعانيه وألفاظه)[2].

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٩١.

(٢) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور ٤/١٩٦-١٩٧.

رابعًا- من موضوعات الدعوة: مخالفة المسلمين لأهل الكتاب:

هذا واضحٌ في حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "فصل ما بين صيامنا وصيام أهل الكتاب أكلة السحر" قال ابن عثيمين: (يعني السحور، لأن أهل الكتاب يصومون من نصف الليل فيأكلون قبل منتصف الليل، لا يأكلون في السحر، أما المسلمون -والله الحمد- فيأكلون في السحر في آخر الليل، والتمييز بين المسلمين والكفار أمر مطلوب في الشرع)[1].

ومن هذا القبيل ما رواه ابن عباس رضي الله عنهما قال: حين صام رسول الله ﷺ يوم عاشوراء وأمر بصيامه قالوا: يا رسول الله إنه يوم تعظمه اليهود والنصارى، فقال رسول الله ﷺ فإذا كان العام المقبل إن شاء الله صمنا اليوم التاسع. قال: فلم يأتِ العام المقبل حتى توفي رسول الله ﷺ[2].

قال النووي: (قال بعض العلماء: ولعلّ السبب في صوم التاسع مع العاشر ألا يتشبه باليهود في إفراد العاشر وفي الحديث إشارة إلى هذا)[3].

وقد رُوي عن النبي قوله ﷺ: ((صُومُوا يومَ عَاشوراءَ، وخَالِفُوا فيهِ اليهودَ، صُومُوا يَوْمًا قَبْلَهُ أو يَوْمًا بَعْدَهُ))[4].

وقال ابن حجر: (وهذا كان في آخر الأمر، وقد كان النبي ﷺ يحب موافقة أهل الكتاب فيما لم يؤمر فيه بشيء، ولا سيما إذا كان فيما يخالف فيه أهل الأوثان، فلما فتحت مكة واشتهر أمر الإسلام أحبَّ مخالفة أهل الكتاب أيضًا كما ثبت في الصحيح، فهذا من ذلك)[5].

وقال الشيخ عبدالله البسام: (يريد الشارع أن لا يكون لنا مشابهة بالكفار لا في العبادات ولا في العادات، لكن إن تشبه المسلم بالكفار بعباداتهم، فهذا قد يؤدي إلى

---

(١) شرح رياض الصالحين ١٤٠١/٢.

(٢) أخرجه مسلم ١١٣٤.

(٣) شرح صحيح مسلم ١٤/٨/٤.

(٤) أخرجه أحمد ٢٤١/٤، رقم ٢١٥٤، وضعف إسناده محققو المسند ٥٢/٤.

(٥) فتح الباري ٢٤٥/٤-٢٤٦، .

الشرك والكفر. وإن كان في العادات باستحسان أفعالهم وعاداتهم، فهذا قد يؤول إلى التشبه بهم في الأمور الباطنة ويكون منه الهلاك)[1].

وقال ابن تيمية: (قد بعث الله محمدًا ﷺ بالحكمة التي هي سنته، وهي الشرعة والمنهاج الذي شرعه له، فكان من هذه الحكمة أن شرع له من الأعمال والأقوال ما يباين سبيل المغضوب عليهم والضالين، فأمر بمخالفتهم في الهدي الظاهر، وإن لم يظهر لكثير من الخلق في ذلك مفسدة لأمور:

منها: أن المشاركة في الهدي الظاهر تورث تناسبًا وتشاكلاً بين المتشابهين، يقود إلى موافقة ما في الأخلاق والأعمال، وهذا أمر محسوس؛ فإن اللابس ثياب أهل العلم يجد من نفسه نوع انضمام إليهم، واللابس لثياب الجند المقاتلة - مثلاً - يجد من نفسه نوع تخلق بأخلاقهم، ويصير طبعه متقاضيًا لذلك، إلا أن يمنعه مانع.

ومنها: أن المخالفة في الهدي الظاهر توجب مباينة ومفارقة توجب الانقطاع عن موجبات الغضب وأسباب الضلال، والانعطاف على أهل الهدى والرضوان، وتحقق ما قطع الله من الموالاة بين جنده المفلحين وأعدائه الخاسرين.

وكلما كان القلب أتمَّ حياة، وأعرف بالإسلام - الذي هو الإسلام، لست أعني مجرد التوسم به ظاهرًا، أو باطنًا بمجرد الاعتقادات من حيث الجملة - كان إحساسه بمفارقة اليهود والنصارى باطنًا وظاهرًا أتم، وبعده عن أخلاقهم الموجودة في بعض المسلمين أشد.

ومنها: أن مشاركتهم في الهدي الظاهر، توجب الاختلاط الظاهر، حتى يرتفع التميز ظاهرًا، بين المهديين المرضيين، وبين المغضوب عليهم والضالين، إلى غير ذلك من الأسباب الحكمية.

هذا إذا لم يكن ذلك الهدي الظاهر إلا مباحًا محضًا لو تجرد عن مشابهتهم، فأما إن كان من موجبات كفرهم؛ كان شعبة من شعب الكفر؛ فموافقتهم فيه موافقة في نوع معاصيهم، فهذا أصل ينبغي أن يتفطن له)[2].

---

(١) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ١٤٨/٣.

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم ٩٢/١-٩٣.

الحديث رقم (١٢٣٢)

١٢٣٢- وعن زيد بن ثابت ﵁ ، قَالَ: تَسَحَّرْنَا مَعَ رسولِ اللهِ ﷺ ، ثُمَّ قُمْنَا إِلَى الصَّلاَةِ. قِيلَ: كَمْ كَانَ بينهما؟ قَالَ: قَدْرُ[١] خَمْسين آيةً. متفقٌ عَلَيْهِ[٢].

ترجمة الراوي:

زيد بن ثابت: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١١٣٠).

الشرح الأدبي

الأحاديث السابقة قررت السحور بالفعل، والقول النبوي، و بينت فضل السحور، ورغبت فيه وهذا الحديث يبين الوقت الفاضل للسحور، وقول الراوي: " تسحرنا مع رسول الله .. ثم قمنا إلى الصلاة. .. " بدأ كلامه بالفعل الماضي الذي دل على سرعة استجابتهم للفعل الطلبى في الحديث السابق " تسحروا " ولفظ " "مع رسول الله " يدل على تواضع خاتم الرسل، وقربة من المحيطين به. وجاء العطف " ثم " للتدليل على أن المدة الزمنية الكائنة بين السحور، والصلاة كانت كبيرة، وتتسع لتناول السحور في ذلك الوقت المبارك الذي يتنزل الله فيه إلى السماء الدنيا، ويلح على خلقه في أن يستغفروه، ويدعوه، ويتوبوا إليه وحده لا شريك لله، فيقول: " هل من مستغفر فأغفر له، هل من داع فأستجيب له، هل من تائب فأتوب عليه ؟ و"نا " الفاعلين في الفعلين: " تسحرنا وقمنا " تدل على العبادة الجماعية التي قام بها أصحاب الرسول الكريم ﷺ كما تدل ألفاظ الحديث على حرصهم على الصلاة، والصيام.

فقه الحديث

قال النووي: (اتفق أصحابنا وغيرهم من العلماء على أن السحور سنة وأن تأخيره أفضل)[٣].

---

(١) لفظ مسلم: (كم كان قدر ما بينهما، قال: خمسين آية).

(٢) أخرجه البخاري (٥٧٥)، ومسلم (١٠٩٧/٤٧) واللفظ له.

(٣) المجموع ٢٦١/٦ .

وقال ابن قدامة: (قال أحمد: يعجبني تأخير السحور لحديث زيد بن ثابت ... ولأن المقصود بالسحور التقوّي على الصوم، وما كان أقرب إلى الفجر كان أعون على الصوم)[1].

المضامين الدعوية[2]

---

(١) المغني ٤/٤٣٣ .

(٢) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١٢٣٣)

١٢٣٣- وعن ابن عمر رضي الله عنهما، قَالَ: كَانَ لرسولِ الله ﷺ مُؤَذِّنَانِ: بِلَالٌ وَابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ، فَقَالَ رسول الله ﷺ: **((إنْ بِلالاً يُؤَذِّنُ بِلَيْلٍ، فَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يُؤَذِّنَ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ))** قَالَ: وَلَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمَا إِلاَّ أنْ يَنْزِلَ هَذَا وَيَرْقَى هَذَا. متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٣).

الشرح الأدبي

الحديث أسلوبه خبري خال من المؤكدات يبدأ بفعل الكينونة الدال على الاعتياد في الفعل في الغالب وقوله (مؤذنان) أسلوب توشيع يحقق التوكيد، والتشويق، وهو ذكر لفظ مثنى ثم تفصيله، وقوله (بِلَالٌ وَابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ) تفصيل له، والحديث يشير إلى صورة من صور تنظيم العادة مع العبادة للمحافظة على كليهما، وذلك حيث حدد الرسول الكريم مؤذنين، وأسند لكل واحد منهما مهمة تخصه، فالمؤذن الأول هو " بلال " والثاني هو " ابن أم مكتوم " ثم قال النبي ﷺ: " إن بلالا يؤذن بليل، فكلوا واشربوا حتى يؤذن ابن أم كلثوم " ويفهم من هذا الأمر أن الآذان الأول بصوت " بلال " للتنبيه وأن الأذان الثاني بصوت " ابن أم كلثوم " للإمساك عن كل المفطرات وهذا ما يسمى عند الفقهاء بالفجر الصادق، وهذا التصرف من خاتم الرسل عليه الصلاة، والسلام – يجمع بين متطلبات الجسد، والروح، وإقامة التوازن بين الدنيا والآخرة بلا رهبنة، ولا مادية فلا يطغى شيء على شيء، و لا حرج، ولا مشقة على مؤمن أو مؤمنة في ذلك.

فقه الحديث

قال النووي: (١ – فيه جواز الأذان للطلوع قبل الفجر.

---

(١) أخرجه البخاري (٦١٧)، ومسلم (١٠٩٢/٣٨) واللفظ له.

٢ - وفيه جواز الأكل والشرب والجماع وسائر الأشياء إلى طلوع الفجر.

٣ - وفيه جواز أذان الأعمى. قال أصحابنا: هو جائز فإن كان معه بصير كابن أم مكتوم مع بلال فلا كراهة فيه، وإن لم يكن معه بصير كره، للخوف من غلطه)[١].

٤ - وفيه استحباب أذانين للصبح: أحدهما قبل الفجر، والآخر بعد طلوعه أول الطلوع.

٥ - وفيه اعتماد صوت المؤذن. واستدلّ به مالك والمزني وسائر من يقبل شهادة الأعمى، وأجاب الجمهور عن هذا بأن الشهادة يشترط فيها العلم، ولا يحصل علم بالصوت لأن الأصوات تشتبه[٢] وأما الأذان ووقت الصلاة فيكفي فيها الظن.

٦ - وفيه دليل لجواز الأكل بعد النية ولا تفسد نية الصوم بالأكل بعدها، لأن النبي ﷺ أباح الأكل إلى طلوع الفجر، ومعلوم أن النية لا تجوز بعد طلوع الفجر، فدلّ على أنها سابقة وأن الأكل بعدها لا يضرّ. وهذا هو الصواب المشهور من مذهبنا ومذهب غيرنا. وقال بعض العلماء: متى أكل بعد النية أو جامع فسدت ووجب تجديدها وإلا فلا يصح صومه. وهذا غلط صريح.

٧ - وفيه استحباب السحور وتأخيره[٣].

٨ - وفيه اتخاذ مؤذنين للمسجد الكبير. قال أصحابنا: وإن دعت الحاجة جاز اتخاذ أكثر منهما كما اتخذ عثمان رضي الله عنه أربعة، وإن احتاج إلى زيادة على أربعة فالأصحّ اتخاذهم بحسب الحاجة والمصلحة)[٤].

المضامين الدعوية[٥]

---

(١) وانظر: حاشية ابن عابدين ٢٦١/١، ومواهب الجليل مع التاج والإكليل شرح مختصر خليل للحطاب، محمد بن يوسف المواق ٤٥١/١، وأسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا بن محمد بن أحمد الأنصاري ١٢٩/١، وكشاف القناع ٢٣٥/١ (عن الموسوعة الفقهية ٢٩٧/٣٠).

(٢) وانظر: حاشية الدسوقي ١٦٧/٤، وجواهر الإكليل ٢٣٣/٢، والمغني ١٧٨/١٤-١٨١ (عن الموسوعة الفقهية ٢٩٧/٣٠).

(٣) قال ابن دقيق العيد: (فيه دليل على استحباب تأخير السحور وتقريبه من الفجر، والظاهر أن المراد بالأذان هنا: الأذان الثاني. إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، ابن دقيق العيد ٢١٣/٢.

(٤) شرح صحيح مسلم ١٧٦/٧/٤-١٧٧، وانظر: فتح الباري ٩٩/٢-١٠١.

(٥) تم دمجها مع مضامين الحديث رقم (١٢٣١).

الحديث رقم (١٢٣٤)

١٢٣٤ - وعن عمرو بن العاص رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: ((فَصْلُ مَا بَيْنَ صِيَامِنَا وصِيَامِ أهْلِ الكِتَابِ، أكْلَةُ السَّحَرِ)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

عمرو بن العاص: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٣٥).

غريب الألفاظ:

فَصْلُ: فارِقٌ ومُمَيِّزٌ[2].

أكلة السحر: السحور وهي بفتح الهمزة، وهي عبارة عن المرة الواحدة من الأكل كالغدوة والعشوة وإن كثر المأكول فيها[3].

الشرح الأدبي

يوضح الرسول الكريم شيئاً من معالم هذه الأمة عن طريق " السحور " في رمضان بصفة خاصة فيقول عن طريق الأسلوب الخبري: " فصل ما بين صيامنا وصيام أهل الكتاب أكلة السحر " ورسول الله قد ركز على ما يفصل بين صيام المسلمين، وصيام غيرهم، ولم يذكر شيئاً عن الأشخاص، ولم يسب أحدا، ولم يعب على أحد؛ لأنه ليس لعاناً، ولا فحاشاً، ومن هنا نفهم أن النبي الكريم ﷺ كان موضوعياً في كلامه، ولم يجبر أحداً على دينه، وترك ذلك لله الذي خلق الجميع: "غير أنه حافظ على استقلالية الشخصية للأمة الإسلامية، في العادات، والمعاملات، والعبادات، ولفظ "أكلة" اسم مرة، ويوحى بأنها أكلة واحده، ولكنها مباركة، حيث حدثت في وقت مبارك هو "السحر" ثم إن التعبير باسم المرة ينبه أولئك المسرفين إلى عدم التمادي في

---

(١) برقم (٤٦/١٠٩٦). أورده المنذري في ترغيبه (١٥٧٥).

(٢) انظر: شرح صحيح مسلم ٦٨٨.

(٣) انظر: المرجع السابق ٦٨٨.

الأكل بين الإفطار، والسحور عدة مرات مما يسبب التثاقل عن العبادة، ويضيع على الإنسان خيرا لا حدود له في علمه، وغرض هذا السحور القوة التي تحقق التقوّي على الصيام، ولا تثقل عن القيام، أو عن صلاة الفجر.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث رقم (١٢٣١).

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- من أساليب التربية: تعليل الأحكام:

لقد رغب النبي ﷺ في السحور، وعلل ذلك بأنّ السُّحور بركة، ولذا يحرصُ المسلم على تحصيل البركة والتلبس بها ويسعى إلى أن تناله البركة التي أخبر النبي ﷺ عنها، إننا سنمتثل أمر النبي ﷺ وسنطيعه سواء عُلّل أم لم يُعَلّل، وسواء بين الحكمة أم لم يبينها، لأننا نعرف حق المعرفة ونتيقن حق اليقين أنه لا يأمرنا إلا بما فيه مصلحتنا، ولا ينهانا إلا عما فيه ضررُنا ومفسدتُنا، لكنه ﷺ علل الحكم وبين وجه المصلحة فيه، لكي يبين لمن يقوم بالدعوة والتربية والتوجيه، أنه كلما كان الحكم معللاً كان أنسب وأوقع عند المخاطبين، وأشد إقبالاً عليه وامتثالاً له، لأن أهل التوجيه لا يخاطبون عقولاً جامدة ولا نفوسًا خامدة، إنما يخاطبون من أكرمهم الله بالعقول المفكرة والأفهام المستنبطة، فإن أرد أهل التوجيه والتربية لإرشاداتهم وتوجيهاتهم قبولاً عندهم، فعليهم أن يبينوا المصالح والحكم من وراء هذه الإرشادات وتلك التوجيهات كلما اقتضى الموقف ذلك، لأن في ذلك عدة فوائد تربوية مهمة، منها:

أ - ترغيب الناشئة في زيادة الامتثال والاستجابة، فإنه لاشك أن هناك فرقًا بين امتثال أمر بدون معرفة المصلحة من ورائه، وبين امتثال أتى بعد معرفتها والعلم بها.

ب - تعميق الإيمان بجدوى هذه التربية وفائدتها، فإن الإنسان عندما يرى المصالح التي تترتب على الامتثال والاستجابة يزداد إيمانًا ويقينًا واقتناعًا ومن ثم يزداد في درجات الامتثال والتطبيق والتفعيل لأنه يفعل ذلك عن اقتناع عقلي واقتناع واقعي.

ج - تعويد الناشئة على الاستنباط والفهم فما دام الأمر يحقق مصلحة ما، فإذا كان هناك أمر آخر يحقق المصلحة نفسها فيلحق به في الحكم، وهذا لاشك أمر يحتاج إلى استنباط وفهم وتدقيق وفقه، وتعليل الأحكام من الطرق التي تُكَوِّن هذه الملكات المهمة للناشئة وغيرهم.

ثانيًا- المشاركة الحياتية:

لقد أخبر الصحابي الجليل زيد بن ثابت ﵁ أنه قد تسحر هو وجماعة من الصحابة الكرام رضوان الله عليهم، مع النبي ﷺ، أي أن النبي ﷺ كان يشارك أصحابه الطعام والشراب، وهذا من الصور العليا للمشاركة الحياتية، فقد تكون المشاركة بالكلام والجلوس واللقاء، لكن لا تبلغ الذروة والقمة إلا بتناول الطعام والشراب معًا، وهذا يدل على صدق المشاركة الحياتية بين النبي ﷺ وأصحابه الكرام، وما يلزم عن ذلك من شيوع روح الحب والمودة والألفة بين القائد ومن يقودهم وبين الرئيس ومرؤوسيه، وبين المرشد ومن يرشدهم، ونحو ذلك.

إننا نلاحظ في عالم اليوم أن العلاقة بين كثير من المديرين - على اختلاف درجاتهم ومراتبهم وأماكنهم - العلاقة بينهم وبين مرؤوسيهم أصبحت علاقة إصدار أوامر من جهة وتنفيذ هذه الأوامر من جهة أخرى، دون أن يصاحب ذلك كثير من الألفة والحميمية التي تنزع عن هذه العلاقة كثيرًا من الرسمية والتكلف والجمود دون أن تنزع عنها الاحترام والتقدير بين الطرفين. وشيوع هذه الظاهرة سببه - فيما نرى - قلة المشاركة الحياتية بين الطرفين بل في بعض الأحيان تكون منعدمة.

أما في هذا الحديث فقد اتضح جليًا كيف كان هناك معايشة حياتية بين النبي ﷺ -وهو أكرم الخلق- وبين أصحابه الكرام، لذا فلا عجب أن سارعوا إلى تنفيذ ما أمرهم به واجتناب ما نهاهم عنه.

إن المعايشة الحياتية بين المربي ومن يربيهم لها من الفوائد التربوية ما لها، من ذلك:

أ - إنها تربوية بالقدوة فعين الأتباع معلقة بالمربي تراقب ما يفعل لتفعل مثله، فالنفس تحب أن تحذو حذو مثل أعلى لها، وليس أمامها أفضل من المربي نفسه.

ب - الاطلاع على صدق المربي في تربيته، فإن المعايشة الحياتية تكشف عن مدى التزام المربي بما يدعو إليه ويعيش من أجله، فإن كان صادقًا لزمه الأتباع وأخذوا عنه، وإن كاذبًا انفضوا عنه وتركوه.

ج - تنفض المعايشة الحياتية ما يعلق بأذهان الأتباع من غلو في المربي في غير

مكانه، إنهم يرونه يأكل كما يأكلون ويشرب كما يشربون ويضحك كما يضحكون، ومن ثم تتصرف هممهم إلى الاقتداء به في الأفعال والصفات بدلاً من الاتجاه نحو الغلو فيه وإنزاله منزلةً لا تتناسب مع الطبيعة البشرية، ومن ثم يرون أن الطريق معبدٌ للاقتداء به، وليس وعرًا ولا صعبًا ولا شاقًا إذا صحت النوايا وصدقت العزائم.

ثالثًا- التربية على شغل الوقت بالعمل الصالح:

لقد سئل الصحابي الجليل عن مقدار الوقت بين التسحر مع النبي ﷺ والقيام إلى صلاة الصبح، فَبِمَ أجاب؟ أجاب بقوله: "قدر خمسين آية" فقدّر الوقت بطاعة من الطاعات بل من أفضل الطاعات، وكان المعتاد أن يقدر الوقت بمقاديره المعتادة من برهة وساعة وثلث الليل أو النهار ونحو ذلك، لكنه قدر بفعل طاعة من الطاعات، ويلاحظ على هذه الإجابة ما يلي:

أ- أنها إجابة معتادة لدى القائل والسامع مما يوحي بأنها معتادة لدى المجتمع في هذا الوقت، من الثقافة الشائعة فيه، بدليل أن السائل لم يسأله عن مقدار وقت قراءة الخمسين آية، وهذا يدل -إن دل- على أن هذا المجتمع منشغل بتلاوة القرآن وقراءته وسماعه، إنه يعيش به في يومه وليله ونهاره.

ب- أن الوقت شهر رمضان الواجب فيه الصيام والنازل فيه القرآن المسنون فيه قراءة القرآن والإكثار منه، فكان الصائمون من الصحابة يقومون بالصيام على خير ما ينبغي من أداء الواجبات وعدم الغفلة عن المسنونات والمرغوبات، فخرج الجواب ليعبر عن الحالة الإيمانية التي يعيشها المجتمع في هذا الوقت الفضيل، إنه مجتمع الصوم وقراءة القرآن وتلاوته آناء الليل وأطراف النهار.

فكان هذا الجواب إرشادًا للمربين أن يربوا الناشئة وغيرهم على شغل وقتهم بالعمل الصالح النافع، ولا يضيعوه في أمور تافهة وأشياء غير ذات بال، وهم إن أفلحوا في ذلك حققوا نتائج تربوية مهمة منها:

أ- إنجاز الناشئة ومن شاكلهم أهدافهم وآمالهم المتوقعة منهم.

ب- زيادة التنافس فيما بينهم على المسابقة إلى الخيرات والمبادرة إليها.

ج- شغلهم بالعمل الصالح النافع وتجنيبهم الاشتغال بدونه وما سواه، فإن النفس إذا لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل.

رابعًا- من وسائل التربية: الأذان:

لقد أخبر ابن عمر رضي الله عنهما أنه كان للنبي صلى الله عليه وسلم مؤذنان: بلالٌ وابن أم مكتوم رضي الله عنهما، الأول كان يؤذن قبل دخول وقت الصبح، والآخر كان يؤذن عند دخوله؛ الأذان الأول كان تنبيهًا للصائمين للاستعداد لصوم يوم جديد: النائم يستيقظ ليتسحر، وقائم الليل يفرغ من صلاته ليأتي بسنة السحور، ويضع جنبه على الأرض إن كان الوقت يسمح بذلك ليستعد لصلاة الفجر ويؤديها في نشاط وهمة، فإذا حدث ذلك ونحوه أُعلن الأذان الثاني ليبدأ وقت الصيام والانقطاع عن الشهوات التي تبطله، وبدأ يوم جديد في حياة الصائمين، فكان هذان الأذانان -في رأينا- من وسائل التربية، وذلك على النحو التالي:

أ- التعويد على النظام والانضباط، فلكل وقت عمله الذي يؤدى بنظام وترتيب، ولا يكون الأمر هكذا بدون ضبط ولا تنظيم، ولاشك أن غرس النظام في النفوس له من الفوائد ما لا يخفى، فيكفي أنه لا يمكن لإنجاز أن يتحقق بدون نظام.

ب- الإعداد الجيد للعبادة التي تلي الأذان وتأديتها بخشوع وخضوع ونشاط، وبذل الوسع في ذلك، ومن المعروف أن عبادة بلا خشوع لا يتوقع أن تأتي بأهدافها الطيبة.

وعلى ذلك فإنه يمكن الاستدلال بهذا الحديث وغيره أن من وسائل التربية الأذان، ولكن السؤال هنا: كيف نستفيد بهذا الأذان في الجانب التربوي في حياتنا المعاصرة؟.

إن الإجابة يمكن أن تتلخص فيما يلي:

أ- جعل الأذان حدًّا فاصلاً بين ما قبله وبعده، فإذا كان ما قبله انغماسًا في أمور الدنيا والسعي على المعاش، فإنه بالأذان يترك هذا كله، ويقبل العبد على الاستعداد

لأداء الصلاة المؤذن لها أداء طيبًا، فيقضي حاجته إن كان هناك سبب لذلك، ثم يسبغ الوضوء ويذهب إلى المسجد ويأتي بالسنة القبلية فإذا أقيمت الصلاة كان من الخاشعين الخاضعين، فإذا سلم أتى بالأذكار المشروعة والسنن المطلوبة، إنه بهذا يجني الثمار الطيبة التي تحققها الصلاة، وهكذا كان الأذان بداية الاستعداد لتلك الصلاة.

٢- الأذان من الأذكار المشروعة التي ترتاح لها الأذن ويطمئن بها القلب وتسكن بها الجوارح، وهذا له تأثيره الذي لا يخفى على المسلم من إقبال على العمل وتجاوز للمعوقات والموانع التي تكون في طريقه.

خامسًا- من أساليب التربية: ذكر أفعال المخالفين:

لقد ذكر النبي ﷺ أن أَكْلَة السحور فصل ما بيننا وبين أهل الكتاب، فإذا كان أهل الضلال من أهل الكتاب لا يتسحرون فإن على المسلمين ألا يكونوا مثلهم ويفعلوا فعلهم، بل عليهم أن يكونوا أشد الناس في مخالفتهم، حتى لا يتشبهوا بمن غضب الله عليهم أو ضلوا الطريق المستقيم، إن النبي ﷺ رغّب في السحور هنا بذكر أفعال المخالفين من أهل الكتاب، الذين لا يجوز التشبه بهم ولا السير على طريقهم، فإذا سمع المسلم ذلك حرص أشد الحرص على أن يتسحر حتى يكون من الفاعلين لأفعال المسلمين التاركين لأفعال المخالفين.

وفي ذلك أسلوب تربوي مفيد جدًا في تربية الناشئة وتوجيههم وتأديبهم، ومن ثم كان من الواجب على المربين أن يفعّلوا هذا الأسلوب في تربيتهم، وذلك للأسباب الآتية:

أ- استخدام السنة النبوية له كما هو واضح في الحديث كما أن القرآن قد استخدمه بكثرة، ولعل من هذا من القبيل كثرة ذكر قصة بني إسرائيل في القرآن الكريم، وذلك لتحذير المسلمين منهم، ومن ثم اجتناب أفعالهم وخصالهم، نظرًا لما عرفوا به من كثرة المخالفة لأوامر الله ورسله.

ب- تحصين الناشئة وغيرهم من الأفعال التي قد ينبهرون بها ويرغبون في تقليدها

مع أنها صادرة عمن يخالف الإسلام عقيدة وسلوكًا ومنهاجًا.

ج- تمنية اعتزاز الناشئة بقيمهم ومبادئهم التي تربوا عليهم والثبات على ذلك، وعدم الميل مع كل ريح تهبّ ولا مع كل اتجاه يظهر.



٢٢٢- باب فضل تعجل الفطر

وما يفطر عليه، وما يقوله بعد إفطاره

الحديث رقم (١٢٣٥)

١٢٣٥ - عن سهل بن سعد رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: ((**لاَ يَزَالُ النَّاسُ بِخَيْرٍ مَا عَجَّلُوا الفِطْرَ**)) متفقٌ عَلَيْهِ[١].

ترجمة الراوي:

سهل بن سعد الساعدي: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٧٥).

الشرح الأدبي

يبشر رسول الله ﷺ الناس بالخير، واستمراريته فيهم ماداموا ملتزمين بتوجيهات نبيهم الكريم فيقول: " لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر " و " ما " مصدرية تؤول مع ما بعدها بالمصدر أى: " لتعجيلهم الفطر " والفعل الماضي: " عجلوا " تدل على تحقق، وقوع التعجيل، وتكراره، وغلبته على سلوك الصائمين، ونلمح من ألفاظ الحديث أن المصطفى حريص على إعطاء الجسد حقه من الطعام، والشراب ليتقوى على العبادة التي تغذى الروح بالقيام في سرور، ونشاط، ومن هنا نرى أن الدين الحنيف يقيم التوازن الحقيقي بين احتياجات الروح، والجسم. والله اعلم.

فقه الحديث

قال ابن دقيق العيد: (تعجيل الفطر بعد تيقن الغروب مستحب باتفاق، ودليله حديث سهل بن سعد رضي الله عنه[٢] وكذلك أحاديث الباب. قال ابن حجر: (قال ابن عبدالبر: أحاديث تعجيل الإفطار وتأخير السحور صحاح متواترة، وعند عبدالرزاق وغيره بإسناد صحيح

---

(١) أخرجه البخاري (١٩٥٧)، ومسلم (٤٨/١٠٩٨) ولفظهما سواء. أورده المنذري في ترغيبه (١٥٨٧).

(٢) إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، ابن دقيق العيد ص ٢٢٣، وانظر: المجموع ٦/٢٦١-٢٦٢، والمغني ٤/٤٣٤.

عن عمرو بن ميمون الأودي قال: كان أصحاب محمد ﷺ أسرع الناس إفطارًا وأبطأهم سحورًا)[1].

المضامين الدعوية [2]

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل تعجيل الفطر.

ثانيًا: من آداب المدعو: توقير الصحابة رضوان الله عليهم.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: الحجة فيما فعله النبي ﷺ لا فيما فعله غيره.

رابعًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً - من موضوعات الدعوة: فضل تعجيل الفطر:

إن هذه الأحاديث تدل على فضل تعجيل الفطر، قال ابن عبدالبر: (أحاديث تعجيل الإفطار وتأخير السحور صحاح متواترة)[3]. وأخرج عبدالرزاق عن عمرو بن ميمون الأودي قال: كان أصحاب محمد ﷺ أسرع الناس إفطارًا وأبطأهم سحورًا[4].

وقد ورد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: ((لاَ يَزَالُ الدِّينُ ظَاهِرًا ما عَجَّلَ النَّاسُ الْفِطْرَ لأنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى يُؤَخِّرُونَ))[5].

قال ابن حجر: (وتأخير أهل الكتاب له أمدٌ وهو ظهور النجم)[6].

وعن سهل بن سعد قال: ((لا تزالُ أُمَّتي على سُنَّتي ما لَمْ تَنْتَظِرْ بِفِطْرِها النُّجُومَ». قالَ: وكانَ النبيُّ إذا كان صائمًا أَمَرَ رجلا فأَوْفَى على شَيءٍ، فإذا قَالَ: غَابَتِ الشَّمسُ، أَفْطَرَ))[7]، قال ابن حجر: (وفيه بيان العلة في ذلك)[8].

---

(١) فتح الباري ٤/١٩٩ .

(٢) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -١٢٣٥- مع المضامين الدعوية للحديث رقم ١٢٣٦، ١٢٣٧.

(٣) كما في فتح الباري ٤/١٩٩.

(٤) أخرجه عبدالرزاق في المصنف ٤/ رقم ٧٥٩١، وقال ابن حجر في الفتح ٤/١٩٩: إسناده صحيح.

(٥) أخرجه أبو داود ٢٣٥٣ وحسنه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٢٠٦٣).

(٦) فتح الباري ٤/١٩٩.

(٧) أخرجه ابن خزيمة ٢٠٦١ وابن حبان ٣٥١٠، والحاكم ١/٤٣٤، وقال محقق صحيح ابن حبان: إسناده صحيح.

(٨) فتح الباري ٤/١٩٩.

وقال النووي عن قوله ﷺ: "لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر" قال: (فيه الحث على تعجيله بعد تحقق غروب الشمس، ومعناه: لا يزال أمر الأمة منتظمًا وهم بخير ما داموا محافظين على هذه السنة، وإذا أخروه كان ذلك علامة على فساد يقعون فيه)(١).

وقال ابن دقيق العيد: (تعجيل الفطر بعد تيقن الغروب مستحب باتفاق، ودليله هذا الحديث، ولعل هذا هو السبب في كون الناس لا يزالون بخير ما عجلوا الفطر، لأنهم إذا أخروه كانوا داخلين في فعل خلاف السنة، ولا يزالون بخير ما فعلوا السنة)(٢).

وقال ابن حجر: (قال المهلب: والحكمة في ذلك أن لا يزداد في النهار من الليل، ولأنه أرفق بالصائم وأقوى له على العبادة، واتفق العلماء على أن محل ذلك إذا تحقق غروب الشمس بالرؤية أو بإخبار عدلين، وكذا عَدْل واحد في الأرجح)(٣).

وقال الطيبي عن حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا: (قال الله عز وجل: "أحب عبادي إلي أعجلهم فطرًا" قال المظهر: يعني من هو أكثر تعجيلاً في الإفطار، فهو أحب إلى الله تعالى، ولعل سبب محبة الله تعالى إياه لمتابعة سنة رسوله ﷺ، ولأنه إذا أفطر قبل الصلاة تمكن من أداء الصلاة بحضور القلب، قال التوربشتي: أي أحب عبادي من يخالف أهل البدعة فيما يعتقدون من وجوب التأخير، ويحتمل أنه أراد به جمهور هذه الأمة الذين يتدينون بشريعة محمد ﷺ، أي هم أحب إليّ ممن كان قبلهم من الأمم، والأول أشبه.

وأقول [القائل الطيبي]: (لعل الثاني أوجه، وذلك أنه ﷺ لما أراد أن يحث الناس على تعجيل الفطر وبين مكانته عند الله وصف المخلصين من عباده بذلك، ليكون ذريعة إلى المقصود، ونحوه قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ﴾(٤) وحملة العرش ليسوا ممن لا يؤمنون، لكن ذكر الإيمان لشرفه،

---

(١) شرح صحيح مسلم ٤/٧/٢٢٠-٢٢١.

(٢) إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، ابن دقيق العيد، ص ٢٢٣.

(٣) فتح الباري ٤/١٩٩، .

(٤) سورة غافر، الآية: ٧.

والترغيب فيه، ومن ثم خص المحبة بالذكر، لأن متابعة الحبيب توجب محبة الله تعالى ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾[1] وإلى هذا ينظر القول الأول للمظهر، هذا إذا أريد الاتصاف بالخير، وإن أريد التفضلة بين هذه الأمة وبين اليهود والنصارى، كان الوصف للتمييز، ويؤيده حديث أبي هريرة ((لاَ يَزَالُ الدِّينُ ظَاهِرًا ما عَجَّلَ النَّاسُ الْفِطْرَ لأنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصارَى يُؤَخِّرُونَ))[2])[3].

ثانيًا- من آداب المدعو: توقير الصحابة رضوان الله عليهم:

وهذا واضح من قول أبي عطية: دخلت أنا ومسروق على عائشة رضي الله عنها فقال لها مسروق: رجلان من أصحاب محمد ﷺ كلاهما لا يألو عن الخير. أحدهما يعجل المغرب والإفطار، والآخر يؤخر المغرب والإفطار؟ فقالت: من يعجل المغرب والإفطار؟

والشاهد في قول مسروق: "كلاهما لا يألو عن خير"، فمعناه كما قال النووي: (لا يقصرُ في الخير)[4]. فمسروق في حديثه عن الصحابيين وصفهما بأنهما من أصحاب رسول الله ﷺ، وبأن كلاهما لا يقصر في الخير، رغم خلاف فعلهما إذ أن أحدهما يعجل المغرب والإفطار، والآخر يؤخر المغرب والإفطار، فتأدب في كلامه عنهما، مما يدل على توقيره لصحابة رسول الله ﷺ، وهذا ما ينبغي على كل مسلم وخاصة لما ثبت لهم من عظيم المنزلة عند الله وثنائه عليهم.

وقد قال الله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٣١.

(٢) أخرجه أبو داود ٢٣٥٣ وحسنه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٢٠٦٣).

(٣) شرح الطيبي على المشكاة ١٥٣/٤-١٥٤.

(٤) شرح صحيح مسلم ٢٢١/٧/٤ ورياض الصالحين ص ٤٤٣.

وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾[1].

قال ابن أبي العز: (وهذه الآيات تتضمن الثناء على المهاجرين والأنصار، وعلى الذين جاءوا من بعدهم يستغفرون لهم، ويسألون الله أن لا يجعل في قلوبهم غلاً لهم)[2].

وقد قال عبدالله بن مسعود ﷺ في وصفهم: ((إِنَّ الله عزَّ وجلَّ نَظَرَ في قلوبِ العِبَادِ فوجَدَ قَلْبَ محمَّدٍ ﷺ خيْرَ قُلوبِ العِبادِ فاصْطَفاهُ لنَفْسِهِ، وابْتَعَثَهُ بِرِسَالاتِهِ، ثمَّ نَظَرَ في قُلوبِ العبادِ بعد قَلْبَ محمَّدٍ ﷺ فَوجَدَ قُلوبَ أَصْحابِهِ خيْرَ قُلوبِ العِبادِ فجعَلَهُمْ وُزَرَاءَ نَبِيِّهِ ﷺ يُقاتِلونَ عَنْ دِينِهِ، فما رآه المسلمونَ حَسَنًا فهو عِنْدَ الله حَسَنٌ، وما رآهُ المسْلِمَونَ سَيِّئًا فهوَ عِنْدَ الله سيِّءٌ))[3].

وقال الطحاوي: (ونحب أصحاب رسول الله ﷺ ولا نفرط في حب أحد منهم ولا نتبرأ من أحد منهم، ونبغض من يبغضهم وبغير الخير يذكرهم، ولا نذكرهم إلا بخير، وحبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان)[4].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: الحجة فيما فعله النبي ﷺ لا فيما فعله غيره:

وهذا واضح من سؤال مسروق عائشة ﷺ عن فعل الصحابيين ﷺ، وذلك ليعرف أيهما يوافق فعل النبي ﷺ فأخبرته أم المؤمنين عائشة ﷺ عن ذلك. وهذا يدل على أن المدعو يتبع ما فعله النبي ﷺ لا ما فعله غيره، فالنبي ﷺ هو الحجة لا غيره، وأن الحكم فيما اختلف فيه المسلمون هو سنة النبي ﷺ، قال الله تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾[5].

---

(١) سورة الحشر، الآيات: ٨-١٠.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ٦٩١/٢.

(٣) أخرجه أحمد ٣٦٠٠/٦، وقال محققو المسند: إسناده حسن.

(٤) العقيدة الطحاوية ٦٨٩/٢ مع شرحها.

(٥) سورة النساء، الآية: ٦٥.

وقال الشافعي: (أخبرني من لا أتهم من أهل المدينة عن ابن أبي ذئب قال: قضى سعد بن إبراهيم على رجل، بقضية، برأي ربيعة بن أبي عبدالرحمن، فأخبرته عن النبي ﷺ بخلاف ما قضى به فقال سعد لربيعة: هذا ابن أبي ذئب، وهو عندي ثقة، يخبرني عن النبي ﷺ بخلاف ما قضيت به فقال له ربيعة: قد اجتهدتُ ومضى حكمك. فقال سعد واعجبًا. أُنْفِذُ قضاءَ سعد بن أم سعد وأَردُّ قضاء رسول الله ﷺ؟ بل أَرَدُّ قضاء سعد بن أم سعدَ وأُنْفِذُ قضاء رسول الله ﷺ، فدعا سعد بكتاب القضية فشقه وقضى للمقضي عليه)[1].

وقال ابن القيم: (ترى كثيرًا من الناس إذا جاء الحديث يوافق قول من قلده، وقد خالفه راويه يقول: الحجة فيما روى لا في قوله، فإذا جاء قول الراوي موافقًا لقول من قلده والحديث يخالفه قال: لم يكن الراوي يخالف ما رواه إلا وقد صح عنده نسخه، وإلا كان قدحًا في عدالته فيجمعون في كلامهم بين هذا وهذا. بل قد رأينا ذلك في الباب الواحد، وهذا من أقبح التناقض، والذي ندين الله به، ولا يسعنا غيره أن الحديث إذا صحّ عن رسول الله ﷺ ولم يصح عنه حديث آخر ينسخه، أن الفرض علينا وعلى الأمة الأخذ بحديثه وترك كل ما خالفه، ولا نتركه لخلاف أحد من الناس كائنًا من كان، لا راويه ولا غيره، إذ من الممكن أن ينسى الراوي الحديث ولا يحضره وقت الفتيا أو لا يتفطن لدلالته على تلك المسألة، أو يتأول فيه تأويلاً مرجوحًا، أو يقوم في ظنه ما يعارضه ولا يكون معارضًا في نفس الأمر أو يقلد غيره في فتواه بخلافه لاعتقاده أنه أعلم منه وأنه إنما خالفه لما هو أقوى منه، ولو قدّر انتفاء ذلك كله ولا سبيل إلى العلم بانتفائه ولا ظنه لم يكن الراوي معصومًا ولم توجب مخالفته لما رواه سقوط عدالته حتى تغلب سيئاته حسناته وبخلاف هذا الحديث الواحد لا يحصل له ذلك)[2].

وقال الذهبي: (فالأمور المشتركة بين الأمة لا يحكم فيها إلا الكتاب والسنة،

---

(١) أخرجه الشافعي في الرسالة ١٢٣٣، تحقيق خالد السبع العلمي وزهير شفيق الكبّي.

(٢) إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن القيم، تحقيق: رائد صبري بن أبي علفة ٥٥٥ - ٥٥٦.

ليس لأحد أن يلزم الناس بقول عالم ولا أمير ولا شيخ ولا ملك)[1].

رابعًا: من أساليب الدعوة: الترغيب

وهذا واضح من قول النبي ﷺ: "لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر" وقوله ﷺ "قال الله عز وجل: أحب عبادي إليّ أعجلهم فطرًا" ولاشك أن هذا ترغيب في التعجيل بالفطر لتحصيل الخيرية، وحبّ الله تعالى.

والترغيب من أساليب الدعوة التي تدعو إلى قبول المدعو للدعوة، والحرص على القيام بها لأن الترغيب دائمًا يرتبط بحصول خير في الدنيا أو الآخرة أو كلاهما، ولا شك أن النفس دعوة الخير تدفعها، وحسن الجزاء يشرحها إلى العمل الصالح.

---

(١) المنتقى من منهاج الاعتدال، مختصر منهاج السنة لابن تيمية، اختصره: ابو عبدالله محمد بن احمد الذهبي ٧٤٨هـ، حققه محب الدين الخطيب، طبع ونشر وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة بالمملكة العربية السعودية، ١٤١٨هـ، ص ٣٣٥.

الحديث رقم (١٢٣٦)

١٢٣٦- وعن أَبي عطيَّة، قَالَ: دَخَلْتُ أنَا وَمَسْرُوقٌ عَلَى عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، فَقَالَ لَهَا مَسْرُوق: رَجُلاَنِ مِنْ أصْحَابِ محمَّدٍ ﷺ، كِلاَهُمَا لا يَألُو عَنِ الخَيْرِ؛ أحَدُهُمَا يُعَجِّلُ المَغْرِبَ وَالإفْطَارَ، وَالآخَرُ يُؤَخِّرُ المَغْرِبَ وَالإفطَارَ؟ فَقَالَتْ: مَنْ يُعَجِّلُ المَغْرِبَ وَالإفْطَارَ؟ قَالَ: عَبْدُ اللهِ - (يعني: ابن مسعود)[1] - فَقَالَتْ: هكَذَا كَانَ رسولُ اللهِ يَصْنَعُ. رواه مسلم[2].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

غريب الألفاظ:

لا يألو: لا يُقَصِّرُ[3].

الشرح الأدبي

هذان رجلان يدخلان على أم المؤمنين (عائشة) أحدهما يعجل المغرب والإفطار، والثاني يؤخر ذلك، ويطلبان من أم المؤمنين تحديد الأصوب منهما، وإضافة الأصحاب للاسم الظاهر في قوله (أصحاب محمد ﷺ) تشريف لهم يقتضي مزيد إكرامهم بصحبتهم لرسول ﷺ وقول أم المؤمنين " من يعجل المغرب والإفطار ؟ فقيل لها: (عبد الله) فقالت: " هكذا كان رسول الله ﷺ يصنع ". والاستفهام في قولها: " من يعجل المغرب.. ؟ " للتقرير وقولها: " هكذا كان رسول الله. . يصنع " يشير بحسن الأدب، والبيان، والروعة في التخاطب لأنها أقرت أحدهما، ولم تسخر من الآخر، أو توبخه أو تتهكم من فعله ثم إنها شبهت فعل رسول الله ﷺ بفعل " عبد الله بن مسعود " الذي

---

(١) هذا التفسير من المؤلف.

(٢) برقم (١٠٩٩/٥٠).

(٣) رياض الصالحين ٤٤٣.

كان يعجل المغرب والإفطار فقالت: " هكذا. ... " والهاء للتنبيه، والكاف للتشبيه بمعنى " مثل " و" إذا " اسم إشارة، والفعل المضارع " يصنع " يوحى بأن هذه التوجيهات يجب أن تستمر إلى ما شاء الله.

فقه الحديث

تشير الأحاديث إلى عدة أحكام منها:

١- حكم تعجيل الفطر: اتفق الفقهاء على استحباب تعجيل الفطر، وأنه لا يجب إمساك جزء من الليل مطلقًا، بل متى تحقق غروب الشمس حل الفطر[١].

٢- تذكير العالم ما يخاف أن يكون نسيه، وترك المراجعة له بعد ثلاث[٢].

٣- إيماء إلى الزجر عن متابعة أهل الكتاب، فإنهم يؤخرون الفطر عن الغروب[٣].

٤- حكم الفطر على التمر: الفطر على التمر مستحب وليس بواجب فلو تركه جاز، وأن الأفضل بعده الفطر على الماء[٤] وأن الترتيب الوارد في الحديث إنما هو لكمال السنة لا لأصلها كما هو واضح، فمن أفطر على ماء مع وجود التمر حصل له أصل سنة الإفطار[٥].

٥- حكم صيام المسافر: اتفق الفقهاء على أن من لحقه بالسفر مشقة ظاهرة جاز له الفطر، كما أنهم اتفقوا على أن من لم تلحقه بالسفر مشقة ظاهرة جاز له الصوم

---

(١) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني الحنفي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ١٠٥/٢، حاشية رد المحتار ٤١٩/٢، حاشية الصاوي والشرح الصغير ٦٩٠/١، مغني المحتاج ١٦٥/٢، شرح منتهى الإرادات ٤٨٨/١-٤٨٩، شرح صحيح مسلم ٢٠٨/٧، فتح الباري ٢٤١/٤.

(٢) شرح صحيح مسلم ٢١١/٧، فتح الباري ٢٤١/٤.

(٣) فتح الباري ٢٤١/٤.

(٤) حاشية الصاوي ٦٩١/١، مغني المحتاج ١٦٥/١، شرح منتهى الإرادات ٤٨٩/١، شرح صحيح مسلم ٢١١/٧.

(٥) دليل الفالحين ٣٩/٤.

والفطر[1] ولكنهم اختلفوا في أيهما أفضل الصوم أم الفطر؟ فذهب جمهور الفقهاء (الحنفية، والمالكية، والشافعية) إلى أن الصوم في حقه أفضل من الفطر[2] واستدلوا على ذلك بقوله تعالى: ﴿وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾[3] ولما في الصوم من تبرئة الذمة وعدم إخلاء الوقت عن العبادة، ولأن الصوم هو الأكثر من فعله ﷺ[4].

وذهب الحنابلة إلى أنه يكره الصوم ويسن له الفطر وأنه أفضل من الصوم[5] واستدلوا على ذلك بقوله ﷺ "ليس من البر الصيام في السفر" وقوله ﷺ "عليكم برخص الله تعالى التي رخص لكم فاقبلوها".

والراجح هو رأي جمهور الفقهاء.

المضامين الدعوية[6]

---

(١) بدائع الصنائع ٩٦/٢، كنز الدقائق وشرحه تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين الزيلعي ١٣٣/١، حاشية الدسوقي ٥١٥/١، مغني المحتاج ٥٢٩/١، مطالب أولي النهى ١٨٠/٢.

(٢) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني الحنفي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٩٦/٢، كنز الدقائق وتبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين الزيلعي ١٣٣/١، حاشية الدسوقي ٥١٥/١، مغني المحتاج ٥٢٩/١.

(٣) سورة البقرة، آية: ١٨٤.

(٤) مغني المحتاج ٥٢٩/١.

(٥) مطالب أولي النهى ١٨٠/٢.

(٦) تقدم ذكرها مدمجة مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١٢٣٧)

١٢٣٧ - وعن أَبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: ((قَالَ اللهُ عز وجل: أحَبُّ عِبَادِي إلَيَّ أعْجَلُهُمْ فِطْرًا)) رواه الترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

قول الصحابي: (قال) رسول الله ﷺ ارتقاء من مستوى الكلام العادي إلى المستوى الكلام النبوي، وهي نقلة كبيرة في المعاني، والأساليب، وقول الرسول ﷺ: (قال الله – عز وجل –) ارتقاء من مستوى الكلام البشري إلى مستوى الكلام الإلهي، وهي نقلة عظمى في المعاني؛ لأن لفظ الحديث القدسي من الرسول، ومعناه من الله، و قول الله تعالى " أحب عبادي إلى. .. " أفعل التفضيل: " أحب " يوضح أنه عز وجل – يحب الكثيرين، ولكن الأشد حباً هو الأعجل فطراً، لأن أفعل التفضيل تشير إلى اشتراك في الأصل، وزيادة لأحدهما، وهم الذين يعجلون الفطر، وهذه العبارات تدل على الحنو الشديد من قبل الخالق – سبحانه وتعالى والإضافة في " عبادي " و " إلى " للتشريف، والتكريم، والإلزام؛ لأنهم ماداموا عباده فلا بد أن يكونوا أهلا لذلك بالتكليف، والالتزام بما يحبه المشرع عز وجل. وكلمة: " إليَّ " تشير إلى أهمية تحديد الغاية، والهدف من العبادة لأن " إلى " تفيد انتهاء الغاية، وهكذا يجب على المسلم أن يكون " رب العزة " منتهى غايته من العبادات، والمعاملات، والتصرفات كلها: " وأن إلى ربك المنتهى " أية ٢٢ النجم.

المضامين الدعوية[2]

---

(١) برقم (٧٠٠). وصحّحه ابن خزيمة (٢٠٦٢)، وابن حبان (الإحسان ٣٥٠٨).

(٢) تقدم ذكرها مدمجة مع مضامين الحديث رقم ١٢٣٥.

الحديث رقم (١٢٣٨)

١٢٣٨ - وعن عمر بن الخطاب ﷺ ، قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ : ((إِذَا أقْبَلَ اللَّيْلُ مِنْ هاهُنَا، وَأدْبَرَ النهارُ مِنْ هَاهُنَا، وَغرَبَتِ الشَّمْسُ، فَقَدْ أفْطَر الصَّائِمُ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١).

الشرح الأدبي

يضع الرسول الكريم ﷺ - في هذا الحديث - علامات للصائم كي يفطر عند تحققها، ويربط ذلك بغروب الشمس، وطلوعها، وبين الفعلين الماضيين: " أقبل، وأدبر " طباق يوضح المعنى، وكذلك بين الليل، والنهار، وهو ما يجلي أبعاد المعنى، ويبرزه، وفى الوقت نفسه يرسمان صورة للشمس، والليل والنهار، وتشعر من خلال ذلك بمضمون الآية الكريمة في سورة " يس " حيث يقول الحق - سبحانه وتعالى " والشمس تجرى لمستقرها ذلك تقدير العزيز العليم " - وقوله: " فقد أفطر الصائم " يشير إلى حلول وقت فطره، ولكن ينبغي عليه أن يتيقن من إقبال الليل، وإدبار النهار حتى لا يقع في براثن العجلة تحت مظلة " تعجيل الفطر " فمن تأنى نال ما تمنى من الثواب، والأجر، والقبول، والهداية، ولفظ (هاهنا) الذي تكرر مع كل جهة يؤكد المعنى المراد من تحديد موعد الفطر بدقة لا تترك مجالا لخلاف.

فقه الحديث

قال ابن دقيق العيد: (وقوله ﷺ "فقد أفطر الصائم" يجوز أن يكون المراد به: فقد حلّ له الفطر، ويجوز أن يكون المراد به: فقد دخل في الفطر. وتكون الفائدة فيه: "أن الليل غير قابل للصوم، وأنّه بنفس دخوله خرج الصائم من الصوم. وتكون الفائدة

(١) أخرجه البخاري (١٩٥٤) واللفظ له، ومسلم (١١٠٠/٥١).

على الوجه الأول، وذِكْر العلامة التي بها يحصل جوازُ الإفطار، وعلى الثاني: بيان امتناع الوصال، بمعنى الصوم الشرعي لا بمعنى الإمساك الحسي، فإن من أمسك حسًّا فقد أفطر شرعًا" وفي ضمن ذلك إبطال فائدة الوصال شرعًا، إذ لا يحصل به ثواب الصوم)[١].

المضامين الدعوية[٢]

أولاً: من موضوعات الدعوة: بيان وقت فطر الصائم.

ثانيًا: من مهام الداعية: إيضاح الأمر بكل علاماته الممكنة.

ثالثًا: من آداب المدعو: تذكير العالم بما يخشى أن يكون قد نسيه.

أولاً - من موضوعات الدعوة: بيان وقت فطر الصائم:

هذا واضح من قول رسول الله ﷺ: "إذا أقبل الليل من ههنا وأدبر النهار من ههنا وغربت الشمس فقد أفطر الصائم".

وقوله ﷺ في الحديث الآخر: "إذا رأيتم الليل قد أقبل من ههنا فقد أفطر الصائم" وأشار بيده قبل المشرق. قال ابن حجر: (وفي حديثَي الباب من الفوائد بيان وقت الصوم وأن الغروب متى تحقق كفى)[٣].

قال ابن عبدالبر: (من السنة تعجيل الفطر وتأخير السحور، والتعجيل إنما يكون بعد الاستيقان بمغيب الشمس، ولا يجوز لأحد أن يفطر وهو شاك هل غابت الشمس أم لا؟ لأن الفرض إذا لزم بيقين لم يخرج منه إلا بيقين، والله عز وجل يقول: ﴿ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾[٤] وأول الليل مغيب الشمس كلها في الأفق عن أعين الناظرين، ومن شك لزمه التمادي حتى لا يشك في مغيبها)[٥].

---

(١) إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، ابن دقيق العيد ٢٢٤ .

(٢) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث – ١٢٣٨ – مع المضامين الدعوية للحديث رقم ١٢٣٩.

(٣) فتح الباري ١٩٨/٤، .

(٤) سورة البقرة، الآية: ١٨٧.

(٥) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ابن عبدالبر ٧٨/٩٠.

وقال ابن هبيرة عن حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (في هذا الحديث من الفقه أن الصوم هو حكم مؤقت بأول وآخر، فإذا انتهى إلى وقته زال حكمه، فإن أخَّر أحد إفطاره فقد أعلمه هذا الحديث أن الله غير معتدٍ له بصيام بعد غروب الشمس، لأن وقت حكم الصيام قد زال، وهذا مما يكون داعيًا إلى تعجيل الفطر)[1].

وقال النووي عن معنى حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (معناه انقضى صومه وتم، ولا يوصف الآن بأنه صائم فإن بغروب الشمس خرج النهار ودخل الليل، والليل ليس محلاً للصوم)[2].

وقال ابن دقيق العيد: (قوله عليه السلام "فقد أفطر الصائم" يجوز أن يكون المراد به: فقد حل له الفطر، ويجوز أن يكون المراد به: فقد دخل في الفطر، وتكون الفائدة فيه: أن الليل غير قابل للصوم وأنه بنفس دخوله خرج الصائم من الصوم، وتكون الفائدة على الوجه الأول، ذكر العلامة التي بها يحصل جواز الإفطار، وعلى الثاني: بيان امتناع الوصال بمعنى الصوم الشرعي، لا بمعنى الإمساك الحسي فإن من أمسك حسًا فهو مفطر شرعًا. وفي ضمن ذلك: إبطال فائدة الوصال شرعًا، إذ لا يحصل به ثواب الصوم)[3].

وقال ابن حجر: (قوله "فقد أفطر الصائم" أي دخل في وقت الفطر، كما يقال: أَنْجَد إذا أقام بنجد - ويحتمل أن يكون معناه فقد صار مفطرًا في الحكم، لكون الليل ليس ظرفًا للصيام الشرعي، وقد ردّ ابن خزيمة[4] هذا الاحتمال. وأومأ إلى ترجيح الأول، فقال: قوله "فقد أفطر الصائم" لفظ خبر، ومعناه الأمر، أي فليفطر الصائم، ولو كان المراد: فقد صار مفطرًا كان فِطْرُ جميع الصوّام واحدًا ولم يكن للترغيب في تعجيل الإفطار معنى اهـ)[5].

---

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ١٣٥/١.

(٢) شرح صحيح مسلم ٢٢٢/٧/٤، .

(٣) إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، ابن دقيق العيد ، ص ٢٢٤.

(٤) صحيح ابن خزيمة ٢٧٤/٣.

(٥) فتح الباري ١٩٧/٤، .

وقال ابن حجر: (من البدع المنكرة: ما أحدث في هذا الزمان من إيقاع الأذان الثاني قبل الفجر بنحو ثلث ساعة في رمضان، وإطفاء المصابيح التي جعلت علامة لتحريم الأكل والشرب على من يريد الصيام، زعما ممن أحدثه أنه للاحتياط في العبادة، ولا يعلم بذلك إلا آحاد الناس، وقد جرّهم ذلك إلى أن صاروا لا يؤذنون إلا بعد الغروب بدرجة، لتمكين الوقت زعموا. فأخروا الفطر وعجلوا السحور وخالفوا السنة، فلذلك قلّ عنهم الخير وكثر فيهم الشر)[1].

ثانيًا- من مهام الداعية: إيضاح الأمر بكل علاماته الممكنة:

هذا واضح من قوله ﷺ: "إذا أقبل الليل من ههنا وأدبر النهار من ههنا وغربت الشمس فقد أفطر الصائم".

فقد بيّن ﷺ وقت إفطار الصائم بثلاث علامات: إقبال الظلام (الليل) وإدبار الضياء (النهار) وغروب الشمس. قال ابن حجر عن الحديث: (فيه البيان بذكر اللازم والملزوم جميعًا لزيادة الإيضاح)[2]. وقال النووي: (قال العلماء: كل واحد من هذه الأمور الثلاثة يتضمن الآخرين ويلازمهما وإنما جمع بينها لأنه قد يكون في وادٍ ونحوه بحيث لا يشاهد غروب الشمس، فيعتمد إقبال الظلام وإدبار الضياء)[3]. وقال أبو العباس القرطبي: (هذه الثلاثة الأمور متلازمة، إذا حصل الواحد منها حصل سائرها. وإنما جمعها في الذكر -والله أعلم- لأن الناظر قد لا يرى عين غروب الشمس لحائل، ويرى ظلمة الليل من المشرق، فيحلّ له إذ ذاك الفطر، وإقبال الليل: إقبال ظلمته. وإدبار النهار: إدبار ضوئه، ومجموعهما إنما يحصل بغروب الشمس)[4].

وقال ابن دقيق العيد: (الإقبال والإدبار متلازمان، أعني: إقبال الليل وإدبار النهار، وقد يكون أحدهما أظهر للعين في بعض المواضع، فيستدل بالظاهر على الخفي، كما

---

(١) فتح الباري ٤/١٩٩.

(٢) فتح الباري ٤/١٩٨.

(٣) شرح صحيح مسلم ٤/٧/٢٢٢.

(٤) المفهم ٣/١٥٨.

لو كان في جهة المغرب ما يستر البصر عن إدراك الغروب، وكان المشرق بارزًا ظاهرًا فيستدل بطلوع الليل على غروب الشمس)[١].

وقال ابن حجر: (وذكر في هذا الحديث ثلاثة أمور، لأنها وإن كانت متلازمة في الأصل، لكنها قد تكون في الظاهر غير متلازمة، فقد يظن إقبال الليل من جهة المشرق ولا يكون إقباله حقيقة، بل لوجود أمر يغطي ضوء الشمس. وكذلك إدبار النهار فمن ثم قيد بقوله "وغربت الشمس" إشارة إلى اشتراط تحقق الإقبال والإدبار، وأنهما بواسطة غروب الشمس لا بسبب آخر. ولم يذكر ذلك في الحديث الثاني فيحتمل أن ينزل على حالين: أما حيث ذكرها ففي حال الغيم مثلاً، وأما حيث لم يذكرها ففي حال الصحو، ويحتمل أن يكونا في حالة واحدة، وحفظ أحد الراويين ما لم يحفظ الآخر، وإنما ذكر الإقبال والإدبار معًا لإمكان وجود أحدهما مع عدم تحقق الغروب قاله القاضي عياض[٢]. وقال شيخنا [أي الحافظ العراقي] في شرح الترمذي: الظاهر الاكتفاء بأحد الثلاثة، لأنه يعرف انقضاء النهار بأحدهما[٣] ويؤيده الاقتصار في رواية ابن أبي أوفى على إقبال الليل)[٤].

ومن هذا القبيل قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ۚ﴾[٥] وقد قال النبي ﷺ ((لا يَمْنَعُكُمْ من سُحورِكم أَذانُ بلالٍ ولا الفَجْرُ المُسْتَطِيلُ، ولكِن الفَجْرُ المُسْتَطِيرُ في الأفق))[٦].

قال ابن الأثير: (الفجر المستطير: هو الذي انتشر ضوؤه واعترض في الأفق، بخلاف

---

(١) إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، ابن دقيق العيد ، ص ٢٢٤.

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٣٥/٤.

(٣) هكذا في المطبوع والظاهر أن الصواب: بأحدها. والله أعلم.

(٤) فتح الباري ١٩٦/٤-١٩٧ ، .

(٥) سورة البقرة، الآية: ١٨٧.

(٦) أخرجه مسلم ١٠٩٤ ، والترمذي ٧٠٥ واللفظ له من حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه.

المستطيل)[١].

(والفجر فجران: (١) الفجر الكاذب وهو الذي يبدو أولاً ساطعًا مستطيلاً من أعلى إلى أسفل.

(٢) الفجر الصادق: وهو الذي يبدو منتشرًا في الأفق بعد الأول بزمن يسع السحور... والمعنى: لا يمنعكم من السحور أذان بلال فإنه يؤذن بليل ولا يمنعكم البياض الذي يظهر في السماء شرقًا مستطيلاً كذنب الذئب فإنه هو الفجر الكاذب، وكلوا واشربوا حتى يظهر الفجر الصادق وهو المنتشر ضوؤه في الأفق معترضًا من جانب السماء من جهة المشرق)[٢].

ثالثًا - من آداب المدعو: تذكير العالم بما يخشى أن يكون قد نسيه:

وهذا واضح من حديث عبدالله بن أبي أوفى رضي الله عنهما وفي رواية عند البخاري: ((كنّا معَ رسولِ الله ﷺ في سَفَرٍ وهوَ صائمٌ، فلمّا غَرَبَتِ الشمسُ قال لِبعضِ القومِ: يافلانُ قم فاجدَحْ لنا، فقال: يارسولَ الله لو أمْسَيْتَ؟، قال: انزلْ فاجدَحْ لنا، قال: يارسولَ الله فلو أمْسَيْتَ؟ قال: انزِلْ فاجدَحْ لنا، قال: إنَّ عليكَ نهارًا، قال: انزِلْ فاجدَحْ لنا. فنزَلَ فجَدَحَ لهم، فشَرِبَ النبيُّ ﷺ ثُمَّ قال: إذا رأيتمُ الليلَ قد أقْبَلَ مِن هاهنا فقد أفطَر الصائمُ)).

قال النووي: (معنى الحديث أن رسول الله ﷺ وأصحابه كانوا صيامًا، وكان ذلك في شهر رمضان كما صرح به في رواية يحيى بن يحيى[٣] فلما غربت الشمس أمره النبي ﷺ بالجدح ليفطروا فرأى المخاطب آثار الضياء والحمرة التي بعد غروب الشمس فظن أن الفطر لا يحل إلا بعد ذهاب ذلك، واحتمل عنده أن النبي ﷺ لم يرها، فأراد تذكيره وإعلامه بذلك، ويؤيد هذا قوله "إن عليك نهارًا"، لتوهمه أن ذلك الضوء من النهار الذي يجب صومه، وهو معنى "لو أمسيت" أي تأخرت حتى يدخل

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ص ٥٧٤.

(٢) الدين الخالص: محمود محمد خطاب السبكي (١٣٥٢هـ/١٩٣٣م)، ط٢، ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م، ٨/٤٤٩.

(٣) صحيح مسلم ٥٢-١١٠١.

المساء، وتكريره المراجعة لغلبة اعتقاده على أن ذلك نهار يحرم فيه الأكل مع تجويزه أن النبي ﷺ لم ينظر إلى ذلك الضوء نظرًا تامًا، فقصد زيادة الإعلام ببقاء الضوء. وفي هذا الحديث: بيان انقضاء الصوم بمجرد غروب الشمس واستحباب تعجيل الفطر، وتذكير العالم ما يخاف أن يكون قد نسيه)[1].

وقال ابن حجر: (وأما قول الراوي "وغربت الشمس" فإخبار منه بما في نفس الأمر وإلا فلو تحقق الصحابي أن الشمس غربت ما توقف لأنه حينئذٍ يكون معاندًا وإنما توقف احتياطًا واستكشافًا عن حكم المسألة، قال الزين بن المنير: يؤخذ من هذا جواز الاستفسار عن الظواهر لاحتمال ألا يكون المراد إمرارها على ظاهرها، وكأنه أخذ ذلك من تقريره ﷺ الصحابي على ترك المبادرة إلى الامتثال، وفي الحديث أيضًا استحباب تعجيل الفطر، وأنه لا يجب إمساك جزء من الليل مطلقًا. بل متى تحقق غروب الشمس حلّ الفطر، وفيه تذكير العالم بما يخشى أن يكون نسيه وترك المراجعة له بعد ثلاث، وقد اختلفت الروايات عن الشيباني [أي أبي إسحاق سليمان بن أبي سليمان الكوفي راوي الحديث عن عبدالله بن أبي أوفى] في ذلك فأكثر ما وقع فيها أن المراجعة وقعت ثلاثًا وفي بعضها مرتين، وفي بعضها مرة واحدة. وهو محمول على أن بعض الرواة اختصر القصة، ورواية خالد [هو ابن عبدالله الواسطي] المذكورة في هذا الباب أتمهم سياقًا، وهو حافظ فزيادته مقبولة. وقد جاء أنه ﷺ كان لا يراجع بعد ثلاث، وهو عند أحمد[2] من حديث عبدالله بن أبي حدرد في حديث أوله "كان ليهودي عليه دين")[3].

---

(١) شرح صحيح مسلم ٤/٧/٢٢٣-٢٢٤.

(٢) اخرجه أحمد ٣/٤٢٣، رقم ١٥٤٨٩ وقال محققو المسند: إسناده ضعيف لانقطاعه ٢٤/٢٣٧ - ٢٣٨.

(٣) فتح الباري ٤/١٩٧-١٩٨، .

الحديث رقم (١٢٣٩)

١٢٣٩ - وعن أَبي إبراهيم عبدِ الله بنِ أَبي أوفى رضي الله عنهما، قَالَ: سِرْنَا مَعَ رسولِ الله ﷺ، وَهُوَ صَائِمٌ، فَلَمَّا غَرَبَتِ الشَّمْسُ، قَالَ لِبَعْضِ القَوْمِ: ((يَا فُلانُ انْزِلْ فَاجْدَحْ لَنَا))، فَقَالَ: يَا رسول الله، لَوْ أمْسَيْتَ؟ قَالَ: ((انْزِلْ فَاجْدَحْ لَنَا)) قَالَ: إنَّ عَلَيْكَ نَهَارًا، قَالَ: ((انْزِلْ فَاجْدَحْ لَنَا)) قَالَ: فَنَزَلَ فَجَدَحَ (لَهُمْ فَشَرِبَ رسولُ الله ﷺ)[1]، ثُمَّ قَالَ: ((إِذَا رَأَيْتُمُ اللَّيْلَ أقْبَلَ مِنْ هاهُنَا، فَقَدْ أفْطَرَ الصَّائِمُ)) وَأشَارَ بِيَدِهِ[2] قِبَلَ المَشْرِقِ. متفقٌ عَلَيْهِ[3].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن أبي أوفى: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٥٣).

غريب الألفاظ:

فاجدح لنا: أي اخلط السَّويق بالماء[4].

والسَّويق: طعام يتخذ من مدقوق الحنطة والشعير[5].

الشرح الأدبي

يعد هذا الحديث تطبيقاً عملياً لإطلاع الصحابة على كيفية غروب الشمس وما يجب فعله بعد ذلك من تعجيل للفطر فإنه لما غربت الشمس قال لبعض القوم " انزل فاجدح لنا " أي " (اخلط السويق بالماء) ولما دهش الرجل أمره ثلاثاً فامتثل، وأعد لهم ذلك الشراب فشرب الرسول ﷺ ثم أصدر هذا البيان قائلاً في ثوب الشرط الذي يربط الإفطار برؤية الليل: "إذا رأيتم الليل قد اقبل من هاهنا فقد افطر الصائم" وقوله

---

(١) هذه الزيادة عند البخاري برقم (١٩٥٥).

(٢) لفظ البخاري في هذه الرواية: ((بأصبعه))، وبهذا اللفظ عنده برقم (٥٢٩٧).

(٣) أخرجه البخاري (١٩٥٦) واللفظ له، ومسلم (١١٠١/٥٣).

(٤) رياض الصالحين ٤٤٤.

(٥) اللسان في (س و ق).

(هاهنا) توكيد للمعنى، وقوله (وأشار بيده قبل المشرق) وهذه الإشارة توضح المعنى بحاسة السمع، والبصر، وهو ما يعطي المعنى ثباتا، ووضوحا وحرف " إذا " يدل على تحقق ما يأتي بعده، ويؤكد المضمون بالأفعال الماضية - " رأيتم - قد أقبل - فقد أفطر " أي وجب عليه الفطر، إذا تيقن من غروب الشمس، وإقبال الليل، وهذا التحري كله يرفع الحرج عن الأمة، ويجلب اليسر، ويحافظ على جسد المسلم، وروحة معاً.

فقه الحديث

قال النووي: (في هذا الحديث:

١ - جواز الصوم في السفر وتفضيله على الفطر لمن لا تلحقه بالصوم مشقة ظاهرة[١].

٢ - وفيه بيان انقضاء الصوم بمجرد غروب الشمس.

٣ - واستحباب تعجيل الفطر.

٤ - وتذكير العالم ما يخاف أن يكون نسيه.

٥ - وأن الفطر على التمر ليس بواجب وإنما هو مستحب لو تركه جاز وأن الأفضل الفطر على الماء. وقد جاء في الحديث الآخر في سنن أبي داود وغيره[٢] الأمر بالفطر على تمر فإن لم يجد فعلى ماء فإنه طهور)[٣].

المضامين الدعوية[٤]

---

(١) وفي المسألة خلاف بين الفقهاء، انظر: بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني الحنفي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٩٦/٢، وحاشية الدسوقي ٥١٥/١، ومغني المحتاج ٥٢٩/١، ومطالب أولي النهى ١٨٠/٢.

(٢) انظر: الحديثين التاليين في رياض الصالحين وهي ١٢٤٠، ١٢٤١.

(٣) شرح صحيح مسلم ١٨٣/٧/٤ ، وانظر: فتح الباري ١٩٦/٤-١٩٨ .

(٤) تقدم ذكرها مدمجة مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١٢٤٠)

١٢٤٠- وعن سلمان بن عامر الضَّبِّيِّ الصحابي رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ، قَالَ: ((إِذَا أفْطَرَ أحَدُكُمْ، فَلْيُفْطِرْ عَلَى تَمْرٍ، فَإنْ لَمْ يَجِدْ، فَلْيُفْطِرْ عَلَى مَاءٍ؛ فإنَّهُ طَهُورٌ)) رواه أَبُو داود والترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

سلمان بن عامر الضبي: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٣٢).

غريب الألفاظ:

طهور: بالغٌ في الطهارة[2].

الشرح الأدبي

لقد بنى الحديث على أسلوب الشرط الذي يعرض الجزاء مرتبطاً بالفعل، ويترك المؤمن ليختار مصيره، وداعي الله في قلبه يدعوه إليه، فيكون حرَّ الاختيار بعد ظهور العاقبة، وهو يناسب مقام التوجيه، والنصح، والإرشاد، ويبدأ الرسول ﷺ كلامه بإذا الشرطية، والفعل الماضي: " إذا أفطر، وهى تدل على تحقق وقوع ما بعدها فلا بد لكل صائم من أن يفطر، ولذا أسند الإفطار إلى كل أحد في قوله ": أحدكم وهو ما يعطي الحكم عموما لجميع المخاطبين، ثم جاءت لام الأمر لتوضح ما يرغبهم في الإفطار عليه " فليفطر على تمر. . " وتنكير كلمه: " تمر " يشير إلى أهمية الرضا بما هو موجود من التمر سواء كان قليلاً أم كثيراً، وفى حاله عدم وجود التمر: " فيفطر على ماء فإنه طهور " وقوله فإنه طهور جملة تعليلية لترغيب السامعين في التزام هذه الفضيلة، والتعليق على الماء من قبيل النبي الكريم، ووصفة بأنه " طهور " مبالغة في

---

(١) أخرجه أبو داود (٢٣٥٥)، والترمذي (٦٩٥)، واللفظ لابن ماجه (١٦٩٩)، وتقدم برقم (٣٣٢). وصحّحه ابن خزيمة (٢٠٦٧)، وابن حبان (الإحسان ٣٥١٥)، وقال الحاكم (٤٣٢/١): هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه. أورده المنذري في ترغيبه (١٥٩٣).

(٢) اللسان والوسيط في (ط هـ ر).

الطهر كأنه طاهر في نفسه مطهر لغيره، ويدل على أهميته من الناحية الجسدية، والنفسية فهو يخلص الجسم من الأشياء الضارة وعليه قوام كل حي.

فقه الحديث

قال ابن قدامة: (يستحب أن يفطر على رطبات فإن لم يكن فعلى تمرات، فإن لم يكن فعلى الماء لحديث أنس في الباب)[١].

المضامين الدعوية [٢]

أولاً: من موضوعات الدعوة: ما يستحب أن يفطر عليه الصائم.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الحكمة من الإفطار على التمر.

ثالثًا: من آداب الداعية: موافقة فعله لقوله.

أولاً - من موضوعات الدعوة: ما يستحب أن يفطر عليه الصائم:

قال النووي: (في هذا الحديث أن الفطر على التمر ليس بواجب، وإنما هو مستحب لو تركه جاز، وأن الأفضل بعده الفطر على الماء، وقد جاء هذا الترتيب في الحديث الآخر في سنن أبي داود وغيره في الأمر بالفطر على تمر فإن لم يجد فعلى الماء فإنه طهور)[٣].

وقد بوّب البخاري على حديث عبدالله بن أوفى: باب يفطر بما تيسر من الماء أو غيره[٤]. قال ابن حجر: (قوله "باب يفطر بما تيسر من الماء أو غيره" أي سواء كان وحده أو مخلوطًا... وذكر فيه حديث ابن أبي أوفى وهو ظاهر فيما ترجم له، ولعله أشار إلى أن الأمر في قوله "من وجد تمرًا فليفطر عليه ومن لا يجد فليفطر على الماء" ليس على

---

(١) المغني ٤/٤٣٥، وانظر المهذب وشرحه المجموع ٦/٢٦٣-٢٦٤ .

(٢) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث - ١٢٤٠ - مع المضامين الدعوية للحديث رقم ١٢٤١.

(٣) شرح صحيح مسلم ٤/٧/٢٢٤، .

(٤) الحديث ١٩٥٦.

الوجوب، وهو حديث أخرجه الحاكم[1] من طريق عبدالعزيز بن صهيب عن أنس مرفوعًا. وصححه الترمذي وابن حبان من حديث سلمان بن عامر[2]. وقد شذّ ابن حزم[3] فأوجب الفطر على التمر وإلا فعلى الماء)[4].

وقد بوب ابن حبان على حديث سلمان بن عامر: ذكر الإخبار عما يستحب للصائم الإفطار عليه، وذكر الاستحباب للمرء أن يكون إفطاره على التمر أو على الماء عند عدمه[5].

وقال المباركفوري: (قوله "من وجد تمرًا فليفطر عليه" الأمر للندب... "فإن الماء طهور" أي بالغ في الطهارة فيبتدأ به تفاؤلاً بطهارة الظاهر والباطن. قال الطيبي[6]: لأنه مزيل المانع من أداء العبادة، [أي يرتفع به الحدث المانع من أداء العبادة] ولذا منّ الله تعالى على عباده بقوله: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا﴾[7] كذا في المرقاة)[8].

وقال الشوكاني: (حديثا أنس وسلمان يدلان على مشروعية الإفطار بالتمر، فإن عدم فبالماء ولكن حديث أنس فيه دليل على أن الرَّطْبَ من التمر أولى من اليابس، فيقدم عليه إن وجد، وإنما شرع الإفطار بالتمر لأنه حلو، وكل حلو يقوي البصر الذي

---

(١) أخرجه الترمذي ٦٩٤، والحاكم ٤٣١/١، والبيهقي في السنن ٢٣٩/٤، وضعفه الألباني (ضعيف سنن الترمذي ١٠٩).

(٢) أخرجه الترمذي ٦٩٥، وابن حبان ٣٥١٤، وأحمد ١٩/٤، رقم ١٦٢٤٢، وضعفه الألباني (ضعيف سنن الترمذي ١١٠). وينظر تخريجه بتوسع في مسند أحمد ١٧٦/٢٦، وصحيح ابن حبان.

(٣) المحلى ٦٩٧، المسألة ٨٠٦.

(٤) فتح الباري ١٩٨/٤، .

(٥) صحيح ابن حبان.. الحديثان ٣٥١٤، ٣٥١٥.

(٦) شرح الطيبي على المشكاة ١٥٤/٤.

(٧) سورة الفرقان، آية: ٤٨.

(٨) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٩١٦/١. وقال الشيخ عبدالله البسام: (الطهور هنا المراد به -والله أعلم- أن الماء مطهر للمعدة والأمعاء، وهذا الآن حقيقة علمية طبية، فإن الأطباء ينصحون ويوصون بشرب الماء على الفراغ. ويقولون: إنه يغسل المعدة والأمعاء، ويعدل طبيعة الإنسان). توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ١٥٠/٣.

يضعف بالصوم، وهذا أحسن ما قيل في المناسبة، وبيان وجه الحكمة. وقيل: لأن الحلو يوافق الإيمان ويرق القلب، وإذا كانت العلة كونه حلوًا، والحلو له ذلك التأثير فيلحق به الحلويات كلها)[1]. وقال ابن عثيمين: (والرُطَب الآن - والحمد لله - موجود حتى في غير أيام الصيف، فالناس يدخرون الرُطَب الآن في الثلاجات، ويبقى مدة، فالأفضل أن تفطر على الرطب، فإن لم يكن عندك شيء فالتمر، فإن لم يكن عندك تمر فالماء، وإنما قدم الرطب والتمر لأنهما أنفع للبدن من الماء لأنه حلوى وغذاء وقوة)[2].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: الحكمة من الإفطار على التمر:

قال د. صالح بن أحمد رضا: (سنة رسول الله ﷺ الفعلية والقولية ترشد المؤمن إلى أن يكون أول ما يتناوله بعد يوم كامل يقضيه في الصيام عن الطعام هو التمر والرطب فإذا لم يجد واحدًا منهما فليفطر على الماء.

والتمر والرطب من المواد المفيدة لجسم الإنسان وكون رسول الله ﷺ يختارهما للصائم فذلك لحِكَم ومنافع في هذه المادة لعلّ منها:

أن التمر يحتوي على نسبة عالية من سكر الفواكه "الفركتوز أو الليفيولوز" وسكر الفواكه هذا له تأثير منشط للحركة الدودية للأمعاء، وبذلك فإنه يكافح الإمساك، فالتمر يساعد على تليين الأمعاء.

إضافة إلى هذا فإن التمور تحتوي على مواد سكرية سهلة الامتصاص بنسبة عالية حوالي سبعين إلى ثمانين بالمائة، والكليوغرام من التمور يعطي طاقة حرارية عالية حوالي ثلاثة آلاف من السعرات، وهو القدر الذي يحتاجه الإنسان العادي من الطاقة الحرارية.

والسكريات الموجودة في الرطب والتمور تمتص بسرعة فائقة وفي أقل من ساعة وهو عبارة عن "سكر العنب وسكر الفواكه" وكلاهما أحادي، يمتصان مباشرة من جدار الأمعاء الدقيقة وبسهولة.

---

(١) نيل الأوطار، ص ٨١٥.

(٢) شرح رياض الصالحين ٢/١٤٠٤.

كما تحتوي التمور على سكر القصب وهو ثنائي سهل الهضم أيضًا فيتحول بواسطة خميرة "السكراز" الموجودة في العصارة المعوية إلى "سكر العنب وسكر الفواكه" فيمتص من جدار الأمعاء الدقيقة إلى الدم ثم إلى الأنسجة ليولد الطاقة الحرارية المطلوبة للجسم بعد تمثيله وتحويله إلى ماء وثاني أكسيد الكربون، فلهذا كان التمر أنسب الأغذية للصائم، أول ما يبدأ به لإمداده بالطاقة الحرارية ولسهولة هضمه على المعدة والأمعاء.

وإننا نلاحظ أن رسول الله ﷺ كان من سنته الابتداء بالتمر يوم الفطر، بعد الانتهاء من صيام شهر رمضان، وقبل الذهاب إلى صلاة العيد، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: ((كان رسولُ اللهِ ﷺ لا يَغدُو يومَ الفطرِ حتى يأْكلَ تَمَراتٍ))[1]. ولعل ذلك لكي تتهيأ المعدة لاستقبال الطعام في يوم الفطر حيث إنها اعتادت الصيام لمدة شهر كامل فيبدأ بالتمر الملين للمعدة، لتأكل بعد ذلك ما شاءت من أنواع الطعام. وجاء في كتاب صحتك في الغذاء "لكي تتهيأ المعدة لاستقبال وجبة الطعام بعد صيام ساعات طويلة يبدأ بتناول مادة سكرية مثل: عصير الفاكهة أو كوب من الشاي واللبن، أو بعض تمرات من البلح كما كان يفعل رسول الله ﷺ".

بعد كسر الصيام ينتظر الصائم لمدة عشر دقائق قبل تناول أي طعام حتى تعود المعدة لحالتها الطبيعية بعد أن كانت في حالة استرخاء خلال فترة الصيام[2].

والخلاصة: (أن التمر غني بعدد من أنواع السكر فهو يتحلل رأسًا إلى الدم فالعضلات ليهبها القوة، فالصائم يستنفد السكر المكتنز في خلايا جسمه، وهبوط نسبة السكر في الدم عن حدها المعتاد هو الذي يسبب ما يشعر به الصائم من ضعف وكسل وزوغان البصر، لذا كان من الضروري أن نمدّ أجسامنا بمقدار وافر من السكر ساعة الإفطار لتعود إلى قواها سريعًا)[3].

---

(١) أخرجه البخاري ٩٥٣.

(٢) الإعجاز العلمي في السنة النبوية، الدكتور صالح بن أحمد رضا، ٢٩١/١-٢٩٣. وانظر: الإعجاز العلمي في السنة النبوية الدكتور زغلول النجار ٥٢/١-٥٧.

(٣) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ١٤٩/٣-١٥٠.

ثالثًا: من آداب الداعية: موافقة فعله لقوله

هذا واضحٌ من حديث سلمان فقد أخبر عن قول النبي ﷺ أما حديث أنس فقد أخبر عن فعله ﷺ، وفعله كان موافقًا لقوله ﷺ، وهكذا يكون الداعية فعله يطابق قوله، وهذا واضحٌ من وصف أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها لخلقه ﷺ: ((فَإِنَّ خُلُقَ نَبِيِّ اللّهِ كَانَ الْقُرْآنَ))[1].

قال الدكتور القرضاوي: (تعني أن سيرته كانت تجسيدًا حيًا للقرآن فكما بين القرآن للناس بقوله، بيّنه لهم بسيرته)[2].

وقد نعى الله سبحانه وتعالى على من يخالف فِعلُه قَوْلَه، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ﴾[3].

وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم تطابق أفعالهم أقوالهم، من ذلك ما رواه علقمة بن قيس النخعي عن عبدالله بن مسعود قال: ((لَعَنَ اللّهُ الْوَاشِمَاتِ وَالْمُسْتَوْشِمَاتِ، وَالنَّامِصَاتِ وَالْمُتَنَمِّصَاتِ، وَالْمُتَفَلِّجَاتِ لِلْحُسْنِ الْمُغَيِّرَاتِ خَلْقَ اللّهِ. قَالَ فَبَلَغَ ذٰلِكَ امْرَأَةً مِنْ بَنِي أَسَدٍ. يُقَالُ لَهَا: أُمُّ يَعْقُوبَ. وَكَانَتْ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ. فَأَتَتْهُ فَقَالَتْ: مَا حَدِيثٌ بَلَغَنِي عَنْكَ أَنَّكَ لَعَنْتَ الْوَاشِمَاتِ وَالْمُسْتَوْشِمَاتِ وَالْمُتَنَمِّصَاتِ وَالْمُتَفَلِّجَاتِ لِلْحُسْنِ الْمُغَيِّرَاتِ خَلْقَ اللّهِ. فَقَالَ عَبْدُ اللّهِ: وَمَا لِيَ لاَ أَلْعَنُ مَنْ لَعَنَ رَسُولُ اللّهِ؟ وَهُوَ فِي كِتَابِ اللّهِ. فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ: لَقَدْ قَرَأْتُ مَا بَيْنَ لَوْحَيِ الْمُصْحَفِ فَمَا وَجَدْتُهُ فَقَالَ: لَئِنْ كُنْتِ قَرَأْتِيهِ لَقَدْ وَجَدْتِيهِ. قَالَ اللّه عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْ﴾[4]. فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ: فَإِنِّي أَرَىٰ شَيْئًا مِنْ هٰذَا عَلَى امْرَأَتِكَ الآنَ. قَالَ: اذْهَبِي فَانْظُرِي. قَالَ فَدَخَلَتْ عَلَى امْرَأَةِ عَبْدِ اللّهِ فَلَمْ تَرَ شَيْئًا. فَجَاءَتْ إِلَيْهِ فَقَالَتْ: مَا رَأَيْتُ شَيْئًا.

---

(١) أخرجه مسلم ٧٤٦ مطولاً.

(٢) السنة مصدرًا للمعرفة والحضارة، ص ٢٥٨.

(٣) سورة الصف، آية: ٢-٣.

(٤) سورة الحشر، آية: ٧.

فَقَالَ: أَمَا لَوْ كَانَ ذَٰلِكِ، لَمْ نُجَامِعْهَا))[١].

ولعلّ من أروع الأمثلة على موافقة أفعال الصحابة أقوالهم ما حدث من عمر بن الخطاب رضي الله عنه عام الرمادة، قال الدكتور مصطفى السباعي: (كان ذلك في سنة ١٨هـ، إذ أصاب الناس في الحجاز قحط عظيم دام تسعة أشهر، حتى كانت الوحوش تأوي إلى الناس، وكان الناس يحفرون نفق اليرابيع والجرذان، ليأكلوا ما فيها من حشرات، واستغاث عمر بولاة الأمصار أن يمدوه بالميرة والطعام، ففعلوا، وكانت سَنَة أصاب عمر من همها وبلائها وحزنها ما نحل معه جسمه، واسودّ لونه، حتى قالوا: لو لم يرفع الله المحل وعام الرمادة، لظننا أن عمر يموت همًا بأمر المسلمين. ولقد كان يؤتى إليه من الأمصار بقوافل الطحين والسمن واللحوم، فيفرقها على المسلمين، ما يأكل منها شيئًا، وإنما كان يأكل الزيت والخبز والأسود، وكان يقول: لقد آليت على نفسي ألا آكل السمن واللحم حتى يشبع منهما المسلمون جميعًا)[٢].

ملحوظة: بوب النووي هذا الباب فقال: باب فضل تعجيل الفطر وما يفطر عليه، وما يقوله بعد إفطاره.

والملاحظ أنه ذكر ما يدل على فضل تعجيل الفطر، وما يفطر عليه، ولكنه لم يذكر الأحاديث التي تتضمن ما يقوله الصائم بعد إفطاره، فلعلّ سبب ذلك النسيان أو سبب آخر.

وقد ذكر النووي نفسه في كتاب الأذكار باب ما يقول عند الإفطار[٣]، ذكر تحته ما يلي:

١ - روينا في سنن أبي داود والنسائي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أفطر قال: ((ذَهَبَ الظَّمَأُ وَابْتَلَّتِ الْعُرُوقُ وَثَبَتَ الأَجْرُ إِنْ شَاءَ اللَّه))[٤].

---

(١) أخرجه البخاري ٤٨٨٦، ومسلم ٥١٢٥ واللفظ له.

(٢) عظماؤنا في التاريخ ١٢٨-١٣٩، وانظر: البداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق: أحمد أبو مسلم وآخرون ٦٨/١٠ وما بعدها.

(٣) الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيي الدين مستو ٢٢٠.

(٤) أخرجه أبو داود ٢٣٥٧ وحسنه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٢٠٦٦).

٢ - روينا في سنن أبي داود عن معاذ بن زهرة أنه بلغه أن النبي ﷺ كان إذا أفطر قال: ((اللَّهُمَّ لَكَ صُمْتُ وَعَلَى رِزْقِكَ أفْطَرْتُ))[١]. هكذا رواه مرسلاً.

٣ - وروينا في كتاب ابن السني عن معاذ بن زهرة قال: ((كانَ رسول الله ﷺ إذَا أَفْطَرَ قالَ الحَمْدُ للّه الَّذِي أَعَانَنِي فَصُمْتُ وَرَزَقَنِي فَأَفْطَرْتُ))[٢].

٤ - وروينا في كتاب ابن السني عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ((كان النبيُّ إذا أفطر قال: اللَّهُمَّ لكَ صُمْنا، وعَلى رِزْقِكَ أفْطَرْنا، فَتَقَبَّلْ مِنَّا إنَّكَ أنْتَ السَّمِيعُ العَلِيمُ))[٣].

٥ - وروينا في كتابي ابن ماجه وابن السني عن عبدالله بن أبي مليكة عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: ((قَالَ سَمِعْتُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يقول: إنَّ لِلصَّائِمِ عِنْدَ فِطْرِهِ لَدَعْوَةً مَا تُرَدُّ. قَالَ ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو يَقُولُ إِذَا أَفْطَرَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِرَحْمَتِكَ، الَّتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ، أَنْ تَغْفِرَ لِي))[٤].

(١) أخرجه أبو داود ٢٣٥٨ وضعفه الألباني (ضعيف سنن أبي داود ٥١٠).

(٢) أخرجه ابن السني في عمل اليوم والليلة ٤٨٠ وضعفه الألباني في ضعيف الجامع ٤٣٥٢.

(٣) أخرجه ابن السني ٤٨١ وضعفه الألباني في ضعيف الجامع ٤٣٥٥.

(٤) أخرجه ابن ماجه ١٧٥٣، وابن السني ٤٨٢، وضعفه الألباني (ضعيف سنن ابن ماجه ٣٨٧).

الحديث رقم (١٢٤١)

١٢٤١- وعن أنس ﷺ، قَالَ: كَانَ رسولُ الله ﷺ يُفْطِرُ قَبْلَ أنْ يُصلّي عَلَى رُطَبَاتٍ، فَإنْ لَمْ تَكُنْ رُطَبَاتٌ فَتُمَيْرَاتٌ، فَإنْ لَمْ تَكُنْ تُمَيْرَاتٌ حَسَا حَسَوَاتٍ مِنْ مَاءٍ. رواه أبُو داود والترمذيُّ[١]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

حسا: شرب[٢].

حسوات: جمع حَسوة: المرة من الشراب[٣].

الشرح الأدبي

يدل هذا الحديث على رفق الرسول ﷺ بالأمة؛ لأنه كان يفطر قبل أن يصلى، وهذا أكبر رد على الذين يتعجلون في صلاتهم حتى يذهبوا إلى بيوتهم فيدركون الطعام ولكن المصطفى ﷺ يتأنى في العبادة، ويعطى الجسد حقه، أو شيئاً من حقه لكي يصلى هادئاً مطمئناً، وجمع القلة في " رطبات " يدل على قلة ما يتناوله النبي أثناء إفطاره قبل صلاة المغرب، وكلمة " تميرات " المصغرة تؤكد هذا المعنى ولذلك كررت في قوله: " فإن لم تكن تميرات حسا حسوات من ماء " ومن" في قوله: " من ماء " للتبعيض وألفاظ الحديث كلها تشع بمدى بساطة النبي صلى الله علية وسلم، وتوازنه، وهدوئه، وجمعه بين متطلبات الجسد، والروح.

المضامين الدعوية[٤]

---

(١) أخرجه أبو داود (٢٣٥٦)، والترمذي (٦٩٦) واللفظ له، وقال: هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ. وقال الحاكم (٤٣٢/١): صحيحٌ على شرط مسلم. أورده المنذري في ترغيبه (١٥٩٤).

(٢) اللسان والوسيط في (ح س و).

(٣) اللسان والوسيط في (ح س و).

(٤) تقدم ذكرها مدمجة مع مضامين الحديث السابق.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- من مهام المربي: بيان الحكم الصحيح فيما قد يظن الناس خلافه:

لقد أخبر النبي ﷺ عن تعجيل الفطر بما يلي:

(أ) أنه لا يزال الناس إذا فعلوه بخير.

(ب) أن من يعجل الفطر يكون من أحبّ العباد إلى الله، فكلما كان أعجل أحبّه الله أكثر.

(ج) كما أخبرت عائشة رضي الله عنها أن هدي رسول الله ﷺ كان تعجيل الفطر وتعجيل الصلاة.

فاجتمعت في هذه الأحاديث السنة القولية والعملية على استحباب تعجيل الفطر، لقد تعاهد النبي ﷺ أصحابه في ذلك بالقول وبالفعل معًا، وذلك ليبين لهم أهمية هذا الأمر وشدة الترغيب فيه، والسؤال هنا: لماذا فعل النبي ﷺ ذلك؟

لعل الجواب يكمن فيما يلي: إن الصائم يميل إلى أن يحتاط لصيامه فلا يقدم على الإفطار إلا بعد أن يتأكد من دخول المغرب، ويزداد في الاحتياط فيزيد من عنده بعض الوقت ينتظر فيه ثم يتناول طعامه، ويظن أن هذا الفعل مرغوب فيه، إنه يظن ما الضرر من انتظاره عدة دقائق بعد دخول المغرب حتى يتناول إفطاره؟ بل قد يظن أن هذا من الدين ويقع في هذا عدد غير قليل من عوام المسلمين، فإذا ترك النبي ﷺ هذا الأمر دون بيان فقد يظل هؤلاء على اعتقادهم وعلى ظنهم بل قد يزداد الأمر إلى أنه ربما يؤخرون الإفطار إلى وقت العشاء ونحو ذلك زيادة في الاحتياط في زعمهم وفي ظنهم. لذا بيّن النبي ﷺ أن تعجيل الفطر هو السنّة وأن من فعل ذلك فقد خالف هذه السنة بل وأهملها وتركها وراء ظهره.

والمقصود أن النبي ﷺ يبيّن لهم الأمر الصحيح الذي ربما قد يظن بعضهم أن الصحيح خلافه، وفي هذا إرشاد للمربين أن يفعلوا مثلما فعل ﷺ، فيحرصوا أشد الحرص على بيان الصحيح من الأمور وخاصة الأمور التي قد يظن أن الصواب

فيها خلافها.

ثانيًا- التربية على الالتزام بالسنة النبوية:

لقد سأل التابعي أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن رجلين من أصحاب النبي ﷺ يختلف فعل أحدهما عن الآخر، لقد سأل يريد أن تخبره عن الصواب في ذلك، إنه يريد أن تخبره عن فعل النبي ﷺ وهديه في ذلك، وهذا ما فعلته عائشة رضي الله عنها فأخبرته عن هديه أنه ﷺ كان يعجل الإفطار والمغرب.

إن سؤال التابعي وإخبار عائشة رضي الله عنها يدلان دلالة قاطعة على أن الحجة هو سنة الرسول ﷺ ولا أحد غيره، فما صدر عنه فهو الذي يلتزم ويفعل وما عدا ذلك لا يلتفت إليه ولا يعتني به، وعلى ذلك ينبغي أن يربي الناشئة ويغرس في سويداء قلوبهم إنهم يجب أن يربوا على تعظيم ما جاء عن النبي ﷺ والعمل به، فهو الحق والصواب الذي لا حق ولا صواب بعده.

إن الناشئة حين يربون على ذلك يحصلون الفوائد الجمّة ، فمن ذلك:

(أ) عدم تلبسهم بالبدع والأوهام والخرافات والتحريف في الدين والتأويل الباطل، لأن ذلك يحفظ عليهم دينهم ويحميه من دخول البدع والمخالفات الشرعية عليه.

(ب) رغبتهم الشديدة في تعلم العلم الشرعي حتى يكونوا ملتزمين بالسنة عن علم لا عن تقليد.

(ج) عصمتهم من الفتن وتجنيبهم مواطن الزلل وحمايتهم من الأفكار الهدامة والدعاوى الباطلة.

ثالثًا- من الوسائل التعليمية: الحركات المعبرة:

لقد استخدم النبي ﷺ أسلوب الإشارة في بيان وقت الإفطار وعلاماته، فقال: (إذا أقبل الليل من ههنا وأدبر النهار من ههنا وغربت الشمس، فقد أفطر الصائم)، وفي الحديث الآخر: (وأشار بيده قبل المشرق)، فكانت الإشارة لزيادة توضيح المعنى وشدة بيانه، والإشارة من الحركات المعبرة التي يقصد بها: (تغير ملامح الوجه أو هيئة الجلسة أو الإشارة باليد أو بالإصبع أو غيرهما بهدف التعبير أو تجسيم الأحاسيس

وبلورتها بحيث تعرض سماتها الواضحة المعبرة على المشاهد، وهي تختلف عن أفعال الإنسان الأصلية التي يقوم بها في أكله وشربه.

وللحركات المعبرة معانٍ قد يعبر عنها بالكلام، وقد لا يوفيها الكلام حقها في التعبير، ذلك أن الإشارة لغة إنسانية يستطيع أن يتفاهم بها أناس من بلاد مختلفة لا يعرف بعضهم لغة بعض، كما يتفاهم بها البكم فيما بينهم، ومع الناطقين أيضًا وهي إذا كانت في محلها معينة على الفهم ملفتة للنظر طاردة الشرود مشركة في المتابعة أكثر من حاسة، فالناظر يرى الإشارة ويسمع العبارة ويذكر كل منهما الأخرى، وكان لحركته ﷺ وإشاراته موضع كبير في إجادة الأداء فحركته معبرة تلفت النظر وتنبه الغافل وتعين على الحفظ والتذكر، وعلى ذلك فاستخدام الرسول ﷺ للحركات المعبرة وسيلة تعليمية لأنها أوقع في نفس السامع)[1].

(وقد أثبتت الدراسات والبحوث التربوية والنفسية إمكان استثمار الوسائل التعليمية في القيام بوظائف مختلفة في العملية التعليمية منها -على سبيل المثال لا الحصر- معالجة عيوب اللغة اللفظية في التدريس وإثارة اهتمام الدارسين، وتوسيع مجالات خبرتهم، وجعل أثر التعليم باقيًا، وإبراز تسلسل الأفكار، ومراعاة الفروق الفردية بصورة أفضل، وإيصال الأفكار بجهد أقل ووقت قصير، والتغلب على حدود الزمان والمكان)[2].

رابعًا- التربية على إبداء الرأي:

لقد راجع الصحابي النبي ﷺ ثلاث مرات عندما أمره بخلط السويق بالماء للإفطار عليه، والنبي ﷺ لم يزد على أن أمره الأمر نفسه ولم يعنفه أو يلومه، قال ابن حجر: (وفيه - أي في الحديث- تذكير العالم بما يخشى أن يكون نسيه وترك المراجعة له بعد ثلاث)[3].

---

(١) الوسائل التعليمية في القرآن والسنة والآثار عن الصحابة، د. عبدالرحمن بن محمد بلعوض، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد: ١٣، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥، ص ٤٦٣، وانظر مراجعه ومصادره.

(٢) المرجع السابق ص ٤١٨ ومراجعه ومصادره..

(٣) فتح الباري ١/ ١٠٩٠ ط/ بيت الأفكار.

إن النبي ﷺ ربّى أصحابه رضي الله عنهم على الشجاعة والأدب في إبداء رأيهم، وفي مراجعة الصحابي للنبي ﷺ دليل واضح على حرية الرأي التي مارسها الصحابة رضي الله عنهم عمليًا، فلم يصادر النبي ﷺ رأي الصحابي، بل كرر عليه الأمر، ثم بين له الصواب في هذا الأمر بأدب عالٍ قائلاً: (إذا رأيتم الليل قد أقبل من ههنا فقد أفطر الصائم) إنها تربية نبوية متألقة في أدب الحوار وكيفية الإبانة عن حقيقة الأمر بدون تعنيف أو تسفيه للرأي الآخر، أو استعلاء في نبرة الحوار أو صلف أو غرور.

إن في التربية على حرية إبداء الرأي يحقق فوائد تربوية على درجة كبيرة من الخطورة منها:

أ - تعويد الناشئة وغيرهم على التعبير عن آرائهم واجتهاداتهم بقوة وشجاعة وأدب، مما يجعلهم أصحاب شخصيات مستقلّة، لا يسيرون وراء كل سائر، أو وراء كل ناعق، أو وراء كل زاعق، لأنهم أبعد ما يكون كما يسمى - في الفكر التربوي والاجتماعي - بثقافة القطيع التي تعني - فيما تعني - أن كثيرًا من الناس تذوب شخصياتهم ويهملون عقولهم ويتركون قدراتهم التفكيرية وراء ظهورهم ويستجيبون لمن يحرّك عواطفهم ويدغدغ أحاسيسهم ويمنيهم الأماني الكاذبة ويعدهم العدات الباطلة.

ب- تعويدهم على الإيجابية والمشاركة والتفاعل مع ما يدور حولهم واتخاذ المواقف المناسبة تجاهها، وإبداء الآراء المعتدلة فيها، ومحاولة إصلاح ما يمكن إصلاحه.

إن مما تعاني منه كثير من الدول والأمم سلبية شعوبها وبالأخص شبابها الذي هو أملها المدافع عن مصالحها الحامل لأمانيها وآمالها والمستلم دفة القيادة، إن سلبية هذا الشباب تجعل مستقبل هذه الدول في خطر شديد.

ج- طرح كثير من البدائل المشروعة والحلول غير التقليدية التي توصل إلى المقصود بأدنى جهد وأقل وقت، مما يوفر معه كثيرًا من الجهود والأوقات التي توجه إلى معالجة كثير من القضايا والإشكاليات، وما أكثرها وأعقدها في عالمنا المعاصر.

وغير ذلك من الفوائد التي لا تخفى، ولكي يكون إبداء الرأي فعالاً ومساهمًا

مساهمات تربوية بارزة، لابد أن يتوافر فيه صفات رئيسة، منها:

أ- الإخلاص في إبداء الرأي، فلا يكون الباعث عليه محاباة أو عداوة أو حسد أو حقد أو تشهير أو مجرد الاختلاف ونحو ذلك، مما يجعل معه إبداء الرأي معوقًا من أكبر المعوقات دون أن يكون من أنجح الحلول وأقواها.

ب- أن يكون إبداء الرأي عن علم واسع وإدراك فاهم، لا أن يكون صادرًا عن مجرد إلمام بالموضوع أو عن انطباعات عابرة أو تأثر ببعض المواقف وببعض الاتجاهات.

ج- عدم الربط بين إبداء الرأي وبين قائله، وهذا يحل كثيرًا من الاشتباكات بين أصحاب الآراء المختلفة، لأنه كثيرًا ما يربط بين الرأي وبين قائله، فإذا لم يؤخذ به فمعنى ذلك أن صاحبه قد رفض وأن شخصيته قد اهتزت، مما يجعل كثيرًا من تلك الاشتباكات شخصية في المقام الأول.

فإذا توافر في الرأي هذه الصفات الرئيسة على الأقل كان عاقبته محمودة، لذا كان على أهل التربية أن يجمعوا في تربيتهم بين إبداء الرأي، وتوافر الصفات التي تكفل لهذا الرأي أن يكون رأيًا إيجابيًا نافعًا مفيدًا.

خامسًا- التربية على إيجاد البدائل المشروعة:

لقد كان النبي ﷺ يفطر على شيء من أشياء ثلاثة:

(أ) رطبات.

(ب) فإن لم يجد انتقل إلى التمر.

(ج) فإن لم يجد انتقل إلى الماء.

أليس في هذا الحديث تعليم وإرشاد لأهل التربية أن يربوا الناشئة وغيرهم على إيجاد البدائل المشروعة، إذا فقدوا الأصل أو كان بعيدًا عنهم لأي سبب من الأسباب؟.

"إن منهج الرسول ﷺ العملي يأتي مطابقًا لما سار عليه الشرع في كتابه العزيز، فقد كانت بعثته ﷺ في أصلها خطوة عملية لإيجاد البدائل الصالحة لما كان منتشرًا قبل البعثة من مفاسد، والتي كانت سببًا في تغيير كثير من المفاهيم المنتشرة آنذاك، فأوجد ﷺ مجتمعًا بديلاً عن مجتمع الجاهلية الأولى، الذي كان منهج حياته يقوم

على عبادة الأحجار والأشجار والتفاخر بالأحساب والأنساب واعتداء القوي على الضعيف، فأوجد مجتمعًا أساسه عبادة الله وحده، قائمًا على الأخوة والعدل والمساواة، جاعلاً معيار التفاضل والتفاخر منه على أساس التقوى.

فإنه بهذا الأسلوب الحكيم الذي زرعه في قلوب أصحابه ﷺ هيأهم إلى قبول التشريعات الربانية وسماع التعاليم الإسلامية وغير منهج حياتهم تغييرًا كاملاً، وبعد أن قام بمهمته ﷺ في مكة المكرمة فأوجد البديل الصالح فيها انتقل إلى إيجاد الدولة المسلمة البديلة في المدينة المنورة التي امتازت بقيامها على العدل والمساواة حتى صارت مثالاً نموذجيًا يضاهي الدول الكبرى القائمة في ذلك العصر بل يمتاز عليها.

ومن خلال تلك الدولة وتلك التنظيمات والتشريعات ظهرت حضارة جديدة تتفوق عما سبقها من حضارات وتشع بنورها عبر الأزمان، وتتضح معالمها ويمتد خيرها يومًا بعد يوم.

واستمر الصحابة الكرام ﷺ من بعده على هذا الأسلوب القويم الذي رباهم عليه المربي الأول ﷺ فقاموا بأمر الدعوة حق القيام مراعين في ذلك واقعهم وأوضاعهم والظروف المحيطة بهم، فنشروا الإسلام في أنحاء المعمورة[1].



(١) البدائل المشروعة وأهميتها في نجاح الدعوة الإسلامية، د. سالم محمد أبو الفتح البيانوني، ط/١ الإبداع الفكري، الكويت: ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، ص ٩ - ١٠.

٢٢٣- باب أمر الصائم بحفظ لسانه وجوارحه عن المخالفات والمشاتمة ونحوها

الحديث رقم (١٢٤٢)

١٢٤٢- عن أَبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: ((إِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ، فَلاَ يَرْفُثْ وَلاَ يَصْخَبْ، فَإِنْ سَابَّهُ أحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ، فَلْيَقُلْ: إنِّي[1] صَائِمٌ)) متفقٌ عَلَيْهِ[2].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

فلا يَرْفُثْ: من الرَّفَث، وهو الكلام الفاحش، وأيضًا ذِكْر الجماع ومقدماته مع النساء[3].

ولا يَصْخَب: من الصَّخَب: وهو الخصام والصّياح[4].

سابَّه: شاتمه[5].

الشرح الأدبي

بني الحديث الشريف على أسلوب الشرط، وجوابه: " إذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب " وإذا " تفيد تحقق ما بعدها، أي أن الصوم قائم، وقادم لا محالة مادام الإنسان قد دخل تحت مظله الإسلام، ولفظ " أحدكم " يشع بأن كل أحد

---

(١) عندهما زيادة: (امرؤ).

(٢) أخرجه البخاري (١٩٠٤) واللفظ له، ومسلم (١١٥١/١٦٣)، وتقدم برقم (١٢٢٢). أورده المنذري في ترغيبه (١٦٠٢)

(٣) فتح الباري ٤/١٢٦.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ص خ ب).

(٥) المرجع السابق في (س ب ب).

مسئول عن عمله، ويجب عليه أن يحفظ صيامه، ولذا أسند الفعلين المنهي عنهما إلى الفاعل المستتر فيهما ليؤكد ما سبق من ناحية المسئولية الفردية للمؤمن، وذلك – تحديداً – في الفعلين " فلا يرفث، و لا يصخب " ثم جاء المصطفى – علية الصلاة والسلام بجمله شرطية أخرى تلفت الصائمين إلى شيء مهم إذا هو لم يرفث، ولم يصخب ولكنه لو أعتدي عليه أحد ماذا يفعل ،وضع له خاتم الرسل حلا يخرج به دون خدش صيامه: " فإن سابه أحد أو قاتله فليقل: إني صائم " وتشديد الباء في " سابه " يدل على إكثار السب له، والاعتداء عليه فعليه أن يقول: " إني صائم " ليذكر نفسه أولا ، ويذكر الخصم لعله يرتدع، ويقلع عن تلك المخالفات ثم إن لهذه التوجيهات لها بعد نفسي لأنها تربي المسلم على السيطرة على نفسه، وغضبه معان على ذلك بالصيام حتى إذا انقضى رمضان يكون قد وطن نفسه على ترويضها لمرضاة الله تعالى.

فقه الحديث

١ - قال ابن قدامة: (ويجب على الصائم أن ينزه صومه عن الكذب والغيبة والشتم. قال أحمد: ينبغي للصائم أن يتعاهد صومه من لسانه ولا يماري، ويصون صومه كانوا إذا صاموا قعدوا في المساجد وقالوا: نحفظ صومنا ولا نغتاب أحدًا ولا يعمل عملًا يجرح به صومه، وذلك لحديثي الباب)[1].

وقال النووي: (فلو اغتاب في صومه عصى ولم يبطل صومه عندنا، وبه قال مالك وأبو حنيفة وأحمد والعلماء كافة إلا الأوزاعي، فقال يبطل الصوم بالغيبة ويجب قضاؤه، واحتج بحديث "من لم يدع قول الزور ..." وأحاديث أخر[2].

وقال النووي: (وأجاب أصحابنا عن الأحاديث بأن المراد أن كمال الصوم وفضيلته المطلوبة أن يهتم بصيانته عن اللغو والكلام الردئ، لا أن الصوم يبطل به)[3].

---

(١) المغني ٤٤٧/٤ .

(٢) المجموع ٢٥٨/٦ ، وانظر: فتح الباري ٤٧٤/١٠ .

(٣) المجموع ٢٢٨/٦.

وناقش ابن حجر من استدلّ بالحديث على أن الغيبة تفطر، قال: (وفي كلامه مناقشة، لأن حديث الباب لا ذكر للغيبة فيه، وإنما فيه قول الزور والعمل والجهل، ولكن الحكم والتأويل في كل ذلك ما أشار إليه)[1].

المضامين الدعوية [2]

أولًا: من موضوعات الدعوة: حفظ الصائم لسانه وجوارحه عن المخالفات والمشاتمة ونحوها.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: خطورة قول الزور.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الشرط.

أولاً- من موضوعات الدعوة: حفظ الصائم لسانه وجوارحه عن المخالفات والمشاتمة ونحوها:

هذا واضحٌ من الحديثين، قال النووي عن الحديث الأول: (فيه نهي الصائم عن الرفث وهو السخف وفاحش الكلام... والجهل قريب من الرفث، وهو خلاف الحكمة وخلاف الصواب من القول والفعل.

قوله ﷺ: "فإن امرؤ شاتمه أو قاتله" معناه: شتمه متعرضًا لمشاتمته ومعنى قاتله: نازعه ودافعه، وقوله ﷺ: "فليقل إني صائم" اختلفوا في معناه: فقيل: بلسانه جهرًا يسمعه الشاتم والمقاتل فينزجر غالبًا. وقيل: لا يقول بلسانه، بل يحدث به نفسه ليمنعها من مشاتمته ومقاتلته ومقابلته ويحرس صومه عن المكدِّرات، ولو جمع بين الأمرين كان حسنًا.

واعلم أن نهي الصائم عن الرفث والجهل والمخاصمة والمشاتمة ليس مختصًا به، بل كلُّ أحد مثله في أصل النهي عن ذلك، لكن الصائم آكد)[3].

---

(١) فتح الباري ٤٧٤/١٠، وانظر: فتح الباري ١١٦/٤-١١٨ .

(٢) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث - ١٢٤٢ - مع المضامين الدعوية للحديث رقم ١٢٤٣.

(٣) شرح صحيح مسلم ٣١/٨/٤، .

وقال ابن القيم: (قوله ﷺ: ((وآمَرَكُمْ بالصِّيَامِ، فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ في عصَابَةٍ مَعَهُ صُرَّةٌ فِيهَا مِسْكٌ فَكُلُّهُمْ يُعْجَبُ أَوْ يُعْجِبُهُ رِيحُهَا وَإِنَّ رِيحَ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّه مِنْ رِيحِ المِسْكِ))[1] إنما مثل ﷺ ذلك بصاحب الصرة التي فيها المسك، لأنها مستورة عن العيون، مخبوءة تحت ثيابه، كعادة حامل المسك، وهكذا الصائم، صومه مستور عن مشاهدة الخلق لا تدركه حواسهم، والصائم هو الذي صامت جوارحه عن الآثام ولسانه عن الكذب والفحش وقول الزور، وبطنه عن الطعام والشراب وفرجه عن الرفث، فإن تكلم لم يتكلم بما يجرح صومه، وإن فعل لم يفعل ما يفسد صومه، فيخرج كلامه كله نافعًا صالحًا وكذلك أعماله، فهي بمنزلة الرائحة التي يشمها من جالس حامل المسك، كذلك من جالس الصائم انتفع بمجالسته له، وأمن فيها من الزور والكذب والفجور والظلم. هذاهو الصوم المشروع لا مجرد إمساك عن الطعام والشراب، ففي الحديث الصحيح - الحديث الثاني - : ((مَن لم يَدَعْ قولَ الزُّورِ والعملَ بهِ فليسَ للهِ حاجةٌ في أن يَدَعَ طعامَهُ وشَرابَه))، وفي الحديث: ((رُبَّ صَائِمٍ حَظُّهُ مِنْ صِيَامِهِ الجُوعُ والعَطَشُ))[2]، فالصوم هو صوم الجوارح عن الآثام، وصوم البطن عن الشراب والطعام، فكما أن الطعام والشراب يقطعه ويفسده، فهكذا الآثام تقطع ثوابه وتفسد ثمرته فتصيره بمنزلة من لم يصم)[3].

وقال ابن عثيمين: (إنه يجب على الصائم أن يتجنب كل قول محرم وكل فعل محرم، لأن الله تعالى إنما فرض الصيام من أجل التقوى، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾[4] أي من أجل أن تتقوا الله عز وجل وتجتنبوا محارمه، ولا يريد الله من عباده أن يضيق عليهم بترك الأكل والشرب والجماع، ولكن يريد أن يمتثلوا أمره، ويجتنبوا نواهيه حتى

---

(١) أخرجه الترمذي ٢٨٦٣، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٢٩٨).

(٢) أخرجه أحمد ٣٧٣/٢، رقم ٨٨٥٦، وقال محققو المسند: إسناده جيد ٤٤٥/١٤.

(٣) الوابل الصيب من الكلم الطيب، ٢٨١/٢-٢٨٢.

(٤) سورة البقرة، آية: ١٨٣.

يكون الصيام مدرسة يتعودون فيها على ترك المحرمات وعلى القيام بالواجبات، وإذا كان شهر كامل يمر بالإنسان وهو محافظ على دينه، تارك للمحرم قائم بالواجب، فإن ذلك سوف يغيّر مجرى حياته. وبهذا بين الله الحكمة من ذلك بأنها التقوى، وقال النبي ﷺ "إذا كان صوم أحدكم فلا يرفث ولا يفسق" يعني: لا يفعل فعلاً محرمًا ولا يقول قولاً محرمًا، "فإن سابه أحد" يعني صار يعيبه ويشتمه "أو قاتله" فليقل "إني صائم" حتى يدفع عن نفسه العجز عن المدافعة، ويبيّن لصاحبه أنه لولا الصيام لقابلتك بمثل ما فعلت بي، فيبقى عزيزًا لا ذليلاً، لكنه ذلّ لعبودية الله تعالى وطاعة الله وكذلك قال ﷺ "من لم يدع قول الزور" يعني: قول المحرم "والعمل به" أي بالمحرم "والجهل" كما في لفظ آخر، يعني: العدوان على الناس، "فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه" فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه، لأن الله تعالى إنما أوجب الصيام لأهم شيء وهو ترك المحرمات والقيام بالواجبات)[1].

وقال جابر بن عبدالله رضي الله عنهما: ((إذا صمت فليصم سمعك وبصرك ولسانك عن الكذب والمآثم، ودع أذى الخادم، وليكن عليك وقار وسكينة يوم صيامك ولا تجعل يوم فطرك ويوم صيامك سواء))[2].

وقال أبو المتوكل: (إن أبا هريرة وأصحابه كانوا إذا صاموا جلسوا في المسجد).

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ((ليس الصيام من الطعام والشراب وحده، ولكنه من الكذب والباطل واللغو والحلف))[3].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: خطورة قول الزور:

هذا واضح من قَوْل النبي ﷺ: "من لم يَدَعْ قول الزور والعملَ به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه". قال ابن هبيرة: (في هذا الحديث من الفقه أن الصائم مأمور بتنزيه صومه عن أن يجرحه بشيء من فلتات لسانه، حتى إن شهادة تبلغ في إفساد

---

(١) شرح رياض الصالحين ٢/١٤٠٥-١٤٠٦.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ٣/٢ -٤.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة ٣/٤.

الصوم إلى أن يقول رسول الله ﷺ "فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه" فمعنى قوله ﷺ "ليس لله حاجة"، فإنه كلام يشير إلى مغاضبة عليه، مع العلم بأن الله عز وجل لا حاجة له إلى صيام صائم، وإنما ذكر رسول الله ﷺ هذا إعلامًا لمن فعله أن الله سبحانه قد بلغ غضبه على شاهد الزور إلى ألا يراه معدودًا في الصائمين)[١].

وقال ابن حجر: (قوله "قول الزور والعمل به" زاد المصنف في الأدب[٢] عن أحمد بن يونس عن ابن أبي ذئب "والجهل". ولابن ماجه[٣] من طريق ابن المبارك "من لم يدع قول الزور والجهل والعمل به" جعل الضمير في "به" يعود على الجهل، والأول جعله يعود على قول الزور، والمعنى متقارب، ولما روى الترمذي حديث أبي هريرة[٤] هذا قال: وفي الباب عن أنس. قلت: وحديث أنس أخرجه الطبراني في الأوسط بلفظ "من لم يدع الخنَا والكذب" ورجاله ثقات. والمراد بقول الزور الكذب، والجهل السفه والعمل به أي بمقتضاه، قوله "فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه" قال ابن بطال: ليس معناه أن يؤمر بأن يدع صيامه، وإنما معناه التحذير من قول الزور وما ذكر معه. وهو مثل قوله ((مَنْ بَاعَ الْخَمْرَ فَلْيُشَقِّصِ الْخَنَازِيرَ))[٥] أي يذبحها، ولم يأمره بذبحها ولكنه على التحذير والتعظيم لإثم بائع الخمر، وأما قوله "فليس لله حاجة" فلا مفهوم له، فإن الله لا يحتاج إلى شيء، وإنما معناه فليس لله إرادة في صيامه فوضع الحاجة موضع الإرادة، قال ابن المنير في الحاشية: بل هو كناية عن عدم القبول كما يقول المغضب لمن رد عليه شيئًا طلبه منه فلم يقم به: لا حاجة لي بكذا فالمراد رد الصوم المتلبس بالزور وقبول الصوم السالم منه)[٦].

---

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٧/٢٢١.

(٢) أخرجه البخاري ٦٠٥٧.

(٣) أخرجه ابن ماجه ١٦٨٩.

(٤) أخرجه الترمذي ٧٠٧.

(٥) أخرجه أبو داود ٣٤٨٩، وضعفه الألباني (ضعيف سنن أبي داود ٧٥٢).

(٦) فتح الباري ٤/١١٧-١١٨، .

وقال الشيخ عبدالله البسام: (قول الزور هو القول المائل عن الحق إلى الباطل، فيدخل فيه كل كلام محرم من الكذب والغيبة والنميمة وشهادة الزور والسب والشتم وغير ذلك. فكل قول زور فهو محرم في كل زمان ومكان، ولكن يعظم ويشتد إثمه إذا كان في زمان فاضل كرمضان، ومكان فاضل كالحرمين، وحالة فاضلة كالصيام.

أما الجهل فهو ضد الحلم من السفه بالكلام الفاحش، فهو أيضًا محرم على كل حال، وحرمته من الصائم أعظم وأشد.

إن الصيام مع قول الزور والجهل والسفه ناقص المعنى، قليل الأجر، لأنه ليس صومًا تامًا كاملاً، ولو كان كذلك لصان صاحبه عن الأقوال المحرمة وفضول الكلام.

وقوله "فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه" يراد به بيان عظم ارتكاب قول الزور والجهل في حال الصيام، وإلا فالله تعالى غني عن العالمين وأعمالهم. والصيام مع الكلام المحرم ظاهره الصحة، وأداء الواجب عن صاحبه، إذ أنه ليس من المفطرات الحسية.

قال في الإقناع: "ولا يفطر بغيبة ونحوها". قال الوزير: اتفقوا على أن الكذب والغيبة يكرهان للصائم، ولا يفطرانه، فصومه صحيح في الحكم، وهذا مبني على قاعدة هي: أن التحريم إذا كان عامًا لا يختص بالعبادة، فإنه لا يبطلها، بخلاف التحريم الخاص.

من آداب الصائم ما قاله في الإقناع[1]: ويجب اجتناب كذب وغيبة ونميمة وشتم وفحش ونحوه كل وقت، وفي رمضان ومكان فاضل آكد، وأن لا يعمل عملاً يجرح به صومه، فكفّ لسانه عما يحرم ويكره، وإن شتم سن له جهرًا في رمضان أن يقول: إني صائم، وفي غير رمضان يقولها سرًا يزجر نفسه بذلك خوف الرياء. ويستحب

---

(١) الإقناع لطالب الانتفاع: الحجاوي: موسى بن أحمد بن موسى ٩٦٨هـ، تحقيق د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث بدار هجر، هجر للطباعة والنشر، القاهرة، ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، ١/٥٠٥-٥٠٦.

الإكثار من قراءة القرآن والذكر والصدقة لتضاعف الحسنات به.

وقوله: "فليس لله حاجة..." فيه إثبات الحكمة من الشرائع، وأن منها تهذيب النفوس وتقويم الأخلاق واستقامة الطباع كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾[1].

والمقصود من شرعية الصيام ليس نفس الامتناع عن المفطرات والجوع والعطش، بل ما يتبع ذلك من كسر الشهوات وإطفاء ثائرة الغضب، وتطويع النفس الأمارة حتى تصير مطمئنة، فإن لم يحصل له شيء من ذلك لم يبال الله بصومه ولا ينظر إليه نظر قبول)[2].

وقد جعل النبي ﷺ شهادة الزور من الكبائر، فقال لأصحابه: ((ألا أُنبِّئُكم بأكبَرِ الكبائِر "ثلاثًا"؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: الإشراكُ بالله، وعقوقُ الوالِدَين - وجلَسَ وكان مُتَّكِئًا فقال - : ألا وقولُ الزُّورِ. قال: فما زال يُكَرِّرُها حتّى قلنا: لَيتَهُ سَكَتَ))[3].

قال ابن حجر: (قوله "وجلس وكان متكئًا" يشعر بأنه اهتم بذلك حتى جلس بعد أن كان متكئًا، ويفيد ذلك تأكيد تحريمه وعظم قبحه، وسبب الاهتمام بذلك كون قول الزور أو شهادة الزور أسهل وقوعًا على الناس والتهاون بها أكثر، فإن الإشراك ينبو عنه المسلم والعقوق يصرف عنه الطبع، وأما الزور فالحوامل عليه كثيرة كالعداوة والحسد وغيرهما فاحتيج إلى الاهتمام بتعظيمه، وليس ذلك لعظمها بالنسبة إلى ما ذكر معها من الإشراك قطعًا، بل لكون مفسدة الزور متعدية إلى غير الشاهد، بخلاف الشرك فإن مفسدته قاصرة غالبًا... وفي الحديث تحريم شهادة الزور، وفي معناها كل ما كان زورًا من تعاطي المرء ما ليس له أهلاً)[4].

---

(١) سورة العنكبوت، آية: ٤٥.

(٢) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ١٥٤/٣-١٥٥.

(٣) أخرجه البخاري ٢٦٥٤، ومسلم ٨٧.

(٤) فتح الباري ٢٦٣/٥، .

وقال الشيخ عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني: (في حياة الناس نوع خطير من الكذب شديد القبح سيء الأثر ألا وهو شهادة الزور، إن الأصل في الشهادة أن تكون سندًا لجانب الحق، ومعينة للقضاء على إقامة العدل والحكم على الجناة الذين تنحرف لهم أهواؤهم وشهواتهم، فيظلمون أو يبغون أو يأكلون أموال الناس بالباطل، فإذا تحولت الشهادة عن وظيفتها، فكانت سندًا للباطل، ومضللة للقضاء، حتى يحكم بغير الحق، استنادًا إلى ما تضمنته من إثبات فإنها تحمل حينئذٍ إثم جريمتين كبيرتين في آن واحد: الجريمة الأولى: عدم تأديتها وظيفتها الطبيعية الأولى، الجريمة الثانية: قيامها بجريمة إيجابية، تهضم فيها الحقوق ويظلم فيها البرآء ويستعان بها على الإثم والبغي والعدوان... ولذلك قرن الله تبارك وتعالى التحذير من قول الزور بالتحذير من الشرك بالله، فقال تعالى في سورة الحج: ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ﴾[1])[2].

ثالثًا- من أساليب الدعوة: الشرط:

هذا واضح من الحديثين، فالحديث الأول فيه "إذا، و"إن" والحديث الثاني فيه "من". وكلاهما أداتا شرط. وجاء الشرط مناسبًا ليرتب طلبًا على فعل، أو جزاء على فعل. ففي الحديث الأول، حضٌ على الالتزام بآداب الصوم إذا كان هناك صوم، وفي الحديث الثاني، ترهيب لمن أقدم على قول الزور والعمل به وهو صائم بأن الله لن يقبل صومه.

وأسلوب الشرط من أساليب الدعوة التي تشد انتباه المدعو للدعوة، حيث إنه يتطلع إلى معرفة فعل وجواب وجزاء الشرط، ومدى أهميته أو خطورته، فيلتزم بالدعوة، أو ينتهي عما فيه خطورة عليه أو على غيره.

---

(١) سورة الحج، آية: ٣٠.

(٢) الوجيزة في الأخلاق الإسلامية وأسسها، ص ٢٤٧-٢٤٨.

الحديث رقم (١٢٤٣)

١٢٤٣- وعنه، قَالَ: قَالَ النبيُّ ﷺ: ((مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالعَمَلَ بِهِ فَلَيْسَ للهِ حَاجَةٌ فِي أنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ)) رواه البخاريُّ[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

الزور: الكذب والباطل والتهمة[2].

الشرح الأدبي

يبين الرسول ﷺ في هذا الحديث خطأ من الأخطاء التي يمكن أن يتردى فيها بعض الناس، ولا يدركون خطرها، وهو مضيع للصيام موبق للصائم مناقض لسلوكه، وقد استخدم لبيان هذا الخطأ، وخطره عدة أساليب بلاغية: منها: البداية بالأسلوب الخبري الخالي من المؤكدات في قوله ﷺ (من لم يدع قول الزور) لأن المقام لخالي الذهن مع ما يوحى به من ثقة المتكلم في قبول المخاطب وعدم إنكاره، وهو أسلوب شرط جملة الشرط قوله (من لم يدع قول الزور والعمل به. ..) ومن اسم موصول فيه معنى الشرط ويستخدم للعاقل، وجملة الشرط تؤكد على ضرورة ترك الصائم لقول الزور، أو العمل به حتى لا يضيع ثوابه أو يفرغ صيامه من مضمونه ومنها: وقدم القول على العمل لخطورة اللسان وكثرة حركته فيما يفيد، وما لا يفيد وقدم القول أيضا لان معظم الأخطاء البشرية تحدث بسببه ومعظم العداوات والخصومات والمشاحنات تنتج عن الإفساد بالقول والنميمة والغيبة والبهتان وأضاف "القول" إلى "الزور" لأنة سببه، فمعنى "الزور" هو الميل عن الحق إلى الباطل وهذا ما يدفعه إلى القول والخوض مع الخائضين ثم يأتي العمل كمرحلة تالية للقول لان الإنسان قد يخطيء

---

(١) برقم (١٩٠٣). أورده المنذري في ترغيبه (١٦٠٠).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ز و ر).

باللسان ولكنه يتراجع ويندم وهناك من يتمادى في الآثام ويضيف إلى أخطاء اللسان أخطاء الجوارح كلها فيعمل سوءاً، أو يظلم نفسه وعندئذ فلا عبرة بتركة للطعام والشراب لأن صومه لم يؤثر فيه ومنها :الكناية في قوله:(فليس لله حاجة) كناية عن عدم الرضا، والقبول، وليس معناه أن يؤمر بأن يدع صيامه، وإنما معناه التحذير من قول الزور، وما ذكر معه".

فقه الحديث

يشير الحديث إلى الحكم التالي:

حكم صيام من اغتاب غيره: ذهب جمهور أهل العلم إلى أنه يجب على الصائم أن يكف لسانه عن الغيبة، فلو اغتاب في صومه فقد عصى ولم يبطل صومه[1]. وذهب الأوزاعي، وابن التين وجماعة من السلف إلى بطلان صوم من اغتاب غيره في نهار رمضان ويجب عليه القضاء مستدلين بحديث الباب[2].

ويناقش هذا: بأن المراد أن كمال الصوم وفضيلته المطلوبة إنما يكون بصيانته عن اللغو والكلام الردئ لا أن الصوم يبطل به[3].

والراجح هو رأي جمهور الفقهاء، لأن الحديث لا يدل على ذلك وغاية ما يدل عليه هو عدم قبول الصوم يقول الإمام البهوتي (إن الحسنات والسيئات تتضاعف بالزمان والمكان الفاضل. قال أحمد: ينبغي للصائم أن يتعاهد صومه من لسانه ولا يُماري، ويصون صومه، كانوا إذا صاموا قعدوا في المساجد وقالوا نحفظ صومنا، ولا نغتاب أحدًا، ولا يعمل عملاً يخرج به صومه)[4].

المضامين الدعوية[5]

(١) حاشية الدسوقي ٥١٥/١، مغني المحتاج ١٦٦/٢، المجموع شرح المهذب ٣٩٨/٦، شرح منتهى الإرادات ٤٨٨/١، فتح الباري ٥٧٢/١٠.

(٢) المجموع شرح المهذب ٣٩٨/٦، فتح الباري ٥٧٢/١٠.

(٣) المجموع شرح المهذب ٣٩٩/٦.

(٤) شرح منتهى الإرادات ٣٧٥/٢.

(٥) تقدم ذكرها مدمجة مع مضامين الحديث السابق.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- التربية على الالتزام بآداب الصيام:

لقد أمر النبي ﷺ الصائم أن ينزه لسانه عن قول الفحش واللغط وأمره كذلك بالكفّ عن أن يردّ السبّ بالسب والفحش بالفحش والاعتداء بالاعتداء بل يمسك عن ذلك كله ويعلن أنه صائم، فلا ينبغي أن ينزلق إلى هذا المنزلق وينزل إلى هذا المنزل الذي لا يليق بالمسلم فضلاً عن المسلم الصائم، والسؤال هنا: لماذا خص ﷺ الصائم بذلك مع أن المسلم مطالب بذلك في جميع أحواله: في صيامه وإفطاره في رمضان وغير رمضان؟

الجواب قد يكمن فيما يلي:

أ- أن الصائم قد ترك مألوفه من الطعام والشراب، لذا كان من الأولى في هذا المقام أن يترك ما هو من غير مألوفه وإنما يأتيه عرضًا أو وقتًا قليلاً، أي أن الصائم ترك المباح فلأن يترك غير المباح كان من باب أولى.

ب- أو أن شهر رمضان شهر كثير الفضل، فكان من المناسب أن من يصومه يكون متفضلاً باذلاً، فإن كان يمتنع عن اللغو واللغط والفحش، وهذا واجب عليه، فإنه لا يزال الباب مفتوحًا أمامه للبذل والتفضل، إنه يتفضل فيقابل السيئة بالحسنة والعدوان بالعفو، وذلك حتى يكون منتظمًا ومتوافقًا مع خصائص شهر رمضان شهر الفضل والجود.

ج- أو أنّ على الصائم أن يكون عاملاً مساعدًا لإخوانه الصائمين على القيام بآداب الصيام وسننه وفضائله، فلا يكون لهم معوقًا عن إدراك هذه الغاية السامية، فلا يفحش في القول أو يكثر اللغط حتى لا يسبب عداوة تجعل المعتدي عليه يرد الإساءة بالإساءة فينشغل بذلك عن صومه، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى يعفو ويصفح عمن اعتدى عليه بالسب أو الشتم أو نحو ذلك ولا يقابله بمثل فعله أو اعتدائه، فإن هو فعل ذلك حافظ على صيامه كما أتاح الفرصة للمعتدي أن يراجع

نفسه أو على الأقل أن لا يتمادى في اعتدائه وعدوانه، ويقف عند درجة معينة، وبهذا حافظ على صومه ولو بصورة ناقصة، وهذا أفضل من أن يذهب بصومه عندما يزداد في الاعتداء ويلجّ في الخصومة.

والخلاصة أن على الصائم أن يلتزم الآداب التي تجعل صومه غير مخدوش باعتداء أو ظلم من القول أو الفعل. قال الأستاذ محمد شديد: (في الصوم أمر بالضبط، وتفوق الإرادة، وتهيئة النفس لمواجهة شهواتها أقوى ما تكون، فلا يصح الصوم حتى يحفظ الصائم جوارحه كلها، ويقيم من نفسه رقيبًا يقظًا عليها، فلا لغو ولا غيبة ولا نظر ولا رفث ولا غضب، حتى إذا اعتدى عليه أحد حال صومه بينه وبين ردّ الاعتداء، وأمر الشباب الذين لا يستطيعون الزواج بالصوم ((يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ البَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِيعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ، فَإِنَّهُ لَهُ وَجَاءٌ))[1] تربية على قوة الإرادة وتدريب على مغالبة الشهوة والانتصار، وليس قضاء عليها بإضعاف الجسد بالصوم، والصوم تربية للضمير، فليس على الصائم رقيب إلا الله، فيعتاد الأمانة بعد ذلك في كل أمور الحياة، ويحس فيها برقابة الله، ومن ثم اعتبره القرآن سبيلاً للتقوى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾[2])[3].

ثانيًا- التنفير من قول الزور والعمل به:

قول الزور عمل خطير وفعل شنيع لا ينتج إلا ظلمًا وعدوانًا وتشويه سمعة الناس وإشاعة للفاحشة والفحشاء، لذا حُرِّم قول الزور والعمل به في جميع الأزمان والأوقات والأحوال، وحُرمته في الصوم أشد، نظرًا لأنه إذا كان الصائم قد امتنع عن المباح من الطعام والشراب فامتناعه عن الذنوب الكبيرة من باب أولى، لذا نفّر النبي ﷺ من قول الزور أشد التنفير، فقال: "من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه".

---

(١) متفق عليه من حديث ابن مسعود، أخرجه البخاري ٥٠٦٦، ومسلم ١٤٠٠.

(٢) سورة البقرة، آية: ١٨٣.

(٣) منهج القرآن في التربية ٢٣١-٢٣٢.

قال ابن العربي: (قوله "فليس لله حاجة" إذا عصى في ترك الطعام والجماع، وليس لله حاجة في شيء، فإنه يتقدس عن الحاجات وإنما ضربه مثلاً في أن أحدهما إذا ترك فليترك الآخر، أو فعل فليفعل الآخر، إشعارًا بارتباطهما، لأن قول الزور والعمل به أقوى في التحريم من الطعام والجماع، لأن الطعام والجماع كانا محلَّلين قبل الصيام، وكان قول الزور وإخوانه حرامًا، ثم تأكد تحريم ذلك كله بالصيام فكان بأن يؤثر في الإبطال أولى وأحرى)[١].

وقال ابن عبدالبر: (معناه [أي الحديث] الكراهية والتغليظ ... فكذلك من اغتاب أو شهد زورًا أو منكرًا لم يؤمر بأن يدع صيامه ولكنه يؤمر باجتناب ذلك، ليتم له أجر صومه، فاتقى عبد ربه وأمسك عن الخنا والغيبة والباطل بلسانه صائمًا كان أو غير صائم، فإنما يكب الناس في النار على وجوههم حصائد ألسنتهم)[٢].

والسؤال هنا: لماذا خصّ النبي ﷺ قول الزور والعمل به في الصيام مع أن غيره [أي غير قول الزور] ربما قد يكون أشد في الإثم والمفسدة؟

لعل الجواب أن يكون ما يلي:

أ - أن قول الزور قد يقع من الإنسان في غير الصيام، ولذا حذر النبي ﷺ منه حال الصيام وإن كان الواجب اجتنابه في سائر الأحوال إلا أن النبي ﷺ أراد أن يؤكد على خطورة هذا القول المتبوع بالسلوك المشين حتى يعمل المسلم على تهذيب نفسه وتقويم سلوكه وضبط لسانه حتى يترفع عن هذه الأمور التي من شأنها إحباط الصوم، فمتى استطاع المسلم توطين نفسه على الاستقامة على هذا المسلك انسحب ذلك السمت على حياته في رمضان وسائر الأيام والشهور.

ب - إن قول الزور يكون شديدًا على نفس المقول فيه هذا الزور، فإن النفس قد تتحمل أذى البدن واليد، ولا تتحمل أذى اللسان، لأنه يشيع بين الناس كما أن قائله يلتمس ألف سبب يبرر قوله هذا، فيكون فيه من الأذى ما فيه، فنبه النبي ﷺ على

---

(١) القبس شرح الموطأ ٩/٨ موسوعة شروح الموطأ.

(٢) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ابن عبدالبر ٩/٣٤٩.

ذلك عن طريق تبيين أثره في الصيام وأنه يجعله غير صالح.

ج - أن قول الزور يؤدي إلى القطيعة والاختلاف والتنازع والتفكك بين أواصر المسلمين، وفي هذا خطر عظيم وأذى كبير، فنفر منه النبي ﷺ.

وعلى ذلك فإن على المربين أن ينفرُّوا الناشئة من قول الزور والعمل به.



٢٢٤- باب في مسائل من الصوم

الحديث رقم (١٢٤٤)

١٢٤٤- عن أَبي هريرة ﷺ، عن النبيِّ ﷺ، قَالَ: ((إِذَا نَسِيَ (أَحَدُكُمْ)[1] فَأَكَلَ أَوْ شَرِبَ، فَلْيُتِمَّ صَوْمَهُ، فَإِنَّمَا أَطْعَمَهُ اللهُ وَسَقَاهُ)) متفقٌ عَلَيْهِ[2].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

إن الرسول الكريم بمثابة طبيب لهذه الأمة حيث يتوقع بعض الآفات ويضع لها العلاج المناسب فيقول " إذا نسى أحدكم فأكل أو شرب فليتم صومه. .. " وجاء " بإذا " ليؤكد أن بعض الصائمين – قطعاً – سينسى وهذه طبيعة الإنسان ولكن أرحم الراحمين – سبحانه وتعالى – لن يؤاخذه بذلك، ثم رتب عليه بالفاء الفعلين الماضيين الدالين على أن الناسي " أكل " " وشرب " ثم بث فيه الأمل بلام الأمر، والفعل المضارع: " فليتم صومه " ثم جاء بجمله خبرية تفيد أن الذي أطعمه، وسقاه هو ربه الذي أراد له ذلك لحكمة لا يعلمها غيره – جل في علاه – فيقول: " فإنما أطعمه الله وسقاه " وفى هذه الجملة قصر بلاغي حيث قصر صفتي (الأكل والشرب) على موصوف بالعفو والمرحمة وهو " الله " الذي يرفع الحرج عنا – نحن المسلمين – إذا نسينا أو أخطأنا.

فقه الحديث

قال النووي: (فيه دلالة لمذهب الأكثرين أن الصائم إذا أكل أو شرب أو جامع ناسيًا لا يفطر، وممن قال بهذا الشافعي وأبو حنيفة وداود وآخرون. وقال ربيعة ومالك: يفسد صومه وعليه القضاء دون الكفارة. وقال عطاء والأوزاعي والليث: يجب القضاء

---

(١) (احدكم) لا توجد عندهما.

(٢) أخرجه البخاري (١٩٣٣) واللفظ له، ومسلم (١١٥٥/١٧١).

في الجماع دون الأكل. وقال أحمد: يجب في الجماع القضاء والكفارة ولا شيء في الأكل)[١].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: أكل الصائم وشربه ناسيًا.

ثانيًا: من خصائص الشريعة الإسلامية: رفع الحرج والمشقة والتيسير على المدعوين.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الشرط والتعليل.

أولاً- من موضوعات الدعوة: أكل الصائم وشربه ناسيًا:

لقد أخبر النبي ﷺ أنه "إذا نسي أحدكم فأكل أو شرب فليتم صومه، فإنما أطعمه الله وسقاه".

وأخرج ابن خزيمة وابن حبان والحاكم، حديث أبي هريرة بلفظ ((مَنْ أَفْطَرَ في شَهْرِ رَمَضَانَ ناسيًا، فلا قَضَاءَ عَلَيْهِ ولا كَفَّارَة))[٢].

قال ابن هبيرة: (قوله "إن الله أطعمه" المعنى: أنه لم يأكل وهو ذاكر، إنما أطعمه الله وسقاه، ولا يعقب إطعام الله لعبده حرج ولا نقص في عبادة، ولا حرمان من خير، فكان ما أطعمه الله صدقة عليه، واحتسب له بصيامه. وهذا الحديث يحتج به أحمد، فهو حجة الفقهاء كلهم في صحة صوم الآكل والشارب ناسيًا، وأنه لا يقضي سوى [عند] مالك وحده، فإنه يوجب عليه القضاء)[٣].

وقال ابن عثيمين: (إذا أكلت أو شربت ولو شبعت ورويت وأنت ناسي في الصيام، فإن صومك كامل، ليس فيه نقص، ولهذا قال ﷺ: "فليتم صومه".

---

(١) شرح صحيح مسلم ٢٩/٨/٤ ، و انظر: المجموع ٢٢٨/٦، والمغني ٣٦٧/٤-٣٦٨، وانظر كذلك: بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني الحنفي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٩٠/٢، والفواكه الدواني ٣١٢/١، وإحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، ابن دقيق العيد ٢١٤-٢١٥ ، وفتح الباري ١٥٥/٤-١٥٧ .

(٢) أخرجه ابن خزيمة ١٩٩٠، وابن حبان ٣٥٢١، والحاكم ٤٣٠/١.

(٣) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ١٨٤/٧.

وفي قوله ﷺ "فإنما أطعمه الله وسقاه" دليل على أن فعل الناسي لا ينسب إليه، وإنما ينسب إلى الله، وكذلك النائم لا ينسب فعله إلى نفسه، وإنما ينسب إلى الله، كما قال الله تعالى في أصحاب الكهف: ﴿وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾[1]، والذي يتقلب هو النائم، ولكن لما لم يكن له قصد نسب الله الفعل إليه، كذلك الناسي لم يتعمد فساد الصوم، نسي وأكل وشرب، نقول: صومك صحيح، وكذلك لو كان جاهلاً ... ولكن متى ذكر الإنسان وجب عليه الترك والإمساك، حتى لو كانت اللقمة في فمه وجب عليه لفظها، وكذلك لو كان الماء في فمه وجب عليه أن يرده ثانية، وكذلك لو كان جاهلاً ثم أخبر فإنه يجب عليه أن يمسك.

فإذا قال قائل: لو رأيت صائمًا يأكل وأعرف أنه ناسٍ، فهل علي أن أذكّره؟ قلنا: نعم يجب أن تذكره، لأن أخاكم إذا عذر بالنسيان وأنت علمت به، وجب عليك أن تذكره، ولهذا قال النبي ﷺ في الصلاة: "إذا نسيت فذكروني"[2]، فأمر أن يُذكر إذا نسي، كذلك أيضًا إذا رأيت صائمًا يأكل ويشرب ناسيًا فذكّره، كما لو رأيت إنسانًا يصلي منحرفًا عن القبلة، وجب عليك أن تخبره. فالمهم أنه إذا وقع أخوك في شيء لا يحل له، فعليك أن تذكره، لأن النسيان كثير والخطأ كثير)[3].

وجاء في الموسوعة الفقهية: (وشرط كون الصائم قاصدًا ذاكرًا لصومه، أما لو كان ناسيًا أنه صائم، فلا يفسد صومه عند الجمهور، وذلك لحديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "من نسي وهو صائم فأكل أو شرب، فليتم صومه، فإنما أطعمه الله وسقاه" ويستوي في ذلك الفرض والنفل لعموم الأدلة)[4].

ثانيًا- من خصائص الشريعة الإسلامية: رفع الحرج والمشقة والتيسير على المدعوين:

لقد راعت الشريعة الإسلامية طبيعة البشر، فلم تكلفهم من الأعمال إلا ما

---

(١) سورة الكهف، آية: ١٨.

(٢) أخرجه البخاري ٤٠١، ومسلم ٥٧٢

(٣) شرح رياض الصالحين ٢/١٤٠٧-١٤٠٨.

(٤) الموسوعة الفقهية ٢٨/٣١.

يطيقون، ورفعت عنهم الحرج والمشقة، وتميزت بالتيسير على المدعوين، فكان من خصائصها: رفع الحرج والمشقة والتيسير على المدعوين، ويتجلى ذلك في الحديث في قوله ﷺ: "إذا نسي أحدكم فأكل أو شرب فليتم صومه، فإنما أطعمه الله وسقاه".

قال ابن حجر: (وفي الحديث لطف الله بعباده والتيسير عليهم ورفع المشقة والحرج عنهم)[١].

وأخرج أبو داود وابن حبان حديث أبي هريرة بلفظ: ((أنَّ رجلا سألَ رسولَ اللَّهِ، فقالَ: يا رسولَ اللَّهِ، إنِّي كُنْتُ صائمًا، فَأَكَلْتُ وشَرِبْتُ ناسيًا، فقالَ رَسُولُ اللَّهِ: أَطْعَمَكَ اللَّهُ وَسَقَاكَ أَتِمَّ صَوْمَكَ))[٢].

قال د. القرضاوي: (التيسير روح يسري في جسم الشريعة كلها، كما تسري العصارة في أغصان الشجرة الحية، وهذا التيسير مبني على رعاية ضعف الإنسان، وكثرة أعبائه وتعدد مشاغله، وضغط الحياة ومتطلباتها عليه، وشارع هذا الدين رؤوف رحيم، لا يريد بعباده عنتًا ولا رهقًا، إنما يريد لهم الخير والسعادة وصلاح الحال والمآل في المعاش والمعاد. كما أن هذا الدين لم يجيء لطبقة خاصة أو لإقليم محدود أو لعصر معين، بل جاء عامًا لكل الناس في كل الأرض، وفي كل الأزمان والأجيال، وإن نظامًا يتسم بهذا التعميم وهذه السعة لابد أن يتجه إلى التيسير والتخفيف ليتسع لكل الناس، وإن اختلف بهم المكان والزمان والحال. وهذا ما يحسه ويلمسه كل من عرف هذا الدين. فالقرآن مُيَسَّر للذكر والعقيدة مُيَسَّرة للفهم، كما أن الشريعة مُيَسَّرة للتنفيذ والتطبيق، ليس فيها تكليف واحد يتجاوز طاقة المكلفين، كيف وقد أعلن القرآن هذه الحقيقة في أكثر من آية فقال: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[٣]، ﴿لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا﴾[٤]، ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا﴾[٥] قد نفى القرآن كل حرج عن هذه

---

(١) فتح الباري ٤/١٥٧.

(٢) أخرجه أبو داود ٢٣٩٨، وابن حبان ٣٥٢٢ واللفظ له، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٢٠٩٨) وقال محقق صحيح ابن حبان: إسناده صحيح.

(٣) سورة البقرة، آية: ٢٨٦.

(٤) سورة البقرة، آية: ٢٣٣.

(٥) سورة الطلاق، آية: ٧.

الشريعة كما نفى عنها العنت والعسر وأثبت لها التخفيف واليسر قال تعالى وهو يحدثنا عن رخص الصيام، من الفطر للمريض والمسافر ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾[١].

وجاءت الأحاديث النبوية تؤكد هذا الاتجاه القرآني إلى التيسير نقرأ فيها ((بعثت بالحنفية السمحة))[٢]، ((إِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِين))[٣]، ((يَسِّروا ولا تُعَسِّروا، وبَشِّروا ولا تُنَفِّروا)) قاله لأبي موسى ومعاذ حين أرسلهما إلى اليمن[٤]. وقد كانت سمة الرسول المميزة له في كتب أهل الكتاب، هي سمة الميسر ورافع الآصار والأغلال التي أرهقت أهل الأديان السابقة، كما قال تعالى: ﴿يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾[٥].

ولا غرو أن شرع الإسلام الرخص عند وجود أسبابها .... ومن هنا أصبح من القواعد الفقهية الأساسية المقررة لدى المذاهب الإسلامية كافة، هذه القاعدة الجليلة، المشقة تجلب التيسير، وهي أصل له فروع كثيرة وفيرة في شتى أبواب الفقه، وهناك أشياء عديدة اعتبرتها الشريعة من أسباب التيسير والتخفيف، منها المرض والسفر والإكراه والخطأ والنسيان وعموم البلوى، ولكل منها أحكام فصلتها كتب الشريعة)[٦].

وقال د. علي أحمد الندوي عن قاعدة المشقة تجلب التيسير: (هذه إحدى القواعد الجليلة الناطقة بمرونة التشريع الإسلامي الحكيم ولها أثر عميق جدًا في كثير من الأحكام الشرعية، وهي مستوحاة من النصوص التشريعية الكريمة التي ترشد إلى

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٨٥.

(٢) أخرجه أحمد في المسند ٢٤٨٥٥/٤١ ، وقال محققو المسند: حديث قوي.

(٣) أخرجه البخاري ٢٢٠.

(٤) أخرجه البخاري ٤٣٤١، ٤٣٢٢، ومسلم ١٧٣٢.

(٥) سورة الأعراف، آية: ١٥٧.

(٦) الخصائص العامة للإسلام، ص ١٧٧-١٨٠.

رفع الحرج عن العباد، وترفيههم عن المشقة البالغة، ومن المعلوم "أن الأدلة على رفع الحرج في هذه الأمة بلغت مبلغ القطع" وهناك آيات متوافرة من كتاب الله تعالى تعتبر من الأدلة الواضحة البينة على هذا الأصل وبالاستناد إليها اكتسبت القاعدة خصائص الدليل الشرعي ...، ووجه الدلالة في تلك النصوص المسوقة وما سواها من الآيات والأحاديث المتناظرة أن الله عز وجل شاء لعباده اليسر في الأحكام، ورفع عنهم العنت والعناء، ولولا ذلك لعظمت المشقة وضاقت الأمور على الناس، ومن ثم قال العلماء يتخرج على هذه القاعدة جميع رخص الشرع وتخفيفاته)[١].

ثالثًا- من أساليب الدعوة: الشرط والتعليل:

والشرط واضحٌ في قوله ﷺ: "إذا نسي أحدكم فأكل أو شرب فليتم صومه" والتعليل بقوله "فإنما أطعمه الله وسقاه" قال الطيبي: (إنما للحصر، أي ما أطعمه ولا سقاه أحد إلا الله، فدل على أن هذا النسيان من الله، ومن لطفه في حق عباده تيسيرًا عليهم ورفعًا للحرج)[٢].

وأسلوب الشرط من الأساليب الدعوية التي تعمل على لفت انتباه المدعو، إذ أن نفسه تتطلع إلى معرفة فعل الشرط وجوابه وجزائه، فهو أسلوب جيد إذا وظف من الداعية البليغ توظيفًا يخدم الدعوة.

وأسلوب التعليل من أساليب الدعوة التي تكسب الدعوة قبولاً وارتياحًا من المدعوين، حيث إن الداعية الناجح هو: الذي يعلل دعوته وأحكامه، وله في ذلك القدوة في رسول الله ﷺ الذي لم يكن يحتاج إلى تعليل حتى يُبَلّغ دعوته، لأنه رسول رب العالمين، ولكنه كان ﷺ يذكر علة الحكم، فالداعية من باب أولى، حتى يسهل على المدعو ويعلم أن الدعوة صادرة عن دليل شرعي، ولعلة شرعية لا عن هوى أو رأي شخصي.

---

(١) جمهرة القواعد الفقهية في المعاملات المالية، د. علي أحمد الندوي، ١/٢١١-٢١٢ ومصادره ومراجعه.

(٢) شرح الطيبي على المشكاة ٤/١٥٩-١٦٠.

الحديث رقم (١٢٤٥)

١٢٤٥- وعن لَقِيط بن صَبِرَة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رسول الله، أخْبِرْني عَنِ الوُضُوءِ؟ قَالَ: ((أسْبغِ الوُضُوءَ، وَخَلِّلْ بَيْنَ الأَصَابعِ، وَبَالِغْ فِي الاسْتِنْشَاقِ، إلاَّ أنْ تَكُونَ صَائِمًا)) رواه أبُو داود والترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

لَقِيط بن صَبِرَة: هو لقيط بن صَبِرة بن عبدالله بن المنتفق بن عامر العامري، من أهل الطائف، وكان وافد قومه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال عن نفسه: كنت وافد بني المنتفق إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم نصادفه في منزله، وصادفنا عائشة فأمرت لنا بخزيرة[2] فصُنِعَت وأتتنا بقناع -والقناع: الطبق فيه التمر- فأكلنا فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: هل أصبتم شيئًا؟ أو آمر لكم بشيء؟ قلنا: نعم يا رسول الله ... الحديث[3].

وقد ذهب جماعة من المحدثين -منهم البخاري- إلى أنه يقال له أيضًا: لقيط بن عامر أبو رَزين العقيلي راوي الحديث المذكور في الرياض رقم (١٢٨٢). وقال ابن معين: إنهما واحد وإنّ من قال: لقيط بن عامر - نَسَبَه لجده. وإنما هو لقيط بن صبرة.

لكن الحافظ ابن حجر رجح في الإصابة أنهما اثنان[4].

---

(١) أخرجه أبو داود (١٤٢)، والترمذي (٧٨٨) ولفظهما سواء. وصحّحه ابن حبان (الإحسان ١٠٥٤)، وقال الحاكم (١٤٨/١): هذا حديث صحيحٌ ولم يخرجاه.

(٢) الخزيرة: لحم يقطع صغارًا ويصب عليه ماء كثير فإذا نضج ذُرّ عليه الدقيق. فإن لم يكن فيها لحم فهي عصيدة. النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ٢٦٢ "خزر".

(٣) أخرجه أبو داود (١٤٢) وصححه ابن حبان (١٠٥٤)، وهو الجزء الأول من حديث الباب.

(٤) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٦٣٩، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود (٤٩٠/٤)، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ١١٤٣، ١١٤٤، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين (١٨٢/٦)، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني (٤٧٩/٣).

غريب الألفاظ:

أسبغ الوضوءَ: وفِّ كلَّ عضوٍ حقَّه في الغسل[١].

خلِّل بين الأصابع: فرِّق ما بينهنَّ لإدخال الماء والنظافة في الوضوء[٢].

الاستنشاق: إبلاغ الماء الخياشيم في الوضوء[٣].

الشرح الأدبي

قول الراوي للنبي: " يا رسول الله أخبرني عن الوضوء " ينبىء عن رغبة صادقة في التعلم لأن الفعل الطلبى: " أخبرني " خرج عن معناه الحقيقي إلى غرض بلاغي هو الاسترشاد، والتوجيه لأنه من الأدنى إلى الأعلى وذكر " الوضوء " بصفة خاصة لأنه شطر الإيمان ويجعل الجسم وضاء، والنفس مشرقة ويجدد الدورة الدموية في الإنسان، ويطفىء نيران المعاصي، ونزعات الشيطان المخلوق من النار، وقد رد عليه الرسول صلى الله علية وسلم، وركز على ثلاثة أشياء فقال: " أسبغ الوضوء وخلل الأصابع، وبالغ في الاستنشاق " ولفظ " أسبغ " يشير إلى الإحاطة، والتغطية، وهذا يتطلب إخلاصاً، وتؤدة منه، ومن إسباغ الوضوء " تخليل الأصابع، والمبالغة في الاستنشاق " وهو من ذكر الخاص بعد العام عناية به لأن إسباغ الوضوء يستلزمها تخليل الأصابع، والمبالغة في الاستنثار، ولما كان كثير من المتوضئين يغفلون عنهما نص عليهما لما فيهما من تتبع لمواضع القاذورات التي تخفى الجراثيم الكائنة في الأنف لأن الشعر الموجود به قد حجزها، حتى لا يصاب الإنسان بأذى فلله الحمد، والشكر.

فقه الحديث

جاء في الموسوعة الفقهية: يكره للصائم بوجه عام - مع الخلاف - ما يلي: فذكروا أشياء، منها: وتكره المبالغة في المضمضة والاستنشاق في الصوم. ففي

---

(١) الوسيط في (س ب غ).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (خ ل ل).

(٣) المرجع السابق في (ن ش ق).

المضمضة بإيصال الماء إلى رأس الحلق. وفي الاستنشاق: بإيصاله إلى فوق المارن[١]؛ وذلك لحديث لقيط بن صَبِرَة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له: "بالغ في الاستنشاق إلا أن تكون صائمًا" وذلك خشية فساد صومه[٢].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على معرفة أمور دينهم من النبي صلى الله عليه وسلم.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: إسباغ الوضوء.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: الاستنشاق للصائم.

رابعًا: من آداب المدعو: ترك المبالغة في الاستنشاق أثناء الصيام.

أولاً - من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على معرفة أمور دينهم من النبي صلى الله عليه وسلم:

هذا واضحٌ من قول الصحابي لقيط بن صبرة رضي الله عنه للنبي صلى الله عليه وسلم: أخبرني عن الوضوء؛ فقد سأل عن الوضوء لكي يفعله على أتم وجه، فـ((الطُّهُورُ شَطْرُ الإِيمَانِ))[٣].

وذكر ابن القيم في كتابه إعلام الموقعين في آخره فتاوى النبي صلى الله عليه وسلم للصحابة في أمور دينهم وقال في أوله (ولنختم الكتاب بذكر فصول يسير قدرها، عظيم أمرها، من فتاوى إمام المفتين، ورسول رب العالمين، تكون رُوحًا لهذا الكتاب، ورَقْمًا على جلة هذا التأليف)[٤]. فلقد حرص الصحابة رضي الله عنهم رجالهم ونساؤهم على معرفة أمور دينهم من النبي صلى الله عليه وسلم.

قالت عائشة رضي الله عنها: ((نِعْمَ النِّسَاءُ نِسَاءُ الأَنْصَارِ لَمْ يَكُنْ يَمْنَعُهُنَّ الْحَيَاءُ أَنْ يَسْأَلْنَ

---

(١) المارِن: ما لان من طرَف الأنف: معجم لغة الفقهاء ٣٦٦.

(٢) الموسوعة الفقهية ٧١/٢٨، وانظر المجموع ٣٠/٦، والمغني ٣٥٦/٤.

(٣) أخرجه مسلم ٢٢٣ من حديث أبي مالك الأشعري.

(٤) إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن القيم، تحقيق: رائد صبري بن أبي علفة ص ٩٢٣، ط دار طيبة.

عَنِ الدِّينِ وَيَتَفَقَّهْنَ فِيهِ))[١].

وإذا استحيا الصحابي من السؤال فإنه يجعل غيره يسأل النبي ﷺ ليعلم الحكم، قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: ((كُنْتُ رَجُلاً مَذَّاءً وَكُنْتُ أَسْتَحْيِي أَنْ أَسْأَلَ النَّبِيَّ، لِمَكَانِ ابْنَتِهِ، فَأَمَرْتُ الْمِقْدَادَ بْنَ الأَسْوَدِ. فَسَأَلَهُ فَقَالَ: يَغْسِلُ ذَكَرَهُ. وَيَتَوَضَّأُ))[٢].

ولما كان الصحابة رضي الله عنهم هم خير القرون وهم قدوتنا، كان علينا أن نقتدي بهم فنسأل عن أمور ديننا ونحرص على ذلك أشدّ الحرص، فنسأل العلماء الثقات الورعين الجامعين بين العلم و العمل، وذلك حتى نكون على بينة من ديننا ونعمل على بصيرة، وإن مما يندى له الجبين أن تجد بعض ثوابت هذا الدين المعلومة المشهورة قد أصبحت غير معلومة، وغير معروفة لدى بعض المسلمين، وما ذلك إلا بسبب التفريط في السؤال والتهاون في أمر الدين.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: إسباغ الوضوء:

فهذا واضحٌ من قول النبي ﷺ: "أسبغ الوضوء وخلل بين الأصابع وبالغ في الاستنشاق إلا أن تكون صائمًا".

وقد وردت في فضل الوضوء أحاديثُ كثيرة منها، حديث عمرو بن عبسة رضي الله عنه فقال: ((يَا نَبِيَّ اللَّهِ فَالْوُضُوءُ؟ حَدِّثْنِي عَنْهُ. قَالَ: مَا مِنْكُمْ رَجُلٌ يُقَرِّبُ وُضُوءَهُ فَيَتَمَضْمَضُ وَيَسْتَنْشِقُ فَيَنْتَثِرُ إِلاَّ خَرَّتْ خَطَايَا وَجْهِهِ وَفِيهِ وَخَيَاشِيمِهِ. ثُمَّ إِذَا غَسَلَ وَجْهَهُ كَمَا أَمَرَهُ اللَّهُ إِلاَّ خَرَّتْ خَطَايَا وَجْهِهِ مِنْ أَطْرَافِ لِحْيَتِهِ مَعَ الْمَاءِ. ثُمَّ يَغْسِلُ يَدَيْهِ إِلَى الْمِرْفَقَيْنِ إِلاَّ خَرَّتْ خَطَايَا يَدَيْهِ مِنْ أَنَامِلِهِ مَعَ الْمَاءِ. ثُمَّ يَمْسَحُ رَأْسَهُ إِلاَّ خَرَّتْ خَطَايَا رَأْسِهِ مِنْ أَطْرَافِ شَعْرِهِ مَعَ الْمَاءِ. ثُمَّ يَغْسِلُ قَدَمَيْهِ إِلَى الْكَعْبَيْنِ إِلاَّ خَرَّتْ خَطَايَا رِجْلَيْهِ مِنْ أَنَامِلِهِ مَعَ الْمَاءِ. فَإِنْ هُوَ قَامَ فَصَلَّى، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَمَجَّدَهُ بِالَّذِي هُوَ لَهُ أَهْلٌ،

---

(١) أخرجه مسلم ٣٣٢، وأبو داود ٣١٦ واللفظ له.

(٢) أخرجه البخاري ١٣٢، ومسلم ٣٠٣.

وَفَرَّغَ قَلْبَهُ للهِ، إِلاَّ انْصَرَفَ مِنْ خَطِيئَتِهِ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ))[١].

وجاء في الموسوعة الفقهية: (الإسباغ لغة: الإكمال والتوفية، وإسباغ الوضوء إبلاغه مواضعه، واصطلاحًا: أن يعم جميع الأعضاء بالماء بحيث يجري عليها، وعرفه الشافعية بأنه كمال إتمام الوضوء وتوفيته ... والإسباغ: إن أريد به تعميم الأعضاء الواجب غسلها بالماء فهو واجب، وإن أريد به الزيادة والتوفية فهومندوب باتفاق الفقهاء، لحديث "إسباغ الوضوء على المكاره")[٢].

والحديث هو: ((أَلاَ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللهُ بِهِ الْخَطَايَا وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟ قَالُوا: بَلَى. يَا رَسُولَ اللّهِ! قَالَ: إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ. وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ. وَانْتِظَارُ الصَّلاَةِ بَعْدَ الصَّلاَةِ. فَذٰلِكُمُ الرِّبَاطُ))[٣].

قال النووي: (قال القاضي عياض[٤]: محو الخطايا كناية عن غفرانها، قال: ويحتمل محوها من كتاب الحفظة ويكون دليلاً على غفرانها، ورفع الدرجات: إعلاء المنازل في الجنة، وإسباغ الوضوء تمامه. والمكاره تكون بشدة البرد وألم الجسم ونحو ذلك وكثرة الخطى تكون ببعد الدار وكثرة التكرار وقوله "فذلكم الرباط" أي الرباط المرغب فيه، وأصل الرباط الحبس على الشيء، كأنه حبس نفسه على هذه الطاعة، قيل: ويحتمل أنه أفضل الرباط، كما قيل: الجهاد جهاد النفس، ويحتمل أنه الرباط المتيسر الممكن، أي أنه نوع من أنواع الرباط هذا آخر كلام القاضي وكله حسن[٥]. وقال ابن عثيمين: (أسبغ الوضوء: يعني توضأ وضوءًا سابغًا كاملاً، والإسباغ الإتمام قال تعالى: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ﴾[٦] أي أكملها. والثاني: "وخلل بين الأصابع" ولا سيما أصابع الرجلين. خلل بينهما بالماء، لأن أصابع الرجلين متلاصقة وربما لا يدخل

(١) أخرجه مسلم ٨٣٢.

(٢) الموسوعة الفقهية ٣/١٤٢-١٤٣.

(٣) أخرجه مسلم ٢٥١.

(٤) شرح صحيح مسلم ص ٢٦٧.

(٥) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٢/٥٥.

(٦) سورة لقمان، آية: ٢٠.

الماء من بينها[١]، "وبالغ في الاستنشاق" يعني: استنشاق الماء عند الوضوء)[٢].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: الاستنشاق للصائم:

هذا واضحٌ من قول النبي ﷺ: "وبالغ في الاستنشاق إلا أن تكون صائمًا" قال المباركفوري: (فلا تبالغ لئلا يصل إلى باطنه فيبطل الصوم)[٣].

وقال ابن تيمية: (أما المضمضة والاستنشاق فمشروعان للصائم باتفاق العلماء، وكان النبي ﷺ والصحابة يتمضمضون ويستنشقون مع الصوم، لكن قال للقيط بن صبرة: وبالغ في الاستنشاق إلا أن تكون صائمًا)[٤].

وجاء في الموسوعة الفقهية: (وتكره المبالغة في المضمضة والاستنشاق في الصوم، ففي المضمضة بإيصال الماء إلى رأس الحلق، وفي الاستنشاق بإيصاله إلى فوق المارن، وذلك لحديث لقيط بن صبرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال له "بالغ في الاستنشاق؛ إلا أن تكون صائمًا"، وذلك خشية فساد صومه)[٥]. وقال ابن عثيمين: (وبالغ في الاستنشاق يعني استنشاق الماء عند الوضوء، إلا أن تكون صائمًا فلا تبالغ في الاستنشاق لأنك إذا بالغت في الاستنشاق دخل الماء إلى جوفك من طريق الأنف، فدل ذلك على أن وصول الأكل أو الشرب عن طريق الأنف كوصوله عن طريق الفم، يفطر الصائم)[٦].

رابعًا- من آداب المدعو: ترك المبالغة في الاستنشاق أثناء الصيام:

هذا واضح من أمر النبي ﷺ الصحابي بقوله: "وبالغ في الاستنشاق إلا أن تكون صائمًا" فقد أمره ﷺ بالمبالغة في الاستنشاق إلا عندما يكون صائمًا، فلا يبالغ في

---

(١) قال الشيخ عبدالله البسام: يستحب تخليل أصابع اليدين والرجلين عند غسلهما، وتخليلهما جعل الماء يتخلل بينهما، والصارف عن الوجوب دقة الماء ووصوله إلى ما بينها بدون تخليل وبهذا يحصل القدر الواجب، فيبقى الاستحباب على الاحتياط في ذلك. توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ١٧٦/٢.

(٢) شرح رياض الصالحين، ١٤٠٨/٢.

(٣) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٩٦٥/١.

(٤) مجموع الفتاوى ١٤٢/١٣.

(٥) الموسوعة الفقهية ٧١/٢٨.

(٦) شرح رياض الصالحين ١٤٠٨/٢.

ذلك خشية أن يصل الماء إلى الجوف فيفسد صومه، مع أن إيصال الماء في هذه الحالة ليس بحتم وإنما هو احتمال، لأن الصائم قد يبالغ في المضمضة مع حرصه الشديد فلا يتسرب من الماء شيء إلى الجوف، فلا يفسد صومه، لكن لما كان الاحتمال قائمًا نهاه النبي ﷺ عن المبالغة وقت صيامه. قال الشيخ عبد الله البسام: (تستحب المبالغة في الاستنشاق عند الوضوء إلا مع الصيام، فيكره خشية وصول الماء إلى الجوف، والصارف له عن الوجوب أنه لو كان واجبًا لما منعه الصيام، ولوجب التحرز عن نزول الماء في الجوف مع المبالغة، وهو أمر ممكن)[1].

وهذا وأمثاله من ترك الفعل لأجل أن يؤدي إلى الفساد يطلق عليه في الشريعة الإسلامية سد الذرائع. قال الدكتور محمد رواس قلعه جي في تعريفها وبيان أنواعها وأدلتها الشرعية:

(١ - تعريف: الذريعة هي الوسيلة التي يتوصل بها إلى شيء ممنوع شرعًا.

٢ - أنواع الذرائع وحكمها: الذرائع المؤدية إلى المفاسد ثلاثة أنواع:

أ - ذرائع لا تؤدي إلى المفاسد إلا نادرًا، وهي جائزة، ولا يجوز منعها، فلا يجوز منع زراعة العنب بحجة أنه قد يصنع منه الخمر، ولا يجوز منع صناعة الأسلحة بحجة أنها قد يستعملها بعض الظلمة في قتل الشعوب الآمنة، وهكذا.

ب - ذرائع تؤدي غالبًا إلى مفسدة، وهذه الذرائع يجب منعها، كبيع العنب لصانعي الخمر، وتأجير العقار لمن يفتش عن مكان ليتخذه ملهىً أو ماخورًا، وحفر آبار في طرقات المسلمين، وإلقاء السم في الطعام، وسب الأصنام أمام من يقدِّسها، ونحو ذلك.

ج - ذرائع مشروعة، ولكن أسيء استخدامها، حيث استخدمت فيما هو محرَّم، كقضاء القاضي بعلمه، فإنه يكون وسيلة إلى أن يتسلط بعض القضاة على أعدائهم ظلمًا وعدوانًا، ونحو ذلك.

---

(١) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ١٧٦/١.

د - الذريعة إلى ما هو مشروع: كما يشرع سد باب الذرائع إلى الفساد، يشرع فتح باب الذرائع إلى الخير، وكما أن كل وسيلة إلى المحرم تكون محرمة، كذلك فإن الوسيلة إلى الواجب واجبة، والوسيلة إلى المندوب مندوبة.

٣ - شروط منع الذريعة: يشترط لمنع الذريعة ثلاثة شروط:

أ - أن تكون الذريعة مؤدية إلى مفسدة محققة، لا موهومة.

ب - أن تكون المفسدة مما يوجب الشارع منعه.

ج - أن لا يؤدي سد الذريعة إلى تعطيل مصلحة راجحة، فإن ما وجب منعًا للذريعة إلى الفساد يباح للمصلحة الراجحة، وبناء على ذلك فإنه يباح النظر إلى المخطوبة، مع أن النظر إلى الأجنبية منع سدًا للذريعة؛ ويباح السفر بالأجنبية إذا خيف ضياعُها أو هلاكها، مع أن السفر بالأجنبية مُنِعَ سدًا للذريعة؛ ويباح دفع المال إلى العدو للوصول إلى فداء أسرى المسلمين الذين هم في يده.

٤ - دليل مشروعية منع الذرائع المؤدية إلى المفاسد:

أ - قال تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍۢ﴾[1] فقد نهى الله تعالى أن يسب المسلمون الأصنام أمام عابديها، لأن هذا يؤدي إلى أن يسبوا الله تعالى الذي يجهلون عظمته وحرمته.

ب - وقال تعالى ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾[2]، فقد منع الله تعالى النساء اللاتي يلبسن الخلاخل بأرجلهن من أن يضربن بأرجلهن على الأرض بحضرة الرجال، لأن هذا وسيلة ليعلم الرجال ما خفي من زينة النساء، فتميل قلوبهم إليهن.

ج - قوله ﷺ: ((قال رسول الله ﷺ: إن من أكبرِ الكبائر أن يَلعنَ الرجلُ والِدَيه. قيل يا رسول الله، وكيف يَلعَنُ الرجل والِدَيه؟ قال: يسُبُّ الرجلُ أبا الرجل فيسبُّ أباه، ويسبُّ أمَّه فيسُبَّ أمَّه))[3][4].

---

(١) سورة الأنعام، آية: ١٠٨.

(٢) سورة النور، آية: ٣١.

(٣) أخرجه البخاري ٥٩٧٣، ومسلم ٩٠.

(٤) الموسوعة الفقهية الميسرة ١/٨٩٩-٩٠١.

الحديث رقم (١٢٤٦)

١٢٤٦- وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: كَانَ رسول الله ﷺ يُدْرِكُهُ الفَجْرُ وَهُوَ جُنُبٌ مِنْ أهْلِهِ، ثُمَّ يَغْتَسِلُ وَيَصُومُ. متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

غريب الألفاظ:

جُنُب: الجنب الذي يجب عليه الغسل بالجماع وخروج المني وغيره[2].

الشرح الأدبي

إن أم المؤمنين " عائشة " رضي الله عنها هي أخبر للناس برسول الله ﷺ لأنها أحب أزواجه إليه، وقد عبرت عن تلك الخصوصيات بألفاظ مهذبه لتتعلم الأمة كلها من مثل هذه الأمور الدقيقة أدب التعبير الراقي عن أخص الخصوصيات التي يضطر الإنسان إلى الإخبار به فيرفع الحرج عن الجميع، ويحل اليسر محله، وتسير الأمور في هدوء، وتوازن، والفعل: " يدركه " يصور لنا حركة الزمن السريعة في طي الأحداث وكأنه يسوقنا أمامه إلى مراد الله تعالى، فيجب على كل مسلم أن يفطن إلى هذا السير، ويملأ وقته بما يرضى الله تعالى، وجمله: " وهو جنب من أهله " جمله حالية، وتعد كناية عن صفة الجماع، وتوحي للمتلقي بتأثير الأدب القرآني في أهل بيت المصطفى – علية الصلاة والسلام، وكلمه " جنب " توحي بأن الإنسان ينبغي عليه أن يتجنب أشياء محددة، وهو على هذه الحالة " ومن " في قولها: " من أهله " والإضافة في " أهله " تشير إلى أهمية عنايته بأهل بيته، وحرف العطف " ثم " يدل على التراخي بين ما يحدث بينه، وبين أهله، وطلوع الفجر. .، والفعلان " يغتسل ويصوم " يدلان على تعبد الرسول ﷺ

---

(١) أخرجه البخاري (١٩٢٥ ، ١٩٢٦) واللفظ له، ومسلم (١١٠٩/٧٦).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ج ن ب).

لله تعالى، وتقلبه بين العادة، والعبادة مصرفا كلا منهما بالنية في مرضاة الله -تعالى- فكل حركاته، وسكناته وفق رضاه.

فقه الحديث

١- قال النووي: (وقد أجمع أهل هذه الأمصار على صحة صوم الجنب، سواء كان من احتلامٍ أو جماع. وبه قال جماهير الصحابة والتابعين وحكى عن الحسن بن صالح إبطاله وكان عليه أبو هريرة، والصحيح أنه رجع عنه وقيل: لم يرجع عنه وليس بشيء. وحكى عن طاوس وعروة والنخعي: إن علم بجنابته لم يصحّ وإلا فيصحّ. وحكى مثله عن أبي هريرة، وحكى أيضًا عن الحسن البصري والنخعي أنه يجزيه في صوم التطوع دون الفرض. وحكى عن سالم بن عبدالله والحسن البصري والحسن بن صال: يصومه ويقضيه، ثم ارتفع هذا الخلاف وأجمع العلماء بعد هؤلاء على صحته)[1].

٢- قال النووي: (يستحب تقديم غسل الجنابة من جماع أو احتلام على طلوع الفجر والأحاديث الصحيحة في تأخيره محمولة على بيان الجواز، وإلا فالكثير من رسول الله ﷺ تقديمه على الفجر)[2].

٣- قال النووي: (وإذا انقطع دم الحائض والنفساء في الليل ثم طلع الفجر قبل اغتسالهما، صحّ صومهما ووجب عليهما إتمامه، سواء تركت الغسل عمدًا أو سهوًا بعذر أم بغيره كالجنب. هذا مذهبنا ومذهب العلماء كافة إلا ما حكى عن بعض السلف، مما لا نعلم عنه أم لا)[3].

---

(١) شرح صحيح مسلم ١٩٣/٧/٤ ، وانظر فتح الباري ١٤٣/٤-١٤٩ ، والمغني ٣٩١/٤-٣٩٢ .

(٢) المجموع ٢٧٤/٦ .

(٣) شرح صحيح مسلم ١٩٣/٧/٤ دار الكتب العلمية، وانظر بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني الحنفي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٩٢/٢، والفواكه الدواني ٣١١/١، ومغني المحتاج ١٦٧/٢، والمغني ٣٩٣/٤ .

المضامين الدعوية[1]

أولاً: من موضوعات الدعوة: إخبار عائشة وأم سلمة عن أحوال النبي ﷺ في صيامه.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: من خصائص الشريعة التيسير على المدعوين.

أولاً - من موضوعات الدعوة: إخبار عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما عن أحوال النبي ﷺ في صيامه:

هذا واضح من الحديثين، وهذا الإخبار يفيد حكمًا يستدل به على جواز هذا الأمر، وفي الحديث قصة فقد قال عبدالملك بن أبي بكر بن عبدالرحمن عن أبي بكر قال: ((سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ رضي الله عنه يَقُصُّ، يَقُولُ فِي قَصَصِهِ: مَنْ أَدْرَكَهُ الْفَجْرُ جُنُبًا فَلاَ يَصُمْ. فَذَكَرْتُ ذٰلِكَ لِعَبْدِ الرَّحْمَٰنِ بْنِ الْحَارِثِ [لأَبِيهِ] فَأَنْكَرَ ذٰلِكَ. فَانْطَلَقَ عَبْدُالرَّحْمَٰنِ وَانْطَلَقْتُ مَعَهُ. حَتَّىٰ دَخَلْنَا عَلَىٰ عَائِشَةَ وَأُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنهما. فَسَأَلَهُمَا عَبْدُ الرَّحْمَٰنِ عَنْ ذٰلِكَ. قَالَ فَكِلْتَاهُمَا قَالَتْ: كَانَ النَّبِيُّ يُصْبِحُ جُنُبًا مِنْ غَيْرِ حُلُمٍ ثُمَّ يَصُومُ. قَالَ: فَانْطَلَقْنَا حَتَّىٰ دَخَلْنَا عَلَىٰ مَرْوَانَ، فَذَكَرَ ذٰلِكَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَٰنِ. فَقَالَ مَرْوَانُ: عَزَمْتُ عَلَيْكَ إِلاَّ مَا ذَهَبْتَ إِلَىٰ أَبِي هُرَيْرَةَ، فَرَدَدْتَ عَلَيْهِ مَا يَقُولُ. قَالَ: فَجِئْنَا أَبَا هُرَيْرَةَ، وَأَبُوبَكْرٍ حَاضِرُ ذٰلِكَ كُلِّهِ. قَالَ: فَذَكَرَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَٰنِ. فَقَالَ: أَبُو هُرَيْرَةَ: أَهُمَا قَالَتَاهُ لَكَ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: هُمَا أَعْلَمُ. ثُمَّ رَدَّ أَبُو هُرَيْرَةَ مَا كَانَ يَقُولُ فِي ذٰلِكَ إِلَىٰ الْفَضْلِ بْنِ الْعَبَّاسِ. فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: سَمِعْتُ ذٰلِكَ مِنَ الْفَضْلِ. وَلَمْ أَسْمَعْهُ مِنَ النَّبِيِّ. قَالَ: فَرَجَعَ أَبُوهُرَيْرَةَ عَمَّا كَانَ يَقُولُ فِي ذٰلِكَ))[2].

وقال ابن حجر: (قال بعضهم: إن حديث عائشة أرجح لموافقة أم سلمة لها على ذلك، ورواية اثنين تقدم على رواية واحد، ولا سيما وهما زوجتان وهما أعلم بذلك من الرجال)[3].

ثم قال: (وفي هذا الحديث من الفوائد غير ما تقدم، دخول العلماء على الأمراء

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث – ١٢٤٦ – مع المضامين الدعوية للحديث رقم ١٢٤٧.

(٢) أخرجه البخاري ١٩٢٥، ١٢٩٦، ومسلم ١١٠٩ واللفظ له.

(٣) فتح الباري ١٤٨/٤، .

ومذاكرتهم إياهم بالعلم، وفيه فضيلة لمروان بن الحكم لما يدل عليه الحديث من اهتمامه بالعلم ومسائل الدين، وفيه الاستثبات في النقل والرجوع في المعاني إلى الأعلم، فإن الشيء إذا نوزع فيه رد إلى من عنده علمه، وترجيح مرويّ النساء فيما لهن عليه الاطلاع دون الرجال على مرويّ الرجال كعكسه. وأن المباشر للأمر أعلم به من المخبر عنه. والتأسي بالنبي ﷺ في أفعاله ما لم يقم دليل الخصوصية، وأن للمفضول إذا سمع من الأفضل خلاف ما عنده من العلم أن يبحث عنه حتى يقف على وجهه، وأن الحجة عند الاختلاف في المصير إلى الكتاب والسنة، وفيه الحجة بخبر الواحد وأن المرأة فيه كالرجل، وفيه فضيلة لأبي هريرة لاعترافه بالحق ورجوعه إليه...)[1].

قال الشيخ عبدالله البسام عما يؤخذ من الحديث:

(١ - كان النبي ﷺ يجامع من الليل وربّما أدركه الفجر وهو جنب لم يغتسل، فيصوم ثم يغتسل بعد طلوع الفجر، ويتم صومه ولا يقضيه.

٢ - وهذا عام في رمضان وفي غيره، قال ابن كثير[2]: وهذا مذهب الأئمة الأربعة وجمهور العلماء سلفًا وخلفًا اهـ. وحكاه الوزير إجماعًا، فإن الآثار في ذلك متواترة.

٣ - صحة صوم من أصبح جنبًا من جماع أو غيره من الليل.

٤ - إذا جاز في الجنابة من الجماع فمن غير الجماع أولى.

٥ - لا فرق بين الصوم الواجب والنفل، ولا بين رمضان وغيره.

٦ - جواز الجماع في ليالي رمضان ولو كان قبيل طلوع الصبح.

٧ - لو طلع عليه الفجر وهو يجامع فنزع فالمشهور من مذهب الإمام أحمد أن عليه القضاء والكفارة لأن النزع جماع.

وجمهور العلماء ومنهم الأئمة الثلاثة أن النزع ليس بجماع، وأنه يجب عليه النزع ولا قضاء عليه ولا كفارة.

٨ - يؤخذ من جواز طلوع الفجر على الصائم وهو جنب جواز طلوع الفجر على

---

(١) فتح الباري ١٤٨/٤. وهو موجود بنحوه في التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ابن عبدالبر ١٠١/٩.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٥١٦/١.

الحائض والنفساء بعد انقطاع الدم وقبل الاغتسال.

٩ - فضل نساء النبي ﷺ فقد نقلن للأمة من العلم الشيء الكثير، لاسيما الأحكام التي لا يطلع عليها إلا هنّ من أعمال النبي ﷺ فرضي الله عنهن)[١].

وهذا واضح من قول عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما: "كان رسول الله ﷺ يصبح جنبًا من غير حُلم ثم يصوم". فإنهما أخبرتا أن النبي ﷺ يصبح جنبًا دون أن يكون سبب ذلك الاحتلام. قال النووي: (وفيه دليل لمن يقول بجواز الاحتلام على الأنبياء وفيه خلاف، الأشهر امتناعه. قالوا: لأنه من تلاعب الشيطان، وهم منزهون عنه، ويتأولون هذا الحديث على أن المراد يصبح جنبًا من جماع، ولا يجنب من احتلام، لامتناعه عنه، ويكون قريبًا من معنى قول الله تعالى: ﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾[٢]، ومعلوم أن قتلهم لا يكون بحق)[٣].

قال ابن حجر: (قال القرطبي[٤]: في هذا فائدتان: إحداهما أنه كان يجامع في رمضان ويؤخر الغسل إلى بعد طلوع الفجر بيانًا للجواز، والثاني أن ذلك كان من جماع لا من احتلام، لأنه كان لا يحتلم، إذ الاحتلام من الشيطان وهو معصوم منه. وقال غيره: في قولها "من غير احتلام" إشارة إلى جواز الاحتلام عليه، وإلا لما كان للاستثناء معنى، ورد بأن الاحتلام من الشيطان وهو معصوم منه)[٥].

فإخبار عائشة رضي الله عنها في الحديث الأول: "أن رسول الله ﷺ كان يدركه الفجر وهو جنب من أهله ثم يغتسل ويصوم"، وإخبار عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما "أن النبي ﷺ كان يصبح جنبًا من غير حلم ثم يصوم"، فهذا من باب التأدب في الإخبار عن حال رسول الله ﷺ، وهو حفظ للسانهما عن التصريح بألفاظ الجماع والوقاع، فينبغي

(١) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ١٨٥/٣.

(٢) سورة آل عمران، آية: ٢١.

(٣) شرح صحيح مسلم ٢٣٦/٧/٤.

(٤) المفهم ١٦٧/٣.

(٥) فتح الباري ١٤٤/٤.

على المسلم أن يستعمل في ذلك الكنايات ويعبر عنها بعبارة جميلة يفهم بها الغرض، وبهذا جاء القرآن العزيز والسنة الصحيحة المكرمة، فقال تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ﴾[3]، والآيات والأحاديث في ذلك كثيرة.

قال العلماء: (فينبغي أن يستعمل في هذا وما أشبهه من العبارات التي يستحيا من ذكرها بصريح اسمها الكنايات المفهمة، فيكنى عن جماع المرأة بالإفضاء والدخول في المعاشرة والوقاع ونحوها)[4].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: من خصائص الشريعة: التيسير على المدعوين:

هذا واضح من فعله ﷺ أنه كان يدركه الفجر وهو جنب من أهله ثم يغتسل ويصوم.

قال ابن دقيق العيد: (وقولها "من أهله" فيه إزالة لاحتمال يمكن أن يكون سببًا لصحة الصوم، فإن الاحتلام في المنام آتٍ على غير اختيار من الجنب، فيمكن أن يكون سببًا للرخصة، فبين في هذا الحديث: أن هذا كان من جماع ليزول هذا الاحتمال)[5].

وقال كذلك: (يدل كتاب الله أيضًا على صحة صوم من أصبح جنبًا فإن قوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾[6] يقتضي إباحة الوطء في ليلة الصوم

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٨٧.

(٢) سورة النساء، آية: ٢١.

(٣) سورة البقرة، آية: ٢٣٧.

(٤) انظر: الأذكار، النووي ص ٤١٩.

(٥) إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، ابن دقيق العيد ص ٢١٤.

(٦) سورة البقرة، آية: ١٨٧.

مطلقًا ومن جملته الوقت المقارب لطلوع الفجر، بحيث لا يسع الغسل، فتقتضي الآية الإباحة في ذلك الوقت، ومن ضرورته الإصباح جنبًا، والإباحة لسبب الشيء إباحة للشيء)[1].

وقد حمَل بعض العلماء القائلين بفساد صيام الجنب حديث عائشة وأم سلمة على أنه من الخصائص النبوية، قال ابن حجر: (وأجاب الجمهور بأن الخصائص لا تثبت إلا بدليل، وبأنه قد ورد صريحًا ما يدل على عدمها، وترجم بذلك ابن حبان في صحيحه[2] حيث قال: ذكر البيان بأن هذا الفعل لم يكن المصطفى مخصوصًا به، ثم أورد ما أخرجه هو ومسلم والنسائي وابن خزيمة وغيره من طريق أبي يونس مولى عائشة، عن عائشة أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ يستفتيه وهي تسمع من وراء الباب فقال: ((يَا رَسُولَ اللَّهِ تُدْرِكُنِي الصَّلاَةُ وَأَنَا جُنُبٌ. أَفَأَصُومُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ : وَأَنَا تُدْرِكُنِي الصَّلاَةُ وَأَنَا جُنُبٌ فَأَصُومُ. فَقَالَ: لَسْتَ مِثْلَنَا. يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ غفَرَ الله لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ. فَقَالَ: وَاللَّهِ إِنِّي لأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَخْشَاكُمْ لِلَّهِ، وَأَعْلَمَكُمْ بِمَا أَتَّقِي))[3].

وجاء في الموسوعة الفقهية: (اليسر وانتفاء الحرج صفتان أساسيتان في دين الإسلام وشريعته، والتيسير مقصد أساسي من مقاصد الشريعة الإسلامية، ويدل على هذا الأصل آيات كثيرة في كتاب الله تعالى، وأحاديث نبوية صحيحة وأجمعت الأمة عليه.

ويسر الشريعة على ثلاثة أنواع:

١ - تيسير معرفة الشريعة والعلم بها وسهولة إدراك أحكامها ومراميها.

٢ - تيسير التكاليف الشرعية من حيث سهولة تنفيذها والعمل بها.

٣ - أمر الشريعة للمكلفين بالتيسير على أنفسهم وعلى غيرهم)[4].

---

(١) إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، ابن دقيق العيد ص ٢١٤.

(٢) صحيح ابن حبان ٢٦٥/٨، ولفظه: ذكر الخبر الدال على أن إباحة هذا الفعل المزجور عنه لم يكن المصطفى ﷺ مخصوصًا به دون أمته، وإنما هي إباحة له ولهم.

(٣) أخرجه مسلم ١١١٠، والنسائي في الكبرى ٣٠١٣/٣، وابن خزيمة ٢٠١٤، وابن حبان ٢٤٩٢، ٣٤٩٢، ٣٥٠١.

(٤) الموسوعة الفقهية ٢١٢/١٤-٢١٤.

الحديث رقم (١٢٤٧)

١٢٤٧- وعن عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما ، قالتا: كَانَ رسول الله ﷺ يُصْبِحُ جُنُبًا مِنْ غَيْرِ حُلُمٍ، ثُمَّ يَصُومُ. متفقٌ عَلَيْهِ[١].

ترجمة الراوي:

أم سلمة: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٨٢).

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

غريب الألفاظ:

جنبًا من غير حُلُمٍ: يصبح جنبًا من جماع، لا من احتلام وهو: إنزال النائم المني في منامه[٢].

الشرح الأدبي

تتضم (أم سلمه رضي الله عنها)- فى هذا الحديث - إلى (عائشة رضي الله عنها) في الكلام عن أمر دقيق يحدث بين الرجل، وزوجه، والعبارات كلها تشع بالأدب الذي كان مبثوثاً في بيت النبوة فقد جاء على لسانهما أن الرسول الكريم ﷺ كان : " يصبح جنباً من غير حلم " ومعروف أن الجنابة " تأتى للإنسان المسلم من طريقين اثنين. الأول: الاستحلام أثناء النوم، والثاني: الجماع، ولما ذكرت أن ذلك تحقق عند الرسول ﷺ " من غير حلم " كان ولا بد أن تتحقق الجنابة عند النبي بسبب الطريق الثاني، وهو " الجماع " ولكنهما تعبران عن ذلك بطريق التعريض لا التصريح، وتبينان أن الجنابة لا تؤثر في صحة الصوم؛ لأن سببها كان قبل أذان الفجر، ولذلك قالتا " ثم يصوم " ويتطهر من الجنابة عند الغسل.

المضامين الدعوية[٣]

---

(١) أخرجه البخاري (١٩٣١)، ومسلم (١١٠٩/٨٠) واللفظ له.

(٢) شرح صحيح مسلم ٦٩٤، ومعجم لغة الفقهاء ٢٥.

(٣) تقدم ذكرها مدمجة مع مضامين الحديث السابق.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- من خصائص التربية الإسلامية: الإنسانية:

إن الإنسان من طبعه النسيان، فيفعل ناسيًا في بعض الأحيان ما يخالف التكاليف الشرعية المأمور بها، وهذا أمر واقع ومشاهد ومحسوس لا يحتاج إلى أدنى تدليل أو برهان، إن الصائم في بعض الأحيان يقبل على الطعام أو الشراب وهو ناسٍ أنه صائم، فكان المتبادر إلى الأذهان أن صومه قد بطل وأصبح مُفطرًا، لكن الشرع الحنيف اعترف بواقع هذا الإنسان وطبيعته فأخبره أنه يتم صومه لأن الذي أطعمه وسقاه هو الله رب العالمين الذي خلقه فسوّاه.

أليس في هذا الحديث ما يدل على أن الشرع اعترف بواقع الإنسان وإنسانيته؟ إنه اعترف بأنه ينسى ويسهو ويخطأ، لذا لم يعاقبه على ذلك على وجه الإجمال ولم يرتب على ذلك من القيود والتراتيب ما تبعد الإنسان عن إنسانيته وتخرجه عنها، وفي الوقت نفسه لم يغفل عن الجانب الآخر من الإنسانية الذي يكون فيه الإنسان محبًا لمعالي الأمور ومتشوقًا إلى التحلي بالأخلاق الفاضلة ومحصلاً لأنبل السجايا وأشرف الخصال.

إن التربية الإسلامية خاطبت الإنسان من ناحيتيه ناحية القصور والنسيان، وناحية التطلع إلى المثل العليا والأخلاق الفضلى، وقد نجحت أيما نجاح في تناول الناحيتين فعملت على معالجة أوجه القصور قدر الإمكان، وما كان من الجبلات الملازمة للإنسان اعترفت به وأقرته وعالجته في ضوء ذلك، أما الجانب المشرق في طبيعة الإنسان فعالجته معالجة تهدف إلى الترقي به والارتفاع إلى المستويات العليا منه.

لذا كان على المربين أن يراعوا الإنسانية في تربيتهم الناشئة وغيرهم، حتى لا يربوهم على أنهم ملائكة لا تخطئ، ولا على أنهم أبناء الخطيئة المتلبسين بها دومًا وأبدًا.

إنهم يربونهم على أنهم بشرٌ يخطئون ويصيبون، يتطلعون إلى المثل العليا وينحدرون، وينشطون ويتكاسلون، يحبون ويكرهون، ينامون ويستيقظون، يأكلون ويشربون وعلى الصيام يقدرون.

وهذا هو مظهر من مظاهر الوسطية التي جاء بها الإسلام.

ثانيًا - التربية على الاحتراز مما يفسد العبادة:

لقد أوصى النبي ﷺ الصحابي لقيط بن صبرة رضي الله عنه عندما سأله عن الوضوء بما يلي:

أ - إسباغ الوضوء وإتمامه.

ب - التخليل بين الأصابع.

ج - المبالغة في الاستنشاق هذا هو الأصل.

د - عدم المبالغة في الاستنشاق في الصيام.

إن المبالغة في الاستنشاق مرغب فيه ومأمور به في الوضوء هذا في الحالة المعتادة، أما في الصوم فلا يكون هناك أمر بذلك بل نهي عنه.

والسؤال هنا: لماذا نهى النبي ﷺ عن المبالغة في الاستنشاق وقت الصيام؟

إن المبالغة في الاستنشاق لاشك يحقق مصلحة تحصيل سنة من سنن الوضوء، لكن الصائم في سبيل تحقيقه لهذه المصلحة قد يفسد صيامه بأن ينفذ جزء من الماء إلى الجوف، فكانت المبالغة في الاستنشاق طريقًا من الطرق المحتملة لإفساد الصوم، فسدّ النبي ﷺ هذا الطريق بأن نهى عن هذه المبالغة.

نخلص من ذلك إلى أن الفعل في نفسه قد يكون مطلوبًا مؤديًا إلى مصلحة مقصودة، لكنه في بعض الأحيان والأحوال والأوقات يؤدي إلى فساد شيء أكبر، لذا يُنْهى عنه ولا يَأمر به.

ولنذكر مثالاً آخر على ذلك حتى يزداد الأمر وضوحًا، لقد قالت عائشة رضي الله عنها: ((كَانَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ يُقَبِّلُنِي وَهُوَ صَائِمٌ. وَأَيُّكُمْ يَمْلِكُ إِرْبَهُ كَمَا كَانَ رَسُولُ اللّهِ يَمْلِكُ إِرْبَهُ؟))[1]، قال النووي: (قال العلماء: معنى كلام عائشة رضي الله عنها أنه ينبغي لكم الاحتراز عن القبلة ولا تتوهموا من أنفسكم أنكم مثل النبي ﷺ في استباحتها،

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري ١٩٢٧، ومسلم ١١٠٦.

لأنه يملك نفسه ويأمن الوقوع في قبلة يتولد منها إنزال أو شهوة أو هيجان نفس ونحو ذلك، وأنتم لا تأمنون ذلك فطريقكم الانكفاف عنها)[1].

ثالثًا - من أساليب التربية: بيان هدي النبي ﷺ في عبادة الصوم:

لقد أخبرت عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان يدركه وقت بداية الصوم [وهو الفجر] وهو جنب من أهله ثم يغتسل ويصوم، ولهذا الحديث قصة يحسن ذكرها لبيان المضمون التربوي المذكور، قال عبدالملك بن أبي بكر بن عبدالرحمن عن أبي بكر قال: سمعت أبا هريرة يقصّ يقول في قصصه: من أدركه الفجر جنبًا فلا يصم. فذكرت ذلك لعبد الرحمن بن الحارث [الأبيه] فأنكر ذلك، فانطلق عبدالرحمن وانطلقت معه، حتى دخلنا على عائشة وأم سلمة، فسألهما عبدالرحمن عن ذلك، قال فكلتاهما قالت: كان النبي ﷺ يصبح جنبًا من غير حلم ثم يصوم، قال: فانطلقنا حتى دخلنا على مروان [ابن الحكم] فذكر ذلك له عبدالرحمن، فقال مروان: عزمت عليك إلا ما ذهبت إلى أبي هريرة فرددت عليه ما يقول، قال: فجئنا أبا هريرة، قال: فذكر له عبدالرحمن فقال أبو هريرة: أهما قالتاه لك؟ قال: نعم قال: هما أعلم.

ثم ردّ أبو هريرة ما كان يقول في ذلك إلى الفضل بن العباس فقال أبو هريرة: سمعت ذلك من الفضل ولم أسمعه من النبي ﷺ قال: فرجع أبو هريرة عما كان يقول في ذلك[2].

فالملاحظ على هذا الحديث بهذا اللفظ ما يلي:

أ - توجه التابعي إلى أميْ: المؤمنين عائشة وأم سلمة للسؤال عن ذلك، لأنهما أعرف بذلك من غيرهما فهما زوجتا النبي ﷺ، وهذا الأمر من اختصاصهما، فلا يسأل عن ذلك إلا هما.

ب - كان الغرض من السؤال معرفة هدي النبي ﷺ في هذا الأمر، ولذا أخبرتا

---

(١) شرح صحيح مسلم ٦٩٢.

(٢) أخرجه البخاري ١٩٢٥، ١٩٢٦، ومسلم ١١٠٩، ٧٥ وهذا لفظه.

عن حاله ﷺ فورًا، دون بيان صواب رأي أبي هريرة أو خطئه، لأنه يكفي في ذلك ذكر هديه ﷺ فما وافقه فهو الصواب وإلا كان غير صواب.

ج - ذهاب التابعي إلى والي المدينة مروان بن الحكم ليخبره عن هدي النبي ﷺ في المسألة، ولعل السر في ذلك أن للوالي والحاكم سلطة إعلامية ونفوذًا دعويًا، يمكنه من نشر الحكم الصحيح بين الناس.

د - أمر والي المدينة بالذهاب إلى أبي هريرة رضي الله عنه لإخباره بهدي النبي ﷺ المخالف لقوله، ومن الملاحظ أن أبا هريرة رضي الله عنه سلّم وأذعن وتراجع عما كان يقوله، والسر في ذلك أن الفيصل هو هدي النبي ﷺ فهو المبين للصحيح من غير الصحيح.

أي أن الحديث مثال تربوي حي يوضح كيف تكون التربية ناجحة عندما يذكر أفعال أهل القدوة والتأسي، فهذا أسهل طريق للإقناع والامتثال، وطريق محبب إلى النفس وهي ترى نفسها تقتدي بمن يستحق أن يكون قدوة، فهي لا تقتدي بأي أحد وإنما تقتدي بالمثال الأعلى والنموذج الأوفى.

وفي ذلك إرشاد لأهل التربية أن يستخدموا الإخبار عن الأعلام والقادة والعناية بسرد أخبارهم وأفعالهم في تربيتهم للناشئة وغيرهم، حتى يغرسوا في نفوسهم حب الاقتداء بهم والسير على طريقهم.



٢٢٥- باب فضل صوم المحرم وشعبان والأشهر الحرم

الحديث رقم (١٢٤٨)

١٢٤٨- وعن أَبي هريرة ﵁، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((**أفْضَلُ الصِّيَامِ بَعْدَ رَمَضَانَ: شَهْرُ الله المُحَرَّمُ، وَأفْضَلُ الصَّلاَةِ بَعدَ الفَرِيضَةِ: صَلاَةُ اللَّيْلِ**)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨).

الشرح الأدبي

يقوم الحديث كله علي الأسلوب الخبري، الذي يعتمد أسلوب التفضيل لينـدب الطامحين من المؤمنين للتسابق إليها ثم إن لَفْظَةَ " أَفْعَلُ " تَقْتَضِي وُجُودَ الِاشْتِرَاكِ فِي الْأَصْلِ مَعَ التَّفَاضُلِ فِي أَحَدِ الْجَانِبَيْنِ مما يشير إلى اشتراك جميع العبادات المذكورة في الفضل مع تفاضل فيما بينهم على ما هو مبين في الحديث، وتشعر من خلاله أن الله فوض رسوله في أن يخبر عن التفاضل بين الأعمال، لإيضاح الأولي بالعناية، والاهتمام. وقد بين هنا أن الأفضلية المطلقة لصيام الفريضة في شهر (رمضان)، ويليها في المنزلة والمكانة، صيام شيئ من شهر الله (المحرم) وإضافة الشهر لله تشريف وتخصيص يقتضي مزيد عناية، واهتمام بإكثار العمل الصالح فيه. ثم انتقل إلي ركن آخر من أركان الإسلام، وهو الصلاة، فالأفضلية المطلقة فيه (لصلاة الفريضة المتمثلة في الصلوات الخمس)، ويليها في الفضل والمنزلة (صلاة الليل) ونسبة الصلاة إلى الليل من نسبة الفعل إلى زمنه وقد استحقت تلك الرتبة لما يكون فيها من مشقة السهر، وترك الراحة كما أن فيها وقت النزول الإلهي بالإضافة إلى السكون الذي يعين على الخشوع، لأنها تكون خفية بين العبد، وربه، وتكمل النقص الذي قد يتواجد في الصلوات المفروضة. وتكرار أفعل التفضيل (أفضل) مرتين تشعر بأنه يتحتم علي المسلم أن يعتني بما يفضله الله ورسوله. والله أعلم.

---

(١) برقم (٢٠٢/١١٦٣)، وتقدم برقم (١١٦٩). أورده المنذري في ترغيبه (٨٩٥).

فقه الحديث

يشير الحديث إلى عدة أحكام منها:

١- بيان عظم شهر الله المحرم، وأنه أفضل الشهور للصوم بعد رمضان[١].

٢- أيهما أفضل تطوع الليل أم النهار: اتفق الفقهاء على أن تطوع الليل أفضل من النهار، واستدلوا على ذلك بقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ﴾[٢] وقوله ﷺ: "أفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل".

٣- أيهما أفضل الرواتب أم صلاة الليل: ذهب جمهور الفقهاء الحنفية، والمالكية، وجمهور الشافعية إلى أن الرواتب أفضل من صلاة الليل[٣] واستدلوا على ذلك بقوله ﷺ "من ثابر على اثنتي عشرة ركعة في اليوم والليلة بنى الله له بيتًا في الجنة"، ولأن النبي ﷺ واظب عليها دون غيرها ولم يتركها إلا لعذر[٤]. وذهب الحنابلة، وبعض الشافعية إلى أن صلاة الليل أفضل من الرواتب[٥] واستدلوا على ذلك بقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ﴾[٦] وقوله ﷺ: "أفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل" قال الإمام أحمد "ليس بعد المكتوبة عندي أفضل من صلاة الليل"[٧].

والراجح هو رأي جمهور الفقهاء.

المضامين الدعوية[٨]

---

(١) شرح صحيح مسلم ٥٥/٨، نيل الأوطار ٢٤٢/٤.

(٢) سورة الإسراء، آية: ٧٩.

(٣) بدائع ٢٨٤/١، مواهب الجليل ٧٥/٢، المجموع شرح المهذب ٤٩٩/٣، شرح صحيح مسلم ٥٥/٨.

(٤) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني الحنفي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٢٨٥/١، المجموع شرح المهذب ٤٩٩/٣.

(٥) المغني ٤٣٩/١، شرح صحيح مسلم ٥٥/٨.

(٦) سورة الإسراء، آية: ٧٩.

(٧) المغني ٤٣٩/١.

(٨) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم ١١٦٩.

الحديث رقم (١٢٤٩)

١٢٤٩- عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: لَمْ يكن النبي ﷺ يَصُومُ مِنْ شَهْرٍ أَكْثَرَ مِنْ شَعْبَانَ، فَإِنَّهُ كَانَ يَصُومُ شَعْبَانَ كُلَّهُ[1].

وفي رواية[2]: كَانَ يَصُومُ شَعْبَانَ إِلاَّ قَلِيلاً. متفقٌ عَلَيْهِ.

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

الشرح الأدبي

تخبر أم المؤمنين (عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا) عن وضع النبي الكريم بالنسبة للاستعداد لشهر رمضان فتقول: ((لم يكن النبي ﷺ يصوم من شهر أكثر من شعبان. ..، و"من" في قولها: " من شعبان " للتبعيض، أي: كان يصوم أياما كثيرة من شهر " شعبان " استعدادا لصيام الفريضة في رمضان. والرواية الثانية: " كان يصوم شعبان إلا قليلا " تؤكد هذا المضمون لأن المتواتر عليه، أنه لم يصمم شهرا كاملا إلا رمضان ولعلها تريد بقولها: ((... كان يصوم شعبان كله " أي غالبيته أو معظمه. وبين الفعلين: ((لم يكن يصوم))، ((كان يصوم...)) طباق السلب، حيث يوضح مرونة الرسول الكريم ﷺ، وذلك للتيسير علي الأمة. والله أعلم.

فقه الحديث

قال النووي: (من المسنون صوم شعبان لحديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قال العلماء: اللفظ الثاني مفسر للأول وبيان، لأن مرادها بكله غالبه، وقيل: كان يصومه كله في وقت ويصوم بعضه في سنَة أخرى، وقيل كان يصوم تارة من أوله وتارة من وسطه وتارة من

---

(١) أخرجه البخاري (١٩٧٠) واللفظ له، ومسلم (١١٥٦/١٧٦). أورده المنذري في ترغيبه (١٥١٥).

(٢) في آخر الحديث عند مسلم بالرقم الذي تقدم.

آخره، ولا يخلي منه شيئًا إلا صام، لكن في سنين. وقيل في تخصيصه شعبان بكثرة الصيام لأنه ترفع منه أعمال العباد في سنتهم. وقيل غير ذلك.

فإنه قيل: فقد سبق في حديث أبي هريرة "أن أفضل الصيام بعد رمضان المحرم" فكيف أكثر منه في شعبان دون المحرم؟

فالجواب: لعله ﷺ لم يعلم فضل المحرم إلا في آخر الحياة قبل التمكن من صومه. أو لعله كانت تعرض فيه أعذار تمنع من إكثار الصوم فيه كسفر ومرض وغيرهما. وقال العلماء: إنما لم يستكمل شهرًا غير رمضان، لئلا يظن وجوبه)[١].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل الصيام في شهر شعبان.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: الإخبار.

أولاً - من موضوعات الدعوة: فضل الصيام في شهر شعبان:

هذا واضح من فعل النبي ﷺ كما أخبرت بذلك عائشة رضي الله عنها، قال ابن حجر: (في الحديث دليل على فضل الصوم في شعبان)[٢].

وقد قالت أم سلمة رضي الله عنها: ((إن النبي ﷺ لَمْ يَكُنْ يَصُومُ مِنَ السَّنَةِ شَهْرًا تَامًّا إلاَّ شَعْبَانَ، يَصِلُ بِهِ رَمَضَانَ))[٣]، ولفظ ابن ماجه كان: ((يصوم شعبان ورمضان))[٤].

قال الشوكاني: (وقد جمع بين هذه الروايات بأن المراد بالكل والتمام الأكثر، وقد نقل الترمذي عن ابن المبارك أنه قال: جائز في كلام العرب إذا صام أكثر الشهر أن يقال صام الشهر كله. ويقال: قام فلان ليلته أجمع، ولعله تعشى واشتغل ببعض أمره، قال الترمذي: كأن ابن المبارك جمع بين الحديثين بذلك[٥] وحاصله أن رواية

---

(١) المجموع ٢٨٣/٦-٢٨٤ ، وانظر: شرح صحيح مسلم ٣٠/٨/٤، ٤٤-٤٥ .

(٢) فتح الباري ٢١٥/٤، .

(٣) أخرجه أحمد ٢٩٤/٦، رقم ٢٦٥١٧، ٢٦٦٥٣، وقال محققو المسند: إسناده صحيح ٢٥٨/٤٤.

(٤) أخرجه أحمد ٢٩٤/٦، رقم ٢٦٥١٧، وقال محققو المسند: إسناده صحيح ١٣٥/٤٤.

(٥) سنن الترمذي ص ١٨٣ بعد الحديث ٧٣٧.

الكل والتمام مفسرة برواية الأكثر ومخصصة بها وأن المراد بالكل الأكثر وهو مجاز قليل الاستعمال)[١].

قال ابن حجر: (واختلف في الحكمة في إكثاره ﷺ من صوم شعبان، فقيل: كان يشتغل عن صوم الثلاثة أيام من كل شهر لسفر أو غيره، فتجتمع فيقضيها في شعبان. أشار إلى ذلك ابن بطال. وفيه حديث ضعيف أخرجه الطبراني في الأوسط[٢] من طريق ابن أبي ليلى عن أخيه عيسى عن أبيه عن عائشة: كان رسول الله ﷺ يصوم ثلاثة أيام من كل شهر، فربما أخر ذلك حتى يجتمع عليه صوم السنة فيصوم شعبان. وابن أبي ليلى ضعيف، وحديث الباب والذي بعده دال على ضعف ما رواه.

وقيل: كان يصنع ذلك لتعظيم رمضان، وورد من حديث آخر أخرجه الترمذي من طريق صدقة بن موسى عن ثابت عن أنس قال: ((سُئِلَ النبيُّ: أيُّ الصَّوْمِ أفْضَلُ بَعْدَ رمَضَانَ؟ قال: «شَعْبَانُ لِتَعْظِيمِ رمَضَانَ»))[٣]، قال الترمذي: حديث غريب. وصدقة عندهم ليس بذاك القوي.

قلت [أي ابن حجر]: ويعارضه ما رواه مسلم من حديث أبي هريرة مرفوعًا: ((أَفْضَلُ الصَّوْمِ بَعْدَ رَمَضَانَ صومُ الْمُحَرَّمِ))[٤].

وقيل الحكمة في إكثاره من الصيام في شعبان دون غيره أن نساءه كن يقضين ما عليهن من رمضان في شعبان. وهذا عكس ما تقدم في الحكمة في كونهن كن يؤخرن قضاء رمضان إلى شعبان، لأنه ورد فيه أن ذلك لكونهن كن يشتغلن معه ﷺ عن الصوم[٥].

وقيل: الحكمة في ذلك أنه يعقبه رمضان، وصومه مفترض، وكان يكثر من

---

(١) نيل الأوطار ٨٣٠ وقد استفاده من فتح الباري ٢١٤/٤، .

(٢) وكما في مجمع الزوائد للهيثمي ١٩٢/٣.

(٣) أخرجه الترمذي ٦٦٣، وضعفه الألباني (ضعيف سنن الترمذي ١٠٤).

(٤) أخرجه مسلم ١١٦٣.

(٥) أخرجه البخاري ١٩٥٠، ومسلم ١١٤٦ عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان يكون عليّ الصوم من رمضان، فما أستطيع أن أقضي إلا في شعبان؛ الشغل من رسول الله ﷺ أو برسول الله ﷺ.

الصوم في شعبان قدر ما يصوم في شهرين غيره، لما يفوته من التطوع بذلك في أيام رمضان.

والأولى في ذلك ما جاء في حديث أصح مما مضى أخرجه النسائي وأبو داود وصححه ابن خزيمة، عن أسامة بن زيد قال: ((قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَمْ أَرَكَ تَصُومُ شَهْرًا مِنَ الشُّهُورِ مَا تَصُومُ مِنْ شَعْبَانَ قَالَ: ذَلِكَ شَهْرٌ يَغْفُلُ النَّاسُ عَنْهُ بَيْنَ رَجَبَ وَرَمَضَانَ وَهُوَ شَهْرٌ تُرْفَعُ فِيهِ الأَعْمَالُ إِلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ فَأُحِبُّ أَنْ يُرْفَعَ عَمَلِي وَأَنَا صَائِمٌ))[1] ونحوه من حديث عائشة عند أبي يعلى لكن قال فيه: ((إِنَّ اللَّهَ يَكْتُبُ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ مَيِّتَةٍ تِلْكَ السَّنَةِ، فَأُحِبُّ أَنْ يَأْتِيَنِي أَجَلِي وَأَنَا صَائِمٌ))[2].

ثانيًا - من أساليب الدعوة: الإخبار:

ذلك واضح من قول عائشة رضي الله عنها: "لم يكن النبي ﷺ يصوم من شهر أكثر من شعبان ...".

فدل هذا الإخبار على هديه ﷺ في صوم شعبان، ليقتدي به المقتدون ويتبعه المدعوون، فهو القدوة والأسوة.

أسلوب الإخبار من أساليب الدعوة المفيدة في نقل أحكام الدين وسنة هدي خاتم المرسلين ﷺ إلى جميع المدعوين.

---

(١) أخرجه بهذا اللفظ النسائي ٤/٢٠١ وحسنه الألباني (صحيح سنن النسائي ٢٢٢١).

(٢) فتح الباري ٤/٢١٥.

الحديث رقم (١٢٥٠)

١٢٥٠- وعن مُجيبَةَ البَاهِلِيَّةِ، عن أبيها أَوْ عمها: أنه أتى رسولَ اللهِ ﷺ، ثُمَّ انطلَقَ فأَتَاهُ بَعْدَ سَنَةٍ - وَقَدْ تَغَيَّرَتْ حَالُهُ وَهيئَتُهُ - فَقَالَ: يَا رسولَ الله، أمَا تَعْرِفُنِي؟ قَالَ: ((وَمَنْ أنْتَ؟)) قَالَ: أَنَا الباهِلِيُّ الَّذي جِئْتُك عام الأَوَّلِ. قَالَ: ((فَمَا غيَّرَك، وَقَدْ كُنْتَ حَسَنَ الهَيْئَةِ!)) قَالَ: مَا أَكَلْتُ طَعَامًا مُنْذُ فَارقتُكَ إلاَّ بِلَيْلٍ. فَقَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: ((عَذَّبْتَ نَفْسَكَ!)) ثُمَّ قَالَ: ((صُمْ شَهْرَ الصَّبْرِ، وَيَومًا مِنْ كُلِّ شَهْرٍ)) قَالَ: زِدْنِي، فَإنَّ بِي قُوَّةً، قَالَ: ((صُمْ يَوْمَيْنِ)) قَالَ: زِدْنِي، قَالَ: ((صُمْ ثَلاثَةَ أيَّامٍ)) قَالَ: زِدْنِي، قَالَ: ((صُمْ مِنَ الحُرُم وَاترك، صُمْ مِنَ الحُرُمِ وَاترك، صُمْ مِنَ الحُرُمِ وَاتركْ)) وقال بأصابعه الثَّلاثِ فَضَمَّها، ثُمَّ أرْسَلَهَا. رواه أَبُو داود[1].

مجيبة الباهلية: مجيبة الباهلية مختلف فيها، فقيل: هي امرأة، ففي سنن أبي داود: عن مجيبة الباهلية، وفي مسند أحمد زيادة: عجوز من باهلة.

وقيل: هو رجل، ففي سنن النسائي الكبرى: عن مجيبة الباهلي، ووقع في سنن ابن ماجه: عن أبي مجيبة الباهلي، فجعله كنية.

وأما ابن حجر فذكره في تقريب التهذيب في أسماء الرجال، فقال: مجيبة الباهلي وقيل: هي امرأة من الصحابة. وأعاده في أسماء النساء فقال: مجيبة الباهلية ويقال: إنها رجل.

أما الصحابي راوي الحديث، فمن جعل مجيبة امرأة قال: عن أبيها أو عمها كما في سنن أبي داود، ومن جعله رجلاً قال: عن أبيه أو عن عمه كما في سنن ابن ماجه. أو قال: عن عمه كما عند النسائي.

أما ابن حبان فذكره في الثقات بالكنية: أبا مجيبة في قسم الصحابة.

وذكر أبو القاسم البغوي أن اسم والد مجيبة: عبدالله بن الحارث.

---

(١) برقم (٢٤٢٨). قال ابن حجر في ((تبيين العجب)) (ص: ٢٣): ففي هذا الخبر وإن كان في إسناده من لا يعرف، ما يدلُّ على استحباب صيام بعض رجب؛ لأنه أحد الأشهر الحُرُم.

والحديث عند أحمد فيه بعض التفصيل، ففيه قول النبي ﷺ له: ((إنك أتيتني وجسمك ولونك وهيئتك حسنة فما بلغ بك ما أرى))... الحديث[1].

غريب الألفاظ:

شهر الصبر: رمضان[2].

الحرم: الأشهر الحرم وهي شهر رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم[3].

قال بأصابعه الثلاث: أشار بها[4].

فضمها ثم أرسلها: أي قبض أصابعه الثلاثة ثم بسطها[5].

الشرح الأدبي

الإسلام دين الرحمة، والوسطية، وهذا الرجل الذي ظل عاما كاملا، يواصل في صيامه، فلا يأكل إلا ليلا قال له الرسول الكريم ﷺ: " عذبت نفسك " وتشديد الذال في الفعل الماضي: " عذبت " يدل علي تكرار ذلك التعذيب مع تكرار الليالي والأيام، ولم يطلب منه ذلك، ولعل إتيانه للنبي الكريم ﷺ كان خيرا عندما أرشده إلي صيام الفريضة قبل كل شيء، حيث قال له: " صم شهر الصبر، ويوما من كل شهر ". والأمر في قوله: " صم " للإرشاد والنصح، ويجب تنفيذه ، لأنه من الأعلى إلي الأدنى. والإضافة في قوله: " شهر الصبر " تشير إلى أن الصبر من ثمار الصيام، ووسيلة –أيضا– من الوسائل التي تعين علي تحقق الصيام بمعناه الصحيح، ولذلك فإن الصبر

---

(١) الطبقات (٨٣/٧)، وثقات ابن حبان (٤٥٦/٣)، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ١٥٩٠، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين (٤٢/٧)، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني (٢٨/٤) وتقريب التهذيب (٢٣٠/٢، ٦١٤).

(٢) رياض الصالحين ٤٤٦.

(٣) اللسان والوسيط في (ح ر م).

(٤) اللسان في (ق ب ض) و(ر س ل).

(٥) انظر: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين ١٣٧٣، والمعجم الوسيط ٥٤٤.

نصف الإيمان، ونصفه الآخر يتمثل في الشكر. وقول النبي ﷺ لذلك الرجل: " صم واترك " طباق يقرر ضرورة التوازن بين متطلبات الجسم بالفطر أو متطلبات الروح بالصيام في الفريضة، ولذلك كان أفضل الصيام صيام داود ﷺ كان يصوم يوما فيتقوى قلبه، ويفطر يوما فيتقوى جسده، وذلك في النوافل، ولذلك شدد الرسول ﷺ وكرر الأمر ومقابله (صم واترك) ثلاث مرات يقرر حق البدن، وحق الروح معا وهو منهج قويم متكامل.

فقه الحديث

قال النووي: (قال أصحابنا: ومن الصوم المستحب صوم الأشهر الحرم وهي: ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب وأفضلها المحرم)[1].

وقال النووي كذلك: (ولم يثبت في صوم رجب نهي ولا ندب لعينه، ولكن أصل الصوم مندوب إليه، وفي سنن أبي داود أن رسول الله ﷺ ندب إلى الصوم من الأشهر الحرم، ورجب أحدها، والله أعلم)[2].

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الحوار.

ثانيًا: من فقه المدعو: التعريف بنفسه للداعية.

ثالثًا: من صفات الداعية: الرفق بالمدعوين.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: فضل الصيام في الأشهر الحرم.

أولاً - من أساليب الدعوة: الحوار:

هذا واضح من قول الباهلي: (يا رسول الله أما تعرفني؟ فقال: ومن أنت؟ قال: أنا الباهلي الذي جئتك عام الأول. قال فما غيّرك وقد كنت حسن الهيئة؟ قال: ما أكلت

---

(١) المجموع ٦/٢٨٣.

(٢) شرح صحيح مسلم ٤/٨/٣٢ .

طعامًا منذ فارقتك إلا بليل. فقال رسول الله ﷺ: عذبت نفسك. ثم قال: صم شهر الصبر ويومًا من كل شهر.. إلخ الحديث).

فأفاد هذا الحوار اطلاع النبي ﷺ على حال الباهلي، من تشديده على نفسه بصوم سنة كاملة، مما أثر على هيئته. فأرشده النبي ﷺ إلى الصوم الذي يحفظ عليه هيئته ولا يشق عليه.

ولا شك أن الحوار أسلوب فعّال من أساليب الدعوة لإقناع المدعو وإرشاده إلى ما فيه نفعه وخيره.

ثانيًا - من فقه المدعو: التعريف بنفسه للداعية:

هذا واضح من قول الباهلي: يا رسول الله أما تعرفني؟ قال: ومن أنت؟ قال: أنا الباهلي الذي جئتك عام الأول.

وتعريف الباهلي بنفسه للنبي ﷺ جعل النبي ﷺ يتذكره ومن ثم يأخذ الحوار منحىً آخر ربما كان يختلف لو لم يعرف الباهلي بنفسه.

ومن هذا القبيل ما رواه عمرو بن عبسة في قصة إسلامه ولما أمره بالرجوع إلى قومه أول إسلامه ثم يأتيه عندما يظهر شأنه ﷺ قال: ((ارْجِعْ إِلَىٰ أَهْلِكَ. فَإِذَا سَمِعْتَ بِي قَدْ ظَهَرْتُ فَأْتِنِي قَالَ فَذَهَبْتُ إِلَىٰ أَهْلِي. وَقَدِمَ رَسُولُ اللّهِ الْمَدِينَةَ. وَكُنْتُ فِي أَهْلِي. فَجَعَلْتُ أَتَخَبَّرُ الأَخْبَارَ وَأَسْأَلُ النَّاسَ حِينَ قَدِمَ الْمَدِينَةَ. حَتَّى قَدِمَ عَلَيَّ نَفَرٌ مِنْ أَهْلِ يَثْرِبَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ. فَقُلْتُ: مَا فَعَلَ هٰذَا الرَّجُلُ الَّذِي قَدِمَ الْمَدِينَةَ؟ فَقَالُوا: النَّاسُ إِلَيْهِ سِرَاعٌ. وَقَدْ أَرَادَ قَوْمُهُ قَتْلَهُ فَلَمْ يَسْتَطِيعُوا ذٰلِكَ. فَقَدِمْتُ الْمَدِينَةَ. فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ. فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللّهِ، أَتَعْرِفُنِي؟ قَالَ: نَعَمْ. أَنْتَ الَّذِي لَقِيتَنِي بِمَكَّةَ؟ قَالَ فَقُلْتُ: بَلَىٰ. فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللّهِ أَخْبِرْنِي عَمَّا عَلَّمَكَ الله وَأَجْهَلُهُ ...)) الحديث[1].

ولاشك أن تعريف المدعو بنفسه إلى الداعية يوفر على الداعية الوقت والجهد، لأن الداعية بهذا التعريف يضع يده على ما يناسب المدعو فيرشده إلى ما يُصلحه وينفعه

---

(١) أخرجه مسلم ٨٣٢.

ويلائمه، فمن المقرر أن الدعوة وأساليبها تختلف باختلاف الأحوال والأشخاص والأزمان، فما يناسب مدعوًا قد لا يكون مناسبًا للآخر، وهكذا، ولذا كان من فقه المدعو وفطنته أن يعرّف بنفسه إلى الداعية إذا كان الحال يقتضي ذلك.

ومما يمكن أن يستأنس به في هذا المقام، ما روى أن سفانة بنت حاتم الطائي لما أسرها المسلمون، قامت فخاطبت النبي ﷺ فعرفت بنفسها فأطلق النبي ﷺ سراحها، فقد قالت: يا محمد إن رأيت أن تخلي عنا ولا تشمت بي أحياء العرب فإني ابنة سيد قومي، وإن أبي كان يحمي الذمار، ويفك العاني ويشبع الجائع ويكسو العاري ويقري الضيف ويطعم الطعام ويفشي السلام، ولا يرد طالب حاجة قط. أنا ابنة حاتم طيء. فقال النبي ﷺ: يا جارية هذه صفة المؤمنين حقًا، لو كان أبوك مسلمًا لترحمنا عليه، خلوا عنها فإن أباها كان يحب مكارم الأخلاق، والله يحب مكارم الأخلاق[1].

ومما يذكره أهل السير والمغازي أن النبي ﷺ لما أطلق سراحها ذهبت إلى أخيها عدي بن حاتم وقد فرّ إلى الشام ورغبته في القدوم على النبي ﷺ، فقدم عليه فأسلم[2].

ثالثًا - من صفات الداعية: الرفق بالمدعوين:

هذا واضح من قوله ﷺ: "صم شهر الصبر، ويومًا من كل شهر" قال: زدني فإن بي قوة. قال: صم يومين. قال: زدني. قال: صم من الحرم واترك. صم من الحرم واترك. صم من الحرم واترك، وقال بأصابعه الثلاثة فضمها ثم أرسلها.

قال ابن عثيمين: (وفي حديث الباهلي الذي صام سنة كاملة حتى تغيرت هيئته وضعفت حاله وجاء إلى النبي ﷺ ... فقال له النبي ﷺ: عذبت نفسك. وفي هذا دليل

---

(١) أخرجه البيهقي في الدلائل ٣٤١/٥ وقال ابن حجر في الإصابة ص ١٧٠٦: وفي سنده من لا يعرف أهـ. وقال ابن كثير في البداية والنهاية ٣٠٠/٧، هذا حديث حسن المتن، غريب الإسناد جدًا، عزيز المخرج.

(٢) انظر: سيرة ابن هشام ٢٢١/٤-٢٢٣، والبداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق: أحمد أبو مسلم وآخرون ٢٩٠/٧-٣٠٠.

على أنه ليس من الشرع أن يكلف الإنسان نفسه ما لا تطيقه وأن يعذب نفسه، لأن الله يقول: ﴿ مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴾[1])[2].

ومن ذلك حديث أبي قتادة الأنصاري ﷺ: أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: كيف تصوم؟ فغضب رسول الله ﷺ... الحديث[3].

قال النووي: (قال العلماء: سبب غضبه أنه كره مسألته لأنه يحتاج إلى أن يجيبه ويخشى من جوابه مفسدة، وهي أنه ربما اعتقد السائل وجوبه أو استقلّه أو اقتصر عليه، وكان يقتضي حاله أكثر منه، وإنما اقتصر عليه النبي ﷺ؛ لشغله بمصالح المسلمين وحقوقهم وحقوق أزواجه وأضيافه والوافدين إليه، لئلا يقتدي به كل أحد فيؤدي إلى الضرر في حق بعضهم وكان حق السائل أن يقول: كم أصوم أو كيف أصوم؟ فيخصُّ السؤال بنفسه ليجيبه بما تقتضيه حاله، كما أجاب غيره بمقتضى أحوالهم)[4].

رابعًا- من موضوعات الدعوة: فضل الصيام في الأشهر الحرم:

وهذ واضح في قوله ﷺ: "صم من الحرم"، قال الشوكاني: ("وصم أشهر الحرم"[5] هي: شهر القعدة والحجة ومحرم ورجب، وفيه دليل على مشروعية صومها، ولكنه ينبغي ألا يستكمل صوم شهر منها ولا صوم جميعها، ويدل على ذلك ما عند أبي داود من الحديث بلفظ "صم من الحرم و اترك، صم من الحرم واترك، صم من الحرم واترك")[6].

---

(١) سورة النساء، آية: ١٤٧.

(٢) شرح رياض الصالحين ٢/١٤١٠.

(٣) أخرجه مسلم ١٩٦-١١٦٢.

(٤) شرح صحيح مسلم ٤/٨/٥٣-٥٤، وانظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٤/١٣٣، والمفهم للقرطبي ٣/١٨٥.

(٥) هذا لفظ ابن ماجه ١٧٤١.

(٦) نيل الأوطار ص ٨٣٢.

وقال الغزالي: (اعلم أن استحباب الصوم يتأكد في الأيام الفاضلة، وفواضل الأيام بعضها يوجد في كل سنة، وبعضها يوجد في كل شهر، وبعضها في كل أسبوع أما في السنة بعد أيام رمضان: فيوم عرفة ويوم عاشوراء والعشر الأول من ذي الحجة والعشر الأول من المحرم، وجميع الأشهر الحرم مظان الصوم وهي أوقات فاضلة، فالأشهر الفاضلة ذو الحجة والمحرم ورجب وشعبان والأشهر الحرم ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب، واحد فرد وثلاثة سرد، وأفضلها ذو الحجة، لأن فيه الحج والأيام المعلومات والمعدودات وذو القعدة من الأشهر الحرم وهومن أشهر الحج)[1].

فلما كانت الأشهر الحرم مُشَرَّفة عند الله كان الصوم فيها له فضل ومكانة، لما يدل على تعظيم ما عظمه الله، وذلك بالطاعة والعبادة، جاء في الموسوعة الفقهية: (الأشهر الحرم فضلها الله على سائر شهور العام، وشرفهن على سائر الشهور. فخص الذنب فيهن بالتعظيم، كما خصهن بالتشريف، وذلك نظير قوله تعالى: ﴿ حَـٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ ﴾[2] قال ابن عباس: خص الله من شهور العام أربعة أشهر فجعلهن حرمًا، وعظم حرماتهن، وجعل الذنب فيهن والعمل الصالح والأجر أعظم، وعن قتادة: الظلم في الأشهر الحرم أعظم خطيئة ووزرًا من الظلم فيما سواها، وإن كان الظلم في كل حال عظيمًا، ولكن الله يعظم من أمره ما شاء، فإن الله تعالى اصطفى صفايا من خلقه، اصطفى من الملائكة رسلاً، ومن الناس رسلاً، واصطفى من الكلام ذكره، واصطفى من الأرض المساجد، واصطفى من الشهور رمضان والأشهر الحرم، واصطفى من الأيام يوم الجمعة، واصطفى من الليالي ليلة القدر. قال قتادة: فعظموا ما عظم الله، فإنما تعظم الأمور بما عظمها الله عند أهل الفهم وأهل العقل)[3].

---

(١) إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي ١/٤٣٢-٤٣٤.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٣٨.

(٣) الموسوعة الفقهية ٥/٥١ ومصادرها ومراجعها.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- التربية على العناية بالفروض والنوافل:

إن التربية على العناية بالفروض والنوافل تتضح في هذا الباب فيما يلي:

(أ) ذكره ﷺ أن أفضل الصلاة بعد الفريضة: صلاة الليل، وأن أفضل صوم النفل بعد صوم الفريضة في رمضان: شهر الله المحرم، فههنا جمع بين فروض الصلاة وبعض نوافلها وتطوعها، وبين صيام الفرض وبعض صيام النفل.

(ب) صيامه ﷺ أكثر شعبان، وهذا من النوافل.

(ج) أمره ﷺ الصحابي الذي جاءه بعد سنة وقد تغيرت حاله وهيئته - أمره بأن يصوم شهر رمضان، ويومًا من كل شهر، وما زال الصحابي بالنبي يستزيده من صوم النوافل، حتى قال له: صم من الحرم واترك، صم من الحرم واترك، صم من الحرم واترك، وقال بأصابعه الثلاث فضمها ثم أرسلها.

أي أنه يمكن أن يستدل بهذه الأحاديث على التربية بالفروض والنوافل، أو الواجبات والمندوبات، فإذا كان الفروض لها وظائف تربوية أساسية فإن للنوافل أيضًا وظائف تربوية مكملة ومساندة، وهذا يفسر لِمَ لم يكتفِ الشارع بالفروض فقط بل رغب أيضًا في فعل النوافل حتى إن بعضها قد أصبح مؤكدًا فعله، لكون النبي ﷺ قد واظب عليه وداوم.

"إن الفرائض هي الأساس والأصل وأعظم ما يتقرب به إلى الله تبارك وتعالى كما أخبرنا بذلك عنه أعلم الخلق ﷺ فقال فيما يرويه عن ربه: ((وما تقرَّب إليَّ عبدي بشيءٍ أحب إلي مما افترَضْته عليه))[1]، ومن الأمور التي ينبغي أن يعنى بها المربي: الحرص على غرس تعظيم الفرائض والاعتناء بها ورعايتها لدى من يربيهم، وضرورة تقديمها على النوافل والتطوعات واهتمام المربي بالفرائض والاعتناء بها لا ينبغي أن يقف عند مجرد تأكيد الإتيان بها وفعلها، بل الاعتناء بالنوافل، إذ هي سبب لتحقيق محبة

---

(١) أخرجه البخاري ٦٥٠٢ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

الله تعالى ((وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أُحبه، فإذا أحبَبته كنت سمعه الذي يسمع به وبَصرَه الذي يبصر به ويدَه التي يبطِش بها. ورجله التي يمشي بها، وإنْ سألني لأعطينه، ولئن استعاذ بي لأعيذَنه))[1].

كما أن بها يكمل ما انتقص من فريضة العبد ((فإن انتقَصَ مِنْ فريضتهِ شيءٌ، قال الربُّ تبارَكَ وتعالى: انظُروا هلْ لعَبدي مِنْ تطوُّع؟ فيُكمَّلُ بها ما انتقَصَ منَ الفريضةِ...))[2].

واعتناء الشاب بالنوافل والعبادة لله مما يزيده إيمانًا وتقوى لله عز وجل، ومما يصلح كثيرًا من أحواله.

ومن الوسائل التي تعين المربي على تحقيق هذا الجانب:

(أ) اعتناء المربي نفسه بأداء النوافل والمحافظة عليها حتى حين يضيق به الوقت، وتطبيق المربي للسنة في أداء النوافل في المنزل مما يربي أولاده على الاعتناء بها.

(ب) توجيه الناشئة وغيرهم وبيان منزلة النوافل وفضلها، وقد كان ﷺ يوجه أصحابه إلى الاعتناء بالنوافل.

(ج) أن يراعى في أوقات البرامج العامة التي تقدم للطلاب ترك وقت لأداء النوافل، وبيان ذلك للطلاب وحثهم عليها.

(د) أن يراعي المربي ذلك حين تكليفه لمن يربيه بأمر أو مهمة، فحين يطلب الأب من ابنه أداء مهمة عاجلة فليس من المستحسن أن يأمره بترك الراتبة، وحين يكون الأمر عاجلاً يوجهه إلى أن يؤديها في المنزل، أو بعد فراغه من المهمة إن كانت لا تطول[3].

ثانيًا- من واجبات الناشئة: إطلاع المربي على أحوالهم في العبادة للاستفادة من توجيهاته:

لقد غاب الصحابي سنة كاملة عن النبي ﷺ وقد تغيرت حاله وهيئته؛ فقال: يا رسول الله أما تعرفني؟ لقد عرّف النبي ﷺ بأنه جاءه قبل سنة فتذكر ﷺ أن

---

(١) أخرجه البخاري ٦٥٠٢ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الترمذي ٤١٣، وابن ماجه ١٤٢٦ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) تربية الشباب: الأهداف والوسائل ص ٦٠ - ٦٤.

هيئته تغيرت وحاله قد تبدلت من صحة وعافية إلى نحول وشحوب وجه ونحو ذلك، فسأله عن سبب ذلك فأخبر النبي ﷺ أنه قد صام عامًا كاملاً، فلما أخبره بذلك بيّن له النبي ﷺ أنه قد شق على نفسه وأتعبها وأتعب جسده مما أثر عليه تأثيرًا ظاهرًا بينًا. وأرشده إلى ما يقوم به من الصوم ويجنبه هذا التعب وهذا الإرهاق وذلك التأثير البدني.

وفي ذلك إرشادٌ للناشئة وغيرهم أن يطلعوا المربين على أحوالهم وأفعالهم حتى يكونوا على علم بها ويبينوا لهم الصواب من غيره.

وفي ذلك عدة فوائد تربوية، منها:

(أ) تقويم أفعال الناشئة وغيرهم فما كان صوابًا استمروا عليه وإلا عدلوا عنه وأتوا بالصواب والصحيح.

(ب) عدم ضياع كثير من الوقت وكثير من الجهد في الاستمرار على الفعل الخطأ، الذي قد يصبح عادةً تحتاج إلى وقت وجهد للإقلاع عنها.

(ج) التوجيه العام من المربي لمن يقوم على تربيتهم، إذ أنه إذا اطلع على خلل ما ووجده قد يشكل اتجاهًا عامًا، فإنه يسارع إلى علاج هذا الخلل بكل الطرق الممكنة ومن أسرع تلك الطرق وأعمها التوجيه لجميع الأتباع.

ثالثًا- من خصائص التربية الإسلامية: التوازن:

لقد نهى النبي ﷺ الصحابي الذي صام عامًا كاملاً حتى أثر ذلك في جسده وبدنه وهيئته، لقد نهاه عن الاستمرار في هذا الصيام وأرشده إلى صيام يحفظ عليه قوته وطاقته وجهده، أي أن النبي ﷺ أرشده إلى أن يوازن بين مطالب الروح ومطالب الجسد، فإذا كانت المطالب الروحية تدفعه إلى أن يصوم عامًا كاملاً، فإن هذا يحيف على مطالب الجسد وحقه في الراحة وحفظ قوته ونشاطه، والأمر نفسه إذا استجاب لمطالب الجسد، فإنه يحيف ويجور على مطالب الروح.

نخلص من هذا إلى أن ذلك الحديث دليل على أن التربية الإسلامية تربية متوازنة تجمع بين مطالب الروح ومطالب الجسد، فلا تميل لجانب على حساب جانب آخر ولا

تعلي من شأن جانب وتحط من شأن آخر، ولا تهتم بإحداهما وتهمل الأخرى.

إنها تربية وسط بين هذا وذاك، "إن من أبرز خصائص التربية الإسلامية الوسطية ويعبر عنها بالتوازن وتعني بها التوسط أو التعادل بين طرفين متقابلين أو متضادين بحيث لا ينفرد أحدهما بالتأثير ويطرد المقابل، وبحيث لا يأخذ أحد الطرفين أكثر من حقه، ويطغى على مقابله، ويحيف عليه، مثال الأطراف المتقابلة أو المتضادة: الروحية والمادية والفردية والجماعية، والواقعية والمثالية، والثبات والتغير وما شابهها، ومعنى التوازن بينها أن يفسح لكل طرف منها مجاله وبعض حقه بالقسط أو بالقسطاس المستقيم، بلا وكس ولا شطط، ولا غلو ولا تقصير ولا طغيان ولا إخسار، كما أشار إلى ذلك كتاب الله بقوله: ﴿ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ۝ أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ ۝ وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ ﴾[1]"[2].

رابعًا- التربية على الاستزادة من الخير:

لقد أمر النبي ﷺ الصحابي بأن يصوم شهر رمضان ويومًا من كل شهر، فقال له الصحابي: زدني فإن بي قوة، فأقره النبي ﷺ على ذلك، وزاده فقال: صُم يومين، فرغب الصحابي في الزيادة فقال: زدني، فأقره النبي ﷺ على ذلك وقال: صم ثلاثة أيام، فأحب الزيادة على ذلك فأقره النبي ﷺ وحقق رغبته.

إننا نستفيد من إقرار النبي ﷺ للصحابي في الزيادة في عدد الأيام التي يصومها، أنه ينبغي أن يربي الناشئة على الاستزادة من الخير والاستكثار منه، ما دام لم يؤد ذلك إلى ارتكاب مخالفة شرعية، لأن في ذلك فوائد تربوية مهمة جدًا، من ذلك:

(أ) زيادة مساحة الخير في المجتمع ويلزم عن ذلك نقص مساحة الشر والضرر بين الناس، فإن كان معظم الناس يستزيدون من الخير، فإنه لن يكون للشر هذه المساحة العريضة الواقعة في حياة الناس.

---

(١) سورة الرحمن، الآيات: ٧ - ٩.

(٢) الخصائص العامة للإسلام ص ١٢٧ بتصرف.

(ب) تسخير الجهد والطاقة إلى فعل الخير والإتقان في ذلك وعدم الوقوف عند حدّ القبول والمعتاد ، ولكن محاولة الوصول إلى المراتب العليا والدرجات الفضلى، فالخير لا حدّ له، وكلما استكثر الإنسان منه زاد رغبةً في المزيد ، فالخير لا يأتي إلا بالخير، والجزاء من جنس العمل.

(ج) غرس روح المبادرة إلى الخيرات والمسابقة إلى الفضائل في نفوس الناشئة ونحوهم، وإذا رسخت هذه الروح تحقق في أرض الواقع ما كان يعده الناس أحلامًا وأماني تداعب الخيال ولا مكان لها لأن تلامس الواقع لحظة واحدة.

(د) إيجاد نماذج مشرفة أمام الناشئة وغيرهم صالحة للاقتداء بها والسير على منهاجها وتحقيق ما حققت وإنجاز ما أنجزت.

لهذا ينبغي أن يربى الشباب وغيرهم على الاستزادة من الخير.



٢٢٦- باب فضل الصوم وغيره في العشر الأول من ذي الحجة

الحديث رقم (١٢٥١)

١٢٥١- عن ابن عباس رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: **((مَا مِنْ أيَّامٍ، العَمَلُ الصَّالِحُ فِيهَا أحَبُّ إِلَى اللهِ مِنْ هذِهِ الأَيَّام))** يعني أيام العشر. قالوا: يَا رسولَ اللّهِ، وَلاَ الجِهَادُ فِي سَبيلِ اللّهِ؟ قَالَ: **((وَلاَ الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ، إلاَّ رَجُلٌ خَرَجَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، فَلَمْ يَرْجِعْ مِنْ ذَلِكَ بِشَيءٍ))** رواه البخاريُّ[1].

ترجمة الراوي:

عبد الله بن عباس: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١١).

غريب الألفاظ:

أيام العشر: العشر الأول من شهر ذي الحجة[2].

الشرح الأدبي

يخبر النبي الكريم ﷺ عن فضل العمل الصالح في العشر الأول من " ذي الحجة". ولذلك بني مطلع الحديث علي الأسلوب الخبري. والنفي إذا سلط علي النكرة أفاد العموم كما جاء في قوله: " ما من أيام ". ووصف العمل بكونه صالحا " يشع بأن هذا العمل الموصوف بالصلاح، هو المعتد به عند الله تعالي، لقوله عز وجل: "إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه..."[سورة فاطر، آية: ٩]. والتعبير بأفعل التفضيل أحب يوحي بالرضا والقبول، والتقريب، وتعلقه بالله يجعله أعظم أثرا لارتباط الأثر بالمؤثر، والاستفهام في قولهم: "ولا الجهاد في سبيل الله؟" حقيقي يراد منه التعلم

---

(١) برقم (٩٦٩) بنحوه. وبهذا اللفظ أخرجه أبو داود (٢٤٣٨). تبع فيه المؤلف المنذري في ترغيبه (١٧٢٥) حيث عزاه إلى البخاري، والترمذي، وأبي داود، وابن ماجه، واقتصر المؤلف على البخاري، ولكنه لم يلتزم بإيراد لفظ البخاري.

(٢) فتح الباري ٢/٥٣٢.

والاسترشاد لما قرَّ في نفوسهم من أن الجهاد أعظم الأعمال. والاستثناء في قوله: "إلا رجل خرج بنفسه وماله، فلم يرجع من ذلك بشئ" يوحي بأن ذلك الرجل ضحي بالنفس التي هي أغلي من كل شئ، والمال الذي تأتي به النفس مما يدل على عظمة العمل في هذه الأيام التي بلغت هذا المبلغ. والله أعلم.

فقه الحديث

قال النووي: (ومن الصوم المسنون صوم الأيام التسعة من أول ذي الحجة، لحديث الباب)[1].

وقال ابن قدامة: (وأيام عشر ذي الحجة كلها شريفة مفضلة يضاعف العمل فيها، ويستحب الاجتهاد في العبادة فيها، لحديث الباب)[2].

وجاء في الموسوعة الفقهية: (اتفق الفقهاء على استحباب صوم الأيام الثمانية التي من أول ذي الحجة قبل يوم عرفة، لحديث الباب)[3].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل الصيام وغيره من الطاعات في العشر الأول من ذي الحجة.

ثانيًا: من آداب المدعو: السؤال عما أشكل عليه.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل الجهاد في سبيل الله.

أولاً- من موضوعات الدعوة: فضل الصيام وغيره من الطاعات في العشر الأول من ذي الحجة:

هذا واضح من الحديث كله، ووقع في صحيح ابن حبان من حديث جابر بن

---

(١) المجموع ٦/٢٨٣ ، وانظر فتح الباري ٢/٤٦٠ .

(٢) المغني ٤/٤٤٣ .

(٣) الفتاوى الهندية، الشيخ نظام وجماعة من علماء الهند ١/٢٠١ ط الأميرية ١٣١٠هـ، وحاشية الدسوقي ١/٥١٥، ومغني المحتاج ١/٤٤٦، والقيلوبي وعميرة ٢/٧٣، وكشاف القناع ٢/٣٢٨ (عن الموسوعة الفقهية ٢٨/٩٢-٩٣).

عبدالله رضي الله عنهما قال رسول الله ﷺ: ((مَا مِنْ أَيَّامٍ أَفْضَلُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ أيام عَشْرِ ذي الحِجَّةِ، قال: فَقَالَ رَجُلٌ: يا رَسُولَ اللَّهِ هُنَّ أفْضَلُ أمْ عِدَّتُهُنَّ جهادًا في سَبِيلِ اللَّهِ؟ قال: هُنَّ أَفْضَلُ مِنْ عِدَّتِهِنَّ جهادًا في سَبِيلِ اللَّهِ ومَا مِنْ يَوْمٍ أفضلُ عِندَ اللَّهِ مَنْ يوم عَرَفَةَ يَنْزِلُ اللَّهُ إلى السَّمَاءِ الدنيا فيُبَاهِي بأهلِ الأرض أهلَ السَّماءِ، فَيَقُولُ: انظروا إلى عِبادي شُعثًا غُبْرًا ضاحين جاؤوا مِنْ كُلِّ فجَ عَمِيقٍ يرجونَ رحمتي، ولم يَرَوْا عذابي، فَلَمْ يُرَ يومٌ أكثرُ عتقًا من النارِ مِنْ يومِ عرفةَ))[1].

وقد بيّن العلماء فضل الصيام وغيره من الطاعات في العشر الأول من ذي الحجة في شرحهم لحديث الباب، قال ابن حجر: (ثبتت الفضيلة لأيام العشر بهذا الحديث... واستدل به على فضل صيام عشر ذي الحجة لاندراج الصوم في العمل واستشكل بتحريم الصوم يوم العيد، وأجيب بأنه محمول على الغالب ولا يرد على ذلك ما رواه أبو داود وغيره عن عائشة قالت: ((مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ صَائِمًا الْعَشْرَ قَطُّ))[2] لاحتمال أن يكون ذلك، لكونه كان يترك العمل وهو يحب أن يعمله خشية أن يفرض على أمته، والذي يظهر أن السبب في امتياز عشر ذي الحجة لمكان اجتماع أمهات العبادة فيه، وهي الصلاة والصيام والصدقة والحج، ولا يتأتى ذلك في غيره. وعلى هذا هل يختص الفضل بالحاج أو يعم المقيم؟ فيه احتمال)[3].

وقال ابن هبيرة: (في هذا الحديث من الفقه: فضيلة العشر الأول من ذي الحجة، وأنه كذلك من حيث إنه أول شهر حرام بين شهرين حرامين فيه أيام الإحرام من الحاج وأيام رفع الأصوات بالتلبية وقصد الناس بيت الله الحرام للحج الذي جعل الله فيه لمن شهده منافع، وذكر المنافع بلفظ الجمع للمنكّر. وهذا يشتمل على منافع غير محصورة؛ فإن القرآن العظيم إذا شهد بمنفعة فهي التي لا تتعقبها مضرة[4]، وهذا لا

---

(١) أخرجه ابن حبان ٣٨٥٣، وقال محققه: حديث صحيح.

(٢) أخرجه مسلم ١١٧٦، وأبو داود ٢٤٣٩، والترمذي ٧٥٦.

(٣) فتح الباري ٢/ ٤٦٠، .

(٤) قال تعالى: ﴿لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾ [سورة الحج، آية: ٢٨].

يكمل إلا بدخول الجنة إن شاء الله تعالى. وأعمال الحاج لهم، وأما غير الحاج، فإن أعمالهم في سبل البر التي يمكنهم سلوكها راجين أن يلحقهم الله بثواب الحاج و المعتمرين. وهذا يتضح بأن صيام يوم عرفة يعدل عامين إلا أنه لا يستحب صيامه للحاج، فيدل على أن عمل الحاج غير عمل من ليس بحاج)[1].

وقال ابن رجب الحنبلي: (وقد دل هذا الحديث على أن العمل في أيامه أحب إلى الله من العمل في أيام الدنيا من غير استثناء شيء منها، وإذا كان أحب إلى الله فهو أفضل عنده، وإذا كان العمل في أيام العشر أفضل وأحب إلى الله من العمل في غيره من أيام السنة كلها صار العمل فيه، وإن كان مفضولاً، أفضل من العمل من غيره وإن كان فاضلاً ولهذا قالوا: يا رسول الله ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: "ولا الجهاد" ثم استثنى جهادًا واحدًا هو أفضل الجهاد، وأما بقية أنواع الجهاد فإن العمل في عشر ذي الحجة أفضل وأحب إلى الله عز وجل منها، وكذلك سائر الأعمال، وهذا يدل على أن العمل المفضول في الوقت الفاضل يلتحق بالعمل الفاضل في غيره، ويزيد عليه لمضاعفة ثوابه وأجره)[2].

وقال ابن عثيمين: (العمل الصالح يشمل الصلاة والصدقة والصيام والذكر والتكبير وقراءة القرآن وبر الوالدين وصلة الأرحام والإحسان إلى الخلق، وحسن الجوار وغير ذلك – كل الأعمال الصالحة... ففي هذا دليل على فضيلة العمل الصالح في أيام العشر الأولى من شهر ذي الحجة من صيام وغيره)[3].

ثانيًا – من آداب المدعو: السؤال عما أشكل عليه:

هذا واضح من سؤال الصحابة رضوان الله عليهم: يا رسول الله ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال ابن حجر: (ودل سؤالهم هذا على تقرر أفضلية الجهاد عندهم، وكأنهم

---

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٣/١٤٩-١٥٠.

(٢) لطائف المعارف، فيما لمواسم العام من الوظائف، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: ياسين محمد السواس ص ٤٥٨-٤٥٩.

(٣) شرح رياض الصالحين ٢/١٤١١.

استفادوه من قوله ﷺ في جواب من سأله عن عمل يعدل الجهاد، فقال: لا أجده، وسيأتي في أوائل كتاب الجهاد من حديث أبي هريرة"[١][٢].

ومن هذا القبيل ما رواه عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فاستأذنه في الجهاد فقال: ((أحيٌّ والِداكَ؟ قال: نعم. قال: ففيهما فجاهد))[٣].

قال ابن حجر: (فيه أن بر الوالد قد يكون أفضل من الجهاد، وأن المستشار يشير بالنصيحة المحضة، وأن المكلف يستفصل عن الأفضل في أعمال الطاعة ليعمل به لأنه سمع فضل الجهاد فبادر إليه، ثم لم يقنع حتى استأذن فيه، فدل على ما هو أفضل منه في حقه، ولولا السؤال ما حصل له العمل بذلك)[٤].

وقال ابن أبي جمرة: (من الفقه التثبت في العلوم الشرعية حتى تعلم على تحقيق ويقين والبحث عن ذلك مع الرفيع والوضيع على حدٍّ سواء بالأدب، لأن ذلك هو الطريق اللائق بالعلم، وإلا فصاحبه بُدعي زائغ عن العلم وسيرة السلف الصالح من الصحابة رضي الله عنهم وأتباعهم بإحسان إلى يوم الدين، جعلنا الله من المتبعين لهم بمنّه)[٥].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: فضل الجهاد في سبيل الله:

هذا واضح من سؤال الصحابة النبي ﷺ: ولا الجهاد يا رسول الله؟ فقال رسول الله: "ولا الجهاد في سبيل الله، إلا رجل خرج بنفسه وماله فلم يرجع من ذلك بشيء".

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: ((سُئِلَ النبيُّ ﷺ: أيُّ الأعمالِ أفضلُ؟ قال: إيمانٌ باللّهِ ورسولِهِ. قيل: ثمَّ ماذا؟ قال: جهادٌ في سبيلِ اللّهِ. ثم ماذا؟ قال: حجٌّ مَبْرُورٌ))[٦].

قال ابن رجب الحنبلي: (ويمكن الجمع بينه وبين حديث ابن عباس بوجهين:

---

(١) أخرجه البخاري ٢٧٨٥ واللفظ له، ومسلم ١٨٧٨.

(٢) فتح الباري ٢/ ٤٦٠، وانظر: فتح الباري ٦/ ٥.

(٣) أخرجه البخاري ٣٠٠٤، ومسلم ٢٥٤٩.

(٤) فتح الباري ٦/ ١٤٠، .

(٥) بهجة النفوس شرح مختصر صحيح البخاري ٤/ ٢٣٦.

(٦) أخرجه البخاري ٢٦، ومسلم ٨٣.

أحدهما: أن حديث ابن عباس قد صرّح فيه بأن جهاد من لا يرجعُ من نفسه وماله بشيء يفضل على العمل في العشر فيمكن أن يقال: الحج أفضل من الجهاد إلا جهاد من لم يرجع من نفسه وماله بشيء، ويكون هو المراد من حديث أبي هريرة ويجتمع حينئذ الحديثان.

والثاني: وهو الأظهر أن العمل المفضول قد يقترن به ما يصير أفضل من الفاضل في نفسه، وحينئذٍ فقد يقترن بالحج ما يصير به أفضل من الجهاد وقد يتجرد عن ذلك، فيكون الجهاد حينئذٍ أفضل منه، فإن كان الحج مفروضًا فهو أفضل من التطوع بالجهاد، فإن فروض الأعيان أفضل من فروض الكفايات عند جمهور العلماء، وإن كان الحاج ليس من أهل الجهاد، فحجه أفضل من جهاده كالمرأة ... وكذلك إذا استغرق العشر كله عمل الحج وأتى به على أكمل وجوه البر من أداء الواجبات واجتناب المحرمات، وانضم إلى ذلك الإحسان إلى الناس ببذل السلام وإطعام الطعام، وضم إليه كثرة ذكر الله عز وجل والعج والثج وهو رفع الصوت بالتلبية، وسوق الهدي، فإن هذا الحج على هذا الوجه قد يفضل على الجهاد، وإن وقع عمل الحج في جزء يسير من العشر ولم يؤت به على الوجه المبرور، فالجهاد أفضل منه)[1].

وقال ابن تيمية: (والأمر بالجهاد وذكر فضائله في الكتاب والسنة أكثر من أن يحصر، ولهذا كان أفضل ما تطوع به الإنسان، وكان باتفاق العلماء أفضل من الحج والعمرة والصلاة التطوع والصوم التطوع، كما دل عليه الكتاب والسنة ... وهذا باب واسع، لم يرد في ثواب الأعمال وفضلها مثل ما ورد فيه وهو ظاهر عند الاعتبار، فإن نفع الجهاد عام لفاعله ولغيره في الدين والدنيا ومشتمل على جميع أنواع العبادات الباطنة والظاهرة، فإنه مشتمل من محبة الله تعالى والإخلاص له والتوكل عليه وتسليم النفس والمال له والصبر والزهد وذكر الله وسائر أنواع الأعمال، على ما لا يشتمل عليه عمل آخر. والقائم به من الشخص والأمة بين إحدى الحسنيين دائمًا إما النصر والظفر،

---

(١) لطائف المعارف، فيما لمواسم العام من الوظائف، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: ياسين محمد السواس ٤٦٣-٤٦٤.

وإما الشهادة والجنة، فإن الخلق لابد لهم من محيا وممات، ففيه استعمال محياهم ومماتهم في غاية سعادتهم في الدنيا والآخرة. وفي تركه ذهاب السعادتين أو نقصهما، فإن من الناس من يرغب في الأعمال الشديدة في الدين أو الدنيا مع قلة منفعتهما، فالجهاد أنفع فيهما من كل عمل شديد. وقد يرغب في ترفيه نفسه حتى يصادفه الموت، فموت الشهيد أيسر من كل ميتة، وهي أفضل الميتات)[1].

وقال ابن حجر: (قال ابن دقيق العيد: القياس يقتضي أن يكون الجهاد أفضل الأعمال التي هي وسائل، لأن الجهاد وسيلة إلى إعلان الدين ونشره وإخماد الكفر ودحضه، ففضيلته بحسب فضيلة ذلك)[2].

---

(١) مجموع الفتاوى ١٤/٤٦٠-٤٦١، .

(٢) فتح الباري ٦/٥.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً - التربية بالتوجيه لاغتنام الأوقات الفاضلة في العمل النافع:

لقد أخبر النبي ﷺ عن فضل أيام العشر الأول من ذي الحجة، فقال: "ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله من هذه الأيام" فأخبر ﷺ عما يكون في هذا الوقت من عمل، وليس أي عمل بل العمل الذي تتوافر فيه صفة الصلاح، أي إننا يمكن أن نستشف من هذا الحديث أنه لفت الأنظار وجذب الانتباه إلى أنه ليس المهم معرفة الوقت الفاضل فقط، وإنما القيام أيضًا فيه بالعمل الصالح، فلا يكفي أن نذكر ونكثر من الذكر لفضائل الأوقات، وإنما المطلوب مع ذلك أن نذكر ما يكون فيه من العمل الصالح بأنواعه المختلفة، إن المهم ليس المعرفة لكن المهم هو العمل ولا يكون أي عمل، بل هو العمل الصالح النافع المفيد في الآخرة، وإذا كان مفيدًا في الآخرة، فإنه في الأغلب الأعم مفيد في الدنيا.

إن في هذا الحديث إرشادًا إلى أهل التربية إلى أن يكون همهم الأول العمل والفعل لا الاكتفاء بالتنظير والتأطير ونحو ذلك، فليس هناك فائدة ترجى من تربية تقوم على النظريات المجردة والأفكار البحتة دون أن تلامس أرض الواقع وأن تجد لها مكانًا تعيش فيه، بدلاً من أن تظل حبيسة العيش في العقل والرأس.

إننا نسمع كثيرًا أن أهل التربية ينادون بأن الإنسان له فترة ذهبية يجب فيها العناية به عناية فائقة، كما يجب وضع البرامج والخطط التي تؤدي إلى الوصول إلى الهدف المبتغى من هذا الإنسان وتفعيلها حتى تؤتي بالثمار المطلوبة، إن هذه الفترة هي فترة الطفولة إلى مطالع سن الشباب، ورغم هذا الاهتمام النظري فإنه تمر هذه السنوات من عمر كثير من الشباب دون عناية تذكر واهتمام يلفت الأنظار فتضيع هذه السنوات الثمينة الغالية هباء دون جدوى أو نفع مقبول.

والخلاصة أن هذا الحديث يمكن أن يستدل به على أنه يجب تربية الناشئة وغيرهم أن المهم ليس المعرفة فقط وإنما العمل أيضًا، أي الجمع بين العلم والعمل، فلا فائدة من علم لم يتبعه عمل ولا خير في عمل لا يقوم على علم، ولعل في هذا عدة فوائد تربوية مهمة جدًا، منها:

أ - دفع الناشئة وغيرهم إلى أن يتعودوا على تطبيق ما يعرفونه والاستفادة منه في حياتهم العملية، بحيث يظهر لهذه المعرفة أثر في أرض الواقع.

ب - تشجيعهم على أن يضربوا أمثلة عملية مضيئة لغيرهم في الجمع بين العلم النافع والعمل الصالح، وفي ذلك دعوة لأن يقتدي بهم الآخرون فيفعلوا مثلما يفعلون؛ وهكذا يظهر ما يسمى بالعدوى الحميدة في فعل الخير والقيام به.

ج - تعويدهم على أن يكون عملهم من الصالح، فبقدر ما يكون صلاح أعمالهم يكون صلاحهم وقيامهم بما ينبغي عليهم، وكلما كان العمل صالحًا كان أكثر دلالة على صلاح الفرد ظاهرًا وباطنًا سرًا وعلانية.

ثانيًا - التربية على فقه الأمور وتحصيل الثواب:

إن سؤال الصحابة رضي الله عنهم عن معادلة الجهاد في سبيل الله للعمل الصالح في أيام العشر الأول من ذي الحجة، سؤالهم هذا دليل على أن هناك اختلافًا في درجات العمل وما يترتب على ذلك من أجر وجزاء، ويدل على ذلك أيضًا جواب النبي صلى الله عليه وسلم على سؤالهم، فلم يساوِ صلى الله عليه وسلم بين العمل الصالح في هذه الأيام وبين الجهاد في سبيل الله على قدر فضله وعظيم شرفه، ونفى هذه المساواة والمعادلة وأثبتها في حالة واحدة وهي الحالة العليا من الجهاد، إنه جهاد بالمال والنفس ثم ينفد المال وتزهق النفس كل ذلك في سبيل الله عز وجل.

أي أن النبي صلى الله عليه وسلم بين لأصحابه - على وجه الإجمال - درجات الجهاد ومراتبه، وما يتبع ذلك من اختلاف مقادير الأجر والثواب، وفي هذا إرشاد لأهل التربية والتوجيه والتقويم أن ينشئوا أتباعهم ومن يقومون على شؤونهم على هذا المبدأ وهذه القاعدة، اختلاف الأجر باختلاف درجات العمل نفسه، فلا يتساوى عندهم الأهم مع المهم والأفضل مع الفاضل، إن الصحابة رضي الله عنهم تربوا على الحرص على ما ينفعهم في دنياهم وأخراهم، ولذا كانوا يحرصون على سؤال النبي صلى الله عليه وسلم على مراتب الأعمال، وكانوا يعتمدون الفهم والفقه أساسًا للعمل، وهذه ظاهرة صحية تدل على إعمالهم لعقولهم وموازنتهم بين الأمور، ورغبتهم في تحصيل العلم النافع من مصادره الأصيلة وذلك من خلال سؤالهم للنبي صلى الله عليه وسلم حتى يفقهوا الأمور ويكونوا على بينة.

إن مما نعانيه في الواقع المعاصر أن بعض الشعوب وبعض البلاد يتساوى عندها الفعل الواحد على اختلاف درجاته وأنواعه وهيئاته في الأجر والجزاء، وفي هذا من الضرر ما فيه، بل يزداد الأمر سوءًا أن يتساوى الفعلان المتناقضان فيتساوى المحسن مع المسيء والطيب مع الخبيث، والمتقن مع المهمل، والمجيد مع المفرط، وهكذا حتى أصبح لا يتوقع لهذه الدول وهذه المجتمعات وتلك الشعوب الدرجة الدنيا من التقدم والتحضر، بل تظل حبيسة تخلفها وتراجعها بل انحطاطها.

إن في تعليم الناشئة فقه الأمور لتحصيل الأجر الجزيل من الله تعالى لأن الأجر يختلف باختلاف درجات العمل فوائد تربوية عظيمة من أهمها:

أ - تعويد الناشئة على إتيان الأفضل والأحسن والأجود من الأعمال والأقوال والأفعال، حتى يحصلوا أعظم الأجر وأفضل الثواب وأجزل الجزاء.

ب - إعطاء أهل الفضل حقهم وقدرهم من التقدير والاحترام، وإنزالهم منازلهم التي يستحقونها، بعلمهم وجهدهم وتعبهم ومثابرتهم، وفي ذلك إبرازهم قدوة أمام المجتمع وأسوة وإقراره، فيعملون أعمالهم، وينسجون نسجهم ويسيرون على سيرهم، وفي ذلك إشاعة لروح العلم والعمل والابتكار والإبداع بين أفراد المجتمع حتى تصير ثقافة شائعة بينهم، ومن المعروف أن الثقافة هي التي تشكل توجهات الأفراد وميولهم وأحكامهم وأفعالهم، وكلما كانت الثقافة تنحو نحو الأفضل كانت أفعال الأفراد تنحو هذا المنحى.

ج - تعويد الناشئة أن يعرفوا موقعهم ومكانهم في ضوء هذه الأعمال واختلاف درجاتها، فلاشك أن من يحرص على أن يكون فعله في المرتبة الأعلى يختلف ثوابه وجزاؤه عمن يكون عمله في المرتبة الأدنى، وفي هذا تقويم ذاتي مستمر ينبع من الفرد نفسه، فيعرف أين يكون موقعه وأين يكون ترتيبه، فإن كان محسنًا ازداد إحسانًا، وإن كان في رتبة أقل سعى أن يصل إلى الدرجة الأعلى منها، وهكذا يظل الفرد الصالح في ترقٍ دائم، وفي ذلك صلاح للمجتمع فما المجتمع إلا مجموعة من الأفراد، فإذا صلحوا صلح وإلا كان نصيبه الفساد والخلل والانحراف.

۞ ۞ ۞

٢٢٧- باب فضل صوم يوم عرفة وعاشوراء وتاسوعاء

الحديث رقم (١٢٥٢)

١٢٥٢- وعن أَبي قتادة رضي الله عنه ، قَالَ: سُئِلَ رسول الله ﷺ عن صَومِ يَوْمِ عَرَفَةَ ، قَالَ: ((يُكَفِّرُ السَّنَةَ المَاضِيَةَ وَالبَاقِيَةَ)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو قتادة الأنصاريّ: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢١٧).

غريب الألفاظ:

يومُ عرفة: اليوع التاسع من ذي الحجة، يوم وقوف الحجيج بعرفة[2].

الشرح الأدبي

بني الحديث الشريف علي الأسلوب الخبري، حيث أخبر فيه الرسول الكريم ﷺ عن منزلة صيام يوم " عرفة " فقال: " يكفر السنة الماضية والباقية " والفعل المضارع: " يكفر " يدل علي استمرار فضل الله علي صائم ذلك اليوم، وتشديد الفاء في الفعل نفسه يوحي بتكرار المغفرة والستر من جهة رب العزة – جل في علاه - ، وقدم السنة " الماضية " علي " الباقية "، لأن الذنوب التي صدرت عن العبد في السنة " الماضية " متيقنة، أما ذنوب السنة المتبقية فمظنونة، لأنه ربما لا يعيش حتى تأتيه تلك السنة، وعلي كل فإن كلمات الحديث تشع بالأمل الكبير في فضل الله تعالي، الذي يعطي الثواب الجزيل علي العمل القليل، ولكن بشرط أن تكون النية صادقة، وخالصة لوجه الله تعالي، والطباق بين الماضية، والباقية يؤكد استيعاب الكفارة لذنوب العبد ما بين يديه من خلفه.

---

(١) برقم (١١٦٢/١٩٧). أورده المنذري في ترغيبه (١٤٩١).

(٢) اللسان والقاموس في (ع ر ف).

فقه الحديث

اتفق الفقهاء على استحباب صوم يوم عرفة لغير الحاج، وهو يوم التاسع من ذي الحجة، لحديث الباب[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة ﷺ على سؤال النبي ﷺ عن أمور الدين.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل صيام يوم عرفة.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً - من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة ﷺ على سؤال النبي ﷺ عن أمور الدين:

هذا واضح من قول أبي قتادة الأنصاري ﷺ: سئل رسول الله ﷺ عن صوم يوم عرفة؟ فهذا يدل على أن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يسألونه ﷺ عن أمور دينهم حتى يعلموها ويعملوا بها، لأنه ﷺ يبلغ عن ربه عز وجل. وهذا الحديث حديث طويل يغلب على الظن أن ذكرَه يوضح ما سبق من حرص الصحابة ﷺ على السؤال عن أمور دينهم. قال أبو قتادة الأنصاري ﷺ: ((رَجُلٌ أَتَىٰ النَّبِيَّ فَقَالَ: كَيْفَ تَصُومُ؟ فَغَضِبَ رَسُولُ اللّٰهِ. فَلَمَّا رَأَىٰ عُمَرُ ﷺ غَضَبَهُ قَالَ: رَضِينَا بِاللّٰهِ رَبًّا، وَبِالإِسْلاَمِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا. نَعُوذُ بِاللّٰهِ مِنْ غَضَبِ اللّٰهِ وَغَضَبِ رَسُولِهِ. فَجَعَلَ عُمَرُ ﷺ يُرَدِّدُ هَذَا الْكَلاَمَ حَتَّىٰ سَكَنَ غَضَبُهُ. فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللّٰهِ كَيْفَ بِمَنْ يَصُومُ الدَّهْرَ كُلَّهُ؟ قَالَ: لاَ صَامَ وَلاَ أَفْطَرَ "أَوْ قَالَ": لَمْ يَصُمْ وَلَمْ يُفْطِرْ قَالَ: كَيْفَ مَنْ يَصُومُ يَوْمَيْنِ وَيُفْطِرُ يَوْمًا؟ قَالَ: وَيُطِيقُ ذٰلِكَ أَحَدٌ؟ قَالَ: كَيْفَ مَنْ يَصُومُ يَوْمًا وَيُفْطِرُ يَوْمًا؟ قَالَ: ذَاكَ صَوْمُ دَاوُدَ عليه السلام قَالَ: كَيْفَ مَنْ يَصُومُ يَوْمًا وَيُفْطِرُ يَوْمَيْنِ؟ قَالَ: وَدِدْتُ أَنِّي طُوِّقْتُ ذٰلِكَ ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللّٰهِ:

---

(١) حاشية ابن عابدين ٨٣/٢، وحاشية الدسوقي ٥١٥/١، ومواهب الجليل ٤٠٣/٢، والمهذب وشرح المجموع ٢٧٦/٦-٢٧٧، والمغني ٤٤٠/٤ ، والموسوعة الفقهية ٩٠/٢٨.

ثَلاَثٌ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ. وَرَمَضَانُ إِلَىٰ رَمَضَانَ. فَهذَا صِيَامُ الدَّهْرِ كُلِّهِ. صِيَامُ يَوْمِ عَرَفَةَ، أَحْتَسِبُ عَلَىٰ اللّهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ. وَالسَّنَةَ الَّتِي بَعْدَهُ. وَصِيَامُ يَوْمِ عَاشُورَاءَ، أَحْتَسِبُ عَلَىٰ اللّهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ))[١].

بل بلغ من حرص الصحابة على تعلم أمور الدين أن طلبت الصحابيات من رسول الله ﷺ أن يخصص لهن يومًا يعظهن فيه، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: ((قالت النساءُ للنبيِّ ﷺ: غَلَبَنا عَلَيكَ الرِّجالُ، فاجعلْ لنا يَومًا مِنْ نَفْسِكَ. فوَعدَهُنَّ يومًا لَقِيَهُنَّ فيه فَوَعَظَهُنَّ وأمَرَهنَّ، فكانَ فيما قال لَهنَّ: «ما منكُنَّ امْرأةٌ تُقَدِّمُ ثلاثةً مِن وَلَدِها إلاّ كانَ لَها حِجابًا مِنَ النار» فقالت امرأةٌ: واثنينِ؟ فقال: «واثنين»))[٢].

قال ابن حجر: (وفي الحديث ما كان عليه نساء الصحابة من الحرص على تعلم أمور الدين)[٣]. وقال أبو العباس القرطبي: (وفي هذا الحديث ما يدلّ على فضل نساء ذلك الوقت. وما كانوا عليه من الحرص على العلم والحديث عن رسول الله ﷺ)[٤].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: فضل صيام يوم عرفة:

هذا واضح من قوله ﷺ عن صيام يوم عرفة: يكفر السنة الماضية والباقية.

قال النووي: (معناه: يكفر ذنوب صائمه في السنتين. قالوا: والمراد بها الصغائر، فإن لم تكن صغائر يرجى التخفيف من الكبائر، فإن لم يكن رفعت درجات)[٥].

وقال الشوكاني: (قوله "صوم يوم عرفة يكفر سنتين ... إلخ" في بعض ألفاظ الحديث "أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله والسنة التي بعده" وقد استشكل تكفيره السنة الآتية لأن التكفير: التغطية، ولا تكون إلا شيء قد وقع. وأجيب بأن المراد يكفره بعد وقوعه، أو المراد أنه يلطف به فلا يأتي بذنب فيها بسبب صيامه ذلك

---

(١) أخرجه مسلم ١١٦٢.

(٢) أخرجه البخاري ١٠١، ١٠٢، ومسلم ٢٦٣٢.

(٣) فتح الباري ١/٢٣٧ ط الريان.

(٤) المفهم ٦/٦٤٠-٦٤١.

(٥) شرح صحيح مسلم ٤/٨/٥٤، طر دار عالم الكتب.

اليوم[١]... والحديث يدل على استحباب صوم يوم عرفة)[٢].

ويوم عرفة له فضائل كثيرة قال ابن رجب الحنبلي: (منها أنه يوم إكمال الدين وإتمام النعمة. ومنها: أنه عيد لأهل الإسلام كما قال عمر بن الخطاب وابن عباس، فإن ابن عباس قال: نزلت[٣] في يوم عيدين: يوم جمعة ويوم عرفة[٤]. وروى عمر أنه قال: وكلاهما بحمدالله لنا عيد أخرجه ابن جرير في تفسيره[٥]... لكنه عيد لأهل الموقف خاصة، ويشرع صيامه لأهل الأمصار عند جمهور العلماء)[٦].

وقال الحافظ ابن حجر: (وقد روى مسلم حديث أبي قتادة مرفوعًا: إن صوم عاشوراء يكفر سنة، وإن صيام يوم عرفة يكفر سنتين، وظاهره أن صيام يوم عرفة أفضل من صيام يوم عاشوراء، وقد قيل في الحكمة ذلك: إن يوم عاشوراء منسوب إلى موسى عليه السلام، ويوم عرفة منسوب إلى النبي ﷺ فلذلك كان أفضل)[٧].

وقال ابن رجب كذلك: (فليحافظ على الأسباب التي يرجى بها العتق والمغفرة:

فمنها: صيام ذلك اليوم، ففي صحيح مسلم عن أبي قتادة ... فذكر حديث الباب، ومنها: حفظ جوارحه عن المحرمات في ذلك اليوم، ففي مسند الإمام أحمد عن ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال: ((يوم عرفة هذا يوم من مَلَك فيه سمعه وبصره ولسانه غفر له))[٨].

ومنها: الإكثار من شهادة التوحيد بإخلاص وصدق، فإنها أصل دين الإسلام الذي

---

(١) وقال الشيخ عبدالله البسام: (أو يوفقه لأعمال صالحة تكفر ما يقع فيها من الذنوب) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ١٩٠/٣.

(٢) نيل الأوطار ص ٨٢٦-٨٢٧.

(٣) يقصد ابن عباس قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣] وقد قال عمر بن الخطاب "نزلت ورسول الله ﷺ قائم بعرفة يوم جمعة" أخرجه البخاري ٤٥، ومسلم ٣٠١٧.

(٤) أخرجه الترمذي ٣٠٤٤ وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٤٣٨).

(٥) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٨٧/٨-٨٨.

(٦) لطائف المعارف، فيما لمواسم العام من الوظائف، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: ياسين محمد السواس ص ٤٨٧.

(٧) فتح الباري ٢٤٩/٤، .

(٨) أخرجه أحمد ٣٢٩/١، رقم ٣٠٤١، وقال محققوه: إسناده ضعيف ٦٥/٥.

أكمله الله تعالى في ذلك اليوم وأساسه، وفي المسند عن عبدالله بن عمرو قال: ((كان أكثر دعاء النبي ﷺ يوم عرفة: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد بيده الخير وهو على كل شيء قدير))[1] وأخرجه الترمذي ولفظه: خير الدعاء دعاء يوم عرفة وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلي، لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير"[2].

ومنها: كثرة الدعاء بالمغفرة والعتق، فإنه يرجى إجابة الدعاء فيه)[3]. وقال الشيخ عبدالله البسام: (صوم يوم عرفة هو أفضل صيام التطوع بإجماع العلماء)[4].

ثالثًا - من أساليب الدعوة: الترغيب:

هذا واضح من ذكر النبي ﷺ ثواب صيام يوم عرفة، ولاشك أن هذا يدفع المدعو إلى امتثال الأمر نظرًا لما يترتب على ذلك من خير يناله في الدنيا والآخرة، والنفس البشرية خلقها الله متشوقة إلى الجزاء الذي يترتب على العمل، فتنشط أشد ما يكون النشاط عندما ترغّب في الأعمال والأفعال بذكر الثواب المترتب عليها.

---

(١) أخرجه أحمد ٢/ ٢١٠، رقم ٦٩٦١، وقال محققوه: حسن لغيره ١١/ ٥٤٨.

(٢) أخرجه الترمذي ٢٥٨٥ وحسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٨٣٧).

(٣) لطائف المعارف، فيما لمواسم العام من الوظائف، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: ياسين محمد السواس ص ٤٩٢-٤٩٤.

(٤) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ٣/ ١٩٠.

الحديث رقم (١٢٥٣)

١٢٥٣ - وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أنَّ رسولَ الله ﷺ صَامَ يَومَ عاشوراءَ وأمَرَ بِصِيامِهِ. متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

عبد الله بن عباس: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١١).

غريب الألفاظ:

يوم عاشوراء: بالمد وحكي فيه بالقصر وهو اليوم العاشر من شهر المحرم[2].

الشرح الأدبي

إن كلمات الحديث تدل علي أن المصطفي ﷺ كان أول المطبقين للشرع، وأول الطائعين العابدين يدل علي هذا: الفعل الماضي في أول الحديث: " صام يوم عاشوراء، ولما قام بهذه العبادة أمر غيره أن يقوموا بها، ليتحقق الخير، والرشد، والهدي لهم فقال: " وأمر بصيامه ". وسبب صيام عاشوراء هو شكر الله تعالي علي نجاة " موسي " عليه السلام ومن معه من المؤمنين، لأنه لما ذهب إلي المدينة المنورة، ووجدوا اليهود يصومونه، صامه، وأمر بصيامه، لأننا أولي بموسي منهم. والله أعلم.

فقه الحديث

يشير الحديثان إلى الحكم التالي:

حكم صوم يوم عاشوراء: اتفق الفقهاء على أن يوم عاشوراء سنة وليس بواجب[3]

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٩٧)، ومسلم (١٢٨/١١٣٠)، ولفظهما: (فصامه رسول الله ﷺ، وأمر بصيامه). والسياق للمنذري في ترغيبه (١٥٠٥)، وعند مسلم برقم (١٣٣/١١٣٤) بلفظ: (سمعتُ عبد الله بن عباس يقولُ: حين صام رسول الله ﷺ يوم عاشوراء وأمر بصيامه).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ع ش ر).

(٣) حاشية رد المحتار ٣٧٥/٢، حاشية الصاوي ٦٩١/١، مغني المحتاج ١٨٣/٢، المغني ٥/٣، شرح صحيح مسلم ٤/٨، سبل السلام ٢٨٧/٢.

واستدلوا على ذلك بحديث الباب رقم ١٢٥٢، وأما أمره ﷺ في حديث الباب رقم ١٢٥٣ فمحمول على الاستحباب، لأن أمر النبي ﷺ بصيامه كان حين قدم المدينة ولا شك أن قدومه كان في ربيع الأول فحينئذ كان الأمر بذلك في أول السنة الثانية، وفي السنة الثانية فرض شهر رمضان فعلى هذا لم يقع الأمر بصوم عاشوراء إلا في سنة واحدة، ثم فوض الأمر في صومه إلى المتطوع[1].

المضامين الدعوية [2]

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل صيام يوم عاشوراء.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: مراتب صيام يوم عاشوراء.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً - من موضوعات الدعوة: فضل صيام يوم عاشوراء:

هذا واضح من الأحاديث، وقد بوّب البخاري في صحيحه من كتاب الصوم: باب صيام يوم عاشوراء، ذكر تحته أحاديث في صيامه وفي الترغيب فيه، من ذلك: حديث عائشة رضي الله عنها: ((كان يوم عاشوراءَ تصومُه قُريشٌ في الجاهلية. وكان رسولُ اللهِ ﷺ يَصومُه في الجاهليةِ، فلما قَدِمَ المدينةَ صامَهُ وأمَرَ بصِيامهِ، فلما فُرِضَ رمضانُ تَرَكَ يومَ عاشُوراءَ، فَمنْ شاءَ صامَهُ ومَن شاءَ ترَكه))[3].

وحديث ابن عباس رضي الله عنهما: قدم النبي ﷺ المدينة فرأى اليهود تصوم يوم عاشوراء فقال: ما هذا؟ قالوا: هذا يوم صالح، هذا يوم نجى الله بني إسرائيل من عدوهم فصامه موسى قال: فأنا أحق بموسى منكم، فصامه وأمر بصيامه[4].

ومن حديث أبي موسى رضي الله عنه قال: كان يوم عاشوراء تعده اليهود عيدًا قال

---

(١) نيل الأوطار ٤/٢٤٣.

(٢) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث - ١٢٥٣ - مع المضامين الدعوية للحديث رقم ١٢٥٤، ١٢٥٥.

(٣) أخرجه البخاري ٢٠٠٢، ومسلم ١١٢٥.

(٤) أخرجه البخاري ٢٠٠٤، ومسلم ١١٣٠.

النبي ﷺ: ((فصوموه أنتم))[١]. وحديث ابن عباس رضي الله عنهما: ((ما رأيتُ النبيَّ ﷺ يَتحرَّى صِيامَ يومٍ فَضَّلَهُ على غيرِهِ إلاَّ هذا اليومَ يَومَ عاشُوراءَ، وهذا الشهرَ يعني شهرَ رمضانَ))[٢].

قال ابن حجر: (وإنما جمع ابن عباس بين عاشوراء ورمضان - وإن كان أحدهما واجبًا والآخر مندوبًا - لاشتراكهما في حصول الثواب، لأن معنى "يتحرى" أي يقصد صومه لتحصيل ثوابه والرغبة فيه)[٣].

ومنه حديث سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال: ((أمرَ النبيُّ ﷺ رجلاً مِن أسْلَمَ أنْ أذِّنْ في الناسِ أنَّ مَن كان أكلَ فلْيَصُمْ بَقيَّةَ يَومِه، ومَن لم يَكُنْ أكلَ فلْيَصُمْ، فإنَّ اليومَ يومُ عاشُوراءَ))[٤].

قال ابن حجر: (ويؤخذ من مجموع الأحاديث أنه كان واجبًا لثبوت الأمر بصومه، ثم تأكد الأمر بذلك ثم زيادة التأكيد بالنداء العام ثم زيادته بأمْر من أكَل بالإمساك، ثم زيادته بأمر الأمهات ألا يرضعن فيه الأطفال[٥]، وبقول ابن مسعود الثابت في مسلم[٦]: "لما فرض رمضان ترك عاشوراء" مع العلم بأنه ما تُرِك استحبابُه بل هو باقٍ، فدل على أن المتروك وجوبُه. وأما قول بعضهم: المتروك تأكد استحبابه والباقي مطلق استحبابه فلا يخفى ضعفه، بل تأكد استحبابه باق ولا سيما مع استمرار الاهتمام به حتى في عام وفاته ﷺ حيث يقول: "لئن عشتُ لأصومن التاسع والعاشر" ولترغيبه في صومه وأنه يكفر سنةً، وأي تأكيد أبلغ من هذا؟)[٧].

---

(١) أخرجه البخاري ٢٠٠٥، ومسلم ١١٣١.

(٢) أخرجه البخاري ٢٠٠٦، ومسلم ١١٣٢.

(٣) فتح الباري ٤/٢٤٩.

(٤) أخرجه البخاري ٢٠٠٧، ومسلم ١١٣٥.

(٥) أخرجه البخاري ١٩٦٠، ومسلم ١١٣٦ من حديث الرُبَيِّع بنت معوذ رضي الله عنها بنحوه.

(٦) صحيح مسلم ١١٢٧.

(٧) فتح الباري ٤/٢٤٧، ط السلفية.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: مراتب صيام يوم عاشوراء:

وهذا يوضحه حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعًا: "لئن بقيت إلى قابل لأصومن التاسع" وفي رواية قال ابن عباس رضي الله عنه: ((حِينَ صَامَ رَسُولُ اللّهِ: يَوْمَ عَاشُورَاءَ وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللّهِ: إِنَّهُ يَوْمٌ تُعَظِّمُهُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ. فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ: فَإِذَا كَانَ الْعَامُ الْمُقْبِلُ، إِنْ شَاءَ اللّهُ، صُمْنَا الْيَوْمَ التَّاسِعَ. قَالَ: فَلَمْ يَأْتِ الْعَامُ الْمُقْبِلُ، حَتَّىٰ تُوُفِّيَ رَسُولُ اللّهِ))[1].

قال ابن القيم: (والصحيح أن المراد صوم التاسع مع العاشر لا نقل اليوم، لما روى أحمد في مسنده من حديث ابن عباس يرفعه إلى النبي ﷺ قال: "خالفوا اليهود، صوموا يومًا قبله، أو يومًا بعده"[2] وقال عطاء عن ابن عباس: صوموا التاسع والعاشر وخالفوا اليهود وذكره البيهقي[3]. وهو يبين أن قول ابن عباس: إذا رأيت هلال المحرم فاعدد، فإذا كان يوم التاسع فأصبح صائمًا[4]، أنه ليس المراد به: أن عاشوراء هو التاسع. بل أمره أن يصوم اليوم التاسع قبل عاشوراء.

فإن قيل: ففي آخر الحديث: قيل: كذلك كان يصومه محمد ﷺ؟ قال: نعم[5]. فدل على أن المراد به نقل الصوم لا صوم يوم قبله.

قيل: قد صرح ابن عباس بأن النبي ﷺ قال: "لئن بقيت إلى قابل لأصومن التاسع" فدل على أن الذي كان يصومه هو العاشر، وابن عباس راوي الحديثين معًا، فقوله: "هكذا كان يصومه محمد"، أراد به - والله أعلم - قوله "لئن بقيت إلى قابل لأصومن التاسع" عزم عليه، وأخبر أنه يصومه إن بقي، قال ابن عباس: "هكذا كان يصومه" وصدق رضي الله عنه، هكذا كان يصومه لو بقي، فتوافقت الروايات عن ابن عباس، وعلم أن المخالفة المشار إليها بترك إفراده، بل يصام يوم قبله أو يوم بعده، ويدل عليه أن

---

(١) أخرجه مسلم ١٣٣٠-١١٣٤.

(٢) أخرجه أحمد ٢٤١/١، رقم ٢١٥٤ وضعف إسناده محققو المسند ٥٢/٤.

(٣) السنن الكبرى ٢٨٧/٤.

(٤) أخرجه مسلم ١١٣٣.

(٥) هو آخر الحديث الذي أخرجه مسلم ١١٣٣.

في رواية الإمام أحمد: قال رسول الله ﷺ: لئن بقيت إلى قابل لأصومن التاسع - يعني لصوم عاشوراء - وخالِفوا اليهود فصوموا قبله يومًا وبعده يومًا"، فذكْر هذا عقب قوله "لأصومن التاسع" يبين مراده)[1].

وقال ابن القيم أيضًا: (فمراتب صومه ثلاثة: أكملها: أن يصام قبله يوم وبعده يوم، ويلي ذلك أن يصام التاسع والعاشر وعليه أكثر الأحاديث ويلي ذلك إفراد العاشر وحده بالصوم.

وأما إفراد التاسع، فمن نقص فهم الآثار وعدم تتبع ألفاظها وطرقها، وهو بعيد من اللغة والشرع، والله الموفق للصواب.

وقد سلك بعض أهل العلم مسلكًا آخر فقال: قد ظهر أن القصد مخالفة أهل الكتاب في هذه العبادة مع الإتيان بها، وذلك يحصل بأحد أمرين إما بنقل العاشر إلى التاسع أو بصيامهما معًا، وقوله: "إن كان العام المقبل صمنا التاسع" يحتمل الأمرين، فتوفي رسول الله ﷺ قبل أن يتبيّن لنا مراده، فكان الاحتياط صيام اليومين معًا، والطريقة التي ذكرناها أصوب إن شاء الله ومجموع أحاديث ابن عباس تدل عليها، لأن قوله في حديث أحمد ((خالفوا اليهود صوموا يومًا قبله أو يومًا بعده))[2] وقوله في حديث الترمذي ((أمرنا بصيام يوم العاشر))[3] يبيّن صحة الطريقة التي سلكناها والله أعلم)[4].

وقال ابن القيم كذلك (إن قيل لم كان عاشوراء يكفر سنة ويوم عرفة يكفر سنتين؟ قيل: فيه وجهان: أحدهما: أن يوم عرفة في شهر حرام وقبله شهر حرام، وبعده شهر حرام بخلاف عاشوراء. الثاني: أن صوم يوم عرفة من خصائص شرعنا بخلاف عاشوراء فضوعف ببركات المصطفى ﷺ والله أعلم)[5].

---

(١) تهذيب السنن، ابن القيم، تحقيق محمد حامد الفقي ٣/٣٢٢-٣٢٥.

(٢) أخرجه أحمد ١/٢٤١، رقم ٢١٥٤ وضعّف إسناده محققو المسند ٤/٥٢.

(٣) أخرجه الترمذي ٧٥٥ وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٦٠٣).

(٤) زاد المعاد ٢/٧٦-٧٧.

(٥) بدائع الفوائد، ابن القيم ٧٥١هـ، دار الكتاب العربي، بيروت، وهي نسخة مصورة، ٤/٢١١.

ثالثًا: من أسالب الدعوة: الترغيب

وهذا واضح في بيان النبي ﷺ لجزاء صيام عاشوراء بأنه يكفر السنة الماضية، وهذا ترغيب ودفع للمدعوين أن يصوموا هذا اليوم حتى ينالوا هذا الجزاء العميم، وخاصة أن المدعوين -وهم بشر- لا يخلون من الوقوع في الذنوب والآثام، فجاء هذا الصوم ليمحوها بفضل الله ومنّه.

الحديث رقم (١٢٥٤)

١٢٥٤- وعن أَبي قتادة رضي الله عنه : أنَّ رسول الله ﷺ سُئِلَ عَنْ صِيامِ يَوْمِ عَاشُوراءَ، فَقَالَ: ((يُكَفِّرُ السَّنَةَ المَاضِيَةَ)) رواه مسلم[١].

ترجمة الراوي:

أبو قتادة الأنصاريّ: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢١٧).

غريب الألفاظ:

يوم عاشوراء: اليوم العاشر من المحرم[٢].

يُكفِّر: يستر ويمحو[٣].

الشرح الأدبي

في الحديث السابق عرفنا أن النبي الكريم ﷺ قد صام يوم عاشوراء، وأمر بصيامه " وفي هذا الحديث يبين المصطفي ﷺ منزلة ومكانة ذلك اليوم، ببيان أجر صيامه، وأوضح لنا أنه " يكفر السنة الماضية " وهنا مضاف محذوف تقديره: " ذنوب السنة الماضية " لأن تكفير الذنوب لا يتأتي للأيام أو الليالي، أو السنوات إنما يتطرق لما حدث في تلك الأزمنة من ذنوب ومعاص فالزمن ما هو إلا وعاء لما يحدث فيه من خير أو شر، ويأتي يوم القيامة شاهدا بما وقع فيه، والفعل المضارع: " يكفر " يدل علي الاستمرار والتجدد، ويدل علي سعة رحمة الله وستره، ومغفرته.

المضامين الدعوية[٤]

---

(١) برقم (١١٦٢/١٩٧). أورده المنذري في ترغيبه (١٥٠٤).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ع ش ر).

(٣) المرجع السابق في (ك ف ر).

(٤) تقدم ذكرها مدمجة مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١٢٥٥)

١٢٥٥- وعن ابن عباس رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((**لَئِنْ بَقِيتُ إِلَى قَابِلٍ لَأَصُومَنَّ التَّاسِعَ**)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

عبد الله بن عباس: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١١).

غريب الألفاظ:

قابل: العام المقبل[2].

الشرح الأدبي

بني الحديث علي أسلوب الشرط، وجوابه. الذي يعلق الجواب على الفعل وجاء " بإن " في فعل الشرط، لأنها تدل علي الشك في وقوع ما بعدها، فالنبي ﷺ لا يعرف إن كان سيبقي أم لا، لأنه لا يعلم الغيب وهذا هو سبب مجيئه بإن في قوله: " لئن بقيت " وجاء بلام التوكيد في جواب الشرط في قوله " لأصومن التاسع " للتدليل علي أن أنه عزم علي ذلك، واستحضر النية، وزاد التوكيد بالنون المشددة في الفعل المضارع " لأصومن " وعلل سبب ذلك في بعض الأحاديث بأن هذا سيحدث لمخالفة اليهود في صيامهم وهذا يوحي باستقلالية أمة محمد صلي الله عليه وسلم التي حرص الرسول عليها حتى لا تكون تابعة لغيرها ولا ذيلا للأمم لاسيما في قبائح الأفعال، و كثافة المؤكدات في عبارة الرسول ﷺ تشير إلى عزمه الجازم صيام التاسع مع العاشر مما يشير إلى عظيم فضل هذا اليوم ثم إنه ترغيب لجموع المقتدين به المهتدين بهديه من أمته.

المضامين الدعوية[3]

---

(١) برقم (١١٣٤/١٣٤).

(٢) شرح صحيح مسلم ٧٠٦.

(٣) تقدم ذكرها مدمجة مع مضامين الحديث رقم ١٢٥٣.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- التربية على السؤال عن الأعمال الصالحة وثوابها:

إن النبي ﷺ قد سُئل سؤالين كما في أحاديث الباب:

(أ) لقد سئل عن صوم يوم عرفة.

(ب) كما سئل عن صيام يوم عاشوراء.

ومما يلاحظ على هذين السؤالين ما يلي:

(أ) أن السؤال عن أعمال صالحة وأفعال طيبة.

(ب) أن السؤال كان عن نوافل ولم يكن عن فروض، مما يدل على تشوف السائلين إلى عمل هذه النوافل بعد أن أدوا الفروض ليزدادوا ثوابًا على ثواب، وجزاءً فوق جزاء.

(ج) أن السؤال جاء عامًّا فلم يظهر فيه أكان السؤال عن العمل نفسه أم عن ثوابه، أم كليهما معًا. وعن أي كان السؤال، فإنه يدلّ على أن ثقافة السؤال عن الأعمال الصالحة كانت مستقرّة وشائعة فيما بينهم، فلقد كان الصحابة رضي الله عنهم يحرصون أشد الحرص على سؤال النبي ﷺ عن أفضل الأعمال وعن الأعمال التي يترتب على عملها الثواب العظيم، والمتأمل في حياة الصحابة رضي الله عنهم يدرك مدى الحرص الذي كانوا عليه، حتى إنهم تربوا على أهمية السؤال والبحث والفهم والمراجعة لاستيعاب الأمور، وقد شجعهم على ذلك حلم وسعة صدر النبي ﷺ، حيث قام بتنمية هذا الحسّ التربوي الذي جعلهم يتسابقون في هذا الأمر، ولا شك أن ذلك أثمر ثمارًا طيبة تمثلت في هذا العلم وهذه الكنوز من السنة النبوية التي نقلوها إلينا من النبع الصافي، وقد قام سلف الأمة - رحمهم الله - بالذّب عن تلك السنة، فقدموا خدمة عظيمة لهذا المصدر الثاني من خلال العناية بالسند والمتن ووضع الضوابط الدقيقة صيانة للسنة.

إن تلك الملكة التربوية التي كانت لدى الصحابة رضي الله عنهم في حرصهم على السؤال والمعرفة وتشجيع النبي ﷺ لهم، يعد ذخيرة عظيمة في مجال التربية للقائمين على التربية والتوجيه ليحرصوا أشد الحرص على حث الناشئة والكبار على السؤال عما

يخفى عليهم، ولا بد من أن يتسع صدر المربين والمعلمين والدعاة للإجابة على الأسئلة حتى يكون السائل على بينة من أمره ويفهم أمور دينه، ويعبد الله على علم.

إن مجتمعًا يسأل أفراده عن الخير وثوابه لمجتمع جدير بالترقي والصعود والتقدم والازدهار، إنهم يريدون ليحققوا الخيرية التي حضّ الشرع عليها وعلى تحقيقها وتفعيلها ووعد من اتصف بها بالتمكين في الأرض.

وغني عن القول أن ذلك يغرس في الناشئة وغيرهم حب المسابقة إلى الخير والمبادرة إليه، وبذل الوسع والجهد لتحصيله وتحصيل ثوابه وجزائه، وفي ذلك الخير لهم وللمجتمع.

كما أن السؤال والبحثَ عن المعرفة طريقُ الابتكار والإبداع لأن النفس إذا ألفت الخير واعتادته وأحبت فعله وأحبت السؤال عنه، فإن ذلك يدفعها إلى أن تبتكر طرقًا جديدة وأساليب مخترعة للوصول إليه وفعله والاستمرار على ذلك.

ثانيًا- التربية بالاقتداء:

لقد صام النبي ﷺ يوم عاشوراء، وأمر بصيامه، أي أن النبي ﷺ جمع بين فعله ﷺ وأمره أصحابه رضي الله عنهم، فإذا أمر رسول الله ﷺ بشيء كان أول الفاعلين، وإذا نهى عن شيء كان أول المنتهين والمجتنبين، فكان ﷺ قدوة لأصحابه في الامتثال والاجتناب، والسنة والسيرة النبوية مليئة بمثل ذلك، أليس في ذلك أبلغ إرشاد للمربين والواعظين والقائمين على شؤون التوجيه والإرشاد إلى أن يكونوا قدوة لمن هم مسؤولون عنهم، فلا يقيمون جدارًا فاصلاً بين القول والفعل، فيكون قولهم جميلاً حسنًا طيبًا، على حين يكون فعلهم شاهدًا على عدم امتثالهم لما نادوا به وأعلنوه ودفعوا غيرهم لفعله وإتيانه؟

"إن المربي لا ينفصل عن تربيته والاقتران بين المربي والتربية قائم في أذهان الناس، والمربي نفسه شهادة للتربية، وهذه الشهادة قد تحمل الناس على قبول ما يدعو إليه في تربيته، وقد تحملهم على ردها ورفضها، والذين يتعاملون مع المبادئ مباشرة قلة قليلة في كل عصر ومكان، وأما أكثر الناس فيتعاملون مع حملة المبادئ والناطقين باسمها وكلما كان المبدأ عظيمًا وقويًا كان التزامه أشدّ وكان الوصول فيه إلى المطلوب

أشق، والإسلام فيه من الواجبات والتكاليف ما يجعل المجاهدة في سبيل بلوغ مقاماته دائمة لا تفتر، متصلة لا تنقطع.

وعندما يكون المربي بعيدًا عن الالتزامات بواجبات الإسلام وتكاليفه فإنه يكون فتنة للناس يصرفهم بسلوكه عن دين الله ويقطع الطريق على الناس، فمثله كمثل قاطع الطريق، بل هو أسوأ.. إن الناس عندما يرون سلوك المربي مخالفًا للإسلام يصرفهم هذا السلوك عما يربيهم عليه، قائلين لو كان هذا هو الحق لظهرت أحقيّته على أتباعه وتصرفاتهم.

لقد ضرب الصحابة رضي الله عنهم أروع الأمثلة على امتثالهم لما يدعون غيرهم إليه وعندما رأى سكان البلاد المفتوحة صدق هؤلاء الأصحاب وثباتهم على عقيدتهم وتمثلهم لمنهج دينهم أقبلوا على الإسلام، قال ابن القيم: (ولهذا لما رأى النصارى الصحابة وما هم عليه آمن أكثرهم اختيارا وطوعا. وقالوا: ما الذين صحبوا المسيح بأفضل من هؤلاء). ثم يقول ابن القيم: (ولقد دعونا نحن وغيرنا كثيرا من أهل الكتاب إلى الإسلام، فأخبرونا أن المانع لهم ما يرون عليه المنتسبين إلى الإسلام)، وكلام ابن القيم هذا في القرن الثامن الهجري، فكيف لو كان يعيش في عصرنا هذا حيث يعطى المسلم صورة عكسية عن الإسلام وتعاليمه.

والداعية قد يكون معروفًا عند الناس وقد يكون مجهولاً، فإذا شرع في الدعوة وكان معروفًا بالاستقامة والورع فإن كلامه يصل إلى مجامع القلوب، وكانت استقامته وورعه تقدمة القبول والحافز عليه وإذا كان الداعية فقيرًا في التزامه واتباعه فإن كلامه يمر من فوق الرؤوس كالسهم الطائش الذي لا يصيب الهدف.

وحياة المربي الخاصة والعامة موضع الملاحظة وعين الناس عليه كالمجهر المكبر، وقبل أن يطالب الناس بترك الغيبة فعليه أن يدفع الغيبة والتهمة عن نفسه وأن يصون حياته الخاصة والعامة عن كل ما يشينها[1].

❁ ❁ ❁

---

(١) قواعد الدعوة إلى الله، د. همام عبدالرحيم سعيد، ط/٢ دار العدوي، الأردن: ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ص ٧٧ - ٨٣ بتصرف.

٢٢٨- باب استحباب صوم ستة أيام من شوال

الحديث رقم (١٢٥٦)

١٢٥٦- عن أَبي أيوب رضي الله عنه: أنَّ رسولَ الله ﷺ، قَالَ: ((**مَنْ صَامَ رَمَضَانَ ثُمَّ أتْبَعَهُ سِتًّا مِنْ شَوَّالٍ، كَانَ كَصِيَامِ الدَّهْرِ**)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو أيوب الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٣١).

غريب الألفاظ:

الدهر: السنة[2].

الشرح الأدبي

بني الحديث علي جملة شرطية واحدة، تدل علي الحث، والترغيب؛ لأن أسلوب الشرط يعرض الجزاء مرتبطاً بالفعل، ويترك المؤمن ليختار مصيره، وداعي الله في قلبه يدعوه إليه، فيكون حرٌّ الاختيار بعد ظهور العاقبة، وهو يناسب مقام التوجيه، والنصح، والإرشاد وهنا توجيه غير مباشر لاغتنام صيام ستة أيام من " شوال ". وحرف العطف " ثم " يدل علي الترتيب مع التراخي، فليس من المحتم أن يصوم المسلم هذه الأيام عقب يوم الفطر، وليس من الضرورة أن تكون هذه الأيام متتابعة في الصيام – كما يري الفقهاء – ولعل هذا هو سر التنكير في كلمة، " ستا " فلم يقل من اليوم الثاني إلي اليوم السابع مثلا، ولكنها " ستة أيام اختيارية " لمن كان قادرا علي صيامها، لكي تجبر ما قد عساه حدث من نقص في صيام الفريضة في شهر رمضان و " من " في قوله، " من شوال " للتبعيض أي من بعض الأيام في شوال. واجتهد العلماء في توضيح قوله "

(١) برقم (١١٦٤/٢٠٤). أورده المنذري في ترغيبه (١٤٨٧).

(٢) انظر: شرح صحيح مسلم ٧٢٣.

كان كصيام الدهر " فقالوا إن رمضان يعادل ثلاثمائة يوم، وهذه الأيام الستة تعادل ستين يوما، وهما مجموع السنة القمرية.

فقه الحديث

يشير الحديث إلى الحكم التالي:

حكم صيام ستٍ من شوال عقب رمضان: ذهب جمهور الفقهاء (الحنفية، والشافعية، والحنابلة) إلى استحباب صيام ست من شوال عقب رمضان[1] واستدلوا بحديث الباب، ولما في ذلك من المبادرة إلى العبادة، ولما في التأخير من الآفات[2].

وذهب المالكية إلى كراهة ذلك واستدلوا على ذلك[3] بأن أهل العلم يكرهون ذلك ويخافون بدعته، وأن يلحق برمضان ما ليس منه[4].

والراجح هو رأي جمهور الفقهاء لدلالة الحديث الظاهرة على ذلك.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل صيام ستة أيام من شوال.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الحكمة من الصيام في شوال.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً - من موضوعات الدعوة: فضل صيام ستة أيام من شوال:

هذا واضح من الحديث، فقد أخبر النبي ﷺ أن صيام رمضان وست من شوال كصيام الدهر.

قال النووي: (فيه دلالة صريحة لمذهب الشافعي وأحمد وموافقيهم في استحباب

---

(١) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني الحنفي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٧٨/٢، حاشية رد المحتار ٤٣٥/٢، مغني المحتاج ١٨٤/٢، المغني ٥٦/٣، شرح صحيح مسلم ٥٦/٨، سبل السلام ٢٨٨/٢.

(٢) مغني المحتاج ١٨٤/٢.

(٣) حاشية الصاوي ٦٩٣/١، سبل السلام ٢٨٨/٢.

(٤) المغني ٥٦/٣.

صوم هذه الستة ...، ودليل الشافعي وموافقيه هذا الحديث الصحيح الصريح، وإذا ثبتت السُّنّة لا تترك، لترك بعض الناس أو أكثرهم أو كلهم لها. قال العلماء: وإنما كان ذلك كصيام الدهر، لأن الحسنة بعشر أمثالها، رمضان بعشرة أشهر، والستة بشهرين، وقد جاء هذا في الحديث مرفوعًا في كتاب النسائي)[١].

وقال ابن القيم: (قيل معناه: إن الحسنة لما كانت بعشر أمثالها كان مبلغ ما حصل له من الحسنات في صوم الشهر والأيام الستة: ثلاثمائة وستين حسنة عدد أيام السنة، فكأنه صام سنة كاملة، وهذا قد جاء مفسرًا في حديث ثوبان مولى رسول الله ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: ((صِيَامُ شَهْرِ رَمَضَانَ بِعَشْرَةِ أَشْهُرٍ، وَصِيَامُ سِتَّةِ أَيَّامٍ بَعْدَهُ بِشَهْرَيْنِ فَذَلِكَ صِيَامُ السَّنَةِ))[٢]. وفي لفظ "جعل الله -عز وجل - الحسنة بعشر..." فذكره أخرجه النسائي[٣] وإسناده حسن وأخذ به جماعة من العلماء)[٤] وقال كذلك (وقد اختلف أهل العلم في القول بموجب هذه الأحاديث، فذهب أكثرهم إلى القول باستحباب صومها منهم، الشافعي وأحمد وابن المبارك وغيرهم، وكرهها آخرون منهم: مالك. وقال مطرف: كان مالك يصوم في خاصة نفسه، قال: وإنما كره صومها لئلا يُلْحِقُ أهل الجاهلية ذلك برمضان، فأما من رغب في ذلك لما جاء فيه فلم ينهه[٥]...

قال الحافظ أبو محمد المنذري: والذي خشي منه مالك وقع بالعجم، فصاروا يتركون المسحرين على عادتهم والنواقيس وشعائر رمضان إلى آخر الستة الأيام، فحينئذٍ يظهرون شعائر العيد.

وهل لشوال بخصوصه مزية على غيره في ذلك أم لا؟ فيه طريقان:

---

(١) شرح صحيح مسلم ٤/٨/٥٩ - ٦٠، .

(٢) أخرجه أحمد ٥/٢٨٠، رقم ٢٢٤١٢ والنسائي في الكبرى ٣/٢٨٧٣، وابن ماجه ١٧١٥ وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ١٣٩٢).

(٣) أخرجه النسائي في الكبرى ٣/٢٨٧٤.

(٤) نقلاً عن جامع الفقه موسوعة الأعمال الكاملة للإمام ابن القيم ٣/٢١٢.

(٥) قال ابن عبدالبر: وقد يمكن أن يكون مالكٌ جهل الحديث، ولو علمه لقال به. الاستذكار ٩/٣٦٩، موسوعة شرح الموطأ.

أحدهما: أن المراد به الرفق بالمكلف، لأنه حديث عهد بالصوم فيكون أسهل عليه، ففي ذكر شوال تنبيه على أن صومها في غيره أفضل، هذا الذي حكاه القرافي من المالكية وهو غريب عجيب.

الطريق الثاني: أن المقصود به المبادرة بالعمل، وانتهاز الفرصة، خشية الفوات، قال تعالى: ﴿فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾[1] وقال ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾[2] وهذا تعليل طائفة من الشافعية وغيرهم. قالوا: ولا يلزم أن يعطى هذا الفضل لمن صامها في غيره، لفوات مصلحة المبادرة والمسارعة المحبوبة لله.

قالوا: وظاهر الحديث مع هذا القول. ومن ساعده الظاهر فقوله أولى، ولا ريب أنه لا يمكن إلغاء خصوصية شوال، وإلا لم يكن لذكره فائدة.

وقال آخرون: لما كان صوم رمضان لابد أن يقع فيه نوع تقصير وتفريط وهضم من حقه وواجبه، ندب إلى صوم ستة أيام من شوال، جابرة له، ومسددة لخلل ما عساه أن يقع فيه، فجرت هذه الأيام مجرى سنن الصلوات التي يتنفل بها بعدها جابرة ومكملة وعلى هذا تظهر فائدة اختصاصها بشوال)[3].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: الحكمة من الصيام في شوال:

قال ابن رجب الحنبلي: (وفي معاودة الصيام بعد رمضان فوائد عديدة:

منها: أن صيام ستة أيام بعد رمضان يستكمل بها أجر صيام الدهر كله كما سبق.

ومنها: أن صيام شوال وشعبان كصلاة السنن الرواتب قبل الصلاة المفروضة وبعدها، فيكمل بذلك ما حصل في الفرض من خلل ونقص فإن الفرائض تكمل بالنوافل يوم القيامة، كما ورد عن النبي ﷺ من وجوه متعددة، وأكثر الناس في صيامه للفرض نقص وخلل، فيحتاج إلى ما يجبره ويكمله من الأعمال.

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٤٨.

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٣٣.

(٣) تهذيب السنن، ابن القيم، تحقيق محمد حامد الفقي ٣/٢١٠ - ٢١٦.

ومنها: أن معاودة الصيام بعد صيام رمضان علامة على قبول صوم رمضان، فإن الله تعالى إذا تقبل عمل عبد وفّقه لعمل صالح بعده. كما قال بعضهم: ثواب الحسنة الحسنة بعدها، فمن عمل حسنةً ثم أتبعها بحسنة بعدها، كان ذلك علامة على قبول الحسنة الأولى، كما أن من عمل حسنة ثم أتبعها بسيئة كان ذلك علامة رد الحسنة وعدم قبولها.

ومنها: أن صيام رمضان يوجب مغفرة ما تقدم من الذنوب، كما سبق ذكره، وأن الصائمين لرمضان يوفّون أجورهم في يوم الفطر وهو يوم الجوائز، فيكون معاودة الصيام بعد الفطر شكرًا لهذه النعمة، فلا نعمة أعظم من مغفرة الذنوب، كان النبي ﷺ يقوم حتى تتورم قدماه، فيقال له: أتفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فيقول: أفلا أكون عبدًا شكورًا؟[1]

وقد أمر الله سبحانه وتعالى عباده بشكر نعمة صيام رمضان بإظهار ذكره وغير ذلك من أنوع شكره فقال: ﴿وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[2] فمن جملة شكر العبد لربه على توفيقه لصيام رمضان وإعانته عليه ومغفرة ذنوبه، أن يصوم له شكرًا عقيب ذلك، كان بعض السلف إذا وفق لقيام ليلة من الليالي أصبح في نهارها صائمًا، ويجعل صيامه شكرًا للتوفيق للقيام.

ومنها: أن الأعمال التي كان العبد يتقرب بها إلى ربه في شهر رمضان لا تنقطع بانقضاء رمضان بل هي باقية بعد انقضائه ما دام العبد حيًّا... وذلك لأن كثيرًا من الناس يفرح بانقضاء شهر رمضان لاستثقال الصيام ومللـه وطوله عليه، ومن كان كذلك فلا يكاد يعود إلى الصيام سريعًا، فالعائد إلى الصيام بعد فطره يوم الفطر يدل على عوده على رغبته في الصيام وأنه لم يملّه ولم يستثقله ولا تكرّه به)[3].

---

(١) أخرجه البخاري ١١٣٠، ومسلم ٢٨١٩.

(٢) سورة البقرة، آية: ١٨٥.

(٣) لطائف المعارف، فيما لمواسم العام من الوظائف، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: ياسين محمد السواس، ص ٢٩٣ – ٢٩٦.

قال الشيخ عبدالله البسام: (استحبّ العلماء أن يكون صيام الست بعد يوم العيد مباشرة؛ لمراعاة أمور عامة منها: المسارعة إلى فعل الخير، ومنها أن المسارعة إليها دليل على الرغبة في الصيام والطاعة وعدم السأم منها. ومنها أن لا يعرض له من الأمور ما يمنعه من صيامها إذا أخرها. ومنها أن صيام ستة أيام بعد رمضان كالراتبة بعد فريضة الصلاة فتكون بعدها، وغير ذلك من الاعتبار، والله الموفق. وأما فضلها فيحصل في أي ستة أيامٍ صيمت من شوال مجتمعة أو متفرقة)[١].

وقال أبو العباس القرطبي: (قوله "ثم أتبعه ستًا من شوال" ليس فيه دليل على أنها تكون متصلة بيوم الفطر، بل لو أوقعها في وسط شوال أو آخره، لصلح تناول هذا اللفظ، لأن "ثم" للتراخي، وكل صوم يقع في شوال فهو متبع لرمضان، وإن كان هنالك مهلة، وقد دلّ على صحة هذا قوله في حديث النسائي "وستة بعد الفطر"[٢] ولذلك نقول: إن الأجر المذكور حاصل لصائمها، مجموعة أوقعها أو مفترقة، لأن كل يوم بعشرة مطلقًا)[٣].

ثالثًا - من أساليب الدعوة: الترغيب:

لقد رغب النبي ﷺ في صوم رمضان وإتباعه بصوم ست من شوال بأن أخبر أن ثواب ذلك كمن صام السنة كلها.

والترغيب من أساليب الدعوة التي ترغّب المدعو في جنس الطاعات والحرص على القيام بها لما فيها من الأجر والثواب؛ إذ أن الترغيب يكون بوعد الطائعين الحافظين لحدود الله تعالى بعظيم الأجر، وتبشيرهم بحسن المثوبة، فيسوق المدعوين الطائعين إلى الجد في الطاعة، والازدياد من صالح العمل مع الإخلاص فيه[٤].

---

(١) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ١٩٣/٣.

(٢) قد تقدم قريبًا.

(٣) المفهم ٢٣٨/٣.

(٤) انظر: هداية المرشدين، على محفوظ ص ١٩٢ - ١٩٣.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- التربية على الاستمرار على فعل العمل الصالح:

إن الحديث يرغب في صيام ستٍ من شوال بعد صوم الفريضة في رمضان، فإذا كان الفرض قد أُدّي وفُعِل فلا يعني ذلك الوقوف عند هذا الحد، وعند هذا النوع من العبادة، بل المرغب فيه الاستمرار في فعل العمل الصالح، مع اختلاف النوع أو الدرجة، فإذا كان شهر رمضان قد انتهى، فإن شهر شوال يليه، وهذا يفعل فيه ما يفعل في رمضان، مع التحلي بالآداب نفسها التي كانت تمتثل في شهر رمضان، وهذا يعني أن هناك استمرارًا في فعل العمل الصالح، ومداومة عليه ومواظبة، فإذا انتهى عمل بُدئ في عمل آخر، وإذا انتهى وقت فاضل انتظر وقت فاضل آخر. وهكذا ينتقل المرء من خير إلى خير، ومن فضل إلى فضل حتى يصير ذلك عادة له، ولاشك أن الاستمرار يحقق كثيرًا من الفوائد التربوية، من ذلك:

أ - الاستمرار هو السبيل إلى تحقيق المقاصد وجني الثمار لأن العمل المنقطع لا يكمل أثره ولا ينضج ثمره.

ب - الاستمرار منبع الخيرات وكنز التجارب يكتسب منه المربي البصيرة الواعية ويتقن ما يقوم به إتقانًا يتضاعف به النجاح وتعظم به النتائج، أما العمل المنقطع ففي كثير من أحواله يخرج منه صاحبه صفر اليدين، وينسى اليوم ما عمله بالأمس ويخفق غدًا فيما عرفه وخبره اليوم.

ج - الاستمرار باعث على الحيوية ومثير للحماس ومقوّ للعزيمة، وشاحذ للهمة.

د - الاستمرار هو الطريق إلى الابتكار، فإن استمرار التربية على نمط واحد يورث ملل المربي، وإذا كان ذلك النمط محدود الأثر فإن ذلك سيدفع إلى البحث عن أسلوب جديد وطريقة مبتكرة تحقق من الأثر ما لم يتحقق في السابق وتجدد في نفس المربي النشاط وتطرد الملل[1].

---

(١) مقومات الداعية الناجح، ص ٢٠٣-٢٠٤ بتصرف.

ثانيًا - ترك المجال واسعًا لفعل النوافل:

لقد رغّب النبي ﷺ في صوم ست من شوال ولكن لم يحدد هذه الأيام الست: أَمِنْ أوله أو وسطه أو آخره أو متتابعة أو متفرقة؟ بل جاء الحديث بصيغة الإطلاق فأي الأيام صامها من الشهر حققت المطلوب، أليس في هذا مراعاة لأحوال المخاطبين وترك المجال مفتوحًا أمامهم لأن يمتثلوا الأمر والمطلوب بحسب حالة كل واحدٍ منهم وطاقته وجهده وعدم إلزام لهم بأن يكونوا جميعًا في وقت واحد وظرف واحد ممتثلين لهذا الأمر فاعلين له؟

أليس في هذا الحديث فوائد تربوية يستفيد منها المربون والمعلمون ونحوهم؟

إن عليهم في بعض الأحيان أن يتركوا المجال مفتوحًا أمام من يقومون بتربيتهم لفعل ما يرشدونهم إليه ويوجهونهم نحوه، لأن ذلك قد يحقق عادات تربوية مفيدة، منها:

أ- ترك الناشئة وغيرهم أن يحددوا هم بأنفسهم أفضل الأوقات وأحسن الهيئات لامتثال إرشادات المربي وتوجيهاته، وفي ذلك تعويد لهم على الاستقلالية والاعتماد على النفس وتكوين الشخصية المستقلة. "إن على القائمين على المحاضن التربوية أن يأخذوا بأيدي تلامذتهم وأن يسعوا إلى أن يتجاوزوا -في برامجهم التي يقدمونها- القوالب الجاهزة وأن يدركوا أن من حسن تربية الناشئة أن يمارسوا المسؤولية، وألا يبقوا أكلاء على غيرهم في كل شيء فينبغي أن يكون لهم دور ورأي في البرامج التي يتلقونها"[1].

ب - تعويد الناشئة على التفريق بين ما هو واجب الفعل وما هو غير ذلك لكنه مندوب ومرغبٌ فيه، وما يترتب على ذلك من ناحية الامتثال والإذعان، فيعرف أنه لا يفرط في واجب ولا يهمله ولا يضيعه بحال من الأحوال. أما ما عدا ذلك فإن الأمر يختلف إنه يبذل طاقته ووسعه -حسب الإمكان- لإتيانه وفعله، لكن إذا شغله شاغل عنه، فإنه قد لا يفعله، بسبب ضيق الوقت أو كثرة المشاغل ونحوه.

وفي ذلك تعويد لهم أن يفعلوا الواجبات دائمًا وأن يتنافسوا في فعل غيرها من

---

(١) معالم في المنهج التربوي النبوي، محمد عبدالله الدويش، مجلة البيان، العدد ١٢٥، ص ٤٠.

المندوبات والمرغوبات.

ج - ويترتب على ذلك أنه إذا حدث هناك تعارض بين أمر واجب وأمر غير واجب، ولم يكن هناك مجال للجمع بينهما، فإن الناشئة عليهم أن يقدموا فعل الواجب وأن يلتزموا ذلك، وفي ذلك تعويد لهم على فعل الأولويات.



٢٢٩- باب استحباب صوم الاثنين والخميس

الحديث رقم (١٢٥٧)

١٢٥٧- عن أَبي قتادة رضي الله عنه : أنَّ رسول الله ﷺ سُئِلَ عَنْ صَومِ يَوْمِ الاثْنَيْنِ، فَقَالَ: ((ذَلِكَ يَوْمٌ وُلِدْتُ فِيهِ، وَيَومٌ بُعِثْتُ، أَوْ أُنْزِلَ عَلَيَّ فِيهِ)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو قتادة الأنصاريّ: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢١٧).

الشرح الأدبي

لقد بني الحديث علي الأسلوب الخبري، حيث يخبرنا المصطفي ﷺ بمنزلة ذلك اليوم "يوم الاثنين" وكأنه يذكر سباب تلك المنزلة فيتبين أنه "ولد فيه" وبعث فيه، أو أنزل عليه الوحي فيه "وبناء الأفعال الثلاثة للمجهول في: "ولدت – بعثت – أنزل" يشع بأن ولادته وخلقه، وبعثه، وإنزال الوحي عليه، لم يكن من عند نفسه، ولم يفتعل أو يدع ذلك، ولكن أمره كله يرجع إلي الله تعالي فهو " الذي أرسل رسوله بالهدي ودين الحق ليظهره علي الدين كله. . "، والفعل " أنزل " يوحي بأن القران الكريم نزل من أعلي وهذا المضمون أكده حرف الجر: " علي " فهو يفيد الاستعلاء وغذاء الروح لا يتحقق إلا من جهة العلو، فالذي خلقها هو " الأعلى ".

فقه الحديث

تشير الأحاديث إلى عدة أحكام منها:

١ – حكم صيام يوم الاثنين والخميس: اتفق الفقهاء على استحباب صيام يوم الاثنين والخميس، لأنهما يومان تعرض فيهما الأعمال[2].

---

(١) برقم (١١٦٢/١٩٧).

(٢) حاشية رد المحتار ٣٧٥/٢، فتح القدير ٣٠/٢، حاشية الدسوقي والشرح الكبير ٥١٧/١، حاشية الصاوي والشرح الصغير ٦٩٢/١، مغني المحتاج ١٨٢/٢، المغني ٥٩/٣، العدة شرح العمدة ١٥٧، سبل السلام ٢٨٧/٢، نيل الأوطار ٢٤٩/٤.

٢- أنه ينبغي تعظيم اليوم الذي أحدث الله فيه على عبده نعمة بصومه والتقرب فيه[١].

المضامين الدعوية[٢]

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة - رضوان الله عليهم - على سؤال النبي ﷺ عن صيام النوافل.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل صيام الاثنين والخميس.

ثالثًا: من آداب المدعو: تحري الأوقات الفاضلة وشغلها بالعبادة.

أولاً- من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة -رضوان الله عليهم- على سؤال النبي ﷺ عن صيام النوافل:

وهذا واضح من حديث أبي قتادة رضي الله عنه: "أن رسول الله سئل عن صوم يوم الاثنين".

وقد وقع ذلك من الصحابة كثيرًا، من ذلك ما رواه أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: ((كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَصُومُ الأَيَّامَ، يَسْرُدُ، حَتَّى يُقَالَ: لاَ يُفْطِرُ، وَيُفْطِرُ الأَيَّامَ حَتَّى لاَ يَكَادَ أَنْ يَصُومَ، إِلاَّ يَوْمَيْنِ مِنَ الْجُمُعَةِ، إِنْ كَانَ فِي صِيَامِهِ، وَإِلاَّ صَامَهُمَا، وَلَمْ يَكُنْ يَصُومُ مِنْ شَهْرٍ مِنَ الشُّهُورِ مَا يَصُومُ مِنْ شَعْبَانَ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّكَ تَصُومُ لاَ تَكَادُ أَنْ تُفْطِرَ، وَتُفْطِرَ حَتَّى لاَ تَكَادَ أَنْ تَصُومَ، إِلاَّ يَوْمَيْنِ، إِنْ دَخَلاَ فِي صِيَامِكَ، وَإِلاَّ صُمْتَهُمَا. قَالَ: أَيُّ يَوْمَيْنِ؟ قَالَ: قُلْتُ: يَوْمُ الاثْنَيْنِ، وَيَوْمُ الْخَمِيسِ، قَالَ: ذَانِكَ يَوْمَانِ تُعْرَضُ فِيهِمَا الأَعْمَالُ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَأُحِبُّ أَنْ يُعْرَضَ عَمَلِي وَأَنَا صَائِمٌ، قَالَ: قُلْتُ: وَلَمْ أَرَكَ تَصُومُ مِنْ شَهْرٍ مِنَ الشُّهُورِ، مَا تَصُومُ مِنْ شَعْبَانَ. قَالَ: ذَاكَ شَهْرٌ يَغْفُلُ النَّاسُ عَنْهُ، بَيْنَ رَجَبٍ، وَرَمَضَانَ، وَهُوَ شَهْرٌ تُرْفَعُ فِيهِ الأَعْمَالُ إِلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَأُحِبُّ أَنْ يُرْفَعَ عَمَلِي وَأَنَا صَائِمٌ"))[٣].

قال ابن رجب: (قد تضمن هذا الحديث ذكر صيام رسول الله ﷺ من جميع

---

(١) سبل السلام ٢/٢٨٧.

(٢) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث - ١٢٥٧ - مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١٢٥٨، ١٢٥٩).

(٣) أخرجه أحمد ٥/٢٠١، رقم ٢١٧٥٣، وقال محققو المسند: إسناده حسن ٣٦/٨٥ - ٨٦.

السنة. وصيامه من أيام الأسبوع، وصيامه من شهور السنة)[١].

وعن أبي هريرة قال: ((أَنَّ النَّبِيَّ كَانَ يَصُومُ الاِثْنَيْنِ وَالْخَمِيسَ. فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّكَ تَصُومُ الاِثْنَيْنِ وَالْخَمِيسَ؟ فَقَالَ: إِنَّ يَوْمَ الاِثْنَيْنِ وَالْخَمِيسَ يَغْفِرُ اللَّهُ فِيهِمَا لِكُلِّ مُسْلِمٍ. إِلاَّ مُتَهَاجِرَيْنِ. يَقُولُ: دَعْهُمَا حَتَّى يَصْطَلِحَا))[٢].

وهو عند أحمد بلفظ ((كان أكثر ما يصوم الاثنين والخميس قال: فقيل له. قال: فقال: إِنَّ أَلأَعْمَالَ تُعْرَضُ كُلَّ اثْنَيْنِ وَخَمِيسٍ فَيَغْفِرُ الله لِكُلِّ مُسْلِمٍ أَوْ لِكُلِّ مؤمنٍ إلا الْمُتَهَاجِرَيْنِ فَيَقُولُ أَخِّرْهُما))[٣].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: فضل صيام الاثنين والخميس:

هذا واضح من الأحاديث الثلاثة، حيث أخبر النبي ﷺ في حديث أبي قتادة عندما سئل عن صوم يوم الاثنين فقال: "ذلك يوم ولدت فيه، ويوم بعثت فيه، وأنزل عليه فيه".

وقال ابن عثيمين: (أما صوم يوم الاثنين فإن النبي ﷺ سئل عن صومه، فقال: ذاك يوم ولدت فيه، وبعثت أو أنزل عليّ فيه، وكذلك مات فيه - عليه الصلاة والسلام - فيوم الاثنين ولد فيه النبي ﷺ، لكن في أي شهر؟ لم يتبين هل في شهر ربيع الأول، أو في غيره؟ وهل هو في اليوم الثاني عشر منه أو في غيره؟ إنما المؤكد أنه ولد في يوم الاثنين. كذلك أيضًا أنزل على الرسول ﷺ فيه يعني: أول ما نزل عليه القرآن في يوم الاثنين. والراوي شك هل قال: أنزل أو بعثت. وبينهما فرق، لأنه أنزل عليه القرآن قبل أن يبعث. أنزلت عليه سورة ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِی خَلَقَ﴾[٤] وبهذا صار نبيًا وأنزل عليه، وأما البعث وهو الإرسال فإنما كان بقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ﴾[٥] وهذا بعد الأول.

---

(١) لطائف المعارف، فيما لمواسم العام من الوظائف، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: ياسين محمد السواس ص ٢٣٦.

(٢) أخرجه ابن ماجه ١٧٤٠ وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ١٤١٥).

(٣) أخرجه أحمد ٣٢٩/٣، رقم ٨٣٦١، وقال محققو المسند: حديث صحيح ٩٨/١٤.

(٤) سورة العلق، آية: ١.

(٥) سورة المدثر، آية: ١.

وعلى كلٍ صار هذا اليوم فيه مناسبات شريفة عظيمة: ولادة الرسول ﷺ وإنزال الوحي عليه، أو إرساله إلى الناس)[1].

أما صوم الاثنين والخميس فقال: اشار ﷺ إلى فضل صيامهما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه حيث قال: "تعرض الأعمال يوم الاثنين والخميس، فأحب أن يعرض عملي وأنا صائم.

كما أنه ﷺ لفضل صيام الاثنين والخميس، كان يتحرى صومهما، كما في حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها الحديث الثالث، قال د. الحسيني هاشم: (فيه فضل صيامهما، فضلا عن تحسين الأعمال فيهما) [2].

وقد ورد في فضل صيام الاثنين والخميس الكثير من الأحاديث منها ما رواه مولى قدامة بن مظعون عن مولى أسامة بن زيد: ((أنَّهُ انْطَلَقَ مَعَ أُسَامَةَ إِلَى وَادِي الْقُرَى فِي طَلَبِ مالٍ لَهُ، فَكَانَ يَصُومُ يَوْمَ الاثْنَيْنِ وَيَوْمَ الْخَمِيسِ فَقالَ لَهُ مَوْلاَهُ لِمَ تَصُومُ يَوْمَ الإِثْنَيْنِ وَيَوْمَ الخَمِيسِ وَأَنْتَ شَيْخٌ كَبِيرٌ، فقال إنَّ نَبيَّ اللهِ ﷺ كَانَ يَصُومُ يَوْمَ الاثْنَيْنِ وَيَوْمَ الْخَمِيسِ، وَسُئِلَ عنْ ذلِكَ، فقال: إنَّ أعمَالَ الْعِبَادِ تُعْرَضُ يَوْمَ الاثْنَيْنِ وَيَوْمَ الْخَمِيسِ))[3].

وأخرج مسلم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: ((تُفْتَحُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَ الاثْنَيْنِ، وَيَوْمَ الْخَمِيسِ. فَيُغْفَرُ لِكُلِّ عَبْدٍ لاَ يُشْرِكُ بِاللّهِ شَيْئًا. إِلاَّ رَجُلاً كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءُ. فَيُقَالُ: أَنْظِرُوا هـذَيْنِ حَتَّىٰ يَصْطَلِحَا. أَنْظِرُوا هـذَيْنِ حَتَّىٰ يَصْطَلِحَا. أَنْظِرُوا هـذَيْنِ حَتَّىٰ يَصْطَلِحَا))[4] وفي رواية عنده: ((تُعْرَضُ الأَعْمَالُ فِي كُلِّ يَوْمِ خَمِيسٍ وَاثْنَيْنِ))[5].

ورواه أحمد وابن حبان بلفظ ((تُفْتَح أبوابُ الجنة في كل اثنين وخَميس وتُعرض الأعمال في كل اثنين وخميس))[6].

---

(١) شرح رياض الصالحين ١٤١٤/٢.

(٢) شرح رياض الصالحين ٦٢٤.

(٣) أخرجه أبو داود ٢٤٣٦ وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٢١٢٨).

(٤) أخرجه مسلم ٣٥ - ٢٥٦٥.

(٥) أخرجه مسلم ٣٦ - ٢٥٦٥.

(٦) أخرجه أحمد ٢٦٨/٢، رقم ٧٦٣٩، وقال محققو المسند: إسناده صحيح على شرط مسلم ٧٧/١٣، وابن حبان ٣٦٤٥، وصححه محققه.

وقال الشوكاني: (وأحاديث الباب تدل على استحباب صوم يوم الاثنين والخميس لأنهما يومان تعرض فيهما الأعمال)[١].

ثالثًا - من آداب المدعو: تحري الأوقات الفاضلة وشغلها بالعبادة:

وذلك اقتداء بالنبي ﷺ فقد قالت عنه عائشة رضي الله عنها: "كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَتَحَرَّى يَوْمَ الاثْنَيْنِ وَالْخَمِيسِ" الحديث الثالث.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ((مَا رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَتَحَرَّى صِيَامَ يَوْم فَضَّلَهُ عَلَى غَيْرِهِ إِلاَّ هذَا الْيَوْمَ، يَوْمَ عَاشُورَاءَ؛ وَهذَا الشَّهْرَ، يَعْنِي شَهْرَ رَمَضَانَ))[٢].

قال ابن حجر: (وإنما جمع ابن عباس بين عاشوراء ورمضان -وإن كان أحدهما واجبًا والآخر مندوبًا لاشتراكهما في حصول الثواب، لأن معنى يتحرى: أي يقصد صومه لتحصيل ثوابه والرغبة فيه)[٣].

وقد بيّن ﷺ سبب حرصه على صوم الاثنين والخميس -في حديث أبي هريرة رضي الله عنه الحديث الثاني- فقال (تعرض الأعمال يوم الاثنين والخميس، فأحب أن يعرض عملي وأنا صائم) قال المباركفوري: (أي طلب الزيادة ورفعة الدرجة)[٤] وقال السيوطي عن عرض الأعمال يوم الاثنين والخميس: (قال الشيخ ولي الدين: إن قلت ما معنى هذا مع أنه ثبت في الصحيحين، أن الله تعالى يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار وعمل النهار قبل عمل الليل، قلت: يحتمل أمرين: أحدهما أن أعمال العباد تعرض على الله تعالى كل يوم ثم تعرض عليه أعمال الجمعة في كل اثنين وخميس ثم تعرض عليه أعمال السنة في شعبان، فتعرض عرضًا بعد عرض، ولكل عرض حكمة يطلع عليها من يشاء من خلقه أو يستأثر بها عنده مع أنه تعالى لا يخفى عليه من أعمالهم خافية. ثانيهما: أن المراد أنها تعرض في اليوم تفصيلاً ثم في الجمعة جملة أو بالعكس)[٥].

---

(١) نيل الأوطار، ص ٨٣٢.

(٢) أخرجه البخاري ٢٠٠٦، ومسلم ١١٣٢.

(٣) فتح الباري ٢٤٩/٤، .

(٤) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٩٤٦/١.

(٥) حاشية السيوطي على سنن النسائي ٥١٧/٤.

وقال الشيخ عبدالله البسام: (ويدل الحديث - أي حديث أبي قتادة الحديث الأول - على استحباب صوم الاثنين من كل أسبوع، ذلك أن هذا اليوم المبارك امتن الله فيه على المسلمين بثلاث منن عظام هي: ولادة النبي ﷺ، وبعثته ﷺ رسولاً بشيرًا ونذيرًا إلى هذه الأمة، والنعمة الثالثة إنزال القرآن الكريم في هذا اليوم، ولاشك أن هذه نعم عظام وآلاء جسام خص الله تعالى بهن يوم الاثنين، فصار كأنه يوم فرح وسرور يستحق الله تعالى الشكر عليها، وشكر الله هو القيام بعبادته.

كما جاء الفضل بصوم يوم الخميس من كل أسبوع، فقد روى الإمام أحمد والترمذي وابن ماجه أن النبي ﷺ قال: "تعرض الأعمال كل اثنين وخميس فأحب أن يعرض عملي وأنا صائم".

ولا دليل في الحديث على مشروعية إقامة الموالد، فإن العبادات توقيفية ولا تكون إلا من الشارع، والشارع عيّن العبادة التي تؤتى في يوم الاثنين، وهي فضيلة صيامه، فنقتصر على الوارد ولا نتعداه.

ومعنى عرض الأعمال - والله أعلم - إظهارها والإخبار عنها وجزاؤها عند الله تعالى، فالأفضل أن يعرض عمله في يوم هو صائم فيه، ليظهر تجمّله في هذا اليوم، فكل مناسبة لها زينتها ومظهرها اللائق بها)[١].

وقال ابن رجب الحنبلي عن اغتنام الأوقات الفاضلة: (جعل الله سبحانه لبعض الشهور فضلاً على بعض، كما قال تعالى: ﴿مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾[٢] وقال الله تعالى: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ﴾[٣] وقال الله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾[٤] كما جعل بعض الأيام والليالي أفضل من بعض.

---

(١) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ٣/١٩١ - ١٩٢.

(٢) سورة التوبة، آية: ٣٦.

(٣) سورة البقرة، آية: ١٩٧.

(٤) سورة البقرة، آية: ١٨٥.

وجعل ليلة القدر خيرًا من ألف شهر. وأقسم بالعشر وهو عشر ذي الحجة على الصحيح. وما من هذه المواسم الفاضلة موسم إلا ولله تعالى فيه وظيفة من وظائف طاعاته، يُتَقَرّب بها إليه، ولله فيه لطيفة من لطائف نفحاته يصيب بها من يعود بفضله ورحمته عليه، فالسعيد من اغتنم مواسم الشهور والأيام والساعات. وتقرب فيها إلى مولاه بما فيها من وظائف الطاعات، فعسى أن تصيبه نفحة من تلك النفحات، فيسعد بها سعادة يأمن بها من النار وما فيها من اللفحات، وقد أخرج ابن أبي الدنيا والطبراني وغيرهما من حديث أبي هريرة مرفوعًا: اطلبوا الخير دهركم كله وتعرضوا لنفحات رحمة ربكم، فإن لله نفحات من رحمته يصيب بها من يشاء من عباده، وسلوا الله أن يستر عوراتكم ويؤمن روعاتكم[1]، وفي رواية الطبراني[2] من حديث محمد بن مسلمة مرفوعًا: إن لله في أيام الدهر نفحات فتعرضوا لها، فلعل أحدكم أن تصيبه نفحة فلا يشقى بعدها أبدًا)[3].

---

(١) ذكره السيوطي في الجامع الصغير وعزاه لابن أبي الدنيا في الفرج. والحكيم الترمذي في نوادر الأصول والبيهقي في الشعب وأبي نعيم في الحلية. وضعفه الألباني في ضعيف الجامع الصغير برقم ١٠٠١، ولكن حسنه في السلسلة الصحيحة برقم ١٨٩٠.

(٢) ذكره السيوطي في الجامع الصغير وعزاه للطبراني في الكبير وضعفه الألباني في ضعيف الجامع الصغير برقم ١٩١٥، لكنه حسنه في السلسلة الصحيحة برقم ١٨٩٠.

(٣) لطائف المعارف، فيما لمواسم العام من الوظائف، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: ياسين محمد السواس ٤٠- ٤١.

الحديث رقم (١٢٥٨)

١٢٥٨ - وعن أَبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ، قَالَ: ((**تُعْرَضُ الأَعْمَالُ يَومَ الاثْنَيْنِ وَالخَمِيسِ، فَأُحِبُّ أنْ يُعْرَضَ عَمَلِي وَأنَا صَائِمٌ**)) رواه الترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن)، ورواه مسلم[2] بغير ذكر الصوم.

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

ألفاظ الحديث تنبيء ببعض الأمور التي تنفع المؤمنين، فقد بين الرسول الكريم ﷺ، أن الأعمال تعرض يوم (الاثنين والخميس). وهذا الإخبار -في حد ذاته- رحمة كبري، ليتذكر المسلم أن "الرقيب والعتيد" جالسان، وحاضران يرقبانه، ويعدان عليه ما يقول، ويفعل، ويمهلانه مدة من الزمن لعله يتوب، فإن لم يتب كتب تلك السيئات، ورفعت هذه التقارير إلي رب العزة -جل في علاه- كل يوم اثنين وخميس، لتكون تلك الصحف حجة علي العبد يوم القيامة حيث يقال له: " اقرأ كتابك كفي بنفسك اليوم عليك حسيبا " لعل هذا سبب حبه للصيام في هذين اليومين لكي يتوافق رفع عمله الصالح مع صيامه فيرفعان في خير يحدوه خير كما أنهما سيكونان سنة لأمته من بعده تساعدهم في محو خطاياهم قبل رفعها؛ لأن الحسنات كما هو معلوم تذهب السيئات.

المضامين الدعوية[3]

---

(١) برقم (٧٤٧) وقال: حديثٌ حسنٌ غريبٌ. أورده المنذري في ترغيبه (١٥٣٧).

(٢) برقم (٢٥٦٥/٣٦).

(٣) تقدم ذكرها مدمجة مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١٢٥٩)

١٢٥٩- وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: كَانَ رسولُ الله ﷺ يَتَحَرَّى صَومَ الاثنَيْنِ وَالخَمِيس. رواه الترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

غريب الألفاظ:

يَتَحَرّى: التحرِّي: القصد والاجتهاد في الطلب، والعزم على تخصيص الشيء بالفعل والقول[2].

الشرح الأدبي

تخبر أم المؤمنين (عائشة عن عادة جرى عليها فعل الرسول ﷺ وهي صيام الاثنين، والخميس، والفعل المضارع: " يتحرى " يصور بدقة حالة الترقب الشديد من قبل النبي الكريم ليومي الاثنين والخميس. وهو فعل يدل علي الاستمرار والتجدد. وتشديد الراء في: " يتحرى " يدل علي تكرار ذلك التحري منه، وذلك ليعلم أفراد الأمة ترقب الأوقات الشريفة المباركة فيستقبلونها بالأعمال الصالحة القائمة علي الإخلاص، والإتقان، وحسن النية، والخلق، وحفظ حدود الله، لأن كل نفس ستري ما قدمت من خلال تلك الصحف التي ترفع بما فيها من عمل كل اثنين، وخميس: "﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَراً وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوَءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَداً بَعِيداً وَيُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ وَاللّهُ رَؤُوفُ بِالْعِبَادِ ﴾[آل عمران٣٠].

المضامين الدعوية[3]

(١) برقم (٧٤٥). وقال: حديثٌ حسنٌ غريبٌ. وصحّحه ابن حبان (الإحسان ٣٦٤٣). أورده المنذري في ترغيبه (١٥٤١).

(٢) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٩٤٥/١.

(٣) تم دمجها مع مضامين الحديث رقم (١٢٥٧).

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- التربية بالممارسة:

لقد كان النبي ﷺ أفضل من ربّى أتباعه وأصحابه بالفعل والممارسة فكانوا يشاهدونه ويرونه وهو يفعل ما يدعوهم إليه ويأمرهم به، أما إذا نهاهم عن شيء فكان أول المنتهين وأسرع المجتنبين وأصدق المبتعدين وأخلص القائمين بذلك، وكذلك الشأن فيما يأمرهم به، إنّه ﷺ أصدق من جمع بين القول والعمل فكانت حياته ﷺ تطبيقًا لقوله، ولهذا وصفته زوجه عائشة رضي الله عنها - وهي أعلم الناس به - أن خلقه القرآن[1]، فكان ﷺ ينتهي عند حدوده فيحلّ حلاله ويحرّم حرامه. فكان ذلك له تأثير ما بعده تأثير على أتباعه وأصحابه، فكانوا يقتدون به ويعملون عمله ويفعلون فعله، فإذا رأوه يصلي صلوا وإذا رأوه يصوم صاموا، وإذا رأوه يؤدي مناسك الحج أدوا مثله ﷺ، إنهم يريدون أن يكونوا تابعين له مقتدين به، فكان هذا نجاحًا من المربي الأول ﷺ أيما نجاح لم يحققه مرب آخر عرفته البشرية، إنه ﷺ في كلمة واحدة ربّى أتباعه بممارسته وفعله ﷺ حتى إنه ﷺ كان يفعل الفعل ولا يأمر أصحابه به فكانوا رضي الله عنهم يسارعون إلى الاقتداء به، لأنهم رضي الله عنهم يعرفون أنه ﷺ ما يريد بهم إلا الخير والفلاح والصلاح، وأحاديث الباب تشهد على ذلك؛ ففي الحديث الأول سئل ﷺ عن صيام يوم الاثنين، فكان مبعث السؤال أنهم رأوه ﷺ يصومه ويكثر من ذلك، ولذا سألوه حتى يجمعوا بين الفعل ومعرفة الحكمة والسبب من ورائه إن أمكن ذلك، إنهم يفعلون فعله ﷺ لكنهم يرغبون أن يجمعوا مع ذلك المعرفة والعلم، إن تيسر ذلك، وفي الحديث الثاني أخبر النبي ﷺ أن الأعمال تعرض يوم الاثنين والخميس وبعد أن أخبر بذلك قال عن نفسه: فأحب أن يعرض عملي وأنا صائم. إنه أخبر عن نفسه وعن سبب حرصه على صيام هذين اليومين، ومن الملاحظ أنه لم يأمر أصحابه بذلك في هذا الحديث، واكتفى بالإخبار عن نفسه، وهذا خير وسيلة لأن

---

(١) أخرجه مسلم ٧٤٦.

يمتثل الأتباع والأصحاب إذا وقر في قلبهم الحبُّ للمربي وتعظيمه وتبجيله، إنه بمجرد أن يخبر أنه يعمل هذا العمل أو يرونه يعمل هذا العمل، فإن أتباعه يسارعون إلى الاقتداء به، لأنه المثل الأعلى لهم والقدوة الحسنى لهم.

وهكذا الشأن في الحديث الثالث: أن زوجه عائشة رضي الله عنها أخبرت أنه ﷺ كان يتحرى صيام الاثنين والخميس. وهذا أوضح الأدلة على أنه ﷺ كان يربي أتباعه بالفعل والممارسة، ولا يكتفي بالقول وحده.

ومما لاشك فيه أن التربية بالفعل أشد وقعًا من التربية بالقول وحده، لأنها المثال العملي للتربية والتطبيق الفعلي لها وإيجاد لها في أرض الواقع، إنها تُوجد مثالاً حيًا للتربية يعيش ويتحرك وينام ويقوم ويفعل سائر ما يفعله البشر، فيسهل الاقتداء والتأسي به، ويتيسر الامتثال. وفي ذلك دعوة للمربين والواعظين وأهل التوجيه والمرشدين أن يربوا الناشئة وغيرهم عن طريق الممارسة والفعل والعمل، لأن لها من التأثير ما لا يخفى ومن النتائج ما يبهر ومن الثمرات ما يجذب.

ثانيًا - التربية على أداء شكر النعم:

لقد أخبر ﷺ أنه يصوم يوم الاثنين لأنه يوم ولد فيه، ويوم بعث فيه أو أنزل عليه القرآن فيه، فكان هذا - كما هو في الظاهر - قيامًا منه ﷺ بواجب الشكر لربه عز وجل الذي أنعم عليه بالإيجاد من العدم، وخلقه بعد أن لم يكن، وكرّمه، وزاد في تكريمه بأن بعثه رسولاً للعالمين وجعله أفضل الرسل وأكرمهم عليه، كما أوحى إليه القرآن الكريم الذي نسخ الكتب السابقة وهيمن عليها، وهو معجزته الباهرة الدالة على صدق رسالته ﷺ والتي عجز البشر -وسيعجزون- عن الإتيان بمثلها أو بسورة منه.

فكان صيامه ﷺ من الوسائل التي قام بها ﷺ شكرًا لله على هذه النعم العظيمة والفضائل الجليلة، وقد أصاب أمته من هذا الخير الكثير ومن هذا الفضل الشيء العميم، فكل خير أصابها كان هو ﷺ السبب فيه، لذا كانت أمته تصوم يوم الاثنين كما صام اقتداءً به ﷺ في شكره وحمده لربه، وفي ذلك تربية للأمة

على القيام بواجب الشكر للنعم التي تفضل الله بها عليهم، وهذا أدعى إلى ديمومة النعم وزيادتها، لأن النعم تزيد بالشكر، إنها تربية هادفة راقية تعمل على تحقيق سعادة الفرد والمجتمع.

هذا من ناحية ومن ناحية أخرى أخبر ﷺ أنه يصوم يومي الاثنين والخميس، لأن الأعمال في الأسبوع تعرض في هذين اليومين، فتزامنًا مع هذا يصومهما ويقدّم فيهما هذا العمل الطيب، وإذا صامهما ﷺ فإن أمته ستقتدي به في ذلك فتصومهما وتحرص على ذلك، لعلّ الله أن يتقبل أعمالهم الصالحة ويتجاوز عمّا سواها أو يقلبها إلى صالحات وحسنات وطيبات، ففضله سبحانه عميم وخيره كثير، فهو أهل الجود والإحسان والفضل والمن.

والسؤال هنا لماذا كان الصيام بالتحديد هو الذي فعله النبي ﷺ في هذين اليومين مع أن مجال الأعمال الصالحة مجال واسع من صلاة وزكاة وصدقة وإحسان وبر ونحو ذلك؟

لعل الجواب يكون بما للصوم من خصائص قد لا تتوافر في غيره من الأعمال الصالحة، وذلك على النحو التالي:

أ - إنه عمل يستغرق وقتًا طويلاً نسبيًا في اليوم الذي يشمل الليل والنهار، إن الصائم يصوم ما يقارب اثنتي عشرة ساعة أو يزيد عن ذلك في بعض الأوقات، ومن ثم كانت الطاعة في الصيام أطول من غيرها.

ب - إن الصائم يحرص أشد الحرص على أن يكون في يوم صيامه أشد طاعة لله وامتثالاً لأوامره واجتنابًا لنواهيه، بحيث يكون يوم صيامه مختلفًا عن يوم فطره، وما ذلك إلا لأن الصيام يهذب أخلاق الصائم ويدفعه إلى الاجتهاد في الطاعة والإذعان، فكان ذلك أنسب لأداء الشكر وأنسب لوقت عرض العمل، فإذا كان صاحب العمل قد أظهر إذعانه لله وخضوعه لله، فإن الله برحمته وفضله قد يتكرم عليه - وقت عرض العمل - فيمحو السيئة ويزيد الحسنة.

ج - إن الصائم قد امتنع عن المباحات طول صومه ابتغاء رضا الله تعالى. إنه امتنع

عما أباح الله رجاء -والله أعلم- في أن يمنع الله عنه عقابه وعذابه الذي يستحقه بفعله السيئات والذنوب.

والخلاصة أن النبي ﷺ بصيامه هذين اليومين ربّى أتباعه على القيام بواجب الشكر، وعلى أن يفعلوا الطيب من العمل وقت عرض الأعمال لعل الله أن يتوب عليهم ويتقبلهم ويبدل سيئاتهم حسنات، والله أعلم.

فما أجمل أن يربي المربون أتباعهم على هذا، فلا يكون عملهم إلا طيبًا ولا يكون فعلهم إلا طيبًا، ولا قولهم إلا طيبًا، ولا تكون حياتهم إلا طيبة، فإن من عاش طيب الأفعال والأقوال والخصال كان طيب الجزاء في الآخرة.



٢٣٠- باب استحباب صوم ثلاثة أيام من كل شهر

والأفضل صومُها في الأيام البيض وهي الثالثَ عشر والرابعَ عشر والخامسَ عشر، وقيل: الثاني عشر، والثالِثَ عشر، والرابعَ عشر، والصحيح المشهور هُوَ الأول.

الحديث رقم (١٢٦٠)

١٢٦٠- وعن أَبي هريرة ﷺ، قَالَ: أوْصاني خَليلي ﷺ بثلاثٍ: صِيَامِ ثَلاَثَةِ أيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، وَرَكْعَتَي الضُّحَى، وَأنْ أُوتِرَ قَبْلَ أنْ أنَامَ. متفقٌ عَلَيْهِ[١].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨).

غريب الألفاظ:

أوتِر: أصلي مثنى مثنى، ثم أُصلي في آخرها ركعةً مفردةً[٢].

الشرح الأدبي

قام المعنى في الحديث على أسلوب التشويق بالإجمال بالعدد (ثلاث) ثم التفصيل، وهو ما يحدث ترقبا لدى المخاطب، وتوكيد للمعنى الذي ذكر مرتين إجمالا ثم تفصيلاً وبدأ بالأهم ثم المهم وفي الحديث حسن تقسيم، وجمال في انتقاء الكلمات. وللفعل المضارع: " أوتر " دلالات مؤثرة في الحث علي التوحيد، وأهمية ذلك قبل النوم. ، وقول أبي هريرة ﷺ (أوْصَانِي خَلِيلي ﷺ) التعبير بالوصية يشير إلى خصوصية في العطاء تستلزم مزيد العناية، والمحبة؛ لأن الموصي غالبا يوصي من يحب بما يحب، وقد قال بعده (خليلي) والخلة من أشد أنواع المحبة، ثم إنه أضافه لنفسه لبيان الخصوصية، وهذه العبارة توحي بعلو قيمة الموصى به، وهو (بِصِيَامِ ثَلاَثَةِ أيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ) لأن الصيام على هذه الطريقة ليس فيه مشقة كبيرة، والحسنة بعشر أمثالها، فثلاثة أيام

---

(١) أخرجه البخاري (١٩٨١) واللفظ له، ومسلم (٧٢١/٨٥). أورده المنذري (١٥٢٢).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (و ت ر).

تساوي بفضل الله ثلاثين يوما، فهو كصيام الدهر مع قدرة غالب الناس عليه (وَرَكْعَتَي الضُّحَى) ولفظ المثنى يحدد العدد، ولفظ الضحى يحدد وقت النافلة وقوله: (وَأَنْ أُوتِرَ قَبْلَ أَنْ أَرْقُدَ) أي أصلي الوتر، لكي يضمن عدم فوت الأجر، ووصية الخليل بهذه الأمور تشير إلى أهميتها مع يسرها الذي يوحي بشفقة الخليل على خليله بعدم تكليفه بما يشق عليه كما تجعلها في استطاعة الجميع.

فقه الحديث

تشير الأحاديث إلى عدة أحكام منها:

١- حكم صيام ثلاثة أيام من كل شهر: اتفق الفقهاء على استحباب صيام ثلاثة أيام من كل شهر، ويستحب أن تكون الأيام البيض[1].

٢- حكم صلاة الضحى: اتفق الفقهاء على استحباب صلاة الضحى وأن أقلها ركعتان[2].

٣- استحباب تقديم صلاة الوتر على النوم وذلك في حق من لم يثق بالاستيقاظ[3].

٤- تأكيد هذه الأمور - يعني صوم ثلاثة أيام، وركعتي الضحى، والوتر، بالقصد إلى الوصية بها، واقتصر في الوصية على الثلاثة، لأن الصلاة والصيام أشرف العبادات البدنية.

٥- جواز الافتخار بصحبة الأكابر إذا كان ذلك على معنى التحديث بالنعمة والشكر لله، لا على وجه المباهاة[4].

---

(١) حاشية رد المحتار ٣٧٥/٢، فتح القدير ٣٠١/٢، حاشية الصاوي والشرح الصغير ٦٩٢/١، مغني المحتاج ٨٤/٢، المغني ٥٩/٣، شرح صحيح مسلم ٢٣٤/٥، سبل السلام ٢٩١/٢، نيل الأوطار ٢٥٣/٤، إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، ابن دقيق العيد ٣٢/٢.

(٢) حاشية رد المحتار ٢٢/٢، حاشية الصاوي والشرح الصغير ٤٠٣/١، مغني المحتاج ٤٥٥/١، كشاف القناع ٤٤٢/١، شرح صحيح مسلم ٢٣٤/٥، فتح الباري ٧١/٣، إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، ابن دقيق العيد ٣٢/٢.

(٣) إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، ابن دقيق العيد ٣٢/٢، فتح الباري ٧١/٣.

(٤) فتح الباري ٢٧٧/٤.

المضامين الدعوية [1]

أولاً: من موضوعات الدعوة: مراعاة النبي ﷺ أحوال أصحابه رضي الله عنهم.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: استحباب صيام ثلاثة أيام من كل شهر.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل ركعتي الضحى والوتر.

رابعًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: حرص التابعين على السؤال عن أحوال النبي ﷺ.

سادسًا: من موضوعات الدعوة: المداومة على العمل.

أولاً - من موضوعات الدعوة: مراعاة النبي ﷺ أحوال أصحابه رضي الله عنهم:

وهذا واضح من قول أبي هريرة رضي الله عنه: "أوصاني خليلي ﷺ". وقول أبي الدرداء رضي الله عنه: "أوصاني حبيبي".

قال ابن حجر: "الخليل: الصديق الخالص الذي تخللت محبته فصارت في خلاله أي في باطنه، واختلف: هل الخلة أرفع من المحبة أو بالعكس. وقول أبي هريرة هذا: "أوصاني خليلي" لا يعارضه ما تقدم من قوله ﷺ: "لو كنت متخذًا خليلاً لاتخذت أبا بكر"[2]، لأن الممتنع أن يتخذ هو ﷺ غيره خليلاً لا العكس، ولا يقال: إن المخاللة لا تتم حتى تكون من الجانبين لأنا نقول: إنما نظر الصحابي إلى أحد الجانبين فأطلق ذلك، أو لعله أراد مجرد الصحبة أو المحبة ... وهذه الوصية لأبي هريرة ورد مثلها لأبي الدرداء فيما رواه مسلم، ولأبي ذر فيما رواه النسائي[3] والحكمة في الوصية على المحافظة على ذلك تمرين النفس على جنس الصلاة والصيام ليدخل في الواجب منهما بانشراح، ولينجبر ما لعله يقع فيه من نقص ... (وقد) اقتصر في الوصية للثلاثة المذكورين على الثلاثة المذكورة لأن الصلاة والصيام أشرف العبادات البدنية، ولم يكن المذكورون من أصحاب الأموال، وخصت الصلاة بشيئين لأنها تقع ليلا ونهارا

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لأحاديث الباب في شرح هذا الحديث - ١٢٦٠.

(٢) أخرجه البخاري ٤٦٦، ومسلم ٢٣٨٢.

(٣) أخرجه النسائي ٢٤٠٤، وصححه الألباني (صحيح سنن النسائي، ٢٢٦٦).

بخلاف الصيام)[١].

ونقل ابن حجر في موضع آخر قول ابن أبي جمرة في قول أبي هريرة: "أوصاني خليلي": (في إفراده بهذه الوصية إشارة إلى أن القدر الموصى به هو اللائق بحاله، وفي قوله "خليلي" إشارة إلى موافقته له في إيثار الاشتغال بالعبادة على الاشتغال بالدنيا لأن أبا هريرة صبر على الجوع في ملازمته للنبي ﷺ كما سيأتي في أوائل البيوع من حديثه حيث قال "أما إخواني فكان يشغلهم الصفق بالأسواق، وكنت ألزم رسول الله ﷺ)[٢] فشابه حال النبي ﷺ في إيثاره الفقر على الغنى والعبودية على الملك، قال: ويؤخذ منه الافتخار بصحبة الأكابر إذا كان ذلك على معنى التحدث بالنعمة والشكر لله، لا على وجه المباهاة والله أعلم)[٣]، وقال ابن عثيمين: "قال العلماء: وإنما أوصى هؤلاء بأن يوتروا قبل أن يناموا، لأن مقتضى حالهم يقتضي ذلك، فقد كان أبو هريرة رضي الله عنه: "في أول الليل يتحفظ أحاديث رسول الله ﷺ: وينام في آخر الليل"[٤]. وقال ابن القيم: "وإنما أوصى أبا هريرة بذلك، لأنه قد روى أن أبا هريرة كان يختار درس الحديث بالليل على الصلاة، فأمره بالضحى بدلاً من قيام الليل، ولهذا أمره ألا ينام حتى يوتر، ولم يأمر بذلك أبا بكر وعمر وسائر الصحابة)[٥].

ومن أوضح الأمثلة على مراعاة النبي ﷺ أحوال أصحابه، ما أجاب به ﷺ عندما سئل: عن أى الأعمال أفضل؟ فاختلفت إجابته ﷺ على النحو التالي:

١- في حديث أبي هريرة رضي الله عنه: قال ﷺ: إيمان بالله ورسوله. قيل: ثم ماذا؟ قال: الجهاد في سبيل الله. قيل: ثم ماذا؟ قال: حج مبرور[٦].

٢- وفي حديث أبي ذر رضي الله عنه: قال ﷺ: الإيمان بالله والجهاد في سبيله[٧].

---

(١) فتح الباري ٣/٥٧ - ٥٨ .

(٢) أخرجه البخاري ٢٠٤٧، ومسلم ٢٤٩٢.

(٣) فتح الباري ٤/٢٢٧ .

(٤) شرح رياض الصالحين ٢/١٤١٥.

(٥) زاد المعاد ١/٣٥٧.

(٦) أخرجه البخاري ٢٦، ومسلم ٨٣.

(٧) أخرجه البخاري ٢٥١٨، ومسلم ٨٤.

٣- وفي حديث ابن مسعود رضي الله عنه ، قال: سألت رسول الله ﷺ أى العمل أفضل؟ قال: الصلاة لوقتها. قلت: ثم أى؟ قال: بر الوالدين؟ قلت: ثم أى؟ قال: الجهاد في سبيل الله[1].

٤- وفي حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما سئل ﷺ: أى الإسلام خير؟ قال: تطعُم الطعام وتقرأُ السلام على من عرفت ومن لم تعرف[2].

٥- وعن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنه ﷺ سئل: أى المسلمين خيرٌ؟ فقال: من سلم المسلمون من لسانه ويده[3].

٦- وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قلت: يارسول الله أى الإسلام أفضل؟ قال: من سلم المسلمون من لسانه ويده[4].

قال ابن حجر: (قال النووي[5]: ذكر في هذا الحديث [أى حديث أبي هريرة] الجهاد بعد الإيمان. وفي حديث أبي ذر لم يذكر الحج وذكر العتق. وفي حديث ابن مسعود بدأ بالصلاة ثم البر ثم الجهاد، وفي الحديث المتقدم ذكر السلامة من اليد واللسان. قال العلماء: اختلاف الأجوبة في ذلك باختلاف الأحوال، واحتياج المخاطبين. وذكر ما لم يعلمه السائل والسامعون وترك ما علموه. ويمكن أن يقال: إن لفظة "من" مرادة كما يقال: فلان أعقل الناس والمراد من أعقلهم. ومنه حديث: "خيركم خيركم لأهله"[6]، ومن المعلوم أنه لايصير بذلك خير الناس، فإن قيل: لم قدم الجهاد وليس بركن على الحج وهو ركن؟ فالجواب: أن نفع الحج قاصرٌ، غالبًا، ونفع الجهاد متعدٍّ غالبًا، أو كان ذلك حيث كان الجهاد فرض عين، ووقوعه فرض عين إذ ذاك متكرر. فكان

(١) أخرجه البخاري ٥٢٧، ومسلم ٨٥.

(٢) أخرجه البخاري ١٢، ومسلم ٣٩.

(٣) أخرجه البخاري ١٠، ومسلم ٤٠ واللفظ له.

(٤) أخرجه البخاري ١١، ومسلم ٤٢، واللفظ له وعند البخاري قالوا: يارسول الله أى الإسلام أفضل؟.

(٥) شرح صحيح مسلم ٧٨/٢/١، وقد نقل النووي كلامه هذا عن بعض العلماء، كما تصرف ابن حجر عندما نقله عن النووي.

(٦) أخرجه الترمذي، ٣٨٩٥، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي، ٣٠٥٧).

أهم منه فقدم، والله أعلم"[١].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: استحباب صيام ثلاثة أيام من كل شهر:

وهذا واضح من مجموع أحاديث الباب.

قال ابن رجب الحنبلي: "الصيام لا يعلم منتهى مضاعفته إلا الله. وكلما قوى الإخلاص فيه وإخفاؤه وتنزيهه من المحرمات والمكروهات كثرت مضاعفته، فلا يستنكر أن يصوم الرجل يومًا من الشهر، فيضاعف له بثواب ثلاثين يومًا. فيكتب له صيام الشهر كله. وكذلك إذا صام يومين من الشهر.

وأما إذا صام منه ثلاثة أيام فهو ظاهر. لأن الحسنة بعشرة أمثالها.

وأخرج الترمذي والنسائي عن أبي ذر ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: من صام من كل شهر ثلاثة أيام كان كمن صام الدهر. فأنزل الله تصديق ذلك: ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴾[٢]، اليوم بعشرة أيام[٣].

وفي الصحيحين: عن عبدالله بن عمرو ﵄ قال: قال رسول الله ﷺ: صم من الشهر ثلاثة أيام، فإن الحسنة بعشر أمثالها، وذلك مثل صيام الدهر[٤].

وفي رواية فيهما أيضًا. "إن بحسبك أن تصوم من كل شهر ثلاثة أيام، فإن لك بكل حسنة عشر أمثالها، فإذن ذلك صيام الدهر كله"[٥].

وفي المسند عن قرة المزني عن النبي ﷺ: قال: صيام ثلاثة أيام من كل شهر صيام الدهر وإفطاره"[٦]، يعني صيامه في مضاعفة الله، وإفطاره في رخصة الله، كما

---

(١) فتح الباري، ١/٩٩، ط الريان.

(٢) سورة الأنعام، آية: ١٦٠.

(٣) أخرجه الترمذي ٧٦٢، والنسائي ٢٤٠٩، وابن ماجه ١٧٠٨، وصححه الألباني (صحيح سنن النسائي، ٢٢٦٩).

(٤) أخرجه البخاري ١٩٧٦، ومسلم ١٨١ - ١١٥٩.

(٥) أخرجه البخاري ١٩٧٥، ومسلم ١٨٢ - ١١٥٩.

(٦) أخرجه أحمد ٣/٤٣٥، رقم ١٥٥٨٤، وابن حبان ٣٦٥٢، وقال محققو المسند: إسناده صحيح، وقال السندي: قوله: "صوم الدهر" حيث إن كل صوم يوم بعشرة، قوله "وإفطاره" أى إفطار الدهر"، أى غالبه حقيقة، فصاحبه من حيث الأجر صائم، ومن حيث الراحة مفطر، فهذا ترغيب فيه. حاشية السندي على مسند أحمد ٢٤/٣٥٠ - ٣٥١.

كان أبو هريرة وأبو ذر رضي الله عنهما يقولان ذلك، وكانا يصومان ثلاثة أيام من كل شهر. ويقولان في سائر أيام السنة: نحن صيام[١]. ويتأولان أنهما صيام في مضاعفة الله - اليوم بعشر - وهما مفطران في رخصة الله الذي حرم صيام الدهر.

وقد وصى النبي ﷺ جماعة من أصحابه بصيام ثلاثة أيام من كل شهر، منهم أبو هريرة، وأبو الدرداء وأبو ذر وغيرهم[٢].

وفي المسند أن النبي ﷺ قال في صيام ثلاثة أيام من كل شهر: "هو صوم حسن"[٣]، وفيه أيضًا عن أبي ذر، قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: صوم شهر الصبر وثلاثة أيام من كل شهر صوم الدهر. ويذهب مغلّة الصدر. قلت: وما مغلة الصدر؟ قال: رجس الشيطان[٤].

وفيه أيضًا: عن رجل عن النبي ﷺ قال: صيام شهر الصبر وثلاثة أيام من كل شهر يذهبن كثيرًا من وحر الصدر[٥]. وفي غير هذه الرواية: "وغر الصدر"، وهما بمعنى واحد. يقال: وحر صدره ووغره، إذا كان فيه غل وغش. وقيل: الوحر: الغل، والوغر: الغيظ.

وقد كان النبي يتحرى صيام ثلاثة أيام من كل شهر. وكذلك كان إبراهيم عليه السلام، كما خرجه ابن ماجه من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص مرفوعًا. قال: صيام إبراهيم ثلاثة أيام من كل شهر، صام الدهر وأفطر الدهر[٦].

---

(١) أخرجه ابن حبان، ٣٦٥٩ عن أبي هريرة، وينظر تخريجه بتوسع هناك.

(٢) أما وصية أبي هريرة وأبي الدرداء فمذكورتان في الباب وأما توصية أبي ذر فأخرجها النسائي ٢٤٠٤، وقد تقدم ذلك في المضمون الدعوي الأول.

(٣) أخرجه أحمد ٢٢/٤، رقم ١٦٢٧٩، والنسائي ٢٤١١، وابن خزيمة (٢١٢٥)، وابن حبان (٣٦٤٩) من حديث عثمان بن أبي العاص مرفوعًا: "صيام حسن ثلاثة أيام من الشهر". وصححه الألباني (صحيح سنن النسائي، ٢٢٧٠).

(٤) أخرجه أحمد، ١٥٤/٥، رقم ٢١٣٦٤، وقال محققو المسند: صحيح لغيره ٢٩٢/٣٥ - ٢٩٣.

(٥) أخرجه أحمد ٣٦٣/٥، رقم ٢٣٠٧٠، وإسناده صحيح قاله محققو المسند ١٦٨/٣٨.

(٦) لم أجده في سنن ابن ماجه ولا في غيرها، فلينظر.

وفي السنن: عن حفصة رضي الله عنها: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصوم العشر وعاشوراء وثلاثة أيام من كل شهر[1]. وفي إسناده اختلاف.

وفي صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصوم ثلاثة أيام من كل شهر. قيل لها: من أية كان يصوم، قالت: كان لا يبالي من أية صام[2].

ففي هذا الحديث أنه صلى الله عليه وسلم لم يكن يبالي من أى الشهر صام الأيام الثلاثة.

وقد روى في صفة صيام النبي صلى الله عليه وسلم للأيام الثلاثة من الشهر أنواع أخر:

أحدها: ما أخرجه الترمذي من حديث عائشة رضي الله عنها: قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم من الشهر السبت والأحد والاثنين، ومن الشهر الآخر الثلاثاء والأربعاء والخميس[3].

وقال: حديث حسن. وذكر أن بعضهم رواه موقوفًا يعني من فعل عائشة رضي الله عنها غير مرفوع.

الثاني: ما أخرجه أبو داود وغيره من حديث حفصة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصوم ثلاثة أيام من كل شهر الاثنين والخميس، والاثنين من الجمعة الأخرى[4].

فعلى هذه الرواية كان النبي صلى الله عليه وسلم يجعلها من أول الشهر ولا يوالي بينها، بل كان يتحرى بها يوم الاثنين مرتين والخميس مرة.

الثالث: عكس الثاني: أخرجه النسائي من حديث حفصة أيضًا: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصوم من كل شهر ثلاثة أيام، أول اثنين من الشهر، ثم الخميس، ثم الخميس الذي يليه[5].

وفي رواية له أيضًا: أول اثنين من الشهر وخَميسَيْن[6].

---

(١) أخرجه النسائي ٢٤١٦، وضعفه الألباني (ضعيف سنن النسائي، ١٤٢).

(٢) أخرجه مسلم ١١٦٠.

(٣) أخرجه الترمذي ٧٤٦، وضعفه الألباني (ضعيف سنن الترمذي ١٢١).

(٤) أخرجه أبو داود ٢٤٥١، وحسنه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٢١٤٠).

(٥) أخرجه النسائي ٢٤١٥، وعنده: أم المؤمنين، وصححه الألباني(صحيح سنن النسائي ٢٢٧٣).

(٦) أخرجه النسائي ٢٤١٧، وعنده: عن بعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وصححه الألباني (صحيح سنن النسائي، ٢٢٧٤).

وخرج أبو داود من حديث أم سلمة عن النبي ﷺ معنى ذلك[١].

وفي رواية في المسند "الاثنين والجمعة والخميس"[٢]، وكأنها غير محفوظة فهي نوع رابع.

والنوع الخامس: ما خرجه أبو داود والنسائي والترمذي من حديث ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يصوم من غرة كل شهر ثلاثة أيام. وحسنه الترمذي[٣]، وذكر أن بعضهم لم يرفعه. يعني أنه وقفه على ابن مسعود.

وظاهر هذا أنه كان يوالي بين الأيام الثلاثة من أول كل شهر.

والنوع السادس: أنه كان يصوم أيام البيض، فخرج النسائي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ كان لا يدع صيام أيام البيض في حضر ولا سفر[٤].

وأخرج الترمذي والنسائي عن أبي ذر رضي الله عنه أن النبي ﷺ أمره بصيام أيام البيض: ثلاث عشرة، وأربع عشرة، وخمس عشرة[٥].

وفي السنن الأربعةِ خَلاَ الترمذي عن قتادة بن ملحان عن النبي ﷺ نحوه[٦].

وأخرج النسائي من حديث جرير البجلي عن النبي ﷺ نحوه أيضًا[٧].

وقد روى عن الحسن أنه كان يصوم خمسة أيام من أول الشهر، ويقول: ما يدريني لعلي لا أدرك البيض. وفي كتاب "مناقب الحسن" لأبي حيان التوحيدي أن رجلاً سأل الحسن: لأي شيء استحب صيام أيام البيض ؟ فلم يدر ما يقول، فقال أعرابي عنده: لأن

---

(١) أخرجه أبو داود ٢٤٣٧، وعنده عن بعض أزواج النبي ﷺ. وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٢١٢٩).

(٢) أخرجه أحمد ٢٨٩/٦، رقم ٢٦٤٨٠، وضعفه محققو المسند ٨٢/٤٤.

(٣) أخرجه أبو داود ٢٤٥٠، والترمذي ٧٤٢، والنسائي ٢٣٦٨. وحسنه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٢١٤٠).

(٤) أخرجه النسائي ٢٣٤٥، وضعفه الألباني (ضعيف سنن النسائي، ١٣٦).

(٥) أخرجه الترمذي ٧٦١، والنسائي، ٢٤٢٢، وحسنه الألباني (صحيح سنن النسائي، ٢٢٧٧).

(٦) أخرجه أبو داود ٢٤٤٩، والنسائي ٢٤٣١، ٢٤٣٢، وابن ماجه ١٧٠٧، وابن حبان ٣٦٥١، وصححه محققه وينظر تخريجه موسعًا هناك.

(٧) أخرجه النسائي ٢٤٢٠، بلفظ "صيام ثلاثة أيام من كل شهر صيام الدهر وأيام البيض: صبيحة ثلاث عشرة، وأربع عشرة، وخمس عشرة" وحسنه الألباني. (صحيح سنن النسائي، ٢٢٧٦).

القمر ينكسف في لياليهن، فيكون الناس عند حدوث الآيات على عبادة[1]. فقال الحسن: خذوها من غير فقيه[2].

وقال ابن القيم: "صيام ثلاثة أيام من كل شهر تعدل صيام الشهر، فقد ذكر في هذا الحديث سببه، وهو أن الحسنة بعشر أمثالها، فهو يعدل صيام الشهر غير مضاعف؛ لثواب الحسنة بعشر أمثالها. فإذا صام ثلاثة أيام من كل شهر، وحافظ على ذلك، فكأنه صام الدهر كله. ونظير هذا قوله ﷺ في الحديث الصحيح: "من صام رمضان وأتبعه بست من شوال فكأنما صام الدهر"[3]، فإن الحسنة بعشر أمثالها. وفي كونها من شوال" سر لطيف، وهو أنها تجري مجرى الجبران لرمضان، وتقضي ما وقع فيه من التقصير في الصوم، فتجري مجرى سنة الصلاة بعدها، ومجرى سُجْدَتَي السهو ولهذا قال: وأتبعه "أى ألحقها به"[4].

وقد بوب البخاري على حديث أبي هريرة: "أوصاني خليلي ﷺ بثلاث؛ صيام ثلاثة أيام من كل شهر ..." بوب عليه : باب صيام البيض: ثلاثة عشرة وأربع عشرة، وخمس عشرة[5].

وقال الحافظ ابن حجر بعد أن ساق بعض الأحاديث السابقة: قال: "فقد جمع بينهما وما قبلهما البيهقي بما أخرجه مسلم من حديث عائشة قالت: "كان رسول الله ﷺ

---

(١) وقال الشيخ عبدالله البسام: (تخصيص فضيلة الصيام بأيام البيض الثلاثة، كما جاء في السنة المطهرة، فيه إعجاز علمي، فقد ذكر الأطباء أن رطوبة الأجسام تزيد فيها مع زيادة نور القمر واكتماله، والصوم يساعد على التخفيف من هذه الفضلات وإفراغها من البدن، كما أن الصوم حينما يلاقي البدن ممتلئًا من هذه الرطوبة تخفّ مشقته ويسهل تحمله على الصائم ولله في شرعه حكم وأسرار. توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ١٩٨/٣.

(٢) لطائف المعارف، فيما لمواسم العام من الوظائف، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: ياسين محمد السواس ص ٤٥٠ - ٤٥٤.

(٣) أخرجه مسلم ١١٦٤.

(٤) المنار المنيف في الصحيح والضعيف. ابن القيم ٨٥١هـ، تحقيق عبدالفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ط٢، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م، ص٣٨ - ٣٩.

(٥) صحيح البخاري مع فتح الباري، ٢٢٦/٤، الحديث ١٩٨١.

يصوم من كل شهر ثلاثة أيام ما يبالي من أي الشهر صام"[١]. قال: فكل من رآه عليه السلام فعل نوعًا ذَكَره، وعائشة رأت جميع ذلك وغيره فأطلقت. والذي يظهر أن الذي أمر به وحث عليه وأوصى به أولى من غيره. وأما هو فلعله كان يعرض له ما يشغله عن مراعاة ذلك أو كان يفعل ذلك لبيان الجواز. وكل ذلك في حقه أفضل. وتترجح البيض بكونها وسط الشهر، وَوَسَطُ الشيء أعدَلُه. ولأن الكسوف غالبًا يقع فيها. وقد ورد الأمر بمزيد العبادة إذا وقع فإذا اتفق الكسوف صادف الذي يعتاد صيام البيض صائمًا، فيتهيأ له أن يجمع بين أنواع العبادات من الصيام والصلاة والصدقة، بخلاف من لم يصمها فإنه لا يتأتى له استدراك صيامها. ولا عند من يجوز صيام التطوع بغير نية من الليل. إلا أذا صادف الكسوف من أول النهار، ورجح بعضهم صيام الثلاثة في أول الشهر لأن المرء لا يدري ما يعرض له من الموانع. وقال بعضهم: يصوم من أول كل عشرة أيام يومًا، وله وجه في النظر. ونقل ذلك عن أبي الدرداء، وهو يوافق ما تقدم في رواية النسائي من حديث عبدالله بن عمرو : "صم من كل عشرة أيام يومًا"[٢] .

وروى الترمذي من طريق خيثمة عن عائشة رضي الله عنها : "أنه صلى الله عليه وسلم كان يصوم من الشهر السبت والأحد والاثنين، ومن الآخر الثلاثاء والأربعاء والخميس"[٣]، وروى موقوفًا وهو أشبه، وكأن الغرض به أن يستوعب غالب أيام الأسبوع بالصيام، واختار إبراهيم النخعى أن يصومها آخر الشهر ليكون كفارة لما مضى. وسيأتي ما يؤيده في الكلام على حديث عمران بن حصين في الأمر بصيام سرار الشهر[٤]، وقال الروياني: صيام ثلاثة أيام من كل شهر مستحب. فإن اتفقت أيام البيض كان أحب. وفي كلام غير واحد من العلماء أيضًا أن استحباب صيام البيض غير استحباب صيام ثلاثة أيام من كل شهر)[٥].

---

(١) أخرجه مسلم ١١٦٠.
(٢) أخرجه النسائي ٢٣٩٥، وصححه الألباني (صحيح سنن النسائي، ٢٢٦٣).
(٣) أخرجه الترمذي ٧٤٦، وضعفه الألباني (ضعيف سنن الترمذي ١٢١).
(٤) أخرجه البخاري ١٩٨٣، ومسلم ١١٦١.
(٥) فتح الباري ٤/٢٢٦ - ٢٢٧، .

وقال النووي: ويستحب أن تكون الأيام الثلاثة من سرة الشهر. وهي وسطه، وهذا متفق علي استحبابه وهو استحباب كون الثلاثة هي أيام البيض، وهى الثالث عشر والرابع عشر، والخامس عشر، وقد جاء فيها حديث في كتاب الترمذي وغيره، وقيل: "هي الثاني عشر والثالث عشر والرابع عشر، قال العلماء: ولعل النبي ﷺ لم يواظب على ثلاثة معينة، لئلا يظن تعينها، ونبه بسرة الشهر وبحديث الترمذي في أيام البيض على فضيلتها"[١].

وقال الشوكاني: "وقد حكى الحافظ في الفتح في تعيين الثلاثة الأيام المطلقة عشرة أقوال[٢]، وقد ذكرنا أكثرها. والحق أنها تبقى على إطلاقها فيكون الصائم مخيرًا. وفي أى وقت صامها فقد فعل المشروع لكن لا يفعلها في أيام البيض. فالحاصل من أحاديث الباب استحباب صيام تسعة أيام من كل شهر: ثلاثة مطلقة وأيام البيض، والسبت والأحد والاثنين في شهر والثلاثاء والأربعاء والخميس في شهر"[٣].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: فضل ركعتي الضحى والوتر:

وهذا واضح من قول أبي هريرة: "أوصاني خليلي بثلاث: صيام ثلاثة أيام من كل شهر، وركعتي الضحى، وأن أوتر قبل أن أنام"، ونحو هذا قاله أبو الدرداء، قال ابن حجر: "ومن فوائد ركعتي الضحى أنها تجزئ عن الصدقة التي تصبح على مفاصل الإنسان في كل يوم، وهى ثلاثمائة وستون مفصلاً، كما أخرجه مسلم من حديث أبي ذر وفيه: "ويجزئ عن ذلك ركعتا الضحى"[٤])[٥].

قال النووي: "وفيه دليل عظم فضل الضحى وكبير موقعها وأنها تصح ركعتين"[٦].

---

(١) شرح صحيح مسلم ٥٢/٨/٤ - ٥٣.

(٢) فتح الباري ٢٢٦/٤ - ٢٢٧، .

(٣) نيل الأوطار ٨٣٥ - ٨٣٦.

(٤) أخرجه مسلم ٧٢٠.

(٥) فتح الباري ٥٧/٣.

(٦) شرح صحيح مسلم ٢٣٩/٥/٣.

قال عنها النبي ﷺ: "صلاة الأوابين حين ترمض الفصال"[١]، قال النووي: "أى حين يحترق أخفاف الفصال - وهى الصغار من أولاد الإبل، جمع فصيل - من شدة حر الرمل، وفيه فضيلة الصلاة هذا الوقت، قال أصحابنا: هو أفضل وقت صلاة الضحى. وإن كانت تجوز من طلوع الشمس إلى الزوال"[٢].

وقال الطيبي: "مدحهم بصلاتهم في الوقت الموصوف، لأنه وقت تركن النفوس فيه إلى الاستراحة، ويتهيأ فيه أسباب الخلوة، فيرد على قلوب الأوابين، من الإنس بذكر الله، وصفاء الوقت ولذاذة المناجاة ما يقطعهم عن كل مطلوب سواه، وهذا الوقت متشابه للساعات المختارة في جوف الليل فيغتنم العبادة حينئذ"[٣].

وقال الشيخ عبدالله البسام: (سميت تلك الصلاة صلاة الأوابين، لأنهم آبُوا ورحلوا إلى طاعة الله وعبادته حينما اشتغل الناس بتجارتهم ومتاعهم وزراعاتهم، ومال بعضهم إلى الراحة، فيأتي الأوابون بذكر الله تعالى وينقطعون عن كل مطلوب سواه)[٤].

وقال النووي: "وفي هذا الحديث أى حديث أبي هريرة"، وحديث أبي الدرداء الحث على الضحى وصحتها ركعتان، والحث على صوم ثلاثة أيام من كل شهر، وعلى الوتر وتقديمه على النوم لمن خاف ألا يستيقظ آخر الليل"[٥].

وقد قال النبي ﷺ: "إن الله أمدكم بصلاة هى خير لكم من حمر النعم، الوتر جعله الله لكم فيما بين صلاة العشاء إلى أن يطلع الفجر"[٦].

قال الطيبي: قوله: "إن الله أمدكم" وارد على سبيل الامتنان على أمته مرادًا به مزيد فضل على فضل، كأنه قيل: إن الله تعالى فرض عليكم الصلوات الخمس

---

(١) أخرجه مسلم ٧٤٨.

(٢) شرح صحيح مسلم ٣/٦/٣١.

(٣) شرح الطيبي على المشكاة، ٣/١٧٢.

(٤) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ، ٢/٢٢٦.

(٥) شرح صحيح مسلم ٣/٢٣٩، ٥.

(٦) أخرجه الترمذي ٤٥٢ ، وقال الألباني: صحيح دون قوله: هى خير لكم من حمر النعم (صحيح سنن الترمذي ٣٧٣).

ليؤجركم بها ويثيبكم عليها ولم يكتف بذلك، فشرع صلاة التهجد والوتر ليزيدكم إحسانًا على إحسان، وثوابًا على ثواب"[١].

رابعًا - من أساليب الدعوة: الترغيب:

هذا واضح من قوله ﷺ: "صوم ثلاثة أيام من كل شهر صوم الدهر كله".

وكما جاء في حديث قرة المزني عن النبي ﷺ: "صيام ثلاثة أيام من كل شهر صيام الدهر وإفطاره"[٢].

قال السندي: قوله: "صوم الدهر"، حيث إن كل صوم يوم بعشرة، وقوله: "إفطاره". أى إفطار الدهر، أى غالبه حقيقة، فصاحبه من حيث الأجر صائم، ومن حيث الراحة مفطر، فهذا ترغيب فيه[٣].

ولعل الذي يوضح أثر هذا الترغيب ما رواه أبو عثمان أن أبا هريرة كان في سفر فلما نزلوا ووضعت السفرة بعثوا إليه وهو يصلّي، فقال: إني صائم. فلما كادوا أن يفرغوا جاء فجعل يأكل، فنظر القوم إلى رسولهم فقال: ما تنظرون إليّ، قد - والله - أخبرني أنه صائم؟ فقال أبو هريرة: صدق، سمعت رسول الله ﷺ يقول: "من صام ثلاثة أيام من كل شهر فقد صام الشهر كله"، وقد صمت ثلاثة أيام من كل شهر، وإني الشهر كله صائم، ووجدت تصديق ذلك في كتاب الله جل وعلا: ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴾[٤])[٥].

وكذلك ما رواه عبدالله بن شقيق العقيلي: قال: "أتيت المدينة فإذا رجل طويل أسود فقلت: من هذا قال: أبو ذر. فقلت: لأنظرن على أي حال هو اليوم، قال: قلت: صائم أنت؟ قال: نعم. وهم ينتظرون الإذن على عمر رضي الله عنه، فدخلوا فأتينا بقصاع فأكل فحركته

(١) شرح الطيبي على المشكاة، ١٥١/٣.

(٢) أخرجه أحمد ٤٣٥/٣، رقم ١٥٥٨٤، وابن حبان، ٣٦٥٢، وقال محققو المسند: إسناده صحيح ٣٥٠/٢٤.

(٣) حاشية السندي على مسند أحمد ٣٥٠/٢٤ - ٣٥١.

(٤) سورة الأنعام، آية: ١٦٠.

(٥) أخرجه ابن حبان ٣٩٥٩، وقال محققه: إسناده صحيح على شرط مسلم.

أذكّره بيدي، فقال: إني لم أنس ما قلت لك، أخبرتك أني صائم، إني أصوم من كل شهر ثلاثة أيام، فأنا أبدًا صائم"(١).

خامسًا - من موضوعات الدعوة: حرص التابعين على السؤال عن أحوال النبي ﷺ:

وهذا واضح من سؤال معاذة العدوية عائشة رضي الله عنها: أكان رسول الله ﷺ يصوم من كل شهر ثلاثة أيام؟

ومعاذة العدوية هى معاذة بنت عبدالله العدوية أم الصهباء وهى ثقة من التابعيات اللاتي روين عن الصحابيات أحاديثَ رسول الله ﷺ(٢).

قال أبو عبدالله الحاكم النيسابوري: النوع الرابع عشر من علوم الحديث: معرفة التابعين: وهذا نوع يشتمل على علوم كثيرة فإنهم على طبقات في الترتيب ومهما غفل الإنسان عن هذا العلم لم يفرق أيضًا بين بعض الصحابة والتابعين، ثم لم يفرق أيضًا بين التابعين وأتباع التابعين. قال الله عز وجل: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾(٣)، وقد ذكرهم رسول الله ﷺ. ثم ذكر الحاكم بإسناده الحديث الذي يدل على ذلك وشاهد بإسناده حديث: "خير الناس قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم"(٤).

ثم قال الحاكم: "فخير الناس قرنًا بعد الصحابة من شافه أصحاب رسول الله ﷺ، وحفظ عنهم الدين والسنن، وهم قد شهدوا الوحى والتنزيل رضي الله عنهم أجمعين"(٥).

---

(١) أخرجه البيهقي ٤/٢٩٣.

(٢) انظر ترجمتها في تهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين ٨/٥٧٨.

(٣) سورة التوبة، آية: ١٠٠.

(٤) أخرجه البخاري ٢٦٥٢، ومسلم ٢٥٣٣.

(٥) معرفة علوم الحديث وكمية أجناسه: ابو عبدالله محمد بن عبدالله الحاكم النيسابوري ٤٠٥ هـ، تحقيق أحمد بن فارس السلوم، دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م، ص ٢٠٢ - ٢٠٣.

والأمثلة على سؤال التابعين الصحابة عن أحوال النبي ﷺ كثيرة جدًا لا تكاد تحصى. من ذلك ما أخرجه مسلم بإسناده إلى سعد بن هشام بن عامر أنه أتى ابن عباس فسأله عن وتر رسول الله ﷺ ، فقال ابن عباس: "أَلاَ أَدُلُّكَ عَلَى أَعْلَمِ أَهْلِ الأَرْضِ بِوِتْرِ رَسُولِ اللّهِ؟ قَالَ: مَنْ؟ قَالَ: عَائِشَةُ. فَأْتِهَا فَاسْأَلْهَا. ثُمَّ ائْتِنِي فَأَخْبِرْنِي بِرَدِّهَا عَلَيْكَ. فَانْطَلَقْتُ إِلَيْهَا. فَقُلْتُ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ أَنْبِئِينِي عَنْ خُلُقِ رَسُولِ اللّهِ . قَالَتْ: أَلَسْتَ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟ قُلْتُ: بَلَى. قَالَتْ: فَإِنَّ خُلُقَ نَبِيِّ اللّهِ كَانَ الْقُرْآنَ. قَالَ فَهَمَمْتُ أَنْ أَقُومَ، وَلاَ أَسْأَلَ أَحَدًا عن شيء حَتَّى أَمُوتَ. ثُمَّ بَدَا لِي فَقُلْتُ: أَنْبِئِينِي عَنْ قِيَامِ رَسُولِ اللّهِ . فَقَالَتْ: أَلَسْتَ تَقْرَأُ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴾[1]؟ قُلْتُ: بَلَى .... الحديث"[2].

سادسًا – من موضوعات الدعوة: المداومة على العمل:

وهذا واضح من حديث ابن عباس: "كان رسول الله ﷺ لا يفطر أيام البيض في حَضَر ولا سَفَر".

والنبي ﷺ -وهو القدوة والأسوة- كان عمله دِيمة كما وصفت عائشة رضي الله عنها[3]: "والديمة -كما قال أهل اللغة-: مطر يدوم أيامًا ثم أطلقت على كل شيء يستمر"[4].

وقال النووي: "أي يدوم عليه ولا يقطعه"[5]، وقد بوب البخاري في كتاب الرقاق من صحيحه: باب القصد والمداومة على العمل[6].

قال الحافظ ابن حجر: ذكر فيه ثمانية أحاديث أكثرها مكرر وفي بعضها زيادة على بعض، ومحصل ما اشتملت عليه الحث على مداومة العمل الصالح وإن قل. وأن الجنة لا يدخلها أحد بعمله بل برحمة الله. وقصة رؤية الجنة والنار في صلاته. والأول هو المقصود بالترجمة والثاني ذكر استطرادًا وله تعلق بالترجمة أيضًا، والثالث يتعلق بها

---

(١) سورة المزمل، آية: ١.

(٢) أخرجه مسلم ٧٤٦.

(٣) أخرجه البخاري ١٩٨٧، ومسلم ٧٨٣.

(٤) فتح الباري ٤/٢٣٦ ، بتصرف.

(٥) شرح صحيح مسلم ٣/٦/ ٤٧ .

(٦) كتاب الرقاق، برقم ٨١، وهذا الباب، برقم ١٨.

أيضًا من طريق خفي"[١].

ومن هذه الأحاديث التي ساقها البخاري:

١- قالت عائشة رضي الله عنها: كان أحب العمل إلى رسول الله ﷺ الذي يدوم عليه صاحبُه[٢].

٢- وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: سددوا وقاربوا واعلموا أن لن يُدْخِل أحدكم عمُله الجنة، وأن أحب الأعمال أدومها إلى الله وإن قل"[٣]. وزاد مسلم: وكان آل محمد ﷺ إذا عملوا عملاً أثبتوه[٤]. قال النووي: "أى لازموه وداوموا عليه، والظاهر أن المراد بالآل هنا أهل بيته وخواصه ﷺ، من أزواجه وقرابته ونحوهم"[٥].

٣- وعنها : سئل النبي ﷺ: أى الأعمال أحب إلى الله ؟ قال: أدومها، وإن قل، وقال: اكلفوا من الأعمال ما تطيقون[٦].

٤- وأخرج مسلم بإسناده عن القاسم بن محمد عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: أحب الأعمال إلى الله تعالى أدومها وإن قل، قال: وكانت عائشة إذا عملت العمل لزمته[٧]. وقال النووي: "فيه الحث على المداومة على العمل وأن قليله الدائم خير من كثير ينقطع، وإنما كان القليل الدائم خيرًا من الكثير المنقطع، لأن بدوام القليل تدوم الطاعة والذكر والمراقبة والنية والإخلاص والإقبال على الخالق سبحانه وتعالى ويثمر القليل الدائم، بحيث يزيد على الكثير المنقطع أضعافًا كثيرة"[٨]. "والحكمة في ذلك أن المديم للعمل يلازم الخدمة، فيكثر التردد إلى باب الطاعة كل وقت، ليجازى

---

(١) فتح الباري، ٢٩٥/١١.

(٢) أخرجه البخاري ٦٤٦٢، ومسلم ٧٤١ - ٧٨٣.

(٣) أخرجه البخاري ٦٤٦٤، ومسلم ٧٨٢، ٢٨١٨.

(٤) أخرجه مسلم ٧٨٢.

(٥) شرح صحيح مسلم ٦/٣، ٧٤، .

(٦) أخرجه البخاري ٦٤٦٥، ومسلم ٧٨٢.

(٧) أخرجه مسلم، ٢١٨ - ٧٨٣.

(٨) شرح صحيح مسلم ٧٤/٦/٣، ط عالم الكتب.

بالبر لكثرة تردده، فليس هو كمن لازم مثلاً ثم انقطع، وأيضًا فالعامل إذا ترك العمل صار كالمعرض بعد الوصل، فيتعرض للذم والجفاء، ومن ثم ورد الوعيد في حق من حفظ القرآن ثم نسيه، والمراد بالعمل هنا الصلاة والصيام وغيرهما من العبادات"[1].

(١) فتح الباري ٢٩٩/١١ .

الحديث رقم (١٢٦١)

١٢٦١- وعن أَبي الدرداءِ رضي الله عنه ، قَالَ: أوصاني حَبيبي صلى الله عليه وسلم بِثَلاثٍ لَنْ أدَعَهُنَّ مَا عِشتُ: بِصِيَامِ ثَلاثَةِ أيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، وَصَلاَةِ الضُّحَى، وبِأنْ لاَ أنَامَ حَتَّى أُوتِرَ. رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو الدرداء: هو عويمر بن زيد بن قيس الأنصاري. تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٧٢) حتى الترقيم المتبع.

غريب الألفاظ:

أوتر: أصلي مثنى مثنى ثم أصلي في آخرها ركعةً مفردةً [2].

الشرح الأدبي

بدأ الحديث كسابقه بأسلوب التشويق بالإجمال بالعدد (ثلاث) ثم التفصيل، وهو ما يحدث ترقبا لدى المخاطب، وتوكيد للمعنى الذي ذكر مرتين إجمالا ثم تفصيلاً، وقد بدأت جملة التشويق بالفعل الماضي " أوصاني " وهو يدل علي تحقق وقوع تلك الوصية من خاتم الرسل، ثم قال: " حبيبي " وهو لفظ يفيد العموم، ويدل علي الميل القلبي، والألفة، والمحبة، ولكن لفظ " خليلي " أخص منه، فكل خليل حبيب، وليس كل حبيب خليلا. ولكن الراوي هنا تعهد أن يقوم بتفيذ الوصية فقال: " .. بثلاث لن أدعهن ما عشت و " ما " في قوله: " ما عشت " مصدرية أي: مدة بقائي حيا. ثم بدأ بالصيام أيضا. .. ومن بعدها " صلاة الضحى " وختمها بقوله: " وبأن لا أنام حتى أوتر ". والفعل المضارع: " أوتر " يفرض علي المسلم أن يوحد الله تعالي، ويذكره قبل نومه، حتى يختم له بشهادة التوحيد " لا إله إلا الله محمد رسول الله " لعله بذلك يدخل الجنة بمشيئة الله.

المضامين الدعوية[3]

---

(١) برقم (٧٢٢/٨٦). أورده المنذري في ترغيبه (١٥٢٣).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (و ت ر).

(٣) تقدم ذكرها مدمجة في شرح الحديث السابق.

الحديث رقم (١٢٦٢)

١٢٦٢- وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((صَوْمُ ثَلاثَةِ أيَّامٍ مِنْ (كُلِّ شَهْرٍ) [١] صَوْمُ الدَّهْرِ كُلِّهِ)) متفقٌ عَلَيْهِ[٢].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمرو بن العاص: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٤٢).

غريب الألفاظ:

الدهر: السنة[٣].

الشرح الأدبي

الوصية في الحديثين السابقين كانت مكونة من ثلاثة أثلاث. الثلث الأول خاص بصيام ثلاثة أيام من كل شهر، والثلث الثاني خاص بصلاة ركعتي الضحى، والثلث الأخير خاص بصلاة الوتر. وفي هذا الحديث يركز الرسول ﷺ علي الثلث الأول الخاص بصيام ثلاثة أيام من كل شهر، لأنه يشتمل علي الثلثين الباقين، فالصيام يحتاج إلي " الصبر "، ومن خلاله يصلي الفرائض، وينطق بشهادة التوحيد الذي شرع " الوتر " من أجله، ولأن الصيام فيه تهذيب، وتأديب للجوارح عن اقتراف السيئات. وقد شرعت صلاة الضحى لشكر الله علي تلك الجوارح. فالصيام أن تطيع الجوارح (الوتر) الأحد الفرد الذي لا إله إلا هو، وقوله (كصوم الدهر كله) تشبيه لبيان مقدار الثواب ؛لأن الذي يصوم ثلاثة أيام تحسب له الحسنة بعشر أمثالها، فإذا هي ثلاثون عدد أيام الشهر، فإذا ما اطرد هذا الصيام كل شهر كان بذلك كمن صام كل الدهر ولفظ التوكيد كل المضاف للضمير العائد على الشهر(كله) يؤكد على هذا الثواب العظيم، وينفي وهم المبالغة، والله أكرم، وأبر.

المضامين الدعوية[٤]

---

(١) قوله: (كل شهر) عند البخاري برقم (٣٤١٩)، ولفظه في هذه الرواية: (الشهر) فقط.

(٢) أخرجه البخاري (١٩٧٩) واللفظ له، ومسلم (١١٥٩/١٨٧). أورده المنذري (١٥٢٤).

(٣) انظر: شرح صحيح مسلم ٧٢٣.

(٤) تقدم ذكر مدمجة في شرح الحديث رقم ١٢٦٠.

الحديث رقم (١٢٦٣)

١٢٦٣- وعن مُعاذة العدوية: أنها سألت عائشةَ رَضِيَ اللهُ عنها: أكَانَ رسول الله ﷺ يَصُومُ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ ثَلاَثة أيَّامٍ؟ قالت: نَعَمْ. فقلتُ: مِنْ أيِّ[1] الشَّهْرِ كَانَ يَصُومُ؟ قالت: لَمْ يَكُنْ يُبَالِي مِنْ أيِّ الشَّهْرِ يَصُومُ. رواه مسلم[2].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

غريب الألفاظ:

يُبالي: يهتم[3].

الشرح الأدبي

وهذا الحديث أيضا – يعني بموضوع صيام ثلاث أيام من كل شهر. ولكن الموضوع يقوم على محورين الأول تقرير فعل الرسول ﷺ له، والمحور الثاني: تحديد الأيام التي كان يحص على صيامها، وقد قام المعنى في الحديث على الحوار المبني على السؤال، والجواب، والسؤال الأول (أكان رسول الله ﷺ يصوم من كل شهر ثلاثة أيام؟) استفهام مباشر عن المقصود بغرض التحقيق، والتثبيت، وقد جاءت إجابة أم المؤمنين بالإثبات لها بحرف الجواب (نعم) والاستفهام الثاني (من أي الشهر كان يصوم قالت: لم يكن يبالي من أي الشهر يصوم ؟) استفهام عن تحديد الأيام التي كان يختارها في الصيام، وقد جاءت إجابة أم المؤمنين تحمل التوسعة على المؤمنين ليصوم كل منهم ما يختار بناءً على أن الرسول ﷺ لم يعنى بتحديد ثلاثة بعينها من أول شهر، أم منتصفة؟ أم أخره؟، والاستفهام هنا يراد منه التعلم والاسترشاد، للتأسي، والإقتداء به – عليه الصلاة والسلام –.

المضامين الدعوية[4]

---

(١) عند مسلم زيادة: (أيّام) في الموضعين.

(٢) برقم (١٩٤/١١٦٠).

(٣) الوسيط في (ب ل ي).

(٤) تقدم ذكرها مدمجة في شرح الحديث رقم ١٢٦٠.

الحديث رقم (١٢٦٤)

١٢٦٤- وعن أَبي ذر ﷺ ، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((إِذَا صُمْتَ مِنَ الشَّهْرِ ثَلاَثًا[1]، فَصُمْ ثَلاَثَ عَشْرَةَ، وَأَرْبَعَ عَشْرَةَ، وَخَمْسَ عَشْرَةَ)) رواه الترمذيُّ[2]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

أبو ذر الغفاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٦١).

الشرح الأدبي

في الأحاديث السابقة حث النبي ﷺ علي صيام ثلاثة أيام من كل شهر هجري. وفي الحديث السابق لم يحدد أياما بعينها على سبيل التوسعة على الصائمين إذا لو حددت، وفات مؤمنا وقتها لما استطاع أن يتداركها، وفي هذا الحديث يحدد هذه الأيام الثلاثة على اعتبار الأفضلية لمن تتنَّى له أن يصوم أياما بعينها، وذلك عن طريق الجملة الشرطية: " إذا صمت من الشهر ثلاثا، فصم ثلاث عشرة، وأربع عشرة. .. الخ " ومعناه: إذا أردت أن تتطوع، وتقوم بهذا العمل الصالح فافعل كذا. .. وكذا. .. وكذا، و(من) في قوله: " من الشهر " للتبعيض. وأسند الفعل " صمت إلي تاء المخاطب مع أسلوب الشرط ليشمل الحكم كل من أراد أن يصوم هذا التطوع، وفيه ترغيب في صيام هذه الأيام لمن تيسرت له، ومن لم يستطعها خاصة صام ما تيسر من أي ثلاثة من الشهر كما دل الحديث السابق.

المضامين الدعوية[3]

---

(١) لفظ الترمذي: (ثلاثة أيّام) والمثبت لفظ أحمد في المسند (٢١٤٣٧). هكذا أورده المنذري في ترغيبه. وعزاه إلى الترمذي وأحمد والنسائي وابن ماجه.

(٢) برقم (٧٦١)، وصحّحه ابن خزيمة (٢١٢٨). أورده المنذري في ترغيبه (١٥٢٣).

(٣) تقدم ذكرها مدمجة في شرح الحديث رقم ١٢٦٠.

الحديث رقم (١٢٦٥)

١٢٦٥- وعن قتادة بن مِلْحَان ﵁، قَالَ: كَانَ رسولُ الله ﷺ يَأمُرُنا بصِيَامِ أيَّامِ البِيضِ[١]: ثَلاثَ عَشْرَةَ، وَأرْبَعَ عَشْرَةَ، وَخَمْسَ عَشْرَةَ. رواه أَبُو داود[٢].

ترجمة الراوي:

قتادة بن مِلْحان: هو قتادة بن مِلْحان القيسي الجُريري مسح النبي ﷺ على وجهه فكان يملؤه الصفاء والبشر والاستنارة والبهاء كأنما علاه الدُّهن.

قال أبو العلاء بن عُمير الجُريري: كنت عند قتادة بن مِلْحان حين حُضِر [جاءه الموت] فمرّ رجل في أقصى الدار فأبصرتُه في وجه قتادة وكنت إذا رأيته كأن على وجهه الدِّهان. وكان رسول الله ﷺ مسح وجهه[٣]. وفي رواية: أنه لما كبر بلى منه كل شيء غير وجهه[٤] نزل العراق وسكن البصرة وليس له إلا هذا الحديث المذكور[٥].

غريب الألفاظ:

أيام البيض: هذا على حذف المضاف، يريد أيام الليالي البيض، وهي: الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر، وسميت لياليها بيضًا لأن القمر يطلع فيها من أولها إلى آخرها[٦].

---

(١) لفظ أبي داود: (أن نصوم البيض) والمثبت لفظ أحمد في المسند (٢٠٣٢١)، وكذا عند المنذري.

(٢) برقم (٢٤٤٩). قال الحافظ في الإمتاع (ص: ٢٢٧): هذا حديثٌ صحيحٌ، وهذا المتن من أصحِّ ما ورد في تعيين أيام البيض. أورده المنذري في ترغيبه (١٥٣٤).

(٣) أخره أحمد ٢٨/٥، رقم ٢٠٣١٧، وقال محققو المسند: إسناده صحيح ٤٢٨/٣٣.

(٤) أخرجه ابن شاهين كما في الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي.

(٥) الطبقات (٤٣/٧) والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٦١٧، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود (٣٧٠/٤) والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ١٠٦٧، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين (١٠٤/٦) وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني (٤٣١/٣).

(٦) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ب ي ض).

الشرح الأدبي

إن المخاطب يشعر بأهمية هذه الأيام، لأن الرسول الكريم ﷺ كان يأمر بصيامها، ولذا قال الراوي: " يأمرنا " بصيغة المضارع الدال علي الاستمرار والتجدد. وجاء بالضمير " نا " ليؤكد حب النبي للجميع، وأن الأمر من الأهمية بحيث لا يختص به أحد دون أحد، وفي هذا الحديث ملمح جديد عن الأحاديث السابقة، والتي حددت أيام الصيام بالثالث عشر، والرابع عشر، والخامس عشر، وهو وصفها بكلمة: " البيض " كناية عن الأيام التي يكتمل فيها القمر فيملأ ضوؤه الكون عندما يصير بدرا في هذه الأيام الثلاثة.

المضامين الدعوية[1]

(١) تقدم ذكرها مدمجة في شرح الحديث رقم ١٢٦٠.

الحديث رقم (١٢٦٦)

١٢٦٦- وعن ابن عباس رضي الله عنهما، قَالَ: كَانَ رسولُ اللهِ ﷺ لاَ يُفْطِرُ أَيَّامَ البِيضِ في حَضَرٍ وَلاَ سَفَرٍ. رواه النسائيُّ[١] بإسنادٍ حسن.

ترجمة الراوي:

عبد الله بن عباس: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

غريب الألفاظ:

أيام البيض: أيام الليالي البيض، وهي: الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر، وسميت لياليها بيضًا لأن القمر يطلع فيها من أولها إلى آخرها[٢].

الشرح الأدبي

بني الحديث علي الأسلوب الخبري، حيث يخبر " ابن عباس رضي الله عنه " عن طرف من عبادة رسول الله ﷺ خلال هذه الأيام " البيض ". فكان لا يفطر فيها، لا في حضر ولا في سفر. وقد طبق ما قرره في الحديث السابق – علي نفسه الطاهرة، فهو من الذين يفعلون ما يَأْمُرون به، وهو ما أن يكون عليه الدعاة المقتدون به أن يلتزموا بما يدعون إليه الناس لأن ذلك أدعى لامتثاله، ولأن تركهم الالتزام بما يقولون يصبح دعاية سيئة مضادة لما يقولون، فيدعون لله بالقول، ويصدون الناس بالفعل، وهو أمر جد خطير، وبين كلمتي: " حضر وسفر " طباق وحصر يستوعب الزمان، أي في زمن السفر، وفي زمن الحضر مما يعنى تأكيد عدم تركها، لأن اللفظين يوضحان المعني ويبرزانه، فالمسلم لابد أن يتواجد في واحد منهما. وقدم " الحضر " علي " السفر "، لأنه الأصل، والنفس البشرية تأنس الاستقرار، والصلات الاجتماعية التي تتحقق من خلال الإقامة في مكان معين. والحديث يعد ترغيبا بنقل فعل الرسول ﷺ الذي يقررها سنة فعلية يتهافت عليها بعده المحبون المقتدون في كل زمان، ومكان.

المضامين الدعوية[٣]

---

(١) في المجتبى (٢٣٤٥)، وفي الكبرى (٢٦٦٦).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ب ي ض).

(٣) تقدم ذكرها مدمجة في شرح الحديث رقم ١٢٦٠.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً - التربية بالوصية:

لقد وصّى النبي ﷺ - كما في أحاديث الباب - صحابيين جليلين بثلاثة أشياء: صوم ثلاثة أيام من كل شهر، وصلاة الضحى، وصلاة الوتر قبل النوم، وفي هذه الوصية لهما حكمة تناسب أحوالهما وتلاءم استعداداتهما وقدراتهما، ومما ييسر لهما العمل الصالح والمداومة على الطاعة والمواظبة على فعل الطيبات فيحصلان ما حصّل غيرهما من الثواب والفضل، قال ابن القيم: (وإنما وصى أبا هريرة بذلك، لأنه قد روى أن أبا هريرة كان يختار درس الحديث بالليل على الصلاة، فأمر بالضحى بدلاً من قيام الليل، ولهذا أمره ألا ينام حتى يوتر، ولم يأمر بذلك أبا بكر وعمر وسائر الصحابة)[1].

إذ أن الوصية من الأساليب التربوية ذات الخصوصية التي تكون لبعض الأتباع والناشئة نظرًا لأسباب وأحوال معينة، والتي تعتمد على التفاوت والاختلاف فيما بين الأتباع ونحوهم، فهي لبعضهم قد تكون من أنجح الوسائل التربوية وأفيد طرق التوجيه والإرشاد، فعلى المربين أن يستخدموها في مواضعها وأحوالها الصحيحة حتى تؤتي ثمارها المرجوة منها، وقد مضى الكلام عن التربية بالوصية باستفاضة فليرجع إليها[2].

ثانيًا- من أسباب نجاح التربية: الحميمية بين المربي ومن يربيهم:

قال أبو هريرة رضي الله عنه: أوصاني خليلي ﷺ بثلاث، كما قال أبو ذر رضي الله عنه: أوصاني حبيبي بثلاث" مما يدل على أن العلاقة بين الرسول ﷺ وبينهما علاقة مودة ومحبة وقرب بل علاقة أكثر من ذلك، إنها تخطت علاقة المعلم بطلابه والمرشد بمن يرشدهم والموجه بمن يوجههم إلى علاقة المحب بأحبائه والخليل بأخلائه، وفي ذلك نجاح من قبل المربي أن جذبهم إليه وحببهم بأخلاقه وشمائله فيه، فاستقرّ حبه في قلوبهم وتمكن منها وتخللت محبته أفئدتهم فملأتها فلم يعرفوا حبيبًا غيره ولا خليلاً سواه، ولذا كانوا

---

(١) زاد المعاد ٣٥٧/١.

(٢) وذلك في الباب رقم ٢٠٦.

يفعلون ما يأمرهم به بحب وإقبال وإذعان، بل يسارعون إلى ذلك ما استطاعوا من مسارعة ويقبلون على ذلك أيما إقبال، ويبادرون إلى الامتثال ما وسعتهم المبادرة وأمكنهم الفعل، وما ذلك إلا لأن القلوب امتلأت حبًّا ومودة وإجلالاً لهذا المربي العظيم وهذا المعلم الفريد، لذا لم يتركوا ما أوصاهم بها طيلة حياتهم ومدة عمرهم، عبر عن ذلك أبو ذر ﷺ بقوله: "أوصاني حبيبي بثلاث لن أدعهن ما عشت" وهكذا يكون الحب وهكذا تكون العلاقة وهكذا تكون التربية، إن التربية لا تكون بالأوامر والنواهي الجافة التي لا يكتب لها الحياة إلا قليلاً، لأنها خرجت من قلوب لا تحمل الحب إلى المقول إليهم، وهم بدورهم لم يحسُّوا بهذا الحب من ناحية القائل، فلم ينتقلوا إلى مرحلة الاعتزاز والحب لما يقوله، بل اكتفوا بهزّ أكتافهم إشعارًا بأن فهموا أو سمعوا وظلُّوا على هذا الحال وهذه الهيئة. إن علاقة بهذا الشكل بين المربي وأتباعه علاقة لن تثمر تربية صالحة تفاعلية، بل إنها ستثمر تربية جافة شكلية ثمرها شكله طيب، لكن طعمه مرّ لا يطاق.

إن المربي إذا أراد النجاح لتربيته فعليه أن يجعل العلاقة بينه وبين أتباعه علاقة محبة ومودة تقوم على التحام القلوب قبل التحام الأجساد والأبدان، وتعتمد على تفاعل الأفئدة وتراحمها قبل تفاعل الهيئات والأشكال، إن المربي وإن فعل ذلك تمكن من أن يفعل أكثر ما يفعله السيف والمدفع والتهديد والوعيد. وصدق الله تعالى إذ قال: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ﴾(1).

ثالثًا - التربية على تحصيل الثواب طوال العام:

لقد رغب النبي ﷺ في صيام ثلاثة أيام من كل شهر بأن أخبر أن ذلك يكون كصوم السنة كلها: "صوم ثلاثة أيام من كل شهر صوم الدهر كلّه"، فالمسلم مما لاشك فيه يودّ لو أنه حصّل الثواب طوال العام ومدة السنة، لكنه قد يعجز عن فعل الصالحات والأعمال الطيبة التي تحقق له هذه الغاية العليا والهدف الأسمى، نظرًا

---

(1) آل عمران، آية: ١٥٩.

لطبيعته وتقصيره وإهماله ونسيانه وغفلته، فدله الشارع الحكيم على ما يحقق هذا بأقل العمل وما هو في قدرته واستطاعته، ومثال هذا قوله ﷺ: ((مَنْ صَامَ رَمَضَانَ، ثُمَّ أَتْبَعَهُ سِتًّا مِنْ شَوَّال، كَانَ كَصِيَامِ الدَّهْرِ))[1].

وفي رأينا أن التربية على ذلك فيها من الفوائد التربوية الكثير والتي منها:

أ- التربية على الانشغال بالعمل الصالح والإعداد لفعله والتلبس به، وهذا له تأثيره الذي لا يخفى على تهذيب الأخلاق وإصلاح السلوك وإقامة المعاملات على الوجه الصحيح.

ب - مراعاة الطبيعة البشرية للناشئة فهم بشر يعيشون في هذه الدنيا التي تشغلهم بما فيه مصلحة لهم وليس فيه ضرر على دينهم، من سعي على المعاش والأولاد ونحو ذلك، مما يجعلهم غير متفرغين كثيرًا من الوقت لأداء النوافل والتطوعات، لذا كان إرشادهم إلى ما يناسب طبيعتهم ومشاغلهم تلك، والذي يمكنهم من تحصيل الثواب مع عدم إضاعة المصالح الدنيوية.

ج - تربية الناشئة وغيرهم على المداومة على العمل وإن قلّ وفي هذا تعويد لهم على الوسطية والاعتدال في جميع شؤونهم ومختلف أحوالهم، فهم لا يهملون النوافل مطلقًا، ولا هم كذلك ينهمكون فيها حتى تشغلهم عن أمور دنياهم، إنهم وسط بين ذلك.

والخلاصة أن على المربين أن يرشدوا أتباعهم إلى الأعمال التي تجعلهم يحصلون الفضل والثواب طوال العام، وأكثر الأوقات، إننا مثلاً في مجال التعليم لو ربّى المعلم طلابه على أن يستذكروا المواد المدرسية ساعات محدودة من اليوم، ويداوموا على ذلك، لأمكنهم أن يحصلوا أعلى الدرجات وأفضل المستويات طوال العام الدراسي، فضلاً عن آخره الذي يبين ترتيب الطلاب الأوائل، والأغلب أنهم سيكونون منهم.

وهكذا الحال والشأن في مختلف مجالات التربية والتعليم والإرشاد.

رابعًا - من أساليب التربية: الجمع بين التوجيه الخاص والتوجيه العام:

وجّه النبي ﷺ أبا ذر رضي الله عنه فقال له: "إذا صمت من الشهر ثلاثًا فصم ثلاث عشرة

---

(١) أخرجه مسلم ١١٦٤ من حديث أبي أيوب رضي الله عنه.

وأربع عشرة وخمس عشرة" فكان هذا توجيهًا خاصًا من النبي ﷺ إلى أبي ذر رضي الله عنه، أما التوجيه العام للصحابة رضي الله عنهم فهو ظاهر في حديث قتادة بن ملحان رضي الله عنه: كان رسول الله ﷺ يأمرنا بصيام أيام البيض ثلاث عشرة وأربع عشرة وخمس عشرة".

إذًا فقد (كان النبي ﷺ يجمع بين التربية والتوجيه الفردي ومن خلال الخطاب الشخصي المباشر، وبين التربية والتوجيه الجماعي، قال ابن مسعود رضي الله عنه: ((عَلَّمَنِي رَسُولُ اللهِ التَّشَهُّدَ. كَفِّي بَيْنَ كَفَّيْهِ))[1] ومن ذلك ما ورد عن غير واحد من أصحابه: أوصاني رسول الله ﷺ.

ومن ذلك حديث معاذ رضي الله عنه: ((يَا مُعَاذُ! أَتَدْرِي مَا حَقُّ اللّهِ عَلَى الْعِبَادِ وما حقُّ العبادِ عَلَى اللّه؟))[2].

وعبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما زوّجه أبوه امرأة فكان يتعاهدها فتقول له: نعم الرجل لم يكشف لنا كنفًا ولم يطأ لنا فراشًا - تشير إلى اعتزاله - فاشتكاه إلى النبي ﷺ، فدعاه فكان معه الحوار الطويل حول الصيام وختم القرآن وقيام الليل[3].

وقد كان هذا الحوار والتوجيه له شخصيًا، بينما نجد أنه ﷺ في مواقف أخر يوجه توجيهًا عامًا، كما في خطبه ولقاءاته وتوجيهات لعامة أصحابه، وهي أشهر من أن تورد وتحصر.

وهنا مأخذ مهم في قصة عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، إذ أن رسول الله ﷺ دعاه وناقشه منفردًا به، بينما نجده في موقف آخر شبيه بهذا الموقف يعالج الأمر أمام الناس، فحين سألت طائفةٌ عن عبادته وتقالُّوها وقالوا ما قالوا صعد المنبر وخطب في الأمر.

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري ٦٢٦٥، ومسلم ٤٠٢.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري ٢٨٥٦، ومسلم ٣٠، ٤٩.

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري ١٩٧٦، ومسلم ١١٥٩.

عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، أَنَّ نَفَرًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ سَأَلُوا أَزْوَاجَ النَّبِيِّ ﷺ عَنْ عَمَلِهِ فِي السِّرِّ؟ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لاَ أَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لا آكُلُ اللَّحْمَ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لاَ أَنَامُ عَلَى فِرَاشٍ، فَحَمِدَ الله وَأَثْنَى عَلَيْهِ فَقَالَ «مَا بَالُ أَقْوَامٍ قَالُوا كَذَا وَكَذَا؟ لكِنِّي أُصَلِّي وَأَنَامُ، وَأَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي»[١].

ومثل ذلك في قصة الذي قال: هذا لكم وهذا أهدي إليّ، فعن أبي حميد الساعدي رضي الله عنه قال: ((استعملَ النبيُّ ﷺ رجلاً من بني أَسد يقال له ابنُ اللتبية على صدَقةٍ، فلما قَدِمَ قال: هذا لكم وهذا أُهديَ لي. فقام النبيُّ صلى الله عليه وسلم على المنبر - قال سفيانُ أيضًا: فصعِدَ المنبر - فحمدَ اللَّهَ وأثنى عليه، ثم قال: ما بالُ العامِلِ نبعثُهُ فيأتي فيقول: هذا لكَم وهذا لي، فهلاّ جلسَ في بيت أبيهِ وأمِّه فينظُرُ أيُهدَى له أم لا؟ والذي نفسي بيده لا يأتي بشيءٍ إلا جاءَ به يومَ القيامةِ يحمله على رقبتِهِ، إن كان بعيرًا له رُغاء، أو بقرةً لها خُوار أو شاةً تَيْعَر - ثم رفعَ يديهِ حتى رأينا عفْرتي إبطَيه - ألا هل بَلَّغتُ؟ ثلاثًا))[٢].

إذن فهناك جوانب يمكن أن تطرح وتناقش بصورة فردية ولا يسوغ أن تطرح بصفة عامة، ولو مع عدم الإشارة إلى صاحبها، لأنها ربما كانت مشكلات فردية لا تعني غير صاحبها، بل قد يكون ضرر إشاعتها أكثر من نفعه.

وهناك جوانب يجب أن تطرح بوضوح وبصورة عامة وتعالج وتناقش أمام الجميع.

والمربي الناجح هو الذي يضع كل شيء موضعه)[٣].

خامسًا- التربية على المداومة على العمل وإن قلّ:

لقد أوصى النبي ﷺ بعض أصحابه على صيام ثلاثة أيام من كل شهر، وهذا فيه مداومة على ذلك، كما أخبر النبي ﷺ أن "صوم ثلاثة أيام من كل شهر صوم

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري ٥٠٦٣، ومسلم ١٤٠١.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري ٧١٧٤، ومسلم ١٨٣٢.

(٣) معالم في المنهج التربوي النبوي، محمد عبدالله الدويش، مجلة البيان، العدد ١٢٥، ص ٣٨-٣٩.

الدهر كله" وهذا حث للمداومة على صيام ثلاثة أيام كل شهر، وهذه المداومة فعلها النبي ﷺ كما أخبرت زوجه عائشة رضي الله عنها أنه لم يكن يبالي من أي الشهر يصوم الثلاثة أيام، كما أمر النبي ﷺ بصيام أيام البيض من كل شهر وفي هذا حث على المواظبة على ذلك، وأخبر ابن عباس رضي الله عنهما عن مداومة الرسول على ذلك فقال: كان رسول الله ﷺ لا يفطر أيام البيض في حضر ولا سفر" فكانت أحاديث الباب كلها تحث نصًا أو إشارة على مداومة صيام ثلاثة أيام من كل شهر، وفي ذلك تربية للمداومة على العمل والمواظبة عليه، ولذا على المربين أن يحرصوا على أن يربوا أتباعهم على المداومة على العمل وإن قلّ، لأن في ذلك عدة فوائد تربوية مهمة، منها:

أ - حصول التأسي بالنبي ﷺ، وهذا عبادة بحد ذاته يؤجر عليه المسلم، ويحصل به بركة متابعة النبي ﷺ.

ب - أن العمل قد أعد له إعدادًا جيدًا، وأخذ نصيبه من الدراسة والمراجعة، ولم يكن نتاج فكرة طائشة أو خاطرة لم تأخذ حقها من التفكير.

ج - المداومة تعني التخصص الذي ينشأ عنه سدّ الثغرات التي قد لا تجد لها مكانًا بين الأفكار الطارئة، وينشأ عنه التوزيع المعتدل للطاقات دون أن تسهم التفاعلات الفكرية والثقافية في تفتيتها أو تركزها في ميدان آخر.

د - المداومة تعني عمق القناعة بالعمل، وأنه لم يكن ناشئًا نتيجة ظرف معين أو خاطر سريع، وهو يعني أن تكون ردة الفعل تجاه الأحداث متزنة، إذ طالما أسهم الانسياق وراء حدث أو ظاهرة مفاجئة في ردة فعل تولد تطرفًا وغلوًا في الاتجاه المقابل.

هـ - المداومة على العمل تقضي على ظاهرة استعجال قطف الثمرة والإجهاض الفكري للمشروعات والبرامج التربوية، وتلك إنما تنشأ عن أولئك الذين لم يستقر لهم قرار في ميدان تربوي أو لم يحققوا مبدأ المداومة في التربية.

و - المداومة تعني انضباط أهداف العمل إذ هي نتاج تفكير هادئ وممارسة وتجارب طويلة وعمل متخصص وليست مجرد حماسة أو ردة فعل تجاه انحراف أو موقف معيّن.

ز - المداومة تعني التدرج في العمل، والسير فيه بخطوات هادئة ثابتة متزنة، تنظر إلى المستقبل بعين واسعة، وأفق أرحب[1].



(١) أدومه وإن قلّ أيضًا، عبدالله المسلم، مجلة البيان، العدد ١٢٥، ص ٥٦-٥٧ بتصرف يسير.

٢٣١ - باب فضل من فطَّر صائمًا وفضل الصائم الذي يؤكل عنده ودعاء الآكل للمأكول عنده

الحديث رقم (١٢٦٧)

١٢٦٧ - عن زيد بن خالد الجُهَنِيِّ ﵁، عن النبي ﷺ، قَالَ: ((مَنْ فَطَّرَ صَائِمًا، كَانَ لَهُ مِثْلُ أجْرِهِ، غَيْرَ أنَّهُ لاَ يُنْقَصُ مِنْ أجْرِ الصَّائِمِ شَيْءٌ)) رواه الترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

زيد بن خالد الجهني: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٧٧).

الشرح الأدبي

لقد بني الحديث علي أسلوب الشرط الذي يحقق عموم الحكم، ويعطيه صلاحية عبر الزمان، والمكان، ويربط الجزاء بالفعل، ويجعل المخاطب حر الاختيار في الصيام أو الفطر بينما يرغبه ببيان العاقبة من خلال الجزاء حيث يحض علي تفطير الصائمين، وتقديم الخير لهم، فما أكثر الأيتام، والمساكين، والفقراء الصائمين، وربما ينقطع السبيل بالصائم في مكان ما، وليس معه زاد أو ماء، وقد يكون تفطير الصائمين لتقوية صلة الرحم، ونزع الأحقاد بين الأقارب، والجيران، وقد كلف المجتمع المسلم أن يرعى مثل هذه الحالات، وغيرها، والتنكير في كلمة: " صائما " يفيد التعميم، فأي صائم يفطره المسلم، سواء يعرفه أم لا يستحق به الجزاء. كما أن التنكير يدل علي القلة فعلي المسلم أن يسعى لإفطار أي عدد من الصائمين، حتى وإن كان " صائما " واحدا. ولما أخبر الرسول أن الأجر محكوم عليه بالمثلية، طمأن ذلك الشخص الذي يفطر عند هذا، أو ذلك، طمأنه علي أجر صيامه فقال :"غير أنه لا ينقص من أجر

---

(١) برقم (٨٠٧). وصحّحه ابن خُزيمة (٢٠٦٤)، وابن حبان (الإحسان ٣٤٢٩). أورده المنذري في ترغيبه (١٥٩٦).

الصائم شيء) وهو احتراس يحفظ لكل واحد منهما ثواب عمله غير منقوص، والله أكرم، وأبر.

فقه الحديث

يشير الحديث إلى الحكم التالي:

أنه يستحب للصائم أن يفطر الصائمين وأن له مثل أجره[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل من فطر صائمًا.

ثانيًا: من أهداف الدعوة: الحث على التعاون بين المدعوين.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل الله على عباده.

أولاً - من موضوعات الدعوة: فضل من فطر صائمًا:

هذا واضح من الحديث، وقد بوب ابن حبان على هذا الحديث في صحيحه: ذكر تفضل الله جل وعلا بإعطاء المفطِّر مسلمًا مثل أجره[2].

وقد روى عن النبي ﷺ: وذلك من حديث سلمان الفارسي رضي الله عنه الذي قال: خطبنا رسول الله ﷺ ، في آخر يوم من شعبان، قال: "يا أيها الناس قد أظلكم شهر عظيم مبارك، شهر فيه ليلة خير من ألف شهر"، الحديث وفيه: "وشهر يزاد في رزق المؤمن فيه، من فطر فيه صائمًا كان مغفرَةَ لذنوبه وعتقًا لرقبته من النار. وكان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجره شيء. قالوا: يارسول الله: ليس كلنا يجد ما يفطر الصائم، فقال رسول الله ﷺ: يعطي الله هذا الثواب من فطر صائمًا على تمرة أو على شربة ماء أو مذقة لبن"[3].

---

(١) أسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا بن محمد بن أحمد الأنصاري ٤٢٣/١، كشاف القناع ٣٣٣/٢.

(٢) صحيح ابن حبان ٢١٦/٨، رقم ٣٤٢٩.

(٣) أخرجه ابن خزيمة في صحيحه ١٨٨٧، ثم قال: إن صح الخبر، ا. هـ. وفي إسناده على بن زيد بن جدعان، وهو ضعيف كما في تقريب التقريب، ٣٧/٢، وينظر الترغيب والترهيب للمنذري، ص ٢٣٢-٢٣٣.

وقد أخرج عبدالرزاق بإسناده عن يحيى بن أبي كثير عن أبي هريرة: دعته امرأة ليفطر عندها ففعل، وقال: إني أخبرك أنه ليس من رجل يفطر عند أهل بيت إلا كان لهم مثل أجره، فقالت: وددت أنك تتحيّن - أو نحو ذلك - لتفطر عندي. قال: إني أريد أن أجعله لأهل بيتي[(١)].

وإفطار الصائم داخل في إطعام الطعام الذي هو من صفات خير المسلمين، فعن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ: "أى الإسلام خير؟ قال: تطعم الطعام، وتقرأ السلام، على من عرفت ومن لم تعرف"[(٢)].

ففي هذا الحديث الحث على إطعام الطعام والجود والاعتناء بنفع المسلمين[(٣)].

(وإطعام الطعام يشمل بذله للمحتاج وتقديمه للضيف، وإقامة الولائم، بل يشمل بإشارته معونة المسلم بماله، أيًا كان نوع المعونة، وأيًا كان المال طعامًا أو شرابًا، أو مسكنًا أو لباسًا أو نقدًا)[(٤)].

ثانيًا - من أهداف الدعوة: الحث على التعاون بين المدعوين:

وهذا واضح من الحث على تفطير الصائم، لأنه ربما لا يجد بعض الصائمين ما يفطرون عليه، فكان هذا الحديث دافعًا إلى التعاون والتكافل فيما بين المدعوين، وهذا الحديث أخرجه النسائي في الكبرى، وابن حبان بلفظ: "من جهز غازيًا أو حاجًا أو خلفه في أهله أو أفطر صائمًا، كان له مثل أجره من غير أن يُنْقَص من أجورهم شيء"[(٥)].

وقد بوب ابن حبان على هذا الحديث: ذكر البيان بأن المجهز إنما يأخذ كحسنات الغازي من أجر غزاته تلك حتى يكون له مثل أجره من غير أن ينقص من أجر الغازي

---

(١) أخرجه عبدالرزاق ٣١١/٤، رقم ٧٩٠٨

(٢) أخرجه البخاري ١٢، ومسلم ٣٩.

(٣) انظر شرح صحيح مسلم للنووي ١٠/٢/١ .

(٤) الأدب النبوي، محمد عبدالعزيز الخولي، ١٧٢.

(٥) أخرجه النسائي في الكبرى، ٣٣١٦، وابن حبان، ٤٦٣٣.

شيء، وكذلك الخالف في أهله بخير"[١]. وقال الطيبي: (نظم الصائم في سلك الغازي، لانخراطهما في معنى المجاهدة مع أعداء الله، وقدّم الجهاد الأكبر)[٢]، وقال ابن تيمية: "إن الغزو يحتاج إلى جهاد بالنفس وجهاد بالمال، فإذا بذل هذا بَدَنَه، وهذا مَالَه مع وجود الإرادة الجازمة في كل منهما، كان كل منهما مجاهداً بإرادته الجازمة ومبلغ قدرته، وكذلك لابد للغازي من خليفة في الأهل، فإذا خلفه في الأهل بخير فهو أيضًا غاز، وكذلك الصيام لابد فيه من إمساك، ولابد فيه من العشاء الذي به يتم الصوم، وإلا فالصائم الذي لا يستطيع العشاء لا يتمكن من الصوم"[٣].

وقال ابن عثيمين: "وذلك أن من نعمة الله سبحانه وتعالى على عباده بأن شرع لهم التعاون على البر والتقوى، ومن ذلك: تفطير الصائم، لأن الصائم مأمور بأن يفطر، وأن يعجل الفطر، فإذا أُعين على هذا فهو نعمة الله عز وجل، ولهذا قال النبي ﷺ: (من فطر صائمًا، كان له مثل أجره، غير أنه لا يُنْقَص من أجر الصائم شيء).

واختلف العلماء: المراد بتفطيره أن يشبعه، لأن هذا هو الذي ينفع الصائم طول ليله، وربما يستغني به عن السحور.

ولكن ظاهر الحديث أن الإنسان لو فطّر صائمًا ولو بتمرة واحدة، فإنه له مثل أجره؛ لهذا ينبغي للإنسان أن يحرص على إفطار الصائمين بقدر المستطاع لا سيما مع حاجة الصائمين وفقرهم، أو حاجتهم، لكونهم لا يجدون من يقوم بتجهيز الفطور لهم وما أشبه ذلك" [٤].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: فضل الله على عباده:

وهذا واضح من الحديث، فقد جعل الله لمن فطر صائمًا مثل أجره دون أن ينقص من أجره شيئاً. وهذا فضل من الله عظيم ومنة منه كبيرة. قال ابن تيمية: "جمع الناس

---

(١) صحيح ابن حبان ٤٩١/١٠.

(٢) شرح الطيبي على المشكاة، ١٥٥/٤.

(٣) مجموع الفتاوى ٥٧٦/٥.

(٤) شرح رياض الصالحين ١٤١٦/٢ - ١٤١٧.

للطعام في العيدين وأيام التشريق سنة، وهو من شعائر الإسلام التي سنها رسول الله ﷺ للمسلمين، وإعانة الفقراء بالإطعام في شهر رمضان هو من سنن الإسلام، فقد قال النبي ﷺ: "من فطر صائمًا فله مثل أجره". وإعطاء فقراء القراء ما يستعينون به على القرآن عمل صالح في كل وقت، ومن أعانهم على ذلك كان شريكهم في الأجر"(١).

وسئل ابن تيمية عن رجل توفى وأوصى أن يصلى عنه بدراهم، فأجاب بأن هذا لا يجوز ثم قال: "لكن هذه الدراهم التي أوصى بها يتصدق بها عنه، ويخص بالصدقة أهل الصلاة، فيكون للميت أجر، وكل صلاة يصلونها ويستعينون عليها بصدقته، يكون له منها نصيب من غير أن ينقص من أجر المصلى شيء، كما قال النبي ﷺ: " من فطر صائمًا فله مثل أجره"، وقال: "من جهز غازيا فقد غزا"(٢)"(٣).

وقد قال النبي ﷺ: "لن ينجى أحدًا منكم عملُه. قالوا: ولا أنت يارسول الله؟ قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة ...." الحديث(٤).

وذكر ابن حجر أقوالاً للعلماء في الجمع بين هذا الحديث، وقوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾. ثم قال: "قال ابن الجوزي: يتحصل عن ذلك أربعة أجوبة:

الأول: أن التوفيق للعمل من رحمة الله، ولولا رحمة الله السابقة ما حصل الإيمان ولا الطاعة التي يحصل بها النجاة.

الثاني: أن منافع العبد لسيده، فعمله مستحق لمولاه، فمهما أنعم عليه من الجزاء فهو من فضله.

---

(١) مجموع الفتاوى ١٣/١٦٠.

(٢) أخرجه البخاري ٢٨٤٣، ومسلم ١٨٩٥.

(٣) مجموع الفتاوى ١٥/٤١٨.

(٤) أخرجه البخاري ٦٤٦٣، ومسلم ٢٨١٦.

الثالث: جاء في بعض الأحاديث أن نفس دخول الجنة برحمة الله، واقتسام الدرجات بالأعمال.

الرابع: أن أعمال الطاعات كانت في زمن يسير والثواب لا ينفد، فالإنعام الذي لا ينفد في جزاء ما ينفد بالفضل، لا بمقابلة الأعمال[1].

(١) فتح الباري، ١١/٢٩٦ .

الحديث رقم (١٢٦٨)

١٢٦٨- وعن أُمِّ عُمَارَةَ الأنصاريَّةِ ﵂: أنَّ النبيَّ ﷺ دَخَلَ عَلَيْهَا، فَقَدَّمَتْ إِلَيْهِ طَعَامًا، فَقَالَ: ((كُلِي)) فَقَالَتْ: إنِّي صَائِمَةٌ، فَقَالَ رسول الله ﷺ: **((إنَّ الصَّائِمَ تُصَلِّي عَلَيْهِ المَلائِكَةُ إذَا أُكِلَ عِنْدَهُ حَتَّى يَفْرغُوا))** وَرُبَّمَا قَالَ: **((حَتَّى يَشْبَعُوا))** رواه الترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

أم عمارة الأنصارية: هي نسيبة بنت كعب بن عمرو بن عوف الأنصارية النجارية، الفاضلة المجاهدة، أخواها وزوجها وابناها من الصحابة الذين أبلوا بلاء حسنًا في الإسلام.

أسلمت قديمًا فشهدت بيعة العقبة الثانية وبايعت النبي ﷺ وشاركت في الغزوات، فقد شهدت أحدًا والحديبية وفتح مكة وحُنينًا وموقعة اليمامة.

وكان لها موقفان عظيمان يوم أحد واليمامة، فأما يوم أحد فقد شهدته هي وزوجها وابناها: حبيب وعبدالله وكانت تسقي المسلمين، فلما انهزموا وانكشفوا عن رسول الله ﷺ ثبتت تقاتل وتدافع عنه حتى جرحت ثلاثة عشر جرحًا. قالت: فانحزت إلى رسول الله ﷺ فجعلت أباشر القتال وأذب عن رسول الله ﷺ بالسيف وأرمي بالقوس حتى خلصت إليّ الجراح. وقد جرحت جرحًا غائرًا بسبب تصديها لابن قُميئة الذي أقبل يصيح: دلوني على محمد فلا نجوت إن نجا. فاعترضه مصعب بن عمير وناس معه وهي فضربها على عاتقها فردت عليه بضربات، كما أنها قتلت فارسًا من المشركين قبل أن تتمكن منها الجراح فتتوقف عن القتال.

وروى أن النبي ﷺ قد أثنى على فعلها وحمد لها موقفها يومئذ، فَرُوِيَ عنه أنه قال: ما التفتُ يوم أحد يمينًا ولا شمالاً. إلا وأراها تقاتل دوني[2].

---

(١) برقم (٧٨٥). وصحّحه ابن خُزيمة (٢١٢٨)، وابن حبان (الإحسان ٣٤٣٠). أورده المنذري في ترغيبه (١٥٩٨).

(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٤١٥/٨) بإسناد فيه الواقدي وهومتروك.

وَرُويَ عنه كذلك أنه قال: ((لمقام نسيبة بنت كعب اليوم خير من مقام فلان وفلان))[1]، لذا بعث إليها عمر بن الخطاب -وهو خليفة- بثوب ثمين، تقديرًا منه لموقفها هذا.

أما يوم اليمامة فكان يومها ويوم ولديها، فأما ابنها حبيب بن زيد بن عاصم فقتله مسيلمة الكذاب، وأما ابنها عبدالله بن زيد فهو الذي قتل مسيلمة بسيفه.

أما هي فقد قاتلت حتى جرحت أحد عشر جرحًا وقطعت يدها، فلما عادت إلى المدينة جاءها أبو بكر الصديق -وهو خليفة- يسأل عنها ويطمئن عليها[2].

غريب الألفاظ:

تصلي عليه الملائكة: تستغفر له[3].

الشرح الأدبي

هذا الحوار بين (أم عمارة) ورسول الله ﷺ يدل علي الجانب الإنساني، والاجتماعي في شخصية المصطفي، ولما رآها لم تتناول الطعام، وعلم أنها صائمة قدم إليها بعض الأخبار السارة فقال: "إن الصائم تصلي عليه الملائكة إذا أكل عنده حتى يفزعوا". وأكد المضمون بإن، واسمية الجملة،والفعل المضارع" تصلي"والصلاة من الملائكة: (دعاء واستغفار). وهذا الدعاء، وهذا الاستغفار من الملائكة مجابي الدعوة، مستمر إلي أن ينتهي الآكلون من طعامهم. ولعل هذا التكريم، وهذا الدعاء

---

(١) أخرجه ابن سعد (٤١٥/٨) بإسناد فيه الواقدي.

(٢) الطبقات (٤١٢/٨)، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٩٥٨، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود (٢٦٩/٧، ٣٦٠) والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ١٨٢٤، والسير (٢٧٨/٢)، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين (٥٩٨/٨)، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني (٦٩٩/٤)، والأعلام، خير الدين الزركلي (١٩/٨) وموسوعة عظماء حول الرسول ﷺ (١٩١٧/٣، ٢١٥٧).

(٣) دليل الفالحين ١٣٨٠.

قد صدر في مثل هذه المواقف لتعويض الصائمين عن تحملهم مشقة شهوة الجوع أمام الآكلين بجوارهم. والله أعلم.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الأمر.

ثانيًا: من آداب المدعو: إخبار الداعية بحاله حتى يبين له ما يليق به.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل الصائم الذي يؤكل عنده.

أولاً- من أساليب الدعوة: الأمر:

هذا واضح من قوله ﷺ "كلي" وهذا أمر ليس على سبيل الوجوب ولا الندب، وإنما هو لبيان الإباحة، فلما قال لها النبي ﷺ ذلك، أخبرته أنها صائمة. فأخبرها ﷺ بفضل الصائم الذي يؤكل عنده. وكان هذا الإخبار مترتبًا على هذا الأمر وإخبارها رسول الله ﷺ أنها صائمة.

ثانيًا - من آداب المدعو: إخبار الداعية بحاله حتى يبين له ما يليق به:

هذا واضح من قول أم عمارة الأنصارية: إني صائمة، فأخبرها النبي ﷺ، بفضل من يكون صائمًا ويؤكل عنده. ولو أنها لم تخبره بحالها وفعلت ما طلبه منها من الأكل على سبيل الإباحة - لربما لم يخبرها ﷺ، بذلك الفضل.

ومن هذا القبيل ما روته عائشة رضي الله عنها قالت: أمرني رسول الله ﷺ، أن أناوله الخُمْرة[1] من المسجد، فقلت: إني حائض. فقال: تناوليها فإن الحيضة ليست في يدك[2].

قال النووي: (قال القاضي عياض[3]: معناه أن النبي ﷺ. قال لها ذلك من المسجد أى وهو في المسجد، لتناوله إياها من خارج المسجد، لا أن النبي ﷺ. أمرها أن تخرجها له من المسجد، لأنه ﷺ. كان في المسجد معتكفًا. وكانت عائشة في حجرتها وهى حائض، لقوله ﷺ: "إن حيضتك ليست في يدك" فإنما خافت من إدخال

---

(١) قال الخطابي: هى السجادة يسجد عليها المصلى. شرح صحيح مسلم للنووي ٢/٣/٢١٢.

(٢) أخرجه مسلم، ٢٩٨.

(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٢/١٣١.

يدها المسجد، ولو كان أمرها بدخول المسجد، لم يكن لتخصيص اليد معنى"[١].

وقال أبو هريرة رضي الله عنه: ((إن النبي صلى الله عليه وسلم لقيه في بعض طريق المدينة وهو جنب. فانخنَسْتُ منه[٢]، فذهب فاغتسل ثم جاء فقال: أين كنت يا أبا هريرة؟ قال: كنت جنبًا، فكرهت أن أجالسك وأنا على غير طهارة. فقال: سبحان الله إن المسلم لا ينجس))[٣].

قال النووي: "هذا الحديث أصل عظيم في طهارة المسلم حيًا وميتًا"[٤]. وقال ابن حجر: في هذا الحديث استحباب استئذان التابع للمتبوع إذا أراد أن يفارقه لقوله: "أين كنت؟ فأشار إلى أنه لا يفارقه حتى يعلمه، وفيه استحباب تنبيه المتبوع لتابعه على الصواب وإن لم يسأله)[٥].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: فضل الصائم الذي يؤكل عنده:

وهذا واضح من قول النبي صلى الله عليه وسلم: إن الصائم تصلى عليه الملائكة إذا أكل عنده حتى يفرغوا، وربما قال: "حتى يشبعوا". قال المباركفوري: "أى دعت له الملائكة بما صبر مع وجود المرغب"[٦].

وقال: قوله "تصلي عليه الملائكة"، أى: تستغفر له "إن الصائم إذا أكل عنده" أي ومالت نفسه إلى المأكول واشتد صومه عليه)[٧].

وبوب ابن حبان على هذا الحديث: ذكر استغفار الملائكة للصائم إذا أكل عنده حتى يفرغوا[٨].

وقد أخرج عبدالرزاق بإسناده عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: الصائم

---

(١) شرح صحيح مسلم ٢١٣/٣/٢.

(٢) أي مضيت عنه مستخفيًا. فتح الباري، ٤٢٥/١.

(٣) أخرجه البخاري ٢٨٣، ومسلم ٣٧١.

(٤) شرح صحيح مسلم ٦٨/٤/٢.

(٥) فتح الباري ٤٢٥/١.

(٦) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٩٦٥/١.

(٧) السابق ٩٦٥/١.

(٨) صحيح ابن حبان ٢١٦/٨، الحديث ٣٤٣٠.

إذا أكل عنده الطعام صلت عليه الملائكة[1].

ولعل سبب هذا الفضل أن الصائم جمع بين فضيلتين: إطعام الطعام، وفضيلة: الصبر على الصوم مع أن إطعامه الطعام يجعل نفسه تحدثه بالفطر، وخاصة أنه يرى غيره يتناول الطعام، فلما صبر على هذا مع إطعامه الطعام استحق أن تستغفر الملائكة له. فوقع له الخير من عدة جهات: صومه وصبره وإطعامه الطعام. والله أعلم.

(١) أخرجه عبدالرزاق في المصنف ٣١٢/٤، وانظر مصنف ابن أبي شيبة، ٨٦/٣.

الحديث رقم (١٢٦٩)

١٢٦٩- وعن أنسٍ رضي الله عنه : أنَّ النبيَّ ﷺ جاءَ إلَى سعد بن عبادة رضي الله عنه فجَاءَ بِخُبْزٍ وَزَيْتٍ، فأكَلَ، ثُمَّ قَالَ النبي ﷺ : ((**أفْطَرَ عِنْدَكُمُ الصَّائِمُونَ؛ وَأكَلَ طَعَامَكُمُ الأَبْرَارُ، وَصَلَّتْ عَلَيْكُمُ المَلاَئِكَةُ**)) رواه أَبُو داود[1] بإسناد صحيح.

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

الأبرار: جمع بَرٍّ وهو الصالح[2].

الشرح الأدبي

هذا المشهد يدل علي التواصل،والتزاور الذي كان موجودا بين خاتم الرسل، وأصحابه الأخيار، فبعد أن ذهب إلي " سعد بن عبادة "، و أكل عنده من خبزه وزيته :ونوعية الطعام تشير إلى تواضع النبي ﷺ، ورضاه بفضل الله ثم دعا له بقوله: " أفطر عندكم الصائمون. الخ " وهذه العبارات خبرية لفظا إنشائية معني، لأنها تقوم علي الدعاء بأن يوجه الله له الصائمين ليفطروا عنده، وأن يرزقه الله بالأبرار الذين يأكلون طعامه، وأن تصلي عليه الملائكة. ومن الجدير بالذكر أن صيغة الجمع في قوله: " الصائمون –الأبرار– الملائكة ". تشير إلى تكثير الخير من وجهين أولهما أن كثرة الآكلين تدل على كثرة الطعام، فهو دعاء ضمنا بكثرة الخير كما أن فيه دعاء ضمنا برفقة الصالحين التي يكتنفها الخير من كل ناحية، وثانيا أن كثرة الصائمين، والأبرار معناها تضاعف الأجر بتفطيره إياهم، كما مر في الحديث أن من فطر صائما كان له مثل أجره ، وهذا الدعاء يؤكد حب النبي ﷺ" لسعد رضي الله عنه"، ومن ملامح

---

(١) برقم (٣٨٥٤). قال الحافظ ابن حجر في التلخيص (١٩٩/٣): إسناده صحيحٌ.

(٢) الوسيط في (ب ر ر).

حبه هذا أنه يدعو أن يتوجه إليه صائمون، وأبرار كثيرون، يفطرون عنده، ويأكلون من طعامه فيدعون له، وتصلي عليه الملائكة، ويؤجر من ربه. والله أعلم.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل سعد بن عبادة رضي الله عنه.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: استحباب الزيارة.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: دعاء المدعو والضيف لأهل الطعام إذا فرغ من أكله.

أولاً - من موضوعات الدعوة: فضل سعد بن عبادة رضي الله عنه:

ذلك واضح من مجيء النبي ﷺ إليه وأكله عنده. قال الذهبي عنه: "السيد الكبير الشريف أبو قيس الخزرجي الساعدي المدني، النقيب سيد الخزرج. له أحاديث يسيرة وهى عشرون بالمكرر. مات قبل أوان الرواية..... قال أبو الأسود عن عروة: إنه شهد بدرًا، وقال جماعة: ما شهدها.

قال ابن سعد: كان يتهيأ للخروج إلى بدر، ويأتي دور الأنصار يحضهم على الخروج، فنهش، فأقام، فقال النبي ﷺ: ((لئن كان سعد ما شهد بدرًا، لقد كان حريصًا عليها))[1].

قال: "أي ابن سعد": وكان عَقَبِيًا نقيبًا سيدًا جوادًا ولما قدم النبي ﷺ المدينة كان يبعث إليه كل يوم جفنة[2] من ثريد اللحم أو ثريد بلبن أو غيره. فكانت جفنة سعد تدور مع رسول الله ﷺ في بيوت أزواجه.

وقال البخاري في تاريخه: إنه شهد بدرًا وتبعه ابن منده ... قال موسى بن عقبة والجماعة: إنه أحد النقباء ليلة العقبة.

قال أنس: لما بلغ رسول الله ﷺ إقبالُ أبي سفيان - أي في غزوة بدر - قال: أشيروا عليّ فقام أبو بكر فقال: اجلس، فقام سعد بن عبادة، فقال: لو أَمرتَنا يا رسولَ

---

(١) قال محققو السير: الخبر عند ابن سعد في الطبقات ١٤٣/٦، والمستدرك للحاكم ٢٥٢/٣، كلاهما من طريق الواقدي، وهو متروك.

(٢) الجَفْنَة: القصعة جمعها جفان وجَفَنات. القاموس المحيط في (ج ف ن).

الله ﷺ أن نُخيضَها البحرَ، لأخضناها، ولو أَمرتنا أن نضرِبَ أكبادَها إلى بَرْكِ الغِمادِ لفعلنا[١] [٢].

وقال ابن سيرين: كان سعد بن عبادة يرجع كل ليلة إلى أهله بثمانين من أهل الصفة يعشيهم قلت: "القائل الذهبي": كان ملكًا شريفًا مطاعًا وقد التفت عليه الأنصار يوم وفاة رسول الله ﷺ ليبايعوه، وكان موعوكًا. حتى أقبل أبو بكر والجماعة، فردوهم عن رأيهم فما طاب لسعد.

قال أبو عبيد: مات سنة أربع عشرة بحوران)[٣].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: استحباب الزيارة:

وهذا واضح من قول أنس بن مالك رضي الله عنه "إن النبي ﷺ. جاء إلى سعد بن عبادة رضي الله عنه فجاء بخبز وزيت فأكل". ففي هذا الحديث زيارة النبي ﷺ. لأصحابه ومن ذلك أيضًا حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ، زار أهل بيت من الأنصار فطعم عندهم طعامًا، فلما أراد أن يخرج، أمر بمكان من البيت فنضح له على بساط، فصلى عليه ودعا لهم[٤]. وبوب البخاري على هذا الحديث: باب الزيارة ومن زار قومًا فطعم عندهم، قال ابن حجر: "قوله (باب الزيارة) أى مشروعيتها، (ومن زار قومًا فطعم عندهم)، أى من تمام الزيارة أن يقدم للزائر ما حضر، قاله ابن بطال، وهو مما يثبت المودة، ويزيد في المحبة ... وفي الحديث استحباب الزيارة ودعاء الزائر لمن زاره وطعم عنده"[٥].

وقد كان الصحابة يتزاورون من ذلك ما رواه أبو جحيفة رضي الله عنه قال: «آخى النبيُّ ﷺ بينَ سَلمانَ وأبي الدَّرداءِ، فزارَ سَلمانُ أبا الدَّرْداء، فرأى أمَّ الدَّرداءِ متبذِّلةً

---

(١) برك الغماد: موضع وراء مكة المكرمة بخمس ليالٍ، بناحية الساحل. وقيل: بلد باليمن. وقيل: موضع بأقصى هجر. أطلس الحديث النبوي، د. شوقي أبو خليل ، ص٦٥٧ ، ومراجعه ومصادره.

(٢) أخرجه مسلم ١٧٧٩.

(٣) سير أعلام النبلاء، ١/ ٢٧٠-٢٧٧.

(٤) أخرجه البخاري ٦٠٨٠.

(٥) فتح الباري ١٠/ ٥٠٠.

فقال لها: ماشأنُك؟ قالت: أخوكَ أبو الدَّرداءِ ليسَ لهُ حاجةٌ في الدُّنيا. فجاءَ أبو الدَّرداءِ فصنَعَ لهُ طَعامًا فقال له: كل، قال: فإني صائمٌ، قال: ماأنا بآكِلٍ حتى تأكُلَ. قال: فأَكلَ. فلمّا كان الليلُ ذهبَ أبو الدرداءِ يقومُ، قال: نَمْ، فنام. ثم ذهبَ يقومُ، فقال: نَمْ. فلمّا كانَ مِن آخِرِ الليلِ قال سَلمانُ: قُمِ الآنَ، فصلّيا. فقال له سَلمانُ: إنَّ لِربِّك عليكَ حقًا، ولنفسِكَ عليكَ حقًا ولأهلِكَ عليكَ حقًا فأعْطِ كلَّ ذي حَقٍّ حقَّه. فأتى النبي ﷺ فذَكرَ ذلكَ له، فقال له النبي ﷺ: صَدَقَ سَلمانُ»[1].

قال ابن حجر: "وفي هذا الحديث من الفوائد مشروعية المؤاخاة في الله، وزيارة الإخوان والمبيت عندهم"[2].

وقد ورد في فضل الزيارة أحاديثُ منها: حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا. قالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَن عَادَ مَرِيضًا أَوْ زَارَ أَخًا لَهُ فِي الله نَادَاهُ مُنَادٍ أَنْ طِبْتَ وَطَابَ مَمْشَاكَ وَتَبَوَّأْتَ مِنَ الْجَنَّةِ مَنْزِلاً»[3].

جاء في الموسوعة الفقهية: (تسن زيارة الصالحين والإخوان، والأصدقاء، والجيران، والأقارب وصلتهم، وينبغي أن تكون زيارتهم على وجه يرتضونه، وفي وقت لا يكرهونه. كما يستحب أن يطلب من أخيه الصالح أن يزوره ويكثر زيارته إذا لم يشق ذلك)[4].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: دعاء المدعو والضيف لأهل الطعام إذا فرغ من أكله:

وهذا واضح من قول النبي ﷺ. "لما فرغ من الطعام قال: ((أفطر عندكم الصائمون وأكل طعامكم الأبرار، وصلت عليكم الملائكة)). قال ابن علان: "ثم قال النبي ﷺ". أى بعد تمام الأكل: (أفطر عندكم الصائمون) أى أثابكم الله إثابة من فطر صائمًا، فهى خبرية لفظًا، دعائية معنى، كجملة (وأكل طعامكم الأبرار) جمع

---

(١) أخرجه البخاري ١٩٦٨.

(٢) فتح الباري ٤/٢١١.

(٣) أخرجه الترمذي ٢٠٠٨، وحسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٦٣٣)، وانظر فتح الباري ١٠/٥٠٠.

(٤) الموسوعة الفقهية ٢٤/٨١ ومصدرها.

بَرّ وهو التقى. (وصلت عليكم الملائكة) أي استغفرت لكم"[١].

وروى عبدالله بن بسر رضي الله عنهما قال: نزل رسول الله ﷺ. على أبي قال: فقربنا إليه طعامًا ووَطْبَة[٢]، فأكل منها. ثم أتى بتمر فكان يأكله ويلقي النوى بين إصبعيه ويجمع السبابة والوسطى. ثم أتى بشراب فشربه. ثم ناوله الذي عن يمينه، قال: فقال أبي: وأخذ بلجام دابته، ادع الله لنا. فقال اللهم بارك لهم فيما رزقتهم واغفر لهم وارحمهم[٣].

قال النووي: (فيه استحباب طلب الدعاء من الفاضل، ودعاء الضيف بتوسعه الرزق والمغفرة والرحمة، وقد جمع ﷺ في هذا الدعاء خيرات الدنيا والآخرة)[٤].

---

(١) دليل الفالحين، ١٣٨١، وانظر عون المعبود، ١٦٤٥.

(٢) الوطبة: بفتح الواو وإسكان الطاء: الحيس، أي قربه يجمع فيه بين التمر والأقط والسمن، النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (و ط ب).

(٣) أخرجه مسلم، ٢٠٤٢.

(٤) شرح صحيح مسلم ٢٣٨/١٣/٧ ط دار عالم الكتب.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- التربية على السخاء:

لقد رغب النبي ﷺ في تفطير الصائم فأخبر بأن من فعل ذلك كان له مثل أجر الصائم، كما أن النبي ﷺ لما دخل بيت أم عمارة الأنصارية رضي الله عنها قدمت له طعامًا، فكان ذلك من دلائل السخاء والكرم، كما صنع سعد بن عبادة طعامًا للنبي ﷺ فأكل منه، وهذا من أفعال الأسخياء الكرماء، فكانت في هذه الأحاديث دلالة على التربية على السخاء والجود والكرم، وهذا له تأثير تربوي مهم جدًا على الناشئة وغيرهم، "فالسخاء يقوم على الشعور بأن للمال قيمة تستدعي عدم الإسراف في إنفاقه، وأن للحياة الفاضلة مطالب يبذل المال في سبيلها غير مأسوف عليه، فهو بذل ما ينبغي في الوجه الذي ينبغي الإنفاق فيه.

فمن أطلق يده في اتباع الشهوات فهو مسرف، ومن قبضها عن الإنفاق في وجوه الخير فهو بخيل، أما السخاء فكان بين ذلك قوامًا.

وبما أن السخاء يقوم على الرحمة، وقلة الحرص على جمع المال - كان متصلاً بفضائل أخرى تعد من مقومات الهمة العالية، ومن مظاهرها الجلية، فالسخي في أغلب أحواله يأخذ بالعفو ويتحلى بالحلم، ويجري في معاملاته على الإنصاف، فيؤدي حقوق الناس من تلقاء نفسه وإذا قضى كان عادلاً فلا تطمع نفسه إلى رشوة ولا تحدثه أن يأخذ حق ضعيف إلى قوي.

ولتجدن السخي متواضعًا لا يطيش به كبر، ولا تستخفّه الخيلاءُ، ولتجدنه أقرب الناس إلى الشجاعة وعزة النفس، وإنما يخسر الإنسان الشجاعة والعزة بشدة حرصه على متاع الحياة الدنيا.

وإذا اتصف المرء بالسخاء زكت نفسه ولانت عريكته وقاده سخاؤه إلى أن يترقى في المكارم، وأن يتطهر من المساوئ والمعايب فالسخي قريب من كل خيّر وبرٍّ.

ولقد جرت سنة الله بأن السخي بحق يفوز بالحياة الطيبة، ولا تكون عاقبته إلا الرعاية من الله والكرامة، فلما كان السخي رحيمًا بالفقراء والمساكين والمحتاجين،

حريصًا على إسعادهم وإدخال السرور والبهجة في نفوسهم، كان جزاؤه من جنس عمله.

وللسخاء أثر في سيادة الأمة، فالأمة تبلغ القدر الأسمى من السيادة بحفظ دينها وسعة معارفها وسمو أخلاقها وصيانة أعراضها، ونباهة ذكرها ومتانة اتحادها وحماية أوطانها.

وكل هذه المقاصد الرفيعة الشأن - إنما تتحقق بالمال الذي يبذله الأسخياء من الناس"(١).

ثانيًا- من صفات المربي الناجح : مخالطة من يقوم بتربيتهم:

لقد دخل النبي ﷺ بيت الصحابية أم عمارة الأنصارية رضي الله عنها وقدمت له طعامًا، كما ذهب النبي ﷺ إلى سعد بن عبادة رضي الله عنه وأكل من الطعام الذي قدّمه له، ثم دعا له، وفي هذا دلالة على أن المربي يدخل بيوت أتباعه ويخالطهم ويؤاكلهم ويشاربهم ويلاطفهم ويمازحهم بما هو حق وليس بباطل، ولا شك أن هذه المخالفة تؤتي بفوائد تربوية مهمة جدًا، منها:

(أ) نشر الألفة والمودة والمحبة بين المربي ومن يقوم بتربيتهم والعناية بشؤونهم، وهذا هو السبيل لتمكين المربي من غرس القيم التربوية في نفوس أتباعه، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن الأتباع يكونون مقبلين على هذه القيم وتلك المبادئ والالتزام بها وتطبيقها في حياتهم ومختلف شؤونهم.

(ب) الاقتداء بالمربي والتأسي به، فهم يرونه ويشاهدونه بينهم ويشاهدون أفعاله وأعماله ويسمعون أقواله ويتابعون حركاته، وهم في كلّ ذلك معلقة أبصارهم به، ليحاولوا أن يكونوا مثله، فالمعايشة سهلت أمر الاقتداء وأعانت عليه.

(ج) علاج الخلل والانحرافات التي تقع من الناشئة وغيرهم بصورة فورية وعاجلة، بحيث لا يسمح لهذه الانحرافات وذلك الخلل أن تستقر في نفوسهم وأذهانهم بل تصل إليهم الصورة الصحيحة واضحة جلية ماثلة أمام أعينهم.

---

(١) الهمة العالية: معوقاتها ومقوماتها، محمد بن إبراهيم الحمد ص ١٦٦ - ١٦٧ بتصرف.

ثالثًا- المشاركة الوجدانية:

لقد أعدت الصحابية أم عمارة الأنصارية رضي الله عنها طعامًا وهي صائمة، ليأكل منه غير الصائمين، فلم تكتف بأن انشغلت بحال صومها فقط، بل أعدّت طعامًا لغير الصائمين ففي ذلك - في رأينا - مشاركة وجدانية، فعلى المربين أن يغرسوا في نفوس أتباعهم المشاركة الوجدانية والتفاعل مع الأحداث والمجتمع الذي يعيشون فيه، وأن ينفضوا عن كاهلهم عباءة السلبية ودثار اللامبالاة وشعار الأنانية، لأن في تربيتهم على المشاركة الوجدانية عدة فوائد تربوية مهمة، منها:

(أ) إحساسهم بدورهم المهم في المجتمع الذي يعيشون فيه،ومن ثم يحرصون على زيادة مساحة هذا الدور وتعميقه وتأصيله، وهذا يعود على المجتمع كما يعود عليهم بالنفع.

(ب) سد الحاجات الدائمة والطارئة التي تطرأ والعمل على كفايتها والقيام بتبعاتها ولوازمها، وفي هذا نشر لروح التكافل الاجتماعي الذي هو صمام أمن المجتمع.

(ج) نشر روح المودة بين المجتمع وتقليل مساحات الاختلاف والتنازع بين فئاته ما أمكن، والعمل على الاجتماع على المتفق عليه، وأن يعذر بعضهم بعضًا فيما اختلفوا فيه، وفي هذا جمع لوحدة الكلمة واتحاد الصف وقوة البنيان الاجتماعي.

رابعًا- من أساليب التربية: الدعاء للغير:

لما أكل النبي ﷺ من طعام سعد بن عبادة رضي الله عنه دعا له فقال: (أفطر عندكم الصائمون وأكل طعامكم الأبرار وصلت عليكم الملائكة)، فكان دعاءً بالخير وبالزيادة منه، فقد دعا النبي ﷺ بأن يأكل عنده الصائمون وفي هذا تحصيل لمثل أجور الصائمين، وهذا أجر عظيم وثواب كثير، وزاد النبي ﷺ بأن يأكل طعامهم الأبرار الذين هم لا يأكلون إلا الحلال الخالص ولا يدخلون إلا بيوت الصالحين الأتقياء، كما أن في حضورهم إلى البيت جلبًا للخير والنفع، فهم أينما حلّوا حلّ معهم الخير والنفع والبركة، كما أنهم يدعون لأصحاب الطعام، وفي هذا توجه إلى الله بأن يجازيهم الخير في الدنيا والآخرة، ولم يكتف النبي ﷺ بذلك فحسب بل زاد أيضًا

بأن تصلي عليهم الملائكة، وفي ذلك زيادة للدرجات ورفعة في المراتب والمقامات، لأن صلاة الملائكة دعاء ورجاء إلى الله رب العالمين.

والمقصود أن في هذا الحديث كان الدعاء من أساليب التربية والتهذيب، فأدى دورًا تربويًا مهمًا جدًّا، يتضح ذلك فيما يلي:

(أ) أن هذا الدعاء من أفضل صور الشكر، ففيه توجه إلى الله الكريم العظيم الواسع الرازق بأن يكافئهم ويجازيهم على فعلهم هذا، وفي ذلك إحالة لأن يثيبهم الله خير الثواب، فالبشر مهما أَعْطَوْا لن تعدل مكافآتهم مثقال ذرة من ثواب الله وفضله.

(ب) إن في هذا الدعاء تعليمًا للناشئة وغيرهم أن يلتزموا واجب الشكر لمن قام لهم وقدم إليهم معروفًا ولو كان صغيرًا، والقيام بشكر الناس شكر لله تعالى، وخلق الشكر خلق أساس.

(ج) في هذا حث لمن صنع المعروف أن يستزيد ويداوم على ذلك ويستمر، كما أنه من ناحية أخرى تشجيع لغيره أن يفعل مثله أو أفضل منه.

(د) في الدعاء ربط للأتباع وغيرهم بالله عز وجل والخضوع والإذعان له، والتوجه إليه وطلب العون والمدد منه سبحانه وتعالى، وفي ذلك تقوية لهم وتدعيم لقلوبهم وشد لأفئدتهم.



٩- كتَاب الاعْتِكَاف

٢٣٢- باب فضل الاعتكاف

الحديث رقم (١٢٧٠)

١٢٧٠- عن ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: كَانَ رسولُ اللهِ ﷺ يَعْتَكِفُ العَشْرَ الأوَاخِرَ مِنْ رَمَضَانَ. متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١١).

الشرح الأدبي

بني الحديث علي الأسلوب الخبري، حيث يخبر الأمة عن وضع الرسول الكريم في عبادته لله تعالي، واستخدام كان للرجوع في الزمان وتقرير العادة في الفعل أي أن هذا حاله في كل سنة في آخر شهر رمضان، والفعل المضارع: "يعتكف"، يدل علي استمرارية النبي ﷺ في هذا العمل حتى فارق الدنيا. و"الاعتكاف" يأتي من مادة "العكوف" أو "عكف" وهذا يوحي بأهمية ما يعكف عليه من ذكر الله تعالي، أو قراءة للقرآن، أو مجلس للعلم النافع، أو تسبيح أو تهليل للواحد الأحد -جل في علاه-. وجعل اعتكافه في "العشر الأواخر من رمضان" تحريا لليلة القدر التي هي خير من ألف شهر خالية منها. و"من" في قوله: "من رمضان" للتبعيض. وإذا كان رسول الله الذي غفر له ما تقدم من ذنبه، وما تأخر فعل ذلك؛ فالأولي بالمؤمن أن يفعله. والله أعلم.

فقه الحديث

يشير الحديث إلى عدة أحكام منها:

١- حكم الاعتكاف: أجمع الفقهاء على استحباب الاعتكاف وأنه ليس بواجب،

---

(١) أخرجه البخاري (٢٠٢٥) واللفظ له، ومسلم (١١٧١/١).

وأنه متأكد في العشر الأواخر من رمضان[1].

٢- هل يشترط الصيام لصحة الاعتكاف:

ذهب الحنفية[2] والمالكية في المشهور، والشافعي في قول قديم، والحنابلة في رواية، وابن عمر، وابن عباس، وعائشة، والزهري، والليث، والثوري، والحسن بن يحيى إلى اشتراط الصيام لصحة الاعتكاف[3].

واستدلوا على ذلك بما روي عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: ((لا اعتكاف إلا بصوم)). ويناقش هذا بأن هذا الحديث موقوف على السيدة عائشة، ومن رفعه إلى النبي ﷺ فقد وهم، ولو صح فالمراد به الاستحباب فإن الصوم فيه أفضل[4]. كما استدلوا بما روي عن ابن عمر "أن عمر جعل عليه أن يعتكف في الجاهلية، فسأل النبي ﷺ فقال: اعتكف وصم".

ويناقش هذا بأن هذا الحديث تفرد به ابن بديل وهو ضعيف، قال أبو بكر النيسابوري هذا حديث منكر[5].

وذهب الشافعي في الجديد والحنابلة في المشهور إلى عدم اشتراط الصيام لصحة الاعتكاف روي ذلك عن علي وابن مسعود وسعيد بن المسيب والحسن وعطاء وطاووس[6]. واستدلوا على ذلك بما روى عن عمر رضي الله عنه أنه قال: يا رسول الله إني نذرت

---

(١) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني الحنفي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ١٠٨/٢، حاشية الدسوقي ٥٤١/١، مواهب الجليل ٤٦٤/٢، مغني المحتاج ١٨٨/٢، المغني ٦٣/٣، شرح صحيح مسلم ٦٧/٨.

(٢) وذلك في الاعتكاف الواجب، أما اعتكاف التطوع ففي ظاهر الرواية ليس بشرط، وروى الحسن عن أبي حنيفة أنه شرط، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني الحنفي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ١٠٩/٢.

(٣) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني الحنفي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ١٠٩/٢، حاشية الدسوقي ٥٤٢/١، مغني المحتاج ١٩٣/٢، المغني ٦٤/٣.

(٤) المغني ٦٥/٣.

(٥) المغني ٦٥/٣.

(٦) مغني المحتاج ١٩٣/٢، المغني ٦٤/٣.

في الجاهلية أن أعتكف ليلة في المسجد الحرام، فقال النبي ﷺ أوف بنذرك ولو كان الصوم شرطًا لما صلح اعتكاف الليل لأنه لا صيام فيه[١]. ولأنه عبادة تصح في الليل فلم يشترط له الصيام كالصلاة[٢]. ولأن إيجاب الصوم حكم لا يثبت إلا بالشرع ولم يصح فيه نص ولا إجماع[٣].

والراجح هو رأي الشافعية والحنابلة القائل بعدم اشتراط الصوم لصحة الاعتكاف وذلك لقوة دليله، ومناقشته لدليل المخالف.

٢-حكم اشتراط المسجد لصحة الاعتكاف:

ذهب جمهور الفقهاء (المالكية، والشافعية، والحنابلة) إلى أنه لا يصح اعتكاف الرجل والمرأة إلا في المسجد، وأنه لا يصح الاعتكاف في غيره[٤]. واستدلوا على ذلك بقوله تعالى: ﴿وَأَنتُمْ عَـٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَـٰجِدِ﴾[٥] والمراد به المواضع التي بنيت للصلاة فيها وموضع صلاتها في بيتها ليس بمسجد، لأنه لم يبن للصلاة فيه وإن سمي مسجدًا مجازًا[٦].

ولأن الاعتكاف قربة يشترط لها المسجد في حق الرجل فيشترط في حق المرأة كالطواف[٧].

وذهب الحنفية إلى أن المسجد شرط في صحة الاعتكاف بالنسبة للرجل، أما المرأة فيجوز لها أن تعتكف في مسجد الجماعة أو مسجد بيتها، ومسجد بيتها أفضل[٨]

---

(١) المغني ٦٥/٣.

(٢) المغني ٦٥/٣.

(٣) المغني ٦٥/٣.

(٤) حاشية الدسوقي ٥٤٢/١، مغني المحتاج ١٨٩/٢-١٩٠، المغني ٦٦/٣-٦٧، شرح صحيح مسلم ٦٨/٨.

(٥) سورة البقرة، آية: ١٨٧.

(٦) المغني ٦٧/٣.

(٧) المغني ٦٧/٣.

(٨) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني الحنفي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ١١٣/٢.

واستدلوا على ذلك بأن مسجد بيتها موضع فضيلة صلاتها فكان موضع اعتكافها كالمسجد في حق الرجل[١].

ويناقش هذا بأنه لا يصح قياس الاعتكاف على الصلاة، فإن صلاة الرجل في بيته أفضل، ولا يصح اعتكافه فيه[٢].

والراجح هو رأي جمهور الفقهاء القائل بأن المسجد شرط لصحة اعتكاف الرجل والمرأة على السواء، لأن أزواج النبي ﷺ اعتكفن في المسجد مع المشقة في ملازمته، فلو جاز في البيت لفعلنه[٣].

المضامين الدعوية[٤]

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرص النبي ﷺ على اعتكاف العشر الأواخر من رمضان.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الاقتداء بالنبي ﷺ في اعتكاف العشر الأواخر من رمضان.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: شعور النبي ﷺ بدنو أجله واستكثاره من عمل الخير.

رابعًا: من آداب المدعو: استحباب الخلوة والتفرغ للعبادة.

أولاً - من موضوعات الدعوة: حرص النبي ﷺ على اعتكاف العشر الأواخر من رمضان:

يتضح هذا من الحديث (كان رسول الله ﷺ يعتكف العشر الأواخر من رمضان)، وقوله: (كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله)، وهذا يدل على حرص النبي ﷺ على اعتكاف العشر الأواخر من رمضان، قال ابن حجر: "قال ابن بطال: مواظبته ﷺ على الاعتكاف تدل على أنه من السنن المؤكدة وقد روى ابن

---

(١) المغني ٦٧/٣، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني الحنفي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ١١٣/٢.

(٢) المغني ٦٧/٣.

(٣) شرح صحيح مسلم ٦٨/٨.

(٤) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث - ١٢٧٠ - مع المضامين الدعوية للحديث رقم ١٢٧١، ١٢٧٢.

المنذر عن ابن شهاب أنه كان يقول: عجبًا للمسلمين، تركوا الاعتكاف والنبي ﷺ لم يتركه منذ دخل المدينة حتى قبضه الله"[١].

قال القاضي عياض: (وفيه استحباب كونه في العشر الأواخر من رمضان، لمواظبة النبي ﷺ على ذلك لقوله: "كان يعتكف" وأكثر ما يستعمل هذا فيما كان يداوم عليه، مع ما دلت عليه نصوص الآثار من تَكْرَاره، ولأن ليلة القدر مطلوبة في تلك العشر)[٢].

وقال القرطبي: (وإدامته ﷺ الاعتكاف في العشر الأواخر من رمضان إنما كان لمَّا أُبين له أن ليلة القدر فيه، وإلا فقد اعتكف في العشر الأول وفي الوسط على ما تقدم من الأحاديث)[٣].

قال ابن رجب الحنبلي: (وإنما كان النبي ﷺ يعتكف في هذه العشر التي يطلب فيها ليلة القدر، قطعًا لأشغاله، وتفريغًا لباله، وتخليًا لمناجاة ربه وذكره ودعائه، وكان يحتجر حصيرًا، يتخلى فيها عن الناس فلا يخالطهم ولا يشتغل بهم)[٤].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: الاقتداء بالنبي ﷺ في اعتكاف العشر الأواخر من رمضان:

حيث جاء في الحديث: (كان ﷺ يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله تعالى، ثم اعتكف أزواجه من بعده)، وفي اعتكاف زوجاته ﷺ بعده دليل على ضرورة الاقتداء بالنبي ﷺ، قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[٥].

---

(١) فتح الباري ٤/٣٣٤.

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٤/١٥١،

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ٣/٢٤٨.

(٤) لطائف المعارف، فيما لمواسم العام من الوظائف، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: ياسين محمد السواس ص ٤٣٨.

(٥) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

قال القاضي عياض: "والاعتكاف معناه: اللزوم والإقامة، ولما كان المعتكف ملازمًا للعمل بالطاعة مدة اعتكافه لزمه هذا الاسم، وهو في عرف الشرع اللزوم على طاعة مخصوصة، ويسمى أيضًا جِوَارًا. وأما أحاديث اعتكاف النبي ﷺ ففيها أنها عبادة مرغبٌ فيها اقتداء بفعل النبي ﷺ ليست بواجبة، وقد أجمع المسلمون على ذلك فيها، وأنه يصح أن تكون بصوم، وإن لم يكن مشترطًا لها ومختصًا بها لاعتكافه في رمضان فالصوم مختص به، ولا خلاف في هذا الاعتكاف للتطوع به، وفي هذه الأحاديث جواز الاعتكاف في رمضان وشوال ويقاس عليهما غيرهما من الشهور، وجوازه أول الشهر ووسطه وآخره لفعل النبي ﷺ ذلك.

ولا خلاف أنه لا حد لأكثره لمن نذره، ولا لأقله واستحب أن يكون أكثره عشرة أيام اقتداء بالنبي ﷺ واختلف في أقله، وعن مالك رضي الله عنه في ذلك روايتان قال: (أقله يوم وليلة، وقال: عشرة أيام، وذلك فيمن نذر اعتكافًا مبهمًا)"[1].

وقال القرطبي: "الاعتكاف في اللغة: هو ملازمة الشيء والإقامة فيه وهو في الشرع: ملازمة طاعة مخصوصة على شرط مخصوص، في موضع مخصوص، وأُجمع على: أنه ليس بواجب وهو قربة من القرب، ونافلة من النوافل، عمل بها رسول الله ﷺ وأصحابه وأزواجه رضي الله عنهم، ويكره الدخول فيه لمن يخاف عليه العجز عن الوفاء بحقوقه"[2].

جاء في فتح الملهم: " والاعتكاف أجمع المسلمون على استحبابه وأنه ليس بواجب وعلى أنه متأكد في العشر الأواخر من رمضان، ومذهب الشافعي وأصحابه وموافقيهم أن الصوم ليس بشرط لصحة الاعتكاف، بل يصح اعتكاف المفطر، ويصح اعتكاف ساعة واحدة ولحظة واحدة، وضابطه عند أصحابنا: مُكْثٌ يزيد على طمأنينة الركوع أدنى زيادة، هذا هو الصحيح وفيه خلاف شاذ في المذهب، ولنا وجه: أنه يصح اعتكاف المار في المسجد من غير لبث، والمشهور الأول، فينبغي لكل جالس في المسجد

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٤/١٥٠ - ١٥١.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ٣/٢٤٠.

لانتظار صلاة أو لشغل آخر من آخرة أو دنيا ، أن ينوي الاعتكاف فيحسب له ويثاب عليه ما لم يخرج من المسجد ، فإذا خرج ثم دخل جدد نية أخرى، وليس للاعتكاف ذكر مخصوص ولا فِعْل آخر سوى اللبث في المسجد بنية الاعتكاف.

ولو تكلم بكلام دنيا أو عمل صنعة من خياطة أو غيرها لم يبطل اعتكافه، وقال مالك وأبو حنيفة والأكثرون: يشترط في الاعتكاف الصوم فلا يصح اعتكاف مفطر، واحتجوا بهذه الأحاديث، واحتج الشافعي باعتكافه ﷺ في العشر الأول من شوال[1]، وبحديث عمر رضي الله عنه قال: يا رسول الله إني نذرت أن أعتكف ليلة في الجاهلية فقال: ((أوف بنذرك))[2] ورواه البخاري ومسلم. والليل ليس محلاً للصوم، فدل على أنه ليس بشرط لصحة الاعتكاف.

وفي هذه الأحاديث أن الاعتكاف لا يصح إلا في المسجد، لأن النبي ﷺ وأزواجه وأصحابه رضي الله عنهم إنما اعتكفوا في المسجد مع المشقة في ملازمته، فلو جاز في البيت لفعلوه ولو مرة لا سيما النساء لأن حاجتهن إليه في البيوت أكثر، وهذا الذي ذكرناه من اختصاصه بالمسجد وأنه لا يصح في غيره هو مذهب مالك والشافعي وأحمد وداود والجمهور سواء الرجل والمرأة، وقال أبو حنيفة: يصح اعتكاف المرأة في مسجد بيتها وهو الموضع المهيأ من بيتها لصلاتها، قال: ولا يجوز للرجل في مسجد بيته، وكمذهب أبي حنيفة قول قديم للشافعي ضعيف عند أصحابه، وجوزه بعض أصحاب مالك وبعض أصحاب الشافعي للمرأة والرجل في مسجد بيتهما، ثم اختلف الجمهور المشترطون المسجد العام، فقال الشافعي ومالك وجمهورهم: يصح الاعتكاف في كل مسجد. وقال أحمد: يختص بمسجد تقام الجماعة الراتبة فيه. وقال أبو حنيفة: يختص بمسجد تصلى فيه الصلوات كلها. وقال الزهري وآخرون: يختص بالجامع الذي تقام فيه الجمعة. وأجمعوا على أنه لا حدّ لأكثر الاعتكاف"[3].

---

(١) أخرجه البخاري ٢٠٣٣، ومسلم ١١٧٢.

(٢) أخرجه البخاري ٢٠٣٢، ومسلم ١٦٥٦.

(٣) فتح الملهم بشرح صحيح مسلم ٢٦٨/٦.

قال النووي: "ويسمى الاعتكاف جِوَارًا، وقد دلت الأحاديث على استحباب الاعتكاف وتأكيد استحبابه في العشر الأواخر من رمضان، وقد أجمع المسلمون على استحبابه وأنه ليس بواجب وعلى أنه متأكد في العشر الأواخر من رمضان"(١).

قال ابن رجب: "والخلوة المشروعة لهذه الأمة هي الاعتكاف في المساجد، خصوصًا في شهر رمضان، وخصوصًا في العشر الأواخر منه، كما كان النبي ﷺ يفعله فالمعتكف قد حبس نفسه على طاعة الله وذكره، وقطع عن نفسه كل شاغل يشغله عنه، وعكف بقلبه وقالبه على ربه وما يقربه منه فما بقي له هم سوى الله، وما يرضيه عنه"(٢).

قال ابن القيم: "ومقصود الاعتكاف وروحه عكوف القلب على الله تعالى وجمعيته عليه، والخلوة به والانقطاع عن الاشتغال بالخلق والاشتغال به وحده سبحانه بحيث يصير ذكره وحبه والإقبال عليه في محل هموم القلب، وفطرته فيستولي عليه بدلها، ويصير الهم كله به، والخطرات كلها بذكره، فيصير أنسه بالله بدلاً عن أنسه بالخلق، فيعدّه بذلك لأنسه به يوم الوحشة في القبور، حين لا أنيس له، ولا ما يفرح به سواه فهذا هو مقصود الاعتكاف الأعظم"(٣).

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: شعور النبي ﷺ بدنو اجله واستكثاره من عمل الخير.

حيث جاء في الحديث: (فلما كان العام الذي قبض فيه اعتكف عشرين يومًا)، قال ابن حجر: "والسبب في ذلك أنه ﷺ علم بانقضاء أجله فأراد أن يستكثر من أعمال الخير ليبين لأمته الاجتهاد في العمل، إذا بلغوا أقصى العمل ليلقوا الله على خير أحوالهم، وقيل السبب فيه أن جبريل عليه السلام كان يعارضه بالقرآن في كل رمضان مرة فلما كان العام الذي قبض فيه عارضه به مرتين، فلذلك اعتكف قدر ما كان

---

(١) شرح صحيح مسلم ٧٢٨.

(٢) لطائف المعارف، فيما لمواسم العام من الوظائف، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: ياسين محمد السواس ص ٣٤٨.

(٣) زاد المعاد ٢/٨٧.

يعتكف مرتين"(١).

ومما لا شك فيه، أن واجب المسلم أن يستزيد من أعمال الخير لتكون نجاته في الآخرة، قال تعالى: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾(٢)، وقال سبحانه: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا﴾(٣).

قال السعدي: (والأمر بالاستباق إلى الخيرات، قدر زائد على الأمر بفعل الخيرات، فإن الاستباق إليها يتضمن فعلها وتكميلها وإيقاعها على أكمل الأحوال، والمبادرة إليها، ومن سبق في الدنيا إلى الخيرات فهو السابق في الآخرة إلى الجنات، فالسابقون أعلى الخلق درجة، والخيرات تشمل جميع الفرائض والنوافل، من صلاة وصيام وزكاة وحج وعمرة وجهاد ونفع متعد وقاصر)(٤).

ووصف الله المؤمنين بقوله: ﴿أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾(٥).

وقد جاء في الحديث عن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: ((يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي . وَأَنَا مَعَهُ حِينَ يَذْكُرُنِي. إِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ، ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي. وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلأ، ذَكَرْتُهُ فِي مَلأ هُمْ خَيْرٌ مِنْهُمْ. وَإِنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شِبْرًا، تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا. وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا، تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا. وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي، أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً))(٦).

رابعًا - من آداب المدعو: استحباب الخلوة والتفرغ للعبادة:

إن المسلم يحتاج ما بين الحين والآخر إلى الاختلاء بنفسه، وخلو قلبه من الشواغل

---

(١) فتح الباري ٤/٣٣٤.

(٢) سورة المزمل، آية: ٢٠.

(٣) سورة البقرة، آية: ١٤٨.

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٥٥.

(٥) سورة المؤمنون، آية: ٦١.

(٦) أخرجه البخاري ٧٤٠٥، ومسلم ٢٦٧٥ واللفظ له.

الدنيوية للتفرغ لعبادة ربه، ويستنبط هذا من سياق الأحاديث والإخبار فيها بأن النبي ﷺ كان يحرص على الاعتكاف في العشر الأواخر من رمضان.

جاء في الموسوعة الفقهية: "وحكمة الاعتكاف، أن الاعتكاف فيه تسليم المعتكف نفسه بالكلية إلى عبادة الله تعالى، لطلب الزلفى، وإبعاد النفس من شغل الدنيا التي هي مانعة عما يطلبه العبد من القربى، وفيه استغراق المعتكف أوقاته في الصلاة إما حقيقة وإما حكمًا، لأن المقصد الأصلي من شرعية الاعتكاف انتظار الصلاة في الجماعات، وتشبيه المعتكف نفسه بالملائكة الذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، ويسبحون الليل والنهار لا يفترون"(١).

وجاء فيها أيضًا عن الخلوة: "الخلوة بمعنى الانفراد بالنفس في مكان خال، الأصل فيها الجواز، بل قد تكون مستحبة إذا كانت للذكر والعبادة، ولقد حبب الخلاء إلى النبي ﷺ قبل البعثة، قال النووي: "الخلوة شأن الصالحين، وعباد الله العارفين"(٢).

وقال ابن قدامة: (وأما العزلة فمن فوائدها الفراغ للعبادة، والاستئناس بمناجاة الله سبحانه، فإن ذلك يستدعي فراغًا، ولا فراغ مع المخالطة، فالعزلة وسيلة إلى ذلك خصوصًا في البداية، قيل لبعض الحكماء: إلى أي شيء أفضى بهم الزهدُ والخلوة؟ قال: إلى الأنس بالله. وقال أويس القرني رضي الله عنه: ما كنت أرى أن أحدًا يعرف ربه فيأنس بغيره. وأعلم أن من تيسر له بدوام الذكر الأنس بالله، أو بدوام الفكر تحقيق معرفة الله، فالتجرد لذلك أفضل من كل ما يتعلق بالمخالطة"(٣).

إن الخلوة والتفرغ للعبادة تصفي قلب المؤمن من الشواغل، وتجعله يُقْبِل على العبادة والطاعة، ومن ثم كان أنسب الأوقات لذلك شهر رمضان خاصة في العشر الأواخر منه كما كان يفعل النبي ﷺ.

"إن من أبرز الآثار التي يتركها الصوم بالصائم، ازدياد تعلقه بالخير، وشغفه

---

(١) الموسوعة الفقهية ٢٠٧/٥.

(٢) المرجع السابق ٢٦٦/١٩.

(٣) مختصر منهاج القاصدين ص ١١٩.

بالعبادة وتلاوة القرآن، ولهذا كان العشر الأواخر من رمضان، وهي الفترة التي تصفو فيها النفس، وتخلص الروح، خير ميدان للتنافس على نفحات الفضل الإلهي والتسابق إلى فردوس التجليات العلوي، ونظم هذا التنافس، ورسم طريقه ليلة القدر التي جعلها الله سرًا بين هذه الليالي العشر، فكان الصائم إزاءها كالعاشق الذي يوقن بقدوم حبيبه، ولكنه لا يعلم الساعة التي يصل فيها، فتراه قليل الغمض دائم السهر، لهفان الفؤاد، كلما داعبت مخيلته محاسن حبيبه وأغرق في تذكره والتفكر فيه، فهو في كل ليلة من ليالي العشر الأواخر من رمضان، وكل ساعاتها يترقب ليلة القدر ليفوز بها. هذا ولا يقتصر استحباب الاعتكاف في المسجد على شهر رمضان، ولكنه سنة مؤكدة، وعبادة محببة في جميع أيام السنة ولا بد له من النية، والخلو من كل ما يحرم معه المكث في المسجد كالحيض والنفاس والجنابة، ويبطله طروء هذه الأشياء، ويقطعه الخروج من المسجد"[١].

---

(١) العبادات في الإسلام، د. محمد عبده ص ٢٧٩ - ٢٨٠.

الحديث رقم (١٢٧١)

١٢٧١ - وعن عائشة رضي الله عنها: أَنَّ النبيَّ ﷺ كَانَ يَعْتَكِفُ العَشْرَ الأَوَاخِرَ مِنْ رَمَضَانَ، حَتَّى تَوَفَّاهُ اللهُ تَعَالَى، ثُمَّ اعتَكَفَ أزْوَاجُهُ مِنْ بَعْدِهِ. متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

الشرح الأدبي

تخبر أم المؤمنين (عائشة) – بهذا الحديث – عن عبادة الرسول ﷺ أثناء العشر الأواخر من رمضان، وقد أوضحت أنه كان حريصا علي سنة الاعتكاف حتى توفاه الله تعالي. وقولها: " ثم اعتكف أزواجه من بعده " والتعبير بالاعتكاف يوي بأهمية المعتكف عليه لأن الإنسان لا يعتكف إلا على النفيس لأن الاعتكاف يستنفذ الوقت، وهو ثمين لا ينفق إلا فيما هو أنفس كما أن نسبة الاعتكاف إلى زوجاته يوحي باتصال شعاع النور في عقبه من آل بيته، وأمته لأنهم كانوا يقتدون به في كل ما يقوم به من بر، وطاعة لله رب العالمين. والفعل، والفاعل: " توفاه الله " يدلان علي أن الذي يعلم الآجال والأعمار ، ويتوفى الأنفس هو الله تعالي كما يدل هذا التركيب علي أن المصطفي ﷺ بشر، يجري عليه ما يجري علي البشر من حياة، وموت، وأكل وشرب، إلا أنه يوحي إليه. والله أعلم.

المضامين الدعوية[2]

(١) أخرجه البخاري (٢٠٢٦)، ومسلم (١١٧٢/٥) ولفظهما سواء.

(٢) تقدم ذكرها مدمجة مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١٢٧٢)

١٢٧٢ - وعن أَبي هريرة رضي الله عنه ، قَالَ: كَانَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم يَعْتَكِفُ في كُلِّ رَمَضَانَ عَشْرَةَ أيَّامٍ، فَلَمَّا كَانَ العَامُ الَّذِي قُبِضَ فِيهِ اعْتَكَفَ عِشْرِينَ يَوْمًا. رواه البخاري[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

يؤكد هذا الحديث مضامين الأحاديث السابقة في بيان حرص المصطفي علي سنة الاعتكاف، بيد أن هذا الحديث قد أوضح أن النبي اجتهد في العبادة أكثر واعتكف " عشرين يوما ". وكأنه يعلم بنور الله أنه آخر معتكف له في رمضان فاجتهد ضعف ما كان يجتهد في غيره، وبين الفعلين " يعتكف، واعتكف " جناس يؤكد المعنى الذي يدور حوله الحديث، وهو اعتكاف رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة أيام كل عام، واعتكافه عشرين في العام الذي قبض فيه، ولفظ الاعتكاف له دلالات مؤثرة في تصوير الانقطاع للعبادة بما يتخيله العقل من صلاة، وذكر وقراءة قرآن، وذكر العدد " عشر " و " عشرين " يعضد هذا الانطباع عن عبادة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإخلاصه العمل لله تعالي.

المضامين الدعوية[2]

(١) برقم (٢٠٤٤).

(٢) تقدم ذكرها مدمجة مع مضامين الحديث رقم ١٢٧٠.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً – من وسائل التربية: الاعتكاف:

لقد كان النبي ﷺ يعتكف في العشر الأواخر من رمضان، والظاهر أنه كان يستمر على ذلك حتى توفاه الله، كما أنه ﷺ اعتكف عشرين يومًا في العام الذي قبض فيه، كما أن زوجاته رضي الله عنهن اعتكفن بعده، وقد كان الصحابة رضي الله عنهم يعتكفون مع النبي ﷺ، وهذا مشهور لا يحتاج إلى تدليل أو إثبات، أي أن أحاديث الباب كلها عن الاعتكاف، والذي لاشك فيه أن له شقًا تعبديًا كبيرًا، لكنه من ناحية أخرى فيه شق تربوي لا يخفى، وعنصر تهذيب ظاهر:

أ – ففي الاعتكاف خروج من دائرة الحياة اليومية وتأثيرها الكبير على النفس وانشغالها ودورانها في حركة لا تتوقف من أجل تحصيل مصالح الدنيا ومنافع العيش، مما يجعلها تغفل عن المحاسبة والمراجعة والتعديل والإصلاح، لذا كان في الاعتكاف فرصة ذهبية لأن يراجع كل مسلم حياته فيرى نقاط الإجادة ونقاط التقصير والإهمال فيزيد من الأولى وينقص من الأخرى ما وسعه الجهد والطاقة.

ب – في الاعتكاف عزلة محمودة تتيح للإنسان أن يخلو بنفسه وأن يحادثها عن أمانيه وأحلامه الماضية التي لم تتحقق كما يخبرها عن آماله في المستقبل، ويدرس ذلك بتأنٍ وتؤدة، ويختار ما يستطيع أن يحققه، فيستدرك ما قد يكون فاته، ويعزم على ألا يفوته في المستقبل أن يرى آماله قد حققت في أرض الواقع.

ج – وفي الاعتكاف انشغال بما هو أهم وأجدى وأنفع للإنسان من قراءة القرآن وذكر الله وصلاة وقراءة عن أعلام الصحابة والسلف الصالح، وفي ذلك تعويد له لأن يكون ذلك عادة حياته وفي مختلف مراحلها، فيترك التوافه والصغائر والأمور غير ذي الجدوى أو ذات الجدوى القليلة، التي بتركها لا يكون هناك تأثير ملحوظ على مسيرة الإنسان في هذه الحياة.

د – والأهم مما سبق أن المعتكف يعتكف على طاعة الله ويقيم عليها مدة اعتكافه، فهو يعتكف في أحب الأماكن إليه سبحانه "المساجد"، ويقيم فيها على الطاعة والعبادة والابتهال

والخضوع والخشوع، فلا يكون همه إلا الله ولا مقصوده إلا إياه سبحانه، ولا مراده سواه عز وجل، وبحيث يخرج من الاعتكاف وقد اعتكف قلبه على طاعة الله فحسب، لا ينظر ولا يقصد ولا يبتغي أحدًا سواه، فيكون منيبًا إليه سبحانه، وفي ذلك يقول ابن القيم في كلمات مشرقة: (الإنابة هي عكوف القلب على الله عز وجل، كاعتكاف البدن في المسجد لا يفارقه، وحقيقة ذلك عكوف القلب على محبته وذكره بالإجلال والتعظيم وعكوف الجوارح على طاعته بالإخلاص له والمتابعة لرسوله.

ومن يعكف قلبه على الله وحده، عَكَف على التماثيل المتنوِّعة كما قال إمام الحنفاء [إبراهيم عليه السلام] لقومه: ﴿مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمۡ لَهَا عَٰكِفُونَ﴾[1] فاقتسم هو وقومه حقيقة العكوف، فكان حظ قومه العكوف على التماثيل وكان حظه العكوف على الرب الجليل.

والتماثيل جمع تمثال، وهي الصورة الممثلة، فتعلق القلب بغير الله واشتغاله به، والركون إليه، عكوف منه على التماثيل التي قامت بقلبه، وهو نظير العكوف على تماثيل الأصنام، ولهذا كان شرك عبّاد الأصنام بالعكوف بقلوبهم وهممهم وإراداتهم على تماثيلهم.

فإذا كان في القلب تماثيل قد ملكته واستعبدته، بحيث يكون عاكفًا عليها، فهو نظير عكوف الأصنام عليها، ولهذا سماه النبي ﷺ عبدًا لها، ودعا عليه بالتَّعس والنُّكس، فقال: ((تَعِسَ عبدُ الدِّينارِ وعبدُ الدِّرهمِ، تَعِسَ وانتَكَسَ، وإذا شِيكَ فلا انتقَشَ))[2])[3].

---

(١) سورة الأنبياء، آية: ٥٢.

(٢) أخرجه البخاري ٢٨٨٧ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بنحوه، وقال ابن حجر: قوله تعس بفتح أوله وكسر المهملة ويجوز فتحها وهو ضد: سعد. تقول تعس فلان: أي شقي ... وقوله (وانتكس) بالمهملة أي عاوده المرض... وقوله "إذا شيك فلا انتقش" شيك: بكسر المعجمة وسكون التحتانية بعدها كاف، وانتقش: القاف المعجمة: والمعنى: إذا أصابته الشوكة فلا وجد من يخرجها منه بالمنقاش تقول نقشت الشوك إذا استخرجته... وفي الدعاء بذلك إشارة إلى عكس مقصوده لأن من عثر فدخلت في رجله الشوكة فلم يجد من يخرجها يصير عاجزًا عن الحركة والسعي في تحصيل الدنيا. فتح الباري ١٤١٧/٢، .

(٣) الفوائد ٢٧٧-٢٧٨.

ثانيًا - اغتنام الأوقات الفاضلة:

لقد كان النبي ﷺ يعتكف في العشر الأواخر من رمضان رجاء أن يوافق ليلة القدر، التي هي خير من ألف شهر، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإنه كان يعتكف في رمضان الذي هو من أفضل الشهور ففيه نزل القرآن الكريم وهو شهر الصوم والصبر، ولذا كان ﷺ يجتهد فيه ما لا يجتهد في غيره ويجتهد في العشر الأواخر ما لا يجتهد في غيره، كما أخبرت بذلك عنه زوجه عائشة رضي الله عنها[1] كما أخبرت رضي الله عنها أنه ﷺ ((إذَا دَخَلَ الْعَشْرُ الأَوَاخِرُ مِنْ رَمَضَانَ أَحْيَا اللَّيْلَ، وأَيْقَظَ أَهْلَهُ، وَجَدَّ وَشَدَّ المِئْزَرَ))[2]. فكان ﷺ في هذه الأحاديث وفي غيرها حريصًا أشد الحرص على اغتنام الأوقات الفاضلة التي هي مواسم في العمر والسنين، وعلى ذلك ينبغي على المربين أن يقتدوا به ﷺ، فهو المربي الأول، الذي تمكن من إقامة دولة ظهر فيها نماذج رائعة ممن تربوا على يديه وتعلموا من علمه وتخلقوا بأخلاقه، إن على المربين أن يكونوا هم أول الناس حرصًا على اغتنام الأوقات الفاضلة، حتى يكونوا قدوة لمن يقومون بتربيتهم، ويجمعوا مع ذلك غرس هذا السلوك الطيب في نفوسهم، وفي ذلك عدة منافع تربوية مهمة لهم، منها:

أ - توفير الجهد والطاقة وادخارهما للعمل في هذه الأوقات الفاضلة وملئها بالطاعات والعمل الصالح والنافع، وذلك لتحقيق أفضل النتائج وأحسن الإنجازات ولا يقتصر ذلك على أمور العبادة فحسب وإنما يشمل كذلك أمور الدنيا.

ب - تعويدهم النظام والترتيب والمنهجية في حياتهم وسلوكهم ومعاملاتهم فلا تسير حياتهم هكذا كيفما اتفق، وإنما ينظمونها ويرتبونها حسب الأوقات وفضائلها ومميزاتها، وبهذا تترسخ عادة التنظيم والترتيب في كل شؤون حياتهم بمختلف مراحلها.

ج - إيجاد مساحة معقولة للترفيه المباح واللهو المقبول الذي يساعد النفس على مواصلة مسيرتها في الحياة دون كللٍ ولا مللٍ ولا سآمة، فالنفس تحتاج إلى فترات من

---

(١) أخرجه مسلم ١١٧٥ بلفظ: كان رسول الله ﷺ يجتهد في العشر الأواخر ما لا يجتهد في غيره.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري ٢٠٢٤، ومسلم ١١٧٤.

اللهو تعينها على المثابرة في مواطن العمل والجد والاجتهاد والأوقات الفاضلة، وفي هذا تطويع لوقت الفراغ لمصلحة وقت العمل والجد، لا العكس كما هو واقع ومحسوس في دنيا الناس، فتجد عملهم قليلاً ولهوهم كثيرًا وإنجازهم ضئيلاً وتفريطهم هائلاً.

ثالثًا - التربية بالقدوة:

كان النبي ﷺ يعتكف العشر الأواخر من رمضان، فلما توفاه الله تعالى، اعتكف أزواجه من بعده، أي فعلن مثلما كان يفعل واعتكفن مثلما اعتكف اقتداءً به ﷺ، وفي هذا إشارة تربوية وبيان لأهمية التربية بالقدوة من خلال فعل أزواج النبي ﷺ وفي ذلك إحياء وبيان لهدي النبي ﷺ في الاعتكاف في العشر الأواخر من رمضان حتى يستمر تأثيره ﷺ كما كان أثناء حياته، وهذا يؤكد على أهمية اهتمام المربين بالتربية بالقدوة، وفضل الاقتداء بالنبي ﷺ.

ولعل من أبرز الأمور المؤثرة في الاقتداء ما يلي:

أ - الإخلاص في التربية بأن يُبتغى بها وجه الله ونيل رضاه، لأن الإخلاص هو الإكسير الذي يحفظ لتعاليم المربي الحياة فترات طويلة من الأزمان والأعمار، لأنها إذا خرجت منه ذهبت إلى القلوب فأحيتها من موات وإلى الأفئدة فأيقظتها بعد سبات، وإلى النفوس فأشعلتها حماسًا واتقادًا بعد جمود، أما بدون الإخلاص فمصير ذلك الموت والخمول والسكون.

ب - التضحية بالغالي والنفيس من الأوقات والأعمار والجهود والأموال في سبيل نشر القيم التربوية والمبادئ التهذيبية والمثل الأخلاقية والمناهج السلوكية، فإن شجرة التربية شجرة أصيلة راسخة تحتاج إلى جهد دؤوب وعمل متواصل وتضحية من أجل غرسها والعمل على تعهدها والعناية بها حتى تخرج وارفة يانعة جميلة الهيئة حلوة المذاق.

ج - الممارسة العملية التي تؤكد على التطابق بين القول والعمل، فإنه يعمل من أجل أهداف أسمى وأغراض أنبل، يحتاج تحقيقها إلى سنين عديدة، فلا يصرفه عدم رؤيته لنتائج عمله عن المواصلة والمثابرة، بل يزيده ذلك عملاً على عمل ومثابرة على مثابرة وتمسكًا على تمسك. إنه يعمل من أجل قضية حياته ووجوده.

د - التأسي برسول الله ﷺ الذي يستحق وصف المربي الأول الذي نجح في تربية أتباعه وتحويلهم تحويلاً كليًا من المراتب الدنيا من البداوة والتخلف إلى أقصى المراتب العليا من الحضارة والتقدم والإنسانية، فكان أحدهم مثالاً حيًّا لما رباه عليه المصطفى ﷺ ومن شواهد ذلك في أحاديث الباب اقتداء نسائه به في الاعتكاف في العشر الأواخر من رمضان، وحرص الصحابة رضي الله عنهم على ذلك، إنه ﷺ أقام دولة تربوية فريدة لم يكن لها سابقة في التاريخ ولن يكون لها مثيل أو ما يقارب هذا المثيل بعدها، لذا كان على المربي الناجح الذكي أن يتمثل تعاليم النبي ﷺ في تربيته، وينسج على منواله وينهج نهجه ويسير سيره حتى يحقق النجاح الحق له ولأتباعه.

رابعًا - العمل على تحسين الخاتمة:

لقد كان النبي ﷺ يعتكف في كل رمضان عشرة أيام فلما كان العام الذي قبض فيه اعتكف عشرين يومًا، فكان في هذا استئناس لتحسين الخاتمة قبل الوفاة، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن النبي ﷺ كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان، تحسينًا للعمل نفسه في هذا الشهر وختامًا له، "وإنما الأعمال بالخواتيم، ولهذا كان من الدعاء المأثور: اللهم اجعل خير عمري آخره، وخير عملي خواتمه، وخير أيامي يوم ألقاك")[1].

إذن يمكن الاستئناس بأحاديث الباب على التربية على تحسين الخاتمة سواء خاتمة الأعمال أو خاتمة الحياة نفسها، وفي ذلك عدة فوائد تربوية مهمة جدًا، منها:

أ - تعويد الناشئة وغيرهم على الإتقان والإجادة في الأعمال سواء التعبدية أم الدنيوية، والإتقان والإجادة هي الخطوة الأولى للتقدم والازدهار، فبدونهما لا يكون هناك أمل في الحصول على ذلك.

ب - تقسيم الزمن والعمر إلى مراحل محددة كل مرحلة ينجز فيها ما يناسبها من أعمال وأفعال، فلكل وقت عمله ولكل زمن فعله، لا يجدر بنا تأخير العمل عن وقته

---

(١) الوقت في حياة المسلم، د. القرضاوي، ص ٢٤.

ولا الفعل عن زمنه، لأن في ذلك تكدسًا وتزاحمًا للأعمال والمسؤوليات والواجبات، مما يضيق الوقت والعمر جدًا عن التخطيط لها فضلاً عن إنجازها.

ج - غرس روح الإنجاز الرائع في نفوس الناشئة وغيرهم، لأن كل يوم يعتبر خاتمة لعمر الإنسان، لأنه لا يدري وقت موته وزمن وفاته، فهو يعدّ يومه خاتمة عمره، فيدفعه ذلك إلى الإنجاز الرائع للأعمال، بحيث ينجزها على خير ما تكون وأفضل مما ينبغي، إن الإنسان لو وضع لعمل ما من الأعمال وقتًا محددًا لابد من إنجازه فيه، فإنه يسعى بكل طاقاته إلى الالتزام بذلك وعدم التأخر، فتنتفي من قاموسه اللغوي كلمات التسويف والتأجيل والمماطلة والإحالة ونحو ذلك من الآفات التي تضيّع أزهى الأوقات وأفضل الأعمار، ويشيع في قاموسه كلمات الإنجاز والفعل والمبادرة والمسارعة والتنظيم والتخطيط والتفعيل ونحو ذلك.

وهكذا الإنسان لو اعتبر أن كل يوم يعيشه هو آخر الأيام من عمره، فإن ذلك يدفعه إلى أن يكون من المنجزين الرائعين الذين تفخر بهم البشرية وتزهو.

د - وهذا يدفعه إلى أن ينشغل بالأفضل من الأعمال والأجود من الأفعال تاركًا وراء ظهره التوافه وصغائر الأمور التي لو سمح لها بالتأثير في حياته لضاعت هباءً وسدىً.

وعلى ذلك ينبغي أن تكون هناك تربية على تحسين الخاتمة.



١٠- كتاب الحَجّ

٢٣٣- باب وجوب الحج وفضله

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾[آل عمران: ٩٧].

الحديث رقم (١٢٧٣)

١٢٧٣- وعن ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: **((بُنِيَ الإسْلاَمُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ، وَأنَّ مُحَمَّدًا رسولُ اللهِ، وَإقَامِ الصَّلاَةِ، وَإيتَاء الزَّكَاةِ، وَحَجِّ البَيْتِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ))** متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

الشرح الأدبي

وعن ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: ((بُنِيَ الإسْلاَمُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ، وَأنَّ مُحَمَّداً رسولُ اللهِ، وَإقَامِ الصَّلاَةِ، وَإيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَحَجِّ البَيْتِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ)) متفقٌ عَلَيْهِ. سبق شرحه ينظر الحديث (١٢٨٢). أركان الإسلام من صلاة، وزكاة، وصيام، وحج وسائل تربية، وتقويم للمجتمع تمثل جزءاً من المنهج الإيماني من أعمال المجتمع التي يؤديها المسلم في حياته وبها يبدو في ثوبه القشيب يرتبط بهذا الجزء الذي يؤديه في يومه في الصلاة، وفي ماله بالزكاة، وفي عامه بالصوم، وفي عمره بالحج، يرتبط بذلك بالجزء الأكبر بالكون كله، وبالحياة كلها، ويتكامل

---

(١) أخرجه البخاري (٨)، ومسلم (١٦/٢١)، وتقدم برقم (١٠٧٧)، و (١٢٠٨). أورده المنذري في ترغيبه (١٠٩٢).

ديناً، ودنيا علماً، وعملاً، قولاً، وفعلاً، ويتحول بهذا الامتزاج بين الأجزاء في داخل نفسه، وحسه إلى طاقة تغير الحياة، والأحياء، وإلى ينابيع خير، وحب، وعدل، وإخلاص[1]. وقول الرسول ﷺ (بني الإسلام) جملة خبرية قصد بها بيان أسس الدين التي قام عليها، والتعبير بالبناء على سبيل الاستعارة المكنية التي تصور الإسلام كأنه بناء شامخ قام على خمس دعائم مما يشير إلى أنه حصن، وملاذ، وقد رمز إليه بالبناء وهو من خواص المحسوسات، والإسلام معنوى بدا في هذه الصورة المجسَّمة التي تجعل المعنى أكثر وضوحا مع توسيع الدلالة الإيحائية، وذكر العدد خمس إجمال تلاه تفصيل، وهو ما حقق التوكيد، والتشويق للخبر، وأولها: (شَهَادَةِ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللَّهُ، وَأنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ،) لأنها بوابة الدخول ولا تقبل فريضة تتجرد عنها في قلب صاحبها، وثانيها: (وَإِقَامِ الصَّلاَةِ) والتعبير بالإقامة عن الأداء يتضمن إتقان كل ما يتعلق بها من أعمال، لأن اللفظ يدل على تعديل المعوج، والإصلاح، والحفظ، وغيرها من معان، والثالث (وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ) والتعبير بالإيتاء يشير إلى مشقة في الفعل تأتي من طبيعة شح النفوس، وحبها للمال مع تحري المساكين والفقراء والمستحقين لها والرابع: (وَحَجِّ البَيْتِ) و(ال) في البيت للعهد أي البيت الحرام، والخامس (وَصَوْمِ رَمَضَانَ) أي شهر رمضان، وهذه الأركان كيان متكامل يكمل بعضه بعضا في إعداد النفس لإعمار الدنيا والآخرة.

المضامين الدعوية[2]

---

(١) منهج القرآن في تربية المجتمع د. عبد الفتاح عاشور، ص ١٩٠.

(٢) تقدم ذكرها في شرح الحديث ١٠٧٧، ١٢٠٨.

الحديث رقم (١٢٧٤)

١٢٧٤- وعن أَبي هريرة ﷺ، قَالَ: خَطَبَنَا رسولُ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: ((أيُّهَا النَّاسُ، قَدْ فَرَضَ اللهُ عَلَيْكُم الحَجَّ فَحُجُّوا)) فقَالَ رَجُلٌ: أكُلَّ عَامٍ يَا رَسولَ اللهِ؟ فَسَكَتَ، حَتَّى قَالَهَا ثَلاثًا. فَقَالَ رسولُ الله ﷺ: ((لَوْ قُلْتُ نَعَمْ لَوَجَبَتْ، وَلَمَا اسْتَطَعْتُمْ)) ثُمَّ قَالَ: ((ذَرُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ؛ فَإنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِكَثْرَةِ سُؤالِهِمْ، وَاخْتِلافِهِمْ عَلَى انْبِيَائِهِمْ، فَإذَا امَرْتُكُمْ بِشَيءٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ، وَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَن شَيْءٍ فَدَعُوهُ)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

ابو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

واختلافهم على أنبيائهم: فيتقولون عليهم ما لم يقولوه ويحرفون ما قالوا[2].

الشرح الأدبي

بني الحديث علي الأسلوب الإنشائي، حيث بدأه الرسول بنداء الناس، وبيان أمور الشرع لهم، فقال: " يا أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا " وفائدة النداء تتمثل في تنبيه الأذهان إلي القضايا التي تأتي بعده، ولذا قال علماء اللغة: إن معظم النداءات يأتي بعدها أمر أو نهي كقوله تعالي: " يا أيها الذين امنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا " وقوله تعالي: " يا أيها الذين امنوا لا يسخر قوم من قوم عسي أن يكونوا خيرا منهم ". وقول الرسول: " قد فرض الله عليكم. " يقرر أن الله تعالي هو الذي أنزل الأوامر، والنواهي، وأن الدين دينه، والرسول ﷺ ما هو إلا مبلغ عن الله تعالي. وقول الرجل: " أكل عام يا رسول الله ؟ يدل علي شغفه بالعلم، والتعلم. رددها الرجل

(١) برقم (١٣٣٧/٤١٢). وأخرجه البخاري (٧٢٨٨) من قوله: ((ذروني ما تركتكم)) إلى آخره.

(٢) دليل الفالحين ١٣٤٨.

ثلاثا. ثم رد النبي ﷺ بقوله: " لو قلت نعم لو جبت، ولما استطعتم " ثم قال: " ذروني ما تركتكم " وهذا الأمر للإرشاد والتوجيه، وذلك من باب التخفيف علي الأمة، ومن ملامح هذا التخفيف أيضا أن الأشياء المنهي عنها - يجب البعد عنها تماما، والأشياء المأمور بها علي المؤمن أن يفعل منها ما يقدر عليه، وهو ما دل عليه أسلوب الشرط في قوله يقول: " فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه " والطباق بين الفعلين أمرتكم، ونهيتكم يشير إلى أن حركة المؤمن مرتبطة بالأمر، والنهي النبوي.

المضامين الدعوية

أولاً: من وسائل الدعوة: الخطبة.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: النداء والأمر والسؤال والجواب.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فريضة الحج.

رابعًا: من آداب المدعو: عدم الإلحاح في السؤال.

خامسًا: من تاريخ الدعوة: هلاك الأمم السابقة بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم.

سادسًا: من خصائص الدعوة: التيسير على الناس ورفع الحرج.

سابعًا: من آداب المدعو: الالتزام بالأوامر والنواهي.

أولاً - من وسائل الدعوة: الخطبة:

حيث جاء في الحديث: (خطبنا رسول الله ﷺ)، وتعتبر الخطبة من وسائل الدعوة الهامة، "إذ أن الخطبة وسيلة جيدة للتبليغ وتكون عادة لجمع من الناس قد لا يعرفهم الداعي، أو يعرف بعضهم فقط، ويشترط للخطبة الناجحة أن يكون لدى الداعي معنى أو معان معينة يريد بيانها، ولفت الأنظار إليها، ومن المستحسن أن يكون موضوع الخطبة مما له علاقة في أحوال الناس مع ربط ذلك بمعاني العقيدة الإسلامية"[1]، ومما لا شك فيه أن الخطبة هي وسيلة البيان التي بها يبلغ الداعي دعوته، "إن الخطابة في

---

(١) أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان ص ٤٧٤.

الدعوة إلى الله واجبة لأنها لازمة لتبليغ الدعوة، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، فالدعوة يلزمها صوت قوي وفكر ذكي وبيان ناصع وصوت داوٍ، والخطابة رسول ذلك وبلاغه وحامل هذا وسلطانه، والخطابة بالنسبة إلى الداعية سلاح يدافع به عن دعوته، فهي وسيلة لصياغة المبادئ وإظهار جلالها ورفعة شأنها"[١].

ثانيًا - من أساليب الدعوة: النداء والأمر و السؤال والجواب:

١ - **النداء:** حيث جاء في الحديث: (يا أيها الناس)، وأسلوب النداء من أساليب الدعوة التي تلفت انتباه المدعو وتجذبه وتشعره بالقرب من الداعية، ومن صور استعمال القرآن لهذا الأسلوب قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ﴾[٢]. وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾[٣].

٢ - **الأمر:** حيث جاء في الحديث: (فحجوا)، وأسلوب الأمر من أساليب الدعوة التي تشعر المدعو بأهمية المأمور به وضرورة تنفيذه؛ ذلك لأن الأمر يقتضي وجوب التنفيذ، جاء في البلاغة الواضحة: "الأمر طلب الفعل على وجه الاستعلاء، وقد تخرج صيغ الأمر عن معناها الأصلي إلى معانٍ أخرى تستفاد من سياق الكلام كالإرشاد والدعاء والالتماس والتمني والتخيير والتسوية والتعجيز والتهديد والإباحة"[٤]، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾[٥].

٣ - **السؤال والجواب:** وذلك حيث جاء في الحديث: (فقال رجل: أكل عام يا رسول الله؟)، وأسلوب السؤال والجواب من أساليب الدعوة الهامة حيث يفتح حوارًا بين الداعية والمدعو ويزيل الشبهات واللبس لدى المدعو، قال د. عبدالكريم البكار: "إن تشجيع الناس على طرح الأسئلة، وإبداء الرأي حول مختلف القضايا أمر في غاية

(١) الخطابة وإعداد الخطيب، د. توفيق الواعي ص ٣٠ - ٣١.

(٢) سورة الانفطار، آية: ٦.

(٣) سورة آل عمران، آية: ١٠٢.

(٤) البلاغة الواضحة، أ. علي الجارم، مصطفى أمين ص ٢١٤.

(٥) سورة البقرة، آية: ٤٣.

الأهمية، لأن ذلك يبنى نفسية المشاركة، وتحمل المسؤولية، وهو من الطرق الفعالة في إحداث القناعة بالرسالة الدعوية، بل القناعة بأية فكرة مطروحة مهما كان نوعها، فإن الناس يحتاجون إلى إقناع بضرورة تعلم المراجعة والمشاركة في عملية التعلم والتفهم للموضوعات المطروحة، وهم بحاجة إلى تدريب على ذلك، والترحيب باستجابتهم لهذه الدعوة بدل ما يحصل الآن من الحرص على صمتهم، واستماعهم لما يلقى عليهم"[١]، ومن صور استعمال القرآن لأسلوب السؤال والجواب قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ﴾[٢].

ثالثًا – من موضوعات الدعوة: فريضة الحج:

يتضح هذا من الحديث: (قد فرض الله عليكم الحج فحجوا)، فدلّ هذا على فريضة الحج وقد قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾[٣]، وقال الله تعالى: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَـٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾[٤]، والحج من أفضل الأعمال فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سُئِلَ النبيُّ ﷺ: أيُّ الأعمالِ أفضلُ؟ قال: ((إيمانٌ باللّهِ ورسولِهِ. قيل: ثمَّ ماذا؟ قال: جهادٌ في سبيلِ اللّهِ. ثم ماذا؟ قال: حجٌّ مَبْرُورٌ))[٥]، والحج يمحق الذنوب فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((من حجَّ للّهِ فلمَ يَرفُثْ ولم يَفْسُقْ رَجَع كيومِ ولدَتْهُ أمُّه))[٦].

وفريضة الحج لها مقاصد ومصالح "لقد شاء الله تعالى أن يتخذ لنفسه بيتًا يزار

---

(١) مقدمات للنهوض بالعمل الدعوي ص ١٥٥.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٢٢.

(٣) سورة آل عمران، آية: ٩٧.

(٤) سورة البقرة، آية: ١٩٧.

(٥) أخرجه البخاري ٢٦، ومسلم ٨٣.

(٦) أخرجه البخاري ١٥٢١، ومسلم ١٣٥٠.

فيه، فإذا صورة مادية ترمز إلى أسمى الغايات الروحية، وإذا العين ترى الأعمال الإنسانية وهي تطوف حول معبود واحد، وفي الحج تختمر معاني الأخوة في نفوس المسلمين، وتتاح لهم الفرصة ليدرسوا قضاياهم، ويحددوا وسائلهم وأهدافهم، وبهذا ينفض الموسم عن قلوب بعدالة الله مطمئنة، وأرواح بأنوار اليقين مشرقة، وآمال بعلو كلمة الله متفتحة، وعزائم على الجهاد في سبيله متجددة، وأواصر حول لوائه معقودة، وفي الحج تبرز المساواة بين المسلمين"[1].

قال الشيخ: عفيف طبارة: "إن الإسلام يعتبر الحج وسيلة لتحقيق الفوائد الروحية والأدبية والاجتماعية والاقتصادية، والحج مؤتمر عام لتوحيد غايات المسلمين وتوجيههم إلى مصادر الحياة الصحيحة بما يقتبسه بعض شعوبهم من ثقافات البعض الآخر"[2].

إن الحج رحلة إلى الله، وتعويد للنفوس لتحمل المشاق والاغتراب وفراق الأهل والوطن مرضاة لله تعالى، وهو إلزام للنفس بالاستسلام للفرائض التي فرضها الله، ولو لم تظهر أسرارها للعقل، كعدد مرات الطواف، وكتكرار رمي الجمار... إلخ. وحسب العقل أنه يمارس العبودية استسلامًا لأمر الله، بالإضافة إلى الجوانب الأخرى التي يتشابه فيها الحج مع الصوم في بناء الصبر وضبط الأعصاب والتحرر من السلبيات، قال تعالى: ﴿فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ﴾[3]، والجوانب التي يشبه فيها الحج الزكاة، فالحج نفقات وتطهير من الشح. ولذلك كانت أركان الإسلام مدرسة ملازمة للمسلم تبني في نفسه فيما تبني مكارم الأخلاق، وتتعاهدها باستمرار".

رابعًا - من آداب المدعو: عدم الإلحاح في السؤال:

حيث جاء في الحديث: (ذروني ما تركتكم)، وهذا يعلم المدعو أدب السؤال وأن لا

(١) العبادات في الإسلام، د. محمد عبده ص ٢٩٣ - ٢٩٤.

(٢) روح الدين الإسلامي ٢٦٠.

(٣) سورة البقرة، آية: ١٩٦.

يلح فيه على الداعية، قال ابن علان: "وسكوته ﷺ عنه لينزجر عن سؤاله الواقع في غير محله، وإذا تم ملاحظة أن مدلول الأمر مرة،وما زاد عليها لا بد له من دليل خارجي فلا وجه لسؤاله فكان فيه نوع تعنت وسؤال عما لا يحتاج إليه، وأيضًا فإنه ﷺ أرسل لتبليغ الأحكام بغاية الإيضاح والبيان فلو وجب التكرار لأفاده صريحًا، وإن لم يسأل عنه فالسؤال حينئذ ضائع"(١)، وهذا يعلم المدعو أن لا يسأل عما يسوؤه لو أُبدي، قال تعالى: ﴿لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾(٢)، وفي النهي عن كثرة السؤال جاء في الحديث عن عامر بن سعد عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: ((إِنَّ أَعْظَمَ الْمُسْلِمِينَ فِي الْمُسْلِمِينَ جُرْمًا، مَنْ سَأَلَ عَنْ شَيْءٍ لَمْ يُحَرَّمْ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، فَحُرِّمَ عَلَيْهِمْ، مِنْ أَجْلِ مَسْأَلَتِهِ))(٣).

ويستفاد من الحديث أن الحج لا يجب على المكلفين إلا مرة واحدة بأصل الشرع، وذكر النووي في الموضع المذكور أن الأمة أجمعت على ذلك، إلا ما قد يجب بسبب آخر كالنذر.

ويستفاد من الحديث عدم التعمق والتنقيب في الأسئلة لأنه يفضي إلى التعقيد وكثرة التكاليف، قال ابن حجر في الفتح وقد أشار إلى الآية: ﴿لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾(٤): ولا تكثروا التنقيب عن ذلك، لأنه قد يفضي إلى مثل ما وقع لبني إسرائيل، إذا أمروا أن يذبحوا بقرة فلو ذبحوا أي بقرة كانت لامتثلوا، ولكنهم شددوا فشُدِّد عليهم، وبهذا تظهر مناسبة قوله: (فإنما هلك من كان قبلكم... إلخ) بقوله: (ذروني ما تركتكم)"(٥).

وهذا الجزء من الحديث: (ذروني ما تركتكم.. إلخ) موجود لدى البخاري فهو مما

---

(١) دليل الفالحين ١٣٨٣ - ١٣٨٤.

(٢) سورة المائدة، آية: ١٠١.

(٣) أخرجه البخاري ٧٢٨٩، ومسلم ٢٣٥٨.

(٤) سورة المائدة، آية: ١٠١.

(٥) فتح الباري ١٣/ ٢٦٠.

اتفق عليه الشيخان[١].

والحديث يحث على البساطة وعدم التكلف، والحرص على أداء المعلوم من التكاليف دون البحث عن إضافات، فإن الإنسان ضعيف عمومًا وما يعتريه من نشوة في حال النشاط فإنها لا تستمر، ولذلك كان من حسن خلق الإنسان مع نفسه ومع الآخرين ألا يكون سببًا في الإيقاع في المشقة.

ومن الأخلاق التي يفيدها الحديث الأناة وعدم التسرع، ومن ذلك ألا يتكلم الشخص إلا عند وجود حجة محققة، لأن الكلام أو الفعل تصرف محسوب للإنسان أو عليه، وقد يُلحق أيضًا ضررًا بالآخرين، ووجود احتمال للضرر يرجح إلى جانب الصمت حتى تكون المصلحة ظاهرة من غير شك، فعند ذلك لا بأس بالتصرف بالكلام ونحوه، والسلامة لا يعدلها شيء، وكم من كلمة جرت وبالاً. قال الشاعر:

فإن النار بالعودين تُذكى وإن الحرب أولها الكلام[٢]

ولذلك جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((من كان يؤمن بالله واليوم الآخرِ فلْيَقلْ خيرًا أو ليَصمُت))[٣].

وقال سبحانه: ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾[٤].

ومن الأخلاق التي يغرسها الحديث في النفوس الاقتداء بسيد البشرية في حسن رده على الرجل، وحكمته في التعامل معه بالسكوت أولاً، ثم بالبيان الهادئ عندما ألح مع التعليل، مع اجتناب الشدة والغلظة، والحرص على الرحمة به وبالأمة في تقليل التكاليف، قال الله تعالى: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾[٥]، وقال سبحانه:

---

(١) ذكره الألباني في الإرواء ١/١٨٣.

(٢) المنتظم، قافية الميم ٧/٢٧٢، والعقد الفريد ١/٩٢، وديوان الحماسة ١/١٠٨.

(٣) أخرجه البخاري ٦١٠٨، ومسلم ٤٧.

(٤) سورة ق، آية: ١٨.

(٥) سورة الأحزاب، آية: ٦.

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾[1]، وما أحوج أفراد الأمة والزعماء بالذات إلى مثل هذه الأخلاق.

ومن الأخلاق المستفادة من الحديث الحرص على الابتعاد عن أخلاق الأمم الأخرى وأخذ العبرة من انحرافاتها؛ وقد يميل الإنسان إلى التقليد، وقد يكون فيه حتفه والسعيد من وعظ بغيره. وإذا جاز أن نستورد من الغرب في الماديات فلا يجوز ذلك في المبادئ والتشريعات، بل المفروض علينا أن نصدر إليهم ما عندنا من الهدى فهم في أمس الحاجة إليه، وأما الإصرار على الاستيراد فمعناه الإصرار على الهلاك.

خامسًا - من تاريخ الدعوة: هلاك الأمم السابقة بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم:

حيث جاء في الحديث: "فإنما أهلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم"، وهذا من تاريخ الدعوة الذي يجب أن يعرفه المدعو حتى يعتبر ويتعظ ويزدجر عما يكون سببًا في هلاكه.

قال ابن علان: (إنما كانوا يسألون من غير حاجة بل لقصد التعنت المؤدي للإيذاء أو التكذيب، وكانوا يختلفون على أنبيائهم فيتقولون عليهم ما لم يقولوه، ويحرفون ما قالوه إيثارًا لما ينالهم من ضعفائهم وأتباعهم على رضا الله تعالى واتباع أنبيائه ورسله)[2].

وقال ابن عثيمين: (انظر إلى أصحاب البقرة حين قال لهم موسى اذبحوا بقرة ليضربوا بجزء منها القتيل، ولو ذبحوا أي بقرة تلك الساعة لحصل لهم المقصود لكن جعلوا يسألون ما هي؟ وما لونها؟ ما هي - يقصدون ذكر أكبر قدر من العلامات -؟ حتى شددوا فشدد الله عليهم فذبحوها وما كادوا يفعلون، فالحاصل أن كثرة المسائل والاختلاف على الأنبياء من أسباب الهلاك)[3].

سادسًا - من خصائص الدعوة: التيسير على الناس ورفع الحرج:

حيث جاء في الحديث: "لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم ... فإذا أمرتكم بشيء

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٥٩.

(٢) دليل الفالحين ص ١٣٨٤.

(٣) شرح رياض الصالحين ٢/١٢٤٠.

فأتوا منه ما استطعتم"، وهذا من مظاهر التيسير ورفع الحرج.

قال النووي: (وهذا الحديث موافق لقوله تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾(١)، وهي مفسرة ومبينة لقوله تعالى: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾(٢)، قالوا: وحق تقاته هو امتثال أمره واجتناب نهيه، ولم يأمر سبحانه إلا بالمستطاع، قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾(٣)، وقال سبحانه: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾(٤)، هذا وقد أجمعت الأمة على أن الحج لا يجب في العمر إلا مرة واحدة بأصل الشرع وقد تجب زيادة بالنذر)(٥).

وكل ذلك يدل على يسر الشريعة الإسلامية، قال د. القرضاوي: "إن الإسلام وسط في عباداته وشعائره بين الأديان والنحل، فالإسلام يكلف المسلم أداء شعائر محدودة في اليوم كالصلاة، أو في السنة كالصوم، أو في العمر مرة كالحج ليظل دائمًا موصولاً بالله، غير مقطوع عن رضاه، ثم يطلقه بعد ذلك ساعيًا منتجًا، يمشي في مناكب الأرض، ويأكل من رزق الله فهذا هو شأن المسلم مع الدين والحياة"(٦).

إن الإسلام يربي أتباعه على الدعوة إلى الله بالحسنى وطرح التكاليف على الناس بالأسلوب الميسر غير المنفر، وعندما بعث الرسول ﷺ معاذًا وأبا موسى رضي الله عنهما إلى اليمن كما في الحديث المتفق عليه قال لهما: ((يَسِّرا ولا تُعسِّرا، وبَشِّرا ولا تُنفِّرا))(٧).

والرسول ﷺ في الحديث الذي نحن بصدده يمارس التيسير ليقتدي به الآخرون حين يصرف عن التعمق والتكلف، وحين يبين بساطة فريضة عظيمة من فرائض

---

(١) سور التغابن، آية: ١٦.
(٢) سورة آل عمران، آية: ١٠٢.
(٣) سورة البقرة، آية: ٢٨٦.
(٤) سورة الحج، آية: ٧٨.
(٥) شرح صحيح مسلم ص ٨٣٧ - ٨٣٨.
(٦) الخصائص العامة للإسلام ص ١٣٧ - ١٣٨.
(٧) أخرجه البخاري ٣٠٣٨، ومسلم ١٧٣٢.

الإسلام، وركن كبير من أركانه وهو الحج، وأنه لا يجب إلا مرة واحدة في العمر، وهو بذلك يربي النفوس على التبسط، ويعمق فيها أن حقيقة الإسلام هي اليسر، وأن منهجيته دون سائر المنهجيات هي اليسرى، قال تعالى: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ﴾(١).

كما أن الإسلام يربي الفرد على جلب المنافع لنفسه ولمجتمعه، وأنه إذا لم ينفع فلا يجوز له أن يضر، ومعنى ذلك أنه يبث الأمان الاجتماعي، فيطمئن المسلمون إلى بعضهم بعضًا، ويتعاملون بصدور تحمل معاني الإخاء والمحبة والصفاء، يحرص كل أحد منهم على أن يكون باب خير، ويتجنب أن ينفتح على المسلمين باب شر من جهته كما في الحديث عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((فَطُوبى لِمَنْ جَعَلَ اللَّهُ مَفَاتِيحَ الْخَيْرِ عَلَى يَدَيْهِ. وَوَيْلٌ لِمَنْ جَعَلَ اللَّهُ مَفَاتِيحَ الشَّرِّ عَلَى يَدَيْهِ))(٢).

وإذا كان الإسلام يربي المسلمين على التماسك ونفع بعضهم بعضًا فإنه بذلك يجعل منهم معسكرًا وكيانًا واحدًا كما في ذات الوقت يجعلهم يتعاملون مع الكيانات الأخرى، بحذر ويقظة فتتحقق بذلك العافية الدينية والدنيوية، وينمي الإسلام في المسلمين روح الأستاذية التي تجعلهم يؤثرون في الآخرين دون أن يتأثروا، فينفعون أنفسهم وينفعون الآخرين دون ضرر على أحد.

ومن التربية في هذا الحديث أنه يوجه إلى صرف الطاقة في العمل المتيقن لزومه وادخارها لذلك، وعدم إهدارها في الكلمات والنظريات التي لا تعود بطائل، وإذا اتجهت الهمم إلى العمل فإن الحديث يربي على عدم الغلو فيه إلى حد يتجاوز الاستطاعة، حفاظًا على النفوس من الملل والكلل والإحباط، وإيثارًا للاستمرار والدوام، وما كان من الأضرار والمنهيات فإن النفوس لا تتكلف طاقة في تركه، فأمر الحديث بالحزم في تركه، لأن صيانة الأمة لا تقبل التردد.

---

(١) سورة الليل، آية: ٧.

(٢) أخرجه ابن ماجه ٢٣٧، وحسنه الألباني، (صحيح سنن ابن ماجه ١٩٤).

سابعًا - من آداب المدعو: الالتزام بالأوامر والنواهي:

حيث جاء في الحديث: (فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه)، إن من أهم آداب المدعو الاستجابة للأوامر بتنفيذها والنواهي باجتنابها، قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾(١)، وجعل الله سبحانه في الاستجابة للرسول ﷺ الحياة الحقيقية، قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾(٢)، وجعل الله سبحانه طاعة الرسول ﷺ من طاعة الله فقال: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾(٣)، وجعل اتباعه في الأمر والنهي سبيل محبة الله، قال سبحانه: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾(٤).

وفي الحديث: بيان أن التشريع ومنه الإيجاب والفرض على المكلفين إنما هو لله جل وعلا وأن الالتزام بذلك ضرورة عقدية، وذلك ظاهر من قوله - عليه الصلاة والسلام - في الحديث: "إن الله فرض عليكم". وأن الرسول ﷺ له أيضًا حق التشريع؛ لأنه مأذون له من الله سبحانه، وذلك ظاهر من قوله - عليه الصلاة والسلام - في الحديث: (لو قلت نعم لوجبت)، وقوله في الحديث: (فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه)، والآية الكريمة وهي قوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ﴾(٥)، مبينة كذلك أن التشريع لله ولمن أذن له، ومعلوم أن الله أذن لأنبيائه عليهم السلام، وواضح أن

---

(١) سورة الحشر، آية: ٧.

(٢) سورة الأنفال، آية: ٢٤.

(٣) سورة النساء، آية: ٨٠.

(٤) سورة آل عمران، آية: ٣١.

(٥) سورة الشورى، آية: ٢١.

التشريع من قضايا العقيدة، ولذلك سمَّت الآية الذين يشرعون ما لم يأذن به الله شركاء، وتوعدتهم بالعقاب، قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: (وقوله جل وعلا: "أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله"، أي: هم لا يتبعون ما شرع الله لك من الدين القويم، بل يتبعون ما شرع لهم شياطينهم من الجن والإنس، من تحريم ما حرموا عليهم من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام وتحليل أكل الميتة والدم، والقمار، إلى نحو ذلك من الضلالات والجهالة الباطلة التي قد اخترعوها في جاهليتهم من التحليل والتحريم والعبادات الباطلة والأقوال الفاسدة، وقد ثبت في الصحيح أن الرسول ﷺ قال: (رأيت عمرو بن لحي بن قمعة يجر قصبه في النار لأنه أول من سيب السوائب)، وكان هذا الرجل أحد ملوك خزاعة، وهو أول من فعل هذه الأشياء، وهو الذي حمل قريشًا على عبادة الأصنام لعنه الله وقبحه، ولهذا قال تعالى: "ولولا كلمة الفصل لقضي بينهم"، أي لعوجلوا بالعقوبة لولا ما تقدم من الإنظار إلى يوم المعاد "وإن الظالمين لهم عذاب أليم" أي شديد موجع في جهنم وبئس المصير)[1].

وقال ابن كثير عند تفسير قوله تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾[2]: "عند كلامه على الياسق الذي وضعه جنكيز خان: ... وهو عبارة عن كتاب مجموع من أحكام قد اقتبسها من شرائع شتى من اليهودية والنصرانية والملة الإسلامية وغيرها، وفيها كثير من الأحكام أخذها من مجرد نظره وهواه فصارت في بنيه شرعًا متبعًا يقدمونه على الحكم بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ فمن فعل ذلك منهم فهو كافر"[3]. وكلامه هذا ينطبق اليوم على من يخلط أحكام الإسلام بأحكام مستوردة ويضعها في صورة دساتير أو قوانين أو برامج أو أنظمة لدول أو أحزاب أو جماعات لا تتفق مع دين الله بحجة التقدم ومسايرة الاشتراكية أو الديمقراطية أو حق الإنسان أو حقوق المرأة... إلخ، وكل دستور أو قانون أو برنامج أو نظام من هذا القبيل فإنما هو ياسق معاصر،

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ١٤١/٤.

(٢) سورة المائدة، آية: ٥٠.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ١٣١/٣.

والحكم في الإسلام إنما هو لله قال تعالى: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾[1].

ويستفاد من الحديث عدد من الأحكام الأصولية والفقهية من ذلك أن الراجح أن الأصل في الأمر الشرعي أنه لا يقتضي التكرار ولا عدمه، فقوله (فحجوا) لا تقتضي التكرار ولا عدمه، قال النووي في شرح مسلم: "واختلف الأصوليون في أن الأمر هل يقتضي التكرار، والصحيح عند أصحابنا لا يقتضيه، والثاني يقتضيه والثالث يتوقف فيما زاد على مرة على البيان فلا يحكم باقتضائه ولا بمنعه، وهذا الحديث قد يستدل به من يقول بالتوقف لأنه سأل فقال: أكل عام؟ ولو كان مطلقه يقتضي التكرار أو عدمه لم يسأل"[2].

ويستفاد من الحديث أن الشرع لا يلزم المكلفين في الأوامر إلا بالمستطاع، قال النووي في شرح مسلم: "(فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم) هذا من قواعد الإسلام المهمة ومن جوامع الكلم التي أعطيها ﷺ، ويدخل فيه ما لا يحصى من الأحكام كالصلاة بأنواعها، فإذا عجز عن بعض أركانها أو بعض شروطها أتى بالباقي، وإذا عجز عن بعض أعضاء الوضوء أو الغسل غسل الممكن، وإذا وجد بعض ما يكفيه من الماء لطهارته أو لغسل النجاسة فعل الممكن، وإذا وجبت إزالة منكرات أو فطرةُ جماعةٍ تلزمه نفقتهم أو نحو ذلك وأمكنه البعض فعل الممكن، وإذا وجد ما يستر بعض عورته أو حفظ بعض الفاتحة أتى بالممكن، وأشباه هذا غير منحصرة ...، وهذا الحديث موافق لقول الله تعالى: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾[3] وأما قوله تعالى: ﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾[4] ففيها مذهبان: أحدهما أنها منسوخة بقوله تعالى: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ والثاني وهو الصحيح أو الصواب وبه جزم المحققون أنها ليست منسوخة

---

(١) سورة يوسف، آية: ٤٠.

(٢) شرح صحيح مسلم ٩/١٠١.

(٣) سورة التغابن، آية: ١٦.

(٤) سورة آل عمران، آية: ١٠٢.

بل قوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ مفسرة لها، ومبينة للمراد بها، قالوا: وحق تقاته هو امتثال أمره واجتناب نهيه، ولم يأمر سبحانه وتعالى إلا بالمستطاع، قال الله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[1]. وقال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[2] والله أعلم"[3].

كما يستفاد من الحديث أن المكلفين ملزمون باجتناب المنهيات بتاتًا في غير أحوال الضرورة، ولم يقيد ذلك بالاستطاعة لأن اجتناب المنهيات ترك وهو مقدور لكل أحد. قال النووي في الموضع السابق: "(وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه) فهو على إطلاقه فإن وجد عذر يبيحه كأكل الميتة عند الضرورة أو شرب الخمر عند الإكراه أو التلفظ بكلمة الكفر إذا أكره ونحو ذلك فهذا ليس منهيًا عنه. والله أعلم"[4].

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢٨٦.

(٢) سورة الحج، آية: ٧٨.

(٣) شرح صحيح مسلم ٩/١٠٢.

(٤) المرجع السابق نفسه والجزء والصفحة نفسها.

الحديث رقم (١٢٧٥)

١٢٧٥- وعنه، قَالَ: سُئِلَ النَّبيُّ ﷺ أيُّ العَمَلِ أفْضَلُ؟ قَالَ: ((إيمَانٌ باللهِ وَرسولِهِ)) قيل: ثُمَّ ماذا؟ قَالَ: ((الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ)) قِيلَ: ثُمَّ مَاذا؟ قَالَ: ((حَجٌّ مَبرُورٌ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

حج مبرور: لا يرتكب صاحبه فيه معصية[2]، وقيل: هو المقبول[3].

الشرح الأدبي

الاستفهام في قوله: " أي العمل أفضل ؟ " للاسترشاد، والتعلم، لبيان أفضلية الأعمال التي يقوم بها المؤمن فيقدم الأفضل علي الفاضل. ويدل على ذكاء وقّاد، ونفس طموحة تسعى وراء معالي الأمور، وهو ما توفّرت عليه نفوس الصحابة وقوله: " إيمان بالله ورسوله " يشير إلى حسن ترتيب النبي لكلماته، وعباراته حسب أهمية العمل، ومنزلته، ومن هنا بدأ بالإيمان بالله، ورسوله، لأن كل ما يأتي بعد ذلك في الحديث قائم علي ذلك الإيمان. .. ولفظ " إيمان " يوحي بخصوصية في حركة القلب باستقرار الإيمان، وتغلغله فيه، فظهر أثره علي الجوارح، فطوعت تلك الأعضاء للجهاد في سبيل الله، والقيام بأداء فريضة الحج. ولفظ: " مبرور " جاء من البر، وهو ضد " الإثم " والبر يدل علي أن المؤمن القائم بالحج يفعل أفعال البررة، ويحافظ علي حجه، وتصرفاته، وأقواله، وأعماله، حسبة لله تعالي، لأنه يراقبه، ويتقيه، ويعلم أنه خبير وبصير. والله أعلم.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٦)، ومسلم (٨٣/١٣٥) ولفظهما سواء. أورده المنذري في ترغيبه (١٦٣٩). وسيكرره المؤلف برقم (١٢٨٩).

(٢) رياض الصالحين ٤٥٣.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ب ر ر).

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: بيان أفضل الأعمال عند الله تعالى.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

رابعًا: من فقه الداعية: مراعاة أحوال المدعوين.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة ﵃ على سؤال النبي ﷺ عما ينفعهم.

أولاً - من أساليب الدعوة: السؤال والجواب:

حيث جاء في الحديث: (أي العمل أفضل؟)، إن أسلوب السؤال والجواب من الأساليب الدعوية المهمة حيث يفتح حوارًا بين الداعية والمدعو، ويشجع المدعو على السؤال عما لا يعرف، ويتطلع المدعو إلى معرفة ما يجهل هذا، وقد أمر الله بالسؤال فقال: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[1]، والداعية الناجح هو الذي يستطيع بما معه من ثقافة عالية أن يجيب على تساؤلات المدعوين، ويحفزهم لذلك، ويكون لديه من القدرة على الاستطراد مع أي سؤال يطرحه المدعو، ومن صور استعمال القرآن الكريم لأسلوب السؤال والجواب قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى﴾[2].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: بيان أفضل الأعمال عند الله تعالى:

حيث جاء في الحديث: "إيمان بالله ورسوله"، "جهاد في سبيله"، "حج مبرور"، ومما لا شك فيه أهمية هذه الأمور: فالإيمان بالله ورسوله يقف على رأس المطلوبات من كل إنسان، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ﴾[3]، وقال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ ۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ

---

(١) سورة النحل، آية: ٤٣.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٢٢.

(٣) سورة الحجرات، آية: ١٥.

وَنُورُهُمْ﴾[١]، وقال سبحانه: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾[٢].

وأما الجهاد فقد مدحه الله في مواضع كثيرة، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[٣]، وقال سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ۝ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ﴾[٤]، أما الحج المبرور فقد جاء في الحديث ما يدل على فضله، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((مَنْ حَجَّ، فَلَمْ يَرْفُثْ، وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ))[٥].

إن هذا الحديث الذي معنا فيه ترتيب الأفضلية في الأعمال، وأن الإيمان يطلق عليه عمل، وقد بدأ به، وهو أساس كل عمل في القلب أو في الجارحة، لأن الله سبحانه لا يقبل أي عمل بدونه، قال تعالى في عمل الكافرين: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾[٦]، وقال الشوكاني عند تفسير هذه الآية: "وذلك أنهم كانوا يعملون أعمالاً لها صورة الخير: من صلة الرحم، وإغاثة الملهوف، وإطعام الطعام،

(١) سورة الحديد، آية: ١٩.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٨٥.

(٣) سورة الصف، الآيتان: ١٠ - ١١.

(٤) سورة التوبة، الآيتان: ٢٠ - ٢١.

(٥) أخرجه البخاري ١٥٢١، ومسلم ١٣٥٠.

(٦) سورة الفرقان، آية: ٢٣.

وأمثالها، ولم يمنع من الإثابة عليها إلاّ الكفر الذي هم عليه"[١].

وقال النووي: "والمراد به والله أعلم الإيمان الذي يدخل به في ملة الإسلام وهو التصديق بقلبه والنطق بالشهادتين، فالتصديق عمل القلب والنطق عمل اللسان"[٢].

وقد ورد ذكر الجهاد في الترتيب بعد الإيمان، لأنه أشق الأعمال التي يقوم بها المؤمن، وهو ذروة سنام الإسلام، ولا يقدم عليه مؤمن صادق الإيمان في الغالب، ولذلك قال الله تعالى في المنافقين: ﴿فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ ۙ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ﴾[٣]، وسورة التوبة مليئة بمعاذيرهم وتهرياتهم. وأهل الإيمان الصادق لا يتهربون، قال تعالى: ﴿لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾[٤].

وذكر سبحانه بصيغة الحصر والقصر أن الصادقين هم المؤمنون دون ارتياب، المجاهدون بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله فقال سبحانه: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾[٥]، قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: (إنما المؤمنون الكمل الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا، أي لم يشكوا ولا تزلزلوا بل ثبتوا على حال واحدة هي التصديق المحض، وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله، أي وبذلوا مهجهم ونفائس أموالهم في طاعة الله ورضوانه، أولئك هم الصادقون، أي في قولهم إذا قالوا

---

(١) فتح القدير ١٠١/٤.

(٢) شرح صحيح مسلم ٧٨/٢.

(٣) سورة محمد، آية: ٢٠.

(٤) سورة التوبة، الآيتان: ٤٤ – ٤٥.

(٥) سورة الحجرات، آية: ١٥.

إنهم مؤمنون)[١].

ثم ذكر الحج المبرور في الرتبة الثالثة؛ لأن المشقة فيه كبيرة شبيهة بمشقة الجهاد، وإن كانت دونها، فإن فيه تعريض النفس للجهد والمخاطرة، وفيه إنفاق المال والاغتراب، بل قد سمي الحج جهادًا في حق النساء، بل أفضل الجهاد في حقهن كما عند البخاري: ((لكِن أفضل الجهاد حجٌ مبرور))[٢].

هذا الحديث فيه ترتيب معين لأعمال معينة، وهناك ترتيبات أخرى في أحاديث أخرى صحيحة، فكيف يتم الجمع بين ذلك في ضوء النصوص الشرعية، قال النووي: "أما معاني الأحاديث وفقهها فقد يستشكل الجمع بينها مع ما جاء في معناها من حيث إنه جعل في حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أن أفضل الأعمال الإيمان بالله ثم الجهاد ثم الحج. وفي حديث أبي ذر رضي الله عنه: الإيمان والجهاد. وفي حديث ابن مسعود رضي الله عنه: الصلاة ثم بر الوالدين ثم الجهاد. وتقدم في حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما: «أي الإسلام خير؟ قال تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف».

وفي حديث أبي موسى وعبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: «أي المسلمين خير؟ قال: من سلم المسلمون من لسان ويده»، وأمثال هذا في الصحيح كثيرة. واختلف العلماء في الجمع بينها، فذكر الإمام الجليل أبو عبد الله الحليمي الشافعي عن شيخه الإمام العلامة المتقن أبي بكر القفال الشاشي الكبير .... أنه جمع بينها بوجهين، أحدهما: أن ذلك اختلاف جواب جرى على حسب اختلاف الأحوال والأشخاص؛ فإنه قد يقال: خير الأشياء كذا، ولا يراد به خير جميع الأشياء من جميع الوجوه، وفي جميع الأحوال والأشخاص، بل في حال دون حال أو نحو ذلك، الوجه الثاني: أنه يجوز أن يكون المراد من أفضل الأعمال كذا، أو من خيرها أو من خيركم من فعل كذا، فحذفت (منْ) وهي مرادة كما يقال: فلان أعقل الناس وأفضلهم، ويراد أنه من أعقلهم وأفضلهم، ومن ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خيركم خيركم لأهله» ومعلوم أنه لا يصير بذلك خير

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٢٧٩/٤.

(٢) أخرجه البخاري ٢٧٨٤.

الناس مطلقًا... هذا كلام القفال، وعلى هذا الوجه الثاني يكون الإيمان أفضلها مطلقًا، والباقيات متساوية في كونها من أفضل الأعمال والأحوال، ثم يعرف فضل بعضها على بعض بدلائل تدل عليها وتختلف باختلاف الأحوال والأشخاص، فإن قيل: فقد جاء في بعض هذه الروايات أفضلها كذا، ثم كذا، بحرف ثم، وهي موضوعة للترتيب، فالجواب: أن ثم هنا للترتيب في الذكر كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ۝ فَكُّ رَقَبَةٍ... ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾[1]، ومعلوم أنه ليس المراد هنا الترتيب في الفعل؛ لأن الإيمان مقدم على هذه الأفعال. وكما قال تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾[2]، ومعلوم أن إيتاء موسى عليه السلام الكتاب مقدم على خطاب الرسول صلى الله عليه وسلم"[3].

وأما تقديم الجهاد على الحج مع أن الحج ركن من أركان الإسلام فقد قال ابن حجر: " إن نفع الحج قاصر غالبا، ونفع الجهاد متعد غالبا، هذا بالإضافة إلى ما سبق ذكره من أن مشقة الجهاد أعظم من مشقة الحج "[4].

وأما الحج المبرور فقد قال المصنف: "هو الذي لا يرتكب صاحبه فيه معصية، وذكر مثل ذلك، أو أنه المأجور، أو الخالص لله، أو المتقبل، وأن من علامات القبول أن يزداد صاحبه بعده خيرًا، والأقوال في تعريف الحج المبرور ملتقية"[5].

ثالثًا - من أساليب الدعوة: الترغيب:

حيث جاء في الحديث: (إن هذه الأمور من أفضل الأعمال)، وأسلوب الترغيب من أساليب الدعوة الهامة، حيث يحبب المدعو في فعل الخير ذلك لأن النفس البشرية

---

(١) سورة البلد الآيات: ١٢-١٧.

(٢) سورة الأنعام، الآيات: ١٥١ - ١٥٤.

(٣) شرح صحيح مسلم ٢/٧٧ - ٧٨.

(٤) فتح الباري ١/٧٩.

(٥) شرح صحيح مسلم للنووي ٢/٧٤ - ٧٥.

بطبيعتها تميل إلى الوعد بالثواب والأجر، "والترغيب هو كل ما يشوق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه"[١]، ومن صور استعمال القرآن لأسلوب الترغيب قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ۝ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾[٢].

رابعًا - من فقه الداعية: مراعاة أحوال المدعوين:

يتضح ذلك من مضمون الحديث، وذكر الإيمان بالله ورسوله ثم الجهاد ثم الحج، قال النووي: "ذكر في هذا الحديث الجهاد بعد الإيمان، وفي حديث آخر لم يذكر الحج، وفي حديث آخر بدأ بالصلاة ثم البر ثم الجهاد، قال العلماء: اختلاف الأجوبة في ذلك باختلاف الأحوال واحتياج المخاطبين، وذكر ما لم يعلمه السائل والسامعون وترك ما علموه، ويمكن أن يقال: إن لفظة (من) مرادة كما يقال: فلان أعقل الناس والمراد من أعقلهم"[٣].

وقال ابن حجر: (اختلف الجواب عن هذا السؤال وأجيب بأن لفظ (من) مراد في كل منهما، وقيل: وقع باختلاف الأحوال والأشخاص فأجيب كل سائل بالحال اللائق به، وهذا اختيار الحليمي ونقله عن القفال)[٤].

ويتضح من هذا أن النبي ﷺ في جوابه راعى أحوال المدعوين وأجاب للسائل بما يناسبه ويناسب حاله وإلى هذا يجب أن يفطن الدعاة بأن تنزل إجابتهم حسب أحوال المدعوين.

قال الشيخ: عبدالله ناصح علوان: "إن الداعية لا ينجح في دعوته، ولا يكون موفقًا في تبليغه حتى يعرف من يدعوهم وكيف يدعوهم؟ وماذا يقدم معهم؟ وماذا يؤخر؟ وما القضايا التي يعطيها أهمية وأولوية قبل غيرها؟ وما الأفكار الضرورية التي يطرحها ويبدأ بها؟ وهذه الطريقة في الدعوة هي طريقة الرسول ﷺ وطريقة الذين اتبعوه

---

(١) أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان ص ٤٣٧.

(٢) سورة القمر، الآيتان: ٥٤ - ٥٥.

(٣) شرح صحيح مسلم ص ١٤٥.

(٤) فتح الباري ١/٩٨.

بإحسان فيجب على الداعية أن يبدأ بالأهم ثم المهم أن يبدأ في الدعوة بالعقيدة قبل العبادة، وبالعبادة قبل مناهج الحياة، وبالكليات قبل الجزئيات، وبالتكوين الفردي قبل الخوض في الأمور العامة[١].

خامسًا- من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على سؤال النبي ﷺ عما ينفعهم:

إن الإسلام يربي المسلمين على البحث والتعرف على الحقيقة، والتفاعل في ذلك مع أرفع المستويات والقيادات إيجابية وجدية وشجاعة، وإذا كان الصحابة رضي الله عنهم لم يكونوا يترددون في مساءلة الرسول ﷺ وهو إمام الأنبياء وسيد ولد آدم ومناقشته، والتكرار عليه حتى يظفروا بالمراد بآداب وأخلاق عالية من الطرفين، فأولى أن يتربى على ذلك سائر المسلمين في سائر الأزمنة والأمكنة مع قياداتهم وزعاماتهم. وهذه التربية ليست نظرية ترفيهية، وإنما هي عملية تطبيقية، ولذلك يُكتفى فيها بالقليل من الكلام والمناقشة، مع الكثير من العمل... فكلمات الرسول ﷺ كما في الحديث الذي نحن بصدده معدودة، وقد أوتي جوامع الكلم - عليه الصلاة والسلام - وكذلك كانت أسئلة الصحابة رضي الله عنهم من نفس الجنس، وهذه الروح هي المطلوبة أن تسري في الأمة، في نفوس أبنائها، وفي دعوتهم، وعملهم، وهي التي تشكل حياة اجتماعية فريدة. ولا شك أن واقع المسلمين يتمثل ذلك ولو بصورة متفاوتة، لكنها قابلة للتجديد والتوسع باستمرار ما دام هذا الدين باقيًا ومستمرًا.

وإن الإيمان المذكور في أولى الأولويات في هذا الحديث يوجد التربية المثالية بالرقابة الذاتية، ولا مثيل لذلك عند الآخرين، كما أنه يصنع النفوس المطمئنة الخالية من العقد والأمراض، ويوجد المجتمع المثالي المتآخي بالإيمان قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[٢]، المجتمع الذي يطبق المحبة والمودة والإيثار. وأما الجهاد وهو حماية

---

(١) كيف يدعو الداعية ص ٤٧ - ٤٨.

(٢) سورة الحجرات، آية: ١٠.

للحق، ونشرٌ له وحماية للمستضعفين، فإنه يمثل التضحية في أعلى صورها، إذ إنه تضحية بأغلى ما عند الإنسان: بالنفس والمال، وهذه التضحية يتقاعس عندها الآخرون، وكلّ منهم يريد أن ينوب عنه الآخر في ذلك. أما عند المسلمين فعلى العكس، فهنالك التسابق على هذه التضحية، لا سيما عند من يتشبع بالنصوص الشرعية التي تربط ذلك بأعلى المقامات، وبالإيمان بالذات، ومن ذلك ما في هذا الحديث، فيا لله ما أروع هذه الصفة! وما أعظم أثرها الاجتماعي في المجتمع المسلم! بهذه التضحية نشر الصحابة رضي الله عنهم والأجيال السالفة الإسلام والحق في البلاد التي فتحوها، ومعروف في التاريخ أن الداخلين بالقوة على أي بلد ينظر إليهم أبناء البلد أنهم محتلون مغتصبون مكروهون، بخلاف القادة الفاتحين وجنودهم الذين أدخلوا كثيرًا من البلاد في الإسلام، فإنه ينظر إليهم أبناء تلك البلاد أنهم مجاهدون مباركون قدموا أعظم جميل وخير لأبناء البلد، ويذكرونهم بكل محبة وتقدير، ويدعون لهم في كل حين.

وأما الحج فهو رحلة جماعية سنوية يمارسها المسلم مرة في العمر، ولأجل فضائلها ومنافعها، فإن كل مسلم يتشوّق ويتوق وتهفو نفسه لتكرارها كلما أمكن، لما تفعله في النفوس وفي الواقع الاجتماعي من صلاح وتقوى، وعلاقات وتبادل فوائد، ومنافع دينية ودنيوية، ولما تحدثه من تربية سنوية شاملة، ودعوة متكاملة، وعبادة عميقة، ولما تغرسه من مشاعر نبيلة وذكريات تستعصي على الوصف، ويحرص المسلم في كل مرّة حجٍ على أن يخرج من هذه العبادة وهو أتقى لله وأحظى عند إخوانه، بأن يكون حَجّهُ مبرورًا مقبولاً لا إثم فيه ولا معصية... يبادر في هذه العبادة الجماعية إلى خدمة الآخرين والإحسان إليه بالترويح على أجسامهم وأرواحهم، بتقديم أطايب الطعام لهم ما أمكن، ومعاشرتهم بالسلام وأحلى الكلام، لأن هذا هو برّ الحج... فما أروع هذا الدين!

الحديث رقم (١٢٧٦)

١٢٧٦- وعنه، قَالَ: سَمِعْتُ رسولَ اللهِ ﷺ، يقول: ((مَنْ حَجَّ[١]، فَلَمْ يَرْفُثْ، وَلَمْ يَفْسُقْ، رَجَعَ كَيَوْمَ وَلَدَتْهُ أمُّهُ)) متفقٌ عَلَيْهِ[٢].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

يَرْفُث: من الرَفَث بفتح الراء وضم الفاء: الكلام الفاحش، وهو يطلق على هذا وعلى الجماع، وعلى مقدماته، وعلى ذِكْره مع النساء أو مطلقًا، ويحتمل أن يكون لما هو أعم منها[٣].

لم يفسق: لم يأت بسيئة ولا معصية[٤].

الشرح الأدبي

يتكون الحديث الشريف من جملة شرطية واحدة يوضح النبي ﷺ فيها أمرين أساسيين لقبول حج المؤمن، وهما: عدم الرفث، والفسوق. والرفث كناية عن الجماع، ومقدماته، والفسوق، هو الخروج عن الحد، ويشمل كل المخالفات التي قد يرتكبها الإنسان، فيخرج بسببها من سياج التقوى، كما تخرج التمرة من قشرتها. وجاءت الفاء في قوله: " فلم يرفث. . " لتوضح أن المؤمن يحافظ علي حجه أثناء المناسك، وبعد الانتهاء منها، لأن الفاء للترتيب والتعقيب، حيث يعود الحاج إلي وطنه، وقد تغير إلي الأحسن، والأفضل في تصرفاته، وعبادته لله، ومعاملاته مع الناس، وتكون صفحته خالية من

---

(١) عندهما في هذه الرواية: (من حج لله) وعند مسلم بعده بدون رقم: (من حجَّ فلم يرفث)، تبع المؤلف المنذري وهذا لفظه.

(٢) أخرجه البخاري (١٥٢١)، ومسلم (١٣٥٠/٤٣٨) ولفظهما سواء. اورده المنذري في ترغيبه (١٦٤٠).

(٣) فتح الباري ١٢٥/٤، وانظر: شرح صحيح مسلم ٨٤٥.

(٤) فتح الباري ٤٤٧/٣.

الآثام كالطفل عندما تلده أمه حيث لم يفعل ذنبا قط، وهذا أكبر دليل على أن التوبة تجبُّ ما قبلها وما ما أشارت إليه الصورة البيانية الرائعة في قوله (رجع كيوم ولدته أمه) والعبارة كناية عن نقائه من الخطايا ، والتشبيه بهيئة المولود يشير إلى النقاء من الخطايا مع نقاء القلب يعرف هذا من نقاء قلب الطفل، كما يشير إلى تعلقه بربه كتعلق الجنين الفطري بأمه، وهو توكيد للمغفرة التامة ينفي وهم المبالغة من عقل من استعظم خطاياه. والله أعلم.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الشرط.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل وثواب الحج المبرور.

ثالثًا: من أهداف الدعوة: تهذيب وتقويم سلوك الإنسان.

أولاً - من أساليب الدعوة: الشرط:

حيث جاء في الحديث: (من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه)، ومما لا شك فيه أن أسلوب الشرط من أساليب الدعوة التي تلفت انتباه المدعو وتشده إلى معرفة الجواب، وأسلوب الشرط يبين من جانب آخر ارتباط الشرط بالجزاء، والعمل بالثواب، ومن صور استعمال القرآن الكريم لأسلوب الشرط قول الله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْءَاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾[2].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: فضل وثواب الحج المبرور:

حيث جاء في الحديث: "رجع كيوم ولدته أمه"، قال النووي: (والرفث اسم للفحش

---

(١) سورة الكهف، آية: ١١٠.

(٢) سورة الشورى، آية: ٢٠.

من القول وقيل هو: الجماع ومعنى: كيوم ولدته أمه أي بغير ذنب، وأما الفسوق فالمعصية)[١].

وقال الطيبي: "قال الأزهري: والرفث هو كلمة جامعة لكل ما يريده الرجل من المرأة، وقوله: (من حج) شرط وجوابه: (رجع) أي: صار، والجار والمجرور خبر، ويجوز أن يكون حالاً، أي: رجع مشابهًا لنفسه في البراءة عن الذنوب في يوم ولدته أمه"[٢].

وقال ابن حجر: "قال ابن خالويه: المبرور المقبول، وقال غيره: الذي لا يخالطه شيء من الإثم، ومما قاله القرطبي: إنه الحج الذي وفيت أحكامه ووقع موقعًا لما طلب من المكلف على الوجه الأكمل، وقوله: (رجع كيوم ولدته أمه)، أي: بغير ذنب، وظاهره غفران الصغائر والكبائر والتبعات"[٣].

ومما هو معلوم أن في عبادة الحج إظهار العبودية وشكر النعمة، ولكي ينال العبد ثواب الحج المبرور "فإنه يجب على من يريد بالحج طاعة وتقربًا إلى الله تعالى، ويطمع في قبوله وإثابته عليه أن يقصد بحجه وجه الله تعالى لا رياء ولا سمعة، وإن كنت ظلمت غيرك في ماله أو عرضه فرد إليه حقه واطلب منه أن يسامحك، وأن يكون مالك من كسب حلال طيب لا شبهة فيه، وأن تتوب إلى الله قبل سفرك توبة نصوحًا من جميع الذنوب التي ارتكبتها طول حياتك وتنوي عدم الرجوع إلى معصية قط"[٤].

إن الأصل في البشر والجن عدم العصمة والوقوع في الذنوب، والمؤمنون لذلك مطالبون بالتوبة والاستغفار، وهم خير الثقلين، قال تعالى: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[٥]، وقال سبحانه: ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ﴾[٦]،

---

(١) شرح صحيح مسلم ٨٤٥.

(٢) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح ٢١٩/٥.

(٣) فتح الباري ٤٤٦/٣ - ٤٤٧.

(٤) الدين وأركان الإسلام، الحاج عباس كرارة، ط/٢ مركز الحرمين مكة المكرمة: ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، ص ٥١٠.

(٥) سورة النور، آية: ٣١.

(٦) سورة هود، آية: ٣.

والآيات والأحاديث في ذلك كثيرة. ويستثنى الأنبياء عليهم السلام فهم معصومون، وإذا وقعت منهم بعض الصغائر التي تظهر بها بشريتهم منعًا للغلوّ فيهم، فإنهم ينبهون عليها ويغفرها الله لهم، وهذا نوع من العصمة، كما حدث لآدم حين أكل من الشجرة، قال تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾(١)، وكما حدث ليونس عليه السلام حين خرج مغاضبًا لقومه بدون إذن من الله فعوقب بالحبس في بطن الحوت، ثم تاب فتاب الله عليه: ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾(٢).

والحج الذي لا رفث فيه ولا فسوق باب عظيم من أبواب مغفرة الذنوب، ما دام أن الجن والإنس غير معصومين، فالحج يخرج صاحبه من ذنوبه كلها ويرجع كيوم ولدته أمه، والراجح أن هذه الذنوب تشمل الصغائر والكبائر، قال ابن حجر في قوله: (رجع كيوم ولدته أمه) أي: بغير ذنب، وظاهره غفران الصغائر والكبائر والتبعات، وهو من أقوى الشواهد لحديث العباس بن مرداس المصرح بذلك، وله شاهد من حديث ابن عمر في تفسير الطبري"(٣).

قال العيني: "وظاهره الصغائر والكبائر، وقال صاحب (المفهم): هذا يتضمن غفران الصغائر والكبائر والتبعات، ويقال هذا ما يتعلق بحق الله لأن مظالم الناس تحتاج إلى استرضاء الخصوم"(٤).

والحج عبادة جماعية وعندما يسافر الحجاج من بلادهم وكذلك عندما يؤدون المناسك، فغالبًا ما يكونون في مجموعات، ويشرع في الإسلام في مثل هذه الحالة أن تُؤمّر المجموعة واحدًا منها، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

---

(١) سورة البقرة، آية: ٣٧.

(٢) سورة الصافات، الآيتان: ١٤٣ - ١٤٤.

(٣) فتح الباري ٣٨٣/٣.

(٤) عمدة القاري ١٥٩/١٠.

((إذَا خَرَجَ ثَلاَثَةٌ فِي سَفَرٍ فَلْيُؤَمِّرُوا أَحَدَهُمْ))[1]، وهذا معناه التربية على الانتظام، وعلى الالتزام بالحياة المدنية والاجتماعية، فيترتب في هذه الإمارة أمر الطعام، وأمر النوم، وأمر التوقف، وأمر التحرك، ويتم التعرف من أفراد المجموعة على بعضهم بعضًا، والتناوب بينهم في القيام بالخدمات، ومساعدة الضعيف، ومواساة المحتاج والمريض، وتعميق معاني الأخوة والمحبة والتناصح، والقيام بتعليم الجاهل ودعوة الغافل، وأداء المناسك بإتقان، وبذلك تمضي جميعًا قضايا التربية، والدعوة، وإصلاح النفوس، والسلوك الاجتماعي القويم، تحت مظلة هذه العبادة العظيمة، عبادة الحج.

كما أن اختلاط مجموعات الحجيج واحتكاك بعضها ببعض ينتج عنه التعارف والتأسي بالإيجابيات ونشرها وتعميمها، والتقاء مختلف الطاقات المتخصصة واستفادة بعضها من بعض، كالعلماء والدعاة والمصلحين السياسيين وعقد المؤتمرات والندوات، وتبادل الخبرات، وتنشيط التجارات والصناعات، وعقد الاتفاقات، والاستفادة من التنوع في بلاد المسلمين في شتى المجالات.

كما أنه يتم في هذه الأجواء الروحانية تفادي السلبيات، وعزل المنكرات وتنمية أنواع المعروف، فإذا وقع أحد في شيء من الرفث أو الفسوق أو الجدل فسوف يجد مسلكه غريبًا في مجتمع الحجاج، ولن يجد من يسايره، فيضطر للعودة للجادة، ويتعود ذلك في مدى كافٍ واسع مبارك من الزمان والمكان والإخوان.

وفترة الذهاب إلى الحج والأداء ثم العودة مع البرنامج الإيماني المكثف في تلك الأوساط الفعالة المؤثرة... كلُّ ذلك يجعل عبادة العمر تترك آثارها وبصماتها العميقة على الحاج على مدى العمر! بل تعيد صياغة وصناعة حياته من جديد، فيعود إلى وطنه وأسرته وعمله شخصًا جديدًا، داعية ومعلمًا ومربيًا بلسان الحال والمقال، منفقًا من مزادة التقوى، غارفًا من مستودع المشاعر والذكريات، ينفذ إلى القلوب بفعل المغفرة التي أعادته إلى جاذبيته القديمة كيوم ولدته أمه، فكما كان يجذب القلوب بطفولته البريئة فهو بعد الحج المبرور والذنب المغفور يجذبها بشفافيته المضيئة.

---

(١) أخرجه أبو داود ٢٦٠٨، وقال الألباني حسن صحيح (صحيح سنن أبي داود ٢٢٧٢).

ثالثًا - من أهداف الدعوة: تهذيب وتقويم سلوك الإنسان:

حيث جاء في الحديث: "من حج فلم يرفث ولم يفسق"، إن من فوائد الحج أن يهذب سلوك الإنسان فيبتعد عن فحش القول والجدال والمراء ويتمرن على ذلك، وهذا هدف رئيس من أهداف الدعوة، قال تعالى: ﴿فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّ﴾[1]، قال الطيبي: "قال سعيد بن جبير في قوله تعالى: (فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج): الرفث: إتيان النساء، والفسوق: السباب، والجدال: المراء، يعني مع الرفقاء والخدم والمُكَارِين، وإنما لم يذكر الجدال في الحديث اعتمادًا على الآية"[2].

وفي بيان آثار فريضة الحج على سلوك الإنسان قال الشيخ: السيد سابق: "إن الحج نوع من السلوك، ولون من ألوان التدريب العملي على مجاهدة النفس من أجل الوصول إلى المثل العليا، فملابس الإحرام خالية من الزينة، ومن كل ما يثير في النفس دواعي العُجّب والخيلاء، والمرء حينما يدخل في أعمال الحج يجب عليه أن يعيش في جو من العفاف والأدب العالي فلا يتدلى إلى رفث ولا يميل إلى فسوق، ولا ينطق بكلمة طائشة، أو ينظر نظرة فاحشة، وفي الحج يحرص المسلم على فعل الخير وهو عمل إيجابي، كل مؤمن يهتم به ويحرص عليه، وفي الحج يحدث التعارف بين الشعوب الإسلامية، وتتوحد غاياتهم التي توجههم الوجهة التي تأخذ بأيديهم إلى حياة القوة والعزة والعلم والعمل، بما يفيد بعضهم من بعض ومن تبادل الآراء المختلفة، والثقافات المتنوعة"[3].

ومن خلال هذا يتبين أن من أهداف الدعوة الرئيسة: تقويم وتهذيب السلوك الإنساني من خلال فريضة الحج.

إن الرفث والفسوق والجدال ممنوع في الحج لقوله تعالى: ﴿فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٩٧.

(٢) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح ٢١٩/٥.

(٣) إسلامنا ص ١٢٦ - ١٢٧.

﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلۡحَجِّ﴾(١)، وهنا في الحديث ضمان بأن من لم يرفث ولم يفسق يرجع مغفورًا له، خاليًا من الذنوب، كيوم ولدته أمه.

"وأما الفسوق فهو يشمل المعاصي كلها، كما ذكر هؤلاء الأئمة، لأن أصل الفسوق هو الخروج، والمقصود الخروج عن طاعة الله بالوقوع في أي معصية"(٢).

وأما الجدال فهو التنازع حول أي موضوع كما يفهم من كلامهم، ولم يرد ذكره في الحديث، وإنما ورد في الآية، وقد نقل ابن حجر في الموضع المذكور أنه لم يذكر الجدال في الحديث، كما ذُكر في الآية، على طريق الاكتفاء، أو أن الحَسَنَ منه غير مؤثر، كما إذا كان حول أحكام الحج، وأما الفاحش فإنه داخل في عموم الرفث المنهي عنه.

وأما لماذا لم يتم الاكتفاء بالفسوق؛ إذ إنه يدخل في الفسوق الرفث المنهي عنه والجدال المنهي عنه، فالجواب أن الجدال قد أمكن الاكتفاء فيه كما في الحديث، وإنما ذُكر في الآية من باب التفصيل، ومن باب ذكر الخاص بعد العام، وأما الرفث فإن له خصوصية، وهو أن نوعًا منه وهو الجماع يفسد الحج بالإجماع، إذا كان قبل الوقوف بعرفة، وعلى صاحبه حج قابل - أي في العام القادم - والهدي كما ذكر الائمة. ولهذه الخصوصية كان إيراد الرفث سواء في الآية أم في الحديث، أم سائر المعاصي المعبر عنها بالفسوق فلا تصل إلى حد إفساد الحج، بل يلزم في بعضها دمٌ كما هو مفصّل في كتب الفقه، قال ابن تيمية: "وليس في المحظورات ما يفسد الحج إلا جنس الرفث، فلهذا ميز بينه وبين الفسوق. وأما سائر المحظورات: كاللباس، والطيب، فإنه وإن كان يأثم بها، فلا تفسد الحج عند أحد من الأئمة المشهورين"(٣).

إن للعبادات آثارًا عظيمة في حياة المسلم، ومن ذلك آثارها في الجانب الأخلاقي. والحج إحدى هذه العبادات، وهو عبادة بدنية ومالية مهذِّبة لما اعتادته الأبدان والنفوس،

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٩٧.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٤٠١/٢.

(٣) مجموع الفتاوى ١٠٨/٢٦.

مقوّمة لسلوكيات الشخص في هذه العبادة الجماعية عندما يختلط بالآخرين، فالمنع من الرفث فيه ضبط للأقوال والأفعال، بحيث يتحكم الشخص في ميوله ورغباته ولو كانت مباحة في الأصل، ويجتنب الجدال إذا خرج عن الإطار المسموح به، لأنه يصير فاحشًا وداخلاً في الرفث كما مرّ، واختلاط الحاج بإخوانه الحجاج ومن تجمعه بهم الطريق ووسائل النقل، وإدارات التعامل ونحوهم، تجعل الحاج يعيش طوال فترة الإحرام، والحج وهو في حال رقابة وحرص على ضبط لسانه، وضبط تصرفاته، وما أكثر ما يتفلت اللسان! وليس هنالك ما هو أحوج إلى طول حبس من اللسان؛ بحيث يقتصر الحاج على الكلام المعروف البعيد عن أي لون من الفحش، أو المغالبة، ويشغل لسانه بأنواع الذكر. فهذا لا شك سمو بخلق الحاج بحيث تستسلم له نفسه بالانضباط في المباح فضلاً عن غير المباح ولا يستسلم لها.

وأما الفسوق فهو الوقوع في المعاصي بشكل عام، ومنها الأمور المنهي عنها أثناء الإحرام، وهي الأمور المحددة التي بالالتزام باجتنابها تتغير حياة المحرم حتى في مظهره وبرنامجه اليومي، فإذا كان عدم الالتزام بذلك فسوقًا، فكيف بما هو محرمٌ في سائر الظروف؟!

إن الامتناع عن الرفث والفسوق بحزم، مدة الإحرام، هو أكثر من الدخول في دورة موسمية نموذجية؛ فالترغيب والترهيب في دورات البشر لا يرتقيان أبدًا إلى مستوى الترغيب والترهيب إذا كانا من الرب الرقيب الحسيب! ومن الذي يستطيع أن يجمع تلك الأعداد الهائلة من مختلف الأجناس في زمان ومكان محددين بكل ذلك الانضباط؟! لكي تعود مجموعات هذه الأعداد بالنتائج الطيبة، والشمائل المستقيمة إلى مختلف البلاد، يعودون بالأخلاق المكتسبة، إضافة إلى غفران شامل لجميع الذنوب السالفة، وتطهير تام من جميع الأدران الماضية؛ إنها تحلية وتخلية، تحلية بالأخلاق وتخلية عن جميع الذنوب، إضافة إلى أداء ركن الإسلام: الحج، وقضاء فريضة العمر بزيارة بيت الله، والسياحة في أرض الله، والتشرف بعيش أفضل الأوقات في أفضل البقاع، (من حجّ فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه) ولله الحمد والمنة.

الحديث رقم (١٢٧٧)

١٢٧٧- وعنه: أنَّ رسول اللهِ ﷺ، قال: ((العُمْرَةُ إِلَى العُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا، وَالحَجُّ المَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إلاَّ الجَنَّةَ)) متفقٌ عَلَيْهِ[١].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

كفارة: ماحية وساترة[٢].

المبرور: لا يرتكب صاحبه فيه معصية[٣]، وقيل: هو المقبول [٤].

الشرح الأدبي

لقد بني الحديث الشريف علي الأسلوب الخبري الذي يبث الأمل، والتفاؤل، والاستبشار في قلب المتلقي، حيث أوضح المصطفي عليه الصلاة والسلام – أن أعمال العمرة، تكون كفارة لما سبقها من ذنوب الإنسان التي سبقتها، وكلمة " كفارة " توحي بأن الذنوب كثيرة نظرا لما في الفاء " من تشديد. والجملة الثانية: "والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة " فيها قصر بلاغي حقيقي، حيث قصر الموصوف (وهو المؤمن الذي يقوم حجه علي البر) قصره علي صفة (دخول الجنة)، وبقي علي المؤمن أن يعيد النظر في حجه هذا: هل هو مبرور أم لا ؟. الجدير بالذكر أن الألفاظ التي جاءت في الحديث معبرة، وموحية، ومنتقاة. فلفظ " العمرة " من الإعمار ويشير إلى إعمار القلب بالطاعة، والمعروف بعد تخريب الشيطان له. بدفعه إلى المعاصي، ولفظ " مبرور " يوحي بالبر والتقوى. ولفظ: "الجنة" يوحي للنفس بكل متاع تهفوا إليه حسي أو معنوي في ثوبه الأخروي المصبوغ بصبغة الخلود.

---

(١) أخرجه البخاري (١٧٧٣)، ومسلم (١٣٤٩/٤٣٧) ولفظهما سواء

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ك ف ر).

(٣) رياض الصالحين ٤٥٣.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ب ر ر).

فقه الحديث

يشير الحديث إلى عدة أحكام منها:

١ - فضل العمرة: الحديث ظاهر في فضيلة العُمْرة، وأنها مكفرة للخطايا الواقعة بين العمرتين[١].

٢ - حكم الاعتمار قبل الحج: في الحديث إشارة إلى جواز أداء العمرة قبل الحج[٢].

٣ - حكم تكرار العمرة في السنة الواحدة: ذهب جمهور الفقهاء (الحنفية، وبعض المالكية، والشافعية، والحنابلة وعلي، وابن عمر، وابن عباس، وأنس، وعائشة، وعطاء، وطاووس، وعكرمة) إلى استحباب تكرار العمرة في السنة الواحدة مرارًا[٣]. واستدلوا على ذلك بحديث الباب، وبأن عائشة رضي الله عنها اعتمرت في شهر مرتين بأمر النبي ﷺ عُمْرةُ مع قِرَانها وعمرة بعد حجها[٤].

وذهب المالكية في المشهور، والحسن، وابن سيرين إلى كراهة أن يعتمر في السنة الواحدة أكثر من مرة[٥].

وذهب القاضي وآخرون إلى أنه لا يعتمر في الشهر أكثر من عمرة[٦].

واستدلوا على ذلك بأن النبي ﷺ لم يفعله[٧].

ويناقش هذا: بأن عدم فعل النبي ﷺ لا يدل على عدم الجواز بدليل أن النبي ﷺ أذن لعائشة في أن تعتمر في شهر مرتين ولو لم يكن جائزًا لما أذن لها[٨].

---

(١) شرح صحيح مسلم ١١٨/٩.

(٢) الجوهرة المنيرة ١٥٢/١، مواهب الجليل ٤٦٨/٢، مغني المحتاج ٢٨٦/٢، كشاف القناع ٤١٠/٢، فتح الباري ٧٣١/٣.

(٣) حاشية رد المحتار ٤٧٢/٢، مواهب الجليل ٤٦٧/٢-٤٦٨، مغني المحتاج ٢٢٤/٢، المغني ٩٠/٣، شرح صحيح مسلم ١١٨/٩، فتح الباري ٧٣٠/٣، نيل الأوطار ٢٨٣/٤.

(٤) المغني ٩٠/٣.

(٥) مواهب الجليل ٤٦٧/٢-٤٦٨، المغني ٩٠/٣، شرح صحيح مسلم ١١٨/٩.

(٦) شرح صحيح مسلم ١١٨/٩، فتح الباري ٧٣٠/٣، نيل الأوطار ٢٨٣/٤.

(٧) المغني ٩٠/٣.

(٨) المغني ٩٠/٣.

والراجح هو ما ذهب إليه جمهور الفقهاء، لأن جميع السنة وقت للعمرة فصح في كل وقت منها[١].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: الحث على الاستزادة من العمرة.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: ثواب الحج المبرور وأثره في سلوك المسلم.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً - من موضوعات الدعوة: الحث على الاستزادة من العمرة::

يتضح هذا من الحديث: (العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما)، في هذا الحديث بيان أن الذنوب ما بين العمرتين مكفَّرة، وأن الحج المبرور، أعظم من ذلك أثرًا، ليس له جزاء إلا الجنة.

أي أن هنالك فرقًا ما بين التكفير لما بين العمرتين من الذنوب، وبين ثمرة الحج، وهذا يؤكد ما نقلناه في شرح الحديث السابق من أن الحج يكفر الذنوب الصغائر والكبائر، ويبدو أن ذلك بسبب مشقة الحج، وبسبب العتق الذي يكون يوم عرفة، وغير ذلك. وأما التكفير للذنوب التي بين العمرتين فهو تكفير للصغائر فقط كغالب العبادات، ومما يدل على ذلك، الحديث الذي عند مسلم عن أبي هريرة ﵁ أن رسول الله ﷺ قال: ((الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ. وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ. وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ. مُكَفِّرَاتٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ. إِذَا اجْتَنَبَ الْكَبَائِرَ))[٢]، وقد ذكر ابن عبدالبر أن بعض المنتمين إلى العلم في عصره قال بأن الكبائر والصغائر تكفرها الصلاة والطهارة ونحوها عملاً بظاهر بعض الأحاديث والآثار، وذكر أن هذا لا يتفق مع مثل قوله تعالى: ﴿تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾[٣]، وقوله تعالى: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾[٤]، وأنه لو كانت

---

(١) شرح صحيح مسلم ١١٨/٩.

(٢) أخرجه مسلم ٢٢٣.

(٣) سورة التحريم، آية: ٨.

(٤) سورة النور، آية: ٣١.

الطهارة والصلاة وأعمال البر مكفرة للكبائر، والمتطهر والمصلي غير ذاكر لذنبه الموبق ولا قاصد إليه، ولا حضره في حينه ذلك أنه نادم عليه، ولا خطرت خطيئته المحيطة به بباله، لما كان لأمر الله عز وجل بالتوبة الخاصة معنى، ولكان كل من توضأ وصلى يُشهد له بالجنة بمجرد أن يسلم من الصلاة، وإن ارتكب قبلها من الموبقات ما شاء، وهذا لا يقول به أحد ممن له فهم صحيح واعتقاد سليم، واستدل بالحديث الذي عند مسلم المذكور قبل قليل... إلخ.

وذكر أن معنى قوله تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾[1]، أنه باجتناب الكبائر يتم تكفير الصغائر بالصلاة والصوم ونحوها، وأنه إذا لم يتم اجتناب الكبائر، ولا التوبة الخاصة من كل منها، فإنه لا يتم الانتفاع بتكفير الصغائر، وهذا قبل الموت، وأما بعده فمصير مرتكب الكبائر إلى الله إن شاء عذبه وإن شاء غفر له"[2].

وقد ذكر ابن حجر: "أن من ترك الصلوات ومثلها الطهارة والصوم ونحو ذلك، أنه يكون مرتكبا للكبائر غير مجتنب لها فلا يتم التكفير للصغائر، فتلتقي بذلك النصوص"[3].

والخلاصة أن أغلب العبادات تكفر الصغائر، ويبقى لبعض العبادات خصوصيتها في تكفير جميع الذنوب، ومنها الكبائر ما عدا حقوق بني آدم، ومن هذه العبادات الحج كما سبق،وكذلك الجهاد قال النووي عند شرح حديث (أرأيتَ إن قُتِلْتُ في سبيل الله أتكفر عني خطاياي، فأجابه النبي ﷺ بـ (نعم) واستثنى الدَّيْن[4]، قال النووي: "فيه هذه الفضيلة العظيمة للمجاهد وهي تكفير خطاياه كلها إلا حقوق الآدميين"[5].

---

(١) سورة النساء، آية: ٣١.

(٢) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ابن عبدالبر ٤/٤٤ - ٥٠.

(٣) فتح الباري ٢/١٢.

(٤) الحديث أخرجه مسلم ١٨٨٥.

(٥) شرح صحيح مسلم ١٣/٢٩.

والحديث يدل على جواز تكرار العمرة في السنة.

قال النووي: "هذا ظاهر في فضيلة العمرة، وأنها مكفرة للخطايا الواقعة بين العمرتين، والجمهور على استحباب تَكْرَار العمرة في السنة الواحدة مرارًا، وقال مالك وأكثر أصحابه: يكره أن يعتمر في السنة أكثر من عمرة، قال القاضي: وقال آخرون: لا يعتمر في شهر أكثر من عمرة.

واعلم أن جميع السنة وقت للعمرة، فتصح في كل وقت منها إلا في حق من هو متلبس بالحج، فلا يصح اعتماره حتى يفرغ من الحج، واختلف العلماء في وجوب العمرة فعند الجمهور أنها واجبة، وقال مالك وأبو حنيفة وأبو ثور: هي سنة وليست بواجبة"[1].

وذكر ابن حجر: "أن الحديث يدل على استحباب الاستكثار من الاعتمار، وجاء بنحو كلام النووي رحمه الله، وأجاب عن الاستدلال بأن الرسول ﷺ لم يفعلها إلا من سَنَةٍ إلى سَنَةٍ، بأنه كان ﷺ يترك الشيء وهو يستحب فعله لرفع المشقة عن أمته، وقد ندب إلى تكرار العمرة بقوله، فثبت الاستحباب من غير تقييد، وذكر ابن حجر أن الأثر عن أحمد أن المعتمر لابد أن يحلق أو يقصر، فلا يعتمر بعد ذلك إلى عشرة أيام ليمكن حلق الرأس فيها.

وفي الحديث إشارة إلى جواز أن يؤدي الشخص العمرة ولو لم يكن قد سبق له الحج في أي مرة من قبل، والمقصود أنه يجوز أن يعتمر في أي وقت حتى ولو لم يكن قد حج. ولا تدخل في ذلك عمرة التمتع؛ لأنه إنما يعتمر بعمرة مرتبطة بحج سيكون بعدها مباشرة فليس المقصود هذا.

وقد بوّب البخاري بقوله: (باب من اعتمر قبل الحج) ثم ذكر بسنده أن عكرمة بن خالد سأل ابن عمر رضي الله عنهما عن العمرة قبل الحج، فقال: لا بأس. قال عكرمة: قال ابن عمر: اعتمر النبي ﷺ قبل أن يحج"[2].

وقال ابن حجر أيضًا: "قوله: (العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما) أشار ابن عبد البر

---

(١) شرح صحيح مسلم ٨٤٤.

(٢) فتح الباري ٥٩٨/٣.

إلى أن المراد تكفير الصغائر دون الكبائر قال: وذهب بعض العلماء في عصرنا إلى تعميم ذلك، ثم بالغ في الإنكار عليه، وفي الحديث دلالة على استحباب الاستكثار من الاعتمار خلافا لقول من قال: يكره أن يعتمر في السنة أكثر من مرة "[١].

وقال ابن القيم: "وفي قوله ﷺ: (العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة) دليل على التفريق بين الحج والعمرة في التكرار، وتنبيه على ذلك، إذ لو كانت العمرة كالحج لا تفعل في السنة إلا مرة لسوّى بينهما ولم يفرق، وروى الشافعي عن علي رضي الله عنه أنه قال: اعْتَمِرْ في كل شهر مرة، وعن سويد بن أبي ناجية عن أبي جعفر قال: قال علي رضي الله عنه: اعْتَمِرْ في الشهر إن أطقت مرارًا، وعن بعض ولد أنس أن أنسًا رضي الله عنه كان إذا كان بمكة فحمّم رأسه[٢] خرج إلى التنعيم فاعتمر، وقال ابن الموّاز: وتكرار العمرة أرجو أن لا يكون به بأس وقد اعتمرت عائشة رضي الله عنها مرتين في شهر ولا أرى أن يمنع أحد من التقرب إلى الله بشيء من الطاعات، ولا من الازدياد من الخير في موضع، ولم يأت بالمنع منه نص، وهذا قول الجمهور"[٣].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: ثواب الحج المبرور وأثره في سلوك المسلم:

يتضح هذا من الحديث: (والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة)، قال النووي: "المبرور هو الذي لا يخالطه إثم مأخوذ من البر وهو الطاعة، وقيل: هو المقبول، ومن علامة القبول أن يرجع خيرًا مما كان ولا يعاود المعاصي، وقيل: هو الذي لا رياء فيه، وقيل: الذي لا يعقبه معصية، وهما داخلان فيما قبلهما، ومعنى ليس له جزاء إلا الجنة: أنه لا يقتصر لصاحبه من الجزاء على تكفيره بعض ذنوبه بل يعده أن يدخل الجنة"[٤].

وقال ابن علان: "وقوله: (الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة)، يحتمل أن يكون من جزائه إلهام صاحبه التوبة من كل ذنب، وتوفيقه لذلك، وحفظه من المخالفة في عمره

---

(١) المرجع السابق ٣/٦٩٦.

(٢) أي: اسود رأسه بعد الحلق بنبات شعره، النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ح م م).

(٣) زاد المعاد ٢/٩٨ - ١٠٠ بتصرف.

(٤) شرح صحيح مسلم ص ٨٤٤.

فيدخل الجنة مع الفائزين"[١].

والحج هو التعبد لله عز وجل بأداء المناسك ففيه تبرز حقيقة العبودية والإيمان "إن الحج مدرسة يتعود فيها المسلم على الصبر، ويتذكر فيها اليوم الآخر وأهواله، ويستشعر فيه لذة العبودية لله، ويعرف عظمة ربه وافتقار الخلائق كلها إليه، والحج موسم كبير لكسب الأجور، تضاعف فيه الحسنات، وتكفر فيه السيئات يقف فيه العبد بين يدي ربه مقرًا بتوحيده، معترفًا بذنبه وعجزه عن القيام بحق ربه، فيرجع من الحج نقيًا من الذنوب كيوم ولدته أمه، وفي الحج تذكير بأحوال الأنبياء عليهم السلام وعبادتهم ودعوتهم وجهادهم وأخلاقهم وتوطين النفس على فراق الأهل والولد، والحج ميزان يعرف به المسلمون أحوال بعضهم، وما هم عليه من علم أو جهل، أو غنى أو فقر أو استقامة أو انحراف"[٢].

وعندما يعلم المسلم بهذا الحديث وأمثاله؛ فإنه يترسخ لديه الشعور الملازم بطبيعة الإنسان وأنه مذنب كثيرُ الخطايا، وهذا معناه الشعور الإيجابي بالنقص الذي يدفع الإنسان إلى العمل على التقليل من الذنوب، والأخذ بأسباب التخلص منها، سواء عن طريق الابتعاد عنها عن مقارفتها، أو عن طريق محوها بعد الوقوع فيها، وذلك بالمكفرات كالعبادات ومنها: العمرة المتكررة، والحج المبرور.

كذلك فإن الشعور الإيجابي بالنقص، يجعل المسلم بعيدًا عن الغرور والعجب والكبر؛ لأنه يعلم نقطة الضعف التي لديه، ولدى سائر البشر غير الأنبياء عليهم السلام، وهي القابلية للذنب، وتذكر ذلك معناه الجزم من المرء بأنه ليس أفضل من سواه، وأنه يوجد من هو أفضل منه، وهو من كان أقل منه ذنبًا وأكثر منه تقوى ويتحقق عنده من خلال هذا اليقين، المعنى الدقيق لقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾[٣].

ومن أجل أن يتخلص المسلم من ذنوبه أولاً بأول، فإن ذلك يدفعه للاهتمام

---

(١) دليل الفالحين ص ١٣٨٥.

(٢) مختصر الفقه الإسلامي، محمد بن إبراهيم التويجري ص ٦٤٧ - ٦٤٨.

(٣) سورة الحجرات، آية: ١٣.

بالمكفرات، وهي في الأساس اجتناب الكبائر قال الله تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾[1].

ومن اجتناب الكبائر: أداء الفرائض كالصلاة والصوم والحج والطهارة والعمرة عند من يرى أنها واجبة، وهو الراجح.

وهذا الاهتمام بالمكفرات معناه الاهتمام بتعبير آخر بأسباب مكارم الأخلاق، وحسن التعامل هو ثمرة الطاعات، ولا انفكاك بين حسن التعامل مع الله وحسن التعامل مع خلقه.

وحتى يكون التكفير أكمل، فلا بد أن يكون أداء الفرائض والطاعات بشكل عام أكمل وأفضل، وهذا معناه الاهتمام بالأداء وتحسينه من أجل مردود أحسن؛ لأن الحج المبرور على سبيل المثال، وهو حج أعلى وأرقى من الحج الذي ليس له هذا الوصف، ليس له جزاء إلا الجنة.

وبذلك تنشأ علاقة تبادلية نامية مستمرة بين العبادات والأخلاق؛ فإتقان العبادة ينتج تفكيرًا أفضل، وتعاملاً مع الله أحسن، وهذا التعامل يسري في خلق الشخص عمومًا؛ لأن السلوك لا يتجزأ فيتحسن الخَلْق مع الخُلُق، لا سيما والخالق جل وعلا بيّن أن من غايات عبادته تحسين الأخلاق واجتناب الفحشاء والمنكر والرفث والفسوق والجدال.. إلخ، فالالتزام بالأخلاق لا سيما أثناء العبادات معناه تحسين العبادات.

وتحسين العبادات معناه: أن يظهر الأثر على الأخلاق، وهكذا.

وإن الإسلام يربي المسلمين بالعبادات، لأنه بدونها لا يمكن للشخص أن يصلح وضعه، ويتزكى، وتكون سلوكياته أصيلة، وإنما تكون سلوكيات شكلية اصطناعية يحتاج من أجل استمرارها إلى أن يراقبها الآخرون، أو يطلّعوا عليها، أما عند المسلم فإنه يكتفي بعلم الخالق ومراقبته، والذي ينشيء ويثبت لديه الشعور بهذا العلم والمراقبة بل اليقين بهما هو الالتزام بالعبادات؛ فسواء علم الناس أم لم يعلموا فهو على سلوك قويم.

---

(١) سورة النساء، آية: ٣١.

وبذلك تضيع دعاوى اللا دينيين التربوية، عندما يدعون إلى مجتمع شريف ومواطنين شرفاء على حد تعبيرهم، لأنه مهما كانت المحفزات والمشجعات، فإنها تبقى في حيّز رقابة البشر، ولا يمكن أن ترتقي أبدًا إلى رقابة الرقيب الحسيب سبحانه، قال تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ﴾[1].

والمسلم الملتزم بأداء العبادات المتخلق بثمارها يعمل على نشر ذلك في الآخرين فهو مسؤول عن تربية أسرته بالعبادات ودعوتهم إلى ذلك فعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: ((كلكم راعٍ وكلُّكم مَسؤولٌ عن رَعيَّته))[2].

ويتفقد زملاءه وجيرانه، ويحثهم، ويدعو إلى ذلك في المجتمع بشكل عام قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾[3].

وبذلك تسود المجتمع ظاهرةُ الطاعات والأخلاقُ والرقابةُ الذاتية، ويكثر الوافدون إلى بيت الله من حُجاج وعُمَّار، وتصلح ظواهر الناس وبواطنهم.

كما أن أسفار الحج والعمرة تنشّط التفاعلات الاجتماعية بين أبناء الإسلام، والتفاعلات العلمية والدعوية والسياسية والتجارية، وتزول الحواجز، وتذوب كثير من الفوارق بسبب ذلك ويعود للمسلمين كثير من ترابطهم وتماسكهم وأخوتهم.

ثالثًا: من اساليب الدعوة: الترغيب

يتضح هذا من سياق الحديث، وأسلوب الترغيب من أساليب الدعوة التي تؤثر في نفس المدعو، "والترغيب هو طلب الشيء والحرص عليه والطمع فيه، ولما كان الإنسان مجبولا على حب ما ينفعه، وتقر به عينه، وتطمئن به نفسه، كان لأسلوب الترغيب أهمية قصوى في الدعوة إلى الله، ويجب على الداعية استثمار هذه الفرصة لدى المدعو وتخوله بها"[4].

---

(١) سورة غافر، آية: ١٩.

(٢) أخرجه البخاري ٢٤٠٩، ومسلم ١٨٢٩.

(٣) سورة فصلت، آية: ٣٣.

(٤) وسائل الدعوة، د. عبدالرحيم بن محمد المغذوي ص ١٩٣.

قال الشيخ: محمد الغزالي: "الحث على فعل الخير وأداء الطاعات والاستقامة على أمر الله، جاء في الكتاب والسنة مقرونًا ببشريات كثيرة، وحكم مذكورة، والدعاة عندما يغرون العامة والخاصة باتباع الدين لا يسأمون من تكرار هذه الجوائز المضروبة والعلل الباعثة، فإن الله ولي الأمر وولي النعمة، الخالق من عدم، المطعم من جوع، الكاسي عن عرى، الساتر من فضح فحقه إذا أمر أن نسارع إلى إجابته، وأن يرانا عند إرادته"[1].

ومن صور استعمال القرآن الكريم لأسلوب الترغيب قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا﴾[2]، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾[3].

فيجب على الدعاة استخدام أسلوب الترغيب مع المدعوين والموازنة بينه وبين أسلوب الترهيب.

---

(١) مع الله دراسات في الدعوة والدعاة ص ٣١٢.

(٢) سورة الأحزاب، آية: ٤٧.

(٣) سورة الزمر، آية: ٧٣.

الحديث رقم (١٢٧٨)

١٢٧٨ - وعن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ، قَالَت: قُلْتُ: يَا رسول الله ، نَرَى الجهَادَ أفْضَلَ العَمَلِ، أفَلاَ نُجَاهِدُ؟ فَقَالَ: ((لَكُنَّ افْضَلُ الجِهَادِ: حَجٌّ مَبْرُورٌ)) رواه البخاريُّ[١].

ترجمة الراوي:

ام المؤمنين عائشة بنت ابي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

غريب الألفاظ: مبرور: ليس فيه مأثم، أو هو المقبول[٢].

الشرح الأدبي

بني هذا الحديث علي أسلوب الحكيم حيث خاطب الرسول الكريم أم المؤمنين عائشة، بما لم تكن متوقعة، فهي تستفهم عن الجهاد، وإذا بالرسول المجتبي ﷺ يجيبها بغير ما تتوقع يقول: " لكن أفضل الجهاد حج مبرور " وهذا معناه أن الحج المبرور يقوم علي الجهاد بالمال، والنفس، والوقت. وأفعل التفضيل: " أفضل " يوحي بأن الجهاد في الذروة من الفضل، والفضيلة. ولا يخفي ما في كلمة: " مبرور " من إشعاعات بيانية تلزم المتلقي بأهمية، وضرورة إتقان العمل، والإخلاص فيه، وأن يقوم علي البر، والتقوى - في وسائله - لكي يثمر ثمارا مرضية - في غايته - ولفظ " لكن " وتقديم الجار، والمجرور (لكنَّ) يدل علي الاختصاص، أي أن هذا الحكم بأفضلية الحج على الجهاد خاص بالنساء لا يتعداهن إلى الرجال.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب.

ثانيًا: من فقه الداعية: المفاضلة بين الأعمال حسب حال المدعو.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

---

(١) برقم (٢٧٨٤). أورده المنذري (١٦٤٤).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ب ر ر).

رابعًا: من موضوعات الدعوة: عناية الإسلام بالمرأة.

أولاً - من أساليب الدعوة: السؤال والجواب:

حيث جاء في الحديث: (قلت يا رسول الله نرى الجهاد أفضل العمل أفلا نجاهد؟) ومما لا شك فيه أن أسلوب السؤال والجواب من أساليب الدعوة التي تبين الحقائق للمدعوين، وترشدهم إلى ما ينفعهم، ويفتح حوارًا بين الداعية والمدعو. والمدعو مطالب أن يسأل عما لا يعرف، قال تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[1]، والداعية مأمور أن يبين للناس ويشرح لهم ويجيب على تساؤلاتهم، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[2]، ومن صور استعمال القرآن لأسلوب السؤال والجواب قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾[3].

وفي أهمية استخدام الدعاة إلى الله لأسلوب السؤال والجواب يقول الشيخ الميداني: "إن مجالس السؤال والجواب مجالس مفيدة ونافعة جدًا في نشر المعرفة وتثبيتها، وتناقلها بين الناس، بشرط أن تكون الإجابات واضحات جليات مفصّلات لا غموض فيها ولا التباس، وبشرط أن يكون المجيب على علم مؤكد بالجواب الصحيح، وإذا كانت المسألة من المسائل الخلافية عند الفقهاء المعتمدين لدى جمهور المسلمين فليس للمجيب أن يقطع جازمًا بوجهة نظره"[4].

ثانيًا - من فقه الداعية: المفاضلة بين الأعمال حسب حال المدعو:

حيث جاء في الحديث: (لكن أفضل الجهاد حج مبرور)، وذلك حيث أرشد النبي ﷺ أنه في حقهن الحج مقدم على الجهاد، قال ابن علان: "وقوله.. لَكُنَّ: باللام الجارة لضمير خطاب النسوة وهو حال والمراد أي: ليس لَكُنّ الجهاد أفضل، ولَكُنّ

---

(١) سورة الأنبياء، آية: ٧.

(٢) سورة النحل، آية: ٤٤.

(٣) سورة الأنفال، آية: ١.

(٤) فقه الدعوة إلى الله تعالى ٢/٦٢.

أفضل منه، لكن حج مبرور، وفي التعبير عنه بالجهاد إيماء إلى عظيم فضله وحض عليه النساء فكيف بالرجال؟"[١].

وقال ابن حجر: "وقوله: (لَكُنَّ)، اختلف في ضبطها فالأكثر بضم الكاف خطاب النسوة، قال القابس وهو الذي تميل إليه نفسي، وهذا يشمل إثبات فضل الحج وجوابها على سؤالها عن الجهاد وسماه جهادًا لما فيه من مجاهدة النفس، والمحتاج إليه هنا كونه جعل الحج أفضل الجهاد"[٢].

وقال ابن عثيمين: "وهذا بالنسبة للنساء فالنساء جهادهن هو الحج، أما الرجال فالجهاد في سبيل الله أفضل من الحج إلا الفريضة، فإنها أفضل من الجهاد في سبيل الله لأن الفريضة ركن من أركان الإسلام"[٣]، ومن هنا يتبين أنه يجب على الداعية أن يفاضل بين الأعمال حسب حال المدعو، ومراعاة أحواله.

"ولقد كان ﷺ يلفت السائل عن سؤاله إلى ما هو أهمّ منه، ومن ذلك حديث أنس رضي الله عنه: أن رجلاً سألَ النبيَّ ﷺ: متى الساعةُ يا رسولَ الله؟ قال: ما أعدَدتَ لها؟ قال: ما أعدَدتُ لها من كثير صلاة ولا صَوم ولا صدَقة، ولكني أُحبُّ الله ورسوله. قال: ((أنتَ معَ من أحبَبْتَ))[٤] ولا شك أن الداعية حينما ينتهج هذا المسلك ويعنى بالإجابة على السؤال لكنه يركز على ما هو أهم منه أو ما ينبغي أن يؤكد عليه كان ذلك عين المصلحة"[٥].

إن في هذا الحديث بيان لأحد الفوارق بين الرجال والنساء، وهو نص من نصوص كثيرة من الكتاب والسنة تدل على أن هنالك فوارق بين الرجال والنساء، ومن هذه النصوص قوله تعالى: ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾[٦]، وقوله سبحانه: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ

---

(١) دليل الفالحين ص ١٣٨٦.

(٢) فتح الباري ٣/٤٤٧.

(٣) شرح رياض الصالحين ٢/١٤٢٢.

(٤) أخرجه البخاري ٣٦٨٨، ٦١٦٧، ومسلم ٢٦٣٩.

(٥) صفات الداعية، د. حمد بن ناصر العمار ص ٩٩ - ١٠٠.

(٦) سورة البقرة، آية: ٢٢٨.

ٱللَّهُ بِهِۦ بَعۡضَكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٞ مِّمَّا ٱكۡتَسَبُواْۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٞ مِّمَّا ٱكۡتَسَبۡنَ﴾[١]، وقوله تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ﴾[٢].

والفرق بين الرجال والنساء في هذا الحديث هو: أن الجهاد فرض على الرجال في الأصل دون النساء، وهذا من حكمة الله ورحمته بالنساء لضعفهن، ولكن النساء في عهد النبي ﷺ عرفن من خلال النصوص فضل الجهاد، بل عرفن أنه أفضل الأعمال، فلذلك أحببن المشاركة فيه كما هو ظاهر من هذا الحديث، وسألت عائشة رضي الله عنها فقالت: (يا رسول الله نرى الجهاد أفضل الأعمال أفلا نجاهد؟).

قال ابن حجر: "نرى الجهاد أفضل العمل، وهو - أي نرى - بفتح النون: أي نعتقد ونعلم، وذلك لكثرة ما يُسمع من فضائله في الكتاب والسنة"[٣].

وقد ورد في بعض ألفاظ هذا الحديث عند البخاري في بداية إجابة الرسول ﷺ: (لا) ثم قال: (لكن أفضل الجهاد حج مبرور).

قال ابن حجر: "يحتمل أن يكون المراد بقوله: (لا) جواب قولهن: ألا نخرج فنجاهد معك، أي ليس ذلك واجبًا عليكن كما وجب على الرجال، ولم يرد بذلك تحريمه عليهن، فقد ثبت في حديث أم عطية أنهن كن يخرجن فيداوين الجرحى"[٤].

فظهر إذن من جواب الرسول ﷺ أن الجهاد ليس واجبًا على النساء كالرجال وذلك لظروفهن كما سبق، وإنما يجوز لهن الخروج فيه بالضوابط الشرعية ومنها: وجود المحرم، ويكون عملهن في الجملة مناسبًا لضعفهن كمداواة الجرحى كما ورد في الحديث الذي أشار إليه الحافظ ابن حجر رحمه الله، ووجههنّ الرسول ﷺ إلى جهاد

---

(١) سورة النساء، آية: ٣٢.

(٢) سورة النساء، آية: ٣٤.

(٣) فتح الباري ٣٨٢/٣.

(٤) المرجع السابق ٧٥/٤.

أفضل يتناسب مع ظروفهن، ألا وهو الحج المبرور، وفي هذا أحد الردود على أولئك المنهزمين أمام ثقافات المغضوب عليهم والضالين المنادين بالمساواة بين الرجال والنساء دون اعتبار لأحكام الشرع، ولا لواقع النساء وحالهن، ومسؤوليتهن في البيوت، وحملهن وإرضاعهن وضعفهن بشكل عام.

ثالثًا - من أساليب الدعوة: الترغيب:

حيث جاء في الحديث: (لكُنَّ أفضلُ الجهاد حجٌّ مبرور)، وأسلوب الترغيب من أساليب الدعوة التي تحبب المدعو في الطاعة وفعل الخير؛ لأن النفس البشرية بطبيعتها تحب الثواب والأجر والجزاء الطيب على العمل، "إن النفس البشرية مختلفة الطباع منها ما يجلبه الترغيب، ومنها ما يخيفه الترهيب، والدعاة مطالبون بانتهاج الأسلوبين مع الناس كل حسب ما يناسبه على أن يقدموا الترغيب لأنه فعل إيجابي ومطلوب من المسلمين أن يكونوا إيجابيين"(١).

ومن صور استعمال القرآن الكريم لأسلوب الترغيب قوله تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ﴾(٢)، وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾(٣).

رابعًا - من موضوعات الدعوة: عناية الإسلام بالمرأة:

ويتضح هذا من مضمون الحديث حيث أرشد الرسول ﷺ المرأة إلى ما ينفعها ويتناسب معها، ومع طبيعتها.

ورغم أن الإسلام واضح في منهجه في عدم المساواة المطلقة بين الرجال والنساء، ولأنه منهج رب العالمين فإنه لا يحتاج إلى مجاملة المرأة وتملقها كما تفعل المناهج البشرية الوضعية، رغم ذلك فإنه يراعي الناحية النفسية للنساء من باب الرحمة، وفتح

---

(١) فقه الدعوة، د. بسام العموش ص ٨٦.

(٢) سورة النمل، آية: ٨٩.

(٣) سورة العنكبوت، آية: ٩.

المجال أمامهن لتحقيق الفلاح في الدنيا والآخرة، وتلبية طموحاتهن في الخير كإخوانهن الرجال، ولكن بما يتناسب مع طبيعتهن وفطرتهن، ومن نماذج ذلك ما ورد في هذا الحديث، فإن النساء أردن المشاركة في أفضل الأعمال وهو الجهاد، فدلهن الرسول ﷺ على ما يفي بالغرض على أفضل الوجوه دون أن يلحق بهن عنت، ويتمثل ذلك في الحج المبرور.

وهذا الأسلوب الذي يتميز به الإسلام يوجد توازنًا نفسيًا عند الرجال والنساء على السواء، وهذا التوازن ينتج عنه صحة النفس والسلامة من التعقيدات، ويثمر أخلاقًا سوية وسلوكًا مستقيمًا.

كما أن الإسلام حريص على المحافظة على أخلاق وصفات الرجولة في الرجل، وعلى أخلاق وصفات الأنوثة في المرأة، ويأبى الخلط، ولذلك كان للرجل وظائفه والتزاماته، وللمرأة وظائفها والتزاماتها.

وأما المساواة المزعومة فكما لا يقرها الشرع، فإنه لا يقرها عقل ولا واقع، فالمرأة تحمل وتضع وترضع وتقوم على شؤون الأولاد والبيت، والرجل يقوم على الأعمال الشاقة خارج البيت، وكما لا يمكن للرجل أن يَحْمِل ويُرْضِع لا يمكن للمرأة أن تحمل الأثقال وتقود الشاحنات والقاطرات والقطارات، وتشتغل في الطرقات والمناجم، وتمارس العمليات العسكرية، ولذلك نأى الإسلام بالمرأة فلم يفرض الجهاد عليها في الظروف المعتادة حتى تبقى المرأة امرأة في صفاتها وسلوكها وأخلاقها، وأداء واجباتها المفروضة عليها بحكم أنوثتها، وترك ذلك على الرجال مراعاة لطبائع الأمور.

وكم ستكون الجناية على المرأة لو أنها تقدمت الصفوف العسكرية، وصار ذلك ديدنًا وسلوكًا في سائر الأحوال؟ هل يتناسب مع أنوثة المرأة ولطفها أن تتعرض للقتل الذريع والإعاقات وتقطيع الأوصال والانكشاف المريع؟! وهل يتفق مع أمومتها وحاجة أطفالها إليها في حالة نعومة أظفارهم أكثر من حاجتهم إلى الأب.. هل يتفق ذلك مع تعرضها للقتل في المعارك ومع تعرضها أيضًا للأسر، ثم إذا تم أسرها فهي معرضة لانتهاك العرض والممارسات العبثية، وهذا ما لا يطاق.

إن الإسلام رحيم بالمرأة، وحريص على الحفاظ على سلامتها وكرامتها وأخلاقها ولذلك فإنه عندما أجاز لها الجهاد ولم يفرضه، سمح لها بأن تمارس ما يتناسب مع طبيعتها وخَلْقها ورحمتها، بأن تكون في الصفوف الخلفية لمداواة الجرحى والعناية بهم مع وجود محرمها، وإذا حصلت هزيمة، فيمكنها وهي في الخلف الاتجاه مع من معها إلى مكان الأمان بقدر الإمكان.

إن الإسلام يربي أتباعه على المسابقة إلى الخيرات، والحرص على الأعمال الصالحة، قال تعالى: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾[2].

وبحكم هذه التربية ظهر الحرص من قبل النساء في سؤال الرسول ﷺ ليمارسن الجهاد لأنه أفضل الأعمال.

وهذه الروح موجودة لدى المسلمين رجالاً ونساءً عندما يحظون بالتذكير والتعليم والتربية الحسنة في كل زمان ومكان، بل إن النساء بحكم تميزهن أكثر بالعاطفة يكون تفاعلهن مع الأعمال الصالحة كبيرًا، وهذا ملموس مجرّب عند الدعاة والداعيات عندما ينشطون في صفوف النساء، ويكون التأثير على النساء أيسر وأسهل في الدعوة.

وقد عرف أعداء الإسلام هذا السر، فركزّوا كثيرًا على النساء وخدعوهن بمعسول القول، فصرفوا منهن عبر وسائل التعليم والإعلام ونحوها أعدادًا كبيرة نحو التبرج والانحلال والانحراف، وهم يعلمون مدى تأثير المرأة إذا صلحت أو فسدت، فركزوا على الإفساد، قال الشاعر:

من لي بتربية النساء، فإنها ... في الشرق علّة ذلك الإخفاق

الأم مدرسة إذا أعددتها ... أعددت شعبًا طيب الأعراق[3]

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٤٨.

(٢) سورة المؤمنون، آية: ٦١.

(٣) من ديوان الرصافي، قافية القاف.

وصدق الرسول -عليه الصلاة والسلام- كما في الصحيح عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: ((ما تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ على الرِّجَالِ مِنَ النِّساءِ))[1]، ويقول كما في الصحيح أيضًا عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ. فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ))[2].

إن المرأة التي تلقّت التربية السليمة وأثرت فيها الدعوة تتحول إلى مربية وداعية تؤثر ولا تتأثر، وتُصلح في بيتها وأسرتها وجيرانها ومجتمعها، وتنشر الخير والأخلاق والعفاف، وتقوّم النفوس وتعمّم الفضيلة، فتنتظم الموازين الاجتماعية، وتعرف المرأة المساحة الواسعة المخصصة لها، ويعرف الرجل كذلك نطاقه المرسوم، ويقف كل جنس عند حدوده، فلا يبغي ولا يطغى قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُواْۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَۚ وَسْـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾[3].

لقد وجه الرسول ﷺ عناية النساء إلى المناسب لهن في هذا الحديث عندما توجد عندهن الطاقة والقدرة، وهذا المجال الأليق يستغرق مثل هذه الطاقة ويوفر لهن قدرًا عظيمًا من الأجر والثواب يلحقن به الرجال، وليس في الحديث ما يمنعهن من الجهاد الأصيل بل فيه توجيه إلى الجهاد البديل على طريقة الإسلام في التربية بالبديل، وإقامة النموذج الأرقى. والجهاد الأصيل مسموح به لهن وفق ضوابط بيّنتها نصوص أخرى، ولم يغلقها هذا النص، وإنما فتح الأفق نحو الأمثل.

---

(١) أخرجه البخاري ٥٠٩٦، ومسلم ٢٧٤٠.

(٢) أخرجه مسلم ٢٧٤٢.

(٣) سورة النساء، آية: ٣٢.

الحديث رقم (١٢٧٩)

١٢٧٩- وعنها: أنَّ رسولَ الله ﷺ، قَالَ: ((مَا مِنْ يَوْمٍ أكْثَرَ مِنْ أن يَعْتِقَ اللهُ فِيهِ عَبْدًا مِنَ النَّارِ مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

غريب الألفاظ:

يُعتق عبدًا: يُحرِّره ويقيه[2].

الشرح الأدبي

إن التنكير الذي جاء في الحديث في كلمتي: " يوم – وعبد " يدل علي التعميم، لوقوعه في سياق النفي وتقم (من) التي تفيد الاستغراق فلا يوجد يوم من الأيام يكون العتق فيه أكثر من يوم (عرفة). ولفظ: " عبدا " يشير إلى أن مناط المغفرة مرتبط بالعبودية لله، والتقرب إلي في هذا اليوم، والفعل المضارع المسند إلي لفظ الجلالة، لأنه لا يوجد في الكون إلا الله عز وجل الذي يملك رقاب الناس، ويقدر علي أن يعتقهم من النار. والتعبير بالعتق يشير إلى أن النجاة من ذل المعصية التي تحبسه في النار، ولا يحرره منها إلا عتق ربه بعفوه عنه، وزحزحته عن النار، ولفظ " أكثر " أفعل تفضيل يدل على أن عتق الله لرقاب الناس، وعفوه عنهم في كل يوم، ولكنه أعظم ما يكون في يوم عرفة كما يوحي بعظمة المغفرة التي تستغرق الناس يوم عرفة فينجي الله أناسا كثيرين من النار أكثر من أي يوم آخر مما يشير إلى أن المغفرة ليست قاصرة على أهل الموقف بعرفة من الحجاج، وإنما تشمل غيرهم ممن شاركهم بالصيام ليوم عرفة الذي يكفر ذنوب سنة ماضية، ولاحقة.

---

(١) برقم (١٣٤٨/٤٣٦). أورده المنذري في ترغيبه (١٧٤٠).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ع ت ق).

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل يوم عرفة.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: رحمة الله بعباده.

ثالثًا: من مهام الداعية: بيان وإرشاد المدعوين إلى ما ينفعهم.

أولاً - من موضوعات الدعوة: فضل يوم عرفة:

يتضح هذا من الحديث: (ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبدًا من النار من يوم عرفة)، قال النووي: "هذا الحديث ظاهر الدلالة في فضل يوم عرفة وهو كذلك، وقد جاء في الحديث: (إنه ليدنو ثم يباهي بهم الملائكة فيقول: ما أراد هؤلاء)[1]، قال القاضي عياض: وقد يريد دنو الملائكة إلى الأرض أو إلى السماء بما ينزل معهم من الرحمة ومباهاة الملائكة بهم عن أمره سبحانه وتعالى"[2].

والمباهاة من الله للملائكة بأهل الموقف في عرفة فيها إظهار المعنى الذي امتاز به هؤلاء المؤمنون، وهي أنه رغم أنهم ليسوا معصومين كالملائكة وإنما تعتريهم الشهوات وأنواع القصور لكنهم جاهدوا أنفسهم وتحملوا المشقات اجتمعوا في ذلك الموقف على ذلك النحو من العبادة والطاعة والذكر، فاستحقوا أن يباهي الله بهم وأن يعتقهم.

ثم قارن النووي بين يوم عرفة وبين يوم الجمعة لورود الحديث عند مسلم في يوم الجمعة أنه خير يوم طلعت فيه الشمس، ثم رجّح أن الأصح أن يوم عرفة هو الأفضل للحديث الذي نحن بصدده، وأنه يُحمل حديث الجمعة على اعتبار أنه أفضل أيام الأسبوع.

وفي لطائف المعارف ذكر ابن رجب الحنبلي: " فضائل متعددة ليوم عرفة منها أنه: يوم إكمال الدين لأنه أنزل فيه قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾[3] وأنه يشرع صيامه لأهل الأمصار، لأن صيامه يكفر ذنوب سنتين كما في الصحيح، وأما الحجاج

---

(١) أخرجه مسلم ١٣٤٨.

(٢) شرح صحيح مسلم ١٣٤٨.

(٣) سورة المائدة، آية: ٣.

فيشرع لهم عدم الصيام من أجل أن يَتَقوّوا على الذكر والعبادة، ولأن الرسول ﷺ أفطر فيه في الحج كما في الحديث، وأنه الشاهد الذي أقسم الله به في قوله: ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾[1]، فعند أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا وموقوفًا: ((الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة))[2]، وإذا وقع يومُ عرفة في يوم الجمعة فقد اجتمع في ذلك اليوم شاهد ومشهود، واجتمعت فيه فضائل اليومين التي منها أنه يوم الوقوف في حجة الوداع للنبي ﷺ ويوم نزول آية إكمال الدين، وفيه ساعة يوم الجمعة.. إلخ فضائل اليومين.

ومن فضائل يوم عرفة: أنه يوم مغفرة للذنوب، ويوم العتق من النار، فلا يوجد يوم مثله في كثرة العتقاء كما في حديثنا الذي نتكلم عليه، وهو يوم دنوّ الله من أهل الموقف، وهو يوم المباهاة، يباهي الله ملائكته بأهل الموقف.

ومن فضائله: أنه يغفر فيه لأهل الموقف جميعًا محسنهم ومسيئهم، فقد أخرج ابن منده في كتاب التوحيد: (إذا كان يوم عرفة ينزل الله إلى سماء الدنيا، فيباهي بهم الملائكة، فيقول: انظروا إلى عبادي، أَتَوْني شُعثًا غُبْرًا، من كل فج عميق، أشهدكم أني قد غفرت لهم، فتقول الملائكة يا رب فلان وفلان هو، قال: فيقول قد غفرت لهم. فما يوم أكثر عتيقًا من النار من يوم عرفة)، قال ابن منده: وإسناده حسن متصل. ثم أضاف ابن رجب في لطائف المعارف: "ورويناه من وجه آخر بزيادة فيه وهي: (أشهدكم يا عبادي أني قد غفرت لمحسنهم وتجاوزت عن مسيئهم"[3].

وقارن ابنُ القيم بين يوم عرفة ويوم النحر يوم الحج الأكبر، واعتبر أن يومَ عرفة يومُ مُقدِّمةٍ ليوم النحر بين يديه يكون فيه الوقوف والتضرع والتوبة والابتهال ثم يكون يوم النحر يوم الوفادة والزيادة وأداء معظم أعمال الحج، فيوم عرفة كالطهور

---

(١) سورة البروج، آية: ٣.

(٢) أخرجه أحمد ٢/٢٩٩ رقم ٧٩٧٣، وقال محققو المسند: إسناده صحيح على شرط مسلم، ١٣/٣٥٢.

(٣) لطائف المعارف، فيما لمواسم العام من الوظائف، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: ياسين محمد السواس ١/٢٩٩.

والاغتسال بين يدي يوم النحر[١].

ويوم عرفة يوم عظيم ومكانه في الإسلام كبير، والدعاء فيه مستجاب ورحمة الله فيه واسعة "إن يوم عرفة هو يوم إكمال الدين، ويوم إتمام النعمة لأن أعظم النعم نعمة الدين التي ينال أهلها السعادتين في الدنيا والآخرة، وقد تمت في ذلك اليوم، قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[٢]، وهو يوم الرضوان لأن الله رضى لهم بدينهم الذي تمسكوا به وهو الإسلام، فهي بشارة بشرّهم بها في ذلك اليوم، فلا يوم أكمل ولا أشرف من اليوم الذي بشرهم فيه بإكمال الدين فهذا اليوم يوم صلة الواصلين، ويوم عيد المسلمين"[٣].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: رحمة الله بعباده:

حيث جاء في الحديث: (ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبدًا من النار من يوم عرفة)، ولا شك أن هذا يدل على رحمة الله بعباده ولطفه بهم، وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ﴾[٤]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[٥]، ورحمة الله واسعة، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾[٦]، وجاء في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الْخَلْقَ، كَتَبَ فِي كِتَابِهِ، فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ: إِنَّ رَحْمَتِي تَغْلِبُ غَضَبِي))[٧]، وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول

(١) زاد المعاد ٥٤/١.
(٢) سورة المائدة، آية: ٣.
(٣) الحج "أحكامه - أسراره - منافعه"، الشيخ: عبدالرحمن محمد الدوسري، ص ٨١.
(٤) سورة الشورى، آية: ١٩.
(٥) سورة الأعراف، آية: ٥٦.
(٦) سورة الأعراف، آية: ١٥٦.
(٧) أخرجه البخاري ٧٤٠٤، ومسلم ٢٧٥١ واللفظ له.

الله ﷺ: ((سَدِّدوا وقاربوا وأبشروا، فإنه لايُدخلُ أحدًا الجنةَ عملُه))، قالوا: ولا أنتَ يا رسول الله؟ قال: ولا أنا، إلا أن يتغمدَني الله بمغفرة ورحمة))[1]. وفي يوم عرفة تتجلى رحمة الله بعباده بمغفرة الذنوب والعتق من النار.

قال الشيخ محمد الغزالي: "والرحمة في أفقها العالي وامتدادها المطلق صفة المولى تباركت أسماؤه، فإن رحمته عمت الملكوت وشملت الوجود، فحيثما أشرق شعاع من علمه المحيط بكل شيء أشرق معه شعاع للرحمة الغامرة، ولذلك كان من صلاة الملائكة له ما جاء في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَٱتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾[2]، وكثير من أسماء الله الحسنى ينبع من معاني الرحمة والكرم والفضل والعفو، إنّ تجاوزَ الله عن خطايا البشر يسبق اقتصاصه منهم وسخَطَه عليهم، وبذلك كان أفضل الرحماء: ﴿وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾[3]، وما ترى في الأرض من تواد وبشاشة وتعاطف وبر أثرٌ من رحمة الله التي أودع جزءًا منها في قلوب الخلائق، فأرَقُّ الناسِ أفئدة أوفرهم نصيبًا من هذه الرحمة"[4].

وفي هذا الحديث بيان عظم فضل الله وسعة رحمته إذ أنه يعتق في هذا اليوم أهل الموقف، ومعلوم أنه ينبغي للعباد أن يقتدوا بالله سبحانه فيما يصلح لهم ويناسب من الاقتداء به في صفاته كالرحمة ونحوها، ومما يدل على الاقتداء قوله في الحديث القدسي عن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال: ((يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَىٰ نَفْسِي . وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا. فَلاَ تَظَالَمُوا))[5].

فكما نقتدي بربنا جل وعلا في الابتعاد عن الظلم وتحريمه على أنفسنا، نقتدي به كذلك فيما يصلح لنا كعبيد فنرحم بعضنا بعضًا، فإذا كان الله يرحم عباده، وليس

---

(١) أخرجه البخاري٦٤٦٧ واللفظ له، ومسلم ٢٨١٦.

(٢) سورة غافر، آية: ٧.

(٣) سورة المؤمنون، آية: ١١٨.

(٤) خلق المسلم ص ٢٠٢ - ٢٠٤.

(٥) أخرجه مسلم ٢٥٧٧.

في حاجة إليهم كما يصنع في يوم عرفة ويغفر لهم منة منه وكرمًا، فلماذا لا نرحم بعضنا بعضًا، وحاجاتنا لبعضنا معلومة؟ ولماذا لا نتغافر ونتسامح؟ والتعايش بين البشر والتمدن في الناس لا يستقيم إلا بالأخلاق الكريمة التي منها التراحم والتسامح.

كذلك فإن من فضل الله ولطفه بعباده دنوه منهم وهم في الموقف بعرفات، وهو دنو يليق بجلاله سبحانه، وهذا الدنو مع صمديته سبحانه وغناه عن خلقه يدل على مبلغ عناية الله بعباده ورعايته لهم، وعلمه بشدة حاجتهم إليه، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾[1].

ويستفيد من ذلك من وفقه الله للخير فيعتني بمن يحتاجون إلى عنايته ورعايته، ويتواضع لهم، ويتبسط معهم، ويتفقدهم مهما ارتفعت منزلته وعلَتْ مكانته، لأنه مهما بلغ شأنه فهو لا زال مخلوقًا وعبدًا، وما زاد الله عبدًا بتواضعه إلا عزًا.

ومن تكريم الله لعباده من الجن والإنس أنه يشكر لهم طاعتهم وصبرهم عليها وتحملهم من أجلها ﴿إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾[2].

بل إنه سبحانه يباهي بهم الملائكة؛ لأن الجن والإنس المسلمين رغم تناوش الأهواء والنزوات لهم جاهدوا أنفسهم وأقبلوا من كل فج عميق حتى جمعهم موقف عرفات، وهذا نوع امتياز لهم، لأن الملائكة وإن كانوا لا يعتريهم أدنى فتور من العبادة إلا أنهم خلقوا معصومين خالين من الأهواء والنزوات.

وشُكر الله لعباده طاعتهم ومباهاته بها فيه تعليم لعباده خلق الشكر وهو من مكارم الأخلاق، ولا يشكر الله من لا يشكر الناس، كما في الحديث، ومن تخلق بخلق الشكر، شكر خالقه على نعمه التي لا تحصى، وشكر الناس على ما يُسْدُون إليه من المعروف.

ثالثًا - من مهام الداعية: بيان وإرشاد المدعوين إلى ما ينفعهم:

يتضح هذا من سياق الحديث حيث أرشد النبي ﷺ المسلمين إلى فضل يوم عرفة

---

(١) سورة فاطر، آية: ١٥.

(٢) سورة فاطر، آية: ٣٠.

وما فيه من مغفرة ورحمة وعتق، لكي يغتنم المسلمون هذا اليوم بالطاعة والإنابة، ومن هنا فإنه من أول مهام الداعية أن يرشد إلى الخير والنفع للمدعوين ويدل عليه كما قال تعالى عن الرسول الكريم ﷺ: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[1]، وجاء في الحديث الشريف عن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((مَنْ دَلَّ علىٰ خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ))[2].

قال النووي: "وقوله ﷺ: (من دل على خير فله مثل أجر فاعله) فضيلة الدلالة على الخير والتنبيه عليه والمساعدة لفاعله، وفيه فضيلة تعليم العلم ووظائف العبادات لا سيما لمن يعمل بها من المتعبدين وغيرهم، والمراد بمثل أجر فاعله، أن له ثوابًا بذلك الفعل كما أن لفاعله ثوابًا ولا يلزم أن يكون قدر ثوابهما سواء"[3].

إن من أبرز ما يخرج به الحجيج من حجّهم غفران ذنوبهم من الصغائر والكبائر كما مرّ معنا من قبل، وأعظم يوم يجري فيه الغفران هو يوم عرفة؛ لأنه يوم العتق الأكبر من النار كما هو منطوق الحديث.

وهذا الغفران معناه إلقاء الأدناس والأوزار والأثقال عن كاهل الحاج، فيخرج الحاج من هذه العبادة العظيمة نقيًا نظيفًا خفيفًا، وهذا النقاء، وهذه النظافة وتلك الخفة تعيد إلى القلب سلامته، وإلى النفس اتزانها وإلى الفطرة صفاءها.

ويولد الحجاج بالحج ولادة من جديد..! وإذا كانت التربية تعني التعديلات السلوكية الإيجابية، فإن الحج أعظم من ذلك، وأكبر من أن يكون تربية فحسب. إنه ولادة واستئناف حياة جديدة؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((من حجَّ فلمَ يَرفُثْ ولم يَفْسُقْ رَجَعَ كيومَ ولدَتْهُ أمُّه))[4].

---

(١) سورة التوبة، آية: ١٢٨.

(٢) أخرجه مسلم ١٨٩٣.

(٣) شرح صحيح مسلم ص ١٢١٥.

(٤) أخرجه البخاري ١٨١٩، ومسلم ١٣٥٠.

وعندما ينطلق الحُجّاجُ بعد موسم الحج بنفوس جديدة، فإن كل واحد منهم يحرص على أن يحافظ على نفسه وعلى حياته الجديدة ونقائها وصفائها بما أوتي من قدرة، ويحرص على ألا يتلوث بالذنوب من جديد وألا تأسره الأوزار، ولهذا أثره على الشخص نفسه، إذ إنه مع مرور الأيام، ومع وجود هذا الحرص، ومع مواصلة أداء العبادات، يزداد سموًا وارتقاء وطهارة، وإذا هفا هفوة أو هفوات بادر لتصحيح الوضع وغسل نفسه منها بالتوبة النصوح أو بحج جديد، لينطلق نحو المزيد من جديد.. حياة جديدة متجددة لها أثرها كذلك على أسرة الشخص وقرابته، التي تجد عنده الوفاء بالأمانة والقيام بالمسؤولية والقدوة بالسلوك، والتأثر بالتطبيق السليم.

وإذا خاض صاحب هذه الحياة الجديدة غمار الحياة في المجتمع، فإنه يكون للمجتمع نبراسًا ومقياسًا، يدعو بفعله كما يدعو بلسانه، ويُصلح بحاله كما يصلح بمقاله... حياته الوليدة الجديدة مشروعٌ فعال متنقلٌ في المجتمع، هذا يقتبس منه خُلقًا، وذلك يلتمس منه صفة، وآخر يقتدي به في أسلوب أو سلوك أو عبادة.

وإذا وجد الناس أثر الحج على هذه النحو، اشتاقوا للذهاب إلى الحج، لكي يولدوا من جديد، ولكي يستأنفوا حياة جديدة، تزدهر فيها القيم والأخلاق وحسن التعامل مع الخالق والمخلوقين، وبذلك تتجدد مجتمعات المسلمين.. أعمار جديدة وطاقات رشيدة مديدة.. وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت، ولا أخلاق إذا لم تكن منبثقة من العبودية للخالق العظيم سبحانه جل ثناؤه وتقدست أسماؤه.

الحديث رقم (١٢٨٠)

١٢٨٠- وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أنَّ النبيَّ ﷺ، قَالَ: ((**عُمْرَةٌ فِي رَمَضَانَ تَعْدِلُ**[١] **حَجَّةً - أَوْ حَجَّةً مَعِي**)) متفقٌ عَلَيْهِ[٢].

ترجمة الراوي:

عبد الله بن عباس: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١١).

غريب الألفاظ:

تَعْدِل: أي تماثل[٣].

الشرح الأدبي

يقوم الحديث علي الأسلوب الخبري، وفيه بشارة من الرسول ﷺ لمن يقوم بأداء عمرة في شهر "رمضان"، لأن ثواب العمل فيه يضاعف، فالفريضة فيه تساوي سبعين فريضة فيما سواه، والنافلة فيه تعدل ثواب الفريضة فيما سواه. ومن فضل الله علي المؤمنين أن يجعل العمل اليسير ثوابه كبيرا كهذه النافلة "العمرة" التي جاءت في الحديث بصيغة المفرد، فعمرة واحدة ثوابها يعدل ثواب الحج في غير رمضان. وفي الحديث إيجاز بالحذف تقديره: (أداء عمرة في رمضان..) أو (القيام بعمرة في رمضان) والفعل المضارع: "تعدل" يوحي بعظمة فضل الله، لأنه يدل علي الاستمرار، والتجدد. والمعية الكائنة في قوله: "حجة معي" تؤكد حقيقة الجزاء المذكور، وأنه ليس على سبيل المبالغة كما تحقق الترغيب في هذا العمل الجليل، الذي يتقرب به صاحبه إلي الله تعالي. والله أعلم.

فقه الحديث

يشير الحديث إلى الحكم التالي:

---

(١) لفظهما: (تقضي)، وعند مسلم برقم (١٢٥٦/٢٢١): (تعدل حجة) فقط، والمثبت لفظ المنذري في ترغيبه.

(٢) أخرجه البخاري (١٨٦٣)، ومسلم (١٢٥٦/٢٢٢). ولفظهما سواء، إلا قوله: (تعدل) فإنه عندهما بلفظ: (تقضي). أورده المنذري في ترغيبه (١/١٦٨٥).

(٣) دليل الفالحين ١٣٨٦.

فضل العمرة في رمضان: يشير الحديث إلى العمرة في رمضان تعدل الحجة في الثواب، لا أنها تقوم مقامها في إسقاط الفريضة للإجماع على أن الاعتماد لا يجزئ عن جمع الفريضة[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: بيان فضل العمرة في رمضان.

ثانيًا: من واجبات الداعية: البيان والإيضاح للحقائق.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

رابعًا: من آداب المدعو: طلب معالي الأمور في العبادة.

أولاً - من موضوعات الدعوة: بيان فضل العمرة في رمضان:

حيث جاء في الحديث: (عمرة في رمضان تعدل حجة أو حجة معي)، قال النووي: "أي: تقوم مقامها في الثواب لا أنها تعدلها في كل شيء فإنه لو كان عليه حجة فاعتمر في رمضان لا تجزئه عن الحجة"[2].

وقال الطيبي: "وقوله: (تعدل حجة)، أي: تقابل وتماثل في الثواب، لأن الثواب يفضل بفضيلة الوقت، وهذا من باب المبالغة، وإلحاق الناقص بالكامل ترغيبًا وبعثًا عليه، وإلا كيف يعدل ثواب العمرة ثواب الحج؟"[3].

إن هذا الحديث فيه بيان فضيلة العمرة في رمضان، وأنها تعدل فضيلة حَجّة، بل فضيلة حجة مع الرسول ﷺ، وذلك لأنه اجتمعت فضيلة العمرة، مع فضيلة الزمن وهو رمضان، فحصل من مجموعهما الفضيلة المذكورة.

وليس معنى ذلك أن العمرة في رمضان تجزئ عن فريضة الحج، أو عن نذر الحج، بل إنها تعدله في الأجر فقط، وأما الفريضة أو النذر فلا بد فيهما من الأداء.

---

(١) فتح الباري ٧٣٨/٣، شرح صحيح مسلم ٢/٩، المغني ٩١/٣.

(٢) شرح صحيح مسلم ٧٩٦.

(٣) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح ٢١٩/٥.

قال ابن حجر: "قال ابن خزيمة: في هذا الحديث أن الشيء يشبه الشيء ويُجعَل عِدْله إذا أشبهه في بعض المعاني لا جميعها، لأن العمرة لا يُقضَى بها فرض الحج ولا النذر، ثم قال ابن حجر: فالحاصل أن العمرة في رمضان تعدل الحجة في الثواب، لا أنها تقوم مقامها في إسقاط الفرض، للإجماع على أن الاعتمار لا يجزئ عن حج الفرض، ونقل الترمذي عن إسحاق بن راهويه أن معنى الحديث نظير ما جاء أن ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾[1] تعدل ثلث القرآن - يعني في الأجر، لا أنها تجزئ قراءتها ثلاث مرات عن قراءة جميع القرآن - وقال ابن العربي: حديث العمرة هذا صحيح، وهو فضل من الله ونعمة، فقد أدركت العمرة منزلة الحج بانضمام رمضان إليها، وقال ابن الجوزي: فيه أن ثواب العمل يزيد بزيادة شرف الوقت كما يزيد بحضور القلب وبخلوص القصد، ثم ذكر ابن حجر أن هناك من يقول: بأن فضيلة العمرة في رمضان خاصة بالمرأة صاحبة القصة في الحديث، ولكن ابن حجر ردّ ذلك، وذكر أن الظاهر حمله على العموم. ثم أجاب ابن حجر على السؤال: لماذا لم يعتمر الرسول ﷺ في رمضان مع حصول هذه الفضيلة للعمرة في رمضان؟ فقال: لم يعتمر النبي ﷺ إلا في أشهر الحج، وقد ثبت فضل العمرة في رمضان بحديث الباب، فأيهما أفضل؟ الذي يظهر أن العمرة في رمضان لغير النبي ﷺ أفضل، وأما في حقه فما صنعه هو أفضل؛ لأن فعله لبيان جواز ما كان أهل الجاهلية يمنعونه (لأنهم كانوا يمنعون العمرة في أشهر الحج)[2].

ثم نقل ابن حجر عن ابن القيم في زاد المعاد قوله: يحتمل أنه ﷺ كان يشتغل في رمضان من العبادة بما هو أهم من العمرة، وخشي من المشقة على أمته إذ لو اعتمر في رمضان لبادروا إلى ذلك مع ما هم عليه من المشقة في الجمع بين العمرة والصوم، وقد كان يترك العمل وهو يحب أن يعمله خشية أن يفرض على أمته وخوفًا من المشقة عليهم"[3].

---

(١) سورة الإخلاص، آية: ١.

(٢) فتح الباري ٣/٦٠٤ - ٦٠٥.

(٣) المرجع السابق ٣/٧٠٧.

ورمضان شهر العبادات المتعددة، فبالإضافة إلى أنه شهر الصيام فهو كذلك شهر الصلاة والقيام، وشهر الإنفاق والكرم، ويجعله كثير من الناس من أَجْل ذلك شهرَ أداء الزكاة، إضافة إلى أن زكاة الفطر تؤدّى في آخره، وقد خرج الرسول ﷺ للجهاد فيه مع أصحابه رضي الله عنهم كما في بدر وفي فتح مكة، وهو شهر الذكر وقراءة القرآن، وقد كان جبريل عليه السلام يدارس الرسول ﷺ القرآن في رمضان.. إلخ العبادات التي في رمضان.

ومن هذه العبادات زيارة بيت الله الحرام في هذا الشهر لأداء العمرة.. وكم تترك العمرة من آثار عظيمة بسبب بركة البيت الحرام، والبلد الحرام، والسفر في طاعة الله، والإنفاق في عبادته، ومخالطة سائر المسلمين، ومنهم أولئك الذين يؤدون هذه العبادة، والاكتساب منهم ولا سيما من كانوا من العلماء والدعاة، وغير ذلك من مجالات الخير التي تفتحها العمرة فيستفيدها المسلم من خالقه وكذلك من إخوانه.

ولأهمية إضافة العمرة إلى قائمة العبادات في رمضان فقد تميزت من دون عبادات أخرى بمكانة رفيعة؛ إذ إنها ترتقي في المثوبة والأجر إلى أن تكون في مستوى حَجّة، وليست حَجَّة معتادة، ولكن حَجّة فريدة.. حَجّة مع سيد البشر وإمام الأنبياء، مع رسول الله ﷺ.

إن فائدة العبادات في الجملة كما هو معلوم هو تحصيل المسلم للتقوى منها قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾[1]، أي أن العبادة تربية للمسلم وتزكية له.

ومن أبرز ما تحدثه هذه التربية والتزكية بعد حسن الصلة والتعامل مع الله، حسن التعامل مع الخلق، وهو ما يعبر عنه بالأخلاق الكريمة.

وإن تشجيع الإسلام وحثه على تكثيف العبادات في هذا الموسم العظيم - شهر رمضان - ومن ذلك حثه وتشجيعه على العمرة فيه، يعني فيما يعني تقوية العلاقة مع

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢١.

الله، وكذلك تقوية العلاقة مع الناس، بسبب ما تصنعه العبادات المكثفة في المواسم المباركة من سلوكيات راقية يُكتب لها الدوام وتصل في النهاية إلى بناء المجتمع المثالي الراقي، ويكفي أن رمضان شهر الامتناع عما لا يليق به كالرفث والصخب والجهل فضلاً عن المحرمات، فإذا أضيف إلى ذلك أن ذلك أيضًا ممنوع في العمرة التي هي أخت الحج، كانت الضوابط والكوابح والموانع مضاعفة في سبيل إعادة صناعة الأخلاق.

ثانيًا - من واجبات الداعية: البيان والإيضاح للحقائق:

يتضح هذا من سياق الحديث، حيث بيّن النبي ﷺ أن العمرة في رمضان تعدل حجة، وهذا من أهم واجبات الداعية بيان وإيضاح الحقائق للمدعوين لأن مهمة الداعية الأولى هي البلاغ والبيان، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥ﴾[1]، وقال سبحانه: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾[2].

قال السعدي: "والمراد بالذكر: القرآن الذي فيه ذكر ما يحتاج إليه العباد من أمور دينهم ودنياهم الظاهرة والباطنة، وقوله: (لتبين للناس ما نزل إليهم)، هذا شامل لتبين ألفاظه وتبين معانيه وأرشد إلى التفكر فيه لاستخراج كنوزه وعلومه"[3].

ومن نصوص القرآن الكريم التي تبين أهمية البلاغ والبيان قوله تعالى: ﴿فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظًاۖ إِنۡ عَلَيۡكَ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ﴾[4]، وقال جلّ شأنه: ﴿فَهَلۡ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾[5]، وقال سبحانه: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحۡذَرُواْۚ فَإِن

---

(١) سورة المائدة، آية: ٦٧.

(٢) سورة النحل، آية: ٤٤.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٣٩٤.

(٤) سورة الشورى، آية: ٤٨.

(٥) سورة النحل، آية: ٣٥.

تَوَلَّيۡتُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾[١]، وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: ((بلِّغوا عني ولو آيةً))[٢]، وكل هذه النصوص تدلل على أهمية وضرورة البلاغ والبيان للمدعوين.

"إن الوظيفة الأساسية للرسل عليهم السلام ليست إعمار الأرض ولا توفير الرفاهية للناس أو إطعام الفقراء، وإنما تبليغ الرسالة التي حملهم الله تعالى إياها، والأنبياء وخلفاؤهم من الدعاة إذ يقومون بـ (البلاغ المبين) يكونون قد قاموا بالعمل الأساسي الذي تَبْرأ به الذمة أمام الله والبلاغ المبين يُعلم الناس تحمل مسؤولياتهم تجاه أنفسهم ودينهم ومجتمعهم، وما أصيبت الأمم بداء أخطر من فقد الشعور بالمسؤولية، ومن خلال الدعوة يتمكن الناس من معرفة ما يجب عليهم أن يفعلوه، وفي الوقت نفسه الثمن الذي عليهم أن يدفعوه إذا هم لم يستجيبوا، ومن خلال هذا وذاك تتولد الشخصية وفضيلة الشعور بالمسؤولية"[٣].

ثالثًا – من أساليب الدعوة: الترغيب:

حيث جاء في الحديث: (أن العمرة في رمضان تعدل حجة)، وأسلوب الترغيب من أساليب الدعوة التي تحفز المدعو إلى فعل الخير والمداومة عليه، "والترغيب هو تشويق الناس إلى ثواب الله والجنة فمن النفوس من ترغب في الخير وتهفو إلى الهدى، وتشتاق إلى النور ذكر الخير يرغبها ودعوة الإحسان تدفعها، ونور الحق يدفئها"[٤].

ومن صور استعمال القرآن لهذا الأسلوب قوله تعالى: ﴿إِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾[٥].

وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ۝٢٢ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ۝٢٣ تَعۡرِفُ فِي وُجُوهِهِمۡ نَضۡرَةَ

---

(١) سورة المائدة، آية: ٩٢.

(٢) أخرجه البخاري ٣٤٦١.

(٣) مقدمات للنهوض بالعمل الدعوي، د. عبدالكريم البكار ص ١٤٣ – ١٤٤.

(٤) الدعوة إلى الله "الرسالة – الوسيلة – الهدف"، د. توفيق الواعي ص ٢٠٠.

(٥) سورة النبأ، آية: ٣١.

ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾[1].

رابعًا - من آداب المدعو: طلب معالي الأمور في العبادة:

ويتضح هذا من مضمون الحديث حيث إن عصر الرسول ﷺ هو أفضل العصور، وأصحابه رضي الله عنهم الذين عاشوا معه وتربوا على يديه، هم أكرم جيل، وأفضل قبيل، سواء في هذه الأمة أم في سواها، وهم أول من خوطب بقوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[2].

والأمة تتطلع إلى ذلك العصر، وإلى ذلك الجيل بكل إجلال وتعظيم من أجل الاقتباس والاتباع والاقتداء، ويودّ المسلم لو أنه رأى النبي ﷺ، وعاش معه ولو يسيرًا حتى يشبع شيئًا من مشاعره الفياضة، والجاذبية التي لا تقاوم نحو ذلك العصر وذلك الجيل.

وتترسخ الأمنية ويتضاعف الودّ، إلى أن يتحول ذلك إلى عزم أكيد في إصلاح الواقع ومحاولة التشبه بالرعيل الأول، إلى أن يترك ذلك بصمات تربوية منتشرة هنا وهناك تتمثل منهج السلف الصالح وتدعو إليه.

وهذا العصر الفريد - عصر النبي ﷺ وصحبه رضي الله عنهم - مليء بنماذج الرجال ونماذج الأفعال، ونماذج الأقوال، ولا تحتاج الأمة إلى أن تستورد وعندها هذا الثراء والغنى، بل إنها أكثر من مكتفية، وعندها ما تُصدِّرُه إلى العالمين، ولا يصدق ذلك على عصر لاحق دون عصر، ولا على مِصْرٍ دون مِصْر، بل إن اللاحقين عمومًا إذا عملوا بأعمال السابقين لهم نصيبهم من ذلك الخير الذي لا يتخلف عنهم، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ فَضْلُ

---

(١) سورة المطففين، الآيات: ٢٢ - ٢٦.

(٢) سورة آل عمران، آية: ١١٠.

ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾[(١)].

إن الفضل الذي ادّخره الإسلام للاحقين والمتأخرين بالإضافة إلى اقتدائهم بالسلف وعلى رأسهم النبي ﷺ وأهل قرنه، يكون بمثل العمل على إحياء السنن في أزمان الغربة، بحيث يكون للمحتسب الصابر على ذلك كأجر عشرات من السلف كما في الأحاديث، ولعل المقصود بذلك الأجر الفردي دون شرف الصحبة.

ويكون أيضًا بمجاهدة النفس على الطاعة لله تعالى والرسول ﷺ، وبهذه المجاهدة الجادة يلحق من فاتته المرافقة وشرف الصحبة في الدنيا بالمرافقة والصحبة في الآخرة، قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ۝٦٩ ذَٰلِكَ ٱلۡفَضۡلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمٗا﴾[(٢)]، ومعنى ذلك أنه يعيش في الدنيا ما يتصوره من خلال النقل والرواية أنه أخلاق وسلوكيات الصحبة، يعيشه في دعوته ومجتمعه وأسرته لكي يكافأ على ذلك في الآخرة، برفقةٍ وصحبةٍ حقيقيةٍ تكون تنعمًا لا تكاليف.

كما أن مثل هذا الحديث الذي نحن بصدده والذي يجعل عمرة في رمضان تعدل حجة مع النبي ﷺ، مثل هذا الحديث يحلّق بأصحاب الهمم فيرفعهم من واقعهم إلى مستوى صحبة النبي ﷺ خلال أداء العبادة، ويجتاز بهم حواجز الزمان.

وكم يترك ذلك من إيجابيات تربوية ودعوية واجتماعية ونفسية، عند تلك الأفواج المشتاقة، التي تؤم البيت العتيق في رمضان للعمرة من كل أقطار المعمورة، وذلك في كل عام، وكم يترك ذلك من إيجابيات في محيطاتهم الواسعة. هذا بالإضافة إلى ما يتركه المُجِدُّون المُحْيون للسنة عند الغربة، وما يتركه أهل المجاهدة الجادة في الطاعة، وما يتركه المقتدون بشكل عام.

---

(١) سورة الجمعة، الآيات: ٢ - ٤.

(٢) سورة النساء، الآيتان: ٦٩ - ٧٠.

الحديث رقم (١٢٨١)

١٢٨١- وعنه: أنَّ امرأة قالت: يَا رسول الله، إنَّ فَرِيضَةَ اللهِ عَلَى عِبَادِهِ فِي الحَجِّ، أدْرَكَتْ أَبي شَيْخًا كَبِيرًا، لاَ يَثْبُتُ عَلَى الرَّاحِلَةِ أفَأحُجُّ عَنْهُ؟ قَالَ: ((نَعَمْ)) متفقٌ عَلَيْهِ[١].

ترجمة الراوي:

عبد الله بن عباس: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١١).

غريب الألفاظ:

لا يثبت على راحلة: لا يستطيع أن يستقر على الراحلة لضعفه الناشئ عن كبر سنّه[٢]، والراحلة: الناقة أو البعير الصالح للسفر[٣].

الشرح الأدبي

نلاحظ أن هذا الاستيضاح جاء علي لسان امرأة، وهذا يوحي بأن النساء أكثر عاطفة، وإشفاقا، وحنوا علي الوالدين – في غالب الأحوال – ويوحي هذا الموقف أيضا أن هذه المرأة ذات دين ، وتحب لوالدها الخير كل الخير،وترجو أن يتم أبوها أركان دينه، إلا أن الشيخوخة تمنعه من أن يقوم بأعمال الحج، أو السفر إلي تلك الأماكن الطاهرة. والاستفهام في قولها: " أفأحج عنه ؟ " حقيقي تريد منه فهم المسألة، ومعرفة الحكم الذي يترتب عليه عملها، والفعل المضارع: " أحج " يشير إلى أن هذه الصورة ليست خاصة بتلك المرأة فقط، ولكنها مستمرة في كل حالة مشابهة لها، ومتجددة، وهذا يوحي بأن الله تعالي يريد بعباده الخير، ويفتح لهم باب الحسنات لمن للوالدين بعد موتهما ببر أبنائهم، وهو ما يرغب بدوره في إنجاب الذرية الصالحة، وتعطي فرصة لمن قصَّر في حق والديه أن يبرهما بما نقصها من الفرائض، أو الإكثار عليهما من الصدقة. والله أعلم.

---

(١) أخرجه البخاري (١٥١٣) واللفظ له، ومسلم (١٣٣٤/٤٠٧).

(٢) المعجم الوسيط في (ث ب ت)، وفتح الباري ٨٢/٤.

(٣) الوسيط في (ر ح ل).

فقه الحديث

يشير الحديثان إلى عدة أحكام منها:

١ - حكم الحج عن الغير: في الحديث دليل على أنه يجزئ الحج عن المكلف، إذا كان ميئوسًا منه القدرة على الحج بنفسه، مثل الشيخوخة فإنه ميئوس زوالها، وأما إذا كان عدم القدرة لأجل مرض أو جنون يرجى برؤهما فلا يصح[١].

٢ - أن الاستطاعة تكون بالغير كما تكون بالنفس[٢].

٣ - حكم سماع صوت المرأة: يدل الحديث على جواز سماع كلام المرأة وسماع صوتها للأجانب عند الضرورة كالاستفتاء عن العلم، والترافع في الحكم والمعاملة[٣].

٤ - إحرام المرأة: يدل الحديث على أن إحرام المرأة يكون في وجهها، فيجوز لها كشفه في الإحرام[٤].

٥ - في الحديث جواز النيابة في السؤال عن العلم حتى من المرأة عن الرجل[٥].

٦ - حكم العمرة: ذهب جمهور الفقهاء (الحنفية في ظاهر الرواية، والمالكية، والشافعية في مقابل الأظهر، والحنابلة في رواية، وابن مسعود، وأبو ثور) إلى القول بأن العمرة سنة مؤكدة[٦]. واستدلوا على ذلك بما روي عن طلحة أنه سمع رسول الله ﷺ يقول "الحج جهاد والعمرة تطوع". ولأنه نسك غير مؤقت فلم يكن واجبًا كالطواف[٧].

---

(١) سبل السلام ٢١٢/٢، فتح الباري ٨٥/٤، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٣٦٥/٣، نيل الأوطار ٢٨٠/٤.

(٢) مغني المحتاج ٢١٨/٢، فتح الباري ٨٥/٤.

(٣) فتح الباري ٨٦/٤.

(٤) الجوهرة النيرة ١٥٢/١، مغني المحتاج ٢٣٦/٢-٢٣٧، فتح الباري ٨٦/٤.

(٥) فتح الباري ٨٦/٤.

(٦) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني الحنفي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٢٢٦/٢، حاشية رد المحتار ٤٧٢/٢، تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين الزيلعي ٨٣/٢، مواهب الجليل ٤٦٦/٢، ٤٦٧، مغني المحتاج ٢٠٧/٢، المغني ٨٦/٣، سبل السلام ٣١٠/٢، نيل الأوطار ٢٨١/٤.

(٧) المغني ٨٩/٣.

وذهب الشافعية في الأظهر، والحنفية في قول، والحنابلة في رواية، وعمر، وابن عباس، وزيد بن ثابت، وابن عمر، وسعيد بن المسيب، وسعيد بن جبير، وعطاء، وطاووس، ومجاهد، والحسن، وابن سيرين، والشعبي، والثوري، وإسحاق إلى القول بأن العمرة واجبة[1]. واستدلوا على ذلك بقوله تعالى: ﴿وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ﴾[2] ومقتضى الأمر للوجوب ثم عطفها على الحج، والأصل التساوي بين المعطوف والمعطوف عليه[3].

ويناقش هذا بأن الآية لا دلالة فيها على فرضية العمرة لأنها قرئت برفع العمرة "والعُمْرَةُ لله". وأنه كلام تام بنفسه غير معطوف على الأمر بالحج، أخبر أن العمرة لله ردًا لزعم الكفرة لأنهم كانوا يجعلون العمرة للأصنام على ما كانت عبادتهم من الإشراك، وأما على قراءة العامة فلا حجة فيها أيضًا لأن فيها أمرًا بإتمام العمرة وإتمام الشيء يكون بعد الشروع فيه[4].

والراجح هو رأي جمهور الفقهاء القائل بسنية العمرة.

المضامين الدعوية[5]

أولاً: من واجبات المدعو: السؤال والاستفسار عن الأحكام الشرعية.

ثانيًا: من خصائص الدعوة: السماحة واليسر والبعد عن المشقة.

ثالثًا: من فقه الداعية: التيسير على المدعوين ومراعاة أحوالهم.

رابعًا: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب والأمر.

---

(١) مغني المحتاج ٢٠٧/٢، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني الحنفي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٢٢٦/٢، تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين الزيلعي ٨٣/٢، المغني ٨٩/٣، سبل السلام ٣١٠/٢، نيل الأوطار ٢٨١/٤.

(٢) سورة البقرة، آية: ١٩٦.

(٣) المغني ٨٩/٣.

(٤) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني الحنفي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٢٢٦/٢.

(٥) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث – ١٢٨١ – مع المضامين الدعوية للحديث رقم ١٢٨٢.

خامسًا: من آداب المدعو: مراعاة حقوق الوالدين والعناية بهما.

أولاً - من واجبات المدعو: السؤال والاستفسار عن الأحكام الشرعية:

حيث جاء في الحديث: (أدركت أبي شيخًا كبيرا لا يثبت على الراحلة أفأحج عنه؟)، ومما لا شك فيه أن من أهم واجبات المدعو السؤال والاستفسار عن الأحكام الشرعية التي يجهلها حتى لا يقع في محظور شرعي وقد أمر الله تعالى بالسؤال، فقال سبحانه: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[1]، قال السعدي: "وهذه الآية وإن كانت في سبب خاص بالسؤال عن حالة الرسل المتقدمين من أهل الذكر، وهم أهل العلم فإنها عامة في كل مسألة من مسائل الدين، أصوله وفروعه، إذا لم يكن عند الإنسان علم منها، أن يسأل من يعلمها، ففيه الأمر بالتعلم والسؤال لأهل العلم، ولم يؤمر بسؤالهم إلا لأنه يجب عليهم التعليم والإجابة عما علموه"[2].

وقد استنكر النبي ﷺ على من ترك السؤال ففي قصة المجروح الذي اغتسل فمات، قال عن الذين أفتوه من غير أن يسألوا: ((قَتَلُوهُ قَتَلَهُمُ الله ألاَّ سَأَلُوا إذْ لَمْ يَعْلَمُوا فإنَّمَا شِفَاءُ الْعِيِّ السُّؤَالُ))[3].

ولما كان الحج أحد أركان الإسلام وفرائضه كما هو معلوم، وجب السؤال عنه وعن أحكامه وما يتعلق به لأهميته، قال ابن كثير عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ﴾[4]: "هذه آية وجوب الحج عند الجمهور، وقد وردت الأحاديث المتعددة بأنه أحد أركان الإسلام ودعائمه وقواعده، وأجمع المسلمون على ذلك إجماعًا ضروريًا، وإنما يجب على المكلف في العمرة مرة واحدة بالنص والإجماع".

---

(١) سورة الأنبياء، آية: ٧.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٤٦٨.

(٣) أخرجه أبو داود ٣٣٦، وحسنه الألباني، (صحيح سنن أبي داود ٣٢٥).

(٤) سورة آل عمران، آية: ٩٧.

ثم قال ابن كثير: "وقد روى أبو بكر الإسماعيلي الحافظ من حديث أبي عمرو الأوزاعي، حدثني إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر، حدثني عبدالرحمن بن غنم أنه سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: ((من أطاق الحج فلم يحج، فسواء عليه يهوديًا مات أو نصرانيًا)) وهذا إسناد صحيح إلى عمر رضي الله عنه"[١].

وقال القرطبي عقب قول عمر ونحوه: "هذا خرج مخرج التغليظ؛ ولهذا قال علماؤنا [يعني المالكية]: تضمّنت الآية أن من مات ولم يحج وهو قادر فالوعيد يتوجّه عليه، ولا يجزىء أن يحجّ عنه غيره، لأن حج الغير لو أسقط عنه الفرض لسقط عنه الوعيد. والله أعلم"[٢]. ولهذا يرى المالكية أنه لا يصح الحج عن الميت إلا إذا أوصى.

قال ابن تيمية: "إن الاستسلام لله لا يتم إلا بالإقرار بما لَهُ على عباده من حج البيت"[٣].

وفي الحديث الذي نتكلم عليه عبّرت المرأة في سؤالها للنبي صلى الله عليه وسلم عن الحج بأنه فريضة الله على عباده، وأن هذا الأمر بدهي مقرر في العقيدة. وسؤالها يدل على أنها تعتقد أن هذه الفريضة تلزم أباها رغم ضعفه فبحثت له عن طريقة للأداء.

وقد ذكر النووي في شرح صحيح مسلم فوائد مأخوذة من هذا الحديث منها: "جواز النيابة في الحج عن العاجز الميئوس منه بهرم (أي كبر في السن) أو زمانة (أي مرض مزمن) أو موت. ومنها جواز حج المرأة عن الرجل. ومنها بر الوالدين بالقيام بمصالحهما من قضاء دين وخدمة ونفقة وحج عنهما وغير ذلك. ومنها وجوب الحج على من هو عاجز بنفسه مستطيع بغيره كولده، ثم ذكر النووي أن مذهب الجمهور ومنهم الشافعي جواز الحج عن المعضوب، وهو من حصلت به الزمانة أو الهرم أو نحوهما، وأنه على مذهبهم كذلك يجوز الحج عن الميت، عن فرضه ونذره سواء أوصى به أم لا ويجزى عنه، وأن مذهب الشافعي وغيره أن ذلك واجب في تَرِكَتِه"[٤].

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٥٠٨/١.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ١٣٦/٤.

(٣) مجموع الفتاوى ٩٢/٣.

(٤) شرح صحيح مسلم ٩٨/٩.

قال ابن حجر: "واستدل الكوفيون بعموم الحديث على جواز حج من لم يحج نيابة عن غيره، وخالفهم الجمهور فخصوه بمن حج عن نفسه - أي أنه لا يحج أحد عن أحد حتى يكون قد سبق له الحج عن نفسه من قبل - واستدلوا بما في السنن وصحيح ابن خزيمة وغيره من حديث ابن عباس أيضًا أن النبي ﷺ رأى رجلاً يلبي عن شبرمة فقال: (أحججت عن نفسك؟ فقال: لا. قال: هذه عن نفسك ثم احجج عن شبرمة)"[١].

وقال ابن حجر: "وادعى آخرون أن ذلك خاص بالابن يحج عن أبيه، ولا يخفى أنه جمود. ثم قال: واتفق من أجاز النيابة في الحج على أنها لا تجزئ في الفرض إلا عن موت أو عضب (زمانة أو هرم)، فلا يدخل المريض، لأنه يرجى برؤه، ولا المجنون، لأنه ترجى إفاقته، ولا المحبوس لأنه يرجى خلاصه، ولا الفقير لأنه يمكن استغناؤه، والله أعلم"[٢].

وهذه الأحكام وغيرُها مأخوذة من النصوص كما هو معلوم، ومنها الحديث الذي نتكلم عليه، وقد أشار ابن حجر إلى طرق الحديث وقال: "والذي يظهر لي من مجموع هذه الطرق أن السائل رجل وكانت ابنته معه، فسألت أيضًا - هل تحج عن أبيها، وتعني جدها - والمسؤول عنه أبو الرجل وأمه جميعًا - لأن في بعض الروايات ذكر الأم..."[٣].

وكأن النووي وغيره أخذ من الحديث: جواز حج المرأة بلا محرم كما هو في شرح صحيح مسلم في الموضع السابق، ولعله يقصد أنها سألت النبي ﷺ أثناء الحج ولم يكن معها محرم، أو أن الرسول ﷺ حين أجاز لها الحج عن جدها لم يُلزمها بالمحرم، ولكن من مجموع الطرق التي جمعها ابن حجر كما مرّ، تبين أن والدها وهو محرم لها كان موجودًا، كما أن سماح الرسول ﷺ لها بالحج عن جدها ليس معناه عدم الإلزام بالمحرم؛ لأن أدلة المحرم مذكورة في نصوص أخرى.

---

(١) فتح الباري ٤/ ٦٩.

(٢) نفس المرجع السابق ٤/ ٧٠.

(٣) نفس المرجع السابق ٤/ ٦٨.

إن المدعو يسأل ويستفسر عن الأحكام الشرعية، لأنه يعلم أنه مطالب بتنفيذها والقيام بها، والإسلام دين القيام بالتكاليف؛ لأن الدنيا لا تستقيم إلا بإصلاح النفوس وتربيتها، ولا يتحمل تبعاتها بحق وصدق إلا من هذبته العبادات، وصقلته الطاعات، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾[1]، ولا يفلح في الآخرة إلا من نهض بتلك التكاليف الشرعية؛ لأن الجنة حفّت بالمكاره كما في الحديث الصحيح.

ومن أجل ذلك فإنه مطبوع في ذهن المسلم بأنه لا بد من أن يؤدي واجباته والفرائض التي عليه، وأي فريضة (عبادة) تتعسر فإن لها بدلاً وعوضًا، حتى لا يفوت على المسلم بركة هذه العبادة وآثارها النافعة له في دنياه وأخراه، فالوضوء والغسل بدلهما التيمم، والصيام عند العجز مقامه الكفارة، والحج والعمرة إذا ثبتا في الذمة يمكن فيهما النيابة وهكذا.

وإذا غفل المسلم عن شيء من ذلك، فإن الدعوة والتذكير والنصيحة من الآخرين، وفي مقدمتهم العلماء لا تنفك عنه مما يجعل المسلم في جاهزية مستمرة والتزام، وهذا يجعل المجتمع المسلم يتميز عن المجتمعات الأخرى، فبعض غير المسلمين مثلاً لا يتذكرون دينهم وتكاليفه المحدودة إلا في يوم الأحد أسبوعيًا، أو في عيد الميلاد سنويًا، أو في يوم السبت.

ولا يوجد دين كالإسلام فيه عبادات يومية وأسبوعية وشهرية وسنوية، وفي رأس العمر، ولذلك فالمجتمع المسلم مجتمع متدين ملتزم، فإذا أضيف إلى ذلك أن دين المجتمع المسلم هو الدين الحق، فقد اجتمعت أسباب الفلاح بذلك للمسلمين من كل جانب. إن الرابطة الأسرية في الأسرة المسلمة تقوم على الدين، ولذلك يتفقد كل فرد في الأسرة الأحوال الدينية لبقية الأفراد، ويقرر موقفه منهم بقدر تدينهم وعدمه أو محاربتهم للدين، وما إذا كان هذا الموقف المفاصلة أو المساعدة. قال تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾[2].

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٥٣.

(٢) سورة المجادلة، آية: ٢٢.

ولذلك لا غرابة، أن يحج المرء في الإسلام ويعتمر عن أبيه أو عن أمه وعن القريب وحتى عن البعيد إذا اقتضى الحال على سبيل المثال لكي يتلافى ما عنده من عجز، وبذلك يتكامل الكيان المسلم، وتكون الرابطة الاجتماعية بشعبها الحياتية المتنوعة هي الرابطة الدينية القوية، مما يجعل المسلمين جميعًا تنظيمًا واحدًا وحزبًا واحدًا، ولذلك كان ختام الآية السابقة: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنْهُۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٖ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[1].

ثانيًا - من خصائص الدعوة: السماحة واليسر والبعد عن المشقة:

ويتضح هذا من الحديث: (أدركت أبي شيخًا كبيرًا لا يثبت على الراحلة أفأحج عنه؟ قال: نعم)، وقوله: (إن أبي شيخ كبير لا يستطيع الحج ولا العمرة ولا الظعن، قال: حج عن أبيك واعتمر)، ولا شك أن هذا يدل على سماحة الإسلام ويسره في العبادات، قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٖ﴾[2]، قال ابن كثير: "أي: ما كلفكم ما لا تطيقون، وما ألزمكم بشيء فشق عليكم إلا جعل الله لكم فرجًا، ومخرجًا، قال ابن عباس رضي الله عنهما: من حرج، أي: من ضيق ومظاهر ذلك ما ورد من الرخص والتخفيفات في سائر الفروض والواجبات"[3].

واليسر والبعد عن المشقة من أبرز خصائص الشريعة الإسلامية "إن من يتتبع أحكام الشريعة الإسلامية والنصوص التي استنبطت منها فسوف يجد لا محالة أن هذه الأحكام قد روعي فيها التخفيف والتيسير على العباد، وأن مظاهر رفع الحرج واضحة جلية في ابتدائها ودوامها، وأنه في كثير من الحالات يتضمن النص حكمين أحدهما: للحالة العادية، وثانيهما: لظرف طارئ يقتضي التخفيف من الحكم الأول لما يترتب على تطبيقه

---

(١) الآية السابقة نفسها.

(٢) سورة الحج، آية: ٧٨.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٤٥٥/٥.

من حرج شديد أو مشقة بالغة قد تصل إلى الهلاك، ونطاق السماحة والتيسير في شريعة الإسلام لا يقتصر على شؤون العبادات، وإنما يتسع لكل أحكام الشريعة من معاملات مدنية، وتصرفات شخصية، وعقوبات جزائية وتشريعات قضائية ونحوها"[1].

وفي بيان أن الشريعة تقوم على التيسير ورفع الحرج عن العباد، قال ابن القيم: "وبناء الشريعة على مصالح العباد في المعاش والمعاد، والجهل بهذا غلط عظيم على الشريعة يوجب من الحرج والمشقة وتكليف ما لا سبيل إليه ما يعلم أن الشريعة الباهرة لا تأتي به، فإن الشريعة مبناها وأساسها على الحِكَم ومصالح العباد في المعاش والمعاد، وهي عدل كلها ورحمة كلها ومصالح كلها وحكمة كلها فكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور، وعن الرحمة إلى ضدها، وعن المصلحة إلى المفسدة، وعن الحكمة إلى العبث، فليست من الشريعة وإن أدخلت فيها بالتأويل، فالشريعة عدل الله بين عباده، ورحمته بين خلقه، وظله في أرضه وحكمته الدالة عليه وعلى صدق رسوله ﷺ أتم الدلالة وأصدقها وهي نوره الذي به أبصر المبصرون، وهداه الذي به اهتدى المهتدون، وكل خير في الوجود فإنما هو مستفاد منها وحاصل بها، وكل نقص في الوجود فسببه من إضاعتها فالشريعة التي بعث الله بها رسوله هي عمود العالم وقطب الفلاح والسعادة في الدنيا والآخرة"[2].

ثالثًا - من فقه الداعية: التيسير على المدعوين ومراعاة أحوالهم:

ويتضح هذا من سياق الحديث، ولذا كان من فقه الداعية التيسير على المدعو ورفع الحرج عنه، وبهذا أوصى النبي ﷺ معاذًا وأبا موسى رضي الله عنهما حين بعثهما إلى اليمن فقال لهما: ((وَبَشِّرَا وَلاَ تُنَفِّرَا، وَيَسِّرَا وَلاَ تُعَسِّرَا))[3]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((فإنَّما بُعِثْتم مُيَسِّرِينَ، ولم تُبعثوا مُعَسِّرين))[4].

---

(١) مظاهر التيسير في التشريع الإسلامي، د. عبدالعزيز محمد عزام ص ٨٠.

(٢) إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن القيم، تحقيق: رائد صبري بن أبي علفة ص ٤.

(٣) أخرجه البخاري ٣٠٣٨، ومسلم ١٧٣٢.

(٤) أخرجه البخاري ٢٢٠، ٦١٢٨.

قال ابن القيم: "جمع الله عز وجل في هذه الشريعة بين كونها حنيفية وكونها سمحة فهي حنيفية في التوحيد سمحة في العمل"(١).

وقال د. يوسف القرضاوي: "ومما أنصح به شباب الدعاة أن يتخلوا عن التشدد والغلو، ويلزموا جانب الاعتدال والتيسير، وخصوصًا مع عموم الناس الذين لا يطيقون ما يطيقه الخواص من أهل الورع والتقوى، ولا بأس بأن يأخذ المسلم في مسألة أو جملة مسائل بالأحوط والأسلم، ولكن إذا ترك دائمًا الأيسر أصبح الدين في النهاية مجموعة أحوطيات لا تمثل إلا الشدة والعسر، والله يريد بعباده السعة واليسر، وإذا جاز للإنسان أن يشدد على نفسه طلبًا للأكمل والأسلم فلا يجوز أن يشدد على جمهور الناس فينفرهم من دين الله من حيث لا يشعر، ولئن كان التيسير مطلوبًا في كل زمن فإنه في زماننا ألزم وأكثر تطلبًا"(٢).

إن النيابة في الحج والعمرة جائزة، وهذا من فضل الله تعالى على الناس، ومن يُسْر هذا الدين، إذْ لم يكلّف الله الناس ما يشق عليهم بأن يفرض عليهم مثلاً أداء الحج والعمرة وهم في حال المرض المزمن، أو الإعاقة الدائمة اللذين يصعب معهما الأداء.

وكذلك كانت النيابة تداركًا لما فات على الميت من الأداء، فيلحق كل من به زمانةٌ أو إعاقة، أو ذهب به الموت بإخوانه الذين منّ الله عليهم بالحج والعمرة بهذه الوسيلة التي تعني فيما تعني التعاون بين المؤمنين، وهو تعاون يشمل أمور الدين والدنيا، قال تعالى: ﴿ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ﴾(٣).

وإذا كانت النيابة جائزة من المسلم عن أخيه المسلم في أداء الحج والعمرة، وهذا ممّا يزيد الترابط بين المسلمين ويقوّي العلاقات، ويعمّق الأخوّة ومكارم الأخلاق، فإن هذه المعاني تكون أعمق وأوثق عندما تجري النيابة بين ذوي الأرحام والقرابات، فتخدم بذلك فريضة صلة الرحم، وهي فريضة أكدّ عليها الكتاب والسنة

---

(١) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، ابن القيم، تحقيق: محمد حامد الفقي ١٥٨/١.

(٢) الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف ص ٢١٠ - ٢١٢ بتصرف.

(٣) سورة المائدة، آية: ٢.

وتكاثرت فيها النصوص، وإن من أقرب الناس إلى الشخص أبويه، وكما كانا السبب في وجوده، وكانا يتفقدانه صغيرًا في طعامه وشرابه وقيامه ومنامه وصحته ومرضه، وفي نظافته وملابسه، ويحرصان على تربيته، وتعليمه سلوكيات الحياة، ويجتهدان في تعليمه أمور الدين نظريًا وتطبيقيًا حتى ينشأ على الاستقامة، ويهتمان بإنقاذه من النار، فإنه يلزم الولد أن يحرص على أن يردّ لهما شيئًا من الجميل وهيهات. وردّ الجميل من مكارم الأخلاق، فيتفقد أحوال والديه في مختلف حاجاتهما، ويعمل على إسعادهما كما عملا على إسعاده، ومن ذلك أن يساعدهما في أداء واجباتهما الدينية.

وإذا كان شأن المؤمنين في مجتمعهم كما قال الله تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[1]، فكيف بشأن المؤمنين في داخل الأسرة الواحدة، ولاسيما في التعامل مع الأبوين.

فإذا عجز أحدهما عن أداء الفريضة المستقرة في الذمة كالحج والعمرة، فلابد أن ينهض الابن أو البنت بعبء المساعدة والنيابة، ومثل ذلك يقال في سائر الفرائض فتكون المساعدة في الوضوء أو في التيمم، أو في التهيئة للصلاة، أو في الكفارة عن الصيام، أو في حساب الأموال وإخراج الزكاة وهذا من صُلْب البر بالوالدين والإحسان إليهما، ولا يتخلف عن ذلك أي مسلم عنده التزام بخلق ودين.

رابعًا - من أساليب الدعوة: السؤال والجواب والأمر:

١ - **السؤال والجواب:** حيث جاء في الحديث: (أفأحج عنه؟ قال: نعم) وأسلوب السؤال والجواب من أساليب الدعوة التي تفتح حوارًا بين الداعية والمدعو، وتفتح مجالاً للمدعو للاستفسار عما يجهل ومن صور استعمال القرآن لأسلوب السؤال والجواب قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى﴾[2].

---

(١) سورة التوبة، آية: ٧٠.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٢٢.

٢- الأمر: حيث جاء في الحديث: (حج عن أبيك واعتمر)، وأسلوب الأمر من أساليب الدعوة التي تشعر المدعو بأهمية المأمور به وضرورة تنفيذه، ومن صور استعمال القرآن لأسلوب الأمر قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾[١].

خامسًا - من آداب المدعو: مراعاة حقوق الوالدين والعناية بهما:

إن أعظم حق على العبد هو حق الله تعالى الذي أوجده من عدم، وأنعم عليه بكل النعم، ومن أبرز الحقوق التي تأتي بعد ذلك حق الوالدين؛ لأنهما السبب في وجود الشخص بتقدير الله تبارك وتعالى، وهما اللذان تولّيا تربيته صغيرًا حتى بلغ سنّ الاعتماد على نفسه، وما أصعب التربية وأثقلها! وما أتعب تنشئة الأطفال ورعايتهم وحمايتهم! وبسبب ذلك قضى إلهنا الحكيم سبحانه بالإحسان إليهما بعد أن قضى بإفراده بالعبادة، وأمر بالمبالغة في حسن الخلق معهما، قال جل وعلا: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾[٢].

وطاعة الوالدين في المعروف طاعة لله تعالى، بل إن رضا الله في رضاهما وسخطه في سخطهما.

وعقوق الوالدين من الكبائر ومن أقبح الذنوب، ولذلك كان من الذنوب التي يعجل الله عقوبتها في الدنيا.

ومراعاة الوالدين والتلطف لهما واجبة حتى لو كانا كافرين، ولا طاعة للوالدين إذا أمرا بمعصية أو أمرا بالكفر، قال تعالى: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾[٣].

---

(١) سورة البقرة، آية: ٤٣.

(٢) سورة الإسراء، الآيتان: ٢٣ - ٢٤.

(٣) سورة لقمان، آية: ١٥.

ولاشك أن من الإحسان إلى الوالدين مساعدتهما في حال الضعف في أداء الفرائض، ومن ذلك الحج، وكذلك العمرة على قول من يرى فرضيتها فيقوم الولد ذكرًا أو أنثى بتلك المساعدة أثناء أداء المناسك، أو ينوب عن الوالد إذا كان يعجز عن الانتقال والسفر.

وإن أولى الناس بحسن التعامل والبر والخلُق هم الأقربون، وفي مقدمتهم الأب وأبوه وإن علا، الأم وإن علتْ، وهذه المرأة من هذا المنطلق سألت الرسول ﷺ مبينةً استعدادها للنيابة عن أبيها -الجد- في أداء فريضة الحج إن كان ذلك مأذونًا به شرعًا.

والنيابة في العبادة هي عبادة، والأصل أنه لا ينظر إليها نظرة مادية، سواء أكانت نيابة عن أحد الأقارب أم عن شخص ليس من الأقارب.

والنائب يأخذ ما يكفيه من النفقة دون نظر إلى الكسب، قال ابن تيمية رحمه الله في الفتاوى: "والمنصوص عن أحمد أنه قال: لا أعرف في السلف من كان يعمل هذا - أي يتكسّب بالحج - وعدّه بدعةً وكرهه ... ولم يكره إلا الإجارة والجعالة - يعني أن يقصد ذلك في الحج - ثم يقول ابن تيمية: قلت: حقيقة الأمر في ذلك أن الحاج يستحب له ذلك إذا كان مقصوده أحد شيئين: الإحسان على المحجوج عنه، أو نفس الحج لنفسه ... فإذا كان مقصود الحاج قضاء الدين الواجب عن الشخص، فهذا محسن إليه، والله يحب المحسنين فيكون مستحبًا، وهذا غالبًا إنما يكون لسبب يبعثه على الإحسان إليه، مثل رحم بينهما، أو مودةٍ أو صداقة أو إحسان له عليه يجزيه به، ويأخذ من المال ما يستعين به على أداء الحج عنه، وعلامة ذلك أن يطلب مقدار كفاية حجه، ولهذا جوّزنا نفقة الحج بلا نزاع، وكذلك لو وصّى -الشخص- بحجة مستحبة، وأحب إيصال ثوابها إليه.

والموضع الثاني: إذا كان الرجل مؤثرًا أن يحج محبةً للحج وشوقًا إلى المشاعر وهو عاجز فيستعين بالمال ... وهذا قد يعطي المال ليحج به لا عن أحد كما يعطي المجاهد المال ليغزو به، فلا شبهة فيه، فيكون لهذا أجر الحج ببدنه، ولهذا أجر الحج بماله كما في الجهاد، فإنه من جهّز غازيًا فقد غزا ... فهاتان صورتان مستحبتان وهما

الجائزتان من أن يأخذ نفقة الحج ويرد الفضل - يعني ويُرد الزيادة - أما إذا كان قصده الاكتساب بذلك ... فهذه صورة الإجارة والجعالة، والصواب أن هذا لا يستحب، وإن قيل بجوازه، لأن العمل المعمول للدنيا ليس بعمل صالح في نفسه إذا لم يقصد به إلا المال، فيكون من نوع المباحات، ومن أراد الدنيا بعمل الآخرة فليس له في الآخرة من خلاق"[1].

إن الشخص في المجتمع المسلم يتربى منذ نعومة أظفاره على احترام الكبير وتوقيره وتقديمه، وتوفير حاجاته، ومعاونته فيما لا يستطيع القيام به، ويتم ذلك برحابة صدر وسرور، وينظر الشباب وصغار السن إلى ذلك أنه جزء من واجبهم، وبعضٌ من أدبهم وثقافتهم، وقاعدة هامة من قواعد أخلاقهم قال ﷺ: ((لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا وَيوقِّرْ كَبِيرَنَا))[2].

ونجد في حديث: (إن فريضة الله على عباده في الحج أدركت أبي شيخًا كبيرًا) نموذجًا لاهتمام الابن بأبيه، والبنت بجدّها؛ إذْ إنه من مجموع الروايات التي جَمعها ابن حجر كما مرّ ظهر أن الابن سأل عن إمكان نيابته عن أبيه في الحج لم ينس كذلك أن يسأل عن نيابته عن أمه .

إنها تربيةُ الإسلام وصياغته للنفوس، وتكوينه للأخلاق، وتنسيقه للأقوال حتى تكون معبّرة تعبيرًا صادقًا عن الأفعال، فالرجل وابنته ما سألاَ إلا للتطبيق .

وأين هذا من حضارة الغرب الزائفة التي لا أخلاق لها، وليس لها خَلاقٌ من القيم، لا يكاد الأب عندهم يطمئن إلى أن الابن الذي ينتسب إليه هو ابنه، والابن لا يعرف حق أبيه ولا حق أمه، بل قد يشك في الأبوّة، ولذلك يذهب كلٌّ منهم في سبيله ووراء حاجاته ومتطلباته في الحياة، أسرٌ مفكّكة وقيَمٌ غائبة، إذا كبر الأب في السن، أو كبرت الأم فليس أمامهما سوى ملجأ العجزة؛ لا يجدان من يتحنّن عليهما أو يعطف على شيخوختهما أو يؤنسهما، أو يتلمّس رغباتهما، فضْلاً عن أن يهتم

---

(١) مجموع الفتاوى ١٤/٢٦.

(٢) أخرجه الترمذي ١٩١٩، وصححه الألباني، (صحيح سنن الترمذي ١٥٦٥).

بواجباتهما الدينية كما هو الحال عندنا في الإسلام، وكما يدل على ذلك الحديث الوارد هنا بالذات.

إن مجتمعًا تتفكّك فيه الأسرة لَحَرِيٌّ أن يتفكّك كيانه، ولذلك كان للعلاقات الأسرية المتينة لدى المسلمين آثارٌ بنائية اجتماعية متينة على مستوى المجتمع ثم على مستوى الأمة، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[1]، وقال عليه الصلاة والسلام: ((مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ، مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ، تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى))[2].

وإذا كان الغرب يدعو إلى حضارته تشدُّقًا ودعاوى، فإن المسلمين يدعون بالواقع قبل النظرية، وبالأفعال والأقوال معًا ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً﴾[3].

---

(١) سورة الحجرات، آية: ١٠.

(٢) أخرجه البخاري ٦٠١١، ومسلم ٢٥٨٦.

(٣) سورة البقرة، آية: ١٣٨.

الحديث رقم (١٢٨٢)

١٢٨٢- وعن لقيط بن عامر ﵁: أنَّه أتى النبيَّ ﷺ، فَقَالَ: إنَّ أَبي شَيْخٌ كَبيرٌ، لاَ يَسْتَطِيعُ الحَجَّ، وَلاَ العُمْرَةَ، وَلاَ الظَّعَنَ؟ قَالَ: ((حُجَّ عَنْ أبِيكَ وَاعْتَمِرْ)) رواه أَبُو داود والترمذيُّ[(١)]، وقال: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

لقيط بن عامر: هو لقيط بن عامر بن المنتفق بن عامر العامري أبو رَزِين العقيلي، أوفده قومه إلى رسول الله ﷺ.

وهناك خلاف بين المحدثين: هو لقيط بن صَبِرة المتقدم ذكره في الحديث (١٢٥١) أم غيره؟ ذهب جماعة منهم -كالبخاري- إلى أنه لقيط بن صَبِرة. وذهب آخرون -منهم مسلم بن الحجاج- إلى أنه غيره.

ورجح الحافظ ابن حجر أنهما اثنان وقال: لأن لقيط بن عامر معروف بكنيته ولقيط بن صبرة لم يذكر كنيته... والرواة عن أبي رزين جماعة ولقيط بن صبرة لا يعرف له راوٍ إلا ابنه عاصم. وإنما قوّى كونهما واحدًا عند من جزم به؛ لأنه وقع في صفة كل واحد منهما أنه وافد بني المنتفق، وليس بواضح، لأنه يحتمل أنه يكون كلٌّ منهما كان رأسًا ا. هـ.

وكان رجلاً يحسن السؤال، فقد رُوي أن النبي ﷺ كان يكره المسائل، فإذا سأله أبو رزين أعجبته مسألته[(٢)].

---

(١) أخرجه أبو داود (١٨١٠)، والترمذي (٩٣٠) واللفظ له. وصحّحه ابن خُزيمة (٣٠٤٠)، وابن حبان (الإحسان ٣٩٩١)، وقال الحاكم (٤٨١/١): هذا حديثٌ صحيحٌ على شرط الشيخين ولم يخرجاه. قال البيهقي في معرفة السنن والآثار (٥٧/٧، ف٩٢٨٥): وقد روينا عن أحمد بن حنبل أنه قال: لا أعلم في إيجاب العمرة حديثًا أجود من هذا، ولا أصحَّ منه.

(٢) الطبقات (٥١٨/٥)، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٦٣٩، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود (٤٩١/٤) والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ١١٤٣، ١١٤٤، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين (١٨٢/٦)، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني (٤٧٩/٣).

ومن ذلك ما ورد في الحديث أنه سأل النبي ﷺ عن كثير من أمور الغيب ويوم القيامة. وفيه أن الرسول ﷺ شهد لقومه بالتقوى، فقال رسول الله ﷺ: إن هذين لعمر إلهك من أتقى الناس في الأولى والآخرة. فقال له كعب بن الخُدَارية أحد بني بكر بن كلاب: من هم يا رسول الله؟ قال: بنو المنتفق أهل ذلك[1].

غريب الألفاظ:

الظعن: السفر[2].

الشرح الأدبي

لقد أكد الراوي أن أباه لا يستطيع الحج، ولا العمرة، ولا الظعن (أي السفر) في المقدمة التي ساقها بين يدي سؤاله (إن أبي شيخ كبير لا يستطيع الحج ولا العمرة ولا الظعن؟) ووصفه بالكبر بعد الشيخوخة مبالغة في إظهار ضعفه الذي يترتب عليه عجزه عن فريضة الحج، وسنة العمرة، فجاءه الرد من معلم الناس الخير ﷺ فقال له: "حج عن أبيك، واعتمر". والفعلان "حج.. اعتمر" يفتحان الباب على مصراعيه لبر الوالدين، وتدارك ما فاتهما من الصالحات، ويتأكد هذا الأمر إذا كان "الابن" قادرا علي ذلك، وقدم "الحج" علي "العمرة"، لأنه الفريضة المتممة للركن الخامس من أركان الإسلام، ويستطيع أن يؤدي العمرة مع الحج عن طريق التمتع، أو القران، ولا يستطيع أن يحج أثناء أداء العمرة في غير أشهر الحج. والإضافة في قوله: "أبيك" تذكره بتلك الرابطة الإنسانية بين الولد والوالد، والتي تستلزم الإشفاق عليهما من التقصير في الفرائض فيسعى إلى إتمام النقص.

المضامين الدعوية[3]

---

(١) أخرجه عبدالله بن أحمد في زوائده على المسند (١٦٢٠٦/٢٦) وقال الحافظ في الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ١١٢١: سنده حسن.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ظ ع ن).

(٣) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١٢٨٣)

١٢٨٣- وعن السائب بن يزيد ﵁، قَالَ: حُجَّ بي مَعَ رسولِ اللهِ ﷺ -(في حَجةِ الوَدَاعِ)[١]- وَأنَا ابنُ سَبعِ سِنِينَ. رواه البخاري[٢].

ترجمة الراوي:

السائب بن يزيد: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١١٣٨).

الشرح الأدبي

بدأ الراوي حديثه بالفعل الماضي " حج بي" للتدليل علي تحقق وقوع ذلك، ولعله يشعر بالسرور، والرضا، لكونه قد حج مع الرسول ﷺ أثناء "حجة الوداع "، وذكر المعية يوحي بالاعتزاز، والفخر، وقد بيَّن سنوات عمره في ذلك الوقت فقال: " وأنا ابن سبع سنين " وهذا يوحي بتعويد النشء علي العبادة، والطاعة، وحب الخالق المشرع -عز وجل - لتسهل عليهم الطاعات عندما يكبرون، لأن الأبناء ينشئون على ما ربَّاهم عليه آباؤهم من الطاعة أو المعصية، والجار والمجرور في قوله: "حج بي" يوحي بأنه حج بمصاحبة والديه أثناء الحج، وكان عمره -في ذلك الوقت- سبع سنوات. والله أعلم.

فقه الحديث

يشير الحديثان إلى عدة أحكام منها:

١ - جواز حج الصبي قبل البلوغ أو مباشرته النسك إذا كان مميزًا وذلك ليتمرن على العبادة فيألفها بعد البلوغ[٣].

٢ - حكم حج الصبي: ذهب الحنفية والمالكية، والشافعية، والحنابلة وجماهير أهل العلم إلى أن حج الصبي صحيح منعقد يثاب عليه وإن كان لا يجزيه عن حجة

---

(١) هذا التفسير من المؤلف، وليس من لفظ الحديث.

(٢) برقم (١٨٥٨).

(٣) دليل الفالحين ٤/٦٤.

الإسلام بل يقع تطوعًا[١].

وشذ البعض فقال إذا حج الصبي أجزأه ذلك عن حجة الإسلام[٢].

والراجح هو رأي جمهور الفقهاء وذلك لأن الصبي غير مكلف بل إن ابن بطال نقل إجماع أئمة الفتوى على سقوط الفرض عن الصبي حتى يبلغ وإذا حج كان حجه تطوعًا[٣].

٣ - لا خلاف بين الفقهاء في جواز الحج بالصبيان[٤].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: تدريب الأبناء على أداء العبادات.

ثانيًا: من تاريخ الدعوة: حجة الوداع.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: أهمية العناية بتربية الأطفال ومسؤولية الآباء:

أولاً - من موضوعات الدعوة: تدريب الأبناء على أداء العبادات:

حيث جاء في الحديث: (حُجَّ بي مع رسول الله ﷺ في حجة الوداع وأنا ابن سبع سنين)، قال ابن حجر: "قال ابن بطال: أجمع أئمة الفتوى على سقوط الفرض عن الصبي حتى يبلغ إلا أنه إذا حج كان له تطوعًا عند الجمهور، وقال أبو حنيفة: لا يلزمه شيء إنما يحج به على جهة التدريب"[٥].

وقال ابن علان: "إحجاج الصبي قبل البلوغ أو مباشرته النسك، أي: إذا كان

---

(١) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني الحنفي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ١٢٠/٢، حاشية رد المحتار ٤٥٩/٢، حاشية الدسوقي ٢/٢ وما بعدها، مغني المحتاج ٢٠٩/٢-٢١٠، المغني ٨٦/٣-٨٧، شرح صحيح مسلم ٩٩/٩، فتح الباري ٨٧/٤، سبل السلام ٣١٢/٢، نيل الأوطار ٢٩٤/٤.

(٢) شرح صحيح مسلم ١٠٠/٩، فتح الباري ٨٧/٤، نيل الأوطار ٢٩٤/٤، سبل السلام ٣١٢/٢.

(٣) شرح صحيح مسلم ١٠٠/٩، فتح الباري ٨٧/٤، نيل الأوطار ٢٩٤/٤.

(٤) شرح صحيح مسلم ١٠٠/٩.

(٥) فتح الباري ٨٥/٤.

مميزًا، وذلك ليتمرن على العبادة فيألفها بعد البلوغ"[١].

إن من رحمة الله بهذه الأمة أن رفع التكاليف عن أطفالها حتى سن البلوغ كي نتمكن من تدريبهم وتعويدهم على الطاعة والعبادة.

"إن إتاحة الفرصة للأطفال كي يؤدوا شعيرة الحج فيه تربية لهم وتعويد على هذه العبادة وغيرها من العبادات الأخرى، وهو عمل تربوي توجيهي؛ الأطفال في حاجة ماسة له؛ فلا بد من العناية به والدعوة إليه والحث عليه كي يحصل لهم الخير والبركة، من جرّاء قيامهم ومشاركتهم الكبار في هذه العبادة الجليلة الركن الخامس من أركان الإسلام، ولا شك أن هذا يربطهم بها ويشبوا على حبها والقيام بها عندما يبلغون سن التكليف"[٢].

ويستفيد الصبي من عمله الصالح عند الله تبارك وتعالى، ومن العمل الصالح حجّ الصبي.

قال ابن تيمية: "وإذا دخل أطفال المؤمنين الجنة فأرواحهم وأرواح غيرهم من المؤمنين في الجنة، وإن كانت درجاتهم متفاضلة.

والصغار يتفاضلون بتفاضل آبائهم، وتفاضل أعمالهم إذا كانت لهم أعمال، فإن إبراهيم بن النبي ﷺ ليس هو كغيره، والأطفال الصغار يثابون على ما يفعلونه من الحسنات، وإن كان القلم مرفوعًا عنهم في السيئات كما ثبت في الصحيح أن النبي ﷺ رفعت إليه امرأة صبيا، فقالت: ألهذا حجٌّ ؟ قال: ((نَعَمْ. وَلَكِ أَجْرٌ)) [٣].

وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: ((مُرُوهُمْ بِالصَّلاَةِ لِسَبْعٍ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا لِعَشْرٍ، وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ))[٤]، وكانوا يُصَوِّمون الصغار يوم عاشوراء وغيره؛ فالصبي يثاب على صلاته وصومه وحجّه وغير ذلك

---

(١) دليل الفالحين ص ١٣٨٨.

(٢) كيف ندعو الأطفال، د. حمدان الهجاري، ط/١ دون ذكر دار النشر، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م، ص ١٨٥.

(٣) اخرجه مسلم ١٣٣٦.

(٤) اخرجه ابو داود ٤٩٥، وقال الألباني: حسن صحيح، (صحيح سنن أبي داود ٤٦٦).

من أعماله، ويَفْضُل بذلك على من لم يعمل كعمله، وهذا غير ما يُفعَل به إكرامًا لأبويه، ويتميز بذلك على من ليس كذلك"[١].

وتعليم الأطفال العبادة من الصغر له فوائده الكثيرة، ومنها الفوائد العقدية، ومن ذلك أن يتعلم الطفل ويعتقد أنه بحفاظه على العبادة وحرصه عليها فإنه يلقى من الله جزاءً مناسبًا لحفاظه، وهو أن الله يحفظه حفظًا شاملاً في دينه ودنياه وأولاه وأخراه.

وقد علَّم النبي ﷺ ابن عباس رضي الله عنهما وهو لا زال غلامًا كلمات كانت تحمل فيما تحمل هذا المعنى، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كنت خلف رسول الله ﷺ يومًا فقال: ((يَا غُلَامُ! إِنـي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ اِحْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، اِحْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ ...))[٢].

وكل هذه الكلمات تربط العبادة بالعقيدة، وتبيّن بجلاء للصبي وغيره عائدة صلاته وصيامه وحجه وسائر طاعاته في واقعه الملموس فيزداد إيمانه ويقينه وتترسخ عقيدته، ويحرص على المحافظة على الأعمال الصالحة.

إن هذا الحديث وما في معناه يدل على أن الأعمال الصالحة مقبولة من الصبيان، وقد أمر الرسول ﷺ في أكثر من حديث بتمرينهم على أداء تلك الأعمال، كالصلاة والصيام، وكان الصحابة رضي الله عنهم يقومون بذلك، فينشأ الصبيان على تطبيق الأحكام ويعتادونها. وقد صار ذلك منهجًا تربويًا للمسلمين مع أولادهم في كل زمان ومكان.

والصبيان عمومًا أقرب إلى الفطرة والصلاح؛ لأن كل مولود يولد على الفطرة؛ فإذا أضاف الصبي إلى هذه الفطرة أعمالاً صالحة كان ذلك أدعى لتثبيت الفطرة لديه وتعميق الصلاح، ولا تتخلف هذه الفطرة في أولاد الكافرين إذا زالت عنهم سيطرة الآباء والأمهات ماداموا في سن الصبا.

قال ابن القيم : "بعد ذكر أقوال المذاهب في المسألة -أي سبايا الكفار من الأطفال-: "والصحيح في هذه المسألة أنه يُحكم بإسلامه -أي الطفل- تبعًا لسابيه

---

(١) مجموع الفتاوى ٢٧٨/٤.

(٢) أخرجه أحمد ٢٩٣/١، رقم ٢٦٦٩، وقال محققو المسند: إسناده قوي، ٤١٠/٤، وأخرجه الترمذي ٢٥١٦، وصححه الألباني: (صحيح سنن الترمذي ٢٠٤٣).

-يعني الذي أسره وسبَاهُ من المسلمين في الحرب- مطلقًا، وهذا مذهب الأوزاعي، وهو إحدى الروايات عن أحمد؛ لأنه مولود على الفطرة، وإنما حُكِم بكفره تبعًا لأبويه لثبوت ولايتهما عليه، فإذا انقطعت ولايتهما بالسباء عمل مقتضى الفطرة عمله، إذْ لم يبق له معارض فكيف يحكم بكفره، وقد زال حكم الأبوية عنه؟ وهو لم يَصِفِ الكفر ولم يعرفْه، وإنما كان كافرًا تبعًا لهما، والمتبوع قد زال حكم استتباعه إذْ لم يبق له تصرّفٌ في نفسه ولا ولاية على ولده، ومن هاهنا قال الإمام أحمد ومَنْ تبعه: إنه يُحكَم بإسلامه بموت الأبوين؛ إذْ عَدَمُهُما أقوى في زوال التبعية من سابيه منفردًا عنهما أو معهما أو مع أحدهما"[1].

وقد كان العثمانيون يربُّون أولاد النصارى الذين يأخذونهم من أوروبا تربية إسلامية جهادية، وأسّسوا منهم فرقة الإنكشارية الشهيرة التي كان شعار أفرادها: إما غازٍ وإمّا شهيد.

وفي الحديث الذي نحن بصدده حج هذا الصحابي وهو صبي، وذلك يعطينا صورة عمّا سبق الإشارة إليه من تربية الصبيان على أداء العبادات ولو كانت شاقة.

إن حج الصبي إنما هو على سبيل التمرين واكتساب الأجر ولا يُسقط عنه الفريضة إذا صار بالغًا مستطيعًا. قال ابن حجر: "قال ابن بطال: أجمع أئمة الفتوى على سقوط الفرض عن الصبي حتى يبلغ إلا إنه إذا حُجَّ به كان تطوعًا عند الجمهور، وقال أبو حنيفة: لا يصح إحرامه، ولا يلزمه شيء بفعل شيء من محظورات الإحرام، وإنما يُحَج به على جهة التدريب، وشذ بعضهم فقال: إذا حج الصبي أجزأه ذلك عن حجة الإسلام لظاهر قوله: (نعم) في جواب: ألهذا حجٌّ؟ - يعني في الحديث الآخر - .

وقال الطحاوي - وهو حنفي - : لا حجة فيه لذلك، بل فيه حجة على من زعم أنه لا حجّ له؛ لأن ابن عباس راوي الحديث قال: (أيما غلام حج به أهله ثم بلغ فعليه حجة أخرى) ثم ساقه بإسناد صحيح"[2].

---

(١) أحكام أهل الذمة ٢/٩٢٦.

(٢) فتح الباري ٤/٧١.

والصبي الذي يُحج به قد يكون مميزًا وقد يكون غير مميز. قال ابن تيمية في شرح العمدة: "فإن كان الصبي مميّزًا أحرم بنفسه بإذن الولي وفعل أفعال الحج واجتنب محظوراته؛ فإن أحرم عنه الولي، أو فعل عنه شيئًا مثل الرمي وغيره لم يصح؛ لأن هذا دخول في العبادة فلم يصح من المميز دون قصده كالصوم والصلاة.فإن أحرم بدون إذن الولي ففيه وجهان:

أحدهما: لا يصح، قاله أبو الخطاب وجماعة معه، قال متأخروا أصحابنا - يعني الحنابلة - : وهو أصحّ؛ لأنه عقْدٌ يجب عليه به حق أي مال فلم يملك بدون إذن الولي كالنكاح.

وإن كان الصبي غير مميز عقدَ الإحرام له وليُّه سواء كان - يعني الولي - مُحْرِمًا أو حلالاً كما يعقد له النكاح وغيره من العقود، ويلبي عنه فيقول: لبيك عن فلان، وإن لم يُسمِّه جاز، ويطوف به ويسعى، ويُحْضِره المواقف ويرمي عنه، ويجنِّبُه كل ما يجتنبه المحرم، وإذا لم يمكنه الرمي استحب أن يوضع الحصى في يده، ثم يؤخذ فيُرمى عنه، وإن وضعه في يده ورمى بها وجعلها كالآلة جاز"[1].

وذكر ابن تيمية قبل ذلك: "أن حج الصبي صحيح - أي من حيث الأجر - سواء كان مميّزًا أو طفلاً بحيث ينعقد إحرامه، ويلزمه ما يلزم البالغ من فعل واجبات الحج وترك محظوراته"[2].

ثانيًا - من تاريخ الدعوة: حجة الوداع:

حيث جاء في الحديث: (حج بي مع رسول الله ﷺ في حجة الوداع)، ولا شك أن حجة الوداع تاريخ هام في الدعوة الإسلامية، قال ابن عبدالبر: "قال ابن إسحاق: ولما دخل على رسول الله ﷺ ذو القعدة، من سنة عشر تجهز للحج وأمر الناس بالجهاز له وخرج لخمس ليال بقين من ذي القعدة، وأحسن حديث في الحج، وأتمه حديث جابر رضي الله عنه وفيه أن رسول الله ﷺ مكث بالمدينة تسع سنين ثم أُذّن في الناس أن

---

(١) شرح العمدة في بيان مناسك الحج والعمرة ٢/٢٧٨ - ٢٨٠.

(٢) نفس المرجع السابق ٢/٢٧٦.

رسول الله ﷺ حاجٌّ العام، فنزل بالمدينة بشر كثير كلهم يلتمس أن يَأتمَّ برسول الله ﷺ ويفعل ما يفعل"(١).

وقال ابن القيم: "لا خلاف أنه ﷺ لم يحج بعد هجرته إلى المدينة سوى حجة واحدة، وهي حجة الوداع، ولا خلاف أنها كانت سنة عشر، ولما نزل فرض الحج بادر رسول الله ﷺ إلى الحج من غير تأخير فإن فرض الحج تأخر سنة تسع أو عشر ولما عزم رسول الله ﷺ على الحج أعلم الناس أنه حاج، فتجهزوا للخروج معه، وسمع ذلك مَنْ حَوْلَ المدينة فقدموا يريدون الحج مع رسول الله ﷺ، ووافاه في الطريق خلائق لا يحصون، فكانوا من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله مد البصر، وخرج من المدينة نهارًا بعد الظهر لست بقين من ذي القعدة، بعد أن صلى الظهر بها أربعًا، وخطبهم قبل ذلك خطبة علّمهم فيها الإحرام وواجباته وسننه"(٢).

وقال د. أبو شهبة: "وتسمى هذه الحجة حجة الوداع لأن النبي ﷺ ودّع فيها المسلمين، وحجة الإسلام لأنه لم يحج بعد الهجرة غيرها، وحجة البلاغ لأن النبي ﷺ بلغ الناس شرع الله في الحج قولاً وعملاً"(٣).

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: أهمية العناية بتربية الأطفال ومسؤولية الآباء:

إن من الأخلاق التي يغرسها الإسلام في نفوس أتباعه توقير الكبير والاهتمام بحاجاته وأداء واجباته لاسيما إذا كان قريبًا، وبوجه أخصّ إذا كان أبًا أو أمًّا، ولذلك رأينا كيف أن رجلاً وابنته اهتمّا بسؤال النبي ﷺ عن الحج عن الأب الذي صار شيخًا كبيرًا وكذلك سأل الرجل عن الأمّ، وذلك من أجل إبراء ذمة الأبوين، وبذل الجهد في التعاون معهما في ذلك.

وبالمثل نجد أن من خُلُق أهل الإسلام العناية بالناشئة، والتركيز في الاهتمام بهم وحسن التعامل معهم وإشعارهم بأهمية وجودهم، وأهمية أن يكونوا أفرادًا صالحين

---

(١) الدرر في اختصار المغازي والسير ص ٢٦٠.

(٢) زاد المعاد ٢/١٠١ - ١٠٢ بتصرف.

(٣) السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة ٢/٥٦٧.

يمارسون العبادات، وشئون الحياة، بقدر طاقتهم كما يمارسها الكبار تشبّهًا بهم.

وعندما يشعر الصغير أن أقاربه الكبار يعتنون به ويهتمون، ويقدمون له المساعدة والعون، ولا يبخلون عليه بالجهد والمال حتى يصير فردًا مماثلاً لسائر أفراد الأسرة ثم لسائر أفراد المجتمع المسلم في القيام بالعبادة ، وأداء المسئوليات، فإنه يحتفظ في ذاكرته لأقاربه وأوليائه بهذا الجميل، ويشعر بنُبلهم وإحسانهم، فيغرس ذلك في نفسه الخلق الجميل، ويؤسس النبل والإحسان، ويصبح إسداءُ الجميل وتقديمُ المعروف وصناعةُ الفضل نحو الآخرين من سلوكيات هذا الناشئ ؛ تأثُرًا بما تلَقّاه، وتأسيًا بما استفاده ورآه.

وفي مقدمة من يجني ثمار هذه الأخلاق أبوه وأمه وأسرته وأقاربه، ثم تتوسع الدائرة لتشمل كل من يتعامل معه.

فإذا كان كل فرد يتخلّق بهذه الأخلاق كأثر عن أداء العبادات من بداية الحياة وامتدادًا في سائر مراحلها ؛ فإن السعة والشمول والتركيز وإصلاح الواقع ستكون سماتٍ عامة ومظاهر لا تخطئها العين.

قال الشاعر:

وينشأ ناشئ الفتيان مِنّا ... على ما كان عوّده أبوهُ [1]

إن الصبي ينشأ حاملاً الصفات الوراثية لأصوله وآبائه، وكلما تغذّى ونما، وحصل الاعتناء بجسده، ومن ذلك النصيب الكافي من الرياضة، فإن الصفات الجيدة الكامنة في الصبي تبرز إلى حيز الوجود، وتتنامى مع الصبي حتى تظهر في أفضل ظهور وأكمله عند كِبرَه واكتمال أشدّه.

ومثل ذلك يقال في الصفات الفطرية التي أودعها الله في الإنسان، فإن التربية الإسلامية التي يتلقّاها الصبي منذ نعومة أظفاره تكون تغذيةً وتنميةً وتعزيزًا لتلك الصفات الفطرية، وإعدادًا لهذا الصبي لكي يصير مسلمًا ملتزمًا بتكاليف الإسلام،

---

(١) أبو العلاء المعري، العسر العباسي، قافية الهاء، البحر: الوافر.

وعضوًا نافعًا في المجتمع صاحبَ نفس سويَّة منسجمة مع الفطرة وداعيةً إلى ذلك فيمن حوله بسلوكه وأقواله.

عندما يحج الصبي فإنه يتلقى جرعات واسعة من التربية المعزّزة للفطرة، فاختلاطه بالناس وهم يمارسون العبادة والذكر وهو يمارسها معهم يترك أثرًا عظيمًا في نفس الصبي لا ينساه أبدًا، وحتى إذا لم يكن مميّزًا فإن هذا الأثر وبركته يبقى في لا شعوره ويمدُّه بالهدى والاستقامة والالتزام، فإذا خرج إلى دنيا الابتلاء كان عوده صلبا من التربية المكثفة السابقة.

كما أن بركة المشاعر المقدسة مع بركة البلد الحرام، وبركة الشهر الحرام بالانضمام إلى بركة أداء عبادة الحج والعمرة تترك آثارًا مضاعفة للبركة عند هذا الصبي على غرار ما تتركه عند الكبار، بل ربما بصورة أفضل؛ لأن الصبي لازال صفحة بيضاء لم تتلوث.

ولهذا عاقبته المحمودة عند هذا الصبي في مستقبل رجولته.

وما يكتسبه الصبي من الأجور على أداء العبادة، فإنه يدخل في رصيده الإيجابي وهو في هذا أيضًا أفضل حالاً من الكبار؛ لأنه بالنسبة للصبي لا توجد سيئات مزاحمةٌ للحسنات، فالصبي مرفوع عنه القلم، وهذه الإيجابية معناها بناءٌ بلا معوقات وإشادة بلا هدْم، وخير بلا شر.

فإذا بلغ الصبي ومضى في زحمة الحياة، كان صاحب ماضٍ مشرق وإمكانات رافدة وكنوز محفوظة، فمضى إلى الأمام بإذن الله بيسر وتوفيق وسلام. ومجتمع هذا شأن ناشئيه لاشك أنه كذلك بإذن الله مجتمع خير وسلام.

إن الصبي في الإسلام يتربى من صغره على الصلاة فيؤمر بها لسبع سنوات، ويضرب عليها لعشر، كما يتربى على النوم وحده والانفراد في المضجع، كما ورد بذلك الحديث، ويتربى أيضًا على الصوم وإن كان عبادة فيها مشقة، إلا أنه لابدّ له من التمرين حتى لا يصعب عليه عند البلوغ، وقد ذكرت الربيّع بنت معوّذ كما في الحديث المتفق عليه أنهم كانوا يصوّمون صبيانهم يوم عاشوراء عندما كان مفروضًا، ويجعلون

لأحدهم اللعبة من العهن -الصوف- مداراةً للصبي حتى يحين الإفطار.

وكذلك يتربى الصبي عند الاستطاعة على الحج، وهو عبادة أشق من عبادة الصوم؛ لأن في الحج سفرًا واغترابًا، واختلافًا في الجو والمناخ وغير ذلك.

وكل ذلك نافعٌ للصبي منافع عديدة، والتدريب واحدة من هذه المنافع، والأجر واحدة من هذه المنافع، وبركة العبادة وبركة الزمان وبركة المكان من المنافع.

وفي ذلك كله تهيئة للصغير ليكون فردًا متكامل الصفات، فلا يبلغ مبلغ الرجال إلا وهو ملتزم في نفسه فعالٌ في المجتمع داعية إلى الخير، ذو روحٍ سامية ونفس سويّة.

وهذا هو الإعداد للبشر الإعداد الدقيق الفريد بحيث يمر هذا الإعداد على كل فردٍ دون استثناء، مما يجعل الإسلام يتميز بذلك على سائر المناهج، لأن تلك المناهج مهما اهتمّت وركّزتْ فلا تصل في اهتمامها وتركيزها إلى المتابعة اليومية والشهرية والسنوية للفرد، وفي شئونه الشخصية بجانب الشئون العامة، وهذا ما يجعل المجتمع المسلم نموذجيًا مثاليًا، قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[1].

وإن التركيز في الإسلام على صناعة الإنسان، أعظم أثرًا وأعمق وأتم وأبقى من التركيز على صناعة الماديات، لأن إتقان صناعة الإنسان هي الأساس لكل صناعات الحياة قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[2].

والأنبياء عليهم السلام كانت هذه دعوتهم، وجاءت الحضارات النموذجية نتيجة لذلك، وأما غير الأنبياء وأتباعهم فكانت نتائج دعواتهم حضارات جوفاء شكلية تهتم بالإنسان كحيوان ناطق، وليس كمخلوق سامق كرّمه الله قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَـٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾[3]. وشتان بين المنهجين والنتيجتين في الدنيا والآخرة.

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١١٠.

(٢) سورة الرعد، آية: ١١.

(٣) سورة محمد، آية: ١٢.

الحديث رقم (١٢٨٤)

١٢٨٤- وعن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: أنَّ النبيَّ ﷺ لَقِيَ رَكبًا بالرَّوْحَاءِ، فَقَالَ: ((مَنِ القَوْمُ؟)) قالوا: المسلِمُونَ. قالوا: مَنْ أنْتَ؟ قَالَ: ((رسولُ اللهِ)). فَرَفَعَتِ امْرَأةٌ[١] صَبيًّا، فَقَالَتْ: ألِهَذَا حَجٌّ؟ قَالَ: ((نَعَمْ، وَلَكِ أجْرٌ)) رواه مسلم[٢].

ترجمة الراوي:

عبد الله بن عباس: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١١).

غريب الألفاظ:

الرّوحاء: موضع في طريق الجُحفة بين المدينة المنورة وبدر[٣].

الشرح الأدبي

استفهام الرسول ﷺ (مَنِ القَوْمُ ؟) استفهام على حقيقته من باب التعارف الممهد لإعانة المسلم، وقضاء حاجته، ودعوة غير المسلم للإسلام، وهو من أساليب الدعوة التي يجب علينا أن نتعلمها بالتعرف إلى غير المسلمين، وتعريفهم بديننا، وشرح تعاليمه بما يحقق نشر الإسلام، وخدمة الدين ، ولو أن كل مسلم دعا واحدا من غير المسلمين لتغير، وجه الأرض، والاستفهام في قول المرأة المتوجهة إلي الحج، عندما رفعت صبيها: " ألهذا حج ؟ " يراد منه التعلم، والاسترشاد. وفي قوله: " نعم ولك أجر " إيجاز بالحذف تقديره: " هذا الصبي له حج ولك أجر " واللام في قوله: " ولك أجر " تدل علي الملكية لهذا الأجر، فلا ينازعها فيه أحد. وتنكير كلمة: " أجر " يدل علي تعظيم ذلك الثواب، وكأنه قال: " ولك أجر كبير لا يعلمه إلا الله علي تحملك مشقة اصطحابه، والقيام علي أمره مع ما يخص الحج من مناسك، وعبادات، والإجابة بـ " نعم " يراد منها الترغيب، والإقبال علي العبادة. والله أعلم.

المضامين الدعوية[٤]

---

(١) عند مسلم زيادة: (إليه).

(٢) برقم (٤٠٩/١٣٣٦)، وتقدم برقم (١٧٩).

(٣) أطلس الحديث النبوي، د. شوقي أبو خليل في (ر و ح).

(٤) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم ١٧٩.

الحديث رقم (١٢٨٥)

١٢٨٥ - عن أنسٍ رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ حَجَّ عَلَى رَحْلٍ وَكانت زَامِلَتهُ. رواه البخاري[(١)].

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

رَحْل: ما يوضع على ظهر البعير للركوب[(٢)].

زاملته: الزاملة: البعير الذي يحمل عليه الطعام والمتاع، والمراد أنه لم تكن معه زاملة تحمل طعامه ومتاعه، بل كان ذلك محمولاً معه على راحلته وكانت هي الراحلة والزاملة[(٣)].

الشرح الأدبي

مشاركة الراوي في الأحداث التي يرويها بمعنى أن يكون طرفا في الحوار، أو مشاركا في بعض أحداثه، أو رأى الواقعة ورواها يعطي الخبر توكيداً قوياً؛ لأن الرؤية من أقوى طرق العلم مما يحقق الدقة في النقل، وراوي الحديث هو أنس رضي الله عنه هو الذي رأي ذلك، وشاهده أثناء حج المصطفي ﷺ والفعل الماضي المسند إلي الضمير العائد علي النبي الكريم في قوله: " حج علي رحل " يدل علي تحقق ذلك من المصطفي، و أنه قد أتم أركان الإسلام وفرائضه، كما يوحي بأنه يطبق ما ينادي به علي نفسه، وأنه أول المقربين، ورائد المتقين، وإمام العارفين بالله العابدين له. وقوله: " وكانت زاملته"، والزاملة: البعير الذي يحمل عليه الطعام والمتاع، من الزمل، وهو الحمل، والمراد أنه لم

---

(١) برقم (١٥١٧). أورده المنذري في ترغيبه (١٦٩٠) بتمامه، ولم يورد المؤلف قوله: (حجَّ أنس على رحل، ولم يكن شحيحًا).

(٢) الوسيط في (ر ح ل).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ز م ل)، وفتح الباري ٣/٤٤٥.

تكن معه زاملة تحمل طعامه، ومتاعه بل كان ذلك محمولاً معه على راحلته، وكانت هي الراحلة، والزاملة مما يشير إلى ضيق الحال من ناحية، ومن ناحية أخرى يشير إلى أن الرسول الكريم ﷺ قد أخذ بالأسباب، على قدر المتاح له، وحمل معه الزاد الذي يكفيه أثناء رحلة الحج من المدينة المنورة إلي مكة المكرمة - ذهابا وإيابا - فلم يتواكل، ولم يكن عالة علي غيره صلوات الله، وسلامه عليه.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حجة الوداع.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: تواضع النبي ﷺ وزهده في الدنيا.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: هدي النبي ﷺ في أداء العبادات والحج.

أولاً - من موضوعات الدعوة: حجة الوداع:

حيث جاء في الحديث: (أن رسول الله ﷺ حج على رحل)، ومما لا شك فيه أن حجة الوداع من الموضوعات الهامة للدعوة الإسلامية.

يقول د. البوطي: "إن لحجة رسول الله ﷺ هذه معنى جليلاً يتعلق بالدعوة الإسلامية يتعلق بحياته ﷺ ويتعلق بالمنهج العام للنظام الإسلامي، لقد تعلم المسلمون من رسول الله ﷺ صلاتهم وصيامهم وزكاتهم وعامة ما يتعلق بهم من عبادات وواجبات، وبقى أن يعلمهم مناسكهم، وكيفية أداء شعائر الحج بعد أن طويت تلك التقاليد الجاهلية المتوارثة أيام موسم الحج، من تَصْدِيَة وصفير وعرى أثناء الطواف، وقضى عليها مع القضاء على الأوثان وتطهير بيت الله الحرام منها، وإن الدعوة إلى الحج لبيت الله الحرام ستظل قائمة إلى يوم القيامة فهي دعوة أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام بأمر من ربه سبحانه وتعالى"(١).

وقال الشيخ محمد الغزالي: "أعلن رسول الله ﷺ نيته بالحج، وأشعر الناس بذلك حتى يصحبه من شاء، وأقبلت وفود الله من كل صوب تيمم وجهها شطر البيت العتيق،

---

(١) فقه السيرة النبوية ص ٤٧٩ - ٤٨٠.

وهي تعلم أن رسول الله ﷺ هو في هذا العام أمير حجهم ومعلمهم مناسكهم. وفي يوم عرفة من هذه الحجة العظيمة نزل قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[1]، وعندما سمعها أبو بكر بكى، فقيل له: ما يبكيك؟ قال: إنه ليس بعد الكمال إلا النقصان. وكأنه استشعر وفاة رسول الله ﷺ. والحق أن مشاعر التوديع للحياة والأحياء كانت تتضح بها بعض العبارات التي ترد على لسان الرسول ﷺ في خطبه بالموسم"[2].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: تواضع النبي ﷺ وزهده في الدنيا:

حيث جاء في الحديث: (أن رسول الله ﷺ حج على رحل وكانت زاملته)، قال ابن حجر: "والزاملة: البعير الذي يحمل عليه الطعام والمتاع والمراد أنه لم تكن معه زاملة تحمل طعامه ومتاعه بل كان ذلك محمولاً معه على راحلته، وكانت هي الراحلة والزاملة وقد فعل أنس رضي الله عنه ذلك فحج على رحل وفعله ذلك تواضعًا واتباعًا لا عن قلة وبخل"[3]، وقد مدح رسول الله ﷺ التواضع وحثّ عليه فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلّهِ إلاَّ رَفَعَهُ اللّهُ))[4]، ومن تواضعه ﷺ ما جاء عن أنس رضي الله عنه قال: إن كان النبيُّ ﷺ ليخالِطُنا حتى يقولَ لأخ لي صغير: ((يا أبا عُمَير، ما فَعلَ النغير؟))[5].

وعن عائشة رضي الله عنها وقد سئلت عما كان النبي ﷺ يصنع في أهله قالت: ((كان في مِهنةِ أهله، فإذا حضَرَتِ الصلاةُ قام إلى الصلاة))[6].

ومن تواضعه ما جاء عن أنس رضي الله عنه قال: ((كانتِ الأمَةَ من إماء أهلِ المدينة لَتَأخُذُ

---

(١) سورة المائدة، آية: ٣.

(٢) فقه السيرة ص ٤٥٤.

(٣) فتح الباري ٤٤٥/٣ - ٤٤٦.

(٤) أخرجه مسلم ٢٥٨٨.

(٥) أخرجه البخاري ٦١٢٩، ومسلم ٢١٥.

(٦) أخرجه البخاري ٦٠٣٩.

بيد رسولِ اللّه ﷺ فتنطَلقُ به حيث شاءت))[١].

إن التواضع من الأخلاق الهامة التي ينبغي أن تسود بين الناس اقتداء برسول اللّه ﷺ، "والمقصود بالتواضع أن يمشي المؤمن بين الناس هونًا، وأن يخفض جناحه لمن يلقاه، وأن يرضى أن يأكل ما حضر من طعام، ويلبس ما تيسر له من اللباس، ويمتزج على من يلتقي من البشر دون كبر أو أن يدخله بقية عجب أو تساوره نظرة من استعلاء، والتواضع يجعل الداعية محبوبًا في قومه وبيئته ذا أثر فعال بينهم، وقوامه عليهم صفة التواضع وخفض الجناح فالكبر يشكل حاجزًا وجدارًا بين الداعية والناس، بل ويجعل الداعية معزولاً عن مجتمعه غير مألوف ممن حوله"[٢].

لقد ورد هذا الحديث الذي معنا في البخاري بلفظ حجّ أنس على رحْل ولم يكن شحيحًا وحدّث أن رسول اللّه ﷺ حجَّ على رحل، وكانت زاملته.

والمقصود أن أنس بن مالك رضي الله عنه إنما اقتصد في الحج اقتداءً بالرسول ﷺ الذي اقتصد من أجل أن تتخلق الأمة بالقصد، والتواضع، فعن عبداللّه بن سرجس المزني أن النبي ﷺ قال: ((التُّؤَدَةُ وَالاقْتِصَادُ وَالسَّمْتُ الْحَسَنُ جُزْءٌ مِنْ أَرْبَعَةٍ وَعِشْرِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ))[٣].

وأنس بن مالك رضي الله عنه كان كثير المال والولد، فقد دعا له الرسول ﷺ بذلك كما في الحديث الذي عند مسلم وغيره، ولكنه صمّم على التخلّق بالبساطة في الحج تشبُّهًا بالرسول - عليه الصلاة والسلام - قال ابن حجر: "فوقع عند مسلم في آخر هذا الحديث ... قال أنس: فواللّه إن مالي لكثير، وإن ولدي وولد ولدي ليتعادُّون على نحو المائة اليوم ... وتقدم في كتاب الطب عند البخاري قول أنس: أخبرتني ابنتي أمينة أنه دُفن من صُلْبي إلى يوم مقدم الحَجّاج البصرة مائة وعشرون... وأخرج الترمذي عن أبي العالية في ذكْر أنس: وكان له بستان يأتي في كل سنة الفاكهة مرتين، وكان فيه

(١) أخرجه البخاري ٦٠٧٢.

(٢) صفات الداعية، د. حمد بن ناصر العمار ص ٥٩، ٦٠.

(٣) أخرجه الترمذي ٢٠١٠، وحسنه الألباني، (صحيح سنن الترمذي ١٦٣٥).

ريحان يجيء منه ريح المسك. ورجاله ثقات"[١].

والحج يحدث فيه ازدحام في البلاد المقدسة بسبب وفود الحجاج من كل فج عميق ومعهم وسائل نقلهم ومتاعهم، وبسبب هذا الزحام قد تحدث حوادث وكوارث على الحجاج، ولذلك سنّ - عليه الصلاة والسلام - التقلُّل والتخفُّف من الأمتعة وحاجات السفر وكذلك من الدواب، فكيف الحال في أيامنا هذه، وقد زادت أعداد الناس وتوسعوا في الكماليات ولم تعد وسائل النقل الدواب، وإنما السيارات التي تحتل المساحات؟! وأكثر الناس رفاهَيَّةً وتوسُّعًا هم أهل المسئولية وأرباب الغنى.. فهلاّ اقتدى هؤلاء بسيد البشرية وإمام المسئولين ﷺ ،وكذلك بما فعل صاحبه المقرّب منه كثير المال والرجال، وبما سار عليه الصالحون على مدى القرون؟ إن المتخفّفين في الدنيا، يكون سلوكهم وتعاملهم، بل وحياتهم خفيفةً على الناس، كما أن حسابهم يوم الحساب يكون خفيفًا يسيرًا، وسبقهم إلى الجنان سبْقًا ميسورًا، نسأل الله أن يجعلنا منهم.

ومما يدل على تواضع النبي ﷺ ما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ لقي ركبًا بالروحاء فقال: ((مَنِ الْقَوْمُ؟)) قَالُوا: الْمُسْلِمُونَ. فَقَالُوا: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: ((رَسُولُ اللّهِ)) فَرَفَعَتْ إِلَيْهِ امْرَأَةٌ صَبِيًّا فَقَالَتْ: أَلِهَذَا حَجٌّ؟ قَالَ: ((نَعَمْ. وَلَكِ أَجْرٌ))"[٢].

وفي هذا الحديث دلالة على خلُق التواضع عند رسول الله ﷺ، وقد كان ﷺ قمة في مكارم الأخلاق؛ وإنما بُعث لتتميمها، ومن تواضعه ﷺ أنه سأل الركْب بنفسه فقال: (من القوم؟) ولم يُوكِل السؤال إلى غيره، كما هي عادة الكبراء والوجهاء.

ومما يدلّ كذلك على بساطته وتواضعه - عليه الصلاة والسلام - أنه لم يكن وضْعه مُلفتًا للنظر، بل كان كآحاد الناس، فهو وإن كان الوقت ليلاً كما ذكر بعض شراح الحديث، أو كان الركب ممن أسلموا في بلدهم ولم يعرفوا الرسول ﷺ بعد، فإن سؤال الركْب للرسول عليه الصلاة والسلام: من أنت؟ دليل

---

(١) فتح الباري ١١/١٤٥.

(٢) أخرجه مسلم ١٣٣٦.

واضح على بساطة المنظر والهيئة، وحتى لو كان الوقت ليلاً ؛ فإن مظهر الأبّهة والفخامة والخدم والحشم الذي يحيط به الكبراء أنفسهم لا يخفى، وفي هذه الحالة إذا تم توجيه السؤال فسوف يكون إلى أحد المحيطين، ولن يتمكن من يسأل من اللقاء المباشر بالشخص الكبير.

والتقاء الركب مباشرة بالرسول -عليه الصلاة والسلام- دون موانع وسؤاله لهم ثم سؤالهم له رغم أنه سيد البشر، ولا يمكن أن يرقى أحد من البشر إلى رتبته يبين بوضوح القيمة الأخلاقية العظيمة المستفادة من ذلك.

وأسعد الناس من جعل مثل هذا الخلق نصب عينيه اقتداءً بسيد البشرية - عليه الصلاة والسلام - وإن الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم كما ورد في الحديث.

وذووا الوجاهات، وأصحاب المناصب وأهل المُلْك والسؤدد جديرون بالتواضع كما تواضع إمام الأنبياء ﷺ، وبالتواضع يحفظون مكانتهم عند الله، وكذلك عند الناس ومن تواضع لله رفعه.

وإن من أعظم ما خلّد سيرَ الخلفاء الراشدين وأئمة الهدى أمثال: عمر بن عبد العزيز هو التواضع، لأن أفراد الرعية والبسطاء كانوا يصِلون إلى الخليفة بسهولة، ويكلّمونه بيسر، وينزلون به حاجاتهم فيقضيها، وأما الرعاة المتباعدون، والمسئولون المتعالون، فبالإضافة إلى إثم التعالي، فإنهم يتحمّلون إثم التباعد عن الرعية، لأنهم مسئولون عن قضاء حاجاتهم، والإمام راع ومسئول عن رعيته، وما يظنونه من المظاهر أنه يضفي عليهم حزْمًا ومهابةً فإنما يعود عليهم بنقيض قصدهم في الدنيا والآخرة فيمقتهم الله ويمقتهم الناس.

وأما زهده ﷺ في متاع الدنيا، فإن الناس يميلون إلى الدنيا لما فيها من متاع عاجل وزينة وزخارف، مع أنها منقضية زائلة: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾[1]. ويؤثرون الدنيا مع أنها دار ممرّ وليست دار مقرّ، ومع أنهم فيها

---

(١) سورة الكهف، آية: ٧.

غرباء، ووطنهم الدائم الآخرة: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا ۝ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾[1].

ويترتب على إيثار الدنيا ومتاعها وزخارفها نظرة خاطئة وجهود ضائعة، ويدخل الناس من أجل ذلك في تكاليفٍ وتهالكٍ وصراعاتٍ، وينسون الاستعداد للمصير الذي ينتظرهم، والمستقبل الذي سوف يفاجئهم. ولذلك كان تصحيح هذه النظرة من أهم الأمور، وكان ذلك من أهم مهمّات الأنبياء، وقد جاء التوجيه للنبي ﷺ وهو قدوة الأمة بغضّ البصر عن الدنيا وأبنائها المفتونين بها تربيةً له - عليه الصلاة والسلام - ولأمته من بعده، وذلك لأن النظر للدنيا يورث الإعجاب، والإعجاب يورث الانسياب في الفتنة، قال تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾[2]، ولم يقف الأمر عند التوجيه بغضّ البصر عن زينة الحياة الدنيا، وإنما بالموقف الحازم الحاسم من تسلّل متاع الدنيا إلى البيت والأسرة، وضرورة الحرص على حياة الكفاف النموذجية حتى تتفرغ الطاقات والاهتمامات للمستقبل الحقيقي قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ۝ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[3].

ولما ضَمِن - عليه الصلاة والسلام - نفسه وأسرته من الاغترار بالدنيا صار قدوة بالقول والفعل، ومربيًا بالمنطق والواقع، وداعية بالنظرية والسلوك.

وربّى فعلاً الجيل الأول جيل الصحابة على ذلك، فكانت غايتهم رضوان الله والعمل للآخرة، ولم تكن الدنيا أكثر من وسيلة يأخذون منها الميسور، ثم تتابعت الأجيال، ومثلُها الأعلى ذلك، وانبنى السلوك الاجتماعي في مجتمع المسلمين على هذا الأساس، وإن وُجد الدخَن والمخالفات، إلا أن المثل الأعلى استمر سافرًا ظاهرًا.

---

(١) سورة الأعلى، الآيتان: ١٦ - ١٧.

(٢) سورة طه، آية: ١٣١.

(٣) سورة الأحزاب، الآيتان: ٢٨ - ٢٩.

وما كان حجّ الرسول ﷺ على رحل، وكانت زاملته، إلا إحدى مفردات ذلك السلوك اليومي الزاهر الذي اعتمده -عليه الصلاة والسلام- مسلكًا ثابتًا لا يفرّط فيه ولا يحيد عنه، ولم يجد -عليه الصلاة والسلام- صعوبة في توطين نفسه على ذلك ولا مشقة، لأن الهمّة العالية تتجاوز السفاسف وتتخطى المعوقات، وحينها لا يستغرب المطلّع على الحديث الصحيح الذي يذكر أن رسول الله ﷺ كانت تمرّ عليه ثلاثة أهِلَّة في شهرين، وما يوقد في بيته نار، ويكتفي مع أسرته بالأسودين التمر والماء، إضافةً إلى اللبن وقد وجد الكثيرون في أمته من ينظر إلى هذه القمة السامقة ويبذل جهوده في محاولة الاقتراب منها، وهؤلاء الذين هيأهم الله لتحقيق المنجزات التي هي أشبه بالمعجزات ففتحوا الشرق والغرب، وحملوا منهج الإسلام ولواءه، بعضهم غزا بالسيف والأخلاق، وبعضهم غزا بالأخلاق فقط، ولمّا لم تكن الدنيا مشروعهم فقد احتلوا قلوب العالمين، وصارت الأمم المفتوحة تحبهم حبًّا يكاد أن يقترب من التقديس، وصاروا أمثلة حية للأسوة والقدوة وصار يتكرر لهم أشباه وأمثال في سائر الأجيال.

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: هدي النبي ﷺ في أداء العبادات والحج:

الرسول ﷺ بشر مثل سائر البشر إلا أن الله تعالى اختاره لكي يوحي إليه بالدين، ورغم هذا الاختيار والاصطفاء ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾[1]، فإنه مكلَّف كسائر البشر يؤدي الفرائض ويقوم بالواجبات، ويترك المنهيات، يدعو إلى الله ويتحمل الأذى ويجاهد في سبيله ويتلقى الإصابات والابتلاءات، ولذلك ورد في الحديث القدسي الذي عند مسلم عن عياض بن حمار المجاشعي أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم في خطبته: ((أَلاَ إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أُعَلِّمَكُمْ مَا جَهِلْتُمْ مِمَّا عَلَّمَنِي، وقال: إِنَّمَا بَعَثْتُكَ لأَبْتَلِيَكَ وَأَبْتَلِيَ بِكَ))[2]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً﴾[3]، وهنالك من

(١) سورة الكهف، آية: ١١٠.

(٢) أخرجه مسلم ٢٨٦٥.

(٣) سورة المزمل، آية: ٥.

الناس من يظن أنه لو نال مرتبة دنيوية كالملك ونحوه أن التكاليف تنحاز إلى غيره وتتخفّف عنه، وهو ظنٌّ يجانبه الصواب، بل كلما ازدادت مرتبة الشخص ازدادت مسئوليته، وهذا الرسول عليه الصلاة والسلام لم يكن ينأى بنفسه عن المشقات بل كان يبادر في حين قد ينأى غيره حتى قال الله في ذلك: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ﴾(1)، وهنالك أيضًا من يظن أنه إذا بلغ في العبادة مرتبة، فإنه تخفّ عنه التكاليف أو قد تلغى كما يزعم بعض الصوفية، وهو كذلك أكذوبة لا أساس لها، فالرسول - عليه الصلاة والسلام - كان أبلغ الناس عبادة، وقد قال الله له: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب﴾(2).

كما أنه كان يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه، كما في الحديث عند مسلم، وأمره الله بمواصلة هذا السير في العبادة، حتى يأتيه اليقين وهو الموت فقال سبحانه: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾(3).

وحياته شاهدة على ذلك فلم يتوقف عن الاجتهاد في العبادة إلى أن مات عليه الصلاة والسلام.

وفي الحديث الذي نحن بصدده أدى - عليه الصلاة والسلام - عبادة الحج - وهي عبادة فيها مشقة - كأحسن ما يكون الأداء، أداءً نموذجيًا لأنه قدوة العالمين، وقال كما في الحديث الذي عند مسلم: ((لِتَأْخُذُوا عَني مَنَاسِكَكُمْ، فَإِني لاَ أَدْرِي لَعَلي لاَ أَحُجُّ بَعْدَ حَجَّتِي هذِهِ))(4). وكان نموذجيًا - عليه الصلاة والسلام - في بساطته حين حجّ مع عامة الناس ببساطةِ عامةِ الناس، فلم يكن معه شخصيًّا - عليه الصلاة والسلام - سوى راحلته عليها يركب، وعليها يحمل متاعه وطعامه، مع أن بإمكانه - عليه

(1) سورة التوبة، آية: ١٢٠.

(2) سورة الشرح، الآيتان: ٧ - ٨.

(3) سورة الحجر، آية: ٩٦.

(4) أخرجه مسلم ١٢٩٧.

الصلاة والسلام - أن يضيف راحلة أخرى، أو أكثر بل يمكنه أن يكون له موكب، ولكنها القدوة والمثال جعلته - عليه الصلاة والسلام - كما يحرص على أداء العبادة لأنه مكلّف كسائر الناس، يحرص كذلك على كيفية الأداء، وأن يكون أداءً يسيرًا بسيطًا بعيدًا عن الشكليات والمظهريات.

وفي هذا الحديث بيان أن الرسول ﷺ اكتفى براحلة واحدة كانت هي التي وضع عليها رحْله فركب عليها للسفر ووضع عليها نفسها متاعه وزاده فكانت هي أيضًا زاملته.

والراحلة وتوابعها مما يدخل في الاستطاعة، قال ابن تيمية في شرح العمدة: "وإنما تعتبر الراحلة في حق من بينه وبين مكة مسافة القصر... فأما القريب والمكي ونحوهما ممن يقدر على المشي فيلزمه ذلك كما يلزمه المشي على الجمعة والعيد ؛ فإن كان زَمِنًا - مصابًا بمرض مزمن - لا يقدر على المشي لم يلزمه أن يحج حبْوًا. وأما الزاد فيعتبر في حق القريب والبعيد... لأنه لابد منه. وهناك من قال: لا يعتبر أن يجد الزاد، وإنما يعتبر أن يحصل له ما يأكله ولو بكسْبه، فإن كان متى تشاغل بالحج انقطع كسبه وتعذّر الزاد عليه لم يلزمه الحج.... ويعتبر وجود الزاد والراحلة بالآلة التي تصلح لمثله من الغرائر (الأكياس) وأوعية الماء، وأن يكون الزاد مما يقتاته مثله في هذا الطريق طعامًا وإدامًا، وأن تكون آلات الرحلة مما تصلح لمثله ؛ فإن كان مما لا يمكنه الركوب إلا في محمل ونحوه بحيث يخاف السقوط، اعتُبر وجود المحمل، وإن كان يكفيه الرحل والقتب بحيث لا يخشى السقوط أجزأه وجود ذلك سواء كانت عادته السفر في المحامل أو على الأقتاب والزوامل والرحال، وإن كان ممن يستحيي من الركوب على الزوامل لكونه من الأشراف والأغنياء. والأفضل أن يحج على الرحل والزاملة للحديث أن الرسول ﷺ حج كذلك"[1].

وفي زماننا هذا ينظر إلى ما يناسبه في الراحلة والزاد، فالذي لا يستطيع السفر في

---

(١) شرح العمدة في بيان مناسك الحج والعمرة ٢/١٤٦ - ١٤٧.

البحر لما يلحقه من الغثيان الشديد والمرض، وكذلك إذا كان لا يمكنه السفر على السيارة لأنه معوق، فلابد من أن يتيسر له السفر بالطائرة وتكاليف ذلك مع تكاليف العربة التي تحمله في الطواف والسعي ونحو ذلك. ولابد أن يتوفر له من ثمن الطعام ما يناسبه إذا كان ممنوعًا من بعض أنواع الأطعمة لضررها عليه، فإذا لم يتيسر له ما يلزم مما سبق ولم يتوفر لم يعتبر مستطيعًا، كما تدخل تكاليف استخراج أوراق السفر كالجواز ونحوه.

الحديث رقم (١٢٨٦)

١٢٨٦- وعن ابن عباسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: كَانَتْ عُكَاظُ، وَمَجِنَّةُ، وَذُو المَجَازِ أسْوَاقًا فِي الجَاهِلِيَّةِ، فَتَأَثَّمُوا أن يَتَّجِرُوا فِي المَوَاسِمِ، فَنَزَلَتْ: ﴿ **لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ** ﴾[البقرة: ١٩٨] فِي مَوَاسِمِ الحَجِّ. رواه البخاريُّ[١].

ترجمة الراوي:

عبد الله بن عباس: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١١).

غريب الألفاظ:

عُكَاظ: نخل في واد بينه وبين الطائف ليلة، وبينه وبين مكة المكرمة ثلاث ليال، وبه كانت تقام سوق العرب في منتصف ذي القعدة حتى نهايته بموضع يقال له "الأُثيداء" شمال شرق الطائف (بلدة الحوّية اليوم) ٣٥ كم أسفل وادي شرب، وأسفل وادي عرج، يلتقيان هناك[٢].

مَجِنَّة: وهي من الجُنّة وهو الستر والإخفاء، وَمجنّة اسم سوق من أسواق مكة المكرمة في الجاهلية، وهي أسفل مكة المكرمة على قدر بريد منها، وكانت تقوم عشرة أيام من آخر ذي القعدة والعشرين منه وهي لبني الدُّئِل[٣].

ذو المجاز: سوق من أسواق مكة المكرمة في الجاهلية، وهي قرب عكاظ سوق بعرفة، على ناحية كبكب على فرسخ من عرفة، تعقد أول يوم من ذي الحجة إلى يوم التروية ثم يصيرون إلى منى، وشمال ذي المجاز سوق مجنة[٤].

فتأثموا: أي طرحوا الإثم، والمعنى: تركوا التجارة في الحج حذرًا من الإثم[٥].

---

(١) برقم (٤٥١٩).

(٢) أطلس الحديث النبوي، د. شوقي أبو خليل ١٨٨، ٢٧٤.

(٣) المرجع السابق ١٨٨، ٣٣٠.

(٤) المرجع السابق ١٨٨، ٣٣٠.

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ا ث م).

الشرح الأدبي

يدل هذا الحديث على التوازن الواقعي بين مصالح الدنيا، وأمور الدين فلا حرج من التجارة أثناء موسم الحج مادام المسلم على صلة قوية بالله تعالى - ويؤدى حقوقه وحقوق الآخرين، ويتقى الله فيما يكسب من مال، وينفقه في مرضاه الله تعالى، يقول ابن عباس: " فتأثموا أن يتجروا في المواسم - فنزلت " ليس عليكم جناح (أي حرج) أن تبتغوا فضلاً من ربكم " فالفعل الماضي: " تأثموا " يدل على حاله بالغة من المراقبة، واليقظة، والنظرة الأخروية في تعاطي المصالح الدنيوية، ولذلك نزلت الآية من الخبير بما في نفوسهم - جل في علاه ليصحح ذلك الخلط، وتلك المفاهيم، ويجعلهم في حاله محمودة من القوة الاقتصادية، والدينية، والاجتماعية، ويبين لهم أن الدين لا يعادى الدنيا، (لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ) في أسلوب النفي المزيل للحرج من نفوسهم الموسع عليهم في ابتغاء أرزاقهم.

فقه الحديث

يشير الحديث إلى عدة أحكام منها:

١ - أن مواضع المعاصي، وأفعال الجاهلية لا تمنع من فعل الطاعة فيها[(١)].

٢ - حكم بيع المعتكف: ذهب جمهور الفقهاء (الحنفية، والشافعية، والحنابلة) إلى أنه يجوز للمعتكف بيع وشراء ما يحتاج إليه واستدلوا على ذلك بعموم الأدلة من الكتاب والسنة الدالة على جواز البيع والشراء من غير فصل بين المسجد وغيره[(٢)]. كما استدلوا بالقياس على جواز التجارة في الحج، والجامع بينهما العبادة[(٣)].

وذهب المالكية، وعطاء، ومجاهد، والزهري إلى كراهة ذلك[(٤)]. واستدلوا على

---

(١) فتح الباري ٣٩٣/٤.

(٢) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني الحنفي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ١١٧/٢.

(٣) فتح الباري ٧٢٦/٣.

(٤) حاشية الصاوي والشرح الصغير ٧٣٢/١-٧٣٣، مواهب الجليل ٤٦١/٢، فتح الباري ٧٢٦/٣.

ذلك بما روي عن النبي ﷺ أنه قال: ((جَنِّبُوا مَسَاجِدَكُمْ صِبْيَانَكُمْ وَمَجَانِينَكُمْ، وَبَيْعَكُمْ وَشِرَاءَكُمْ، وَرَفْعَ أَصْوَاتِكُمْ، وَسَلَّ سُيُوفِكُمْ)).

ويناقش هذا: أن هذا الحديث محمول على اتخاذ المساجد متاجر كالسوق يباع فيها وتنتقل الأمتة إليها، أو يحمل على الندب والاستحباب توفيقًا بين الأدلة قدر الإمكان[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: يسر تعاليم الإسلام وبيانه: أن التجارة لا تنافي صحة الحج.

ثانيًا: من آداب الداعية: التيسير على المدعوين.

ثالثًا: من أهداف الدعوة: تحقيق المصالح الدنيوية والأخروية.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: تحرز الصحابة رضي الله عنهم من الوقوع في أعمال الجاهلية.

أولاً – من موضوعات الدعوة: يسر تعاليم الإسلام وبيانه ان التجارة لا تنافي صحة الحج:

حيث جاء في الحديث: (كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز أسواقًا في الجاهلية فتأثموا أن يتجروا في المواسم)، فنزلت: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾[2].

قال القرطبي: "ولما أمر تعالى بتنزيه الحج عن الرَّفَث والفُسوق والجدال رخّص في التجارة؛ والمعنى: لا جناح عليكم في أن تبتغوا فضل الله. وابتغاءُ الفضل وَرَدَ في القرآن بمعنى التجارة، ففي الآية دليل على جواز التجارة في الحج للحاج مع أداء العبادة، وأن القصد إلى ذلك لا يكون شركًا، ولا يخرج به المكلف عن رسم الإخلاص المفترض عليه، أما إن الحج دون تجارة أفضل فلخلوه عن شوائب الدنيا وتعلق القلب بغيرها"[3].

وقال القاسمي: "قال الراغب: كانت العرب تتحاشى من التجارة في الحج، حتى إنهم كانوا يتجنبون المبايعة إذا دخل العشر، وحتى سمّوا من تولّى متجرًا في الحج:

---

(١) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني الحنفي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٢/١١٧.

(٢) سورة البقرة، آية: ١٩٨.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٢/٤١٣ – ٤١٤.

الداج دون الحاج؛ فأباح الله ذلك، ففي الآية الترخيص لمن حجّ، في التجارة ونحوها من الأعمال التي يحصل بها شيء من الرزق - وهو المراد بالفضل هنا - فلا إثم عليكم في أن تبتغوا في مواسم الحج رزقًا ونفعًا وهو الربح في التجارة مع سفركم لتأدية ما افترضه عليكم من الحج"(١).

قال ابن حجر: "والتجارة أيام الموسم جائزة، ولقد خشي المسلمون من الوقوع في الإثم للاشتغال في أيام النسك بغير العبادة، ولما نزلت هذه الآية نفت الجناح والإثم عمن يفعل هذا"(٢). إن من مقتضيات الإيمان أن يتخلق المؤمن بالعبودية المطلقة لله تبارك وتعالى التي ليس فيها استثناء، ولا بقاء فيها لأي حظٍ من حظوظ النفس، أو تقديمٍ لأي علاقة من علائق الدنيا.

وهذه هي الغاية التي لأجلها خُلق الإنسان: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾(٣) ولأجلها بُعث الرسل -عليهم الصلاة والسلام-: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾(٤).

والعبودية المطلقة تعني أن يكون عند الإنسان الاستعداد في الاستسلام للتكليف مهما كانت التضحية، ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ ٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ أَوِ ٱخْرُجُوا۟ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ۖ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّءَاتَيْنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾(٥).

وقد حصل الاستسلام فعلاً من بني إسرائيل، عندما أُمروا بالقتل توبةً من عبادة العجل: ﴿إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾(٦).

---

(١) محاسن التأويل ١٥٦/٣.
(٢) فتح الباري ٦٩٦/٣.
(٣) سورة الذاريات، آية: ٥٦.
(٤) سورة الأنبياء، آية: ٢٥.
(٥) سورة النساء، الآيات: ٦٦-٦٨.
(٦) سورة البقرة، آية: ٥٤.

وكان هذا الابتلاء صعبًا يحمل معنى العقاب لأنهم أذنبوا ذلك الذنب العظيم.

وقد حدث مثل هذا الابتلاء لأبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام لإظهار عبوديته المطلقة في الاستسلام ولكن دون أي ذنب، عندما أمره الله بذبح ابنه فاستسلم الاثنان لأمر الله وبادرا إلى التنفيذ، فكان ذلك أصدق دليل على العبودية المطلقة: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ﴾(١).

هذا الاستعداد يجعل من اليسير على المؤمنين عدم التطلع إلى الدنيا وعزلها تمامًا أثناء العبادات، إلا ما أذن به الشرع، وما يتحول هذا الاستعداد إلى خُلقٍ دائم والتزام معتاد.

ومن هذا القبيل ما كان ينوي أن يمارسه المؤمنون من اجتناب التجارة في موسم الحج، لولا أن الله أذن بذلك، ونزلت الآية الكريمة في رفع الجناح، والمسلم الذي يسهل عليه أن يرى الطعام اللذيذ وهو جائع أو الماء الزلال وهو عطشان أثناء الصيام ولا يصعب عليه اجتناب ذلك، لن يصعب عليه اجتناب البيع والشراء أثناء الحج لو أن شرْع الله سبحانه منع من ذلك.

وقال ابن علان: "ومعنى فتأثموا: أي: تحرجوا خافوا من الحرج بسبب اتجارهم فيها فنزلت: (ليس عليكم جناح)، أي: حرج في (أن تبتغوا فضلاً من ربكم) أي: بالتجارة، ففي الحديث أن التجارة في الحج لا تنافي صحته وإن كان الكمال خُلُوّ يد الحاج منها؛ لأنها تشغل عن تمام التوجه إلى الله تعالى، والصحيح أنه يثاب على مقصده الديني وإن قلّ! أخذًا من عموم قوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾(٢)، وهذا جَارٍ في كل عمل أشرك فيه قصد ديني وقصد دنيوي"(٣).

ثانيًا- من آداب الداعية: التيسير على المدعوين:

يتضح هذا من سياق الحديث، ولا شك أن من أهم آداب الداعية التيسير على المدعوين، لأن الشريعة الإسلامية كلها تيسير، قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ

---

(١) سورة الصافات، آية: ١٠٦.

(٢) سورة الزلزلة، الآيتان: ٧ - ٨.

(٣) دليل الفالحين ص ١٢٩٠.

حَرَجٍ﴾[١]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلاَّ غَلَبَه، فسَدِّدُوا وقارِبوا، وأبْشِروا، واسْتَعِينوا بالغدْوَةِ والرَّوْحةِ وشيءٍ من الدُّلْجة))[٢]. وعن أنس رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((إِنِّي لأَدْخُلُ الصَّلاَةَ أُرِيدُ إِطَالَتَهَا، فَأَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ، فَأُخَفِّفُ، مِنْ شِدَّةِ وَجْدِ أُمِّهِ بِهِ))[٣].

إن التيسير على المدعوين أمر هام في مسيرة الدعوة الإسلامية للوصول بالدعوة إلى قلوب الناس: "إنّ سماحة الداعية ولينه وسهولة معشره هي التي تفتح مغاليق القلوب، وتنفذ به إلى أعماق النفوس، يلامسها بالهداية فتقبل، ويدعوها إلى الخير فتستجيب، وهذا الخلق يجب أن يغطي مساحة حياة الداعية كلّها، وأن يكون ملازمًا له في كل شأن من شؤونه في دعوته، وفي حياته اليوميّة وفي حياته العامة.

ولقد كان من سماحة الإسلام أن جعل أحكامه وتشريعاته مبنية على التيسير ورفع المشقة والحرج عن الأمة، ولقد يسر الله سبحانه وتعالى الأخذ بتعاليم الإسلام فجعلها مقدورة من جهة، وتزال الكلفة عند حدوث المشقة من جهة ثانية، والدعوة الإسلامية بحاجة ماسّة إلى دعاة لديهم مع العلم الراسخ فقه ثاقب حتى لا يحجر على المدعو كثيرًا فيبتعد كثيرًا عن هذا الخير الذي يدعى إليه"[٤].

ثالثًا - من أهداف الدعوة: تحقيق المصالح الدنيوية والأخروية:

يتضح هذا من خلال جواز التجارة وهو أمر دنيوي في موسم الحج وهو أمر تعبدي أخروي وفي هذا مواءمة بين مصالح الدنيا ومصالح الآخرة، وهذا هدف رئيس من أهداف الدعوة وقد قال الله تعالى لقارون: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾[٥]، "ومن عظمة التشريع

---

(١) سورة الحج، آية: ٧٨.

(٢) أخرجه البخاري ٣٩.

(٣) أخرجه البخاري ٧٠٨، ومسلم ٤٧٠.

(٤) صفات الداعية، د. حمد بن ناصر العمار ص ٧٥ - ٧٦ بتصرف.

(٥) سورة القصص، آية: ٧٧.

الإسلامي أنه لا يباعد بين المادة والروح، ولا يفصل بين الدنيا والآخرة، بل ينظر إلى الحياة على أنها وحدة متكاملة بين حق الإنسان لربه، وحقه لنفسه، وحقه لغيره فالإسلام يقيم التوازن بين هذا وذاك"(١).

إن تحقيق المصالح الدنيوية والأخروية من ميزات شريعة الإسلام، وتأكيد الدعاة إلى الله على هذا المعنى يبرز عظمة الشريعة الإسلامية، ومقاصد الإسلام، وغايات الدعوة "ومن خصائص التوجيه الإسلامي أنه ملائم للفطرة والجبلة الإنسانية فهو يهتم بتربية جميع جوانب الإنسان: الخلقية، والجسمية، والعقلية، ويحقق التوازن بين مطالب الإنسان الجسدية والروحية فلا يطغى جانب على جانب آخر وحتى لا يكون الإنسان في صراع نفسي وعناء داخلي وكبت لغرائزه التي فطره الله عليها، فلحاجة الإنسان للمال أحل له التجارة وحثه على العمل والكسب الحلال، ولحاجة الإنسان إلى الطعام أحل له الطيبات من الرزق وحرم عليه الخبائث من الأطعمة والأشربة، وبهذا يتضح أن التوازن سمة من سمات التوجيه الإسلامي، التوازن بين مطالب الجسد ومطالب الروح والتوازن الخلقي بين حق الله وحق الأهل وحق الضيف وحق النفس"(٢).

رابعًا - من موضوعات الدعوة: تحرز الصحابة رضي الله عنهم من الوقوع في أعمال الجاهلية:

ويتضح هذا من سياق الحديث، حيث كان الصحابة رضي الله عنهم شديدي الحرص على التخلص من أمور الجاهلية، بعد أن هداهم الله إلى الإسلام؛ لأنهم أدركوا عِظَم خطورة ما كانوا فيه من الضلال؛ فلذلك كانوا يخشون من بقاء شيء من بقاياه، كمن يخشى وجود شيء من النار مهما قلّ أن يأتي على أثمن ممتلكاته بشرارة الحريق، فهو لذلك يتجنب كل ما يمُتُّ إلى النار بسببٍ أو صلة.

ونار الآخرة أعظم شرًا وأكبر خطرًا، وكل أمور الجاهلية تدعو إليها، وقد كانت كراهية الصحابة لأي أمرٍ من أمور الجاهلية مثل كراهيتهم للنار.

والقرآن الكريم يقرّر بعض المعالجات والأحكام، اعتمادًا على وجود تلك

---

(١) مستلزمات الدعوة في العصر الحاضر، على صالح المرشد ص ٤٦.

(٢) أصول التربية الإسلامية، د. خالد الحازمي ص ٤٩ - ٥٠.

الكراهية، التي جمعت بين الجاهلية والنار كما في مثل قوله تعالى: ﴿وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا﴾[1]، وكما في مثل قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ﴾[2].

وقد بلغ الحذر في الصحابة والحساسية من الأوضاع التي كانت سائدة في الجاهلية إلى حد التحرّج من بعض الأحوال والتصرفات التي قد لا يوجد محلّ للتحرّج منها، ومن ذلك تحرّجهم كما في هذا الحديث من أن يتجروا في موسم الحج فأنزل الله سبحانه ما يطمئنهم في قوله سبحانه: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾[3]، ومن ذلك أيضًا ما رواه البخاري عن عاصم ابن سليمان قال: سألت أنسًا عن الصفا والمروة، قال: كنا نرى أنهما من أمر الجاهلية، فلمّا جاء الإسلام أمسكنا عنهما، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾[4].

وهذا التحرّج عند الصحابة رضي الله عنهم هو من شدة تديّنهم وتمسّكهم بعقيدة التوحيد.

إن الإسلام يحرص على تربية أتباعه على الورع، بحيث توجد لدى الشخص رقابة ذاتية داخلية تجعله يتحرى فيما يأخذ وما يدع، وما هو الذي ينبغي أن يمضي فيه وما هو الذي لا ينبغي، ويقدّم جانب الاحتياط في الأمور الملتبسة فيترك ما لا بأس به حذرًا مما به بأس، وذلك لأن السلامة لا يعدلها شيء.

ومعلوم أن الحياة مكرسّة أصلاً للابتلاء قال تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾[5].

ولذلك فإن الأشواك مبثوثة في كل مكان، ولا يسلم منها إلا من كان شديد الحذر، ورحمة الله للإنسان في هذا الابتلاء ينالها من أخذ بالأسباب، ومن أبرز الأسباب

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٠٣.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٢١.

(٣) سورة البقرة، آية: ١٩٨.

(٤) سورة البقرة، آية: ١٥٨.

(٥) سورة الملك، آية: ٢.

أن يرحم الإنسان نفسه فيحجزها عن الاندفاع والرعونة، ولو حرمها بعض الشيء تورّعًا، رعايةً لها وعنايةً بها لكي يكون هذا سببًا لنزول رحمة الله عليه قال تعالى: ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ ﴾[١].

وهذه الأشواك التي يتربى المسلم على اتقائها والحذر منها تتمثل في كل ما هو ظاهر الضرر، وكذلك كل ما يتردّد فيه المسلم ويرتاب منه، ولا يطمئن إليه قلبه، وتشك فيه نفسه الحسّاسة اللوّامة الرقيبة الورعة، فيترك ما يريبه، ويكتفي بما لا يريبه، ويصير ذلك ميزانًا لديه، ومعيارًا يعتمد عليه، فيتقي كل الشبهات حتى يحفظ دينه من أي خلل قد يتسلّل إليه، ويصون عرضه من التساهلات والتنازلات التي قد يقضي فيها وطَرًا، ولكنه يعقبها سياطٌ من لوم النفس ولوم الناس ونقدهم بحيث يصبح وقوعه في الريبة والشبهة ضررًا عاجلاً عليه، يجعله هو نفسه محل ريبة وشبهة عند الناس، كما جاء عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ فَقَدِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ))[٢].

واتقاء الشبهات هو مظهر الورع، وصاحبه يكون محل قبول عند الله، ويضع سبحانه له القبول في الأرض فيكون بورعه داعية ولو كان لسانه صامتًا، وعندما يتكاثر الأتقياء الورعون ويشكّلون ظاهرة اجتماعية، فإن مجتمعهم يكون مثاليًا ونموذجًا تتطلع إلى الاحتذاء به المجتمعات الأخرى فيجذبها ذلك إلى روضة الإسلام.

وهذا يفسر لنا سرّ تأثير أفراد أو أوزاعٍ[٣] من تجمّعات صغيرة من المسلمين في أمم كبيرة، دخلت في الإسلام كما حصل في إندونيسيا، وكما يحصل اليوم في أوروبا وأمريكا عندما تدخل أعداد كبيرة في الإسلام بسبب الدعوة، وأبرز ما في هذه الدعوة دعوة السلوك.

إن الصحابة الكرام رضي الله عنهم وهم أول من نشروا الإسلام في الأرض كانوا يحملون

---

(١) سورة الأعراف، آية: ١٥٦.

(٢) أخرجه البخاري ٥٢، ومسلم ١٥٩٩.

(٣) أو زاعٍ: فرق، الوسيط في (و ز ع).

نفسية الوَرَع والتقوى، وتحرُّجهم من التجارة في موسم الحج رغم علمهم أن التجارة في أصلها حلال حتى جاءهم الإذن الصريح لدليل على عمران تلك القلوب العظيمة بالتقوى واكتفائها برضوان الله، وترفّعها عن حطام الدنيا، وهذا هو الذي جعلها تكسب الدنيا والآخرة، وحُبَّ الله وحب الناس، وجعل ذلك الجيل يتبوّأ مركز الصدارة لخير أمة أخرجت للناس.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً - من وسائل التربية: الحج والعمرة:

هذا الباب يتضمن كثيرًا من الأحاديث التي تحث على أداء الحج والعمرة، وبيان فضلهما، وإذا كان لهما يقينًا مقصودٌ تعبدي كبير، فإنه يمكن أن يكون لهما كذلك دور تربوي مفيد في حياة الناس، وفي تربيتهم تربية سليمة صحيحة، وفي تغييرهم إلى الأحسن والأفضل والأكمل، ولعل هذا الدور التربوي يتضح فيما يلي:

أ - الحج والعمرة قائمان على الامتثال المطلق والإذعان المحض، فإن الحاج أو المعتمر يؤدي المناسك وقد لا يفهم الحكمة منها ولا المقصود من ورائها إلا أنه يطيع الله سبحانه وتعالى، إنه يطوف حول البيت ويسعى بين الصفا والمروة ويرمي الجمار ونحو ذلك وهو مطيع خاضع مذعن مستجيب لمولاه وحسبه وكفاه ذلك، وفي هذا فرصة ذهبية، لتعويد الناشئة على الاستجابة للشرع والخضوع له وامتثاله، حتى ولو لم يفهموا أو يدركوا الحكم من وراء ذلك، فحسبهم أنهم لله ممتثلون ولربهم خاضعون، إنهم عباد لله، يفعل بهم ما يشاء، فيأمرهم وينهاهم وهم لا يملكون إلا الانقياد.

ب - يجتمع في البيت الحرام والمشاعر والمناسك المسلمون من مختلف الجنسيات والألوان واللغات، ومن مختلف الأعمار: الطفل والصبي والشاب والشيخ والكبير، ومن مختلف أقطار الأرض من مشارقها ومغاربها وشمالها وجنوبها، كل هذا يدفع الحاج والمعتمر إلى الاعتزاز بدينه والاعتزاز بالانتساب إلى هذا الدين العظيم، هذا الدين الذي شمل مختلف نواحي الأرض، ومختلف الشعوب والأجناس، ووحد أهدافهم وأغراضهم وأعمالهم ومناسكهم وغاياتهم بحيث يشكلون وحدة رائعة تتغلب على كل ما يعيقها ويقف أمامها.

ج - في الحج والعمرة يشعر من يؤدي المناسك أنه مهما فعل فهو مقصر، فإذا كان قد ترك الأهل والبلدان فإنه غيره قد جاء من بلاد وأماكن أبعد مما جاء، وإذا كان أنفق من المال الشيء الكثير فإن هناك من أنفق أكثر منه، وإذا كان اجتهد في أداء المناسك وهو في صحته وقوته، فإن غيره قد أداها وهو يكاد لا يستطيع أن يمشي أو

يقيم صلبه ورغم ذلك أدّاها بكل حب وشوق وامتثال، وهكذا يشعر مؤدي المناسك بأن غيره فعل أكثر مما فعل، وفي هذا الشعور حماية له من الغرور والتكبر والتعالي على غيره ومن ثم يلزم التواضع والأدب مع نفسه ومع غيره.

د - في الحج والعمرة درس عملي لتعلم أخلاق التراحم والتسامح وسعة الصدر والرفق، حيث يكون التزاحم والازدحام في أداء المناسك، وهذا لا يناسبه إلا أن يكون مؤدي المناسك متصفًا بهذه الأخلاق حتى يستطيع أن يؤدي المناسك على خير وجه كما يساعد إخوانه على الوصول إلى ذلك.

وغير ذلك من الفوائد التربوية المهمة التي يحققها الحج والعمرة، لذا بيّن العلماء أن علامة الحج المبرور والعمرة المقبولة، أن يكون الإنسان بعدهما خيرًا من قبلهما وأفضل حالاً وأحسن سلوكًا.

ثانيًا - من فطنة المربي: معرفة ما يناسب من يقوم بتربيتهم:

لقد قال النبي ﷺ لأصحابه "أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجُّوا" فرغب رجلٌ في السؤال عن تكرار هذه الفرضية، فقال أكلَّ عام يا رسول الله؟ فسكت حتى قالها ثلاثًا، فقال رسول الله ﷺ: "لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم". فلم يجبه ﷺ على سؤاله وإنما أخبره أنه لو قال بالوجوب، كل عام لما استطاع المخاطبون وما أطاقوا وعجزوا عن الامتثال، وفي ذلك بيان لما يناسبهم ويتوافق معهم ولا يشق عليهم ولا يكلفهم من أنفسهم عنتًا ولا مشقة.

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، فإن زوجه عائشة رضي الله عنها لما سألت النبي ﷺ عن رغبتها في الجهاد والقتال لكونه أفضل الأعمال، لم يوافقها على هذه الرغبة ودلها على ما يناسبها ويناسب بنات جنسها ويتوافق مع قدراتهن واستعداداتهن، إنه الحج.

والخلاصة أن هذين الحديثين يمكن أن يستدل بهما على أن المربي يجب أن يكون فطنًا متيقظًا، ومن أمارات فطنته وتيقظه أنه يدل من يقوم بتربيتهم على ما يناسبهم ويلائمهم، ولا يوافقهم على كل أمر رغبوا فيه أو أحبوه أو رأوا أنهم قادرون على الالتزام به دون أن يدركوا حجم قدراتهم وإمكاناتهم.

إن المربي إن فعل ذلك قدّم خدمة جليلة لهم، فهو من ناحية دلهم على ما يتفوقون فيه ويبرزون وينجحون، وفي ذلك تأثير إيجابي عليهم نحو الإنجاز والإنتاج والإبداع، ومن ناحية أخرى فهو يوفر عليهم مرارة التجربة وصعوبة الطريق وعسر المسلك عندما يعملون ما لا يناسبهم ولا يكون في قدراتهم وسعتهم على المدى القصير أو الطويل.

إن على المستوى العام للتربية يجب أن يؤخذ ذلك في الحسبان والاعتبار، فما يناسب أحدهم لا يناسب الآخر، وما يوافقه ويناسبه لا يكون بالضرورة كذلك للآخرين، وهذا له تأثير مهم جدًا على مستوى ما يسمى الصراع بين الجنسين الرجال والنساء، فلو عرف كل جنس ما يناسبه وما يوافقه ما حدث الاختلاف والتنازع والشقاق والتصارع والاتهام والرمي بالسيطرة والديكتاتورية، فإن لكل جنس أعماله التي تناسبه ويبرز فيها ويتفوق ويحقق الإبداع والابتكار.

والمقصود أن على المربي أن يكون فطنًا فيدل من يقوم بتربيتهم على ما يناسبهم من أعمال حتى يريحهم ويساعدهم على الإنتاج والنجاح.

ثالثًا - التربية على إتيان المأمورات واجتناب المنهيات:

لقد قال النبي ﷺ "ذروني ما تركتكم، فإنما أهلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه".

لذا فإن "تلقي النصوص الشرعية، لتنفيذ ما فيها من أوامر، وتطبيق ما فيها من أحكام، من سمات التربية الجادة التي تفترض في أفراد الأمة الإسلامية، وهذه السمة تحتاج إلى رصيد من الإيمان القوي والتربية الزاكية، ولقد دلت النصوص الشرعية على أهمية هذه السمة في أكثر من آية وحديث، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾[1] وقال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[2].

---

(١) سورة الأحزاب، آية: ٣٦.

(٢) سورة النساء، آية: ٦٥.

ولقد ابتلى الله صحابة رسوله ﷺ بآية في كتاب الله، وقفوا منها موقف المتلقي للتنفيذ المشفق على نفسه من القصور، مع شعور قوي بمسؤولية الأمانة تجاه أنفسهم في تلقي أحكام النصوص الشرعية، فظنوا أنهم عاجزون عن العمل بمقتضاها، فراجعوا رسول الله ﷺ فيها إشفاقًا على أنفسهم لا اعتراضًا، ومع ذلك سمعوا وأطاعوا، فنسخ الله حكمها وبقي لفظُها، وكم من سامع لها بعدهم ممن لا يحمل همّ التلقي للتنفيذ يمر عليها لا يحسب لها حسابًا، ولا يقف عندها بل يستوي الأمر عنده، أنسخت الآية، أم لم تنسخ؟!

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: ((لَمَّا نَزَلَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ : ﴿لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُۖ فَيَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾ قَالَ فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ فَأَتَوْا رَسُولَ اللَّهِ ثُمَّ بَرَكُوا عَلَى الرُّكَبِ. فَقَالُوا: أَيْ رَسُولَ اللَّهِ! كُلِّفْنَا مِنَ الأَعْمَالِ مَا نُطِيقُ. الصَّلاَةُ وَالصِّيَامُ وَالْجِهَادُ وَالصَّدَقَةُ. وَقَدْ أُنْزِلَتْ عَلَيْكَ هذِهِ الآيَةُ. وَلاَ نُطِيقُهَا. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: «أَتُرِيدُونَ أَنْ تَقُولُوا كَمَا قَالَ أَهْلُ الْكِتَابَيْنِ مِنْ قَبْلِكُمْ: سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا؟ بَلْ قُولُوا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ» قَالُوا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ. فَلَمَّا اقْتَرَأَهَا الْقَوْمُ ذَلَّتْ بِهَا أَلْسِنَتُهُمْ. فَأَنْزَلَ الله فِي إِثْرِهَا: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ فَلَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ نَسَخَهَا الله تَعَالَى، فَأَنْزَلَ الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ﴾ (قَالَ: نَعَمْ) ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ﴾ (قَالَ: نَعَمْ) ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ﴾ (قَالَ: نَعَمْ) ﴿وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾[1] (قَالَ: نَعَمْ)))[2].

---

(١) سورة البقرة، الآيات: ٢٨٤-٢٨٦.

(٢) أخرجه مسلم ١٢٥.

إن الغاية من الأحكام الشرعية التي جاءت بها نصوص الكتاب والسنة هي العمل بتنفيذ أوامرها واجتناب نواهيها، قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾[1].

ومن أسمى الصور التي تتحقق فيها سمة التلقي للتنفيذ، تلك الصورة التي يتلقى فيها المؤمن الحث على أعمال مستحبة غير ملزم بفعلها، فيأخذها مأخذ العزيمة، ويلتزم بما فيها من أعمال من لحظة تلقيه للنصوص الشرعية فلا تردد أو تكاسل، أو انقطاع أو فتور، ومن تلك النماذج ما رواه سالم بن عبدالله بن عمر بن الخطاب عن أبيه عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: "نعم الرجل عبدالله لو كان يصلّي من الليل" قال سالم: فكان عبدالله بعد ذلك لا ينام من الليل إلا قليلاً"[2] ... وقال البخاري: ما اغتبت أحدًا قط منذ علمت أن الغيبة حرام، إني لأرجو أن ألقى الله ولا يحاسبني أني اغتبت أحدًا[3].

رابعًا - التربية على أن الأعمال بحقيقة أدائها لا بشكلها وهيئاتها فحسب:

لقد ذكر النبي ﷺ أن الحجّ المبرور من أفضل الأعمال، قال النووي: (المبرور هو الذي لا يرتكب صاحبه فيه معصية)[4]، وأخبر ﷺ أن "من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه"، أي أنه أدى الحج أداء منعه من ارتكاب المعاصي والذنوب كما أخبر ﷺ "أن الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة"، أي أننا أمام أحاديث تحث وترغب على أداء الحج كما ينبغي، وكما يكون، لا يكتفي فيها بالشكل والصورة فحسب، إنما يكون حجًّا يحج معه القلب وتطوف وتسعى الجوارح وترمي الأفئدة ما علق بها من حب الدنيا والشهوات والأهواء، إنه يكون حجًّا مبرورًا خاليًا من الإثم والذنب، إنه حجٌّ قصد مؤديه أن يختلف حاله بعده عما سبقه، فيقبل على أداء مناسكه

---

(١) سورة الحشر، آية: ٧.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري ١١٢٢، ومسلم ٢٤٧٩.

(٣) التلقي للتنفيذ سمة إيمانية، سلمان بن عمر السنيدي، مقال بمجلة البيان، العدد ١٢٣، ص ٤٠-٤٥.

(٤) رياض الصالحين ٤٥٣.

وشعائره بقلبه وروحه، يناجي ربه ويدعوه مخلصًا أن يتقبله منه، وأن يكون خالصًا لوجهه، إنه يعيش كل شعيرة وكل منسك بقلبه وجوارحه، فيلهج لسانه بذكر ربه ويخضع قلبه ويسكن ويذلّ له سبحانه، إنه إذا أحرم وقد تجرد من ملابس الدنيا، فإنه كذلك يتجرد من أطماع الدنيا وشهواتها وملذاتها، ويتعلق قلبه بالله الواحد القهار ويطمع في رضاه وعفوه وكرمه ودخوله جنته، إنه يرى نفسه عبدًا لله حقًا، فيفعل ما يأمره به وينتهي عما نهاه، فإنه بلبسه الإحرام قد منع من فعل أشياء، وهو بهذا مسلم مطيع منقاد، وفي الوقت نفسه يعلن استجابته لله عز وجل فيقول: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك، ثم هو يطوف حول البيت، بيت الله الحرام سبعة أشواط، فيعظم ما عظمه الله ويجلّ ما أجله الله، فلا ينتهي من الطواف إلا وقد استقر في قلبه تعظيم شعائر الله. ثم يذهب إلى الصفا والمروة يسعى بينهما داعيًا ربه، مقبلاً على ذكره، متضرعًا بقلبه إليه أن يتقبله، فها هو ذا يمشي في مكان المشي، ويسرع في مكان الإسراع، ويصعد ويهبط استجابة لله رب العالمين، فلا يكاد يفرغ من السعي إلا واستقرّ حب طاعة الله في قلبه وبين جوانحه، ثم في عرفة يقبل على الدعاء والذكر ويشتد في ذلك، ولا يدعو بلسانه فحسب بل يدعو أيضًا بقلبه وجوارحه وفؤاده، كل ذلك رجاء أن يعتقه الله من النار.

ثم هو إذا رمى الجمرات رمى معها شهواته وملذاته ودنياه، وأقبل على آخرته وعمله الصالح، كل ذلك ابتغاء رضا الله ونيل رحمته، فإن هو فعل ذلك كان حجه مبرورًا وسعيه مشكورًا، وقد تغير قلبه فأصبح أكثر إيمانًا وتبدلت جوارحه فأصبحت أكثر توجهًا لله رب العالمين، وانضبط جسده فلا يتحرك إلا لله، ولا يقف إلا عند حدود الله تعالى.

أما من حج والتزم الشكل والهيئة فحسب، دون أن يحاول أن يحقق معاني الحج من الابتهال والتضرع والخضوع والخشوع والانقياد، فإنه نادرًا ما يستفيد من حجه هذا، ويكون تعبه ومشقته أكثر من استفادته من هذا المنسك العظيم.

وشتان بين حاج حج حجًا مبرورًا، وحاج لم يكن له من حجه إلا الشكل والهيئة،

فهذا رجع إلى أهله مسرورًا ، وذاك رجع كما ذهب، وهذا أقبل بتغيير هائل في نفسه وذاك ظلّت نفسه خامدة منطفئة، وهذا أحس المحيطون به بأنه قد حج كما ينبغي، وذاك ما أحس الناس بحجه ولا بتغيره، وهكذا.

وعلى ذلك كان هناك فارق كبير بين حج وحج، بين حج يحج فيه القلب والجوارح وحج حج الظاهرُ دون الباطن، وعلى ذلك ينبغي أن تكون التربية منصبة على أداء الأعمال بحقيقتها ومقصودها ولبها لا الاكتفاء بالشكل والهيئة فحسب.

خامسًا - التربية على اختلاف مراتب الأعمال باختلاف الأزمان والأماكن:

لقد أخبر النبي ﷺ عن فضل يوم عرفة فقال: "ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبدًا من النار من يوم عرفة"، فعرفة زمان ومكان، فضله الله تعالى على كثير من الأماكن وعديد من الأوقات، كما أخبر النبي ﷺ عن فضل العمرة في رمضان فقال: "عمرة في رمضان تعدل حجة، أو حجة معي" فدل ذلك على أن العمرة في رمضان لها من الفضل ما ليس للعمرة في سواه، وما هذا إلا لفضل الوقت وشرفه، وعلى ذلك يمكن الاستدلال بهذين الحديثين في مجال التربية على أنه ينبغي أن يربى الناشئة على أن مراتب الأعمال تختلف باختلاف الأزمان والأماكن، وفي ذلك عدة فوائد تربوية، منها:

أ - غرس عادة إتيان الأعمال الفاضلة ذات المردود الأعلى والنتيجة الأسمى، والحرص على ذلك وعدم تفويتها ما أمكن إلى ذلك من سبيل.

ب - غرس عادة التمييز بين مراتب الأعمال والأفعال، والتمييز بين فضائل الأوقات من غيرها، ومعرفة ما يناسبها من أعمال.

ج - تعويد الناشئة وغيرهم على الجمع بين الأعمال الصالحة في الأوقات الفاضلة ما دام ذلك مشروعًا وفي الطاقة وفي الوسع وإلا قدم الأفضل والأحسن والأعلى في العمل والوقت.

سادسًا - الاهتمام بكبار السن والمقعدين:

لقد جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ تسأله عن الحج عن أبيها الذي أدركته

فريضة الحج وهو شيخ كبير لا يستطيع أن يؤدي مناسك الحج، كما ذهب لقيط بن عامر ﷺ إليه ﷺ فقال: إن أبي شيخ كبير لا يستطيع الحج ولا العمرة ولا الظعن، وكلا السائلين يسألان عن الحج عن الأب، فأجاز لهما النبي ﷺ أن يحج كل واحد منهما عن أبيه، وهنا قد تحضر بعض الأسئلة: أليس هذا اهتمامًا من الأبناء بآبائهم الكبار المقعدين الطاعنين في السن؟ أليس هذا إقرارًا من النبي ﷺ على هذا الاهتمام وتشجيعًا له؟ أليس الحج عن هؤلاء الكبار الطاعنين إدخالاً للسرور عليهم والسعادة على قلوبهم أن مكن الله لمن يحج عنهم ويمن الله عليهم بفضل هذا الحج وثوابه؟ أليس في هذا كله اهتمام كبير بهؤلاء الذين بلغوا من العمر عتيًا ومن العمر أرذله؟ أليس هذه التفاتة رائعة يوليها الإسلام لهؤلاء الذين أفنوا أعمارهم في تحقيق مصالح الدين ومصالح الدنيا المشروعة؟ أليس في هذا رد لبعض الجميل لهؤلاء الذين طالما قدموا الكثير من المعروف والخير لأبنائهم وذرياتهم؟ أليس في هذا خير هدية وأثمن منحة لهم وهم يوشكون أن يودعوا الدنيا وينتقلوا إلى جوار الرحمن؟

إننا يمكن أن نستدل بهذين الحديثين على أن ينبغي أن نربي الناشئة وغيرهم على الاهتمام بكبار السن والمقعدين، وإعطائهم ما يستحقون من تقدير ومكانة ومنزلة واحترام، ولا نفعل كما تفعل بعض المناهج التربوية الأخرى التي ترى فيهم عبئًا على الدولة وعلى مصادرها ومواردها، فهم في رأيها أصبحوا قوة معطلة تعاني من الأمراض الخطيرة والعلل المقعدة والتي تجعلهم فئة مستهلكة بعد أن كانت منتجة، ومن ثم تضيق بهم ذرعًا حتى إنها قد تفكر في التخلص منهم بأشكال غير آدمية بالمرة، فأين ذلك من اهتمام الإسلام بهم، واعتبارهم أنهم أولى الناس بالإكرام والعناية والتقدير والاهتمام، حتى إنه لا يكتفي بأن يطالب أتباعه أن يوفروا لهم متطلبات الحياة الضرورية فحسب، بل يسعوا إلى أن يستكملوا ما قد يكون فاتهم من فرائض وعبادات وذلك على نحو مشروع مقبول.

والخلاصة أنه ينبغي أن يكون من اهتمام المربي أن يربي من يقوم بتربيتهم على الاهتمام بالكبار، والعناية بشؤونهم، والعمل على احترامهم، كما يربيهم على العطف

على الصغار والحدب عليهم، فإن التربية الإسلامية تربية متراحمة متوادة.

سابعًا - تعويد الصغار على أداء العبادات:

لقد قال الصحابي السائب بن يزيد رضي الله عنه: حُجَّ بي مع رسول الله ﷺ في حجة الوداع، وأنا ابن سبع سنين، كما أن امرأة مسلمة رفعت صبيًا إلى رسول الله ﷺ فقالت: ألهذا حج؟ قال: نعم، ولك أجر، فكان في هذين الحديثين إرشاد للمربين أن يعوّدوا الناشئة وغيرهم على أداء العبادات والطاعات وهم في سن الصغر، ولا يمنعوهم من ذلك بُحجّةِ كونهم صغارًا لا يتحملون ذلك ولا يطيقونه، وأنهم سوف يؤدونها وهم في سن البلوغ، إن تأخير تعويد الصغار عن أداء العبادات يعود على درجة امتثالهم للطاعات والعبادات وقت البلوغ والتكليف، فتجد أنه ليس عندهم من اليقظة والإقبال والاهتمام ما عند من عُوِّدوا عليها وهم ما زالوا صغارًا، إن الأم التي تمنع طفلها من أن يصوم بحجة أن جسمه ضعيف، وأن الصيام سيؤثر عليه وعلى جسده، وتبالغ في ذلك، مع أن أقرانه ومن هم في سنّه يصومون ولا تظهر عليهم أمارات التأثر التي تخشاها على ولدها ولا علامات الإرهاق والضعف التي ترهبها على ابنها، إنها تبالغ في ذلك أشد المبالغة وذلك بدافع الحب والشفقة، إلا أنها من ناحية أخرى تحرم ولدها من يكون له دور إيجابي في أداء العبادات وهو صغير وتحرمه من أن يحس بلذة التعبد ولذة أن يكون مثل قرنائه وأمثاله ونظرائه، إنها تجعله يشعر -دون أن يدري- أنه مختلف عنهم، وأن قدراته أقل من قدراتهم، وعزيمته أضعف من عزيمتهم، وخبرته أقل من خبراتهم، وهذا ينطبع في نفسه ويتعمق ويظلّ يحركه بعد ذلك في مستقبل أيامه.

إننا نريد من الآباء أن يعودوا أولادهم على العبادة بقدر الاستطاعة وبقدر الإمكان، حتى يسهل عليهم أداؤها عند سن التكليف، فكم من مسلم يعرف أن الصوم حق وواجب لكنه يعاني ويقاسي في صومه كل عام، بل إنه - والعياذ بالله - لا يستطيع الاستمرار في الصوم فيفطر، وما ذلك إلا لأنه لم يعود الصيام في صغره. هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإن أداء العبادات في وقت الصغر يكوّن حبًا واعتزازًا في نفوس الناشئة عندما يكبرون ويكلفون، فكم من الذكريات الجميلة نحملها لوقت طفولتنا

ونحن نذهب إلى المساجد وقت الصلوات ونذهب للقيام في رمضان، وإيقاظ الجيران وقت السحور، وكذلك ونحن نذهب ببعض الصدقات للمحتاجين والمساكين، ويود كل واحد منا أن ينقل هذه الذكريات الجميلة إلى أبنائه وذريته.

ولذا كان على المربين أن يربوا صغارهم على أداء ما يستطيعون من عبادات وأعمال صالحة.

ثامنًا - التربية على الجمع بين العمل للآخرة والعمل للدنيا:

لقد أنزل الله تعالى قوله: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُواْ فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ﴾[1] بسبب ما شعر به الحجاج من حرج وتأثم من متاجرة والقيام بالبيع والشراء وقت الحج ومكانه، وذلك لأن الحج لله تعالى، فشعروا أنهم إذا تاجروا خدشوا نيتهم الخالصة لله تعالى بما يأتيهم من نفع دنيوي، إنهم اعتقدوا أن الحج لا يكون فيه إلا أعمال الحج وأداء المناسك أما التجارة والانشغال بالكسب المادي معه ففيه إقحام للدنيا فيما هو خالص للآخرة. فنزلت هذه الآية الكريمة تنفي عنهم هذا الحرج وهذا التأثم وتبين لهم أنه لا حرج أن يتاجروا في موسم الحج، بشرط ألا يطغى هذا على المقصود الأول وهو أداء النسك والشعائر كما ينبغي وكما يراد. والسؤال هنا: أليس في نفي الحرج هذا جمع بين العمل الأخروي والعمل الدنيوي؟ وأنه متى استطاع المكلف أن يجمع بينهما على وجه مشروع ومقبول انتفى التعارض والتزاحم بينهما؟ وأنه انطلاقًا من هذا أليس هذا دليلاً واضحًا لحث الشرع المكلفين على العمل للدنيا كما يعملون للآخرة ويجدون ويجتهدون؟ أليس الدنيا مزرعة الآخرة؟ أليس صلاحها طريقًا لصلاح الآخرة؟ أليس امتلاكها سبيلاً من سبل عبادة الله على الوجه الذي يرضيه عنا؟

والخلاصة أنه يمكن الاستئناس بهذا الحديث لدفع المربين لأن يربوا أتباعهم على أن يعملوا للدنيا كما يعملون للآخرة، وأن يجمعوا بين العملين ما دام هناك طريق للجمع بينهما، ويغرسوا ذلك في نفوسهم غرسًا واضحًا لا لبس فيه، وعندها يحققون فوائد تربوية مهمة جدًا منها:

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٩٨.

أ - تعويد الناشئة على أن يكون لهم مردود قوي وإيجابي في هذه الحياة الدنيا ولا يكتفون بدور المتفرج أو المشاهد، ويتركون غيرهم يحقق السبق والتقدم ويتملك من الوسائل ما يجعله يتحكم في غيره ويفرض ثقافته عليه طوعًا أو كرهًا. إن على المسلم أن يكون على الأقل قائمًا بدور الند والمنافس لا دور المتلقي والمستهلك لما ينتجه غيره أو يفرضه غيره، وهذا لا يكون إلا بالعمل من أجل التمكين في هذه الدنيا والسيطرة على ما يساعد على تحقيق هذه الغاية النبيلة.

ب - العمل للدنيا يساعد على نشر دين الإسلام وإشاعة تعاليمه بين الأمم والشعوب المختلفة ويمحو تلك الصورة القائمة التي تكونت في الذهن الغربي عن المسلم بأنه تارك لدنياه لا يلتفت إليها ولا يلقى لها بالاً، وإنما كل همه التمتع بملذات الدنيا من طعام ونحو ذلك، ولو أحسنوا التصور وأحسن المسلمون العمل لتغيرت الصورة نهائيًا وأصبح ينظر إلى المسلم في عالم اليوم نظرة تقدير واحترام.

ج - إذا كان العالم الغربي الآن لا يعرف إلا الحضارة المادية المغرقة في أوحال المادية التي لا تقيم للروح ولا للوجدان ميزانًا لا تفسح لهما مكانًا في حضارتها المادية، فإن المسلمين إذا عملوا للدنيا كما يعملون للآخرة، يقدمون حلاً مدهشًا طالما حار المفكرون الغربيون في البحث عنه، ومحاولة تلمس مواصفاته وتلمس طرق تحقيقه، إن المسلمين إن فعلوا ذلك قدموا صورة تحتاجها البشرية أمسّ الاحتياج لتنقذها من هذا التيه، الذي دخلت فيه بسبب العمل الدنيوي البحت.

د - إن الجمع بين العمل الأخروي والعمل الدنيوي يهذب العمل الدنيوي ولا يخرج به عن نطاقه المأمول في إسعاد البشر دون التسبب في شقائهم كما هو حادث الآن، إنه يوظف العمل الدنيوي في خدمة البشرية وإسعادها وتحقيق ما تطمح إليه من تقدم وازدهار، ويحفظه من أن ينحرف عن هدفه النبيل وغرضه الشريف إلى أن يكون وسيلة لتدميرها والعمل على إفنائها.

والخلاصة أن التربية على الجمع بين العمل الأخروي والعمل الدنيوي من المبادئ المهمة جدًا التي يجب أن يتربى عليها النشء حتى يحقق لنفسه السعادة في الدارين.

۞ ۞ ۞

١١- كتَاب الجِهَاد

٢٣٤- باب وجوب الجهاد وفضل الغدوة والروحة

قَالَ اللّه تَعَالَى: ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾[التوبة: ٣٦]، وقال تَعَالَى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾[البقرة: ٢١٦]، وقال تَعَالَى: ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ﴾[التوبة: ٤١]، وقال تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[التوبة: ١١١]، وقال اللّه تَعَالَى: ﴿لاَ يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلاً وَعَدَ اللهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا، دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾[النساء: ٩٥ - ٩٦]، وقال تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ، تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ، يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ، وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[الصف: ١٠-١٣]. والآيات في الباب كثيرةٌ مشهورةٌ.

وأما الأحاديث في فضل الجهاد فأكثر من أنْ تحصر، فمن ذلك:

الحديث رقم (١٢٨٧)

١٢٨٧- عن أَبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: سُئِلَ رسول الله ﷺ: أيُّ الأعمال أفْضَلُ؟ قَالَ: ((إيمَانٌ بِاللهِ وَرَسُولِهِ)) قيل: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: ((الجهادُ في سَبيلِ اللهِ)) قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ:

((حَجٌّ مَبْرُورٌ)) متفقٌ عَلَيْهِ[١].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

مبرور: لم يأت فيه الحاج إثمًا، أو هو المقبول عند الله تعالى[٢].

الشرح الأدبي

هذه الاستفهامات الثلاثة التي جاءت في الحديث يراد منها التعلم، والتوجيه وتنبيء عن حب جم لدين الله؛ لأنه يتوافق مع الفطرة التي فطر الله الناس عليها، كما تنبيء برغبة في ارتقاء أعظم الدرجات في الجنة بتحصيل أعظم الأعمال، ولا يصدر مثل هذا إلا من نفس صموحة إلى المعالي، والتعبير بـ" العمل " لأنه يشمل الفعل، والقول جاءت بصيغة المفرد في قوله :" أي العمل أحب إلى الله " ليوضح أن المعتد به في العمل هو الإخلاص فيه، ليكون مقبولاً، وليس تعدد الأعمال دون إخلاص، ولأن السائل يريد أعلاها، فسؤاله عن قمتها، ولذلك بدأ بالصلاة في قوله: " الصلاة على وقتها " لأنها عمل واحد في طياته أعمال كثيرة تقوم على الإيمان، والخشية، والمراقبة، والخشوع والإخلاص، وجاء بحرف الجر " على " ليفيد الاستعلاء أي أن الوقت خادم للصلاة، والإضافة في وقتها تفيد الخصوصية، فللصلاة وقتها الذي يخصص لها، ثم جاء بعد ذلك ببر الوالدين، والجهاد فى سبيل الله؛ لأنهما فرع عن إتقان الصلاة التي تنهى عن الفحشاء، والمنكر، وقدم بر الوالدين؛ لأنه دائم لا ينقطع، ويحتاج إلى مجاهدة شديدة دائمة للنفس، والشيطان لاسيما حين تتعارض الرغبات، والجهاد يكون في وقت دون وقت.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٦) واللفظ له، ومسلم (٨٣/١٣٥)، وتقدم برقم (١٢٧٥). أورده المنذري في ترغيبه (١٦٣٩).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ب ر ر).

فقه الحديث

تشير الأحاديث إلى عدة أحكام منها:

١- فضل الجهاد: اتفق الفقهاء على أفضلية الجهاد وأنه من أفضل الأعمال بعد الفرائض لأن في الجهاد بذلُ المُهَج والمال، ونفعه يعم المسلمين كلهم صغيرهم وكبيرهم قويهم وضعيفهم، ذكرهم وأنثاهم وغيره لا يساويه عمل في نفعه، ولا في فضله وأجره[1].

٢- حكم الجهاد: ذهب جمهور الفقهاء الحنفية، والمالكية، والشافعية في الأظهر والحنابلة إلى أن الجهاد فرض كفاية[2] وأنه لا يتعين إلا في بعض الأحوال[3]. واستدلوا

---

(١) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني ٤٣٦/٥، حاشية رد المحتار ١١٩/٤-١٢٠٠، المنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد سليمان الباجي ١٥٩/٣، الفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم النفراوي ٣٩٥/١، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٢١/٩، المغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ١٦٣/٩، مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى، مصطفى السيوطي ٥٠٤/٢.

(٢) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين أبي بكر الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٩٨/٧، تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين الزيلعي ٢٤١/٣، مواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله محمد بن عبدالرحمن المغربي ٣٤٧/٣، حاشية الصاوي على الصغير ٢٧٥/٢، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٩/٦، أسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا بن محمد بن أحمد الأنصاري ١٧٦/٤، المغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ١٦٣/٩، كشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٣٢/٣، فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦٤/١.

(٣) حالات تعين الجهاد هي:

١- إذا التقى الزحفان، وتقابل الصفان حرم على من حضر الانصراف وتعين عليه المقام.

٢- إذا نزل الكفار ببلد تعين على أهله قتالهم ودفعهم، كما يتعين على من يقربهم إن عجزوا عن دفع العدو بأنفسهم.

٣- إذا استنفر الإمام قومًا لزمهم النفير.

=

على ذلك بقوله تعالى: ﴿ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾[1] حيث وعد الله عز وجل المجاهدين والقاعدين الحسنى، ولو كان الجهاد فرض عين في الأحوال كلها لما وعد الله القاعدين الحسنى لأن القعود حرام[2]. ولأن ما فرض له الجهاد وهو الدعوة إلى الإسلام، وإعلاء كلمة الدين الحق، ودفع شر الكفرة وقهرهم يحصل أيضًا بقيام البعض به[3].

وذهب الشافعية في قول ضعيف، وسعيد بن المسيب إلى أنه فرض عين[4]. واستدلوا على ذلك بقوله تعالى: ﴿ ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا ﴾[5] وقوله تعالى: ﴿ إِلَّا تَنفِرُوا۟ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾[6] حيث أمر الله تعالى بالنفير العام لجميع المسلمين وهدد تهديدًا شديدًا لمن يترك النفير مما يدل على أنه فرض عين على كل مكلف.

ويناقش هذا بأن الوعيد في الآيتين يتوجه لمن عينه النبي ﷺ لتعين الإجابة عليه.

= ٤- ويتعين أيضًا بالنذر. يراجع بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين أبي بكر الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٩٨/٧، تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين الزيلعي ٢٤١/٣، حاشية الصاوي ٢٧٥/٢، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٢٣/٦، أسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا بن محمد بن أحمد الأنصاري ١٧٩/٤، المغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ١٦٣/٩، كشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٣٢/٣ وما بعدها.

(١) سورة النساء، آية: ٩٥.

(٢) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين أبي بكر الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٩٨/٧.

(٣) المرجع السابق ٩٨/٧.

(٤) مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٩/٦، نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي الشوكاني ٢١٤/٧.

(٥) سورة التوبة، آية: ٤١.

(٦) سورة التوبة، آية: ٣٩.

والراجح هو رأي جمهور الفقهاء القائل: بأن الجهاد فرض كفاية.

٣- حكم أداء الصلاة في أول الوقت: اتفق الفقهاء على استحباب أداء الصلاة في أول الوقت لكونه احتياطًا لها، ومبادرة إلى تحصيلها في وقتها[1].

٤- بيان فضل الانفراد عن خوف الفتنة لما فيه من السلامة من الغيبة واللغو ونحو ذلك[2].

المضامين الدعوية[3]

(١) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين أبي بكر الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ١٢٥/١، مواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله محمد بن عبدالرحمن المغربي ٤٠٣/١، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٣٠٦/١، المغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٢٣٤/١، شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٧٩/٢، نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي الشوكاني ٢٢٠/٧.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٩/٦، شرح رياض الصالحين لابن عثيمين ٢٩٣/٣.

(٣) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم ١٢٧٥.

الحديث رقم (١٢٨٨)

١٢٨٨- وعن ابن مسعود ﷺ ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رسولَ الله ، أيُّ العَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللهِ تَعَالَى؟ قَالَ: ((الصَّلاَةُ عَلَى وَقْتِهَا)) قُلْتُ: ثُمَّ أيٌّ؟ قَالَ: ((بِرُّ الوَالِدَيْنِ)) قلتُ: ثُمَّ أيٌّ؟ قَالَ: ((الجِهَادُ فِي سَبيلِ اللهِ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن مسعود: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٦).

المضامين الدعوية[2]

(١) أخرجه البخاري (٥٢٧) واللفظ له، ومسلم (١٣٩/٨٥)، وتقدم برقم (٣١٢)، و (١٠٧٦). أورده المنذري في ترغيبه (٥٦٢).

(٢) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم ٣١٢، ١٠٧٦.

الحديث رقم (١٢٨٩)

١٢٨٩- وعن أَبي ذرّ رضي الله عنه، قَالَ: قُلْتُ: يَا رسول الله، أيُّ العَمَلِ أفْضلُ؟ قَالَ: ((الإيمَانُ باللهِ، وَالجهَادُ في سَبيلهِ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أبو ذر الغفاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٦١).

الشرح الأدبي

تعدد السؤال عن أفضل الأعمال كثيرا بتعدد السائلين، وبتعدد المواقف، وقد كان النبي ﷺ يجيب كل سائل بما هو أصلح لحاله، وحال المسلمين، فقد يصلح إنسان لعمل، ولا يصلح لآخر، كما أن العمل قد يكون فاضلا في وقت، ومفضولا في وقت، وفي هذا الحديث سئل الرسول الكريم ﷺ عن أفضل الأعمال على الإطلاق فقال: " الإيمان بالله " ومنه يتشعب الأمن، واليقين في قدرة الخالق الذي يؤمن به الإنسان المسلم، ومنه أيضاً يتشعب الإيمان بالملائكة والكتب والسماوية والقضاء والقدر، خيره وشره، والإيمان بالقبر، والجنة والنار، والعمل بمقتضى ذلك، وجاء " الجهاد في سبيله " بعد ذلك، لأنه فرع عن الإيمان القلبي، واليقين الراسخ فلن يجاهد المسلم بماله أو نفسه إلا إذا كان من أصحاب الإيمان القوى وكان مستعداً للبذل والتضحية نظراً لإيمانه بالعاقبة الحسنى للمتقين ولإيمانه بقول الحق جل جلاله ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت٦٩].

المضامين الدعوية[2]

(١) أخرجه البخاري (٢٥١٨) واللفظ له، ومسلم (٨٤/١٣٦)، وتقدم برقم (١١٧)،. وسيكرره المؤلف برقم ١٣٦١، أورده المنذري في ترغيبه (١٩٥١).

(٢) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم ١١٧.

الحديث رقم (١٢٩٠)

١٢٩٠- وعن أنس رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: ((لَغَدْوَةٌ في سَبيلِ اللهِ أَوْ رَوْحَةٌ، خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا)) متفقٌ عَلَيْهِ[١].

ترجمة الراوي:

انس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

الغدوة: الخروج في أي وقت كان من أول النهار إلى انتصافه[٢].

الروحة: المرة الواحدة من الرواح، وهو الخروج في أي وقت كان من زوال الشمس إلى غروبها[٣].

الشرح الأدبي

بنى الحديث على الأسلوب الخبري وفية بشارة للمجاهدين في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم وجاههم وبدأ " بالغدوة " لأنها تتصل بالغدو، والبكور الذي حث عليه النبي صلى الله علية وسلم – ودعا لامته بأن يبارك لها في بكورها، ولأن المسلمين إذا فاجأوا عدوهم في الصباح هزموهم بإذن الله، ولكن بشرط: أن تكون " الغدوة " أو " الروحة " في سبيل الله، ومن هنا لابد من نبل الهدف، وسموا الغاية التي تقوم على حسن النية، وسلامة الطوية، وكلمة " خير" معناها أكثر خيراً فهي أفعل تفضيل يدل على أن الخير كثير، ولكن الجهاد في سبيل الله أفضل أنواع الخير عند الله تعالى وقوله " خير من الدنيا، وما فيها " كناية ضآلة الدنيا بجوار أعمال الآخرة لأنها عرض زائل ومتاع فان، وما يتعلق بالآخرة يصطبغ بصبغتها في الخلود فالجهاد خير مما في الدنيا كلها لأنه في سبيل الله. والله أعلم

---

(١) اخرجه البخاري (٢٧٩٢)، ومسلم (١١٢/١٨٨٠) ولفظهما سواء. أورده المنذري في ترغيبه (١٩٠٦)

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٧/٦.

(٣) المرجع السابق ١٧/٦.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حث النبي ﷺ. على الغدو والرواح في سبيل الله.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل الغدو والرواح في سبيل الله.

ثالثًا: من أهداف الدعوة: الحث على الجهاد في سبيل الله والحرص على الفوز في الآخرة.

أولاً- من موضوعات الدعوة: حث النبي ﷺ، على الغدو والرواح في سبيل الله:

جاء في صريح الحديث: حث النبي ﷺ على الجهاد في سبيل الله وبيان فضل الغُدُو والرواح في سبيل الله، فقال ﷺ: لغدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها، والغدوة بالفتح من الغدو وهو الخروج في أى وقت كان من أول النهار إلى انتصافه، والرَوْحة المرة الواحدة من الرواح وهو الخروج في أى وقت كان من زوال الشمس إلى غروبها[1]، وقد جاء الحث على الغدو والرواح في سبيل الله في كثير من نصوص القرآن والسنة النبوية، قال تعالى: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَـٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[2].

وعن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها، وموضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها، والروحة يروحها العبد في سبيل الله تعالى أو الغدوة خير من الدنيا وما عليها" [3]، وذلك لما للجهاد في سبيل الله من فضل، إذ هو وسيلة إلى إعلان الدين ونشره وإخماد الكفر ودحضه[4].

لقد جعل النبي ﷺ الجهاد في سبيل الله بما فيه من غُدُوٍ ورواح سياحة الأمة، فروى عن أبي أمامة ((أَنَّ رجلاً قالَ: يا رسولَ الله ائْذَنْ لي في السياحةِ، فقالَ النبي ﷺ: إِنَّ سِيَاحَةَ أُمَّتِي، الجهادُ في سبيلِ الله))[5].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر ١٧/٦.

(٢) سورة التوبة، آية: ٤١.

(٣) أخرجه البخاري ٢٨٩٢، ومسلم ١٨٨١.

(٤) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص١٣٩٥.

(٥) أخرجه أبو داود ٢٤٨٦، وحسنه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٢١٧٢).

قال العلامة المناوي: (وإن سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله" أي هو مطلوب منهم كما أن السياحة مطلوبة في دين النصرانية فهو يعدلها في الثواب بل يزيد عليها، "وإن لكل أمة رهبانية" أي تبتلاً وانقطاعًا للعبادة، ورهبانية أمتي الرباط في نحور العدو" أي ملازمة الثغور، بقصد ملاقاة أعداء الدين، ومقابلتهم بالضرب على أعناقهم وصدورهم والرباط)[1].

إن الجهاد في سبيل الله من أقوى طرق التزكية، لأن أمراض النفس كلها بسبب الدنيا، والجهاد ترك للدنيا برمتها والتوجه نحو الآخرة.

كما أن في الجهاد تقوية لليقين بالله لما يراه المجاهد من الكرامات الكثيرة التي يجعلها الله مثبتة للمجاهد فتزول عنه كل الشبه التي يقذفها في قلبه الجن وشياطين الإنس.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: فضل الغدو والرواح في سبيل الله:

جاء في صريح الحديث بيان فضل الغدو والرواح في سبيل الله، وأنه خير من الدنيا وما فيها، فقال ﷺ: "لغدوة أو روحة خير من الدنيا وما فيها".

قال ابن حجر: (ويؤيد هذا الثاني ما رواه ابن المبارك في كتاب الجهاد من مرسل الحسن قال: بعث رسول الله ﷺ جيشًا فيهم عبدالله بن رواحة، فتأخر ليشهد الصلاة مع النبي ﷺ، فقال له النبي ﷺ والذي نفسي بيده لو أنفقت ما في الأرض ما أدركت فضل غدوتهم)[2].

قال القاضي عياض: (ومعناه أن فضل ذلك وثوابه ونعيمه - على قلة هذا العمل خير من نعيم الدنيا كلّه لو ملكه مالك على اتساعه في التقدير، ومحل ذلك من العظم في النفوس لشاهديه، وذلك لأنه زائل ونعيم الآخرة باق.

وقال ابن حجر: (قال ابن دقيق وهذا الحديث يحتمل وجهين:

أحدهما: أن يكون من باب تنزيل الغيب منزلة المحسوس تحقيقًا له في النفس،

---

(١) فيض القدير شرح الجامع الصغير، عبدالرؤوف محمد المناوي ٥٠٧/٢.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٤/٦.

لكون الدنيا محسوسة في النفس مستعظمة في الطباع، فلذلك وقعت المفاضلة بها وإلا فمن المعلوم أن جميع ما في الدنيا لا يساوي ذرة مما في الجنة.

ثانيهما: أن المراد بأن هذا القدر من الثواب خير من الثواب الذي يحصل لمن لو حصلت له الدنيا كلها لأنفقها في طاعة)[1].

قال النووي: "والظاهر أن ذلك لا يختص بالغدو والرواح من بلدته، بل يحصل هذا الثواب بكل غدوة أو روحة في طريقه إلى الغزو، وكذا غَدْوه ورَوْحُه في موضع القتال، لأن الجميع يسمى غَدْوةً ورَوْحَةٍ في سبيل الله، ومعنى هذا الحديث أن فضل الغدوة والروحة في سبيل الله وثوابهما خير من نعيم الدنيا كلها لو ملكها إنسان وتصور تنعمه بها كلها لأنه زائل ونعيم الآخرة باق"[2]. قال ابن علان: ويحتمل أن يكون المراد أن هذا القدر من الثواب خير من الثواب الذي يحصل لمن حصلت له الدنيا وأنفقها في طاعة الله غير الجهاد[3].

وذلك أن البذل يشرف بشرف المبذول، وأفضل ما بذله الإنسان نفسه وماله[4]، أضف إلى ما في الجهاد من كمال الإيمان وحسن الإسلام، وما فيه من إرضاء لله وإذلال ودحر للشيطان وأعوانه[5].

ثالثًا- من أهداف الدعوة: الحث على الجهاد في سبيل الله والحرص على الفوز في الآخرة:

إن من أهداف الدعوة الحث على الجهاد في سبيل الله، وبيان أنه من أكبر السبل وأعظمها لنيل الفوز والثواب في الآخرة، وقد وردت الإشارة إلى ذلك في الحديث فقال ﷺ : "لغدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها"، وذلك ليس دعوة

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٤/٦.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٢١٠.

(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١٢١٥.

(٤) أحكام الجهاد وفضائله، الإمام عزالدين بن عبدالسلام، تحقيق نزيه حماد، مكتبة دار الوفاء، ١٤٠٦هـ، ص ٥٤.

(٥) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين ١٥٠٥/٤.

للانتقام وحبًا في التشفي والاعتداء وإنما دفاعًا عن العقائد والأنفس، قال الشيخ محمد الراوي: "على أن الحرب في حقيقتها شِرْعَةٌ لابد منها لعلاج الفساد وصيانة الأمن والسلام، شرعة أخذت بها جميع الأمم تصون حماها وترد كيد العدو عنها، بيد أن الإسلام قد انفرد في الحرب بآدابه الخاصة وغايته الواضحة، فما شرعت الحرب عنده إلا لِحَق وبِحَق.

الحرب في حق لديك شريعة ومن السموم الناقعات دواء

فرد العدوان والدفاع عن النفس والأهل والمال والوطن أمرٌ تقره الفطرة وتقرره الحنيفية السمحة، ولولاه لعاد الضرر، لا على المسلمين وحدهم بل عليهم وعلى غيرهم[1]، قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَـٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا﴾[2].

والجهاد في سبيل الله لا يقتصر على ميادين المعارك فحسب بل هو أوسع من ذلك بكثير، ومن ألوان الجهاد التي تلزم كل مسلم الجهاد بالدعوة إلى الله عز وجل، فالجهاد بالدعوة إلى الله عز وجل وظيفة كل مؤمن.

(إن ما يعم الناس من البلاء في هذه الأيام، سواء كان على مستوى الأفراد، وما هم فيه من القلق والحيرة والتعاسة. وما يلاحظ عندهم من اختلال القيم واضطراب المقاييس، أو كان على مستوى الأمة، وما منيت به من ذل وهزيمة. إنما هو نتيجة حتمية لاجتماع عاملين اثنين هما:

الأول: اجتهاد أولياء الشيطان في تلبية ندائه، والصد عن سبيل الله عز وجل.

الثاني: تخلي المؤمنين عن مراكزهم التي وضعهم الله فيها. وعن وظيفتهم التي ناطها بهم، وهي الدعوة إلى دين الله. ومجاهدة الشيطان وأوليائه.

وناس اليوم في هذا الشقاء سواء: الذين يدعون الإيمان. والذين اتخذوا الشياطين أولياء.

---

(١) الدعوة الإسلامية، دعوة عالمية، الشيخ محمد الراوي، ص ٤٩٤، ٤٩٥.

(٢) سورة الحج، آية: ٤٠.

والمؤمن لا يتساءل عن سبب ذلك بالنسبة للضالين. فإن ربه يقول ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾[1]، ولكن قد يتساءل المؤمنون لم لا يتميزون في ذلك عن الآخرين. وهم الذين اعترفوا بالخالق إلهًا. وبمحمد عليه الصلاة والسلام رسولاً، وصاموا وصلوا وحجوا. فلم لا يتنزل على قلوبهم السكينة، ولم لا يستثنون من العذاب الذي كلما نزل أصابهم كما يصيب الجاحدين؟!.

لعل أهم سبب في ذلك أنهم تركوا وظيفتهم التي قُلِّدوها. حين قيل لهم عرفتم الحق فادعوا إليه، وأدركتم الباطل فجاهدوه. فلم يحركوا ساكنًا، ووقفوا متفرجين فنسيهم ربهم من فضله. وعمهم بعقابه وأشركهم في ذلك مع المجرمين. مصداقًا لقول الله عز وجل من قائل: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾[2]. نعم إن وظيفة المؤمنين التي جعلوها وراء ظهورهم في هذه الأيام هي الدعوة إلى دين الله الذي اعتنقوه. والحق الذي عرفوه.

إن الدعوة إلى الله ودينه فرض من فروض الإسلام. وليست تطوعًا ولا نفلاً. بل إن الجهاد بالدعوة يقع من الإيمان في خمسة مواقع:

فهو أولاً: مقتضى من مقتضيات الإيمان، والتصور الإسلامي للكون والحياة والإنسان.

وهو ثانيًا: علامة الإيمان الصادق.

وهو ثالثًا: وقاية للإيمان من الضعف والضمور.

وهو رابعًا: غذاء للإيمان وتنمية له.

وهو خامسًا: شرط لتمام الإيمان وصدقه[3].

---

(١) سورة طه، آية: ١٢٤.

(٢) سورة الأنفال، آية: ٢٥ .

(٣) الجهاد، ميادينه وأساليبه، د. محمد نعيم يس، ص٨٢، ٨٣.

الحديث رقم (١٢٩١)

١٢٩١- وعن أَبي سعيدٍ الخدريِّ ﷺ، قَالَ: أَتَى رَجُلٌ رسولَ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: أيُّ النَّاسِ أفْضَلُ؟ قَالَ: ((مُؤْمِنٌ[1] يُجَاهِدُ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فِي سَبيلِ اللهِ)) قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: ((مُؤْمِنٌ فِي شِعبٍ مِنَ الشِّعَابِ يَعْبُدُ اللهَ، وَيَدَعُ النَّاسَ مِنْ شَرِّهِ)) متفقٌ عَلَيْهِ[2].

ترجمة الراوي:

أبو سعيد الخدري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٠).

الشرح الأدبي

بنى الحديث على الأسلوب الانشائى القائم على الاستفهام حيث يقول الرجل للرسول الكريم: " أي الناس أفضل ؟ " فنراه هنا لا يسأل عن الأعمال، إنما يسأل عمن يقومون بتلك الأعمال؛ لأن الناس معادن منها ما هو طيب، ومنها ما هو غير ذلك أما الطيب، فإنه يوصف بالفطرة النقية، ويعتنق الفضيلة من أول وهله وهذا من أفضل الناس الذين سئل عنهم المصطفى ﷺ فأجاب بقوله: " مؤمن – يجاهد بنفسه وماله في سبيل الله "وفيه إيجاز بالحذف أي أفضل الناس مؤمن. لأن الإيمان هو المتصرف في الجوارح، وكأنه قال: الإيمان بالله هو الذي شكل المؤمن وجعله يجاهد بنفسه، وماله في سبيل الله، وللأفعال المضارعة في قوله: " يجاهد.. يعبد الله.. يدع الناس " دلالات مؤثرة في إيضاح هوية ذلك المؤمن الذي هو في جهاد مستمر لنفسه، وللشيطان، وعبادة متصلة، وبعد عن الشر، والأذى، و لا يتسبب في الحاقهما بأحد يؤكد ذلك الجناس بين شعب، والشعاب تأكيدا للعزلة التي تقتضي قلة المعاملة التي قد تحدث الظلم أو

---

(١) لفظ مسلم في هذه الرواية: (رجل)، والمثبت لفظ البخاري، ولفظ مسلم برقم (١٢٣/١٨٨٨) وتبع المؤلف المنذري في ترغيبه وهذا لفظه.

(٢) أخرجه البخاري (٢٧٨٦)، ومسلم (١٢٢/١٨٨٨) واللفظ له، وتقدم برقم (٥٩٨). أورده المنذري في ترغيبه (١٩٥٢).

الأذى ثم إن اعتزاله ليس رغبة في العزلة بل رغبة في العبادة، وتفريغ القلب لله؛ لأنه محكوم بإيمانه في الحركة، والسكون.

المضامين الدعوية[1]

(١) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم ٥٩٨.

الحديث رقم (١٢٩٢)

١٢٩٢- وعن سهل بن سعد رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: **((رِبَاطُ يَوْمٍ فِي سَبِيلِ اللهِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا، وَمَوْضِعُ سَوْطِ أَحَدِكُمْ مِنَ الجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا، وَالرَّوْحَةُ يَرُوحُهَا العَبْدُ فِي سَبِيلِ اللهِ تَعَالَى، أَوْ الغَدْوَةُ، خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا))** متفقٌ عَلَيْهِ[١].

ترجمة الراوي:

سهل بن سعد الساعدي: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٧٥).

غريب الألفاظ:

رباط يوم: الرباط: ملازمة المكان الذي بين المسلمين والكفار لحراسة المسلمين منهم[٢].

الرَوْحَةُ: المرة الواحدة من الرَوَاح وهو الخروج في أي وقت كان من زوال الشمس إلى غروبها[٣].

الغَدْوُة: بالفتح المرة الواحدة من الغُدُوّ، وهو الخروج في أي وقت كان من أول النهار إلى انتصافه[٤].

الشرح الأدبي

بنى الحديث على الأسلوب الخبري، وهذا يتناسب مع مقام البشريات التي يبشر بها النبي أمته؛ لأن الله أطلعه على هذا الأجر العظيم لمن جاهد في سبيل الله، أو غدا أو راح، وكلمة " رباط " توحي بأن المؤمن يوقف نفسه على عمل الخير، وكأنه يربطها

---

(١) أخرجه البخاري (٢٨٩٢) واللفظ له، ومسلم (١٨٨١/١١٣) اللفظ الأخير. أورده المنذري في ترغيبه (١٨٢٨، ١٩٠٨).

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦/١٠١.

(٣) المرجع السابق ٦/١٧.

(٤) المرجع السابق ٦/١٧.

برباط لا تتزحزح عنه حتى، ولو كان ذلك الرباط في " يوم " واحد، بشرط أن يكون الله على باله، وفي قلبه، وفكره، ونيته، ولذلك قال " في سبيل الله " و" في " للسببية وقوله: " خير من الدنيا وما عليها " يشير إلى أن المرابطة في سبيل الله بفضل الدنيا، وما عليها، وقوله (وَمَوْضِعُ سَوْطِ أَحَدِكُمْ) كناية عن عظمة نعيم الجنة الخالد، والغدوة، والروحة في سبيل الله كل هذا.. فوق الدنيا وما عليها؛ لأن (على) تفيد الاستعلاء، والعجيب أن هذه الجملة كررت ثلاث مرات في الحديث للتأكيد على هذه الحقيقة التي ينشغل الناس عنها بمتع الدنيا، وغفلتهم عن الآخرة، وهذا حق؛ لأن عمل الخير أبقى من الدنيا التي لا تعدل عند الله جناح بعوضه.

فقه الحديث

تشير الأحاديث إلى عدة أحكام منها:

١- فضل الرباط في سبيل الله: اتفق الفقهاء على أن الرباط في سبيل الله من أفضل الأعمال وأن المرابط يجري عليه عمله إلى يوم القيامة وأنه يؤمن من فتنة القبر[١].

٢- حكم الرباط بسد الثغور: اتفق الفقهاء على استحباب الرباط بسد الثغور خوفًا، وأنه من أفضل الرباط حتى لا يفاجئ العدُو المسلمين في عقر دارهم، لأن في مفاجأتهم إزلالهم[٢].

---

(١) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني ٤٣٧/٥، حاشية رد المحتار ١٢٢/٤، المدخل لابن الحاج ١٩٠/٣، المنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد سليمان الباجي ١٦١/٣، حاشية العدوي على شرح كفاية الطالب الرباني، علي بن أحمد العدوي ١٧/٢، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٩/٦، المغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ١٦٧/٩-١٦٨، مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى، مصطفى السيوطي ٥٠٨/٢، ٥٠٩، شرح رياض الصالحين لابن عثيمين ٢٩٤/٣.

(٢) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني ٤٣٧/٥، حاشية رد المحتار ١٢٢/٤، المدخل ١٩٠/٣، المنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد سليمان الباجي ١٦١/٣، حاشية العدوي على شرح كفاية الطالب الرباني، علي بن أحمد العدوي ١٧/٢، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٩/٦، المغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ١٦٨/٩، مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى، مصطفى السيوطي ٥٠٨، ٥٠٩.

٣- تعظيم أمر الجهاد وأن من حصل له من الجنة قدر سوط يصير كأنه حصل له أعظم من جميع ما في الدنيا، فكيف لمن حصل على أعظم الدرجات[١].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حث النبي ﷺ على الرباط في سبيل الله.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: بيان فضل وثواب الرباط والجهاد في سبيل الله.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً- من موضوعات الدعوة: حث النبي ﷺ على الرباط في سبيل الله:

جاء في الحديث حث النبي ﷺ على الرباط في سبيل الله، فقال ﷺ رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها، وموضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها، والروحة يروحها العبد في سبيل الله تعالى أو الغدوة خير من الدنيا وما عليها، كما جاء الأمر بالرباط في كتاب الله تعالى، فقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾[٢]، وذلك أمر من الله للمؤمنين بالمرابطة والإعداد لذلك، وذلك ليكونوا دائمًا على حذر من عدوهم[٣]، قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمۡ لَا تَعۡلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعۡلَمُهُمۡ﴾[٤].

وفي ذلك: دعوةٌ من الله عز وجل وأمرٌ بالاستعداد الدائم، ولقد جاءت الأحاديث النبوية وآثار السلف تبين أهمية أخذ الحذر والحيطة والكون على أهبة الاستعداد لأي أمر يوجب عليهم النفرة في سبيل الله، وما يتبع ذلك من تدريب مستمر على وسائل الحرب وأساليب الجهاد.

---

(١) نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي الشوكاني ٢٠٩/٧.

(٢) سورة آل عمران، آية: ٢٠٠.

(٣) التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور، ٢٠٨/٤/٢.

(٤) سورة الأنفال، آية: ٦٠.

روي عن عطاء بن أبي رباح قال: ((رَأَيْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ، وَجَابِرَ بْنَ عُمَيْرٍ الأَنْصَارِيِّ رضي الله عنهما يَرْتَمِيَانِ، فَمَلَّ أَحَدُهُمَا فَجَلَسَ، فَقَالَ لَهُ الآخَرُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: كُلُّ شَيْءٍ لَيْسَ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَهُوَ لَهْوٌ، أَوْ سَهْوٌ إِلاَّ أَرْبَعَ خِصَالٍ: مَشْيَ الرَّجُلِ بَيْنَ الْغَرَضَيْنِ، وَتَأْدِيبَهُ فَرَسَهُ، وَمُلاَعَبَتَهُ أَهْلَهُ، وَتَعْلِيمَ السِّبَاحَةِ))[1].

وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: «يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ، يَقُولُ ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾[2]؛ أَلاَ إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ. أَلاَ إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ. أَلاَ إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ»[3].

وعن عمر رضي الله عنه قال: « كانت أموالُ بني النَّضيرِ ممَّا أفاءَ اللهُ على رسولهِ ﷺ ممّا لم يُوجِفِ المسلمون عليهِ بخَيلٍ ولا رِكاب، فكانت لرسول الله ﷺ خاصةً، وكان يُنفِقُ على أهلهِ نَفَقةَ سَنَتهِ، ثمَّ يجعلُ ما بقيَ في السلاحِ والكُراعِ عُدَّةً في سبيلِ الله»[4].

وعن عبدالرحمن بن شماسة: «أَنَّ فُقَيْمًا اللَّخْمِيَّ قَالَ لِعُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ: تَخْتَلِفُ بَيْنَ هَذَيْنِ الْغَرَضَيْنِ، وَأَنْتَ كَبِيرٌ يَشُقُّ عَلَيْكَ. قَالَ عُقْبَةُ: لَوْلاَ كَلاَمٌ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ، لَمْ أُعَانِيهِ. قَالَ الْحَارِثُ: فَقُلْتُ لاِبْنِ شُمَاسَةَ: وَمَا ذَاكَ؟ قَالَ: إِنَّهُ قَالَ «مَنْ عَلِمَ الرَّمْيَ ثُمَّ تَرَكَهُ، فَلَيْسَ مِنَّا، أَوْ قَدْ عَصَى»[5].

وعن علي رضي الله عنه قال: « ما رأيتُ النبي ﷺ يُفَدِّي رجُلاً بعد سعدٍ - وكان راميًا - سمعتهُ يقول: "ارْمِ فِداكَ أبي وأمِّي"»[6].

(١) أخرجه الطبراني في الكبير ١٧٨٥، وصححه الألباني (سلسلة الأحاديث الصحيحة، ٣١٥).

(٢) سورة الأنفال، آية: ٦٠ .

(٣) أخرجه مسلم ١٩١٧.

(٤) أخرجه البخاري ٢٩٠٤، ومسلم ١٧٥٧.

(٥) أخرجه مسلم ١٩١٩.

(٦) أخرجه البخاري ٢٩٠٥، ومسلم ٢٤١١.

ولقد كان رسول الله ﷺ يغرس في نفس المسلمين المنافسة والإقبال على تعلم فنون القتال، ويثنى على ذلك.

فروى عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال: «مرَّ النبيُّ ﷺ على نفرٍ من أسْلَم ينتضلون، فقال النبيُّ ﷺ: ارْموا بني إسماعيلَ، فإنَّ أباكم كان راميًا، ارْموا وأنا معَ بني فلان. قال: فأمسَكَ أحدُ الفَريقينِ بأيديهم، فقال رسول الله ﷺ: مالَكم لا تَرْمون؟ قالوا: كيفَ نَرْمي وأنت معهم؟ فقال النبيُّ ﷺ: ارموا فأنا معكم كلِّكم»[1].

وقوله "ينتضلون" أي يترامون، والتناضل الترامي للسبق، وفي الحديث تنويه بذكر الماهر في صناعته ببيان فضله وتطييب قلوب من هم دونه، وفيه حسن خلق النبي ﷺ ومعرفته بأمور الحرب، وفيه الندب إلى اتباع خصال الآباء المحمودة والعمل بمثلها وفيه حسن أدب الصحابة مع النبي ﷺ[2].

وذلك أمر من الله بالإعداد وأخذ الأهبة والاستعداد والحذر والحيطة قدر الطاقة والإمكان والاستطاعة[3].

وذلك عملاً بعموم قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ﴾[4]، قال ابن عطية احذروا واستعدوا بأنواع الاستعداد من أخذ السلاح وغيره[5]، وذلك أن أخذ الحيطة والبقاء على أهبة الاستعداد يجنب الأمة الأخطار الكثيرة[6].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: بيان فضل وثواب الرباط والجهاد في سبيل الله:

لقد تضافرت النصوص القرآنية والنبوية على بيان عظم ما أعد الله للمجاهدين

---

(١) أخرجه البخاري ٢٨٩٩.

(٢) فتح الباري، ابن حجر ١٠٨/٦.

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٨٠/٤.

(٤) سورة النساء، آية: ٧١ .

(٥) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية الأندلسي، تحقيق: عبدالله بن إبراهيم الأنصاري وآخرين ١٧٢/٤.

(٦) انظر: موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين ١٨٢٢/٥.

والمرابطين في سبيل الله، من عظيم الأجر وجزيل الثواب، ومن ذلك ما جاء في الحديث من قول رسول الله ﷺ: "رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها، وموضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها، والروحة يروحها العبد في سبيل الله تعالى أو الغدوة خير من الدنيا وما عليها"، وجاء التعبير في الحديث بقوله: "وما عليها" للمبالغة[1]، وهذا الحديث من صرائح الأدلة في عظم أجر المرابطة والجهاد في سبيل الله[2]، ففي الحديث أخبر النبي ﷺ أن صغير الزمان، وصغير المكان، في الآخرة خير من طويل الزمان وكبير المكان في الدنيا، تزهيدًا فيها وتصغيرًا لها وترغيبًا في الجهاد إذ بهذا القليل يعطيه الله في الآخرة أفضل من الدنيا وما فيها، فما ظنك بمن أتعب نفسه وأنفق ماله[3]، وذلك لما للجهاد من أهمية، فهو الوسيلة لحماية العقيدة، وتأمين الدعوة، ونشر الشريعة، شريعة التوحيد والحق والعدل والخير[4].

لذا جاءت النصوص التي تبين ما أعده الله للمجاهدين والمرابطين من ثواب وأجر، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[5]، وعن فضال بن عبيد رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «كُلُّ مَيِّتٍ يُخْتَمُ عَلَى عَمَلِهِ إلاَّ الْمُرَابِطَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَإِنَّهُ يَنْمو لَهُ عَمَلُهُ إلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَيُؤَمَّنُ مِنْ فتَّانِ الْقَبْرِ»[6].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٠١/٦.

(٢) انظر: شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٢٠٨.

(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٣٩٦.

(٤) السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة، د. محمد بن محمد أبو شهبة ص ٨٤.

(٥) سورة التوبة، آية: ١١١.

(٦) أخرجه مسلم، ١٥٦.

ثالثًا- من أساليب الدعوة: الترغيب:

جاء أسلوب الترغيب في الحديث جليًا واضحًا، حيث رغب النبي ﷺ في الرباط والجهاد في سبيل الله بثواب لا يعادله ثواب، ونعيم لا يدانيه نعيم الدنيا بأسرها لو تصور أنها كانت لإنسان، فقال ﷺ: "رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها، وموضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها، والروحة يروحها العبد في سبيل الله تعالى أو الغدوة خير من الدنيا وما عليها". وأسلوب الترغيب من أجدى الأساليب الدعوية نفعًا وأعظمها أثرًا، وذلك أن الإنسان إذا علم بما أعده الله له من ثواب تولدت عنده الرغبة الصادقة في أن يكون من مستحقيه، وسعى له سعيه، فكان من المتقين ومن المحسنين، ومن الذاكرين، ومن الأوابين المنيبين الذين: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾[1]، [2]، وثمرة الترغيب تكمن وتتجلى في حث المؤمن على الرغبة فيما عند الله، والرهبة من عقابه. وذلك يجعله تتوق نفسه إلى ما أعده الله لعباده الطائعين فيزداد طاعة وتقوى ويتولد عنه من الأمل ما يبعثه على النشاط والعمل للدار الآخرة.

---

(١) سورة السجدة، آية: ١٦.

(٢) انظر: موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين ٢١٢٧/٦.

الحديث رقم (١٢٩٣)

١٢٩٣- وعن سَلْمَانَ رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ، يقول: ((رِبَاطُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ خَيْرٌ مِنْ صِيَامِ شَهْرٍ وَقِيَامِهِ، وَإِنْ مَاتَ فيه جَرَى عَلَيْهِ عَمَلُهُ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُ، وَأُجْرِيَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ، وَأَمِنَ الفَتَّانَ)) رواه مسلم[١].

ترجمة الراوي:

سلمان الفارسي: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤٢٠).

غريب الألفاظ:

رباط يوم وليلة: الرباطُ : ملازمة المكان الذي بين المسلمين والكفار لحراسة المسلمين منهم[٢].

وأمن الفتّان: أي فتّانَيْه وهما: منكر ونكير، من الفَتْن: الامتحان والاختبار[٣].

الشرح الأدبي

هذه بشريات كثيرة جاءت على لسان الصادق الأمين ﷺ بأسلوب خبري يدل على أن الله تعالى قد أعلى منزلته، وأطلعه على هذا الجزاء السار للمجاهدين في سبيل الله تعالى " والرباط " جاء من المرابطة، وكأن المجاهد قد " ربط " نفسه للدفاع عن حرمات الأمة، وأعراضها، وأموالها، ولذا فإن ثواب المرابطة أفضل من صيام شهر، وقيامة كما جاء في الحديث؛ لأن الصائم هو المستفيد من صيامه وقيامه – أما " المرابط " فيفيد المجتمع بصفة كلية، ويستفيد هو ضمناً ويكافأ المرابط بثلاثة أشياء: أولها: إن مات جرى عليه ثواب عمله، وثانيها: وأجرى عليه رزقه – وثالثها: وأمن الفتان، وجاءت

---

(١) برقم (١٦٣/١٩١٣). أورده المنذري في ترغيبه (١٨٢٩).

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٠١/٦.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ف ت ن)، وعون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ١٠٨٩.

الأفعال الماضية في هذه البشريات السارة لتدلل على أن هذه الأمور محققه بلا ريب، ولا شك فهو يجرى عليه ثواب عمله الذي كان يعمله في الدنيا، وكذلك رزقه لزويه من، بعده، ويأمن من فتنة القبر، وسؤال الملكين؛ لأنه تسبب في جلب الأمن إلى المجتمع فأمنه الله تعالى من فزع القبر، وسؤاله.

المضامين الدعوية[1]

أولاً: من موضوعات الدعوة: بيان النبي ﷺ للأمور الغيبية.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الحث على الرباط في سبيل الله وبيان فضل ذلك.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: ثواب رباط يوم وليلة في سبيل الله.

رابعًا: من أهداف الدعوة: استنهاض المدعوين للجهاد في سبيل الله.

خامسًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً- من موضوعات الدعوة: بيان النبي ﷺ للأمور الغيبية:

إن من معجزات الرسول ﷺ ودلائل نبوته ما اطلع عليه من الغيوب الماضية والمستقبلية وما أطلعه الله عليه من ثواب الأعمال وإخباره عنها[2]، ومن ذلك ما جاء في الحديث من بيانه ﷺ لثواب الرباط في سبيل الله تعالى "كل ميت يختم على عمله إلا المرابط في سبيل الله، فإنه ينمي له عمله إلى يوم القيامة، ويؤمن فتنة القبر" فكما جاءت الأدلة تدل على أن الله قد اختُصَّ بمعرفة علم الغيب وأنه استأثر به دون خلقه جاءت أدلة أخرى تفيد استثناء الله من خلقه من ارتضاه من رسله فأطلعه على بعض غيبه، قال تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا﴾[3]، وقال القاضي عياض: "وهذه المعجزة من

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث - ١٢٩٣ - مع المضامين الدعوية للحديث رقم ١٢٩٤.

(٢) انظر: موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين ٥٤٢/١.

(٣) سورة الجن، الآيتان: ٢٦-٢٧.

جملة معجزاته ﷺ المعلومة على القطع الواصل إلينا خبرها على التواتر"[١].

فقد اشتهر وانتشر أمره ﷺ بإطلاع الله له على المغيبات: فروى عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما، قال: «قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ ﷺ قَائِمًا فَمَا تَرَكَ شَيْئًا يَكُونُ فِي مَقَامِهِ ذَلِكَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ إلاَّ حَدَّثَهُ، حَفِظَهُ مَنْ حَفِظَهُ، وَنَسِيَهُ من نسيهِ»[٢].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: الحث على الرباط في سبيل الله وبيان فضل ذلك:

إن أخذ الأهبة والاحتياط ومرابطة الثغور وحراستها من الفضائل التي حث عليها الإسلام[٣]، ومن ذلك ما جاء في الحديث، "رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه، وإن مات فيه جرى عليه عمله الذي كان يعمل، وأجرى عليه رزقه وأَمِن الفتّان". وذلك من إعداد العدة التي أوجبها الله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾[٤]، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[٥].

ففي هذه الآية يوصي الله عز وجل المسلمين ويحضهم على الصبر على الطاعات وعن الشهوات؛ فقال (وصابروا) ومعناه مصابرة الأعداء، وهو قول الجمهور وقيل على الصلوات وقيل إدامة مخالفة النفس عن شهواتها فهي تدعو وهو ينزع، وقوله (رابطوا) من المرابطة أي رابطوا أعداءكم، والرباط هو الملازمة في سبيل الله أصله من ربط الخيل، ثم سمي كل ملازم لثغر من ثغور الإسلام مرابطًا فارسًا كان أو راجلاً.

وعن فُضَالة بن عبيد رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «كُلُّ مَيِّتٍ يُخْتَمُ عَلَى عَمَلِهِ

---

(١) كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى، القاضي عياض ٣٢٩/١.

(٢) أخرجه البخاري ٦٦٠٤، ومسلم ٢٣.

(٣) انظر: الجهاد، ميدانية وأساليبه، د. محمد نعيم ياسين، مكتبة الأقصى، عمان، ط٢، ١٤٠١هـ/١٩٨١م، ص١٥٤.

(٤) سورة الأنفال، آية: ٦٠.

(٥) سورة آل عمران، آية: ٢٠٠.

إلاَّ الْمُرَابِطَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَإِنَّهُ يَنْمو لَهُ عَمَلُهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَيُؤْمَّنُ مِنْ فِتَّان الْقَبْرِ»[١]، فبيان أجر الرباط في سبيل الله وعِظَمه، دلالةٌ على أهمية الجهاد في سبيل الله في إقرار الأمن وعموم السلام، فلولا الجهاد لاستفحل الشر ولفسدت الأرض[٢]، فالإسلام شرع الجهاد ضمانًا لرد الاعتداء، ودفعًا للظلم، لتتوافر للناس حرياتهم وتسلم لهم مقدساتهم، وإن تأمين الناس ورفع الفتنة التي يمتد لهيبها إلى الإنسانية دون تفرقة، قوة أمن ذاتية تقوم مع الإسلام بشكل طبيعي عادلة معتدلة، لتنحسر الفتنة وينكمش الفساد[٣]، ﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾[٤].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: ثواب رباط يوم وليلة في سبيل الله:

لقد جاءت النصوص مبينة فضل الرباط في سبيل الله تعالى والسهر لحماية البلاد من الأعداء، وقت السلم فضلاً عن الحرب، وأن نعيم الجنة لا يعادله نعيم، وبيان أن الرباط أفضل العبادات، لأن نفعه متعد إلى الغير، ونفع العبادة مقتصر على صاحبها، وبيان أنه سبب في النجاة من عذاب القبر واستمرار أجر العمل بعد الموت، كما لو كان حيًا إلى يوم القيامة والتمتع برزق الجنة بعد الموت[٥]. ولما كان للرباط في سبيل الله من منزلة اختص الله سبحانه وتعالى صاحبه ببعض الفضائل التي لا يشاركه فيها أحد[٦]، ومنها ما جاء في الحديثين من التصريح بعظم ثواب الرباط في سبيل الله، وبيان فضله، وذلك لما فيه من إعلاء كلمة الله وحفظ دين الله وحفظ المسلمين، فقال ﷺ: "رباط يوم وليلة في سبيل الله خير من صيام شهر وقيامه، وإن مات جرى عليه عمله الذي كان

---

(١) أخرجه مسلم ١٥٦.

(٢) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين ١٥٠٥/٤.

(٣) الدعوة الإسلامية، دعوة عالمية، الشيخ محمد الراوي، ص ٥١٩.

(٤) سورة الأنفال، آية: ٧٣.

(٥) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم، ص٦٣٥.

(٦) انظر: شرح صحيح مسلم، النووي، ص ١٢٢٤.

يعمل وأجرى عليه رزقه وأمن الفتان". وقال: ((كُلُّ مَيِّتٍ يُخْتَمُ عَلَى عَمَلِهِ إِلاَّ الْمُرَابِطَ فِي سَبِيلِ اللهِ، فَإِنَّهُ يُنْمى لَهُ عَمَلَهُ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ، وَيُؤَمَّنُ فِتْنَةَ القَبْرِ)).

قال القاضي عياض: وهذه فضيلة مختصة بالمرابط. أن عمله يجرى له أجره بعد موته[1]. وقال العظيم آبادي "في شرح الحديث" ينمي له عمله " أى أن ثوابه يجري له دائمًا ولا ينقطع بموته وقوله "يؤمن فتنة القبر" يحتمل أن يكون المراد أن الملكين لا يجيئان إليه، ولا يختبرانه بل يكفي موته مرابطًا في سبيل الله شاهدًا على صحة إيمانه، ويحتمل أنهما يجيئان إليه لكن لا يضرانه ولا يحصل بسبب مجيئهما فتنة[2]، واستحق المرابط في سبيل الله هذا الثواب لما للجهاد والرباط في سبيل الله من منزلة جعلته أفضل الأعمال، إذ أنه وسيلة إلى إعلان الدين ونشره، وإخماد الكفر ودحضه[3]، فليس ثمة عمل يعدله[4].

والمراد بالرباط في أحاديث الجهاد الإقامة في ثغر للحراسة وأصله من ارتباط الخيل في الثغر للحرس، وقال أبو عمر: "شرع الجهاد لسفك دماء المشركين وشرع الرباط لصون دماء المسلمين، وصون دماء المسلمين أحب إلى من سفك دماء المشركين"، وهذا يدل على أن الرباط أفضل عنده من الجهاد، وقد اختلف في ذلك، فقيل الجهاد أفضل، وقيل الرباط أفضل، وقوله "وإن مات جرى عليه عمله" قال الأبى: "يعني أن الثواب المرتب على رباط اليوم والليلة يجرى له دائمًا... ولا يعارض هذا الحديث حديث "إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث" إما بأنه لا مفهوم للعدد في الثلاث، وإما بأن يرجع هذا إلى إحدى الثلاث، وهو صدقة جارية[5].

فإن الصدقة الجارية، والعلم المنتفع به، والولد الصالح الذي يدعو لأبويه، ينقطع

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٢٤٢/٦.

(٢) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ١٠٨٩.

(٣) انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٨/٦.

(٤) انظر: موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين ١٥٠٥/٤.

(٥) تكملة فتح الملهم، محمد تقى العثماني ٢٨١/٩.

ذلك بنفاد الصدقات وذهاب العلم وموت الولد، والرباط يضاعف أجره إلى يوم القيامة، لأنه لا معنى للنماء إلا المضاعفة، وهي غير موقوفة على سبب فتنقطع بانقطاعه، بل هي فضل دائم من الله تعالى إلى يوم القيامة، وهذا لأن أعمال البر كلها لا يتمكن منها، إلا بالسلامة من العدو، والتحرز منه بحراسة بَيْضة الدين وإقامة شعائر الإسلام، وهذا العمل الذي يجرى عليه ثوابه هو ما كان يعمله من الأعمال الصالحة"[1].

قال النووي: هذه فضيلة ظاهرة للمرابط، وجريان عمله عليه بعد موته فضيلة مختصة به لا يشاركه فيها أحد، وقد جاء ذلك صريحًا فيما روى عن فضالة بن عبيد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "كل ميت يختم على عمله إلا المرابط في سبيل الله، فإنه ينمي له عمله إلى يوم القيامة، ويؤمن من فتنة القبر"[2]، وقوله:"أجرى عليه رزقه" موافق لقوله تعالى: ﴿أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾[3]،[4]، وقوله "أمن الفتان" قال الشيخ ابن عثيمين: "أنه يأمن من فتنة القبر"[5].

رابعًا- من أهداف الدعوة: استنهاض المدعوين للجهاد في سبيل الله:

إن من الأهداف الرئيسة للدعوة استنهاض همم المدعوين للجهاد في سبيل الله، وذلك ببيان الثواب المترتب على الجهاد وبذل النفس والمال في سبيل الله تعالى، كما جاء في الحديث "رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه، وإن مات جرى عليه عمله الذي كان يعمل، وأجرى عليه رزقه وأمن الفتان" ، ولا يقف الإسلام في سبيل إعداد الأمة وتربيتها على القوة عند حد رفع الروح المعنوية، بالمفهوم الشائع الصغير، ولا يعتمد إلى استثارة حماسة العاطفة أو التعصب، بل يصل إلى غايته بالتربية العميقة الهادئة والإيمان الراسخ بالحق والتمسك الكامل بالمنهج والطاعة الواعية لأوامر الله، والجهاد الدائم

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٣٢٢/٤/٢-٣٢٥.

(٢) أخرجه ابي داود، ٢٥٠٠، والترمذي، ١٦٢١، وصححه الألباني (صحيح سنن ابي داود، ٢١٨٢).

(٣) سورة آل عمران، آية : ١٦٩ .

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي، ص ١٢٢٤.

(٥) شرح رياض الصالحين ١٤٤٠/٢، ١٤٤١.

لخير بني الإنسان، وتحقيقًا لهذا الإيمان والتربية والتجرد الكامل لله تعالى عقد القرآن بين الله سبحانه وبين المؤمنين مبايعة اشترى الله فيها أنفسهم وأموالهم بالجنة[١].

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[٢].

وهذا من بالغ فضله وعظيم إحسانه، بأن اشترى من العباد إتلاف أنفسهم وأموالهم في طاعته، وإهلاكها في مرضاته، وأعطاهم سبحانه الجنة عوضًا عنها إذا فعلوا ذلك، وهو عوض عظيم لا يدانيه المعوض ولا يقاس به[٣].

وجاءت النصوص النبوية الكثيرة في التحفيز على الجهاد في سبيل الله ومنها ما روى عن أبي هريرة ﵁ عن النبي ﷺ قال: «لا يَلِجُ النَّارَ رَجُلٌ بَكَى مِنْ خَشْيَةِ الله حتى يَعُودَ اللَّبَنُ فِي الضَّرْعِ، ولا يَجْتَمِعُ غُبَارٌ في سبيلِ الله وَدُخَانُ جَهَنَّمَ»[٤].

إن المجتمع الذي يسعى لأن يكون مجتمعًا إسلاميًا وربانيًا لابد أن يجاهد في الله حق جهاده، كما قال تعالى: ﴿وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾[٥].

وحق الجهاد هو التصدي لكل عدو يقف أمام دعوة الله، وممارسة جميع الأنواع التي يتم بها صيانة دماء المسلمين، وتعبيد الطرق وإزالة العقبات من أمام الدعوة إلى الله تعالى.

إن ترك ثغرة من الثغور وفسح المجال لعدو من الأعداء ليس مقبولاً في الدين الإسلامي.

---

(١) الجهاد في الإسلام، محمد شديد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٠هـ، ١٩٨٠م، ص٩٧، ١١٢.

(٢) سورة التوبة، آية: ١١١.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٢٦٧/٨/٤.

(٤) أخرجه الترمذي، ١٦٣٣، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي، ١٣٣٣).

(٥) سورة الحج، آية: ٧٨ .

إن قيمة جهاد المؤمن عند الله تعالى هو مقدار التضحية التي يقدمها بجهاده في سبيل الله تعالى: فما كان أشد تضحية كان أفضل عند الله عز وجل، وأثقل في الميزان لدلالته على قوة الإيمان بالله وشدة الثقة بما عنده.

ولاشك في أن التضحية بالنفس هي أعلى أنواع التضحية وأكرمها عند الباري تبارك وتعالى، إذ أثمن ما يملك العبد نفسه، وهي أصل كل ثمين، ومرجع كل لذة في هذه الحياة الدنيا، فمن ضحى بها بذل كل ما يملك ولا يَسْتَبْقِ لنفسه شيئًا، وإنما قدمه في سبيل ربه.

فإن كانت نيته خالصة لله تعالى، كان أكرم الشهداء عند رب العباد.

ولذلك قال الله تعالى: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾(١).

وقال عز وجل : ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٩ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾(٢)، (٣).

خامسًا- من أساليب الدعوة: الترغيب:

ورد أسلوب الترغيب في الحديث جليًا واضحًا، حيث رغب النبي ﷺ في الرباط في سبيل الله بما يترتب على ذلك من خصوصيات وأفضلية، منها: جريان ثواب العمل والأمن من فتنة سؤال مَلَكَيْ القبر، كما جاء في الحديث "كل ميت يختم على عمله إلا المرابط في سبيل الله، فإنه ينمي له عمله إلى يوم القيامة، ويؤمن فتنة القبر"، وأسلوب الترغيب من الأساليب الدعوية النافعة المفيدة وهو وسيلة قوية للتأثير على المدعو

---

(١) سورة النساء، آية: ٩٥ .

(٢) سورة التوبة، الآيتان: ١٩، ٢٠ .

(٣) الجهاد ميادينه وأساليبه، د. محمد نعيم يس، ص٢٣٥-٢٣٨.

وجذبه إلى الدعوة والطاعة رغبة فيما عند الله[١]، وكان الترغيب أكثر الأساليب استخدامًا في القرآن الكريم، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[٢].

وقوله: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾[٣]، إذ أن الترغيب يولد الأمل، ويبعث على النشاط والعمل للآخرة، ويحبب إلى المسلم الطاعات، وينأى به عن المعاصي، ويدفع به إلى مقاومة الشيطان[٤].

(١) قواعد الدعوة الإسلامية، د. الشريف حمدان الهجاري، ص ٤٤١.

(٢) سورة النحل، آية: ٩٧.

(٣) سورة البقرة، آية: ٢٥.

(٤) انظر: موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين ٢١٥٦/٦.

الحديث رقم (١٢٩٤)

١٢٩٤- وعن فَضَالَةَ بن عُبَيْد ﵁ : أنَّ رسول الله ﷺ ، قَالَ: ((**كُلُّ مَيِّتٍ يُخْتَمُ عَلَى عَمَلِهِ إلاَّ المُرَابِطَ**[١] **فِي سَبِيلِ اللهِ، فَإنَّهُ يُنْمى لَهُ عَمَلُهُ إلَى يَوْمِ القِيَامَةِ، وَيُؤَمَّنُ فِتْنَةَ القَبْرِ**)) رواه أبُو داود والترمذيُّ[٢]، وقال: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

فَضَالة بن عُبيد الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٥١٤).

غريب الألفاظ:

المرابط: هو الملازم للثغر [حدود البلاد][٣].

الشرح الأدبي

لقد بني الحديث على الأسلوب الخبري وتحمل كلماته أخباراً تدخل السرور على قلب كل مرابط وترغب في الرباط في سبيل الله لما له من قيمة في نشر الإسلام، وحماية الأمة، وحماية مقدَّراتها، وحماية أفرادها في سبيل الله تعالى – ولفظ "كل" في قوله: "كل ميت يختم على عمله" يفيد الشمول، والاستغراق، ولكن المصطفى علية الصلاة، والسلام يستثنى صنفان من الناس فيقول: "إلا المرابط في سبيل الله فإنه ينمى له عمله إلى يوم القيامة، ويؤمن من فتنة القبر " ونلاحظ أن الرسول الكريم يؤكد مضمون كلامه بأن، والضمير العائد على المرابط لتعظيم الخبر وصرف المخاطبين للعناية به، والفعلين المضارعين "ينمى" و"يؤمن" اللذين يدلان على الاستمرار، والتجدد

---

(١) لفظ الترمذي: (الذي مات مرابطًا)، والمثبت لفظ أبي داود، تبع المؤلف المنذري وهذا لفظه.

(٢) أخرجه أبو داود (٢٥٠٠)، والترمذي (١٦٢١) واللفظ له. وصحّحه ابن حبان (الإحسان ٤٦٢٤)، وقال الحاكم (١٤٤/٢): هذا حديث صحيحٌ على شرط الشيخين ولم يخرجاه. أورده المنذري في ترغيبه (١٨٣٠).

(٣) انظر: عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ١٠٨٩، ومعجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ٣٨٩.

ولا شك أن نمو عمله، وتأمينه من فتنة القبر من أكبر المنح الربانية التي يهبها الله تعالى للمجاهد في سبيله، لأنه أدخل السرور على قلوب المحيطين به، وأمنهم من أعدائهم فأمنه الله تعالى من فتنة تعد من أعظم الفتن على الإطلاق، وهى فتنة القبر، نسأل الله عز وجل أن يثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا، وفى الآخرة. اللهم أمين

المضامين الدعوية[1]

(١) تقدم ذكرها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١٢٩٥)

١٢٩٥- وعن عثمان رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ، يقول: ((رِبَاطُ يَوْمٍ فِي سَبيلِ اللهِ، خَيْرٌ مِنْ ألْفِ يَوْمٍ فِيمَا سِوَاهُ مِنَ المَنَازِلِ)) رواه الترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

عثمان بن عفان: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤٨١).

غريب الألفاظ:

رباط يوم: الرباط: ملازمة المكان الذي بين المسلمين والكفار لحراسة المسلمين منه[2].

الشرح الأدبي

الرسول الكريم يرغب في الجهاد في سبيل الله تعالى بشتى الأساليب فنراه يذكر هنا أن المرابطة في سبيل الله "ليوم" واحد، خير من ألف يوم فيما سواه من المنازل بالنسبة لبقية الأيام التي ليس فيها جهاد، وكلمة "رباط" كلمة موحية بأنه أوقف نفسه لله تعالى، وحبسها عليه مخاطرا بروحه، قائما على خوف دائم حسبة لله -تعالى- وتبين أن الذي يفعل ذلك جعل الله تعالى نصب عينية، ويقوم بذلك من أجله عز وجل - ولذلك تكررت عبارة: "في سبيل الله" في معظم أحاديث الجهاد، لاستحضار النية الصادقة، والهدف الأسمى، والتنكير في كلمة: "يوم" يوحى بأن المعتد به في العمل هو الكيفية، والإتقان، والإخلاص في ذلك العمل، ولو كان قليلاً فيوم واحد بنية صالحة، وعمل خالص خير من ألف يوم بلا نية، ولا إخلاص ،وذكر العدد (ألف) مبالغة في تعظيم الجزاء، لأنه قد يزيد، ولكن لن ينقص مما يشير إلى عظمة المرابطة لحماية ثغور المسلمين، وحماية الأمة، والله أعلم.

---

(١) برقم (١٦٦٧). وصحّحه ابن حبان (الإحسان ٤٦٠٩)، وقال الحاكم (٢/٦٨): هذا حديث صحيحٌ على شرط البخاري ولم يخرجاه. أورده المنذري في ترغيبه (١٨٤٠).

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦/١٠١.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل الرباط في سبيل الله.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: ثواب المرابطين في سبيل الله.

ثالثًا: من مهام الداعية: حض المدعوين على الجهاد في سبيل الله.

أولاً- من موضوعات الدعوة: فضل الرباط في سبيل الله:

إن الصراع بين الحق والباطل سنة كونية، ودائمًا تكون الغلبة في النهاية للحق، لأنه الثابت النافع، كما تكون الهزيمة للباطل لأنه هو الزهوق الضار، وهذه سنة الله التي أبان عنها في كتابه في مثل قوله تعالى: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾[1]، ومن سنن الله: ألا يقوم الحق وحده، وإنما ينهض بالرجال الكبار[2]، الذين وهبوا أنفسهم للحق والدفاع عنه والذود عن حياضه، لذا اختصهم الله بعظيم الأجر وجزيل الثواب، ومن ذلك ما جاء في الحديث من بيان فضل الرباط في سبيل الله تعالى، فقال ﷺ: (رباط يوم في سبيل الله خير من ألف يوم فيما سواه من المنازل)، لما في الرباط من فضل في حفظ حوزة الإسلام، وأمان الأنام في جميع المعاقل والأمصار في سائر الليالي والأيام[3]؛ إذ أن في الرباط حفظًا لثغور الإسلام وصيانتها، ودفعًا عن المسلمين، وعن حريمهم، وقوة لأهل الثغر ولأهل الغزو ولذا قال بعضهم: الرباط هو أصل الجهاد وفرعه[4].

إن الرباط أحد الأمور الرئيسة التي أمرنا الله بإعدادها وملازمتها حماية للإسلام والمسلمين، قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ

---

(١) سورة الأنبياء، آية: ١٨.

(٢) انظر: عناصر القوة في الإسلام، الشيخ سيد سابق ص ٢٣ - ٢٤.

(٣) الاجتهاد في طلب الجهاد، ابن كثير ص ٦١ - ٦٢.

(٤) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢/٧٧.

إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾[1].

حيث الهدف من ذلك هو إرهاب الأعداء وإخافتهم من عاقبة التعدي. ومعنى القوة هنا يتسع ليشمل كل عناصر القوة ماديًا ومعنويًا كالقوة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والأخلاقية والنفسية بالإضافة إلى القوة العسكرية[2]، وذلك كله ما شملته غزوات الرسول ﷺ ضد أعداء الإسلام من كفار ويهود ومنافقين، وبهذا الأمر من الله للمسلمين سلط اللهُ النبيَّ والمسلمين على العدو، والمتربص بهم، والكائد لهم، وذلك من خلال ما أعدوه من القوة رجالاً وسلاحًا لإيجاد الرهبة والخوف والاضطراب في نفس العدو. "وهذا الإرهاب لمنع العدو وزجره حتى لا تحدثه نفسه بالحرب حين يرى القوة الراصدة له"[3]، وذلك ما يُستشف من جميع الغزوات التي خاضها الرسول ﷺ سواء في أحد أو بدر أو غزوة الخندق وخيبر، وحنين، وبني المصطلق التي جميعها أظهرت لأعداء الإسلام الاستعداد التام من خلال مصاولتهم مما أوقع في نفوسهم الرعب[4].

وذلك المراد من الإعداد والتيقظ، كما جاء في صريح الآية: ﴿ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ﴾[5].

قال القاسمي في تفسير هذه الآية: "دلت هذه الآية على وجوب إعداد القوة الحربية، اتقاءً لبأس العدو وهجومه. ولَمَّا عمل الأمراءُ بمقتضى هذه الآية، أيام حضارة الإسلام، كان الإسلام عزيزا عظيمًا، أَبيُّ الضيم، قوي القنا جليل الجاه، وفير السنا، إذ نشر لواء سلكته على منبسط الأرض، فقبض على ناصية الأقطار والأمصار، وخضد شوكة المستبدين الكافرين، وزحزح سجوف الظلم والاستعباد وعاش بنوه أحقابًا

---

(١) سورة الأنفال، آية: ٦٠.

(٢) النظريات الإسلامية في الحرب النفسية، محمد جمال الدين محفوظ، القاهرة: ١٩٨١م، ص ٢٤.

(٣) المدرسة العسكرية الإسلامية، محمد فرج، المكتبة العصرية، بيروت: ١٩٩٧م، ص ١٣٢.

(٤) غزوة حنين، محمد أحمد باشميل ص ١١.

(٥) سورة الأنفال، آية: ٦٠.

متتالية، وهم سادة الأمم، وقادة وشعوب، وزمام الحول والطول وقطب رحى العز والمجد، لا يستكينون لقوة، ولا يرهبون لسطوة. وأما اليوم فقد ترك المسلمون العمل بهذه الآية الكريمة، ومالوا إلى النعيم والترف فأهملوا فرضًا من فروض الكفاية، فأصبحت جميع الأمة آثمة بترك هذا الفرض. ولذا تعاني اليوم من غصته ما تعاني. وكيف لا يطمع العدو بالممالك الإسلامية، ولا ترى فيها معامل للأسلحة، وذخائر للحرب بل كلها مما يشترى من بلاد العدو؟ أما آن لها أن تتنبه من غفلتها، وتنشئ معامل لصنع المدافع والبنادق والقذائف والذخائر الحربية؟ فلقد ألقى عليها تنقص العدو بلادها من أطرافها درسًا يجب أن تتدبره، وتتلافى ما فرطت به قبل أن يداهم ما بقى منها بخيله ورَجلِهِ، فيقضى - والعياذ بالله- على الإسلام وممالك المسلمين، لاستعمار الأمصار، واستعباد الأحرار، ونزع الاستقلال المؤذن بالدمار. وبالله الهداية.

وقوله تعالى: (آخرين) أي وترهبون قومًا آخرين (من دونهم) أي من دونَ منْ يُظْهر عداوتكم، وهم المنافقون (لا تعلمونهم) أي أنهم يعادونكم (الله يعلمهم) أي أنهم أعداؤكم، يظهرون عداوتهم إذا رأوا ضعفكم. ثم شجعهم سبحانه على إنفاق المال في إعداد القوة، ورباط الخيل، مبشرًا لهم بتوفية جزائه كاملاً، بقوله تعالى: (وما تنفقوا من شيء في سبيل الله) أي الذي أوضحه الجهاد (يوف إليكم) أي في الدنيا من الفئ والغنيمة والجزية والخراج، وفي الآخرة بالثواب المقيم (وأنتم لا تظلمون) أي بترك الإثابة"[1].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: ثواب المرابطين في سبيل الله:

إن مما هو معلوم أنه لا بد للمجتمع من حماية ونظام دفاعي يرد عدوان الطامعين، ويدفع عادية المهاجمين، ويخيف المتربصين المتآمرين[2]، ومن هنا كان تشريع الإسلام للجهاد وبيان فضل وثواب الرباط في سبيل الله وإعداد الله لأهله ما لم يعده لغيرهم، ومن ذلك الثواب: ما جاء بيانه في الحديث، فيقول ﷺ: (ورباط يوم في سبيل الله خير

---

(١) محاسن التاويل، جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي ٨٥/٨/٥ - ٨٦.

(٢) تاريخ الدعوة، د. محمد إبراهيم الجيوشي ص ١٢٨.

من ألف يوم فيما سواه من المنازل)، أي: خير من ألف يوم فيما سوى الرباط أو فيما سوى سبيل الله[١]، والقصد من ذلك الإخبار بتضعيف أجر المرابط في سبيل الله على غيره[٢].

إضافة إلى ما جاء في النصوص الأخرى من جريان ثواب عمله عليه إلى يوم القيامة وعدم انقطاعه، فعن فضالة بن عبيد رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: ((كُلُّ المَيِّتِ يُخْتَمُ عَلَى عَمَلِهِ إلاَّ المُرَابِطُ فإنَّهُ يَنْمُو لَهُ عَمَلُهُ إلى يَوْمِ القِيَامَةِ وَيُؤَمَّنُ مِنْ فُتَّانِ القَبْرِ))[٣].

ولذا جاءت الأحاديث عَادَةً فَضْلَ الرباط في سبيل الله بأنه سبب للوقاية من فتنة القبر وغيره، وأنه ليس كغيره من الأعمال، وأن المرابط إذا مات أجرى عليه عمله الذي كان يعمله دونما انقطاع وإنما استحقه المرابط في سبيل الله هذا الأجر وأكرم بهذا الثواب؛ لأن المرابط في سبيل الله مُعرض للقتل إذا ما أغار عليه العدو، والرباط في سبيل الله نفعه متعد، حيث إن هذه الثغور إن لم تحرس أغار منها الأعداء على المسلمين، فيكون وجود هذا المرابط في هذه الثغور حاجزًا منيعًا أمام الأعداء، فيأمن الناس على نفوسهم وأموالهم، فحُقَّ لمن كان سببًا في أمان الناس واطمئنانهم وعدم ترويعهم أن يؤمنه الله ويطمئنه ولا يروّعه في قبره، والجزاء من جنس العمل.

وإن مات في رباطه هذا أجرى الله تعالى له عمله ونماه له إلى يوم القيامة. فيكون في قبره آمنًا من عذاب الله، ويجرى له ما كان يعمله من رباط وعمل إلى يوم بعثه، ويوم حشره. وفي ذلك ترغيب وتشجيع للمسلم للدفاع عن المسلمين وديارهم ودينهم من عدوهم وعدو ربهم. فمن كان كذلك آمن من فتنة القبر[٤].

ثالثًا- من مهام الداعية: حض المدعوين على الجهاد في سبيل الله:

من مهام الداعية الواجب عليه الاضطلاع بها تحفيزُ المدعوين على الجهاد والمرابطة

---

(١) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٤٨١/٢.

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٣٩٨.

(٣) أخرجه مسلم ١٥٦.

(٤) التوحيد وأثره على العبيد، خميس السعيد محمد ص ٥٤٩.

في سبيل الله، وترغيبهم فيه ببيان الأجر المترتب عليه، ومنه ما جاء في قوله ﷺ: (رباط يوم في سبيل الله خير من ألف يوم فيما سواه من المنازل)، وذلك تمشيًا مع توجيه الوحي وسياسة الواقع، وحفاظًا على حق الله تعالى، وحق الحياة[1]، قال تعالى: ﴿فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ وَحَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأۡسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأۡسٗا وَأَشَدُّ تَنكِيلٗا﴾[2]، أي: حرض المؤمنين على القتال ورغبّهم فيه وشجعهم عنده، فتنبعث هممهم على مناجزة الأعداء ومدافعتهم عن حوزة الإسلام وأهله ومقاومتهم ومصابرتهم[3]. وهذا يشمل كل أمر يحصل به نشاط المؤمنين، وقوة قلوبهم من تقويتهم والإخبار بضعف الأعداء وفشلهم وبما أعد للمقاتلين من الثواب، وما على المتخلفين من العقاب، فهذا وأمثاله كله يدخل في التحريض على القتال[4].

---

(١) فقه السيرة، الشيخ محمد الغزالي ص ٢٠٩.

(٢) سورة النساء، آية: ٨٤.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٢/٣٦٧ - ٣٦٨.

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ١٥٤.

الحديث رقم (١٢٩٦)

١٢٩٦- وعن أَبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((تَضَمَّنَ الله لِمَنْ خَرَجَ فِي سَبيلِهِ، لا يُخْرِجُهُ إِلاَّ جِهَادٌ فِي سَبيلِي، وَإيمَانٌ بِي، وَتَصْدِيقٌ بِرُسُلِي، فَهُوَ ضَامِنٌ عَلَيَّ أنْ أُدْخِلَهُ الجَنَّةَ، أَوْ أُرْجِعَهُ إِلَى مَنْزِلهِ[1] الَّذِي خَرَجَ مِنْهُ بِمَا نَالَ[2] مِنْ أجْرٍ، أَوْ غَنيمَةٍ.

وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، مَا مِنْ كَلْمٍ يُكْلَمُ فِي سَبيلِ اللهِ، إلاَّ جَاءَ يَوْمَ القِيَامَةِ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ[3] كُلِم؛ لَوْنُهُ لَوْنُ دَمٍ، وَرِيحُهُ رِيحُ[4] مِسْكٍ.

وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوْلاَ أنْ يَشُقَّ عَلَى المُسْلِمِينَ مَا قَعَدْتُ خِلاَفَ سَرِيَّةٍ تَغْزُو فِي سَبيلِ اللهِ أبداً، وَلكِنْ لاَ أجِدُ سَعَةً فأحْمِلَهُمْ وَلاَ يَجِدُونَ سَعَةً، وَيَشُقُّ عَلَيْهِمْ أنْ يَتَخَلَّفُوا عَنِّي.

وَالَّذِي نَفْس مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوَدِدْتُ أنْ[5] أغْزُوَ فِي سَبيلِ اللهِ، فَأُقْتَلَ، ثُمَّ أغْزُوَ فَأُقْتَلَ، ثُمَّ أغْزُوَ فَأُقْتَلَ)) رواه مسلم، وروى البخاري بعضه[6].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

تضَمَّنَ: ضَمِنَ[7].

فهو عليّ ضامن: فيه وجهان، أحدهما: أنه بمعنى مضمون كماء دافق ومدفوق، وثانيهما: أنه بمعنى ذو ضمان[8].

---

(١) لفظهما: (مسكنه)، والمثبت لفظ المنذري.

(٢) لفظ مسلم في هذه الرواية: (نائلًا ما نال) والمثبت عنده برقم (١٨٧٦/١٠٤).

(٣) لفظ مسلم: (حين) والمثبت لفظ المنذري.

(٤) (ريح) لا توجد عند مسلم في هذه الرواية، وإنما عنده برقم (١٨٧٦/١٠٥)، وكذا عند المنذري.

(٥) لفظ مسلم: (أني)، والمثبت لفظ المنذري.

(٦) أخرجه مسلم (١٨٧٦/١٠٣)، والذي عند البخاري برقم (٣٦). أورده المنذري في ترغيبه (١٩١١).

(٧) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ض م ن).

(٨) انظر: شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٢٠٧.

غنيمة: الغنمية: ما أصيب من أموال أهل الحرب وأوجف عليه المسلمون بالخيل والركاب[١].

الكَلْم: الجرح[٢].

مِسْك: ضرب من الطيب يتخذ من ضرب من الغزلان[٣].

السرية: طائفة من الجيش يبلغ أقصاها أربعمائة تبعث إلى العدو وجمعها السرايا[٤].

سَعَةً: طاقة وقوة[٥].

الشرح الأدبي

لقد بشر رسول الله ﷺ المجاهدين بالجنة، وذلك عن طريق الفعل الماضي " تضمن الله " أي ضمن الله الجنة، " لمن خرج في سبيله " وهو فعل يدل على تحقق وقوع ذلك الجزاء العظيم من وجوه: أولا: أنه في صورة الماضي المتحقق، ثانيا: من جهة دلالته على الكفالة، والضمان، ثالثا: من جهة نسبة الفعل لله، وما يضمنه الله محقق لا محالة، رابعا: من جهة صيغة (تضمن) وتشديد الفعل وصيغة التفعل التي تفيد مزيد عناية، ومبالغة في التحقق، ثم بيَّن شرط ذلك فقال: " لا يخرج إلا جهاد في سبيلي، وإيمان بي " وتصديق برسلي، فهو ضامن على أن أدخله الجنة " وهو يقرر ضرورة توفر الإخلاص في ذلك ، فالإيمان بالله، والتصديق بالرسل يؤديان إلى البذل، والتضحية بالنفس، والمال ابتغاء مرضاة الله جل في علاه، ونلاحظ أن المصطفى ﷺ أقسم – في هذا الحديث – ثلاث مرات وهو الصادق الذي لا يحتاج إلى قسم، (وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ) ولكنه يؤكد المعنى للمخاطب تعظيما للخبر في نفوس السامعين، وحملا على

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (غ ن م).

(٢) رياض الصالحين ٤٥٨ ، وشرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٢٠٧.

(٣) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (م س ك).

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (س ر ي).

(٥) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (و س ع).

العناية به، ودفعا لتوهم المبالغة لعظمة الثواب التي جعلت الرسول ﷺ، - وهو في مقام النبوة - يتمنى أن يقتل في سبيل الله ثلاث مرات كما أن القسم تكرر ثلاث مرات على إثبات ثلاث معان بلغت من الفضل مبلغا عظيما فيقسم في المرة الأولى أن أي مؤمن يجرح في الدنيا أثناء الجهاد يأتي يوم القيامة بجرحه لونه لون الدم وريحه ريح المسك وهذا التشبيه له بعد نفسي يجعل المجاهد يفرح، ويسر بالجرح بدلا من أن يحزن، ويتألم؛ لأنه يعلم أن هذا الجرح سيكون يوم القيامة نوط شرف في رقبته يوم القيامة عند الله، وفى المرة الثانية يقسم على أنه لا يريد أن يقعد خلف سرية أي لا يريد ترك سرية تخرج دون أن يكون فيها لولا خوفه أن يشق على الأمة بكثرة الخروج للجهاد ليشعرهم أن الجهاد عزهم في الدنيا، وعزهم في الآخرة بما ينالون من الفضائل، وفى المرة الأخيرة يقسم أنه يود أن يغزو ثم يقتل ثم يغزو ثم يقتل ، ،وهو يقرر بهذه الأمنية ويصور بالأفعال المضارعة حياته عبارة عن جهاد متواصل متحقق فيه بذل الروح عدة مرات لبيان منزلة هذا العمل الجليل الذي فيه عز الأمة في الدارين.

فقه الحديث

تشير الأحاديث إلى عدة أحكام منها:

١- بيان فضيلة من يقاتل في سبيل الله، وعلو درجته، ومَالَهُ عند الله من الثواب الجزيل والنعيم المقيم[١].

٢- أن الشهيد لا يزول عنه الدم بغسل ولا غيره، والحكمة في مجيئه يوم القيامة على هيئته أن يكون معه شاهد فضيلته، وبذل نفسه في طاعة الله عز وجل[٢].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: أهمية وفضل الإخلاص في الجهاد في سبيل الله.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: بيان فضل الله تعالى وإكرامه للشهداء يوم القيامة.

---

(١) المنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد سليمان الباجي ٢٠٥/٣، شرح رياض الصالحين لابن عثيمين ٢٩٥/٣.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٢١/١٣، فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٦/٦.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: بيان فضل الله تعالى على المجاهدين في سبيل الله.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: رحمة النبي ﷺ بأصحابه وأمته.

خامسًا: من أهداف الدعوة: حماية الدعوة الإسلامية.

أولاً- من موضوعات الدعوة: أهمية وفضل الإخلاص في الجهاد في سبيل الله:

إن العامل الرئيس في استحقاق ثواب الجهاد في سبيل الله هو الإخلاص في سبيل الله، وذلك كسائر الأعمال، وقد أشير إلى هذا الشرط في الحديث في قوله ﷺ: (تضمن الله لمن خرج في سبيله، لا يخرجه إلا جهاد في سبيلي، وإيمان بي، وتصديق برسلي)، وفي ذلك، بيان فضل الخارج للجهاد، لا يخرجه إلا الجهاد في سبيل الله ويريد لتصديق كلماته الشهادتين وعداوة من أباهما، وقيل: يحتمل أن يريد الأمر بالجهاد وتصديق ما جاء في ثوابه[1].

وقال النووي: "أي: لا يخرجه المُخْرج ويحركه المُحَرّك إلا للجهاد والإيمان والتصديق، ومعناه: (لا يخرجه إلا محض الإيمان والإخلاص لله تعالى)[2]، فإن الله سبحانه لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصًا لوجه الكريم، وقال الفضيل بن عياض في قوله تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾[3]: قال: أخلصه وأصوبه، إن العمل إذا كان خالصًا ولم يكن صوابًا لم يقبل، وإذا كان صوابًا ولم يكن خالصًا لم يقبل حتى يكون خالصًا وصوابًا، وقال: والخالص إذا كان لله عز وجل، والصواب إذا كان على السنة، وقد دل على هذا الذي قاله الفضيل مثل قول الله عز وجل: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَـٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًا﴾[4][5].

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: "وهذان ركنا العمل المتقبل لا بد أن يكون

---

(١) إكمال المعلم، القاضي عياض ٦/٢٩٣ بتصرف.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٢٠٧.

(٣) سورة الملك، آية: ٢.

(٤) سورة الكهف، آية: ١١٠.

(٥) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ١/٧٢.

خالصًا لله صوابًا على شريعة رسول الله ﷺ"[١].

وقال ابن القيم: "العمل بغير إخلاص ولا اقتداء كالمسافر يملأ جرابه رملاً ينقله ولا ينفعه"[٢]. إذ أن الإخلاص هو الأساس في قبول الأعمال[٣].

إن الله عز وجل لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصًا لوجهه، وما عدا ذلك فهو مردود على عامله، يُرد عليه أحوج ما هو إليه هباء منثورًا، لذا كان على أرباب الأعمال أن يخلصوا فيها لله تعالى وأن يحسنوا فيها الإخلاص، قال ابن القيم: "أهل الإخلاص للمعبود والمتابعة، وهم أهل (إياك نعبد) حقيقة، فأعمالهم كلها لله وأقوالهم لله، وعطاؤهم لله ومنعهم لله وحبهم لله ويغضهم لله فمعاملتهم ظاهرا وباطنا لوجه الله وحده لا يريدون بذلك من الناس جزاء ولا شكورا، ولا ابتغاء الجاه عندهم ولا طلب المحمدة والمنزلة في قلوبهم، ولا هربا من ذمهم، بل قد عدوا الناس بمنزلة أصحاب القبور لا يملكون لهم ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا، فالعمل لأجل الناس وابتغاء الجاه والمنزلة عندهم ورجائهم للضر والنفع منهم لا يكون مِنْ عارفٍ بهم ألبتة بل من جاهل بشأنهم، وجاهل بربه، فمن عرف الناس أنزلهم منازلهم، ومن عرف الله أخلص له أعماله وأقواله وعطاءه ومنعه وحبه وبغضه، ولا يعامل أحد الخلق دون الله إلا لجهله بالله وجهله بالخلق، وإلا فإذا عرف الله وعرف الناس آثر معاملة الله على معاملتهم.

وكذلك أعمالهم كلها وعبادتهم موافقة لأمر الله، ولما يحبه ويرضاه، وهذا هو العمل الذي لا يقبل الله من عامل سواه، وهو الذي بلا عباده بالموت والحياة لأجله، قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾[٤]، وجعل ما على الأرض زينة لها ليختبرهم أيهم أحسن عملاً، قال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾[٥].

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ١١٤/٥.

(٢) الفوائد ص ٦٧.

(٣) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين ١٤٠/٢.

(٤) سورة الملك، آية: ٢.

(٥) سورة الكهف، آية: ٧.

إن الله سبحانه وتعالى، قيد قبول العبادات والأعمال بالإخلاص التام لله رب العالمين، وهو قيد في التكليف الإلهي، أن تكون الأعمال في البدء والمنتهى، دينية ودنيوية، لا يقصد بها سوى وجه الله سبحانه وتعالى، وقد صرح القرآن بأن السابقين قد أمروا بذلك، قال تعالى في حق أهل الكتاب: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾[1].

وقد امتدح الله الرسل السابقين بهذا الخُلق، قال تعالى في حق إبراهيم عليه السلام وبنيه: ﴿وَٱذۡكُرۡ عِبَٰدَنَآ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ أُوْلِي ٱلۡأَيۡدِي وَٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخۡلَصۡنَٰهُم بِخَالِصَةٖ ذِكۡرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمۡ عِندَنَا لَمِنَ ٱلۡمُصۡطَفَيۡنَ ٱلۡأَخۡيَارِ ﴿٤٧﴾ وَٱذۡكُرۡ إِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ وَكُلّٞ مِّنَ ٱلۡأَخۡيَارِ﴾[2].

وفي حق يوسف عليه السلام: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾[3].

وفي حق موسى عليه السلام: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مُوسَىٰٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخۡلَصٗا وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا﴾[4]، وبحقه ورد في سورة طه: ﴿وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمۡ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ﴾[5].

وتمثل الإخلاص في أعلى درجاته في رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو صلى الله عليه وسلم الإمام لهذه الأمة، فقد خلد الحق لنا بعض أفعاله في القرآن لنتأسى بها، وهي تطبيق عملي للأوامر

---

(١) سورة البينة، آية: ٥.

(٢) سورة ص، الآيات: ٤٥ - ٤٨.

(٣) سورة يوسف، آية: ٢٤.

(٤) سورة مريم، آية: ٥١.

(٥) سورة طه، الآيتان: ٨٣ - ٨٤.

الإلهية الصادرة إلينا فيما يتعلق بالربانية، فلقد أمرنا الله بالإخلاص في العبادة، بمعنى ألا نقصد بعملنا سوى وجهه، ولا نجعل من ورائها هدفًا إلا مرضاته، قال تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾[1]، ﴿فَٱدْعُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[2].

كما ذكر لنا بعض النعم التي أنعم بها علينا، وأمرنا بعدها بأن نعبده وحده، ولا نخضع لغيره ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[3].

وقد أمر ﷺ أن يجاهر بذلك، وأن يُعلنها صراحة: ﴿قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى﴾[4]،[5].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: بيان فضل الله تعالى وإكرامه للشهداء يوم القيامة:

ورد في الحديث بعض الإشارات إلى بيان فضل الله تعالى وإكرامه للشهداء يوم القيامة.

أولاها بأنه التزام فضلٍ وإحسانٍ[6]، بإدخال الجنة، فقال ﷺ: (تضمن الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه إلا جهادٌ في سبيلي وإيمانٌ بي وتصديقٌ برسلي)، فهو ضامن أن يدخله الجنة أو يرجعه إلى منزله الذي خرج منه بما نال من أجر وغنمية.

---

(١) سورة الأعراف، آية: ٢٩.

(٢) سورة غافر، آية: ١٤.

(٣) سورة غافر، الآيتان: ٦٤ - ٦٥.

(٤) سورة الزمر، الآيات: ١١ - ١٤.

(٥) انظر: المدخل إلى دراسة النظم والثقافة الإسلامية، د. بكر زكي عوض، ١٥٥-١٥٧.

(٦) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٣٩٨.

ومعناه: (تضمن الله...) أنه سبحانه وتعالى أوجبه له بفضله، وقوله أن يدخله الجنة له وجهان:

أحدهما: أن يدخله إياه كما جاء في الشهداء في كتاب الله: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[1].

وثانيهما: يحتمل أن يريد دخوله الجنة عند دخول السابقين، والمقربين لها دون حساب ولا عقاب ولا مؤاخذة بذنب، إذ الشهادة كفارة لما تقدم من ذنوبه، كما روي عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: ((يُغْفَرُ لِلشَّهِيدِ كُلُّ ذَنْبٍ، إلاَّ الدَّيْنَ))[2][3].

وقال النووي: "أوجب الله تعالى له الجنة بفضله وكرمه سبحانه وتعالى، وهذا الضمان والكفالة موافق لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[4]"[5].

"ففي هذه الآية أخبر سبحانه أنه عاوض عباده المؤمنين عن أنفسهم وأموالهم إذ بذلوها في سبيله بالجنة، وهذا من فضله وكرمه وإحسانه، فإنه قَبِل العوضَ عما يملكه بما تفضل به على عباده المطيعين له. ولهذا قال الحسن البصري وقتادة: بايعهم والله فأغلى ثمنهم (يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون) أي سواء قَتَلُوا أو قُتِلُوا أو اجتمع لهم هذا وهذا فقد وجبت لهم الجنة"[6].

---

(١) سورة آل عمران، الآيات: ١٦٩ - ١٧١.

(٢) أخرجه مسلم ١٨٨٦.

(٣) إكمال المعلم، القاضي عياض ٢٩٤/٦.

(٤) سورة التوبة، آية: ١١١.

(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٢٠٧.

(٦) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٢١٨/٤.

قال القاسمي: "لما هدى الله تعالى المؤمنين إلى الإيمان، والأنفس مفتونة بمحبة الأموال والأنفس، استنزلهم لفرط عنايته بهم، عن مقام محبة الأموال والأنفس، بالتجارة المربحة، والمعاملة المرغوبة، بأن جعل الجنة ثمن أموالهم وأنفسهم، فعوض لهم خيرا مما أخذ منهم. فالآية ترغيبٌ في الجهاد وبيان فضيلته، إثر بيان حال المتخلفين عنه.

قال أبو السعود: ولقد بولغ في ذلك على وجهٍ لا مزيد عليه، حيث عبر عن قبول الله تعالى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم التي بذلوها في سبيله تعالى، وإثابته إياهم بمقابلتها الجنة، بالشراء على طريقة الاستعارة التبعية. ثم جعل المبيع الذي هو العمدة والمقصد في العقد، أَنْفُسَ المؤمنين وأموالَهم، والثمن الذي هو الوسيلة في الصفقة، الجنة، ولم يجعل الأمر على العكس بأن يقال: (إن الله باع الجنة من المؤمنين بأنفسهم وأموالهم) ليدل على أن المقصد في العقد هو الجنة، وما بذله المؤمنون في مقابلتها من الأنفس والأموال وسيلة إليها، إيذانًا بتعلق كمال العناية بهم وبأموالهم ثم إنه لم يقل (بالجنة) بل (بأن لهم الجنة) مبالغة في تقرر وصول الثمن إليهم، واختصاصه بهم. وكأنه قيل: (بالجنة الثابتة لهم، المختصة بهم).

وفي (الكشاف) و(العناية) ولا ترى ترغيبًا في الجهاد أحسن ولا أبلغ من هذه الآية، لأنه أبرزه في صورة عَقْدٍ، عاقِدُه ربُ العزة وثمنه ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، ولم يجعل المعقود عليه كونهم مقتولين فقط، بل إذا كانوا قاتلين أيضًا لإعلاء كلمته، ونصر دينه، وجعله مسجلاً في الكتب السماوية، وناهيك به من صك. وجعل وعده حقًا، ولا أحد أوفى من وعده، فنسيئته أقوى من نقد غيره. وأشار إلى ما فيه من الربح والفوز العظيم، وهو استعارة تمثيلية، صور جهاد المؤمنين، وبذل أموالهم وأنفسهم فيه، وإثابة الله لهم على ذلك الجنة، بالبيع والشراء وأتى بقوله (يقاتلون... إلخ) بيانًا لمكان التسليم وهو المعركة، وإليه الإشارة بقوله ﷺ: ((الْجَنَّةَ تَحْتَ ظِلاَلِ السُّيُوفِ))[1]، ثم أمضاه بقوله: (وذلك هو الفوز العظيم). ولما في هذا من البلاغة واللطائف المناسبة للمقام، لم يلتفتوا إلى جعل (اشترى) وحده استعارة أو مجازًا

---

(١) أخرجه البخاري ١٣٤٦.

عن الاستبدال، وإن ذكروه في غير هذا الموضع، لأن قوله (فاستبشروا ببيعكم) يقتضي أنه شراء وبيع، وهذا لا يكون إلا بالتمثيل. ومنهم من جوز أن يكون معنى (اشترى من المؤمنين أنفسهم) بصرفها في العمل الصالح (وأموالهم) بالبذل فيها. وجعل قوله (يقاتلون) مستأنفًا لذكر بعض ما شمله الكلام اهتمامًا به"[١].

وثانيهما: ما جاء في إكرامه يوم القيامة بتطييب الجرح والدم، فقال ﷺ: (والذي نفسُ محمد بيده ما من كَلْم يكلم في سبيل الله إلا جاء يوم القيامة كهيئته يوم كُلِم، لونُه لوْن دم وريحُه ريحُ مسك)، قال النووي: "والحكمة في مجيئه يوم القيامة على هيئته أن يكون معه شاهد فضيلته وبذله نفسه في طاعة الله تعالى"[٢]. وجهاده في سبيل الله هو أفضل الأعمال، قال ابن حجر: قال ابن دقيق العيد: الجهاد أفضل الأعمال مطلقًا؛ لأنه وسيلة إلى إعلان الدين ونشره، وإخماد الكفر ودحضه، ففضيلته بحسب فضيلة ذلك"[٣].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: بيان فضل الله تعالى على المجاهدين في سبيل الله:

جاء في الحديث: بيان فضل الله على المجاهدين في سبيله، بأنه يكرمهم بإحدى الحسنيين، إما الظفر بالشهادة، وإما السلامة والغنيمة، فقال ﷺ: (تضمن الله لمن خرج في سبيله، لا يخرجه إلا جهاده في سبيلي، وإيمان بي، وتصديق برسلي، فهو ضامن أن أدخله الجنة أو أرجعه إلى منزله الذي خرج منه بما نال من أجر أو غنيمة)، وذلك موافق لقوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ﴾[٤]، شهادةٌ أو ظَفَر"[٥]. فلا تنتظرون من حالنا إلا حسنة عاجلة أو حسنة آجلة[٦].

---

(١) محاسن التأويل، جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي ٢٣٢/٨/٥ - ٢٣٣.

(٢) المرجع السابق ص ١٢٠٧ - ١٢٠٨.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٨/٦.

(٤) سورة التوبة، آية: ٥٢.

(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ١٦٢/٤.

(٦) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور ٢٢٤/١٠/٥.

رابعًا- من موضوعات الدعوة: رحمة النبي ﷺ بأصحابه وأمته:

إنه لمن المعلوم من الدين بالضرورة ما اتصف به ﷺ من رحمة خاصة بأمته، قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[١]، ومن مظاهر رحمته ﷺ ما جاء في الحديث في قوله ﷺ: (والذي نفس محمد بيده لولا أن يُشَقّ على المسلمين ما قعدت خلاف سرية تغزو في سبيل الله أبدًا، ولكن لا أجد سعة فأحملهم، ولا يجدون سعة ويشق عليهم أن يتخلفوا عني)، قال القاضي عياض: "قد بيّن في الحديث صورة المشقة، من أنه يشق عليهم التخلف بعده، ولا تطيب أنفسهم بذلك، وأنه لا يقدر على حملهم كلهم، ولا يقدرون هم على ذلك لضيق الحال،وفيه رفقه ﷺ بأمته ورأفته بهم، وأنه يترك من أعمال البر لئلا يتكلفوه هم فيشق عليهم"[٢]، وذلك رحمة منه ﷺ ورعاية لشعور العاجزين عن الخروج للجهاد"[٣].

خامسًا- من أهداف الدعوة: حماية الدعوة الإسلامية:

إن الإسلام عندما شرّع الجهاد، لم يكن بَهَدف البغي والعدوان، وإنما ردًا للعدوان والدفاع عن النفس والأهل والمال والوطن والدين وهذا أمر تقره الفطرة وتقرره الحنيفية السمحة [٤]، قال تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَـٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾[٥]، فالدين الإسلامي دين يسالم من يسالمه، ولا يقاتل إلا من يقاتله، أو يمنع نشر

(١) سورة التوبة، آية: ١٢٨.

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٢٩٦/٦.

(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٣٩٩.

(٤) الدعوة الإسلامية دعوة عالمية، الشيخ محمد الراوي ص ٤٩٥.

(٥) سورة الحج، الآيتان: ٣٩ - ٤٠.

دعوته، ويقطع السبيل في منع إبلاغها للناس، فإنهم بمنع إبلاغها يعدّون معتدين على الدين، وعلى الخلق أجمعين [١]، لذا شرع الجهاد، حماية للدعوة وإزالةً للحجب والحواجز أمامها، وتأمينا لحرية الدعوة، والدعاة، والمدعوين، والدفاع عنهم ضد من يقف في طريقهم، حتى لا يخشى من يريد الدخول في الإسلام الفتنة عن دينه[٢].

ومن ثمّ صار الجهاد فريضة في الإسلام، بغية نشر الدين ورد المعتدين، والأهبة للأمرين على الدوام، فإن الحرب ضرورة واجهها الإسلام، وهو الدين الواقعي بالرأي، وقد أذن الله للمسلمين بالقتال متى ظُلموا أو سُدّت الطريق أمامهم لتبليغ دعوتهم، أو لردع المعتدي[٣].

---

(١) انظر: الجهاد المشروع في الإسلام، عبدالله بن زيد آل محمود، ط٢ مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ص ٩٣.

(٢) غزوة أحد "دراسة دعوية"، محمد بن عيظة بن سعيد بامدحج ص ٦٠.

(٣) سماحة الإسلام، د. عمر بن عبدالعزيز قريشي ص ١٤٩ - ١٥٣.

الحديث رقم (١٢٩٧)

١٢٩٧- وعنه، قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: ((مَا مِنْ مَكْلُومٍ يُكْلَم فِي سَبِيلِ الله إلاَّ جَاءَ يَوْمَ القِيَامةِ، وَكَلْمُهُ يدْمِي: اللَّوْنُ لَوْنُ دَمٍ، وَالرِّيحُ رِيحُ مِسكٍ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

مكلوم: مجروح[2].

مسك: ضرب من الطيب يتخذ من ضرب من الغزلان[3].

الشرح الأدبي

إذا دخل النفي على النكرة أفاد التعميم في الحكم، وهذا ما جاء في هذه البشارة على لسان خاتم الرسل ﷺ عندما قال: " ما من مكلوم يكلم في سبيل الله إلا جاء يوم القيامة، وكلمة يدمى: اللون لون الدم والريح ريح مسك "، وقوله (مكلوم يكلم) جناس يؤكد أثر الجهاد المبارك في الله، وقوله: " في سبيل الله " قد حدد هوية هذا المجروح وأنه جرح في عمل مشروع يحبه الله، ورسوله، لأن حرف الجر " في " يفيد السببية، وربط ذلك بيوم القيامة للترغيب في الإقبال على الجهاد في سبيل الله بالبدن، والمال، والعلم، والجاه، والجملة الحالية: " وكلمة يدمى. .. " تبين هيئة ذلك المسلم الذي جرح، وأصيب في الدنيا، وترسم صورة لذلك المؤمن وأن الله عنده الخير الكثير الذي ينتظره فاللون لون دم، والريح ريح مسك " والتشبيه يشير إلى الاتفاق الموجد للصلة بين، وبين جرح الدنيا، والمفارقة في الأثر لأنه صار بريح المسك لا ألم فيه بل فخر، وسرور به ينبعث من كلمة مسك " تدخل السرور على قلب المتلقي، وتفرض عليه أن يوقن بكلام

(١) أخرجه البخاري (٥٥٣٣) واللفظ له، ومسلم (١٠٥/١٨٧٦). أورده المنذري في ترغيبه (١٩٨٤).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ك ل م).

(٣) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (م س ك).

الله، ورسوله، ولذلك صاغه في ثوب القصر الذي يقصر المكلوم على المجيء على هذه الهيئة الموصوفة بلون الدم، وريح المسك تشريفا له، وإشادة به على رؤوس الأشهاد، ثم إن سوق الخبر بهذا التوكيد بالقصر يرغب في الجهاد في سبيل الله، وتحمُّل تبعاته، وله بُعد نفسي يعالج في النفس خوفها من ألم الجراح، والتشويه، ويحوله إلى سبب للسرور، والفخر، كما عالج في أحاديث أخرى خوف الموت، وألمه، وأخبر بأن الشهيد لا يتألم، ولا يخاف أهوال القبر كغيره بل يؤمن منها، ويدخل الجنة، دون حساب، كما أنه عالج أصوات المعترضين من أهله التي تعترض المجاهد عند خروجه، فأوصى بأهل المجاهد غيره من القاعدين، وضمن له الشفاعة في سبعين منهم، حتى يخرج بنفس مطمئنة، ورضا الجميع.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: بيان هيئة الشهيد يوم القيامة.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل الإخلاص في الجهاد.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: إخبار النبي ﷺ ببعض الأمور الغيبية.

أولاً- من موضوعات الدعوة: بيان هيئة الشهيد يوم القيامة:

حيث جاء ذلك في الحديث في قوله ﷺ: (ما من مكلوم يكلم في سبيل الله إلا جاء يوم القيامة وكلمه يدمي، اللون لون دم والريح ريح مسك)، "وفيه دليل على أن الشهيد لا يزول عنه الدم بغسل ولا غيره، ولعل ترك الغسل والصلاة على الشهداء في سبيل الله، أن يلقوا الله عز وجل بكلومهم، واستغنوا بكرامة الله عز وجل عن الصلاة لهم مع التخفيف على مَنْ بقي من المسلمين، لما يكون فيمن قاتل بالزحف من المشركين من الجراح وخوف عودة العدو ورجاء طلبهم، وهمهم بأهليهم وهم أهليهم بهم، والحكمة في ذلك إبقاء أثر الشهادة عليهم والتعظيم لهم"[1]، قال النووي: "والحكمة في مجيئه يوم القيامة على هيئته أن يكون معه شاهد فضيلته، وبذله نفسه

(١) انظر: كتاب الأم، الإمام الشافعي ٢٣٧/١، ومغني المحتاج، الشربيني الخطيب ٣٤٩/١ - ٣٥٠.

في طاعة الله تعالى"[1]، ويُشهد له على ظالمه بفعله، وفائدة رائحته الطيبة أن ينشهر في أهل الموقف إظهارًا لفضله[2].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: فضل الإخلاص في الجهاد:

إن مما يستنبط من الحديث بيان فضل الإخلاص لله في الجهاد وأنه سبب لقبول الله للجهاد، فقال ﷺ: (ما من مكلوم يكلم في سبيل الله)، فإن صدق النية وإخلاص العمل من أفضل الأعمال وعليه يتوقف قبولها، فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((إِنَّما الأعْمَالُ بالنِّيات)) [3]، قال ابن رجب الحنبلي: "أي أن صلاح الأعمال وفسادها بحسب صلاح النيات وفسادها، فإذا افتقر الجهاد إلى إخلاص النية وغلب عليه الرياء لم يكن له نصيب من القبول، وجاء هذا المعنى في مثل ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((إنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ، رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ. فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا. قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ. قَالَ: كَذَبْتَ. وَلكِنَّكَ قَاتَلْتَ لأَنْ يُقَالَ جَرِيءٌ. فَقَدْ قِيلَ. ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ))[4].

لذا كان أهمية الإخلاص، ويكون بتصفية العمل والقول والعبادة مما يشوبها من رياء ومراءاة أو خداع أو كذب، ويأتي في مراتب عديدة، وهي طرح العمل وعدم رؤيته فضلاً عن طرح طلب العِوض عنه، والخجل من العمل مع بذل الوسع والغاية فيه، مع رؤية التوفيق في العمل المُخلص على أنه جود من الله تعالى، ثم إخلاصه بالخلاص منه، أي جعله خالصًا لوجه الله تعالى[5].

إن الإخلاص في الطاعات واجب، وإن الرياء يفسدها في جميع الطاعات، ومنها باب الجهاد الذي جاءت الأحاديث فيه مصرحة بإبطال الرياء لثواب الجهاد، ومنها ما روي

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٢٠٧.

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٣٩٩.

(٣) أخرجه البخاري ١١، ومسلم ١٩٠٧.

(٤) صحيح مسلم، رقم ١٩٠٥.

(٥) انظر: روضة التعريف بالحب الشريف، الوزير لسان الدين بن الخطيب، تحقيق: عبدالقادر عطا ٢/٤٧٢.

عن أبي موسى الأشعري ﷺ: أَنَّ رَجُلاً أَعْرَابِيًّا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ الرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِلْمَغْنَمِ. وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِيُذْكَرَ. وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِيُرَى مَكَانُهُ. فَمَنْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ أَعْلَى فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ))[1].

قال القاضي عياض: "يفهم منه اشتراط الإخلاص في الجهاد، وكذلك هو شرط في جميع العبادات، لقوله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾[2].

والإخلاص: مصدر أخلصت العسل إذا صفيته من شوائب كدره. فالمخلص في عبادته هو الذي يخلصها من شوائب الشرك والرياء، وذلك لا يتأتى له إلا بأن يكون الباعثُ له على عملها قصدَ التقرب إلى الله تعالى وابتغاء ما عنده، فأما إذا كان الباعث عليها غير ذلك من أغراض الدنيا، فلا يكون عبادة بل يكون مصيبة موبقة لصاحبها؛ فإما كفر وهو: الشرك الأكبر؛ وإما رياء وهو: الشرك الأصغر، ومصير صاحبه إلى النار، كما جاء في حديث أبي هريرة ﷺ في الثلاثة المذكورين فيه. هذا إذا كان الباعث على تلك العبادة الغرض الدنيوي وحده، بحيث لو فقد ذلك الغرض لترك العمل، فأما لو انبعث لتلك العبادة لمجموع البَاعِثَين - باعث الدنيا وباعث الدين - فإن كان باعث الدنيا أقوى أو مساويًا، ألحق القسم الأول في الحكم بإبطال ذلك عند أئمة هذا الشأن، وعليه يدل مثل ما روي عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ يرويه عن ربه عز وجل أنه قال: ((أنا خيرُ الشركاء، فمن عمل عملاً أشْرَك فيه غيري فأنا بريءٌ منه، وهو للذي أَشْرَك))[3]، فأما لو كان باعثُ الدين أقوى، فقد حكم المحاسبي بإبطال ذلك العمل متمسكًا بالحديث المتقدم، وبما معناه، وخالفه في ذلك الجمهور، وقالوا بصحة ذلك العمل، وهو الأقدم في فروع مالك. ويستدل على هذا بقوله ﷺ: ((مِنْ خَيْرِ مَعَاشِ النَّاسِ لَهُمْ، رَجُلٌ مُمْسِكٌ عِنَانَ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ))[4]، فجعل الجهاد

---

(١) أخرجه مسلم ١٣٧١.

(٢) سورة البينة، آية: ٥.

(٣) أخرجه أحمد ٢/٢٠١، رقم ٧٩٩٩، وقال محققو المسند: إسناده صحيح على شرط مسلم ١٣/٢٧٧.

(٤) أخرجه مسلم ١٨٨٩.

مما يصح أن يتخذ للمعاش، ومن ضرورة ذلك أن يكون مقصودًا، لكن لما كان باعث الدين على الجهاد هو الأقوى والأغلب، كان ذلك الغرض مُلغى، فيكون معفوًا عنه، كما إذا توضأ قاصدًا رفع الحدث والتبرد، فأما لو تفرد باعثُ الدين بالعمل؛ ثم عرض باعثُ الدنيا في أثناء العمل فأولى بالصحة"[1].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: إخبار النبي ﷺ ببعض الأمور الغيبية:

إن للحبيب ﷺ خصائصُ اختصه الله تعالى بهاُ لكماله الذاتي والروحيُ لم تكن لغيره من أفراد أمته [2]، ومن ذلك ما اختصه الله من إطلاعه على بعض الغيبيات، وبيان الثواب والعقاب يوم القيامة، وهيئات وأصناف الناس يومئذ، كما جاء في الحديث من بيانه ﷺ للشهيد يوم القيامة: (ما من مكلوم يكلم في سبيل الله إلا جاء يوم القيامة وكلمه يدمي اللون لوم دم والريح ريح مسك)، والنصوص الدالة على ما اختص الله به رسوله ﷺ من إطلاعه على بعض الغيبيات كثيرة، دلالة على ثبوت نبوته وصحة رسالته [3]، وقد اشتهر وانتشر أمره ﷺ بإطلاع الله له على بعض المغيبات، روي عن عمرو بن أخطب الأنصاري رضي الله عنه قال: ((صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللّهِ ﷺ الْفَجْرَ. وَصَعِدَ الْمِنْبَرَ فَخَطَبَنَا حَتَّى حَضَرَتِ الظُّهْرُ. فَنَزَلَ فَصَلَّى. ثُمَّ صَعِدَ الْمِنْبَرَ. فَخَطَبَنَا حَتَّى حَضَرَتِ الْعَصْرُ. ثُمَّ نَزَلَ فَصَلَّى. ثُمَّ صَعِدَ الْمِنْبَرَ. فَخَطَبَنَا حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ. فَأَخْبَرَنَا بِمَا كَانَ وَبِمَا هُوَ كَائِنٌ. فَأَعْلَمُنَا أَحْفَظُنَا))[4].

وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما قال: ((قَامَ فِينَا رَسُولُ اللّهِ ﷺ مَقَامًا. مَا تَرَكَ شَيْئًا يَكُونُ فِي مَقَامِهِ ذٰلِكَ إِلَىٰ قِيَامِ السَّاعَةِ. إِلاَّ حَدَّثَ بِهِ. حَفِظَهُ مَنْ حَفِظَهُ وَنَسِيَهُ مَنْ نَسِيَهُ))[5]، وبيّن القاضي عياض أن ذلك من جملة معجزاته ﷺ فقال: "ما أُطلع عليه

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٧١٢/٣ - ٧١٣.

(٢) هذا الحبيب محمد رسول الله ﷺ يا محب، ص ٣٨٧.

(٣) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين ٥٤٣/٢.

(٤) أخرجه مسلم ٢٨٩٢.

(٥) أخرجه البخاري ٦٦٠٤، ومسلم ٢٣.

من الغيوب وما يكون من جملة معجزاته المعلومة على القطع الواصل إلينا خبرها على التواتر لكثرة رواتها واتفاق معانيها على الإطلاع على الغيب"[1].

(١) كتاب الشفا بتعريف أحوال المصطفى ١/٢٢٩.

الحديث رقم (١٢٩٨)

١٢٩٨- وعن معاذ رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ قال: ((مَنْ قَاتَلَ في سَبِيلِ الله من رَجُلٍ مُسْلِمٍ فُوَاقَ نَاقَةٍ، وَجَبَتْ لَهُ الجَنَّةُ، وَمَنْ جُرِحَ جُرْحًا في سَبِيلِ اللهِ أَوْ نُكِبَ نَكْبَةً فَإِنَّهَا تَجِيءُ يَوْمَ القِيَامَةِ كَأَغْزَرِ مَا كَانَتْ: لَوْنُهَا الزَّعْفَرَانُ، وَرِيحُهَا كَالمِسْكِ)) رواه أَبُو داود والترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

معاذ بن جبل: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٦١).

غريب الألفاظ:

فُواق ناقة: الفُواقُ: ما بين الحلبتين من ضرع الناقة[2].

النكبة: الخدش والجرح من أثر الحجارة ونحوها[3].

الزعفران: نبتٌ أحمر اللون [4].

المسك: ضربٌ من الطيب يتخذ من نوع من الغزلان[5].

الشرح الأدبي

بني الحديث على أسلوب الشرط، وهو من أنسب الأساليب للترغيب؛ لأنه يشعر المخاطب بأنه طرف حر الاختيار، بعد أن يعرض عليه العمل مرتبطا بجزائه، وقد تكوَّن الحديث من جملتين شرطيتين، الأولى: " من قاتل في سبيل الله من رجل مسلم

---

(١) أخرجه أبو داود (٢٥٤١)، والترمذي (١٦٥٧) واللفظ له. وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ. وصحّحه ابن حبان (الإحسان ٤٦١٨)، وقال الحاكم (٧٧/٢): هذا حديثٌ صحيحٌ على شرط مسلم ولم يخرجاه. أورده المنذري في ترغيبه (١٩٢٩).

(٢) رياض الصالحين ٤٥٨.

(٣) الصحاح في (ن ك ب).

(٤) لسان العرب، ابن منظور في (ز ع ف ر).

(٥) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (م س ك).

فواق ناقة (أي ما بين الحلبتين) وجبت له الجنة، فربط قتال الوقت القليل في سبيل الله، باستحقاق الجنة، والثانية: " من جرح جرحاً في سبيل الله، أو نكب (أي أصيب) نكبة، فإنها تجيء يوم القيامة كأغزر ما كانت: لونها الزعفران، وريحها المسك، حيث ربط المجروح في سبيل الله على المجيء بالهيئة المذكورة، والتنكير في كلمة " رجل " يفيد التعميم، ويشير إلى أن الرجال ملزمون بالدفاع عن أعراضهم، وحرماتهم؛ لأنهم أكثر تحملاً لمشقة الجهاد، والفعل الماضي في قوله: " وجبت له الجنة " يوحي بأن الله تعالى قد تكرم على هؤلاء بأن أوجب على نفسه الجنة لهم، والتنكير في " جرحا" و " نكبة " يوحى بأن المعتد به في العمل هو النية الصالحة وأن هذا الجرح سواء كان صغيراً، أو كبيراً له ثوابه، وكذلك النكبة، وهما يشملان الأشياء المادية الظاهرة، والجروح، والنكبات النفسية الباطنية بشرط أن يكون ذلك كله " في سبيل الله " أي يستحضر المسلم النية في تحمل تبعات الجهاد وما يطرأ عليه من جرح، أو ونكبة.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: بيان النبي ﷺ لفضل الجهاد في سبيل الله ولو مدة قليلة.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

ثالثًا: من أهداف الدعوة: الحث على الجهاد في سبيل الله.

أولاً - من موضوعات الدعوة: بيان النبي ﷺ لفضل الجهاد في سبيل الله ولو مدة قليلة:

لما كان الجهاد هو الوسيلة لحماية العقيدة وتأمين الدعوة ونشر الشريعة، شريعة التوحيد والحق والعدل والخير، رغّب الله ورسوله ﷺ فيه أيما ترغيب[1]، ومن ذلك ما جاء في الحديث في قوله ﷺ: (من قاتل في سبيل الله من رجل مسلم فواق ناقة وجبت له الجنة)، وذلك كناية عن قليل الجهاد، (وجبت له الجنة) وفي ذلك بشارة لمن جاهد في سبيل الله طلبًا لمرضاة الله بالموت على الإسلام إذ لا تجب الجنة لغيره[2]، وقوله ﷺ:

---

(١) السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة، د. محمد أبو شهبة ٨٤/٢.

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٤٠٠.

(وجبت له الجنة)، ليس إيجابًا على الله وإنما تفضلاً من الله تبارك وتعالى ومنة، كما جاء ذلك في قوله ﷺ: (تضمن الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه إلا جهاد في سبيلي وإيمان بي وتصديق برسلي فهو ضامن)، وذلك إيجاب من الله بفضله وكرمه سبحانه وتعالى، وهذا الضمان والكفالة موافق لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[1][2].

قال ابن كثير: "في هذه الآية يخبر تعالى أنه عاوض عباده المؤمنين على أنفسهم وأموالهم إذ بذلوها في سبيله بالجنة، وهذا من فضله وكرمه وإحسانه، فإنه قبل العوض عما يملكه بما تفضل به على عباده المطيعين له، ولهذا قال الحسن البصري وقتادة: بايعهم الله فأغلى ثمنهم"[3].

ثانيًا - من أساليب الدعوة: الترغيب:

ورد أسلوب الترغيب في الحديث في ترغيب النبي ﷺ في الجهاد ببيان فضله وأثره فقال ﷺ: (من قاتل في سبيل الله من رجل مسلم فواق ناقة وجبت له الجنة، ومن جرح جرحًا في سبيل الله أو نكب نكبة فإنها تجئ يوم القيامة كأغزر ما كانت لونها الزعفران وريحها كالمسك)، والترغيب في الشيء يكون بتحسينه وتزيينه، لأن النفس لا ترغب إلا فيما فيه سعادتها وصلاح أمرها، وما جاء به الشرع الحنيف كله - بعد الإقرار بالوحدانية وصدق الرسول ﷺ - لا يعدو أن يكون ترغيبًا في الخيرات وترهيبًا من المعاصي والموبقات، وثمرة ذلك حث المؤمن على الرغبة فيما عند الله تعالى والرهبة من عقابه"[4].

وبيّن القرآن أن الترغيب والرغبة فيما عند الله أحد الأسباب التي تحمل الإنسان

---

(١) سورة التوبة، آية: ١١١.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١٢٠٧.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٢١٨/٤.

(٤) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين ٢١٢٧/٦.

على طاعة الله عز وجل، قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾(١)، وقال تعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾(٢).

ثالثًا - من أهداف الدعوة: الحث على الجهاد في سبيل الله:

إن من الأهداف الرئيسة للدعوة: الحث على الجهاد في سبيل الله وذلك ببيان الثواب والأجر المترتب عليه، كما جاء في الحديث: (من قاتل في سبيل الله من رجل مسلم فواق ناقة وجبت له الجنة...)، وذلك لما كان للجهاد من أهمية في نشر الدعوة وحمايتها، فهو ذروة سنام الإسلام وقبته، ومنازل أهله أعلى المنازل في الجنة كما لهم الرفعة في الدنيا فهم الأعلون في الدنيا والآخرة (٣)، فالجهاد لم يفرض بغيًا ولا عدوانًا، إذ أن الإسلام قد أسس علاقات المسلمين بغيرهم على المسالمة والأمان، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً﴾(٤)، وقال: ﴿وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا﴾(٥)، لا على الحرب والقتال؛ إلا إذا أريدوا بسوء لفتنتهم عن دينهم أو صدهم عن دعوتهم، فحينئذ يفرض عليهم الجهاد، دفعًا للشر وحماية للدعوة"(٦). ومنعًا لاستفحال الشر والفساد في الأرض(٧).

إن الله عز وجل لم يأذن بالقتال إلا حماية للدعوة وإزالة للعقبات التي يقيمها أعداؤها، حماية للضعفاء من المؤمنين الذين يتعرضون للفتنة في دينهم، ويُؤذون في

---

(١) سورة الأنبياء، آية: ٩٠.

(٢) سورة السجدة، آية: ١٦.

(٣) انظر: زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٥/٣.

(٤) سورة البقرة، آية: ٢٠٨.

(٥) سورة الأنفال، آية: ٦١.

(٦)السياسة الشرعية أو نظام الدولة الإسلامية، عبدالوهاب خلاف، دار الأنصار: ١٣٩٧هـ، ص ٧٦، ٧٧.

(٧) انظر: موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين ١٥٠٥/٤.

اعتقادهم؛ ولذلك شرع الله تعالى القتال فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ ۝٣٨ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ ۝٣٩ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝٤٠ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ﴾[(١)].

لهذا كان الإذن بالقتال، وفتح باب الجهاد، وفي هذا النص الكريم بيان الباعث عليه، والنتيجة التي ينتهي إليه، وإنها لخير، ووسائل الخير تكون خيرًا ولو كانت أمرًا كريهًا، ما دام قد تعين أنه الطريق، وأنه إذا تعين كان خيرًا ولذلك قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾[(٢)].

والآيات التي كان فيها الإذن بالقتال فيها إشارات بيانية تليق بالقرآن أبلغ كلام في هذا الوجود الإنساني.

أولها: أن فيها الإذن بالقتال، ولكنه لم يصرح بها، إذ أنه صرح بأشد ما يبعث عليه، وهو أن القتال من جانب الأعداء قد وقع فعلاً، لأنه سبحانه وتعالى عبر بقوله (يقاتلون) بالبناء للمجهول، أي أن المشركين قاتلوا المؤمنين فعلاً، فقد آذوهم وحاولوا أن يفتنوهم عن دينهم، والفتنة أشد من القتل كما قال الله تعالى، وحاولوا قتل النبي ﷺ وحاولوا أن يقتلوا المبايعين في بيعة العقبة الثانية، فكان التعبير بالبناء للمفعول دليلاً على أن قتال المؤمنين في مقابل أنهم ابتدؤوا، وهو دفع للأذى، وللفساد في

(١) سورة الحج، الآيات: ٣٨ - ٤١.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢١٦.

الأرض كما قال تعالى: ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾(١).

الثانية: أن الله تعالى صرح بأن القتال دفع للظلم أو منع لاستمراره.

الثالثة: أن أهل الإيمان هم أهل الحق، فإن قاتلوا فهو دفاع عنه، وعن التوحيد، والإيمان به فهو قتال يحمل في باعثه، وفي ذات الدعوة إلى الله تعالى.

الرابعة: أن القتال الذي يكون جهادًا في سبيله هو دفع الباطل، وإلا كان الفساد في الأرض، وألا يعبد الله تعالى فتهدم بيع وصلوات، ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرًا، فالقتال نصرة لله تعالى، وحماية للحق، ولينصرن الله من ينصره، إن الله لقوي عزيز.

الخامسة: أن القتال فيه تمكين للحقائق الإسلامية، فنتيجة القتال تمكين للذين يقيمون الصلاة، ويؤتون الزكاة، فالقتال من نتيجته أنه يمكن أهل الحق، من الدعوة إليه بالقول وبالعمل، وبذلك تقوم شريعة الله.

وفي هذا إشارة إلى أن غاية القتال: دفع الاعتداء ومنع الظلم، والتمكين للدعوة الإسلامية، وأن يدخل الناس في دين الله تعالى مختارين من غير فتنة، ومن غير إرهاق لهم في عقائدهم.

بهذا نأخذ من الآية الكريمة أن الباعث على الجهاد في الإسلام أمران:

أولهما: دفع الظلم ومنع الفتنة كما قال تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾(٢).

وأن الاعتداء يُرَدّ بمثله، فمحمد ﷺ الذي جاء بالحق لا يدفع إرادة الأذى بالسكوت عليه واستمراره، بل يدفع الاعتداء بمثله، كما قال تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢٥١.

(٢) سورة البقرة آية: ١٩٣.

ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾[1].

الأمر الثاني: هو التمكين للدعوة الإسلامية، بأن تزال المحاجزات التي يقيمها الملوك والحكام الظالمون بين دعوة الإسلام، والاستجابة لدين الحق أو أن يعوقوه، وليس معنى ذلك حمل الشعوب على الدخول في الإسلام كرهًا بقوة السيف بل إن مؤداه أن يعرفوا الإسلام، ويتمكنوا من تلقي الدعوة الإسلامية، فإذا عرفوها فقد تبين الرشد من الغي، والحق من الباطل فمن شاء فليؤمن، ومن شاء فليكفر، ولذلك قال تعالى: ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[2][3].

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٩٠.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٥٦.

(٣) خاتم النبيين ﷺ، القسم الثاني للعهد المدني، الشيخ: محمد أبو زهرة، ص ٦٨٠ - ٦٨٢.

الحديث رقم (١٢٩٩)

١٢٩٩ - وعن أَبي هريرة ﷺ، قَالَ: مَرَّ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ رسولِ الله ﷺ بِشِعبٍ فيهِ عُيَيْنَةٌ مِنْ مَاءٍ عَذْبَة، فَأعْجَبَتْهُ[١]، فَقَالَ: لَو اعتَزَلْتُ النَّاسَ فَأقَمْتُ في هَذَا الشِّعْبِ، وَلَنْ أفْعَلَ حَتَّى أسْتَأْذِنَ رسولَ اللهِ ﷺ، فذكَرَ ذَلِكَ لرسول الله ﷺ، فَقَالَ: **((لاَ تَفعلْ؛ فَإنَّ مُقَامَ أَحَدِكُمْ في سَبيلِ اللهِ أفْضَلُ مِنْ صَلاَتِهِ في بَيْتِهِ سَبْعِينَ عَامًا، ألاَ تُحِبُّونَ أنْ يَغْفِرَ الله لَكُمْ، وَيُدْخِلَكُمُ الجَنَّةَ؟ أُغْزُوا في سَبيلِ الله، مَن قَاتَلَ في سَبِيلِ اللهِ فُوَاقَ نَاقَةٍ وَجَبَتْ لَهُ الجَنَّةُ))** رواه الترمذيُّ[٢]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

بشعب: الشعب: الطريق في الجبل[٣].

عيينة من ماء عذبه: تصغير عين، وكأنه لقلة مائها[٤].

فواق ناقة: الفُواقُ: ما بين الحلبتين من ضرع الناقة، بقدر ما يحلب الحلبة بيده، ثم يعود فيحلب مرةً أخرى[٥].

الشرح الأدبي

يدل الحديث على الصراحة المطلقة بين النبي الكريم، وأتباعه، فهذا الرجل قد مر بشعب فيه ماء عذب، وأحب أن يقيم في هذا الشعب، ولكنه أبى حتى يستأذن رسول الله ﷺ فقال له، ولغيره: " لا تفعل فإن مقام أحدكم في سبيل الله أفضل من

(١) عند الترمذي زيادة: (لطيبها). ولم يوردها المنذري فتبعه عليها المؤلف.

(٢) برقم (١٦٥٠). وقال الحاكم (٦٨/٢): هذا حديث صحيحٌ على شرط مسلم ولم يخرجاه. أورده المنذري في ترغيبه (١٩٥٦).

(٣) القاموس المحيط، الفيروز آبادي في (ش ع ب).

(٤) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١٤٠١.

(٥) رياض الصالحين ٤٥٨.

صلاته في بيته سبعين عاما " وقد جمع الرسول بين النهى في قوله: " لا تفعل " والتأكيد بأن واسمية الجملة في قوله: " فإن مقام أحدكم.. " ولا شك أن أفعل التفضيل في قوله: " أفضل من صلاته " يبين منزله الجهاد، والمجاهدين في سبيل الله وأكد ذلك بقوله " سبعين عاما"، ويجب أن نتأمل ما في هذه الأعوام السبعين من آلاف الصلوات المفروضة، وغير المفروضة، وقوله: " لا تفعل يشير إلى أن رسول الله ﷺ هو الذي يملك أن يقول (أفعل، ولا تفعل)، لأنه مبلغ عن الله تعالى، وفعلة، ونهيه مستمدان من الله تعالى الذي أنزل الكتب، وقوله (أَلاَ تُحِبُّونَ أنْ يَغْفِرَ الله لَكُمْ، وَيُدْخِلَكُمُ الجَنَّةَ ؟)وهو استفهام عرض، وتشويق تبعه بالأمر ترغيبا في الجهاد الذي يحقق عز الأمة، ونشر الدعوة في قوله: (أُغْزُوا في سَبيلِ الله) وقد صعَّد هذا الأمر بالترغيب بأسلوب الشرط الذي يربط العمل بالجزاء(من قَاتَلَ في سَبِيلِ اللهِ فُوَاقَ نَاقَةٍ وَجَبَتْ لَهُ الجَنَّةُ).

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على عرض أمورهم على النبي ﷺ.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: تفضيل النبي ﷺ للجهاد في سبيل الله على صلاة الرجل في بيته سبعين عامًا.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: الجهاد في سبيل الله سبب في مغفرة الذنوب ودخول الجنة.

خامسًا: من أساليب الدعوة: الأمر.

أولاً - من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على عرض أمورهم على النبي ﷺ:

ورد في الحديث مشهد ومثل حي لما كان عليه الصحابة رضي الله عنهم من حرص على عرض أمورهم على النبي ﷺ واستئذانه، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (مر رجل من أصحاب رسول الله ﷺ بشعب فيه عيينة من ماء عذبة فأعجبته، فقال: لو اعتزلت الناس فأقمت في هذا الشعب، ولن أفعل حتى استأذن رسول الله ﷺ)، فكانوا دائمًا يرجعون إلى رسول الله ﷺ في أمورهم يسألوه ويستوضحوه حتى يكونوا على بينة من

أمر دينهم[١].

إن في الحديث ما يدل على تفويض الأمر لرسول الله ﷺ والتقيد بأمره ونهيه لمعرفتهم وعلمهم أن في طاعته الهداية كما قال تعالى: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾[٢]، وفي مخالفته الفتنة والعذاب كما قال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[٣].

إن المؤمن الصادق والكامل في إيمانه قد سلم نفسه لشرع الله المتمثل فيما جاء به رسول الله ﷺ.

سلّم نفسه عن رضا وطواعية واختيار، بكامل قناعته، أن ذلك هو محض الحق وعين الصواب وسبيل النجاة، شأنه وحاله كالمريض بين يدي الطبيب الماهر والمداوي المتمكن العارف بحقيقة الداء وبحقيقة الدواء، بحسبه أن أمر له مر المذاق أو أمر له بإجراء عملية جراحية فيها مخاطرة بحياته أو بقطع جزء من أجزائه يسلم ويرضى بذلك.

وكذلك لو منعه مما يشتهي من المأكولات والمشروبات، وحماه مما تتوق إليه نفسه من الحلال من الشهوات، فإنه يمتنع عن ذلك رغبة منه في حصول الشفاء ورهبة من استمرار المرض يفعل ما يأمره الطبيب، ولو كرهته نفسه، ثقة واعتقادًا بصحة خبر الطبيب وعلمه ولله المثل الأعلى فإن المؤمن يعرض نفسه في جميع أموره على شرع الله ويقبل ما يأمره وينهاه بكامل الرضا والقبول والتسليم.

ولقد كان أصحاب رسول الله ﷺ يستأذنون رسول الله ﷺ في أمور دينهم ودنياهم.

فأما ما يكون من أمور دينهم فالاستئذان فيه يكون بمعنى الاستفتاء أو السؤال عن الحكم الشرعي في تلك المسألة، كما مرّ في حديث أبي هريرة رضي الله عنه من استئذان

---

(١) انظر: أصناف المدعوين وكيفية دعوتهم، د. حمود بن أحمد الرحيلي ص ١٨.

(٢) سورة النور، آية: ٥٤.

(٣) سورة النور، آية: ٦٣.

الصحابي في العزلة ولم يأذن له ﷺ يومها، لأن أمر الدين ظاهر يوم ذلك والجهاد في سبيل الله قائم، والمؤمنون يمثلون قوة واحدة تمضي بتوجيه رباني واحد وقائد رباني واحد يخضعون لإمرة واحدة، وحالهم في مواجهة أعدائهم كأنهم بنيان مرصوص، ولهذا قال له النبي ﷺ: (لا تفعل فإن مقامِ أحدكم في سبيل الله أفضل من صلاته سبعين عامًا).

إن استئذان المؤمنين رسول الله ﷺ ورجوعهم إليه في حياته وسنته بعد مماته ﷺ دليل على كمال إيمانهم، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾[1].

وهذا إرشاد من الله لعباده المؤمنين، أنهم إذا كانوا مع الرسول ﷺ على أمر جامع أي من ضرورته أو مصلحته أن يكونوا فيه جميعًا، كالجهاد والمشاورة ونحو ذلك من الأمور التي يشترك فيها المؤمنون، فإن المصلحة تقتضي اجتماعهم عليه وعدم تفرقهم، فجعل موجب الإيمان عدم الذهاب إلا بإذن، ومدحهم على فعلهم هذا وأدبهم مع رسوله وولي الأمر منهم[2].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: تفضيل النبي ﷺ للجهاد في سبيل الله على صلاة الرجل في بيته سبعين عامًا:

جاء في ذلك صريح قوله ﷺ: (فإن مقام أحدكم في سبيل الله أفضل من صلاته في بيته سبعين عاما)، قال ابن علان: "هذا كان في ابتداء الأمر، ومثله ما إذا ألجأ الأمر للجهاد بأن هجم الكفار على بلاد المسلمين وخشي استيلاؤهم عليها، فالاشتغال بالجهاد حينئذ لما فيه من إنقاذ المسلمين أفضل من صلاة النافلة، وذلك لأنه متعد، وأما

(١) سورة النور، آية: ٦٢.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٥٢٤.

إذا لم ينته الأمر لذلك فأفضل العبادات البدنية الصلاة كما قاله الجمهور"[١].

وفي الحديث: لزوم الأدب مع الرسول ﷺ باتباع سنته في كل عمل، وأن الجهاد أفضل من العزلة إذا تعين، وهو في كل حال سبيل المغفرة وطريق دخول الجنة ولو قل زمن الجهاد، ما دام نابعًا من إخلاص وقائمًا على أساس رضا الله تعالى لا غير[٢].

ثالثًا - من أساليب الدعوة: الترغيب:

ورد أسلوب الترغيب في الحديث، حيث رغّب النبي ﷺ في الجهاد ببيان أنه أفضل من صلاة النافلة، وسبب لمغفرة الذنوب ودخول الجنة، فقال ﷺ: (فإن مقام أحدكم في سبيل الله أفضل من صلاته في بيته سبعين عامًا، ألا تحبون أن يغفر الله لكم ويدخلكم الجنة؟)، فإن أسلوب الترغيب وسياسته أحد ركني الموعظة الحسنة، قال تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾[٣]، التي تؤثر في المدعو تأثرًا إيجابيًا نافعًا، لإثارته وتهييجه حتى يقوم بتوجيه الإرادة لاختيار السلوك المناسب الذي يوصل إلى الجهة التي يكون فيها تحقيقه ما تعلقت به النفس راغبة في نيله أو الظفر به[٤].

رابعًا - من موضوعات الدعوة: الجهاد في سبيل الله سبب في مغفرة الذنوب ودخول الجنة:

جاء ذلك في الحديث في صريح قوله ﷺ: (ألا تحبون أن يغفر الله لكم ويدخلكم الجنة؟ اغزوا في سبيل الله من قاتل في سبيل الله فواق ناقة وجبت له الجنة)، أي: أن يغفر الله ذنوبكم مغفرة تامة، ويمن عليكم بإدخالكم الجنة[٥]، وقد جاءت آيات القرآن مبينة ذلك الفضل أيضًا وأن الجهاد سبب للمغفرة ودخول الجنة، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٤٠٢.

(٢) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم ص ٦٣٨.

(٣) سورة النحل، آية: ١٢٥.

(٤) انظر: فقه الدعوة إلى الله، الشيخ عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني ١/٦٣٣.

(٥) انظر: تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢/١٤٧٤.

سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[1]، أي: إن فعلتم ما أمرتكم به ودللتكم عليه، غفرت لكم الزلات وأدخلتكم الجنات والمساكن الطيبات والدرجات العاليات[2]، فالجهاد في سبيل الله فيه النجاة من النار ومغفرة الأوزار ودخول الجنة مع الأبرار[3].

وفي ذلك تشجيع المؤمنين على الجهاد في سبيل الله، والثبات أمام أعدائهم والتحذير من الزيغ عن ذلك، والترغيب في السخاوة ببذل الأنفس والأموال في سبيل الحق لإعلاء شأنه وإزهاق الباطل[4].

خامسًا - من أساليب الدعوة: الأمر:

ورد أسلوب الأمر في قوله ﷺ: (اغزوا في سبيل الله، من قاتل في سبيل الله فواق ناقة وجبت له الجنة)، وذلك أمر بالجهاد بعد أن حرض عليه بذكر ثوابه وعرض للعباد بالدعوة إليه، وعلل ذلك زيادة في الترغيب بقوله على سبيل الاستئناف النحوي والبياني: (من قاتل في سبيل الله فواق ناقة وجبت له الجنة)، فلا بد من موته على الإسلام ودخوله لها، إما مع الناجين ولو بعد حين والوعد بالمحبوب محبوب[5]، وَوَعْدُ الله لا محالة محققه، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[6]، أي: لا أحد أوفى بعهده من الله، فأظهروا

---

(١) سورة الصف، الآيات: ١٠ - ١٢.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٨/١١٢.

(٣) انظر: خطب مختارة، اختيار: وكالة شؤون المطبوعات والنشر، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية: ١٤١٩هـ، ص ٢٩٤.

(٤) محاسن التأويل، جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي ٩/١٦/١٥٣.

(٥) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٤٠٢.

(٦) سورة التوبة، آية: ١١١.

السرور بذلك فإن دخول الجنة والظفر بها هو الفوز العظيم[١].

ومن الأحاديث التي جاء فيها الأمر والحث على الجهاد ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: ((لا هِجْرَةَ بَعْدَ الْفَتْحِ. وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ، وَإِذَا اسْتُنْفِرْتُمْ فَانْفِرُوا))[٢].

إن الجهاد في سبيل الله لما كان هو الوسيلة لحماية العقيدة وتأمين الدعوة ونشر الشريعة، شريعة التوحيد والحق والعدل والخير رغّب الإسلام فيه أيما ترغيب، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[٣].

وقال سبحانه مبينًا الفرق ما بين المجاهدين والقاعدين: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[٤].

وقال سبحانه مرشدًا إلى أعظم طرق الخير: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝١٠ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[٥].

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ٢٦٩/٨/٤.

(٢) أخرجه البخاري ٢٧٨٣، واللفظ له، ومسلم ١٨٦٤.

(٣) سورة التوبة، آية: ١١١.

(٤) سورة النساء، آية: ٩٥.

(٥) سورة الصف، الآيتان: ١٠، ١١.

وقال سبحانه مبينًا أن القتال وإن كان مكروهًا للنفس بحسب الفطرة، لكنه قد يكون فيه الخير الكثير: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[1].

وإذا جاز لغير المسلم أن يخشى الجهاد أو يفرط فيه فلا يجوز ذلك للمسلم، إذ مآل الجهاد له إما نصر وغنيمة وإما أجر وشهادة، وكلا الأمرين غُنم وجميل، قال سبحانه آمرًا المسلمين أن يعلنوها صريحة لخصومهم: ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ ۖ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا ۖ فَتَرَبَّصُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ﴾[2][3].

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢١٦.

(٢) سورة التوبة، آية: ٥٢.

(٣) السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة، د. محمد أبو شهبة ٢/٨٤، ٨٥.

الحديث رقم (١٣٠٠)

١٣٠٠ - عن أبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: قيل: يَا رسولَ اللهِ، مَا يَعْدلُ الجهادَ في سَبِيلِ اللهِ؟ قَالَ: ((لاَ تَستَطِيعُونَهُ)) فأعَادُوا عَلَيْهِ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاثًا كُلُّ ذَلِكَ يَقُولُ: ((لاَ تَستَطِيعُونَهُ!)) ثُمَّ قَالَ: ((مَثَلُ المُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللهِ كَمَثَلِ الصَّائِمِ القَائِمِ القَانتِ بآياتِ الله لا يَفْتُرُ مِنْ صِيَامٍ، وَلاَ صَلاَةٍ، حَتَّى يَرْجِعَ المُجَاهِدُ في سَبِيلِ اللهِ)) متفقٌ عَلَيْهِ[١]، وهذا لفظ مسلمٍ.

وفي رواية البخاري[٢]: أنَّ رَجُلاً قَالَ: يَا رسول الله، دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ يَعْدِلُ الجِهَادَ؟ قَالَ: ((لاَ أجِدُهُ)) ثُمَّ قَالَ: ((هَلْ تَستَطِيعُ إِذَا خَرَجَ المُجَاهِدُ أنْ تَدْخُلَ مَسْجِدَكَ فَتقومَ وَلاَ تَفْتُرَ، وَتَصُومَ وَلاَ تُفطِرَ؟)) فَقَالَ: وَمَنْ يَستَطِيعُ ذَلِكَ؟!.

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

القانت: الخاشع[٣].

لا يفتر: لا يضعف[٤].

الشرح الأدبي

ينقل هذا الحديث حواراً حدث بين رسول الله صلى الله علية وسلم، وبعض محبيه،

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٧٨/١١٠) فقط بهذا اللفظ. أورده المنذري في ترغيبه (١٩٧٩) بنحوه وعزاه إلى ابن حبان. أورده المنذري في ترغيبه (١٩٥٩).

(٢) برقم (٢٧٨٥). أورده المنذري في ترغيبه (١/١٩٥٩). تنبيه: الحديث أورده الحميدي في جمعه (٢٣٤/٣، رقم ٢٤٩١) في المتفق عليه، وعزا اللفظ الأول إلى مسلم، واللفظ الثاني إلى البخاري. وأظنُّ أن المؤلف تبع فيه المنذري في ترغيبه (٢٥١/٢): حيث قال: رواه البخاري ومسلم واللفظ له. ثمّ أورد اللفظ البخاري كما هنا.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ق ن ت).

(٤) المرجع السابق في (ف ت ر).

حيث سئل: " ما يعدل الجهاد في سبيل الله ؟، أي ماذا يساويه في الأجر، والثواب من العمل ؟ والاستفهام هنا حقيقي؛ لأنهم يريدون أن يتعلموا منه ﷺ فرد عليهم قائلاً " لا تستطيعونه " فنفي الاستطاعة فيه دلالة على عظمة العمل الذي يدل على عظمة الثواب، وكرر السؤال مرتين، أو ثلاثاً، وكرر الجواب معه: " لا تستطيعونه " ليؤكد بذلك عدم استطاعة الإنسان القيام بعمل صالح يساوى الجهاد في سبيل الله، ثم جاء النبي بتشبيه تمثيلي (مَثَلُ المُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللهِ كَمَثَلِ الصَّائِمِ القَائِمِ القَانِتِ) والمثل:هو قول سائر شبِّه به حال الثاني بالأول، والأصل فيه التشبيه، وإضافة الكاف لكلمة (مثل) تؤذن بتشبيه الهيئات، والأحوال حتى لا يتوهم أنه تشبيه الأفراد، والصورة التشبيهية ترسِّخ هذا المضمون فقوله: "مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم القانت بآيات الله لا يفتر من صلاة ولا صيام حتى يرجع المجاهد فى سبيل الله، ومعناه: أن المجاهد في كفه. .. وأن هذه الأعمال الصالحة كلها في كفه أخرى، وتغلب الكفة الأولى لأن الإتيان بتلك الأعمال صعب على المسلم إلا من رحم الله – والله اعلم.

المضامين الدعوية [1]

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على معرفة ما يعدل الجهاد في سبيل الله.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: التكرار.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: حث النبي ﷺ للصحابة رضي الله عنهم ولأمته على الجهاد في سبيل الله.

رابعًا: من أهداف الدعوة: مشروعية الجهاد وأهميته في الدعوة إلى الله.

أولاً – من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على معرفة ما يعدل الجهاد في سبيل الله:

جاء ذلك واضحًا في قول أبي هريرة رضي الله عنه: قيل يا رسول الله ما يعدل الجهاد في

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث – ١٣٠٠ – مع المضامين الدعوية للحديث رقم ١٣٠١.

سبيل الله؟ وذلك يعكس لنا ما كان عليه الصحابة رضي الله عنهم من حرص على معرفة أمور دينهم، يسألون عنها ويستوضحونها من رسول الله ﷺ حتى يكونوا على بينة من أمر دينهم ودعوتهم [١]، قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[٢]. "أي على بصيرة من دعوته يدعو إلى الله بها على بصيرة من ذلك، ويقين وبرهان، هو وكل من اتبعه، يدعو إلى ما دعا إليه رسول الله ﷺ على بصيرة ويقين وبرهان شرعي وعقلي"[٣].

ثانيًا - من أساليب الدعوة: التكرار:

ورد أسلوب التكرار في الحديث في إعادة الصحابة رضي الله عنهم السؤال لرسول الله ﷺ وإعادته الجواب عليهم: قيل: يا رسول الله ما يعدل الجهاد في سبيل الله؟ قال: لا تستطيعونه، فأعادوا عليه مرتين أو ثلاثًا، كل ذلك يقول لا تستطيعونه، ولقد كان من هدي رسول الله ﷺ أنه كان يكرر القول أو الفعل في وقت واحد وفي أوقات متفرقة، حتى يُتعلم منه ويطبعه في أذهان أصحابه ويطبقونه، ومن هذا تكرار القصص في القرآن، وتكرار الأوامر والنواهي، حتى إن الأمر بالصلاة أو التوجيه إليها ليرد عشرات المرات[٤].

إن تكرار الكلام له أثر كبير في تأكيده في النفوس، وهذا شيء هديت إليه فطرة الإنسان، فلجأ إلى تأكيد كلامه للسامع وتكرار ما يريد نقله لما لذلك من أثر في تثبيت المعاني وتأكيد الأفكار لديه[٥].

وقد استخدم الرسول ﷺ التكرار في كثير من الأحاديث النبوية، فبالتكرار يمكن التأثير على كثير من النفوس التي لا تأخذ بالتوجيه لأول وهلة للتفاوت في

---

(١) انظر: أصناف المدعوين وكيفية دعوتهم، د. حمود بن أحمد الرحيلي ص ١٨.

(٢) سورة يوسف، آية: ١٠٨.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٤٢٢/٤.

(٤) علم النفس الدعوي، د. عبدالعزيز بن محمد النغيمشي ص ٢٢٥.

(٥) أسلوب الدعوة القرآنية بلاغًا ومنهاجا، د. عبدالغني محمد سعيد ص ٣٤.

مدارك البشر وأمزجتهم[١].

ولقد كان من عادته ﷺ التكرار للأمور المهمة ثلاث مرات أو أكثر تأكيدًا لينبه السامع على إحضار قلبه وفهمه للخير الذي يذكره[٢].

ومن أمثلة التكرار والتأكيد عنده ﷺ:

١ - ما رواه البخاري عن أبي بكر رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: ((ألا أُنبِّئُكم بأكبَر الكبائِر (ثلاثًا)؟)) قالوا: بلى يا رسول الله. قال: ((الإشراكُ بالله، وعقوقُ الوالِدَين - وجَلَسَ وكان مُتَّكِئًا فقال -: ألا وقولُ الزُّورِ وشَهَادَةُ الزُّورِ. قال: فما زال يُكَرِّرُها حتّى قلنا: لَيتَهُ سَكَتَ))[٣].

٢ - وروى البخاري عن أبي شريح أن النبي ﷺ قال: ((واللّهِ لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن. قيل: مَن يا رسولَ الله؟ قال: الذي لا يأمنُ جارهُ بوائقَه))[٤].

٣ - وما رواه عن أبي بكرة أيضًا قال: أثنى رجُل على رجل عندَ النبيِّ ﷺ فقال: ((وَيلكَ، قطعتَ عنُقَ أخيك. ثلاثًا. مَن كان منكم مادحًا لا محالةَ فلْيَقل: أحسِبُ فلانًا والله حَسيبهُ، ولا أُزكّي على الله أحدًا، إن كان يَعلم))[٥].

٤ - وما رواه عن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: ((اتقوا النار. ثمَّ أعرض وأشاحَ ثم قال: اتقوا النار. ثمَّ أعرض وأشاحَ ثلاثًا حتى ظننا أنه يَنظرُ إليها. ثم قال: اتقوا النارَ ولو بشِقِّ تمرة، فمن لم يَجِدْ فبكلمةٍ طيِّبة))[٦].

٥ - وروى البخاري أيضًا عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ ((أنه كان إذا تكلَّم بكلمةٍ أعادَها ثلاثًا حتّى تُفهمَ عنه، وإذا أتى على قومٍ فسلَّمَ عليهم سَلَّم

(١) انظر: سيكولوجية القصة في القرآن، د. التهامي نفرة ص ١٢٨.

(٢) انظر: فتح الباري، ابن حجر ٥٠١/١٠.

(٣) أخرجه البخاري ٦٢٧٢، ومسلم ٨٨.

(٤) أخرجه البخاري ٦٠١٦.

(٥) أخرجه البخاري ٢٦٦٢، ومسلم ٣٠٠٠.

(٦) أخرجه البخاري ٥٠٤٠.

عليهم، ثلاثًا))[١].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: حث النبي ﷺ للصحابة رضي الله عنهم ولأمته على الجهاد في سبيل الله:

ورد في قوله ﷺ: مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم القانت بآيات الله لا يفتر من صلاة ولا صيام حتى يرجع المجاهد في سبيل الله، وفي ذلك حث على الجهاد أيما حث، وبيان لعظم ثواب الجهاد وأنه لا تطاوله عبادة من العبادات، ففي الحديث سئل النبي ﷺ: (ما يعدل الجهاد في سبيل الله؟) أي ما يعادله ويماثله في الثواب عند الله تعالى؟ فقال ﷺ: (لا تستطيعونه) أي لا تطيقون أن تفعلوا ما يساوي ثواب الجهاد، ووجهه أن كل ما يصدر عن المجاهد في حالتي نومه ويقظته وسكونه وحركته هو عمل صالح يكتب له ثوابه دائمًا بدوام أفعاله، إذ لا يتأتى لغيره فيه، لأنه على كل حال في الجهاد ومُلَابِسُ أَحْوالِه، وذلك: أن المجاهد إما أن ينال من العدو، أو يغيظه، أو يروعه، أو يكثر سواد المسلمين، أو يصيبه نصب أو مخمصة. وكل ذلك أعمال كثيرة لها أجور عظيمة، كما قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[٢].

وعلى هذا نبه النبي ﷺ حيث قال: ((مَثَلُ الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللّهِ كَمَثَلِ الصَّائِمِ الْقَائِمِ الْقَانِتِ بِآيَاتِ اللّهِ. لاَ يَفْتُرُ مِنْ صِيَامٍ وَلاَ صَلاَةٍ. حَتَّى يَرْجِعَ الْمُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللّهِ))، فشبه المستغرق في أفضل العبادات التي هي الصوم والصلاة، الخاشع فيها؛ الذي لا يفتر بالمجاهد؛ لذلك المعنى الذي ذكرنا. و(القائم) يعني به: في الصلاة. و(القانت) الخاشع فيها"[٣].

---

(١) أخرجه البخاري ٩٥.

(٢) سورة التوبة، آية: ١٢٠.

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٧٨/٣ - ٧٩.

قال النووي: (وفي هذا الحديث عظيم فضل الجهاد، لأن الصلاة والصيام والقيام بآيات الله أفضل الأعمال، وقد جعل المجاهد مِثْل مَنْ لا يفتر عن ذلك في لحظة من اللحظات، ومعلوم أن هذا لا يتأتى لأحد، ولهذا قال ﷺ: "لا تستطيعونه")[1].

وقد جاءت آيات القرآن الكريم زاخرة بالحث على الجهاد في سبيل الله، قال تعالى: ﴿ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَـٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[2]، وقال: ﴿فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَـٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَـٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَـٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَـٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[3].

فرغّب الله تعالى في هذه الآية في النفقة في سبيله، وبذل المهج في مرضاته ومرضاة رسوله فقال: (وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون) أي: هذا خير لكم في الدنيا والآخرة، ولأنكم تغرمون في النفقة قليلاً فيغنيكم الله أموال عدوكم في الدنيا، مع ما يدخر لكم من الكرامة في الآخرة[4]، كما قال النبي ﷺ: ((وتكفّلَ اللهُ للمجاهدِ في سبيله بأن يَتوَفّاهُ أن يدخلَهُ الجنَّةَ، أو يَرجِعَهُ سالمًا مع أجرٍ أو غنيمة))[5].

رابعًا- من أهداف الدعوة: مشروعية الجهاد وأهميته في الدعوة إلى الله:

إن الجهاد في سبيل الله لم يشرعه الإسلام بغيًا ولا عدوانًا وإنما ردًا للعدوان والدفاع عن النفس والأهل والمال والوطن والدين، وهذا أمر تقره الفطرة وتقرره الحنيفية السمحة[6]، قال الشيخ محمد أبو زهرة: القتال كان للدعوة وليس للإكراه على الإسلام، إنما كان القتال لمنع الإكراه على البقاء على الكفر، ومنه الظلم والعدوان

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٢٠٩.

(٢) سورة التوبة، آية: ٤١.

(٣) سورة النساء، آية: ٩٥.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ١٥٨/٤.

(٥) أخرجه البخاري ٧٤٦٣، ومسلم ١٨٧٦.

(٦) الدعوة الإسلامية دعوة عالمية، الشيخ محمد الراوي ص ٤٩٥.

وإرهاق الشعوب من أمرهم عسرًا، كما قال تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[1].

ولم يكن القتال محبوبًا للنبي ﷺ إنما كان المحبوب المطلوب هو الدعوة إلى الحق والاستشهاد في سبيله، ولذا قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[2]، كان المؤمنون كارهين للقتل وإزهاق الأرواح، ولكن كانوا راغبين في الدعوة إلى التوحيد، وأن يخلو وجه الناس للحق والحرية والعدل، والإيمان بالله وحده لا شريك له[3].

ولبيان مدى الحكمة من تشريع الجهاد في الإسلام وأنه لم يكن ألبتة للعدوان وظلم الناس، وإنما كان لرد العدوان ودفع الظلم وتعبيد الطرق وتذليلها أمام الدعوة إلى الله تبارك وتعالى، نذكر مراحل التشريع للجهاد ليتراءى للقارئ الحكم العظيمة والمبررات المقبولة لتشريع الجهاد.

لقد مرّ تشريع الجهاد في سبيل الله بعدة أطوار نوجزها على النحو التالي:

الطور الأول: كان المؤمنون في ابتداء الإسلام - وهم بمكة - مأمورين بالصلاة والزكاة على سبيل التدريب لا التكليف، وبالصفح والعفو عن المشركين والصبر إلى حين، وكانوا يتحرقون شوقًا إلى قتال أعدائهم ليتشفوا منهم، ولكنهم كانوا قليلي العدد والعدة وهم في البلد الحرام ولذا لم يُشرع الجهاد ذلك الوقت[4]، يقول تعالى:

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٩٣.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢١٦.

(٣) الدعوة إلى الإسلام "تاريخها في عهد النبي ﷺ والصحابة والتابعين والعهود المتلاحقة"، الشيخ محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، القاهرة، ص ٦٩.

(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٤١٢/١.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓاْ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾[1].

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن عبدالرحمن بن عوف وأصحابًا له أتوا النبي ﷺ بمكة فقالوا: يا نبي الله كنا في عزة ونحن مشركون، فلما آمنا صرنا أذلة، قال ﷺ: ((إنّي أمِرْتُ بالعفوِ، فلا تُقَاتِلُوا القومَ))[2].

وكان الرسول ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم يعفون عن المشركين وأهل الكتاب كما أمرهم الله عز وجل ويصبرون على الأذى، قال الله عز وجل: ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾[3]، ولذلك نجد اتفاق العلماء أن الجهاد لم يُشرع إلا في المرحلة المدنية، قال القرطبي: "ولم يؤذن للنبي ﷺ في القتال مدة إقامته بمكة، فلما هاجر أذن له في قتال من يقاتله من المشركين"[4]، قال ابن حجر: "فأول ما شرع الجهاد بعد الهجرة النبوية إلى المدينة اتفاقًا"[5].

الطور الثاني: وهي طور الإذن بالقتال بعد الهجرة دون أن يفرض عليهم[6]، فقال تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾[7].

الطور الثالث: وهي مرحلة فرض القتال لمن يقاتلهم فقط، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ﴾[8]. قال ابن القيم: "ثم فرض عليهم

---

(١) سورة النساء، آية: ٧٧.

(٢) أخرجه النسائي ٣٠٨٦، وصححه الألباني، (صحيح سنن النسائي ٢٨٩١).

(٣) سورة آل عمران، آية: ١٨٦.

(٤) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٣٨/٣/٢.

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٧/٦.

(٦) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٧٠/٣.

(٧) سورة الحج، آية: ٣٩.

(٨) سورة البقرة، آية: ١٩٠.

القتال بعد ذلك لمن قاتلهم دون من لم يقاتلهم فقال تعالى: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْ﴾"(١).

الطور الرابع: وهو الطور الأخير والمرحلة الأخيرة وهي قتال المشركين كافة كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلۡأَشۡهُرُ ٱلۡحُرُمُ فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ وَخُذُوهُمۡ وَٱحۡصُرُوهُمۡ وَٱقۡعُدُواْ لَهُمۡ كُلَّ مَرۡصَدٖۚ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾(٢).

وقوله تعالى: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ﴾(٣).

قال ابن القيم: "ثم فرض عليهم قتال المشركين كافة، وكان محرمًا، ثم مأذونًا به، ثم مأمورًا به لمن بدأهم بالقتال، ثم مأمورًا به لجميع المشركين إما فرض عينٍ على أحد القولين، أو فرض كفاية على المشهور"(٤).

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٣/٧١.

(٢) سورة التوبة، آية: ٥.

(٣) سورة التوبة، آية: ٢٩.

(٤) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٣/٧١.

الحديث رقم (١٣٠١)

١٣٠١- وعنه: أنَّ رسول الله ﷺ ، قَالَ: ((مِنْ خَيْرِ مَعَاشِ النَّاسِ لَهُمْ، رَجُلٌ مُمْسِكٌ بِعِنَانَ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ، يَطِيرُ عَلَى مَتْنِهِ، كُلَّمَا سَمِعَ هَيْعَةً أَوْ فَزْعَةً طَارَ عَلَيْهِ يَبْتَغِي القَتْلَ وَالمَوْتَ مَظَانَّهُ أَوْ رَجُلٌ فِي غُنَيْمَةٍ فِي رَأسِ شَعَفَةٍ مِنْ هَذه الشَّعَفِ، أَوْ بَطْنِ وَادٍ مِنَ[1] الأَوْدِيَةِ، يُقِيمُ الصَّلاَةَ، وَيُؤتي الزَّكَاةَ، وَيَعْبُدُ رَبَّهُ حَتَّى يَأتِيَهُ اليَقِينُ، لَيْسَ مِنَ النَّاسِ إلاَّ فِي خَيْرٍ)) رواه مسلم[2].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨).

غريب الألفاظ:

العِنان: سَيْرُ اللِّجام تُمسك به الدابةُ[3].

يطير: يُسرع[4].

متنه: ظهره[5].

الهَيْعَةُ: الصوت للحرب[6].

الفزعة: الصوت للحرب[7].

مظانُّ الشيء: المواضع التي يُظنُّ وجوده فيها[8].

غُنَيْمَةَ: تصغير الغنم[9].

---

(١) عند مسلم زيادة: (هذه).

(٢) برقم (١٨٨٩/١٢٥). أورده المنذري في ترغيبه (١٨٤٥).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ع ن ن).

(٤) رياض الصالحين ص ٢٧٠.

(٥) المرجع السابق ص ٢٧٠.

(٦) المرجع السابق والصفحة ذاتها.

(٧) المرجع السابق والصفحة ذاتها.

(٨) المرجع السابق والصفحة ذاتها.

(٩) المرجع السابق والصفحة ذاتها.

الشَّعَفَة: أعلى الجبل[1].

الشرح الأدبي

لقد صدَّر الحديث ببيان الخيرية للناس في معاشهم، وأتى بلفظ " الناس " ليفيد العموم في هذا الخير من ناحية، ويفيد أن هناك هموماً مشتركة بين الناس جميعاً، ومن أهم هذه الهموم، والاحتياجات الإنسانية " نعمة الأمن " وإن هذا الرجل الذي يمسك بعنان فرسه مصدر أمن للأمة يتميز بأنه يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله، يطير على متنه كلما سمع هيعة أو فزعه طار على متنه يبتغى القتل، أو الموت، وقول الرسول ﷺ (مِنْ خَيْرِ مَعَاشِ النَّاسِ لهم رجل) ورجل بالابتداء على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه أي معاش رجل هذا شأنه من خير معاش الناس وقوله (لهم) أي معاش الناس الكائن لهم لا عليهم أي هو من خير معاشهم النافع لهم، وقوله (مُمْسِكٌ عِنَانَ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللَّه) كناية عن دوام الاستعداد للجهاد في سبيل الله في كل وقت، وذكر العنان يشير إلى تمام السيطرة، والفرس لتمام إعداد العدة، وآلة الحرب، والتعبير بالطيران يشير إلى الخفة في إجابة الداعي الأمر الذي يوحي بمحبته للجهاد، لأن النفس تخف إلى ما تحب وتثقل عندما تكره، وقوله (على متنه) يشير إلى التمكن، والتعبير بـ(كلما) يشير إلى العادة في الفعل وقوله (هَيْعَةً أَوْ فَزعَةً، طَارَ عَلَيْهِ يَبْتَغِي القَتْلَ، أَوْ المَوْتَ مَظَانَّه) كناية عن شجاعته، ورغبته فيه، والهيعة والفزع صوت المنادي للحرب، والمستغيث، والتعبير بالماضي الدال على التحقق يؤكد السرعة في التلبية، وتمام الاستعداد رغبة في الشهادة، ومظان الموت أماكن غلب الظن على وقوعه فيها، (أَوْ رَجُلٌ فِي غُنَيمَةٍ فِي رَأسِ شَعَفَةٍ مِنْ هذِهِ الشَّعَفِ) والشعفة أعلى الجبل، والإشارة (هذه) في هذه العبارة والتي تليها للتحقير؛ لأنه لا يبحث عن ترف، و تصغير غنيمة للتحقير الذي يوحي بأن الرجل لم يسع إلى طلب دنيا بل سعى إلى عزلة لتفريغ القلب للعبادة وهو ما صورته الأفعال في صورة المضارع الدال على التجدد، والاستمرار (يُقِيمُ الصَّلاَةَ، وَيُؤتِي

---

(١) المرجع السابق والصفحة ذاتها.

الزَّكَاةَ، وَيَعْبُدُ رَبَّهُ) إلى الغاية المنتظرة (حَتَّى يأتِيَهُ اليَقِينُ) لا يؤذي الناس، ولا يؤذونه وهو ما أكده بالقصر البلاغي، وختم به الحديث في قوله: " ليس من الناس إلا في خير "للإشارة إلى الخير المحض في علاقته بالناس.

المضامين الدعوية[1]

(١) تقدم ذكرها مدمجة مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١٣٠٢)

١٣٠٢- وعنه: أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: ((**إنَّ في الجنَّةِ مِئَةَ دَرَجَةٍ أعَدَّهَا اللهُ لِلْمُجَاهِدِينَ في سَبِيلِ اللهِ مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأرْضِ**)) رواه البخاريُّ[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

يقوم الحديث على الأسلوب الخبري، ولا شك أن الرسول الكريم ﷺ قد أطلعه الله تعالى على بعض الأمور الغيبية التي ترغب المؤمنين في فضل الله الذي لا يحد بحدود ويوصف هذا الحديث ببراعة الاستهلال لأنه صدَّر الحديث بأسلوب التشويق بذكر درجات الجنة، وتقديم قوله (في الجنة) تخصيص يفيد قصرها على كونها في الجنة لا في غيرها، وهو ما يؤكد عظمة العطاء، وخلوده لأن كل ما في الجنة عظيم خالد، وقد أكد النبي ﷺ الخبر بإن، واسمية الجملة تنبيها على عظمة الجزاء، وضرورة اغتنامه في قوله: "إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض" وجاء بالعدد "مائة درجة" لتقريب المعنى إلى الإفهام، والفعل الماضي المسند إلى لفظ الجلالة: "أعدها الله" يفيد تحقق هذا الإعداد، وأن الذي أعد ذلك هو رب العالمين الذي لا يخلف وعده رسله، ويشبه الرسول الكريم المسافة بين كل درجة، وأخرى كما بين السماء والأرض، ويحتوى هذا التشبيه على كناية توضح سعه فضل الله تعالى؛ لأن ما بين السماء، والأرض يقدر بآلاف الكيلومترات، وهو دليل على عظم الثواب الذي أعده الله للمجاهدين ترغيبا للمؤمنين في الجهاد الذي يمثل مصدر العزة، والحماية، والكرامة للأمة والله أعلم.

---

(١) برقم (٢٧٩٠). تبع فيه المؤلفُ المنذريَّ في ترغيبه (١٩٦٠) حيث أورده مختصرًا هكذا.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: جزاء المجاهدين في سبيل الله.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

ثالثًا: من أهداف الدعوة: الحث على الجهاد في سبيل الله.

أولاً - من موضوعات الدعوة: جزاء المجاهدين في سبيل الله:

جاء ذلك في قوله ﷺ: (إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض)، وأصل الحديث في البخاري: ((من آمَنَ باللهِ وبرسولِه وأقامَ الصلاةَ وصامَ رمضانَ كان حَقًّا على الله أن يُدْخِلَهُ الجنَّة، جاهَدَ في سبيلِ اللهِ أو جلَسَ في أرضِهِ التي وُلِدَ فيها. فقالوا: يا رسولَ اللهِ، أفلا نُبَشِّرُ الناس؟ قال: إنَّ في الجنةِ مائةَ درجةٍ أعدَّها الله للمجاهدينَ في سَبيلِ الله ما بينَ الدرجتين كما بينَ السماءِ والأرض فإذا سألتمُ اللهَ فاسألوهُ الفِردَوسَ فإنهُ أوْسَطُ الجنة وأعلى الجنة - أُراهُ قال: وفوقَهُ عرشُ الرحمنِ - ومنهُ تَفَجَّر أنهارُ الجنة)).

قال الطيبي: "قوله: (إن في الجنة...) قال الأشرف: لما سوى النبي ﷺ بين الجهاد في سبيل الله وبين عدمه وهو المراد بالجلوس في أرضه التي ولد فيها في دخول المؤمن بالله ورسوله، المقيم للصلاة الصائم لرمضان في الجنة، ورأى ﷺ استبشار الراوي بما سمعه لسقوط مشاق الجهاد عنهم وعدم امتيازه في نيل الجنة استدرك النبي ﷺ قوله بقوله الثاني "إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله...".

أقول - الطيبي - الجواب من الأسلوب الحكيم، أي بشرهم بدخول الجنة بالإيمان والصوم والصلاة وإيجابها لهم بحسب الأجر على سبيل الوعد، ولا يكتف بذلك بل زاد على تلك البشارة الأخرى وهو الفوز بدرجات الشهداء فضلاً من الله تعالى ونعمة وزيادة على ذلك، ولا يقنع بهذا أيضًا فبشرهم بالفردوس الذي هو أعلاها وأوسطها، وفيه الحث على ما يحصل به أقصى درجات الجنان وهي الفردوس الأعلى، من المجاهدة مع العدو والنفس والشيطان، والإشارة إليه بقوله تعالى: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾[1]، "[2].

---

(١) سورة الحج، آية: ٧٨.

(٢) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ٧/٢٦٢ - ٢٦٣.

وقال ابن حجر: "وفي الحديث فضيلة ظاهرة للمجاهدين، وفيه عظم الجنة وعظم الفردوس منها"[١].

قال ابن علان: "وفيه عظيم فضل المجاهد، وعظيم عناية الله به، وقوله: (ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض)، يراد به بيان علو منزلتهم في الجنة ورفعة مقامهم فيها"[٢]، وذلك لتلبسهم بأفضل الأعمال وأعلاها منزلة، قال ابن دقيق العيد: "الجهاد أفضل الأعمال مطلقًا؛ لأنه وسيلة إلى إعلان الدين ونشره، وإخماد الكفر ودحضه، ففضيلته بحسب فضيلة ذلك"[٣].

ثانيًا - من أساليب الدعوة: الترغيب:

ورد أسلوب الترغيب في الحديث في الجهاد، ببيان ما أعده الله لأهله من درجات، فقال ﷺ: (إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض)، وذلك لما يبذلونه من نفس ومال في سبيل الله، فلما بذلوا أشرف ما عندهم أسكنهم الله أفضل ما عنده، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾[٤]، قال العز بن عبدالسلام: "يشرف البذل بشرف المبذول وأفضل ما بذله الإنسان نفسه وماله، ولما كانت الأنفس والأموال مبذولة في الجهاد، جعل الله من بذل نفسه في أعلى رتب الطائعين وأشرفها لشرف ما بذله، مع محو الكفر ومحق أهله وإعزاز الدين وصون دماء المسلمين"[٥].

ولقد حفلت آي الذكر الحكيم، ووردت الأحاديث الشريفة، بوصف الجنة وما أعده الله فيها ترغيبًا للمؤمنين وحثًا لهم على الطاعات والجهاد وتحمل المشاق، ذلك أن

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٦/٦.

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٤٠٤، شرح رياض الصالحين، الشيخ ابن عثيمين ١٤٤٣/٢.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٨/٦.

(٤) سورة التوبة، آية: ١١١.

(٥) أحكام الجهاد وفضائله، العز بن عبدالسلام ص ٥٤.

الإنسان إذا علم أن الله قد أعد له دارًا فيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾[(١)]، تولدت عنده الرغبة الصادقة في أن يكون من أهل هذه الجنة وسعى لها سعيها فكان من المتقين ومن المحسنين ومن الذاكرين ومن المخبتين ومن المجاهدين ومن المنفقين ومن الأوابين المنيبين الذين ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾[(٢)(٣)].

ثالثًا - من أهداف الدعوة: الحث على الجهاد في سبيل الله:

إن الحث على الجهاد وترغيب الناس في إدراك ثواب المجاهدين من الأهداف الرئيسة للدعوة، وذلك واضح من خلال بيان رسول الله ﷺ في الحديث لمنازل المجاهدين: (إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض)، فالجهاد تجارة رابحة، عائدها النجاة من العذاب ومغفرة الذنوب ودخول الجنة والإقامة فيها.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۝ وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[(٤)].

فوعدهم الله بالدرجات العلى في الجنة والمساكن الطيبة، قال الطاهر بن عاشور: "وإنما خصت المساكن بالذكر، لأن في الجهاد مفارقة المجاهدين مساكنهم، فوعدوا على تلك المفارقة المؤقتة بمساكن أبدية"[(٥)].

---

(١) سورة التوبة، آية: ٧٢.

(٢) سورة السجدة، آية: ١٦.

(٣) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين ٢١٢٧/٦.

(٤) سورة الصف، الآيات: ١٠ - ١٣.

(٥) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور ١٩٥/٢٨/١١.

وقال السعدي في تفسير الآية: "(يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم...) هذه وصية ودلالة وإرشاد من أرحم الراحمين لعباده المؤمنين، لأعظم تجارة وأجلّ مطلوب وأعلى مرغوب يحصل بها النجاة من العذاب الأليم والفوز بالنعيم المقيم وأتى بأداة العرض (هل أدلكم) الدالة على أن هذا أمر يرغب فيه كل معتبر ويسمو إليه كل لبيب فكأنه قيل: ما هذه التجارة التي هذا قدرها؟ فقال: (تؤمنون بالله ورسوله) ومن المعلوم أن الإيمان التام هو التصديق الجازم بما أمر الله بالتصديق به المستلزم لأعمال الجوارح التي من أجلّها الجهاد في سبيل الله، فلهذا قال: (وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم) بأن تبذلوا نفوسكم ومهجكم لمصادمة أعداء الإسلام، والقصد نصرة دين الله، وإعلاء كلمته.

وتنفقون ما تيسر من أموالكم في ذلك المطلوب، فإن ذلك وإن كان كريهًا للنفوس شاقًا عليها، فإنه (خير لكم إن كنتم تعلمون)، فإن فيه الخير الدنيوي من النصر على الأعداء، والعز المنافي للذل والرزق الواسع، وسعة الصدر وانشراحه.

والخير الأخروي بالفوز بثواب الله، والنجاة من عقابه، ولهذا ذكر الجزاء في الآخرة فقال: (يغفر لكم ذنوبكم) وهو شامل للصغائر والكبائر، فإن الإيمان بالله، والجهاد في سبيله، مكفر للذنوب ولو كانت كبائر. (ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار) أي: من تحت مساكنها وقصورها وغرفها، أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه، وأنهار من خمر لذة للشاربين، وأنهار من عسل مصفى، ولهم فيها من كل الثمرات.

(ومساكن طيبة في جنات عدن) أي: جمعت كل طيب، من علو وارتفاع وحسن بناء وزخرفة.

حتى إن أهل الغرف من أهل عليين، يتراءآهم أهل الجنة، كما يتراءى الكوكب الدري في الأفق الشرقي أو الغربي.

وحتى إن بناء الجنة بعضه من لَبِن ذهب، وبعضه من لَبِن فضة، وخيامها من اللؤلؤ والمرجان، وبعض المنازل من الزمرد، والجواهر الملونة بأحسن الألوان حتى إنها من

صفائها يرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، وفيها من الطيب والحسن ما لا يأتي عليه وصف الواصفين، ولا خطر على قلب أحد من العالمين، لا يمكن أن يدركوه حتى يروه، ويتمتعوا بحسنه وتقرّ به أعينهم.

ففي تلك الحالة، لولا أن الله خلق أهل الجنة، وأنشأهم نشأة كاملة، لا تقبل العدم، لأوشك أن يموتوا من الفرح، فسبحان من لا يحصي أحد من خلقه ثناء عليه، بل هو كما أثنى على نفسه، وفوق ما يثني عليه أحد من خلقه.

وتبارك الجليل الجميل الذي أنشأ دار النعيم، وجعل فيها من الجلال والجمال ما يبهر عقول الخلق، ويأخذ بأفئدتهم.

وتعالى من له الحكمة التامة، التي من جملتها أنه لو رأى العباد الجنة، ونظروا إلى ما فيها من النعيم لما تخلف عنها أحد، ولما هنأهم العيش في هذه الدار المنغصة، المشوب نعيمها بألمها، وفرحها بترحها.

وسميت جنة عدن؛ لأن أهلها مقيمون فيها، لا يخرجون منها أبدًا ولا يبغون عنها حولاً، ذلك الثواب الجزيل، والأجر الجميل، هو الفوز العظيم، الذي لا فوز مثله، فهذا الثواب الأخروي.

وأما الثواب الدنيوي لهذه التجارة فذكره بقوله: (وأخرى تحبونها)، أي: يحصل لكم خصلة أخرى تحبونها، وهي: (نصر من الله) لكم على الأعداء، يحصل به العز والفرح.

(وفتح قريب) تتسع به دائرة الإسلام، ويحصل به الرزق الواسع، فهذا جزاء المؤمنين المجاهدين"[1].

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٧٩٨.

الحديث رقم (١٣٠٣)

١٣٠٣- وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ، قَالَ[١]: ((مَنْ رَضِيَ بِاللهِ رَبًّا، وَبِالإسْلامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولاً، وَجَبَتْ لَهُ الجَنَّةُ))، فَعَجِبَ لَهَا أَبُو سَعيدٍ، فَقَالَ: أَعِدْهَا عَلَيَّ يَا رسولَ اللهِ، فَأَعَادَهَا عَلَيْهِ[٢]، ثُمَّ قَالَ: ((وَأُخْرَى يَرْفَعُ اللهُ[٣] بِهَا العَبْدَ مِئَةَ دَرَجَةٍ في الجَنَّةِ، مَا بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأرْضِ)) قَالَ: وَمَا هِيَ يَا رسولَ اللهِ؟ قَالَ: ((الجِهَادُ في سَبِيلِ اللهِ، الجِهَادُ في سَبيلِ اللهِ)) رواه مسلم[٤].

ترجمة الراوي:

أبو سعيد الخدري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٠).

الشرح الأدبي

إن الحوار في البيان النبوي من وسائل تبليغ الدعوة وهو برهان على التفاعل والتجاوب بين الخطاب النبوي الراشد وكل من يتلقى هذا الخطاب وهو مشروح الصدر متفتح الذهن نابضاً قلبه بمحبة السراج المنير البشير النذير، وهذا الحديث الشريف نموذج للحوار المقنع الذي يشد المستمع ويؤثر في المتلقي، وحين نتأمل جماليات الأداء الأسلوبي في هذا الحديث الشريف تطالعنا الظواهر الفنية التالية: أولها: التأكيد في بداية الحديث على لسان الراوي الأعلى "أبي سعيد الخدري: رواية عن الإمام مسلم" أن رسول الله ﷺ قال: ولم يقل: قال رسول الله.. دلالة على أن الخبر المؤكد له أهميته، وله أثاره الممتدة عبر الزمان، والمكان على مر العصور، واختلاف البيئات، وثانيها: صيغة الشرط، والجواب في قوله: من رضي بالله رباً، وبالإسلام دينا، وبمحمد

(١) عند مسلم زيادة: (يا أبا سعيد) ولم يوردها المنذري في ترغيبه، فتبعه عليها المؤلف.

(٢) لفظ مسلم: (ففعل). والمثبت لفظ المنذري.

(٣) لفظ مسلم: (يرفع) فقط. والمثبت لفظ المنذري.

(٤) برقم (١٨٨٤/١١٦). أورده المنذري في ترغيبه (١٩٦٢).

رسولا: وجبت له الجنة " إن هذه الصيغة ترشد إلي أن وعد الله نافذ فالمقدمات الصحيحة تؤدى إلي النتيجة الصحيحة والله لا يخلف الميعاد، والتعبير بقوله: رضي "يوحى" بإن الإيمان لابد أن يكون نابعاً من القلب متوجاً بصدق الشعور، محصناً بالأعمال الصالحة، والأقوال الصادقة: فالرضا ينبع من الإقتناع والسكينة والتسليم المطلق الرافض لكل شوائب الشك، والقلق، والاضطراب، وثالثها: حسن التقسيم. . وحلاوة الإيقاع في مكونات جمله الشرط. . فهي تتكون من ثلاث وحدات لغوية. . ويختم كل منها بالتمييز " رضي بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد رسولاً " وهذا التقسيم يحمل فى طياتة الترغيب والبشارة ويحدد أبعاد عقيدة المسلم، فربة الله، ودينه الإسلام، ورسوله ونبيه محمد ﷺ، ورابعها: دلالة " التنكير " في " التميز " رباً، وديناً، ورسولاً " تفيد التميز، والتحديد، التعظيم وتوحي بإنكار ما عداها. . فلا رب سوى الله، ولا دين سوى الإسلام، ولا رسول للإسلام سوى محمد ﷺ، وتقديم لفظ الجلالة، واسم رسول الله، ولفظ الإسلام يؤكد هذه الدلالة ويدعمها، وخامسها: طلب الإعادة: ليس للشك ولكنة كما قال العلماء: استلذاذٌ بذكر المحبوب " ولمزيد من البشارة والثواب، وسادسها: التكرار في نهاية الحديث: لتعظيم شأن الجهاد، والحض على قيمته: وحث المسلمين على نشر الإسلام، واستمرار الفتوحات التي تضيء الآفاق بنور الأيمان، وتبدد ليل الظلم والطغيان.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل الرضى بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبرسوله ﷺ في دخول الجنة.

ثانيًا: من حقوق المدعو: أن يستوعب كلام الداعية وأن يطلب إعادته.

ثالثًا: من واجبات الداعية: أن يعيد ما قاله على المدعو لأجل استيعابه.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: فضل الجهاد في سبيل الله وبيان درجات المجاهدين.

أولاً - من موضوعات الدعوة: فضل الرضى بالله ربًا وبالإسلام دينا وبرسوله ﷺ في دخول الجنة:

قد جاء ذلك في صريح الحديث في قوله ﷺ: (من رضي بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمد رسولاً وجبت له الجنة)، فالإيمان شرط قبول كل الأعمال وسبب لنيل الرضا والحب والإنعام من الله تعالى والحياة الطيبة في الدنيا والفوز بالجنة في الآخرة [1]، والرضا والتسليم لله بالربوبية والعبودية هو الغاية والهدف الذي خلق من أجله الإنسان [2]، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ﴾ [3].

إن الإيمان لا يقتصر ويقف عند مجرد التلفظ بالشهادتين فحسب بل إنه ليمتد ليشمل جميع جوانب الدين، فلقد أطلق رسول الله ﷺ لفظ الإيمان على جميع فروع الدين، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((الأيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً. وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الأيْمَانِ)) [4].

وهذه الفروع والشعب منها ما يتعلق بالجنان، ومنها ما يتعلق باللسان، ومنها ما يتعلق بالأبدان.

فأما ما يتعلق بالقلب، فهي المعتقدات والنيات... وتنتظم الخصال الآتية:

الإيمان بالله، وتوحيده، وأنه ليس كمثله شيء، واعتقاد حدوث ما دونه.

والإيمان بملائكته، وكتبه ورسله.

والإيمان بالقدر خيره وشره.

والإيمان باليوم الآخر. ويدخل فيه سؤال القبر، والبعث، والنشور، والحساب، والميزان، والصراط، والجنة والنار.

---

(١) انظر: موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين ٧٤٩/٣.

(٢) التربية على منهج أهل السنة والجماعة، أحمد فريد ص ٢٦١.

(٣) سورة الذاريات، الآيتان: ٥٦ - ٥٧.

(٤) أخرجه البخاري ٩، ومسلم ٥٧ واللفظ له.

ومحبة الله، والحب والبغض في الله.

ومحبة النبي ﷺ، واعتقاد تعظيمه، ويدخل فيه الصلاة عليه واتباع سنته.

والإخلاص لله، وترك الرياء والنفاق. والتوبة، والخوف والرجاء، والشكر والوفاء، والصبر والرضا بالقضاء، والتوكل والرحمة والتواضع، وتوقير الكبير، ورحمة الصغير، وترك الكبر والعجب، وترك الحسد والحقد والغضب.

وأما ما يتعلق باللسان فهي هذه الخصال:

التلفظ بالشهادتين، وتلاوة القرآن، وتعلم العلم وتعليمه، والدعاء، والذكر، واجتناب اللغو.

وأما الخصال التي تتعلق بالأبدان فهي:

التطهر حسًا وحكمًا، واجتناب النجاسات، وستر العورة، والصلاة فرضًا ونفلاً، والزكاة، والجود، وإطعام الطعام، وإكرام الضيف، وتحرير العبيد والصيام فرضًا ونفلاً. والحج والعمرة، والاعتكاف، والتماس ليلة القدر، والفرار بالدين، والهجرة من دار الحرب، والوفاء بالنذر، والتحري في الأيمان، وأداء الكفارات.

والتعفف بالزواج، والقيام بحقوق العيال، وبر الوالدين، واجتناب العقوق، وتربية الأولاد، وصلة الرحم.

والقيام بالإمارة مع العدل، ومتابعة الجماعة، وطاعة أولي الأمر، والإصلاح بين الناس، وقتال الخوارج والبغاة، والمعاونة على البر، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإقامة الحدود، والجهاد والمرابطة في سبيل الله، وأداء الخمس مع الغنيمة، والقرض مع وفائه، وإكرام الجار، وحسن المعاملة، وجمع المال من حلّه، وإنفاقه في حقه، وترك التبذير والإسراف، وردّ السلام وتشميت العاطس، وكف الأذى عن الناس، واجتناب اللهو، وإماطة الأذى عن الطريق.

هذا هو الإيمان الحق وهو ينتظم العقائد، والعبادات، والأخلاق والآداب وسائر المعاملات وهذا ما اتفق عليه علماء السلف.

قال الإمام البخاري: "لقيت أكثر من ألف رجل من العلماء بالأمصار، فما رأيت

أحدًا منهم يختلف في أن الإيمان: قول وعملٌ، ويزيد وينقص"[1][2].

وجزاء ذلك الجنة تلك الدار التي هيأها الله لمثوبة المؤمنين الصالحين من عباده، وأعد لهم فيها من النعيم الروحي والمادي[3]، ما يعجز البشر عن تصوره، قال تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾[4].

أي: لا تبلغ نفس من أهل الدنيا معرفة ما أعد الله لهم، فإن مدركات العقول منتهية إلى ما تدركه الأبصار من المرئيات من الجمال والزينة، وما تدركه الأسماع من محاسن الأقوال ومحامدها ومحاسن النغمات، وإلى ما تبلغ إليه المتخيلات من هيئات يركبها الخيال من مجموع ما يعهده من المرئيات والمسموعات مثل الأنهار من عسل أو خمر أو لبن ومثل القصور والقباب من اللؤلؤ وغير ذلك فكل ذلك قليل في جانب ما أعد لهم في الجنة من هذه الموصوفات ولا تبلغه صفات الواصفين؛ لأن منتهى الصفة محصور فيما تنتهي إليه دلالات اللغات مما يخطر على قلوب البشر[5].

ثانيًا – من حقوق المدعو: أن يستوعب كلام الداعية وأن يطلب إعادته:

إن ذلك ما يمكن أن ندركه من طلب أبي سعيد الخدري ﷺ من رسول الله ﷺ بإعادة كلامه عليه: (من رضي بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمد رسولاً وجبت له الجنة)، فعجب لها أبو سعيد فقال: أعدها عليّ يا رسول الله فأعادها عليه، وطلبه الإعادة استلذاذًا بذكر المحبوب[6]، إضافة إلى ما في الإعادة والتكرار من بيان للحق وتعميق مجراه في نفوس المؤمنين، فلا ريب أن الدعوة والتربية عملية شاقة ولا بد أن تكون متواصلة حتى تؤتي أكلها وكلنا يعلم إلى أي مدى تحتاج تربية النفوس والأفراد من جهد وتذكير دائم بالأمور المراد بناؤها في النفوس وتربية الأفراد عليها، والتكرار

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١/ ٤٠.

(٢) إسلامنا، السيد سابق ص ٢٧ – ٢٩.

(٣) الإيمان والحياة، د. يوسف القرضاوي ص ٣٦.

(٤) سورة السجدة، آية: ١٧.

(٥) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور ٢٣٠/٢١/٨.

(٦) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٤٠٠.

هو أنجع وأحسن الأساليب في تنمية هذا الأمر سواء كان التكرار قولاً يردد، أو عملاً يُقتدى به أو يدرب عليه[١].

ثالثًا - من واجبات الداعية: أن يعيد ما قاله على المدعو لأجل استيعابه:

إن تأكيد الكلام من أهم الوسائل في تثبيت المعنى في القلوب وبثه في النفوس وحملها على التصديق والإيمان به، ولا يكون التأكيد ذا نفوذ حقيقي إلا إذا دام تكراره ما أمكن، والأمر إذا ما أكد انتهى بالتكرار إلى الرسوخ في النفس على أنه حقيقة ثابتة[٢]، وقد استخدم النبي ﷺ أسلوب التكرار كما هو واضح في الحديث: (فعجب لها أبو سعيد فقال: أعدها عليّ يا رسول الله فأعادها عليه).

إنَّ التَكْرار والإعادة مبدأ يؤثر في غرس الخير، وفي بناء الشخصية المسلمة، لذا كان من هدي رسول الله ﷺ أنه يكرر القول أو الفعل في وقت واحد أو في أوقات متفرقة - وهو ما يسمى بالتعليم الموزع - حتى يُتعلم منه ويطبق[٣].

رابعًا - من موضوعات الدعوة: فضل الجهاد في سبيل الله وبيان درجات المجاهدين:

ورد ذلك في الحديث في قوله ﷺ: (وأخرى يُرفع بها العبد مائة درجة في الجنة، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، قال: وما هي يا رسول الله؟، قال: الجهاد في سبيل الله)، قال النووي: "قال القاضي عياض: يحتمل أن هذا على ظاهره وأن الدرجات هنا المنازل التي بعضها أرفع من بعض في الظاهر، وهذه صفة منازل الجنة كما جاء في أهل الغرف أنهم يتراءون كالكوكب الدري، قال: ويحتمل أن المراد الرفعة بالمعنى من كثرة النعيم وعظيم الإحسان مما لم يخطر على قلب بشر ولا يصفه مخلوق، وأن أنواع ما أنعم الله به عليه من البر والكرامة يتفاضل تفاضلاً كثيرًا، ويكون تباعده في الفضل كما بين السماء والأرض في البعد، قال القاضي: والاحتمال الأول أظهر، وهو كما قال"[٤]، وتضافرت آيات القرآن على رفعة منزلة الجهاد في سبيل

---

(١) عظمة القرآن الكريم، محمود بن أحمد بن صالح الدوسري ص ٢٩٤.

(٢) أسلوب الدعوة القرآنية بلاغة ومنهاجًا، د. عبدالغني محمد سعيد بركة ص ٢٤.

(٣) علم النفس الدعوي، د. عبدالعزيز بن محمد النغيمشي ص ٢٢٥.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٢١٠.

الله وعلو درجة صاحبه، قال تعالى: ﴿وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ۝ دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[1].

وهذا إخبار من الله تعالى بما فضلهم به من الدرجات في غرف الجنان العاليات، ومغفرة الذنوب والزلات وحلول الرحمة والبركات إحسانًا منه وتكريمًا[2]، ولهذا قال تعالى: ﴿دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[3].

قال ابن حجر: "قال ابن دقيق العيد: الجهاد أفضل الأعمال مطلقًا لأنه وسيلة إلى إعلان الدين ونشره وإخماد الكفر ودحضه ففضيلته فضيلة ذلك"[4].

وقال العز بن عبدالسلام: "يشرف البذل بشرف المبذول وأفضل ما يبذله الإنسان نفسه وماله، ولما كانت الأنفس والأموال مبذولة في الجهاد، جعل الله من بذل نفسه في أعلى رتب الطائعين وأشرفها لشرف ما بذله مع محو الكفر ومحق أهله وإعزاز الدين وصون دماء المسلمين"[5]، وقال أيضًا: "إنما شرفت النفقة في سبيل الله؛ لأنها وسيلة إلى أفضل الأعمال بعد الإيمان وإذا كانت حسنة الوسيلة بسبعمائة فما الظن بحسنة الجهاد في سبيل الله"[6].

وللجهاد فوائد كثيرة منها:

(أ) أنه من كمال الإيمان وحسن الإسلام.

(ب) هو دليل على حسن الظن بالله وقوة اليقين.

(ج) فيه عز الإسلام والمسلمين وقمع الشرك وأعوانه.

(د) لولا الجهاد لاستفحل الشر ولفسدت الأرض.

---

(١) سورة النساء، الآيتان: ٩٥ - ٩٦.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٣٨٨/٢.

(٣) سورة النساء، آية: ٩٦.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٨/٦.

(٥) أحكام الجهاد وفضله: العز بن عبدالسلام ص ٥٤.

(٦) المرجع السابق ص ٦١.

(هـ) فيه تمحيص للقلوب واختبار للنفوس.

(و) الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون.

(ز) من أسباب التمكين في الأرض.

(ح) فيه إرضاء الله وإذلال ودحر الشيطان وأعوانه.

(ط) به ينال العبد أعلى الجنان ويقرب من عرش الرب الرحمن.

(ي) ليس ثمة عمل يعدل الجهاد في سبيل الله[1].

---

(١) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين ٤/١٥٠٥ بتصرف.

الحديث رقم (١٣٠٤)

١٣٠٤ - وعن أَبي بكر بن أَبي موسى الأشعريِّ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبي ﷺ، وَهُوَ بَحَضْرَةِ العَدُوِّ، يقول: قَالَ رسول الله ﷺ: ((**إنَّ أبْوَابَ الجَنَّةِ تَحْتَ ظِلاَلِ السُّيُوفِ**)) فَقَامَ رَجُلٌ رَثُّ الهَيْئَةِ، فَقَالَ: يَا أَبَا مُوسَى أأنْتَ سَمِعْتَ رسولَ اللهِ ﷺ يقول هَذَا؟ قَالَ: نَعَمْ، فَرَجَعَ إِلَى أصْحَابِهِ، فَقَالَ: أقْرَأُ عَلَيْكُم السَّلاَمَ، ثُمَّ كَسَرَ جَفْنَ سَيْفِهِ فَألْقَاهُ، ثُمَّ مَشَى بِسَيْفِهِ إِلَى العَدُوِّ فَضَرَبَ بِهِ حَتَّى قُتِلَ. رواه مسلم[١].

ترجمة الراوي:

أبو موسى الأشعري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨).

غريب الألفاظ:

بحضرة العدو: قربه، وعنده[٢].

رث الهيئة: خَلَقُ الثياب[٣].

جفن سيفه: غمده[٤].

الشرح الأدبي

حين نتأمل جماليات الأداء الأسلوبي في هذا الحديث الشريف نستضيء بأول ومضة بدأت بها صيغته. وهى أنه حكاية يرويها أبو بكر بن أبى موسى الأشعري وهو " ثقة في روايته " ومن أوساط التابعين، فهو يقول: سمعت من أبى، وقوله من أبي " تأكيد لصدق الرواية، وإيحاء بعدم التشكيك فيها، وقوله، وهو بحضرة العدو جمله حالية: تنبيء عن امتزاج الأقوال بالأفعال. فالحديث ليس رواية قولية فقط، ولكنة قول،

---

(١) برقم (١٩٠٢/١٤٦). أورده المنذري في ترغيبه (١٩٧١).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ح ض ر).

(٣) المرجع السابق في (ر ث ث).

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٢١٨.

وعمل، والعدو. . لفظ فيه عموم، وشمول، فكل من يهدد ديار الإسلام فهو عدو، وكل من يشوه الإسلام فهو عدو. . مهما تباينت الوسائل وتعددت الأشكال، واختلفت الطرق، والتأكيد من قوله إن أبواب الجنة تحت ظلال السيوف " لمزيد من الإيحاء بصدق الخبر، وصدق الوعد، والترغيب في الجهاد، وصيغة الجمع في أبواب تعطى شحنة ترغيبية دافعة للإقدام، والجهاد. . وللجنة سبعة أبواب. . فأبواب الجنة كلها مشرعة تستقبل الشهداء الفاتحين، وما أجمل الصورة الحركية الأدبية الناطقة بكل معالم الترغيب في قوله: تحت ظلال السيوف، وليس هناك، وصف لالتحام الصفوف، ورصد صور القتال، والجهاد أروع من هذا الوصف الدال الجامع المانع " ويقول القرطبي. . كما يروى صاحب – دليل الفاتحين – هذا الكلام النفيس البديع: فإنه استفيد من الحض على الجهاد، والاختبار بالثواب علية، والحض على مقاربة العدو، واستعمال السيوف، والاعتماد عليها، واجتماع المقاتلين حين الزحف بعضهم لبعض حتى تكون سيوفهم بعضها تقع على العدو، وبعضها ترتفع عليهم حتى كأن السيوف أظلت الضاربين بها " فما أجمل، وما أروع هذه البلاغة النبوية السامقة " – وتكتمل صورة الخبر في الجزء الثاني حيث يحكى الراوي قائلاً: فقام رجل رث الهيئة وهذه الصفة ليست للتحقير، ولكنها تفيد المساواة ف الإسلام. . فالرجل ليس معروفاً، وليس من أهل اليسار، والشأن، ولكنه حريص على صحة الحديث، ولذلك يأتي استفهام وزراؤه في هيئة مواجهة علمية لأبي موسى: أأنت سمعت رسول الله يقول هذا ؟" وهذه المعالم الأسلوبية مع اسم الإشارة هذا، وضمير الخطاب: أنت لمزيد من الاطمئنان على صحة الحديث، وتوثيقه الدقيق، والنتيجة أن الرجل ينطلق ليفوز بالجنة، ولم يكتف بعلم الرؤية أو علم الدراية. . ولكنة ودع أصحابة، وكسر جفن سيفه وقاتل حتى قتل، والعطف بالفاء له دلالة في سرعة الحركة أو بطئها حسب سياق الكلام، والرغبة في الفوز بدار السلام.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل الجهاد في سبيل الله.

ثالثًا: من آداب المدعو: سرعة الاستجابة لتوجيهات النبي ﷺ.

أولاً - من موضوعات الدعوة: فضل أبي موسى الأشعري رضي الله عنه:

جاء في الحديث بعض الإشارات إلى فضل أبي موسى الأشعري رضي الله عنه منها:

أ - جهاده في سبيل الله كما جاء في قول ابنه أبي بكرة: سمعت أبي رضي الله عنه وهو بحضرة العدو.

لقد كان لأبو موسى الأشعري رضي الله عنه باع في الجهاد في سبيل الله ونشر دعوته، فمنذ غزوة خيبر بدأت مغازي أبي موسى في عرض البلاد وطولها وحظي بشرف الجهاد تحت الراية المحمدية واللواء المصطفوي المظفر.

وشهد ما بعد خيبر بمعية النبي ﷺ؛ وكان أبو موسى فارسًا مغوارًا لا يُشق له غبار، وقد حظي بشهادة الشجاعة ووسامها من رسول الله ﷺ حيث قال عنه: ((سَيِّدُ الْفَوَارِسِ أَبُو مُوسَى))[1]، وثبت أنه جندل في معركة واحدة تسعة إخوة من المشركين، وجعلهم كأمس الدابر.

وفي العهد البكري الميمون، والعهد العمري من العصر الراشدي فتح أبو موسى بلادًا شاسعة واسعة من أرض فارس، وشهد فتح الجزيرة وأرض الشام.

وأبو موسى هو الذي افتتح أصبهان في زمن عمر رضي الله عنه وفتح تُستر[2] كذلك.

قال ابن الأثير: "وكان أبو موسى عاملَ رَسُول الله ﷺ على زبيد وعَدَن، واستعمله عمر رضي الله عنه على البصرة، وشهد وفاة أبي عبيدة بن الجرَّاح بالشام"[3].

ولأبي موسى رضي الله عنه أخبار سارة في مجال الفتوحات كما كانت له أخبار كثيرة مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه وخصوصًا في قصة التحكيم بين علي ومعاوية رضي الله عنهما وقد

---

(١) الطبقات الكبرى، ابن سعد، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا ١٠٧/٤.

(٢) تستر بالعراق مدينة معلومة، تنسب إليها الثياب التسترية، انظر: معجم ما استعجم، البكري ٣١٢/١.

(٣) أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود ٣٦٥/٣.

تكفلت المصادر المتنوعة بالحديث عنها وإيضاح إشكالها، كما كانت له بضعة أخبار مع معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما ولا مجال لذكره الآن لأنها خارجة عن فكرة هذه الموسوعة.

كما كانت لأبي موسى رضي الله عنه آثار عديدة في ميادين المعارك تدل على فقهه وعلمه، وتأثره بالهدي النبوي في سلمه وحربه:

إن حاربوا ملؤوا البلاد مصارعا ... أو سالموا عمروا الديار مساجدا [١]

قال الله عز وجل: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[٢][٣].

ب – سماعه الحديث من رسول الله ﷺ. ومن دلائل ذلك ما جاء في الحديث "فقام رجل رث الهيئة فقال: يا أبا موسى أأنت سمعت رسول الله ﷺ يقول هذا؟ قال: نعم.

إن أبا موسى الأشعري قد أصاب كثيرًا من الفضائل والمآثر، فهو صاحب رسول الله ﷺ، الإمام الكبير، الفقيه، المقرئ، من الولاة الفاتحين كان حسن الصوت، فاضلاً، عابدًا جمع بين العلم والعمل والجهاد وسلامة الصدر، وحمل وروى عن النبي ﷺ علمًا كثيرًا، وهو معدود فيمن قرأ على النبي ﷺ[٤].

روى مسلم بسنده عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((لَوْ رَأَيْتَنِي وَأَنَا أَسْتَمِعُ لِقِرَاءَتِكَ الْبَارِحَةَ لَقَدْ أُوتِيتَ مِزْمَارًا مِنْ مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ))[٥].

لقد حرص أبو موسى الأشعري رضي الله عنه أشد الحرص على الاستفادة من المجالس النبوية، وأخذ يسعى لكي يكون قريبًا منها، يأنس برؤية النبي ﷺ، ويأخذ عنه ويتعلم ويتفقه؛ فلقد أوتي أبو موسى فهمًا وذكاء وحرصًا وحبا للعلم، ومنّ الله عليه

---

(١) الشاعر: عبدالله الخفاجي، قافية الدال، بحر الكامل.

(٢) سورة القصص، آية: ٨٣.

(٣) علماء الصحابة، د. أحمد خليل جمعة ص ٦٣١ – ٦٣٢.

(٤) موسوعة عظماء حول الرسول، عبدالرحمن العك ص ٢٠٨٩.

(٥) أخرجه البخاري، ٥٠٤٨، ومسلم ٧٩٣.

بحافظة واعية جعلته يدرك ما فاته من الفوائد المجموعة في تلكم المجالس النبوية العطرة في مكة والمدينة.

إن الأقلام تعجز عن وصف المحبة العظيمة التي كان يكنها الصحابة الأطهار رضي الله عنهم لمربيهم رسول الله ﷺ، فكانوا يعملون ما بوسعهم كي يحظوا بمرضاته، ويقضوا أوقاتًا مفيدة في صحبته الشريفة تدنيهم من جنة عرضها السماوات والأرض.

أحبّ أبو موسى أن يحقق هذا الهدف السامي، وأن يكون يومًا من الملازمين للنبي ﷺ، ينهل من المورد العذب ما راق ليكون من الأصفياء ويُكْتَب في زمرة السعداء.

تحدث أبو موسى رضي الله عنه عن تلك الأمنية المباركة التي تشرّف بها وهو يخدم رسول اله ﷺ حيث أحبّ ورَغِب أن يكون بوّاب رسول الله ﷺ وحاجبَه في ذلك.

أخرج البخاري بسنده عن سعيد بن المسيب رضي الله عنه قال: (أخبرَني أبو موسى الأشعريُّ أنه توضَّأ في بيتِه ثمَّ خرَجَ فقلتُ: لألزمنَّ رسولَ اللّهِ ﷺ ولأكونن معَهُ يومي هذا. قال: فجاءَ المسجدَ فسأل عن النبيِّ ﷺ فقالوا: خرج ووَجَّهَ ها هنا، فخرجتُ على إثرِهِ أسألُ عنه حتى دخلَ بئرَ أريسٍ، فجلستُ عندَ الباب - وبابُها من جَريد - حتى قضى رسولُ اللّهِ ﷺ حاجَتَه فتوضأ، فقمتُ إليه، فإذا هوَ جالس على بئرِ أريسٍ وتَوسَّطَ قُفَّها وكشفَ عن ساقَيهِ ودَلاهما في البئر، فسلمتُ عليهِ ثمَّ انصرَفتُ فجلستُ عندَ الباب فقلت: لأكوننَّ بَوّابَ رسولِ اللّهِ ﷺ اليومَ، فجاء أبو بكرٍ رضي الله عنه فدفَعَ البابَ، فقلتُ من هذا؟ فقال: أبو بكر. فقلتُ: على رِسلِكَ، ثم ذهبت فقلت: يا رسولَ اللّه هذا أبو بكر يَستأذن، فقال: ائذَنْ له وبشِّرْهُ بالجنة. فأقبلتُ حتى قلتُ لأبي بكر: ادخُلْ ورسولُ اللّه ﷺ يبشِّرُكَ بالجنة. فدخلَ أبو بكرٍ فجلسَ عن يمين رسولِ اللّه ﷺ معَهُ في القُفِّ ودلَّى رِجلَيه في البئر كما صنعَ النبيّ ﷺ وكشفَ عن ساقَيهِ. ثم رجعت فجلست وقد تركتُ أخي يَتوضأُ ويَلحَقني، فقلت إن يُرِدِ اللّهُ بفلانٍ خيراً - يريدُ أخاهُ - يأتِ بهِ. فإذا إنسان يُحرِّكُ البابَ، فقلت: من هذا؟ فقال: عمرُ بن الخطّاب، فقلت على

رِسْلك ثم جئت إلى رسولِ الله ﷺ فسلمت عليه فقلتُ: هذا عمرُ بن الخطاب يَستأذِنُ. فقال: ائذَن لهُ وبشِّرْهُ بالجنة فجئت فقلت: ادخلْ وبشرَّكَ رسولُ الله ﷺ بالجنَّة. فدخلَ فجلسَ معَ رسولِ اللَّهِ ﷺ في القُفِّ عن يَسارهِ ودلَّى رِجليه في البئر. ثم رجعت فجلست فقلت: إن يُردِ اللَّهُ بفلانٍ خيرًا يأتِ به، فجاء إنسان يُحرِّكُ البابَ، فقلت: مَن هذا؟ فقال: عثمانُ بن عفّانَ فقلت: على رِسلِكَ. فجئت إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ فأخبرتُه، فقال: ائذَن له وبشِّرْهُ بالجنةِ على بَلْوَى تُصيبهُ، فجئتهُ فقلت له: ادخل، وبشَّرَكَ رسولُ الله ﷺ بالجنةِ على بَلوَى تُصيبُك. فدخلَ فوجدَ القُفَّ قد ملِيءَ، فجلسَ وجاهَهُ منَ الشقِّ الآخر)[1].

وبهذا التصرف الموفق حظي أبو موسى الأشعري رضي الله عنه بالمعية النبوية الشريفة، وبخدمة رسول الله ﷺ وخدمة أصحابه الأعلام الكرام؛ أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم وحشرنا معهم ونقل لهم البشرى والبشارة بالجنة، فهل فوق هذا من مطمح؟:

قُلْ لِبَنِي الدُّنْيَا أَلاَ هَكَذَا فَلْيَفْعَلِ النَّاسُ مَعَ النَّاسِ[2]

ولعل من أبرز حصائل الصحبة النبوية وحصائدها التي جناها أبو موسى رضي الله عنه، تلكم الإشراقات الدافقة باليمن التي تشع بالبركة، وتمنح أبا موسى رضي الله عنه شهادة متميزة، وبشارة بالحسنى خصه بها النبي ﷺ.

فقد ثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قد دعا لأبي موسى بصريح اسمه بالمغفرة والمدخل الكريم، حيث قال ﷺ: ((اللهمَّ اغفر لعبدِ اللَّهِ بن قَيسٍ ذَنْبَه، وأدخلْه يومَ القيامة مُدخَلاً كريمًا))[3].

كما حظي هذا الموفق بدعاء كريم من النبي ﷺ، وكان من السابقين إلى اقتناص تلكم الدعوات المباركات من النبي ﷺ، ويغتنم تلكم الأوقات الملائمة لذلك، وهذا يدل على معرفته قدر النبي ﷺ، ويشير إلى علمه وفقهه لآداب الصحبة

---

(١) أخرجه البخاري ٣٦٧٤.

(٢) بغية الطلب، قافية السين ٢٤٢٠/٥، الوافي بالوفيات ٥٤/١٢.

(٣) أخرجه البخاري من حديث طويل في المغازي ٤٣٢٣، ومسلم ٢٤٩٨.

النبوية في مختلف الظروف التي كان يعيشها مع معلمه وأستاذه رسول الله ﷺ[١].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: فضل الجهاد في سبيل الله:

ورد ذلك في الحديث في قوله: (إن أبواب الجنة تحت ظلال السيوف)، قال القاضي عياض: "وقوله: (إن أبواب الجنة تحت ظلال السيوف)، وهذه استعارة، يعني أن الجهاد وحضور المعارك سبب لدخولها ومقرب إليها"[٢].

قال النووي: "قال العلماء: معناه: إن الجهاد وحضور معركة القتال طريق إلى الجنة وسبب لدخولها"[٣]، وقال ابن علان: "قال القرطبي: هذا من الكلام النفيس البديع فإنه استفيد منه الحض على الجهاد، والإخبار بالثواب عليه والحض على مقاربة العدو واستعمال السيوف، والاعتماد عليها واجتماع المتقاتلين حين الزحف بعضهم لبعض حتى تكون سيوفهم بعضها تقع على العدو وبعضها ترفع عليهم، حتى كأن السيوف قد أظلت الضاربين بها، والمراد أن الضارب بالسيف في سبيل الله يدخله الله الجنة بذلك[٤] في أعلى درجاتها، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((يَا أَبَا سَعِيدٍ مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا، وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ)) فَعَجِبَ لَهَا أَبُو سَعِيدٍ. فَقَالَ: أَعِدْهَا عَلَيَّ. يَا رَسُولَ اللَّهِ فَفَعَلَ. ثُمَّ قَالَ: ((وَأُخْرَى يُرْفَعُ بِهَا الْعَبْدُ مِائَةَ دَرَجَةٍ فِي الْجَنَّةِ. مَا بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ)) قَالَ: وَمَا هِيَ؟ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: ((الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ. الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ))[٥].

هذا عن فضل الجهاد في الآخرة، أما في الدنيا فإن الجهاد سبب للتمكين في الأرض لدين الله تبارك وتعالى، واجتثاث الفساد، والقضاء على روافده.

قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى

---

(١) علماء الصحابة، د. أحمد خليل جمعة ص ٥٩٨.

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٦/٣٢٤.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٢١٨.

(٤) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٤٠٥ - ١٤٠٦.

(٥) أخرجه مسلم ١٨٨٤.

ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[١]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ۝ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾[٢].

فالفساد في الأرض قائم ما لم يكن الجهاد، والآية الثانية تفسر هذا الفساد، بأنه منع ذكر الله في الأرض، وهدم بيوت العبادة والطاعة لله في الأرض، واجتثاث هذه العقيدة من الناس، ليكون الحكم للطواغيت، فلا يعبد الله في الأرض،((اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض))[٣]، هذا من الناحية السلبية، ولا يكفي أن يكون الجهاد فقط هو أن يسمح بذكر الله وأن يسمح بحرية العبادة، وأن يسمح بحرية القول.

هناك هدف أبعد هو إقامة شريعة الله في الأرض، وتنفيذ منهجه فيها بحيث تكون الحاكمية له وحده في هذا الوجود ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ﴾[٤]، والتمكين في الأرض يرافقه إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا﴾[٥]، فلا بد من الاستخلاف في الأرض، والتمكين فيها للذين آمنوا وعملوا الصالحات، وهذا لا يتم إلا عن طريق الجهاد.

إن الجهاد في الإسلام من أدوات التمكين في الأرض ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا

(١) سورة البقرة، آية: ٢٥١.

(٢) سورة الحج، الآيتين: ٤٠ - ٤١.

(٣) أخرجه مسلم ١٧٦٣.

(٤) سورة الزخرف، آية: ٨٤.

(٥) سورة النور، آية: ٥٥.

مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ...﴾ وحتى يتحقق هذا الهدف الذي من أجله أنزل الكتاب، ليحقق القسط والعدل بين الناس، لا بد من الوسيلة الرئيسية له ألا وهي السلاح والجهاد ﴿لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾[1]"[2].

ثالثًا - من آداب المدعو: سرعة الاستجابة لتوجيهات النبي ﷺ:

جاء في الحديث بيان لسرعة امتثال الصحابة رضي الله عنهم لتوجيهات النبي ﷺ وما ينبغي أن يكون عليه المدعو من امتثال مطلق واستجابة سريعة لتوجيهات النبي ﷺ، فقال: (رجل رث الهيئة فقال: يا أبا موسى أأنت سمعت رسول الله ﷺ يقول هذا؟ قال: نعم، فرجع إلى أصحابه فقال: أقرأ عليكم السلام ثم كسر جفن سيفه فألقاه ثم مشى بسيفه إلى العدو فضرب حتى قتل)، والمعنى: ألقى عليهم السلام مودعًا وكسر غمد سيفه وألقاه قَطْعًا لطَمَع نفسه من الحياة وإيئاسًا لها من العَوْد"[3]، وذلك امتثال لمثل قول الله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾[4]، من معانيها ما قاله عروة بن الزبير: (يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم)، أي: للحرب التي أعزكم الله تعالى بها بعد الذل، وقواكم بها بعد الضعف، ومنعكم من عدوكم بعد القهر منهم لكم[5].

فبينت الآية أن في الاستجابة لأوامر رسول الله ﷺ وإرشاداته الحياةَ، والإحياء هذا مستعار لما يشبه إحياء الميت، وهو إعطاء الإنسان ما به كمال الإنسان فيعم كل ما به ذلك الكمال من إنارة العقول بالاعتقاد الصحيح والخلق الكريم، والدلالة على

---

(١) سورة الحديد، آية: ٢٥.

(٢) فقه السيرة النبوية، منير محمد غضبان من مطبوعات جامعة أم القرى ص ٣٨٩ - ٣٩١.

(٣) المرجع السابق ص ١٤٠٦.

(٤) سورة الأنفال، آية: ٢٤.

(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٣٥/٤.

الأعمال الصالحة وإصلاح الفرد والمجتمع وما يتقوم به ذلك من الخلال الشريفة العظيمة، فالشجاعة حياة للنفس، والاستقلال حياة، والحرية حياة، واستقامة أحوال العيش حياة، ولما كان دعاء الرسول ﷺ لا يخلو عن إفادة شيء من معاني هذه الحياة أمر الله الأمة بالاستجابة له، فالآية تقتضي الأمر بالامتثال لما يدعو إليه الرسول ﷺ سواء دعا حقيقة بطلب القدوم، أم طلب عملاً من الأعمال[1].

(١) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور ٣١٢/٩/٤.

الحديث رقم (١٣٠٥)

١٣٠٥- وعن أَبي عبسٍ عبد الرحمن بن جَبْرٍ ﷺ، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((ما اغْبَرَّتْ قَدَمَا عَبْدٍ في سَبيلِ اللهِ فَتَمَسَّهُ النَّارُ)) رواه البخاري[١].

ترجمة الراوي:

عبدُ الرَّحمن بن جَبْر: وهو عبدالرحمن بن جبر بن عمرو بن زيد الأوسي الحارثي الأنصاريّ البدريّ، وكان اسمه في الجاهلية معبدًا أو عبد العزى فسمى في الإسلام عبدالرحمن، وكان يكنى بأبي عَبَس الأنصاري واشتهر بها، روى عن النبي ﷺ وكان فيمن شهد بدرًا، وكان سنه إذ شهدها ثمانية وأربعين عامًا، أو نحوها وكان يخضب بالحناء.

ويقال: أنه كان يكتب بالعربية قبل الإسلام، وكانت الكِتابة بالعربية قبل الإسلام قليلة، وكان فيمن قتل كعب بن الأشرف، وكان كعب بن الأشرف وأبو رافع بن أبي الحقيق اليهوديان يؤذيان رسول الله ﷺ، وكان ذلك قبل نزول سورة براءة.

آخى النبي ﷺ بينه وبين خُنَيْس بن حُذَافة السهمي، وكان عبدالرحمن بن جبر وأبو بُرْدَة يكسران أصنام بني حارثة حين أسلما، وكان عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان رضي الله عنهما يبعثانه يُصَدِّق الناس.

مات ﷺ سنة ٣٤هـ في خلافة عثمان بن عفان، وصلى عليه عثمان بن عفان، ونزل في قبره أبو بُرْدة بن نِيار ومحمد بن مسلمة وسلمة بن سلامة بن وَقش، وكلهم قد شهد بدرًا، ودفن بالبقيع، مات وهو ابن سبعين سنة[٢].

---

(١) برقم (٢٨١١). أورده المنذري في ترغيبه (١٠١٩، و١٩١٧).

(٢) الطبقات الكبرى، ابن سعد، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا (٣/٤٥٠، ٤٥١)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر (٤٤٧، ٤٤٨)، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود (٣/٤٢٨)، الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي (٦٩١)، (١٥٢٠)، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين (٨/٣٦٠)، تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني (٤/٥٥١).

غريب الألفاظ:

اغبرت قدما عبد: أصابهما الغبار وعلاهما[1].

الشرح الأدبي

إن الإيجاز، والاختصار، وحذف فضول الكلام يعد من شروط الفصاحة، والبلاغة لأنه يعبر عن المعاني الكثيرة بالألفاظ القليلة، وهذا الباب كما يقول ابن سنان الخفاجي في كتابة " سر الفصاحة " من أشهر دلائل الفصاحة، وبلاغة الكلام عند أكثر الناس "، وكلام رسول الله من جوامع الكلم. فهو كما يقول هند بن أبي هاله " يتكلم بجوامع الكلام فضلاً لا فضول فيه، ولا تقصير. وهذا الحديث برهان صدق على ذلك فهو يتكون من جمله واحدة، ولا يستطيع المتحدث إلا أن يكمل هذا الحديث حتى تتم الفائدة، وتقطف الثمرة، والحديث ينفى نفياً قاطعاً أن تمس النار قدمي عبد غبرتا في سبيل الله " والنفي الذي تصدر الحديث يفيد مع جوابه الترغيب في استمرار هذا الفعل المحبب في الإسلام وهو أن يغبر المؤمن قدميه في سبيل الله فذلك طريق النجاة من النار، والفوز بالجنة، والتنبيه في قوله: قدما عبد " يوحى بشمولية الحركة، والسعي الدءوب في إنجاز أعمال الخير، والاستهانة بالمشقة والتعب في ذلك، وهذا من قبيل الكناية، والرمز إلي الجهد المبذول، والعطاء المأمول، وتنكير قوله " عبد " ليس للتهوين من شأنه، ولا للتقليل منة، ولكن لإفادة العموم. فالمراد ليس عبداً بعينة، ولكنة كل عبد يعمل ذلك وفى ذلك لإشارة إلى أن هذا الصنيع يجب أن يتحلى به كل عبد مسلم صادق مخلص في أقواله وأفعاله واختيار مادة العبودية والعدول عن أي مادة أخرى يجعل لهذه الكلمة إشعاعا إيمانيا متوهجاً. حيث لا يكون الجهاد إلا من منطلق العبودية لله عز وجل، ومن شواهد الإيجاز المشع قوله: في سبيل الله فهنا تبرق دلالتان: إحداهما خاصة وهى " الجهاد " فالحديث في ظل هذه الدلالة يسوق البشرى للمجاهدين بالنجاة من النار، وثانيهما: عامة " وهى أن يحمل قوله: في سبيل الله

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (غ ب ر).

على كل طاعة والحديث كما قال العلماء زيادة في البشرى ومما يؤازر صدق هاتين الدلالتين. مع دلالات كثيرة أن " البخاري " روى هذا الحديث في كتاب الصلاة، وأن الترمذي رواه في باب " الجهاد، وقوله: فتمسه النار يوحى بأن النار لن تقترب منه. . والتعبير بالمس يفيد ذلك ويفتح الباب لكل مسلم في ظل عبودية لربه أن يسعى في الخير وأن يغير قدميه في سبيل الله، جعل الله الجنة مثوانا. . ونجانا من النار، وبئس القرار.

فقه الحديث

تشير الأحاديث إلى عدة أحكام منها:

١ - الترغيب في تشييع الغازي وإعانته على بعض ما يحتاج إلى القيام به لأن الجهاد من أفضل العبادات، والمشاركة في مقدماته من أفضل المشاركات[1].

٢ - بيان عظم قدر الجهاد في سبيل الله فإن مجرد مس الغبار للقدم إذا كان من موجبات السلامة من النار فكيف بمن بذل جهده واستفرغ وسعه[2].

٣ - حكم الحراسة في سبيل الله: تستحب الحراسة في سبيل الله لما فيها من الفضل الكبير[3].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: ثواب ما يلاقيه المجاهد في سبيل الله.

---

(١) المغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ١٦٦/٧، مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى، مصطفى السيوطي ٥٠٢/٢، كشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٣٩/٣، نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي الشوكاني ٢٣٩/٧.

(٢) نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي الشوكاني ٢٠٩/٧.

(٣) المغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ١٦٩/٩، كشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٤٣/٣.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

ثالثًا: من مهام الداعية: الحث على الجهاد في سبيل الله.

أولاً - من موضوعات الدعوة: ثواب ما يلاقيه المجاهد في سبيل الله:

جاء ذلك واضحًا في قوله ﷺ: (ما اغبرت قدما عبد في سبيل الله فتمسه النار)، قال الطيبي: "قوله: (ما اغبرت قدما عبد في سبيل الله فتمسه النار)، فائدة النفي فيه (ما اغبرت) أن غير المذكور محال حصوله، فإذا كان مس الغبار قدميه دافعًا لمس النار إياه، فكيف إذا سعى فيها واستفرغ جهده، وألقى النفس عليها فقَتَل وقُتل"[1].

قال ابن حجر: "والمعنى: أن المس ينتفي بوجود الغبار المذكور، وفي ذلك إشارة إلى عظيم قدر التصرف في سبيل الله، فإذا كان مجرد مس الغبار للقدم يحرم عليها النار فكيف بمن سعى وبذل جهده واستنفد وسعه؟"[2].

وقال ابن علان: "وفيه بشارة للمجاهد بالنجاة من النار وإن عمم سبيل الله فحمل على كل طاعة، كان زيادة في البشرى"[3]، وفضل الجهاد في النجاة من النار نطقت به آيات القرآن الكريم في مثل قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ۝ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾[4].

فوعد الله المجاهدين في الآيات بمغفرة الذنوب ودخول الجنات ونزول مساكنها ﴿ يَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ وَيُدۡخِلۡكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾[5]، أي: "النجاءُ العظيم من نكال الآخرة وأهوالها، زد على ذلك ما يمن

---

(١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ٢٦٨/٧.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٦/٦.

(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٤٠٦.

(٤) سورة الصف، الآيتان: ١٠ - ١١.

(٥) سورة الصف، آية: ١٢.

الله به على المؤمنين بالفوز والظفر على أعدائهم، والقصد من الآيات تشجيع المؤمنين على قتال محاربيهم والثبات أمامهم والتحذير من الزيغ عن ذلك والترغيب في السخاوة ببذل الأنفس والأموال، في سبيل الحق لإعلاء شأنه وإزهاق الباطل "[1].

إن الجهاد أحد سلع تلك التجارة العظيمة التي لا تبور والتي هي محصلة للمقصود ومزيلة للمحذور[2].

فإذا كانت مشقة الغبار عاصمة من عذاب النار فما الظن بمن بذل ماله وغرّر بنفسه في قتال الكفار[3].

ثانيًا - من أساليب الدعوة: الترغيب:

ورد أسلوب الترغيب في الحديث جليًا واضحًا، حيث رغّب النبي ﷺ في الجهاد بأنه منجاة من النار، فقال ﷺ: (ما اغبرت قدما عبد في سبيل الله فتمسه النار).

حيث رغّب النبي ﷺ في الجهاد مبينًا أن مجرد اغبرار قدمه في سبيل الله سبب لزحزحته عن النار والنجاة منها ولا فوز أعظم من ذلك، قال تعالى: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾[4]، أي: من نُجي وأزيل عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وظفر بالنجاة، ونجا من الخوف[5]، فإن من نجا من النار فهو من أهل الجنان التي فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، ومن لم يزحزح وينجو من النار فقد شقي وخسر[6].

إن أسلوب الترغيب من أجدى الأساليب الدعوية نفعًا لما فيه من حث المؤمن على

---

(١) محاسن التأويل، جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي ١٥٣/١٦/٩.

(٢) تفسير القرآن ١١٢/٨.

(٣) أحكام الجهاد وفضله، العز بن عبدالسلام ص ٦٨.

(٤) سورة آل عمران، آية: ١٨٥.

(٥) معالم التنزيل، البغوي ١٥٤/٢.

(٦) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ١٢٦.

الرغبة فيما عند الله تعالى، فإن المؤمن إذا علم فضل العمل في النجاة من النار واستحقاق الجنة، تولدت عنده الرغبة الصادقة في النجاة وتحمل المشاق في سبيلها"(١).

والترغيب أحد ركني الموعظة الحسنة المأمور بالدعوة بها، قال تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾(٢)، قال ابن القيم رحمه الله: "والموعظة الحسنة هي الأمر والنهي المقرون بالترغيب والترهيب"(٣).

ثالثًا - من مهام الداعية: الحث على الجهاد في سبيل الله:

جاء في الحديث فضل الجهاد في سبيل الله في تحريم صاحبه على النار، فقال ﷺ: (ما اغبرت قدما عبد في سبيل الله فتمسه النار)، وهذا الحديث يغرس في نفوس المدعوين الحرص والتشوق إلى الجهاد في سبيل الله؛ فالجهاد نجاة من النار وفوز بالجنة، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَ﴾(٤)، وهو دليل كمال الإيمان وصدق صاحبه، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾(٥)، إضافة إلى ما في الجهاد من فضائل في الدنيا فهو سبب للعزة والبقاء، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾(٦).

---

(١) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين ٢١٢٧/٦.

(٢) سورة النحل، آية: ١٢٥.

(٣) التفسير القيم لابن القيم ص ٣٤٤.

(٤) سورة التوبة، آية: ١١١.

(٥) سورة الحجرات، آية: ١٥.

(٦) سورة المائدة، آية: ٥٤.

وقال تعالى: ﴿إِلَّا تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[1]، أي: ويستبدل قومًا غيركم لنصرة نبيه وإقامة دينه[2]، كما قال تعالى: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم﴾[3]، إضافة إلى ما في الجهاد من أسباب للتمكين في الأرض والتأمين لحدود الدولة الإسلامية[4]، وإرضاء لله وإذلال ودحر للشيطان وأعوانه"[5].

---

(١) سورة التوبة، آية: ٣٩.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ١٥٤/٤.

(٣) سورة محمد، آية: ٣٨.

(٤) انظر: مقدمة تحقيق كتاب الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة، الإمام القرافي، تقديم وتحقيق وتعليق د. بكر زكي عوض، ط١، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م، ص ١٩.

(٥) انظر: موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين ١٥٠٥/٤.

الحديث رقم (١٣٠٦)

١٣٠٦- وعن أَبي هريرة رضي الله عنه ، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ : ((**لاَ يَلِجُ النَّارَ رَجُلٌ بَكَى مِنْ خَشْيَةِ الله حَتَّى يَعُودَ اللَّبَنُ فِي الضَّرْعِ، وَلاَ يَجْتَمِعُ (عَلَى عَبْدٍ)** [١] **غُبَارٌ فِي سَبيلِ اللهِ وَدُخَانُ جَهَنَّمَ**)) رواه الترمذيُّ[٢]، وقال: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

ما أعظم البشارة التي يزفها المصطفى ﷺ لجماعة المؤمنين الذين بكوا من خشية الله، واغبرت أقدامهم في سبيل الله وهذه البشارة تتوهج بها كلمات الحديث. . وطريقة نظمه العجيب وتأليفه البديع، فبناؤه اللغوي يتكون من جملتين يتصدرهما الفعل المضارع المنفى بلا، والنفي هنا يتكرر في بداية الجملتين ليطمئن المؤمن على مستقبلة في الآخرة. . ولنتأمل كيف جاءت صياغة هاتين البشارتين في ثوب من النظم المحكم وفى بناء جمالي يستبق فيه المبنى مع المعنى إن البشارة الأولى تبدأ بنفي دخول النار " لا يلج النار رجل بكى من خشية الله، حتى لا ينصرف الذهن إلى معنى آخر واختيار مادة الفعل يلج وعدم التعبير بالفعل يدخل مع أن الدلالة واحدة في ظاهرها. . يوحى بأن دخول النار ليس عادياً ولكنة مرتبط بالعذاب والإيذاء ودلالة هذه المادة اللغوية في بعض تعاريفها توحي بذلك ففي حديث ابن مسعود " إياكم والمناخ على ظهر الطريق فإنه منزل " الوالجة. . يعنى السباع والحيات "

وقال الفراء "الوليجة" البطانة: من المشركين ومن هنا يأتي سر جمال اختيار الفعل "يلج دون غيره لمواءمته للسياحة. . ومناسبة للنار ومتعلقاتها: فهي مأوى المشركين

---

(١) هذه الزيادة لا توجد عند الترمذي.

(٢) برقم (١٦٣٣)، وتقدم برقم (٤٤٨). وقال الحاكم (٤/ ٢٦٠): هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. أورده المنذري في ترغيبه (١٩١٦).

ومستقر الجاحدين الظالمين وتأمل دلالة التنكير في قوله: رجل " فذلك ليس للتقليل ولكنة للشيوع والتعميم. . فكل رجل بكى من خشية الله فهو لن يلج النار " وختام البشارة الأولى يجعل من ولوج النار أمرا مستحيلاً لهذا الصنف من المؤمنين الذين يظلهم الله يوم القيامة يوم لا ظل إلا ظله، ولأن عود اللبن في الضرع محال بحسب العادة والمرتب على المحال محال، وهذه الصورة المقنعة نابعة من البيئة المتاحة لكل إنسان على وجه الأرض في كل زمان ومكان، وأما البشارة الثانية فقد صيغت في قالب المضارعية – إشارة إلى عدم الانقطاع – فالمؤمنون يغبرون أقدامهم في سبيل الله و لا ينقطعون إلى يوم القيامة وكذلك يوم القيامة يظل هذا الغبار شاهداً على ما قدموا. . ولا يجتمع غبار في سبيل الله ولا دخان جهنم، وتأمل السر وراء الاختيارات اللغوية فلفظ الرجل في البشارة الأولى يناسب السياق لأن البكاء من خشية الله يعنى التكليف. . والمسئولية واختيار مادة العبودية في البشارة التالية يومئ بقيمة الإخلاص في المعنى. . وامتزاج كل عمل بمشاعر الولاء لله والعبودية له وقوله: في سبيل الله في دلالته الخاصة يرتبط بالجهد وفى دلالته الأعم والأشمل يتفتح على كل طاعة وتسعى في سبيل الله، والله اعلم.

غريب الألفاظ:

يلج: يدخل [1].

المضامين الدعوية[2]

---

(١) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (و ل ج).

(٢) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم ٤٤٨.

الحديث رقم (١٣٠٧)

١٣٠٧- وعن ابن عباس رضي الله عنهما، قَالَ: سَمِعْتُ رسولَ اللهِ ﷺ، يقول: ((عَيْنَانِ لاَ تَمسُّهُمَا النَّارُ: عَينٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ، وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ فِي سَبيلِ اللهِ)) رواه الترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

عبد الله بن عباس: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١١).

الشرح الأدبي

ما زالت البشارات تتوالى.. وتتصاعد ورسول الله ﷺ صاحب هذه البشارات.. وهذا الحديث الشريف يسوق بشارتين، وابن عباس " حبر هذه الأمة " هو ناقل هاتين البشارتين لأن الحديث يبدأ بالفعل سمعت رسول الله.. وابن عباس: صادق صدوق، وهو من الذين يظلهم دعاء المصطفى ﷺ: حيث يقول (نضر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها، وأداها كما سمعها، والحديث في صياغته يبدأ بالإجمال ثم التفصيل، وفى ذلك تشويق للسامع، وإثارة للعواطف، والمشاعر، وجمل الحديث كلها صيغت في قالب الجملة الاسمية، وفى هذا دلالة على ثبوت هذه البشارة، ودوامها؛ لأن الجملة الاسمية توحي بالثبات، وعدم التغيير، وكرر العين " ثلاث مرات " وفى ذلك تأكيد لهذه البشارة، ولمزيد من الاطمئنان الذي يجب أن يعمر به قلب مؤمن يبكى من خشية الله، ويسهر على مصالح الأمة، وفى قوله: عينان " مجاز مرسل.. حيث أطلق الجزء، وأراد الكل..، والمراد: شخصان أو صنفان من الناس: وليس المراد الاقتصار على شخصين أو عينين وإنما ذلك لكل من يكون على هاتين الصفتين من أمة الإسلام في كل زمان، وفى كل مكان، واختيار لفظ " الخشية " له دلالته العميقة في الباعث على البكاء.. فهو ليس للخوف فقط، ولكنة للخوف الناشئ عن تعظيم، ومعرفة: فالخشية مرحله

---

(١) برقم (١٦٣٩) وقال: حديثٌ حسنٌ غريبٌ. أورده المنذري في ترغيبه (١٨٤٨).

أعمق وأدق من الخوف، وفى ذلك توجيه إلى ضرورة التفقه في الدين، والتعمق فى مسائله، وفى جميع فروع العلم الأخرى. لأن الله وصف العلماء بالخشية من الله فقال " إنما يخشى الله من عبادة العلماء " والتعبير بالمضارع فى قوله: تحرس في سبيل الله يوحى باستمرار هذه الصفة ويحددها، والحراسة تأخذ طابع الشمول: فهي تشمل من يحرس الجيش من الأعداء المتربصين به، ومن يحرس الثغور، والمنشآت، والدواوين العامة. حماية لها من المغيرين، واللصوص ونشراً للأمن، والاستقرار في النفوس. والله أعلم.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل البكاء من خشية الله.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل الرباط والحراسة في سبيل الله.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

رابعًا: من مهام الداعية: بيان كيفية الوقاية من النار.

أولاً - من موضوعات الدعوة: فضل البكاء من خشية الله:

وردت الإشارة إلى ذلك في الحديث في قوله ﷺ: (عينان لا تمسهما النار، عين بكت من خشية الله...)، وذلك بالتحريم على النار جملة، قال المباركفوري: "في قوله: (عينان لا تمسهما النار)، أي: لا تمس صاحبهما، فعبر بالجزء عن الجملة، وعبر بالمس إشارة إلى امتناع ما فوقه بالأولى"[1]، والمراد بقوله: بكت من خشية الله، "أي: لخشيته، والخشية هي الخوف الناشئ عن تعظيم ومعرفة"[2].

وقال الطيبي: "قوله: عين بكت من خشية الله، كناية عن العالم العابد المجاهد مع نفسه، كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾[3]، حيث حصر الخشية فيهم غير متجاوز عنهم، فحصلت النسبة بين العينين، عين مجاهدة مع النفس

---

(١) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢/٤٦٥.

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٤٠٧.

(٣) سورة فاطر، آية: ٢٨.

والشيطان، وعين مجاهدة مع الكفار والخوف والخشية مترادفان"[١].

إن البكاء من خشية الله تعالى، وإراقة الدموع من أثر الخوف منه، أمر محمود مشروع، وذلك من دلائل الإيمان وأعمال المؤمنين، قال تعالى: ﴿قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ۝١٠٧ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا﴾[٢].

وقال تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾[٣].

لقد كانت دموع رسول الله ﷺ أسرع ما تكون للإراقة إذا قرأ أو استمع لآية من كتاب الله عز وجل، روي عن عبدالله بن الشخير رضي الله عنه قال: ((رَأيْتُ رسولَ الله ﷺ يُصلِّي وفي صَدْرِهِ أزيزٌ[٤] كأزِيزِ الرَّحَى مِنَ الْبُكَاءِ ﷺ))[٥].

وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: ((اقْرَأْ عَلَيَّ الْقُرآنَ)) قَالَ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللّهِ أَقْرَأُ عَلَيْكَ، وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ؟ قَالَ: ((إِنِّي أَشْتَهِي أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي)) فَقَرَأْتُ النِّسَاءَ. حَتَّىٰ إِذَا بَلَغْتُ: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاَءِ شَهِيدًا﴾[٦] رَفَعْتُ رَأْسِي. أَوْ غَمَزَنِي رَجُلٌ إِلَىٰ جَنْبِي فَرَفَعْتُ رَأْسِي. فَرَأَيْتُ دُمُوعَهُ تَسِيلُ[٧].

---

(١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ٧/٢٩٣.

(٢) سورة الإسراء، الآيتان: ١٠٧ - ١٠٨.

(٣) سورة مريم، آية: ٥٨.

(٤) أزيز: صوت كصوت الرحى في التحرك والاضطراب.

(٥) أخرجه أبو داود ٩٠٤، وصححه الألباني، (صحيح سنن أبي داود ٧٩٩).

(٦) سورة النساء، آية: ٤١.

(٧) أخرجه البخاري ٤٥٨٢ ومسلم ٨٠٠ واللفظ له.

ولقد كان الصحابة رضي الله عنهم يؤثر فيهم سماع القرآن وكلام النبي ﷺ أيما تأثير، والأمثلة على ذلك أكثر من أن تحصى، منها: ما روي عن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: وَعَظَنَا رَسُولُ الله ﷺ يَوْمًا بَعْدَ صَلاَةِ الغَدَاةِ مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ فَقَالَ رَجُلٌ إِنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ فَبِمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: ((أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى الله، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ يَرَ اخْتِلاَفًا كَثِيرًا، وَإِيَاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ، فَإِنَّهَا ضَلاَلَةٌ فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَعَلَيْهِ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ))[1].

وروي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: بَلَغَ النَّبِيَّ ﷺ عَنْ أَصْحَابِهِ شَيْءٌ. فَخَطَبَ فَقَالَ: ((عُرِضَتْ عَلَيَّ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ. فَلَمْ أَرَ كَالْيَوْمِ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ. وَلَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلاً وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا)) قَالَ: فَمَا أَتَى عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمٌ أَشَدُّ مِنْهُ. قَالَ، غَطَّوْا رُؤُوسَهُمْ وَلَهُمْ خَنِينٌ[2].

لقد جعل النبي ﷺ الباكين من خشية الله من أولئك النفر السعداء الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، كما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إلاَّ ظِلُّهُ: الإِمَامُ الْعَادِلُ. وَشَابٌّ نَشَأَ بِعِبَادَةِ اللّهِ. وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ. وَرَجُلاَنِ تَحَابَّا فِي اللّهِ، اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ. وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللّهَ. وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لاَ تَعْلَمَ يَمِينُهُ مَا تُنْفِقُ شِمَالُهُ. وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللّهَ خَالِيًا، فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ))[3].

ومما سبق يتبين منزلة الخوف من الله والبكاء من خشيته، فالبكاء من خشية الله، له من الفوائد الكثير نذكر منها:

أ/ أن البكاء دليل على خشية الله ومراقبته.

ب/ البكاء دليل على صلاح العبد واستقامته.

---

(١) أخرجه أبو داود ٤٦٠٧، وصححه الألباني، (صحيح سنن ابي داود ٣٨٥١).

(٢) أخرجه البخاري ٤٦٢١، ومسلم ٢٣٥٩ واللفظ له.

(٣) أخرجه البخاري ١٤٢٣، ومسلم ١٠٣١ واللفظ له.

ج/ البكاء يورث الخوف من الله وهو علامة على صحة الإيمان.

د/ البكاء طريق موصل إلى محبة الله ورضوانه.

هـ/ البكاء دليل على رقة القلب واستجابته.

و/ البكاء سمة من سمات الخاشعين[١].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: فضل الرباط والحراسة في سبيل الله:

ورد بيان ذلك في الحديث حيث بيّن النبي ﷺ أن الرباط وحراسة ثغور الإسلام والمسلمين سبب للنجاة من النيران، فقال ﷺ: عينان لا تمسهما النار... وعين باتت تحرس في سبيل الله"، يقول ابن النحاس: "واعلم أن الحراسة في سبيل الله تعالى من أعظم القربات وأعلى الطاعات، وهي أفضل أنواع الرباط، وكل من حرس المسلمين في موضع يخشى عليهم فيه من العدو فهو مرابط في سبيل الله وله فضائل كثيرة والتي منها ما جاء في الحديث من بيان أن النار لا تمس عينًا حرست في سبيل الله أبدًا"[٢].

إلى غير ذلك من النصوص التي تبين مدى فضل الله على المجاهدين المرابطين في سبيله، والتي منها ما روى عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((رِباطُ يومٍ في سبيل الله خيرٌ منَ الدُّنيا وما عليها. ومَوضعُ سَوطِ أحدكم من الجنةِ خيرٌ منَ الدُّنيا وما عليها، والرَّوحةُ يَروحُها العبدُ في سبيلِ الله أوِ الغَدْوَةُ خيرٌ منَ الدُّنيا وما عليها))[٣]، ولأهمية الرباط في حماية ثغور المسلمين وحماية الأمة بسياج من الأمن والطمأنينة أمر الله بالرباط فقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[٤].

فالآية حضت المؤمنين على المرابطة في سبيل الله وجعلت ذلك سببًا من أسباب

---

(١) انظر: موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين ٨٤٢/٣.

(٢) مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق، ابن النحاس ٤١٣/١.

(٣) أخرجه البخاري ٢٨٩٢.

(٤) سورة آل عمران، آية: ٢٠٠.

الفلاح والفوز بالمحبوب الديني والدنيوي والأخروي والنجاة من المكروه كذلك[١].

ثالثًا- من أساليب الدعوة: الترغيب:

ورد أسلوب الترغيب في الحديث، في البكاء خشية لله، والحراسة في سبيل الله بامتناع العذاب بالنار، فقال ﷺ: (عينان لا تمسهما النار عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس في سبيل الله)، فإن النجاة من النار فوز لا يدانيه شيء، قال تعالى: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾[٢].

وأسلوب الترغيب من الأساليب الدعوية النافعة، فهو أحد ركني الموعظة الحسنة، قال تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[٣]، والترغيب يكون ببيان العاقبة الحميدة التي ترغب فيها النفوس، والعاقبة الحميدة لإتباع سبيل الله هي الظفر بسعادة النفس في الحياة الدنيا،ونجاتها من كثير من الشرور والآلام المشقية المعذبة لها، والظفر بسعادة الآخرة في الخلود بجنات النعيم، على ما وصف الله عز وجل في كتابه مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر"[٤].

رابعًا - من مهام الداعية: بيان كيفية الوقاية من النار:

إن من المهام الواجبة التي ينبغي على الداعية الاضطلاع بها بيانه للمدعوين أسباب الوقاية والنجاة من النار، والتي منها ما ورد في الحديث: (عينان لا تمسهما النار عين بكت من خشية الله، وعين باتت تحرس في سبيل الله)، فيجب على من جند نفسه للدعوة أن يكون هدفه ومرامه إنقاذ الناس من نار الجحيم، والفوز بدار النعيم،

---

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ١٢٩.

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٨٥.

(٣) سورة النحل، آية: ١٢٥.

(٤) فقه الدعوة إلى الله، الشيخ عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني ١/٦٣١ - ٦٣٢.

ومعذرة إلى الله خروجًا من العهدة، وبراءة للذمة"[١]، وإن دلالة الناس على أسباب النجاة من الأمور المقصودة بالدعوة، والتي يجب على الداعية أن يتخذها في الحسبان، وقد أشار إلى ذلك ابن رجب بوجوب النصيحة على الداعية للمؤمنين والرحمة لهم ورجاء إنقاذهم من التعرض لعقوبة الله وغضبه في الدنيا والآخرة [٢]، وليكن له في رسول الله ﷺ الأسوة الحسنة، والقدوة الطيبة في الحرص على إيصال الخير للمدعوين وإبعاد الشر عنهم، رحمة بهم وحرصًا عليهم، قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[٣].

أي: يعز عليه الشيء الذي يعنت أمته ويشق عليها، وحريص على هدايتكم ووصول النفع الدنيوي والأخروي إليكم[٤].

وقال القاسمي: "(لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم) أي شديد عليه شاق ـ لكونه بعضًا منكم ـ عنتكم ولقاؤكم المكروه، فهو يخاف عليكم سوء العاقبة والوقوع في العذاب (حَرِيصٌ عَلَيْكُم) أي: على هدايتكم كي لا يخرج أحد منكم عن اتباعه والسعادة بدين الحق الذي جاء به، (بالمؤمنين رؤوف رحيم) إذ يدعوهم لما ينجيهم من العقاب. بالتحذير عن الذنوب والمعاصي، لفرط رأفته (رحيم) إذ يفيض عليهم العلوم والمعارف والكمالات المقربة بالتعليم والترغيب منها برحمته"[٥].

---

(١) واجبات الداعي إلى الله، سعيد بن عوض الأسمري ص ١٧.

(٢) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ٢٠٣/١.

(٣) سورة التوبة، آية: ١٢٨.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٢٤١/٤.

(٥) محاسن التأويل، جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي ٣٦٥/٨/٥.

الحديث رقم (١٣٠٨)

١٣٠٨- وعن زيد بن خالد رضي الله عنه: أنَّ رسولَ الله ﷺ، قَالَ: ((مَنْ جَهَّزَ غازيًا في سَبيلِ اللهِ فَقَدْ غزَا، وَمَنْ خَلَفَ غازيًا في أهلِهِ بِخَيْرٍ فَقَدْ غزَا)) متفقٌ عَلَيْهِ[(١)].

ترجمة الراوي:

زيد بن خالد الجهني: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٧٧).

غريب الألفاظ:

جَهَّز: حمّله وأعدَّه بما يحتاج إليه في غزوه[(٢)]، من زاد ودابة وسلاح.

غازيًا: مجاهدًا[(٣)].

خَلَف غازيًا في أهله: قام بعده فيهم بما كان يفعله[(٤)].

الشرح الأدبي

حين نتأمل جماليات الأداء الأسلوبي في هذا الحديث الشريف نجده يتكون من جملتين شرطيتين وهذه الصيغة اللغوية تتسق مع المقام، ومقتضى الحال. . فالمقام فيه إثابة، ووعد بالمثلية في الجزاء، وحسب المقدمات تكون النتائج " من جهز غازياً في سبيل الله فقد غزا " وأداة الشرط من وهى للعاقل. . وكأن هذه الأداة العاقلة صوره لهذا المسلم العاقل الرشيد الذي يقدم على توفير العدة، والعتاد. . للمحارب المسلم والتضعيف في الفعل " جهز " يفيد التكثير. . وإحكام الإعداد الشامل إتباعا لقول الله عز وجل: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ

---

(١) أخرجه البخاري (٢٨٤٣)، ومسلم (١٣٦/١٨٩٦) واللفظ له، وتقدم برقم (١٧٧). أورده المنذري في ترغيبه (١٨٦٥).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ج هـ ز).

(٣) المرجع السابق في (غ ز و).

(٤) المرجع السابق في (خ ل ف).

وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ﴾[الأنفال: ٦٠]. والتنكير في قوله: غازياً لإفادة العموم. فالمراد ليس غازياً بعينة، ولكن كل من يتأهب ويستعد لمواجهه الأعداء. ومادة غزا في اللغة تفيد الإرادة، والطلب " فيقولون: غزا الشيء أي "أرادة وطلبه " والغزو في اللغة: القصد، والغزو في مصطلح الفقهاء " السير إلى قتال العدو " فالتعبير بقوله غازياً: يفيد الإرادة والطلب. والسير إلى القتال. والالتحام.. والنصر أو الشهادة وقوله في سبيل الله يؤطر الحركة بالإطار الإسلامي حيث لا تكون الدوافع شخصية أو قبلية أو بدافع الطمع وطلب الجاه والملك وغير ذلك من الدوافع والرغبات الدنيا وجواب الشرط يجيء ماضيا يدل على التأكيد والتحقيق تشجيعاً لكل من يشارك في تجهيز الجيش وإعانة الجنود والتبرع بما يستطيع لصالح: المجهود الحربي والجملة الثانية تتوهج بالشعور الاجتماعي والعاطفة الإنسانية والتعبير بقوله من خلف غازياً في أهله بخير فقد غزا يشع بدلالات كثيرة فالتعبير بالفعل " خلف " يرشد إلى أن من يتولى أمر أهل الغازي " خليفة في أهله " علية أن يقوم برعايتهم رعاية كاملة: إنفاقاً وحماية وصوناً لأعراضهم وقوله: بخير " يموج بكل ألوان الرعاية والإنفاق والحماية والولاية.

ومن أسرار الجمال الأسلوبي في هذا الحديث: التناسق في بناء العبارتين والتوازن في نظمهما فالجملتان شرطيتان وأداة الشرط فيهما متماثلة (من) وهى للعاقل، وجواب الشرط فيها متماثل في صيغته الزمنية: فهو فعل ماضٍ في كل منهما " جهز، وخلف " وجواب الشرط موحد فيها " فقد غزا " ويوحي هذا التناسق اللغوي والتوازن الأسلوبي والتوحد في النتيجة بضرورة التناسق بين المؤمنين في الإعداد للغزو وبالتكامل التام في وضع الخطط لمواجهه العدو المتربص بالأمة وبالتوازن التام في الحركة والقول والفعل والإعداد وضرورة حماية الجبهة الداخلية. مثل حماية الجيش والحرص على الفوز والغلبة في تنسيق تام وتخطيط واع وتفكير متوازن سديد.

فقه الحديث

تشير الأحاديث إلى عدة أحكام منها:

١ - استحباب تجهيز الغازي في سبيل الله، وأن من جهز غازيًا أو خلفه في أهله

كان له مثل أجر الغازي[1].

٢ - يجوز للإمام بذل الأهبة والسلاح من بيت المال، ومن ماله، إعانة للغازي، وللإمام ثواب إعانته[2].

٣ - فيه إشارة إلى أن الغازي إذا جهز نفسه وقام بكفاية من يخلفه بعده كان له الأجر مرتين[3].

٤ - الحث على الإحسان إلى من فعل مصلحة للمسلمين أو قام بأمر من مهماتهم[4].

٥ - أن ما نوى الإنسان صرفه في جهة بر فتعذرت عليه تلك الجهة كان له بذله في جهة أخرى، ولا يلزمه ذلك، ما لم يلتزمه إلا بالنذر[5].

المضامين الدعوية[6]

(١) مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٢٨/٦، شرح رياض الصالحين لابن عثيمين ٢٩٩/٣.

(٢) مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٢٨/٦.

(٣) نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي الشوكاني ٢١٨/٧.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٤٠/١٣.

(٥) المرجع السابق ٣٩/١٣.

(٦) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم ١٧٧.

الحديث رقم (١٣٠٩)

١٣٠٩ - وعن أَبي أُمَامَة ﷺ، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: **((أفْضَلُ الصَّدَقَاتِ ظِلُّ فُسْطَاطٍ فِي سَبِيلِ اللهِ وَمَنِيحَةُ خَادِمٍ فِي سَبِيلِ اللهِ، أَوْ طَرُوقَةُ فَحلٍ فِي سَبِيلِ اللهِ))** رواه الترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

أبو أُمامة الباهليُّ: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧٣).

غريب الألفاظ:

الفسطاط: بيت يتخذ من الشعر[2].

منيحة: هبة أو إعارة [3].

طروقة فحل: أي مركوبة للفحل، يعلو الفحل مثلها في سنها ويعني بذلك ناقة أو فرسًا يعطي المجاهد إياها ليركبها إعارة أو قرضًا أو هبة[4].

الشرح الأدبي

إن هذا الحديث الذي يرغب في فضائل الأعمال، ويفتح آفاق المؤازرة والتعضيد للمجاهدين في سبيل الله ولكل من يؤسس لأعمال الخير والبر هذا الحديث يبدأ بصيغة التفصيل: أفضل الصدقات وذلك للدلالة على قيمة هذه الأعمال وعلى عظيم ثوابها، والمادة اللغوية تبوح بالفضل " مبنى ومعنى " فلم يقل أحسن أو أعظم. . لأن الوصف بالأفضلية يتضمن كل معالم التميز قولاً وعملاً ونية، والإضافة للجمع حيث قال:

---

(١) برقم (١٦٢٧). وصحّحه الحاكم (٢/ ٩٠): هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. أورده المنذري في ترغيبه (١٨٧١).

(٢) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ف س ط ط).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (م ن ح).

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ط ر ق)، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢/ ١٤٦٠.

أفضل الصدقات للترغيب في كثرة الصدقات فلم يقل ﷺ أفضل صدقة إشارة إلى الإكثار من هذه الصدقات وإيذانا بتعددها وتنوعها، والحديث في بنائه اللغوي تنتظمه جمله إخبارية واحدة مكونة من مبتدأ (أفضل الصدقات) وخبر وهو ما بعد ذلك حيث تفصيل القول في هذه الصدقات المفضلة على غيرها وهى ثلاث كما جاء في الحديث أولاها: ظل فسطاط في سبيل الله وهذه الصدقة تلزم المجاهد وغيره في الجو القائظ والصحراء المترامية وهى رمز لكل من يقيم بناءً في سبيل الله لإيواء المجاهدين أو غيرهم ممن يحتاجون لحماية أنفسهم من حرارة القيظ وأعاصير الشتاء وكلمة ظل توحي بالمنفعة أيا كان حجمها والصدقة الثانية ترمز إلى المعاونة والمؤازرة فكل مجاهد يحتاج إلى من يقوم على شئون بيته ويرعى مصالحة ولذلك عبر عن ذلك بقول منجية خادم فى سبيل الله وهى: دفع الخادم للغازي ليخدمه والصدقة الثالثة هي للمساعدة في المؤن، والحياة المادية وغير ذلك دل على ذلك بقوله أو طروقة فحل في سبيل الله وهى الناقة التي بلغت أن يطرقها الفحل، وصياغة الخبر متناسقة في الجمل الثلاث حيث النكرة المضافة لما بعدها وهى تكتسب التعريف بهذه الإضافة (ظل فسطاط) ومنيحة خادم أو طروقة فحل وقد تكرر قوله: في سبيل الله ثلاث مرات للتأكيد على أفضلية هذه الصدقة ومعيار قبولها وللترغيب في التصدق والتبرع الخالي من الرياء والنفاق والمنافع الدنيوية القاصرة والله اعلم.

فقه الحديث

قال النووي: (قال أصحابنا: يستحب الإكثار من الصدقة، عند الأمور المهمة، وعند الكسوف، والمسفر وبمكة والمدينة، وفي الغزو، والحج والأوقات الفاضلة كعشر ذي الحجة، وأيام العيد ونحو ذلك، ففي كل هذه المواضع هي آكد من غيرها)[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من مهام الداعية: إرشاد المدعوين لمساعدة المجاهدين في سبيل الله.

---

(١) المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ١٥١/٦.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل الإنفاق في سبيل الله.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً - من مهام الداعية: إرشاد المدعوين لمساعدة المجاهدين في سبيل الله:

إن من أكثر الصدقات ثوابًا إعانة المجاهدين، خاصة إذا تعين الجهاد لما فيه من توفير المأوى والطعام، وتوفير حاجات المقاتل وتفريغه للجهاد، إضافة إلى ما في ذلك من اشتراك الجميع في ثواب الجهاد في سبيل الله، القادر يجاهد بنفسه والعاجز عن الجهاد بالنفس يجاهد بماله[1]، فلا يحرم أحد من الأجر.

وقد جاء بيان فضل الإنفاق في سبيل الله والحث عليه فقال ﷺ: (أفضل الصدقات ظل فسطاط في سبيل الله، ومنيحة خادم في سبيل الله أو طروقة فحل في سبيل الله)، وذلك موافق لقول الله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾[2]، وذلك لتوجيه المسلمين إلى إمداد المجاهدين بما يحتاجون إليه من أموال وعدة وعتاد.

قال السعدي: "هذا حث عظيم من الله لعباده على إنفاق أموالهم في سبيله، وهو طريق للوصول إليه، فيدخل في هذا إنفاقه في ترقية العلوم النافعة وفي الاستعداد للجهاد في سبيله وفي تجهيز المجاهدين وتجهيزهم وفي جميع المشاريع الخيرية النافعة المسلمين"[3].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: فضل الإنفاق في سبيل الله:

جاء في الحديث التصريح بأن الإنفاق في سبيل الله أفضل الصدقات فقال ﷺ: أفضل الصدقات ظل فسطاط في سبيل الله - أي ظل خيمة يستظل بها المجاهد، أي نصب خيمة أو خباءة للغزاة يستظلون به - ومنيحة خادم في سبيل الله - أي: هبة عبد

---

(١) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم ص ٦٤١.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٦١.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٩٤.

للمجاهد ليخدمه أو عاريته له - أو طروقة فحل في سبيل الله، يعني: ناقة أو نحو فرس بلغت أن يطرقها الفحل يعطيه إياها ليركبها إعارة أو قرضًا أو هبة"[1].

إن الإنفاق في سبيل الله وتجهيز المجاهدين من أعظم الأعمال، وقد وعد الله بتضعيف الثواب عليها، قال تعالى: ﴿وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾[3].

قال ابن كثير: "وهذا مثل ضربه الله تعالى لتضعيف الثواب لمن أنفق في سبيله وابتغاء مرضاته، وأن الحسنة تضاعف بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، قال سعيد بن جبير: يعني في طاعة الله، وقال مكحول: يعني به الإنفاق في الجهاد من رباط الخيل وإعداد السلاح وغير ذلك، وهذا المثل أبلغ في النفوس من ذكر عدد السبعمائة، فإن هذا فيه إشارة إلى أن الأعمال الصالحة ينميها الله عز وجل لأصحابها، كما ينمي الزرع لمن بذره في الأرض الطيبة"[4].

ولقد ضرب لنا صحابة رسول الله ﷺ أروع المثل في الإنفاق في سبيل الله وبذل الغالي والنفيس من أجل رفعة هذا الدين والدفاع عن حياضه، ومن أظهر تلك الأمثلة في مجال الجهاد تسابق الصحابة رضي الله عنهم ومسارعتهم في تجهيز جيش العسرة، فقد كانت هذه الغزوة في زمان عسرة من الناس، وجدب بالبلاد، وشدة الحر، كما كانت حين طابت الثمار، فالناس يحبون المقام في ثمارهم وظلالهم، لذلك أمر الرسول ﷺ بالتجهز، واستنفر لذلك أهل المدينة وما حولها، وأهل مكة وما جاورها، واستنفر أيضًا

---

(١) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٤٦٠/٢.

(٢) سورة التوبة، آية: ١٢١.

(٣) سورة البقرة، آية: ٢٦١.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٦٩١/١.

الأعراب الضاربين في الجزيرة العربية ممن أسلموا، كي يتكون من ذلك أكبر جيش يمكن إعداده لمقاتلة الروم ذوي العدد والعدة، والدربة في الحروب.

وحثّ رسول الله ﷺ أصحابه رضي الله عنهم على البذل والإنفاق في سبيل الله وتسابق الخيّرون في هذا المضمار فتبرع عثمان بن عفان رضي الله عنه بثلاثمائة بعير بأحلاسها وأقتابها، وتبرع بألف دينار جاء بها في ثوبه، فجعل الرسول ﷺ يقلبها وهو يقول: ((مَا ضَرَّ ابْنَ عَفَّانَ مَا عَمِلَ بَعْدَ الْيَوْمِ، يُرَدِّدُهَا مِرَارًا))[1].

وأراد عمر رضي الله عنه أن يسبق أبا بكر رضي الله عنه ولو مرة في فعل الخير والإنفاق في سبيل الله فجاء بنصف ماله، فقال رسول الله ﷺ: ((مَا أَبْقَيْتَ لأَهْلِكَ؟ قَالَ مِثْلَهُ، وَأَتى أَبُو بَكْرٍ الصِدِّيق بِكُلِّ مَا عِنْدَهُ، فقالَ رسول الله ﷺ: يا أَبَا بَكْرٍ مَا أَبْقَيْتَ لأَهْلِكَ؟ فقالَ أَبْقَيْتُ لَهُمُ اللّهَ وَرَسُولَهُ، قَالَ عمر: لاَ أسابِقُكَ إلى شَيْءٍ أَبَدًا))[2]، وجاء عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه بثمانية آلاف درهم[3]، وجاء غيرهم بمال كثير وأرسلت النساء ما استطعن من حليهن[4]، وهكذا ضرب المسلمون أروع ألوان التضحية والبذل، وتكاثر الراغبون في الجهاد على رسول الله ﷺ يبغون الظهر والنفقة حتى لم يبق لديه شيء[5].

ثالثًا - من أساليب الدعوة: الترغيب:

ورد الترغيب في الحديث للحث على الإنفاق في سبيل الله وبيان أن ذلك أفضل الصدقات، فقال ﷺ: (أفضل الصدقات ظل فسطاط في سبيل الله، ومنيحة خادم في سبيل الله أو طروقة فحل في سبيل الله).

وفي ذلك حث ودليل على مشروعية الجهاد بالمال، وأن الجهاد بالمال قرين الجهاد بالنفس بل إن الأمر والحث على الجهاد بالمال يأتي في القرآن مقدمًا على بذل النفس،

---

(١) أخرجه الترمذي ٣٧٠١، وحسنه الألباني، (صحيح سنن الترمذي ٢٩٢٠).

(٢) أخرجه أبو داود ١٣٦٠، وحسنه الألباني، (صحيح سنن أبي داود ١٤٧٢).

(٣) انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٣٢/٨.

(٤) السيرة النبوية، ابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون ١٢٧/٤.

(٥) انظر: السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة، د. محمد أبو شهبة ٤٩٥/٢ - ٤٩٦.

وذلك كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ﴾[1]، ولم يقدم بذل النفس على المال في القرآن الكريم إلا في آية واحدة وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾[2].

وقد حفلت آيات القرآن الكريم وأحاديث السنة بالترغيب كالترغيب في الجنة، قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[3].

إن أسلوب الترغيب له فوائد عديدة منها:

أ. يجعل العبد يتوق إلى ما أعده الله للطائعين فيزداد طاعة وتقوى.

ب. يولِّد الأمل ويبعث على النشاط والعمل للآخرة.

جـ. يحبب إلى المسلم الطاعات وينأى به عن المعاصي، ويدفع به إلى مقاومة الشيطان.

د. يورث الصبر على المكاره في الدنيا رجاء أن يعوض عنه بالنعيم المقيم في الآخرة[4].

فالترغيب أبرز الأساليب الدعوية حملاً للإنسان على طاعة الله عز وجل، وذلك لما جبلت عليه نفسه من حب ورغبة فيما فيه سعادتها وصلاح أمرها.

---

(١) سورة الحجرات، آية: ١٥.

(٢) سورة التوبة، آية: ١١١.

(٣) سورة غافر، آية: ٤٠.

(٤) انظر: موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين ٢١٥٦/٦.

الحديث رقم (١٣١٠)

١٣١٠ - وعن أنس رضي الله عنه: أن فَتَىً مِنْ أسْلَمَ، قَالَ: يَا رسولَ اللهِ، إنِّي أُرِيدُ الغَزْوَ وَلَيْسَ مَعِي مَا أَتَجهَّزُ بِهِ[1]، قَالَ: ((ائتِ فُلانًا فَإِنَّهُ قَدْ كَانَ تَجَهَّزَ فَمَرِضَ)) فَأَتَاهُ، فَقَالَ: إنَّ رسولَ اللهِ ﷺ يُقْرِئُكَ السَّلاَمَ، ويقول: أعْطِني الَّذي تَجَهَّزْتَ بِهِ. قَالَ: يَا فُلاَنَةُ، أعْطِيهِ الَّذي كُنْتُ تَجَهَّزْتُ بِهِ، وَلاَ تَحْبِسِي عَنْهُ شَيئًا، فَوَاللهِ لاَ تَحْبِسِي مِنْهُ شَيئًا فَيُبَارَكَ لَكِ فِيهِ. رواه مسلم[2].

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

الشرح الأدبي

إن هذا الحديث قصة واقعية صور الحوار مشاهد الأحدث فيها والأشخاص هنا حقيقيون لهم دور في سيرة الإسلام. . وهم هذا الفتى المجاهد (اسلم به أقصى بن حارثه، وهذا المسلم " المريض " الذي منعه مرضه من المشاركة في ميدان الجهاد وهذه الخادمة التي قامت بتسليم عدة القتال للفتى بعد أن أذن لها وأمرها صاحب هذه العدة، ورسول الله صلى الله عليه وسلم هو تاج هذه المشاهد، وهو الموجه. . والقدوة الحسنة، وهذه القصة الواقعية صيغت مشاهدها المتماسكة صياغة فنية أسلوبية معبرة عن المعنى أصدق تعبير فالتأكيد في بداية الحديث يجيء لترسيخ المعنى المراد في ذهن المتلقي ولبيان أفضلية السعي إلى الجهاد والبحث عن الوسائل والأسباب التي تؤهل المجاهد للمشاركة والدفاع عن الإسلام، وكلمة " فتى " توحي بالقوة والفتوة " حيث لم يقل " أن شاباً أو رجلاً ولكن – قال: فتى " للإيحاء بالعزيمة القوية، والإرادة الناقدة " ولنتأمل دلالة التأكيد مره ثانية في قول الفتى: إني أريد الغزو حيث يفصح هذا التأكيد عن

---

(١) (به) لا توجد عند مسلم.

(٢) برقم (١٣٤/١٨٩٤)، وتقدم برقم (١٧٦).

التصميم والتحفز وليس لمجرد الإذن أو الاعتذار لعدم وجود ما يتجهز به، والتأكيد فى الحديث يأتي مرة ثالثة في قول رسول الله: فإنه كان قد تجهز فمرض للدلالة على أن هذا المسلم المريض لم يحبسه عن الغزو إلا المرض ولذلك أمر رسول الله هذا الفتى بأن يذهب إليه ليأخذ عدته ومما ينبيء عن سرعة الاستجابة وسرعة الحركة للحصول على عدة القتال هذا العطف المتوالي بالفاء. . وهى للترتيب والتعقيب في قوله: فمرض فأتاه. . فقال: ويتكرر التأكيد مرة رابعة فى الحديث في قول الفتى إن رسول الله يقرئك السلام، وذلك لإعطاء المستمع مزيداً من الاهتمام بهذا الأمر ولتأكيد محبة الرسول صلى الله علية وسلم لهذا المسلم الذي أقعده مرضه عن الجهاد، وتكرار جمله لا تحبس عنه شيئاً " يرشد إلى صدق النية والاستجابة الكاملة لأمر رسول الله صلى الله علية وسلم، والقسم في قوله: فوالله لا تحبس عنه شيئاً يفصح عن الإخلاص في العطاء، وحذف النون من الفعل في قوله: فوالله لا تحبس منه شيئاً مع أن لا للفتى وليست للنبي ﷺ يعطى لهذا النفي قوة النهى لأن المراد نهيها عن المنع، والمعنى: لا تمنع منه شيئاً، والله در خبيب الصحابي الجليل الذي أنشد:

فَلَسْتُ أُبَالِي حيْنَ أُقْتَلُ مُسْلِماً ... عَلَى أيِّ جَنْبٍ كَانَ للّهِ مَصْرَعِي

وَذَلِكَ فِي ذَاتِ الإِلَهِ وإنْ يَشَـأْ ... يُبَارِكْ عَـلَى أوْصَالِ شِلْوٍ مُمَزَّعِ

المضامين الدعوية [1]

---

(١) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (١٧٦).

الحديث رقم (١٣١١)

١٣١١ - وعن أَبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ بَعَثَ[1] إِلَى بَنِي لَحْيَانَ، فَقَالَ: ((لِيَنْبَعِثْ مِنْ كُلِّ رَجُلَيْنِ أحَدُهُمَا، وَالأجْرُ بَيْنَهُمَا)) رواه مسلم[2].

وفي روايةٍ لَهُ[3]: ((لِيَخْرُجَ مِنْ كُلِّ رَجُلَيْنِ رَجُلٌ)) ثُمَّ قَالَ للقاعد: ((أيُّكُمْ خَلَفَ الخَارِجَ في أهْلِهِ وَمَالِهِ بِخَيْرٍ كَانَ لَهُ مِثْلُ نِصْفِ أجْرِ الخَارِجِ)).

ترجمة الراوي:

أبو سعيد الخدري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٠).

غريب الألفاظ:

لينبعث: ليخرج[4].

خلف الخارج في أهله: قام فيهم بما كان يفعله[5].

الشرح الأدبي

إن هذا الحديث الشريف يبدأ بالتأكيد (أن رسول الله ﷺ... الخ) وذلك للإعلان عن أهمية الموضوع ولتأكيد صدق الخبر الذي يفيد بأن رسول الله ﷺ بعث إلى بني لحيان من المسلمين لغزوهم حين كانوا كفاراً. . حتى يهتدوا إلى الإسلام وتعاليمه المضيئة ولام الأمر في قوله: لينبعث من كل رجلين رجل، تضفى على صيغة المضارع دلالة الأمر الواجب تنفيذه والأمر هنا للتنظيم واقتسام المسؤولية حيث يذهب نصف الرجال للغزو ويبقى النصف الآخر لحراسة الجبهة الداخلية ورعاية أهل الغازين

---

(١) عند مسلم زيادة: (بعثًا).

(٢) برقم (١٣٧/١٨٩٦).

(٣) برقم (١٣٨/١٨٩٦). أورده المنذري في ترغيبه (١٨٦٧).

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٢١٥.

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (خ ل ف).

المجاهدين في سبيل الله، وقوله أحداهما يوحى بالاختيار والمشورة وللإيحاء بأن أجر المقيم الذي يخلف الغازي في أهله بخير مماثل لأجر الغازي في الثواب عند الله سبحانه وتعالى، وقوله: الأجر بينهما: فيه تصريح بذلك وتحديد له ويؤيد ذلك الحديث السابق الذي رواه "يزيد بن خالد" حيث يقول في ختامه "ومن خلف غازياً في أهله بخير فقد غزا"

وفي الرواية الأخرى عبر عن الغازي بلفظ " الخارج " وكرره مرتين في الحديث: وهذا اللفظ فيه إيحاء بالبعث ويوم الخروج من أسماء يوم القيامة: حيث يقول الحجاج:

أليس يوم سمي الخروجا أعظم يوم رجة رجوجا ؟

ويوم الخروج عند العرب: أي يوم العيد، ويقال له يوم الزينة ويوم المشرق وكان الغازي في سبيل الله يخرج للقتال وهو مهيأ للاحتفال بعيد النصر أو عيد الشهادة وكلاهما عبر عنة رسول الله صلى الله علية وسلم بإحدى الحبيبين "النصر أو الشهادة"

* وما أصدق الصحابي الجليل "عمير بن الحمام" الذي انطلق في معركة بدر الكبرى وهو يردد في صدق وحماس وإيمان

"ركضاً إلى الله بغير زاد إلا التقى وعمل المعاد

والصبر في الله على الجهاد وكل زاد عرضة النفاد

غير التقى والبر والرشاد

فقه الحديث

هذا الحديث يستدلّ به على أن الجهاد فرض كفاية لا فرض عين[1]. شريطة أن لا يدهم العدو ديار المسلمين، فإن دخلها صار فرض عين على الرجال والنساء على قدم سواء، ويلحق بهذا الحر والعبد والكبير والصغير وكل قادر على المقاومة.

المضامين الدعوية[2]

---

(١) انظر: الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٦/١٣٠.

(٢) سيأتي ذكرها في شرح الحديث التالي.

الحديث رقم (١٣١٢)

١٣١٢- وعن البَراءِ ﷺ، قَالَ: أتَى النبيَّ ﷺ رَجُلٌ مُقَنَّعٌ بالحَديدِ، فَقَالَ: يَا رَسولَ اللهِ، أُقَاتِلُ وأُسْلِمُ؟ قَالَ: ((اسْلِمْ، ثُمَّ قَاتِلْ)). فَأسْلَمَ، ثُمَّ قَاتَلَ فَقُتِلَ. فَقَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: ((عَمِلَ قَلِيلاً وَأُجِرَ كَثِيرًا)) متفقٌ عَلَيْهِ[1]. وهذا لفظ البخاريُّ.

ترجمة الراوي:

البراء بن عازب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨١).

غريب الألفاظ:

مقنع بالحديد: متغط بالسلاح، وقيل: هو الذي على رأسه بيضة، وهي الخوذة، لأن الرأس موضع القناع[2].

الشرح الأدبي

هذا مشهد من مشاهد الفداء والإباء والإخلاص والوفاء والترغيب في الشهادة والحكمة في التوجيه وهذا المشهد الحواري كان بين رسول الله وذلك الرجل المقنع بالحديد استعداد للقتال وهو كما قال الكرماني " أصيرم بن عبد الأشهل " وقد غير النبي ﷺ وسماه "زرعة" والنداء في قوله: يا رسول الله: يعطى البشارة بإسلام الرجل. لأنه أقر بالرسالة وقال: يا رسول الله وفى سؤاله قدم: القتال على الإسلام حيث قال: أقاتل أو أسلم وحين أرشده رسول الله إلى الطريق الصحيح: قدم الإسلام على القتال فقال: اسلم ثم قال قاتل لأن قتال الأعداء لا يكون مجدياً إلا إذا كان نابعاً من عقيدة صحيحة في ظل تعاليم الإسلام المشرقة والعطف بثم في قوله "أسلم ثم قاتل" يفيد التأني في فهم تعاليم الإسلام ومعرفة مقاصده من القتال والدفاع عن ديار الإسلام وحرماته، والعطف بالفاء في قوله "فأسلم" يرشد إلى سرعة استجابة هذا الرجل لكلام رسول الله ﷺ وقوله: ثم قاتل فقتل " يجمع بين التأني والتروي في فهم مقاصد الإسلام وذلك في قوله: فأسلم ثم قاتل، وبين الإسراع والاندفاع نحو الشهادة في القتال وعدم النكوص

---

(١) أخرجه البخاري (٢٨٠٨)، ومسلم (١٤٤/١٩٠٠). أورده المنذري في ترغيبه (١٩٧٢).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ق ن ع).

أو الخوف – والعطف بالفاء في قوله – فقتل " يفصح عن ذلك الشوق للشهادة في سبيل الله والعطف بالفاء كذلك في قوله: فقال رسول الله – عمل قليلاً وأجر كثيراً " ينبئ عن إسراع رسول الله في الإشادة بما صنع ذلك الشهيد وتبشيره بالأجر الكثير، والطباق في قوله ﷺ عمل قليلاً وأجر كثيراً فيه مزيد من البشارة لهذا الشهيد وغيره

وفيه إشارة دقيقة ولطيفة من لطائف النبوة وهى أن الأجر الكثير قد يكون على العمل القليل. . كما قال رسول الله ﷺ " إنما الأعمال بالنيات " فقلة العمل مع الإخلاص وصدق النية لا تمنع من مضاعفة الثواب وكثرة الأجر، وكأني بهذا الشهيد يتمثل بقول عبد الله بن رواحه. . وهو في معركة مؤتة. . حيث أنشد في صدق وحماس وشوق للجنة وهو يقاتل الروم

أقسمت يا نفس لتنزلنه. ..طائعة أو لتكرهنه

إن أجلب الناس وشدوا الرنة مالي أراك تكرهين الجنة

فقه الحديث

الاستعانة بغير المسلمين على قتال العدو:

اختلف الفقهاء في جواز الاستعانة بغير المسلمين على قتال العدو: فذهب الحنفية والحنابلة في الصحيح من المذهب والشافعية ما عدا ابن المنذر وابن حبيب من المالكية، وهو رواية عن الإمام مالك إلى جواز الاستعانة بغير المسلم عند الحاجة.

وصرّح الشافعية والحنابلة بأنه يشترط في أن يعرف الإمام حسن رأيهم في المسلمين ويأمن خيانتهم. وصرح الشافعية أن يكثر المسلمون بحيث لو خان المستعان بهم وانضموا إلى الذين يغزونهم أمكنهم مقاومتهم جميعًا.

وشرط الماوردي أن يخالفوا معتقد العدو.

وعند المالكية –ما عدا ابن حبيب– وجماعة من أهل العلم منهم ابن المنذر

والجوزجاني: لا تجوز الاستعانة بمشرك[1].

المضامين الدعوية[2]

أولاً: من موضوعات الدعوة: الإسلام أساس قبول الأعمال.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل العمل القليل مع النية الصالحة.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل الجهاد في سبيل الله.

أولاً - من موضوعات الدعوة: الإسلام هو أساس قبول الأعمال:

يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ لمن قال له: يا رسول الله أُقاتل أو أُسْلم؟ قال: (أسلم ثم قاتل).

قال ابن عثيمين: "أن الجهاد بدون إسلام لا ينفع صاحبه؛ لأن هذا الرجل عندما استأذن من النبي ﷺ وقال: يا رسول الله أُجَاهد ثم أُسْلم، أم أُسْلم ثم أُجَاهد؟ قال: أَسْلم ثم جاهد، فأَسْلَم ثم جَاهَد، وهكذا جميع الأعمال الصالحة يشترط فيها الإسلام، لا يقبل الله من أحد صدقة ولا حجًا ولا صيامًا ولا أي شيء وهو غير مسلم.

ولذلك أمر الله عز وجل بعدم دخول المشركين المسجد الحرام فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا﴾[3].

---

(١) رد المحتار على الدر المختار، محمد أمين بن عمر عابدين، تحقيق: علي محمد معوض ٢٣٥/٣، والمبسوط، السرخسي ٢٣/١٠، وفتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني ٢٤٢/٥، ٢٤٣، والحطاب ٣٥٢/٣، والمدونة الكبرى رواية سحسنون عن ابن القاسم، الإمام مالك الأصبحي ٤٠/٣، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٢٢١/٤، وروضة الطالبين وعمدة المفتين، الإمام النووي، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود، وعلي محمد معوض ٢٣٩/١، وشرح صحيح مسلم، الإمام النووي، ١٦٦/١٢/٦-١٦٧، والمغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٩٨/١٣-٩٩، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٤٨/٣ (عن الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٤٦/١٦).

(٢) تم دمج المضامين الدعوية للحديث السابق مع المضامين الدعوية لهذا الحديث (١٣١٢).

(٣) سورة التوبة، آية: ٢٨.

فالإسلام شرط لكل عبادة، لا تقبل أي عبادة إلا بالإسلام، ولا تصح أي عبادة إلا بالإسلام"[١].

قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَـٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾[٢]، قال ابن كثير: "أي: من سلك طريقًا سوى ما شرعه الله فلن يقبل منه (وهو في الآخرة من الخاسرين)، كما قال النبي ﷺ: ((مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ))[٣]،[٤].

قال د. محمد محمود حجازي: "ومن يبتغ غير الإسلام الذي هو دين الأنبياء عليهم السلام والدين الذي ارتضاه الله لعباده لأنه دين الفطرة السليمة، والدين الذي يؤمن بكل نبي ورسول، وهو الواضح الخالي من التعقيد صاحب المعجزة الباقية ألا وهي القرآن الكريم، ومن يبتغ غيره دينًا فلن يقبل منه قطعًا وهو في الآخرة من الخاسرين"[٥].

"فمن البديهي أن العمل المرضي عند الله تعالى يشترط لقبوله شرط ضمني هو اعتناق الإسلام، أي الإيمان به، ولهذا قرن الله العمل الصالح بالإيمان، والمقصود به اعتناق الإسلام بعد أن بعث الله محمدًا ﷺ رسولاً إلى العالمين، قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَـٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾[٦]، وعلى هذا إذا قام الشخص بالعمل وفق الشرع الإسلامي من حيث الظاهر، أي من حيث توفر أشكال العمل الظاهرية المطلوبة في الشرع الإسلامي، وكان قصد صاحبه مرضاة الله، ولكنه لم يؤمن بالإسلام دينًا وبمحمد ﷺ نبيًا ورسولاً، فإن عمله مردود عليه ولا أجر فيه ولا ثواب"[٧].

---

(١) شرح رياض الصالحين ١٤٤٧/٢.

(٢) سورة آل عمران، آية: ٨٥.

(٣) أخرجه البخاري ٢٦٩٧، ومسلم ١٧١٨.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٧٠/٢.

(٥) التفسير الواضح، د. محمد محمود حجازي ٧٦/٣/١.

(٦) سورة آل عمران، آية: ٨٥.

(٧) أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان ص ٤٠ – ٤١.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: فضل العمل القليل مع النية الصالحة:

يستنبط ذلك من عموم الحديث حيث إن الرجل الذي أتى النبي ﷺ كانت نيته الجهاد ونصرة الله تعالى، ورسوله ﷺ فقتل ولم يسبق له عمل صالح في الإسلام غير ذلك، فنال الأجر الكثير وذلك لأن الأعمال واقعة أو حاصلة حسب النية، قال رسول الله ﷺ: ((إِنَّما الأعْمَالُ بالنِّيات، وإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِيءٍ ما نَوَى))[١].

قال ابن رجب: "أي: الأعمال صالحة أو فاسدة أو مقبولة أو مردودة بالنيات فيكون خبرًا عن حكم شرعي، وهو أن صلاح الأعمال وفسادها بحسب صلاح النيات وفسادها.

وقوله: (إنما لكل امرئ ما نوى)، إخبار أنه لا يحصل له من عمله إلا ما نواه به، فإن نوى خيرًا حصل له الخير، وإن نوى شرًا حصل له شر، فدلّ على أن ثواب العامل على عمله بحسب نيته الصالحة، وأن عقابه بحسب نيته الفاسدة.

وعن ابن المبارك قال: رب عمل صغير تعظمه النية، ورب عمل كبير تصغره النية"[٢].

وذلك؛ لأن "النية أصل الشريعة وعماد الأعمال، ومعيار التكليف"[٣].

وقال الخطابي منوهًا بشأن حديث (إنما الأعمال بالنيات): "هذا الحديث أصل كبير في أصول الدين، ويدخل في أحكام كثيرة... ومعناه أن صحة أحكام الأعمال في حق الدين إنما تقع بالنية، وأن النيات هي الفاصلة بين ما يصح منها وبين ما لا يصح"[٤].

ومن نفيس كلام ابن القيم: "النية روح العمل ولبه وقوامه، وهو تابع لها يصح بصحتها ويفسد بفسادها، والنبي ﷺ قد قال كلمتين كَفَتَا وشَفَتَا وتحتهما كنوز العلم وهما قوله: (إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرىء ما نوى)، ثم بين في الجملة

---

(١) أخرجه البخاري ١، ومسلم ١٩٠٧.

(٢) انظر: جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ص ٦٤، ٦٥، ٧١.

(٣) أحكام القرآن، ابن العربي ١٦٥٢/١.

(٤) أعلام الحديث شرح صحيح البخاري ١١٢/١.

الثانية أن العامل ليس له من عمله إلا ما نواه، وهذا يعم العبادات والمعاملات والأيمان والنذور وسائر العقود والأفعال"[١][٢].

فإن صلاح الأعمال وفسادها بالنيات، وأنه يحصل للعبد من الثمرات والنتائج بحسب نيته، ومعلوم أن جميع العبادات لا تصح إلا بالنية، بأن ينوي ذلك، ويميز بين العادة والعبادات، وبين مراتب العبادات، ثم لا بد مع ذلك أن يكون القصد منها والغرض وجه الله وثوابه، وينبغي للعبد أن يتعبد لله بإخلاص في كل جزء من أعماله، فيستحضر بقلبه وأن يعمله لله متقربًا به إليه، راجيًا ثوابه من الله وحده، لم يحمله على ذلك العمل غرض من الأغراض سوى قصد وجه الله وثوابه، ويسأل ربه تعالى أن يحقق له الإخلاص من كل ما يأتي وما يذر، وأن يقوي إيمانه ويخلصه من الشوائب المنقصة، وبهذه النية الصادقة يجعل الله البركة في أعمال العبد ويكون اليسير منها أفضل من الكثير مِنْ عملِ مَنْ خلا قلبه من هذه النية ثم إذا عرضت له العوارض المنقصات، كالرياء وإرادة تعظيم الخلق، فليبادر بالتوبة إلى الله ويصرف قلبه عن هذه العوارض المنقصة لحال العبد التي لا تغني عنه شيئًا ولا تنفعه نفعًا عاجلاً ولا آجلاً[٣]، فينبغي على المسلم الحرص على إخلاص النية في عمله.

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: فضل الجهاد في سبيل الله:

يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ: "لينبعث من كل رجلين أحدهما والأجر بينهما..." وقوله ﷺ: "عمل قليلاً وأُجِرَ كثيرًا" لمن أسلم ثم قاتل وقتل، فالجهاد في سبيل الله فضله عظيم للمسلم ولدينه، لأن مآله إما النصر أو الشهادة، قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ ۖ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا ۖ فَتَرَبَّصُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ﴾[٤]، والجهاد في سبيل الله لا يعدله

---

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن القيم، تحقيق: رائد صبري بن ابي علفة ص ٦٠٠.

(٢) انظر: جمهرة القواعد الفقهية في المعاملات، د. علي أحمد الندوي ١/١٢٩ - ١٣٠.

(٣) انظر: الرياض الناضرة، الشيخ السعدي ص ٢٠٨ - ٢٠٩.

(٤) سورة التوبة، آية: ٥٢.

عمل في الإسلام وهذا ما بينه رسول الله ﷺ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاءَ رجلٌ إلى رسولِ اللهِ ﷺ فقال: دُلَّني على عملٍ يَعدِلُ الجهادَ. قال: لا أجِدُهُ. قال: ((هل تَستطيعُ إذا خرَجَ المجاهدُ أن تدخُلَ مَسجِدَك فتقومَ ولا تَفتُرَ، وتَصومَ ولا تُفطِرَ؟)) قال: ومن يَستطيعُ ذلك؟ قال أبو هريرةَ: إنَّ فرَسَ المجاهدِ ليَستَنُّ في طِوَلِهِ، فيُكتبُ لهُ حسَناتٍ[1].

"إن مكانة الجهاد سامقة، ذلك أنه ماضٍ إلى يوم القيامة وهو مفروض على أمة محمد ﷺ يرتفع من خلاله المسلم عن بقية إخوانه المسلمين مكانًا عليًّا"[2].

"فالجهاد من أنواع العبادة، التي خلق الحق - تبارك وتعالى - الناس من أجلها، نَعْم الجهاد الذي هو محاربة الأعداء، قال تعالى: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾[3]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافٗا وَثِقَالٗا وَجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾[4].

لقد فرض الله تبارك وتعالى على هذه الأمة الجهاد، وجعله من أعلى مراتب العبادة واعدًا لمن قام به أعلى الدرجات في جنات عدن، جزاء ما بذل في سبيل الله من نفس ومال وجهد، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن الرسول الكريم ﷺ عندما سئل عن أفضل الأعمال قال: ((إيمان بالله). قال ثم ماذا؟ قال: (الجهاد في سبيل الله)[5] فعلينا أن نخلص فيه طاعة لله رب العالمين، الذي شرفنا بهذه العبادة، ومنحنا الرضا والجنة لقاء قيامنا بها بصدق وإخلاص: ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ﴾[6].

---

(١) أخرجه البخاري ٢٧٨٥، ومسلم ١٨٧٨.

(٢) قواعد الدعوة الإسلامية، د. حمدان الهجاري ص ٢٣٦.

(٣) سورة البقرة، آية: ١٩٠.

(٤) سورة التوبة، آية: ٤١.

(٥) أخرجه البخاري ٢٦، ١٥١٩، ومسلم ٨٣.

(٦) سورة آل عمران، آية: ١٦٩.

لقد امتلأت صفحات القرآن المجيد بذكر فضائل الجهاد: قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾[1]، وقال جل وعلا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[2].

إن الاعتداءات الظالمة، والمفاسد الآثمة التي يقوم بها الإنسان على أرض الله، وبين عباد الله، تنتشر بسببها الفتن، وتعم المفاسد، وتموج المجتمعات البشرية بألوان الشرور والآثام، وأنواع الظلم والطغيان، وتسود بينهم شريعة الغاب، القوي يأكل الضعيف ويسيطر على الناس فئة طاغية ظالمة، فيسود الفساد في الأرض، ويحصل للناس المشقة والعذاب، ويعم الأرض الخوف والرعب، والدمار، ويحل بالناس البلاء.

ورب العزة والجلال لا يقبل لعباده ذلك، ولا يرضى لهم هذا الهوان، ولا يجيز للقوي أن يأكل الضعيف، أو أن يعتدي عليه بأي نوع من أنواع الاعتداء، أو أن يسلب القوي أمن الضعيف وطمأنينته، كما لا يقبل سبحانه وتعالى أن يُصاب عباده في حياتهم الأخلاقية أو حياتهم المادية أو النفسية بأي نوع من أنواع الإصابات والعدوان، كما لا يرضى سبحانه وتعالى بانتشار الظلم والقتل بين عباده، أو أن يصبح عباده عبادًا لمخلوقيه من بقية العباد، فيلطخوا شرفهم الإنساني بجراح الذلة والصغار والهوان، فيخضعوا لغير الذي خلقهم وصورهم سبحانه وتعالى أيا كان هذا.

لذا؛ فإن الجماعة التي تهب وتنهض لتطهير الأرض، بل البشرية من هذه الفتن وتنقذها من الظلم والعدوان، وتقيم العدل والإحسان، وترفع راية الحق والدين، دون طمع في ثروة أو وصولاً إلى مغنم، وتُضحي في سبيل تحقيق ذلك الخير، بمالها وراحتها، بل بأرواحها، جديرة حقًا بحب الله ومرضاته عنها، أولئك هم المجاهدون.

---

(١) سورة الصف، آية: ٤.

(٢) سورة الصف، الآيتان: ١٠ - ١١.

فالجهاد عبادة ينبغي إخلاصها لله، لأن الحق تبارك وتعالى لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصًا، لا رياء فيه ولا سمعة، والجهاد في سبيل الله يحتل الدرجة العليا بين جميع الأعمال الإنسانية بعد الإيمان بالله رب العالمين، قال رسول الله ﷺ: ((لَغَدْوَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ رَوْحَةٌ، خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا))[1]"[2].

---

(١) أخرجه مسلم ١٨٨٠.

(٢) أنواع العبادة في إفراد الله بالعبادة، د. الشريف حمدان الهجاري ص ١٩١ - ١٩٢.



فهرس المحتويات



فهرس المحتويات

الموضـــــــوع	الصفحة

الموضـــــــــــوع	الصفحة

الموضـــــــوع	الصفحة